



ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ
كانون الثاني (يناير) ١٩٨٥ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو نعيم الأصبهاني

وكتاب « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء »

عبد الكريم زهور عدي

القسم الثاني

كتاب الحلية

كتاب « حلية الأولياء وطبقات الأصفيـاء » هو أعظم كتب أبي نعيم به كان يعرف فيقولون : « أبو نعيم الأصبهاني صـاحب كتـاب الحليـة » ، وأطولها فهو في نسخته المطبوعة يقع في عشرة مجلـدات بنحو أربعـة آلاف صفحة .

إنه حصيلة عمر طويل صرف كله في علم الحـديث . يقول في آخره : « هـذا آخر مـاأمليتـه يـوم الجمعـة سلـخ ذي الحجـة سنـة اثنتين وعشرين وأربعمائـة » ـ بعـد ثمـانيـة وسبعين عـامـاً من الطلب الحثيث للحـديث والآثار : يسمعها ويقيدهـا ثم يرويهـا وتُقرأ عليـه ويمليهـا ، وقـد بلغ من العمر ستاً وثمانين سنـة ولم يبق لـه على الأرض من أيـام إلا ثمـاني سنوات ونحو شهر ونصف الشهر .

روى فيه عن أربعمائة وتسعين شيخاً : منهم مـائـة واثنـان وعشرون روى عنهم حديثـاً واحـداً أو قولاً واحـداً ، وروى عن زهـاء خمسين أكثر من خمسين أثراً ، وعن سبعـة وعشرين من هـؤلاء أكثر من مـائـة ، وعن تسعة من هؤلاء أكثر من خمسمائة ، وروى عن أحمـد بن جعفر بن حمـدان

أبي بكر بن مالك ألفاً وخمسمائة أثر ، وعن سليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني ألفاً وستمائة وتسعة وعشرين وعن أبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر أبي محمد بن حيان ألفاً وثمانمائة وأربعة وعشرين - روى عن هؤلاء الشيوخ خمسة عشر ألفاً ومائة وتسعة وثمانين حديثاً أو قولاً مأثوراً ، فإذا افترضنا أن عشر هذا العدد مكرر فيكون قد روى نحو ثلاثة عشر ألفاً وستمائة وسبعين كلها مع أسانيدها (ارجع إلى الملحق ٢) . فكتاب الحلية ربما كان أوسع كتاب في التراث الإسلامي جمع أخبار الزهاد وأقوالهم وشيئاً من أخبار الصوفية وأقوالهم .

وقد ظهر كتاب الحلية في ميقاته . فعدا عن الأسباب الشخصية المتوفرة في أبي نعيم من حيث هو مشارك في علم الحديث وفي سلوك طريق الزهد والتصوف ، فقد اجتمعت كل الأسباب الموضوعية المهيئة لظهور كتاب مثل الحلية :

ففي علم الحديث كان عصرُ المحدثين العظام الذين أصلوا أصوله ومحصوا رجاله - ابتداء من طبقة التابعين إلى السفيانين والحمادين وشعبة وابن مهدي إلى ابن معين وابن حنبل وابن راهويه وطبقتهم إلى أصحاب الصحاح الستة والدارمي وأبي زرعة وأبي حاتم وابنه وابن المديني وابن حبان والحاكم .. - يجر آخر أيامه ، وقد حضرها أبو نعيم .

وفي الزهد كان الزهاد الذين بالغوا في الجانب الزهدي من الإسلام - من الصحابة أمثال عثمان بن مظعون وأبي ذر وأبي الدرداء إلى الزهاد الثانية من التابعين إلى ... إلى الذين وقفوا على الأعراف بين الزهد والتصوف أمثال إبراهيم بن أدهم العجلي وداود بن نصير الطائي والفضيل بن عياض التيمي - قد سنوا طرائقه وأعطوه صفاته الإسلامية .

والتصوف أيضاً كان بناؤه على وشك الاكتمال على أيدي الجنيد وصوفية بغداد وسهل التستري السالمي وحمدون القصار الملامتي والحلاج ومأأدخل على التصوف من اتجاهات مغرقة ، بل حتى في الاتجاهات التي انحرفت به عن جادة الإسلام من حلولية وإباحية ـ أقول : إن التصوف كان قد كمل بناؤه غير بعض الإضافات الفلسفية والمغالية والمنحرفة .

والأهم من ذلك ماظهر من كتب في علم التصوف وتاريخه : فقد ظهرت الكتب الثلاثة : لمع أبي نصر السراج وتعرف أبي بكر الكلاباذي وقوت أبي طالب المكي ، التي لم يظهر بعدها كتب خير منها إن في الشمول أو الدقة أو التعمق . وماظهر من كتب في أخبار الزهاد وطبقات الصوفية وبخاصة منها كتب أبي جعفر الخلدي وأبي سعيد بن الأعرابي وأبي عبد الرحمن السلمي . وهذه جريدة بأسماء بعض الكتب الداخلة في هذا المجال[٤٦] :

يحيى بن معاذ الرازي (ـ ٢٠٦)	مراد (أو كتاب) المريدين
بشر بن الحارث الحافي (ـ ٢٢٧)	كتاب الزهد
عتبة الغلام	رسالة في الزهد
أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الختلي (ـ ٢٦٠)	كتاب الأولياء
	كتاب الزهد
محمد بن علي الحكيم الترمذي (ـ ٣٢٠)	تاريخ المشايخ
أبو سعيد أحمد بن الأعرابي (ـ ٣٤١)	كتاب الزهد
	طبقات النساك
أبو محمد جعفر بن محمد الخلدي (ـ ٣٤٨)	حكايات المشايخ
أبو العباس محمد بن الخشاب المخرّمى (ـ ٣٦١)	حكايات

أبو الفرج عبد الواحد بن بكر الوَرْثاني (ـ ٣٧٢) طبقات الصوفية
أبو بكر محمد بن عبد الله بن شاذان الرازي (ـ ٣٧٦) الحكايات الصوفية
أبو العباس أحمد النسوي (ـ ٣٩٦) طبقات الصوفية
أبو عبد الرحمن السلمي (ـ ٤١٢) كتاب الزهد
تاريخ أهل الصفة
تاريخ الصوفية (؟)
طبقات الصوفية
وكل كتبه
أبو سعد أحمد بن محمد الأنصاري الماليني (ـ ٤١٢) كتاب الأربعين في شيوخ الصوفية
أبو الحسن علي بن جهضم (ـ ٤١٤) أخبار الصالحين وحكاياتهم

ذلك إلى كتب كبار المحدثين الذين عنوا بالرقائق أمثال عبد الله بن المبارك (ـ ١٨١) ... وأولئك الذين عنوا خاصة بالزهد والزهاد والمواعظ أمثال محمد بن الحسين البرجلاني (ـ ٢٣٨) وعبيد الله بن محمد (ابن أبي الدنيا) (ـ ٢٨١) ... وكتب كبار المتصوفة أمثال المحاسبي والتستري والجنيد والحكيم الترمذي ...

تعريف عام بالحلية

ترجم أبو نعيم في الحلية لستمائة وأربعة وثمانين رجلاً (ارجع إلى الملحق ١) . ولكنه لم يتبع في ترتيب التراجم قاعدة واحدة ثابتة تكون دليلاً يهدي المراجع إلى طلبته . فلم يرتب التراجم في طبقات (كما فعل من قبله مثلاً أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية) ، ولم يتخذ النسبة الجغرافية قاعدة للتصنيف (كما فعل من بعده مثلاً ابن الجوزي في

صفة الصفوة) ، ولم يوزع الرجال على أصناف يجمع كل صنف منها صفة مشتركة تكون عنواناً له ، ولم يعتمد طريقه الترتيب على حروف المعجم . ولذلك تصعب المراجعة في الحلية .

ولكن يمكن القول بعامة : إن التراجم تتبع التسلسل التاريخي بمعنى : أنه مثلاً لايضع محمد بن واسع بين متصوفة بغداد ، ولايدخل النوري بين زهاد التابعين ، ولكنه قد يؤخر المتقدم ويشير إلى ذلك أو لايشير ويقدم المتأخر . وقد يتبع أحياناً طريقة التصنيف إما على أساس الصفة المشتركة : « أهل الصفة » ، « الزهاد الثانية » .. وإما على أساس البلد « زهاد البصرة » ، « زهاد الشام » .. ولكن ليس باطراد ولابدقة .

ولذلك كان التعريف بالحلية صعباً ، لأن التعريف لايكون بالأفراد ولابالجزئيات بل بالكليات والأجناس والأنواع . وعلى الرغم من ذلك فسأحاول هذا التعريف معتمداً على المعالم والإشارات التي أقامها أبو نعيم عن قصد أو جاءت عرضاً :

المقدمة (١ / ٣ ـ ٢٨ من مطبوعة الحلية)

قدم أبو نعيم للحلية بمقدمة تتجاوز خمساً وعشرين صفحة من مطبوعتها ، عرض فيها لموضوعات شتى تدور جميعاً على فهمه للتصوف وموقفه من المتصوفة :

بدأ فبين أن مادفعه إلى تأليف الحلية هو تحقيق بغية من ابتغى منه « جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم وبعدهم » .

والسبب وراء هذا المطلب من الطالب مابلغه « من بسط لساننا ولسان أهل الفقه والآثار .. في المنتسبين إليهم (إلى المتصوفة) من الفسقة الفجار والمباحية والحلولية الكفار . وليس ماحل بالكذبة من الوقيعة والإنكار بقادح في منقبة الصفوة الأبرار » . وكيف يستجيز أبو نعيم لنفسه نقيصة أولياء الله ، وجده محمد بن يوسف البنا « أحد من نشر الله عز وجل به ذكر بعض المنقطعين إليه » ، ورسول الله ﷺ يقول عن ربه : « من آذى لي ولياً فقد آذنته بحرب .. » ؟

ثم ينتقل إلى ذكر بعض مناقب أولياء الله التي بها يعرفون ويغبطون ، فيذكر اثنتي عشرة منقبة يصوغها بعبارات مسجوعة من مثل : « إنهم المضرورون في الأطعمة واللباس المبرورة أقسامهم عند النازلة والباس » ، « وهم المصونون عن مرامقة حقارة الدنيا بعين الاغترار المبصرون صنع محبوبهم بالفكر والاعتبار » الخ ... وعلينا أن لانتوقع أن نقع ههنا على نعوت واضحة الحدود متميزة مما سواها ، فالمفهومات والتصورات الأخلاقية والروحية بعامة تكون مرتجة الحدود يلتبس بعضها ببعض ، فإذا دخلنا في عالم التصوف دخلنا في السحر حين لاتغيب الأشياء تماماً ولاتنكشف .

ويمضي بعدها إلى لفظة « تصوف » ومن أين اشتقت : « فأما عند أهل الإشارات فاشتقاقها من الصفاء والوفاء ، وأما من حيث اللغة فمن أحد أربعة أشياء : الصوفانة وهي بقلة وغباء قصيرة ، أو صوفة وهي قبيلة كانت تجيز الحاج في الجاهلية ، أو صوفة القفا وهي الشعرات النابتة فيه ، أو الصوف المعروف » . ثم يأخذ يفسر أو يؤول كل اشتقاق من هذه الاشتقاقات الأربعة تأويلات غريبة ، وهذا مثل عليها : « وإن

أُخذ من صوفة القفا فمعناه أن المتصوف معطوف به إلى الحق مصروف بـه عن الخلق ، لايريد به بدلا ولايبغي عنه حولا » .

ثم إلى تعريف التصوف فينقل أكثر من ثمانية تعريفـات عمن يسميهم « سـادة علمـاء التصـوف » منهم الجنيـد وذو النـون والشبلي ... وكل قـد أجاب عن حاله .

ومن ثمة يحاول تحديـد موضوع علم التصوف فيقول : « ويشتمل كلام المتصوفة على ثلاثة أنواع : فأولها إشـاراتهم إلى التوحيـد ، والثـاني كلامهم في المراد ومراتبه ، والثالث في المريد وأحواله » .

والتصوف يقوم على أصلين : المعرفـة والمجـاهـدة : أمـا المعرفـة فتقوم على أركان أربعـة « فمبـاني المتصـوفـة المتحققـة في حقـائقهم على أركان أربعة : معرفة الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله ، ومعرفـة النفوس وشرورها ودواعيها ، ومعرفة وساوس العدو ومكائـده ومضـالـه ، ومعرفـة الـدنيـا وغرورهـا وتفتينهـا وتلـوينهـا وكيف الاحتراز منهـا والتجـافي عنها » .

فإذا توطدت عندهم هـذه الأركان « ألزموا أنفسهم ... دوام المجـاهـدة وشدة المكابـدة وحفـظ الأوقـات واغتنـام الطـاعـات ومفـارقـة الراحـات والتلذذ بما أيدوا به من المطالعات الخ .. » .

والتجربة الصوفية لهـا وجهـان : وجـه بـاطن هو الأحوال ، ووجـه ظـاهر هو الأخلاق : « لهم الأحوال الشريفـة والأخلاق اللطيفـة » : فمن حيث الأخـلاق « هم السفراء إلى الخلـق » ، ومن حيث الأحـوال « هم الأسراء لـدى الحق » ، ومن حيث الأحوال والأخـلاق « حبهم للحـق وفي الحق يحييهم ويفنيهم » .

الصحابة :

ثم اتخذ سبيله في التراجم :

فافتتحها ، كدأب علماء المسلمين في مثل هـذه الأحوال ، بـالعشرة . (١ / ٢٨ ـ ١٠٢) .

ثم أتبعهم بعشرة آخرين « من النسـاك والعـارفين والعبـاد الـذين انقرضـوا على عهـد رسـول الله صلى الله عليـه وسلم ولم تَكْلَمهم الـدنيـا » (١ / ١٠٢ ـ ١٢٤) . بـدأهم بعثمـان بن مظعـون الـذي بكاه رسـول الله وخاطبه : « .. اذهب عنها أبا السائب فقد خرجت منهـا ولم تلبس منهـا بشيء » ، وختمهم بـذكر قتلى بئر معونـة الـذين قنت رسـول الله صلى الله عليه وسلم شهراً في صلاة الصبح يدعو على الغادرين بهم[٤٧] .

ثم ترجم لستة وعشرين لم يخترهم لأنهم عرفوا بـالقيـادة السيـاسيـة أو العسكرية بل لما عرفوا به من النسك والعبـادة « الـذين جعلوا للعـارفين والعـاملين قـدوة وعلى المفتـونين بـالـدنيـا والمقبلين عليهـا حجـة » (١ / ١٢٤ ـ ٣٣٧) . بـدأهم بعبـد الله بن مسعـود وختمهم بـالعبـادلـة الأربعـة . منهم من تتـداول أسماءهم ألسنـة المسلمين مثل : معـاذ بن جبل وعمار بن يـاسر وأبي ذر وبلال وأبي الـدرداء وسلمـان وأبي موسى الخ ... ومنهم من لايكادون يـذكرون مثـل سعيـد بن عـامر وعمير بن سعـد .. ولابأس من إيراد شيء من حديث عمير بن سعد لبيـان مـاكان يطّبي أبـا نعيم فيقف عنده :

بعث عمر بن الخطاب عميراً عاملاً على حمص . فمكث حولاً لايـأتيـه خبره . فظن عمر به الخيانة . فأمر كاتبـه أن يكتب إليـه : « إذا جـاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بمـا جبيت من فيء المسلمين . فـأخـذ عمير جرابـه فجعل فيـه زاده وقصعتـه وعلق إداوتـه وأخـذ عنزتـه (عصـاه) ثم أقبـل يمشي من حمص حتى دخل المدينـة » . ودخل في هيـأتـه هـذه على عمر .

وبعد حديث .. قال عمر : « فأين بعثتك ، وأي شيء صنعت ؟ قال : وماسؤالك ياأمير المؤمنين ؟ فقال عمر : سبحان الله . فقال عمير : أما لولا أني أخشى أن أغمك ماأخبرتك . بعثتني حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم ، حتى إذا جمعوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شيء لأتيتك به » .. قال عمر : « جددوا لعمير عهداً . قال : إن ذلك لشيء . لاعملت لك ولا لأحد بعدك ، والله ماسلمت بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني ، أي : أخزاك الله » .. ثم استأذنه فأذن له فرجع إلى منزله على بعد أميال من المدينة . وقال عمر : ماأراه إلا قد خاننا . فأعطى رجلاً اسمه الحارث مائة دينار وقال له : انطلق إلى عمير حتى تنزل به كأنك ضيف ، فإن رأيت أثر شيء فأقبل ، وإن رأيت حالة شديدة فادفع إليه هذه المائة دينار . ونزل الحارث بعمير ثلاثة أيام « وليس لهم إلا قرصة من شعير كانوا يخصونه بها ويطوون ، حتى أتاهم الجهد . فقال له عمير : إنك قد أجعتنا فإن رأيت أن تتحول عنا فافعل . فأخرج الدنانير فدفعها إليه وقال : بعث بها إليك أمير المؤمنين فاستعن بها . فقال : لاحاجة لي فيها ردها . فقالت له امرأته : إن احتجت إليها وإلا فضعها مواضعها ... فأخذها وخرج فقسمها بين أبناء الشهداء والفقراء » . ورجع الحارث إلى عمر ، فقال : مارأيت ؟ قال : رأيت حالاً شديداً . قال : فما صنع بالدنانير . قال : لاأدري . « فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فلاتضعه من يدك حتى تقبل . فأقبل . فقال له عمر : ماصنعت بالدنانير ؟ قال : صنعت ماصنعت وماسؤالك عنها ؟ قال : أنشد عليك لتخبرني ماصنعت بها . قال : قدمتها لنفسي . قال : رحمك الله » . فلم يلبث عمير أن هلك ، فبلغ ذلك عمر فشق عليه ، فخرج يمشي ومعه المشاؤون إلى بقيع الغرقد ... وقال عمر : « وددت أن

لي رجلاً مثل عمير بن سعد أستعين به في أعمال المسلمين » .

ثم وقف وقفة مطوّلة عند أهل الصفة (١ / ٣٣٧ ـ ٣٨٥ و ٢ / ٣ ـ ٣٩) ، ابتدأها بمقدمة وصف فيها حالهم وصفاً عاماً . ولأهل الصفة عند أهل التصوف مقام خاص واعتبار خاص ، حتى إن بعضهم يرى أن اسم طريقهم « تصوف » منسوب ، على خلاف قواعد اللغة ، إلى الصفة . أو ليسوا هم الفقراء الصابرين ؟ أو كما قال أبو نعيم : « هم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شيء من العروض ، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض ، وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء ، كما جعل من تقدم ذكرهم أسوة للعارفين من الحكماء ، لايأوون إلى أهل ولامال ، ولايلهيهم عن ذكر الله تجارة ولاحال .. » ؟ ألم ينزل بهم قرآن : [٤٨]﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ ؟ .

ولما عرض لذكر عددهم لم يقع في الأعداد المباركة ذات الصفة القدسية كما وقع غيره : فقالوا مرة : إن عددهم هو عدد البدريين ، وقالوا : إنه عدد السنين التي لبثها أهل الكهف في كهفهم .. بل قال : « وكان عدد قاطني الصفة يختلف على حسب اختلاف الأوقات والأحوال ، فربما تَفُرَّق عنها وانتقص طارقوهامن الغرباء والقادمين فيقل عددهم ، وربما يجتمع فيها واردوها من الوراد والوفود فينضم إليهم فيكثرون .. » .

ومن قبل أبي نعيم عني بأهل الصفة جامعو الآثار والأخبار في الزهد والزهاد وبخاصة منهم أبو سعيد بن الأعرابي وأبو عبد الرحمن السلمي الذي

خصهم بكتاب « تاريخ أهل الصفة »[٤٩] حرص فيه على حصر أسمائهم وترتيبها على حروف المعجم وجمع أخبارهم . وكان جل اعتماد أبي نعيم عليها واعترف بذلك فقال : « قد أتينا على من ذكرهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي ونسبهم إلى توطين الصفة ونزولها . وهو أحد من لقيناه وممن له العناية التامة بتوطئة مذهب التصوف وتهذيبه ... وكذلك ضممت إليه ماذكره الأغر الأبلج أبو سعيد بن الأعرابي رحمه الله وكان أحد أعلام رواة الحديث والمتصوفة .. » . فمن خمسة وثمانين من أهل الصفة ترجم لهم (ذلك عدا من ترجم لهم منهم بين الصحابة الآخرين أمثال أبي ذر وأبي موسى وخباب بن الأرت ..) نص على تسعة وستين أنهم ذكرهم السلمي وعلى ثمانية زادهم من عند ابن الأعرابي وثمانية أضافهم من عند نفسه . ولكنه أخرج عشرة من عداد أهل الصفة قال : إن السلمي وهم فيهم ، منهم مثلاً : أوس بن أوس (وقيل : ابن حذيفة) الثقفي من وفد ثقيف الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في مسجده أنزلهم فيها[٥٠] فهو من أهل القبة لا من أهل الصفة ، وحبيب بن زيد وهو من أهل العقبة لا الصفة ، وأبو أيوب الأنصاري وفي داره نزل الرسول صلى الله عليه وسلم أول مانزل المدينة فقد كان إذن مستغنياً عن الصفة ونزولها وهو من أهل العقبة ، وثابت بن الضحاك وهو من أهل الشجرة (بيعة الرضوان) ليس من أهل الصفة في شيء ، وثابت بن وديعة وقد نزل الكوفة لاالصفة ، وحجاج بن عمرو الأسلمي وقد وهم فيه مرتين إذ أن حجاجاً الأسلمي هو حجاج بن مالك أما حجاج بن عمرو فهو المازني الأنصاري ولايعرف لأي منهما ذكر في أهل الصفة ، وآخرون لايُعلم عن استيطانهم الصفة أثر مسند أو صحيح .

وختم أبو نعيم تراجمه لأهل الصفة ببيان موقعهم بين المسلمين ومكانتهم عند كبار أهل البيت والصحابة ، « كان أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأولاده يوالون أهل الصفة والفقراء : يخالطونهم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واستناناً به . فمن كان يكثر مجالستهم ومخالطتهم ومجالسة سائر الفقراء في كل وقت الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر ، يرون في محبتهم إكمال الدين وفي مجالستهم إتمام الشرف .. وكذلك عامة الصحابة كانوا يغتنمون مخالطة الأخيار وأدعية الأبرار .. » .

وكأنه وجد هذه مناسبة فترجم للحسن بن علي رضي الله عنهما . ولكن العجب منه أنه لم يترجم للحسين ، ذكر : أنه كان من ولاة الفقراء وأهل الصفة ، وكليات قالها « لما نزل القوم بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه » ، ووقف . ويؤكد العجب أنه ترجم فيما بعد لأخيه محمد بن الحنفية وأولاده زين العابدين والباقر والصادق . فهل افتقد فيما كتب في عمره المديد من آثار وأخبار آثاراً وأخباراً تكفي لترجمة الحسين ترجمة توازي ترجمته للحسن ؟

وانتهى أخيراً إلى الصحابيات ، (٢ / ٣٩ ـ ٧٧) وابتدأهن بفاطمة رضي الله عنها « السيدة البتول البضعة الشبيهة بالرسول ألوط أولاده بقلبه لصوقا وأولهم بعد وفاته به لحوقا ... » . وثنى بعائشة رضي الله عنها « الصديقة بنت الصديق العتيقة بنت العتيق حبيبة الحبيب وأليفة القريب ... » . ثم حفصة بنت عمر وزينب بنت جحش وصفية بنت حيي رضي الله عنهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أسماء بنت الصديق ذات النطاقين رضي الله عنها الخ .. إلى أن أتمهن إلى تسع وعشرين . وهنا عجب آخر من أبي نعيم : ما المعيار الذي اعتمده في

اختيار هاته الأربع من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وكيف أهمل مثلاً أم سلمة وكانت أول امرأة هاجرت إلى الحبشة ، وأول ظعينة ، على قولٍ ، دخلت المدينة ، « وكانت موصوفة بالجمال البارع والعقل البالغ والرأي الصائب »[٥١] ، أشارت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديبية فأصبت الرأي[٥٢] ، وفي بيتها ، كما روى عنها الترمذي[٥٣] ، نزلت الآية ﴿ يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ وجلل رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمسة بالكساء ؟[٥٤]

وبذلك يكون أبو نعيم قد ترجم لمائة وواحد وستين صحابياً وزعهم على خمس فئات . وهو تصنيف مقبول ويمكن أن يهدي المراجع ولو هداية تقريبية ، لولا أنه لم يبرزه منذ البداية فلا يكتشفه بالتالي إلا من يكون قد قرأ الحلية واستغنى عنه .

وهنا يمكن أن أبدي ملاحظتين :

الأولى أن أبا نعيم لم يترجم بعد الصحابيات لأية امرأة ، وإن منهن لزاهدات عابدات مثل معاذة العدوية ورابعة العدوية ورائعة الشامية وغيرهن .

والثانية أن تراجمه للصحابة لم تكن مطولة ، فأطولها وهي ترجمة علي كرم الله وجهه تقع في ست وعشرين صفحة ، ثم ترجمة سلمان في ثلاث وعشرين وعبد الله بن عمر في ثنتين وعشرين ، وإن بعضها لايتجاوز الأسطر القليلة . ويمكن تعليل ذلك بأن روح الإسلام ـ وهو دين اليقظة والمواجهة والتمتع بالحياة في حدود الأمانة التي حملها الله للإنسان والرعاية لحقوقه وحقوق البشر الآخرين ـ كانت ماتزال تسري في الصحابة كما بثها فيهم رسول الله ، فلا تفريط كبيراً وبالتالي فلا إفراط

ولاضرورة لتطويل المواعظ والأحاديث عن الزهد والعزوف عن الدنيا (أقول هذا مع عدم الغفلة عن الفتنة الكبرى وآثارها) .

التابعون وتابعوهم :

ثم اتبع الصحابة التابعين مقدّماً لهم « في فضل خير القرون أخباراً وآثاراً » :

« حدثنا عبد الله بن جعفر ثنا يونس أبو داود ثنا شعبة عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

ويفسره الحديث : « حدثنا حبيب بن الحسن ثنا أبو مسلم الكشي ثنا أبو عاصم عن محمد بن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة قال : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خير الناس ؟ قال : أنا ومن معي ، قيل : ثم من ؟ قال : الذين على الأثر ، قيل : ثم من ؟ قال : ثم الذين على الأثر . قال : فرفضهم في الرابعة » .

الزهاد الثمانية (٢ / ٧٩ ـ ١٦١)

وابتدأ تراجمهم بالثمانية الذين انتهى الزهد إليهم وهم : من البصريين : عامر بن عبد الله بن عبد قيس التميمي ، هرم بن حيان العبدي ، الحسن بن يسار البصري ـ ومن الكوفيين : أويس بن عامر القرني ، مسروق بن الأجدع الهمداني ، الأسود بن يزيد النخعي ، الربيع بن خثيم الثوري ـ ومن الشاميين : أبو مسلم الخولاني .

وكانت فاتحة التراجم ترجمة أويس القرني ، تلك الشخصية ذات

الطابع الأسطوري الغامضة بداياتها ونهايتها التي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفها « .. رام بذقنه إلى موضع سجوده واضع يمينه على شماله يتلو القرآن يبكي على نفسه ، ذو طمرين متزر بإزار صوف ورداء صوف ، مجهول في أهل الأرض معروف في السماء ، لو أقسم على الله لأبر قسمه .. » ووصى عمر وعلياً « إذا أنتما لقيتماه فاطلبا إليه أن يستغفر لكما يغفر الله تعالى لكما » .

وخاتمتها ترجمة الحسن البصري ذلك الشخص الذي يشغل موقعاً خاصاً وأساسياً في تاريخ الحياة الروحية في الإسلام : فقد لايكون وحسب أحد الذين رسموا للزهد الإسلامي حدوده وحددوا ملامحه بل الأول بينهم والأكبر ، وإليه ، كما يقول المعتزلة ، ينتهي نسب الاتجاه الاعتزالي في علم الكلام ، وهو العقدة التي ربطت التصوف الإسلامي بعلي ثم بالرسول ، كما يدعي المتصوفة .

وقد أدخل بين تراجمهم ترجمة لعلقمة بن قيس النخعي ، ولم يبعد : فقد نُعت علقمة مرة بأنه من الديانين وأخرى بأنه رباني هذه الأمة .

وكانت تراجمهم جميعاً أقرب إلى الإيجاز لاتكاد تتجاوز العشر صفحات ماعدا ترجمة الحسن فقد بلغت الثلاثين .

الفقهاء السبعة (٢ / ١٦١ ـ ١٩٨)

وقفّى الزهادَ الثانية بالفقهاء السبعة وهم : سعيد بن المسيب المخزومي وعروة بن الزبير الأسدي والقاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث المخزومي وخارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة الهذلي وسليمان بن يسار .

وأضاف إلى تراجمهم ترجمة سالم بن عبد الله بن عمر العدوي ولم يخطئ ، فسالم على قول بعضهم كان أحد الفقهاء السبعة . « قال ابن المبارك : كان فقهاء أهل المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة : .. وسالم .. »[٥٥] . وهؤلاء جميعاً مدينيون « غلب عليهم التفقه في الدين فعرفوا به وصدر الناس عن فتاويهم فيما كانوا يمتحنون به ، وكان لهم الحظ الوافر من التعبد والنسك ولم يظهروه بل أخفوه وكتموه .. كان نسكهم وتعبدهم فوق نسك كثير من المشتهرين بالتعبد .. » .

وكانت تراجمهم أكثر إيجازاً من تراجم الزهاد الثمانية .

زهاد البصرة (٢ / ١٩٨ ـ ٣٨٩ و ٣ / ٣ ـ ١٣٣)

ثم انتقل من سالم بن عبد الله إلى مطرِّف بن عبد الله بن الشخِّير دون أية إشارة إلى أنه انتقل من فقهاء المدينة إلى زهاد البصرة . فترجم لستة وخمسين من هؤلاء كان آخرهم شميط بن عجلان . منهم : صلة بن أشيم العدوي وأبو العالية الرياحي ومحمد بن سيرين وثابت البناني وإياس بن معاوية المزني ومحمد بن واسع ومالك بن دينار وقتادة بن دعامة السدوسي وفرقد السبخي وأيوب السختياني وسليمان التيمي الخ ... ولم يتبع في ترتيب تراجمهم أيةقاعدة . فلما هذب ابن الجوزي الحلية رتب هذه التراجم في طبقات . ومقابلة سريعة بين فهرس هذه التراجم في الحلية وفهرسها في صفة الصفوة تكشف عن الفوضى في ترتيبها عند أبي نعيم . فمثلاً : افتتح أبو نعيم هذه التراجم بمطرف وقدمه على صلة بن أشيم على حين يضع ابن الجوزي صلة في الطبقة الأولى من زهاد البصرة ومطرفاً في الطبقة الثانية ، وأخر الفضيل بن يزيد الرقاشي كثيراً ويضعه ابن الجوزي في الطبقة الأولى ، وأخر إياساً حتى ليجعله قبل

الأخير وقدم عليه قتادة ويجعله ابن الجوزي مع قتادة في الطبقة الثالثة الخ ... .

زهاد المدينة (٣ / ١٣٣ ـ ٢٦٦)

ثم عاد إلى تابعي المدينة فترجم لثلاثة عشر ، افتتحهم بعلي بن الحسين زين العابدين ، واختتمهم بربيعة الرأى بن أبي عبد الرحمن ، وترجم بينهما لمحمد بن علي (ابن الحنفية) ومحمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي حازم سلمة بن دينار (وكانت ترجمته الأطول : ثلاثين صفحة) وآخرين .

زهاد مكة (٣ / ٢٦٦ ـ ٣٨١)

وأتبعهم بتابعي مكة فترجم لسبعة بدأهم بعبيد بن عمير الليثي وختمهم بمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري (عدّه ابن الجوزي من تابعي المدينة)[٥٦] وترجم لمجاهد بن جبر (في إحدى وثلاثين صفحة) وعطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس (عند ابن الجوزي من تابعي المدينة)[٥٧] وعمرو بن دينار وعبد الله بن عبيد بن عمير .

زهاد اليمن (٤ / ٣ ـ ٨٢)

ثم ترجم لاثنين من تابعي اليمن : طاوس بن كيسان ووهب بن منبه وبه يظهر تدفق المنقول من تراث أهل الكتاب عامة و « الإسرائيليات » خاصة إلى التراث الإسلامي ، ويبدأ التطويل في التراجم فقد أخذت ترجمته ثمانياً وخمسين صفحة .

زهاد الجزيرة (٤ / ٨٢ ـ ١٠١)

وترجم لاثنين من تابعي الجزيرة : ميمون بن مهران ويزيد بن الأصم .

زهاد الكوفة (٤ / ١٠١ ـ ٣٨٦ و ٥ / ٣ ـ ١٢٠)

ثم قال : « ذكرنا نفراً من متقدمي طبقة الكوفيين في ذكر زهاد اليانية (ههنا تصحيف والصحيح : الزهاد الثمانية) وعبادهم ، وعدنا إلى ذكر جماعة من عباد الكوفيين ونساكهم » . وترجم لاثنين وأربعين منهم ، بدأهم بشقيق بن سلمة وختمهم بالربيع بن أبي راشد .
واختص أصحاب عبد الله بن مسعود بالعناية : ففي أثناء التراجم قال : « قد ذكرنا عدة من أصحاب عبد الله بن مسعود رحمهم الله تعالى وبقي منهم عدة لم نذكرهم ، منهم : ... » . ومن بين من ترجم لهم من زهاد الكوفة جماعة كان لهم مقام في التاريخ والتراث الإسلاميين ، مثل : شريح بن الحارث الكندي القاضي وإبراهيم بن يزيد النخعي وسعيد بن جبير (شغلت ترجمته ثمانياً وثلاثين صفحة) ، الذي أدخل على قلب الحجاج الرجفة وهدّه هدّاً حين ناقشه هذا الحساب على مشاركته في فتنة ابن الأشعث[٥٨] ، وعامر بن شراحيل الشعبي وأبي صالح ماهان الحنفي ومنصور بن المعتمر وسليان بن مهران الأعمش ... ثم أتبعهم « ذكر جماعة من تابعي التابعين من أهل الكوفة والمعدودين فيهم » ، فترجم لثمانية منهم .

زهاد الشام (٥ / ١٢٠ ـ ٣٩١ و ٦ / ٣ ـ ١٤٨)

ثم مضى إلى زهاد الشام وعبادهم فترجم لثلاثة وخمسين منهم ، بدأهم بأبي مسلم الخولاني فترجم له مرة ثانية (بعد ترجمته بين الزهاد الثمانية) وختمهم بأبي عمرو الأوزاعي . وإذا كان قد ميز في زهاد الكوفة بين التابعين وتابعيهم ، فقد خلط بين الفريقين في زهاد الشام ، حتى ليقع المراجع في الحيرة ولاسيا حين يذكر أبو نعيم عن صاحب الترجمة أنه روى

عن التابعين ولاينبس بكلمة على روايته عن الصحابة ، كما فعل مثلاً بسليمان بن موسى الأشدق إذ قال : « أسند عن الزهري وعن غيره من التابعين .. » ولم يزد ، وسليمان يروي أيضاً « عن جابر بن عبد الله وأبي أمامة ومالك بن يخامر وأبي سيارة المتعي وواثلة بن الأسقع وغالبه مرسل »[٥٩] . ومن بين تراجم الشاميين تثير الانتباه ترجمتان : ترجمة عمر بن عبد العزيز وقد استغرقت مائة وإحدى عشرة صفحة ، وترجمة كعب الأحبار بن ماتع واقتطعت سبعين صفحة ، ولاجرم أن تطول ترجمته فقد كان من أوسع الأبواب التي دخلت منها الإسرائيليات إلى التراث الإسلامي ، وتلقفها الوعاظ والقصاص ...

ثم قال أبو نعيم : « .. إن الذين تقدم ذكرهم من الصحابة والتابعين فإن مثلهم في الناس كمثل المعادن والجواهر الذين لايعرف مقامهم ومراتبهم إلا المستنبطون والغواص ... لأنهم كانوا أعمدة الدين والأساس . وهذه الطبقة التي عزمنا على الشروع في ذكرهم فهم قوم أيدوا بطرف من المعارف وكوشفوا ببعض طرف الملاطف .. فسبيلهم في الناس كالرياحين والآس ، إذا أراد الله تعالى إنعاش بعض المجتذبين .. أهب عليهم نسمة من رياح عطفه فيثير منهم نسيماً مما خصهم به من كراماته .. يهيج بهم الوافدين وينبه بهم الواسنين .. وهم أولياء الله وأصفياؤه .. » .

ومعنى ذلك بالعبارة المباشرة : إن الله جعل من الصحابة والتابعين وبعض تابعيهم أسساً للدين وعمداً فهم في ظاهرهم القدوة للناس أجمعين ، أما ماخصهم به من ولايته فخفي إلا على من أوتي القدرة على النفوذ إلى ماوراء الظاهر . وأما مافوق الأسس والأركان من بنيان روحي ومقامات فقد اختار الله له خصائص تظهر عليهم آثار ولايته من آيات وكرامات فتتنور بها قلوب المجتذبين وتتكشف الطرق أمام السائرين إلى الحق .

جماعة ثانية من زهاد البصرة(٦ / ١٤٨ ـ ٣١٤)

وعلى ذلك ترجم لواحد وثلاثين كلهم من عباد البصرة ونساكها ، ابتدأهم بحبيب العجمي وأنهاهم بمعاوية بن عبد الكريم ، ومن بينهم عبد الواحد بن زيد وصالح المري ورياح بن عمرو القيسي وكهمس الدعاء وعتبة الغلام والحمادان : ابن سلمة وابن زيد ... وحين نقرأ تراجم هؤلاء ونقارنها بتراجم أولئك لانجد فروقاً ذات بال إلا بوادر من الكلام في المحبة الإلهية ومبالغة في خشية الله والعرض عليه وظهور بعض الكرامات عند بعضهم ، نعثر على أمثال لها ، ربما بإلحاح أقل ، عند بعض أولئك .

وهكذا يكون أبو نعيم قد بدأ تاريخ التصوف بتلاميذ الحسن البصري ، وأظن أن أبا عبد الرحمن السلمي كان أكثر دقة حين بدأه بالطبقة التي بعدها طبقة إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض .

كان أبو نعيم قد قال في الكلمات التي افتتح بها ترجمات هؤلاء الزهاء من البصريين : « قد تقدم ذكر طبقات من الصحابة والتابعين وتابعيهم على ترتيب أيامهم وبلدانهم .. » . وهذا القول لايمكن قبوله على إطلاقه : ففيما يخص الصحابة فقد صنفهم تبعاً لخصائص وصفات غير الانتماءات البلدية أو القبلية أو التاريخية . وفيما يخص التابعين وتابعيهم فيمكن التسليم بأنه رتبهم تبعاً لبلدانهم وإن داخل هذا الترتيب بعض الاضطراب ، أما ترتيبهم على أيامهم فقد تبين حين عرضنا للمجموعة الأولى من البصريين كيف خلط طبقاتهم بعضها ببعض ، وكذلك فعل في زهاد الكوفة والشام والمجموعة الثانية من زهاد البصرة .

ثم قال : « وعزمنا على ذكر طوائف من جماهير النساك والعباد ..

قوم أُيدوا بطرف من المعارف ... وهم أخلاط من العباد ، وعدلنا عن ترتيب أيامهم والبلاد .. » .

وقال في نهاية ترجماته للبصريين : « ذكرنا طرفاً من أحوال أئمة الهدى .. من الصحابة وتابعيهم .. ونذكر الآن من سلك سمتهم ونحا نحوهم ، فبدأنا بأئمة البلدان ومحاسن الزمان كمالك بن أنس وسفيان بن سعيد وشعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وداود الطائي والحسن وعلي ابني صالح وفضيل بن عياض وقرنائهم ليكون الكتاب جامعاً لتسمية الشموس والأقمار والأئمة ذوي الأخطار ، ثم نتبعهم بذكر المقتدين بهم والتابعين لهم من النجوم الزواهر .. » .

فأبو نعيم إذن يميز في رجال الله بين فئتين : فئة ينعتها « بالشموس والأقمار » وأخرى يصفها « بالنجوم الزواهر » . وهنا يلح سؤال : أي الفئتين ياترى هي الأرفع مقاماً عند أبي نعيم ؟

فالمتصوفة يختلفون في هذه المسألة . وإن منهم لفريقاً يرون أن الولاية أرفع درجة حتى من النبوة ، وأن العلم اللدني أو علم الحقيقة أعلى من علم الشريعة . ويستندون في زعمهم هذا في جملة مايستندون ، على قصة موسى مع العبد الصالح الذي ﴿ آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ﴾ حين سأله موسى أن يصاحبه ، فقال له : ﴿ إنك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا ؟ ﴾[٦٠] . وجاءت التجربة فأيدت قول العبد الصالح .

والظاهر من كلام أبي نعيم المذكور هنا أنه يرى أن الفئة الأولى هي

الأعلى مقاماً ، فهي تشترك مع الثانية في الولاية وإن خفيت إلا على أولي البصائر وتعلوها في علم الشريعة والاتباع . وكان كذلك في معظم ماكتب ونقل يرى الاقتداء بالآثار . فجانب الحدث منه ، وإن لم يحفظه من التسليم بكثير من غيبيات المتصوفة وشطحياتهم ، فقد صانه من تجاوز الحدود ، فعلم الحقيقة عنده مسوّر بحدود علم الشريعة ، والولاية تابعة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومقيدة بالتكاليف والطاعات والاقتداء بالأئمة الكبار من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان . إلا أنه يورد أحياناً أقوالاً وحكايات قد توهم غير ذلك ، منها مثلاً الحكاية الرمزية التالية[٦١] :

« حدثني أبي (والد أبي نعيم) ثنا أحمد ثنا نصر قال : ذكر ابن مجمع عن أبي القاسم الأحول ثنا يعقوب بن عبد الله قال : رأيت سرياً السقطي في النوم فقلت : مافعل الله بك ؟ قال : أباحني النظر إلى وجهه ، فقلت : مافعل بأحمد بن حنبل وأحمد بن نصر ؟ فقال : شغلا بأكل الثمار في الجنة ! » .

وعلى أساس هذا التقسيم الثنائي مضى أبو نعيم في تراجمه فترجم لثلاثة وستين رجلاً دون أية إشارة تفيد في التمييز بينهم . وليسوا سواء فنهم أئمة لامشاحة في إمامتهم مثل الثوري والشافعي ، ومنهم رجال ، من مثل علي بن أبي الحر وعبد العزيز الدوري وداود بن رشيد وعلي بن محمد ، عُبّادٌ نساك صلحاء ولكن ماكل من كان من الصالحين يكون إماماً للمسلمين . وعلى ذلك فسأسعى إلى رسم الحدود بينهم وتصنيفهم على نحوٍ مامسترشداً بمدى الاهتمام الذي أظهره أبو نعيم وهو يترجم لهم ، وبغيره من علماء الرجال .

أئمة في الزهد والحديث والفقه (٦ / ٣١٤ ـ ٣٩٣ و ٧ / ٣ ـ ٣٣٥)

ترجم أبو نعيم للإمام مالك بن أنس في إحدى وأربعين صفحة . وكانت ترجمته إيذاناً بعدد من التراجم الطوال . ثم لسفيان الثوري فكانت ترجمته أطول ترجمة في الحلية امتدت على مائة وثمانين صفحة . ثم لشعبة بن الحجاج فكانت في خمس وستين صفحة . فمسعر بن كدام في إحدى وستين . فسفيان بن عيينة في ثمان وأربعين . ثم لليث بن سعد في تسع صفحات فقط . وعلي والحسن ابني صالح بن حي في ثمان . وهؤلاء جميعاً من الأئمة برأي أبي نعيم نفسه . أما الخمسة الأول فيغلب عليهم إلى تعبدهم وتزهدهم رواية الحديث ، وأما الليث فيغلب عليه الفقه والسخاء ، وأما الأخوان علي والحسن فيغلب عليهما شدة التحنث والتعبد .

طلائع التصوف (٧ / ٣٣٥ ـ ٣٩٥ و ٨ / ٣ ـ ٣٩١)

ثم أخذ في ترجمة رجال يعدون ، برأي أبي عبد الرحمن السلمي وأبي القاسم القشيري ، طلائع التصوف ، وهم : داود بن نصير الطائي وترجم له في ثنتين وثلاثين صفحة ، وإبراهيم بن أدهم في أربع وثمانين ، وشقيق البلخي في ست عشرة ، وحاتم الأصم في إحدى عشرة ، والفضيل بن عياض في ست وخمسين .

وأتبعهم بوهيب بن الورد في ثنتين وعشرين وعبد الله بن المبارك في تسع وعشرين . وابن المبارك من كبار رجال الحديث ، ووهيب كان قريناً له وللفضيل .

ثم ترجم لثلاثة وأربعين رجلاً تراجم موجزة في معظمها ، وقليل منها يتجاوز العشر صفحات منها : ترجمة عبد العزيز بن أبي الورد في

ثلاث عشرة صفحة ومحمد بن صبيح بن السماك الواعظ في أربع عشرة ومحمد الحارثي في ثمان ومحمد بن يوسف الأصبهاني في ثلاث عشرة ويوسف بن أسباط في ست عشرة . ويثير الاهتمام من بين هؤلاء الثلاثة والأربعين أبو إسحاق الفزاري وترجم له في أربع عشرة صفحة ، وأبو بكر بن عياش في عشر ، والمفضل بن فضالة في ثلاث ، وعبد الله بن وهب في ثمان ، ووكيع بن الجراح في إحدى عشرة ويحي بن سعيد القطان في ثنتي عشرة وهم محدثون موثقون ومن رجال تذكرة الذهبي . وكذلك بشر بن الحارث الحافي صاحب أطول ترجمة بينهم وتقع في أربع وعشرين صفحة ، ومعروف الكرخي في نحو تسع صفحات ، وهما من رجال طبقات السلمي ورسالة القشيري .

خمسة من الأئمة الكبار (٩ / ٣ ـ ٢٥٤)

ثم انتقل إلى خمسة من الأئمة الكبار فترجم لهم ، وهم : عبد الرحمن بن مهدي الذي قال عنه ابن المديني[٦٢] : « لو حُلِّفت بين الركن والمقام لحلفت أني لم أر مثل عبد الرحمن » ، وكان يقول : « أعلم الناس بقول الفقهاء السبعة الزهري ثم بعده مالك ثم بعده ابن مهدي » ، وأخذت ترجمته ستين صفحة . والإمام محمد بن إدريس الشافعي وترجم له في ثمان وتسعين صفحة . والإمام أحمد بن حنبل في ثلاث وسبعين . وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي قرين ابن حنبل وابن معين ، وقال عنه محمد بن أسلم وبلغه موته[٦٣] : « ماأعلم أحداً كان أخشى لله من إسحاق .. وكان أعلم الناس ولو كان الثوري والحمادان في الحياة لاحتاجوا إليه » ، وكانت ترجمته في خمس صفحات فقط . ثم محمد بن أسلم الطوسي الذي قال عنه ابن خزيمة[٦٤] : « حدثنا رباني هذه الأمة » ، وأخذت ترجمته ست عشرة صفحة .

متصوفة كبار وصغار (٩ / ٢٥٤ ـ ٣٩٥ و ١٠ / ٣ ـ ٣٨٩)

ثم اندفع فترجم لمائتين وعشرة رجال قدم لهم بهذا القول : « وعدنا إلى المشتهرين بالنسك والمغتنمين لحظوظهم من الأوقات والساعات الذين ليس لغيرهم فيهم مرتع ولا عنهم مقتبس » . فهم إذن ليسوا أئمة منصوبين للمسلمين يُهتدى بهم ويُقتدى . فما القول في من كان منهم يجمع علم الشريعة إلى علم الحقيقة أمثال الجنيد بن محمد الذي قال عنه جعفر بن نصير الخلدي[٦٥] : « لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبي القاسم الجنيد وإلا فأكثرهم كان يكون له علم كثير ولايكون له حال ، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير . والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير : فإذا رأيت حاله رجَّحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجَّحته على حاله » ؟

وقد وضع أبو نعيم المائتين والعشرة على صعيد واحد وهم يتفاوتون في الأقدار والمقامات والشهرة والأثر في التاريخ الروحي للإسلام . فمنهم أقطاب مثل ذي النون وأبي يزيد والمحاسبي والتستري والجنيد ... وأكثرهم لايكادون يعرفون بل إن منهم من لايعرفون ولاتعرف أسماؤهم مثل حيان الأسود وأبي الفضل الهاشمي وإبراهيم المغربي وأبي تراب الرملي والخادم والفرار الخ ... .

وللتمييز بينهم لم أجد وسيلة أفضل من مقابلة أسمائهم بأسماء من ترجم لهم أبو عبد الرحمن السلمي في « طبقات الصوفية » وتثبيت الأسماء المشتركة . وقد وجدت تسعة وخمسين من هذه الأسماء فإذا أضيف إليهم ستة سبق ذكرهم (ابن أدهم وشقيق والأصم وفضيل والحافي والكرخي) يكون المجموع خمسة وستين ، ذلك مع تأخر الحلية عن الطبقات وافتراض

أن تستوعب عدداً أكبر من كبار المتصوفة . هذه ملاحظة أسجلها هنا لأعود إليها فيما بعد لاستكشاف مغزاها .

أما تراجمهم فكانت في أغلبها قصيرة موجزة ، لم يكن فيها من المطولات إلا ترجمة ذي النون في ست وستين صفحة ، وكان فيها من المتوسطات تراجم : أبي سليمان الداراني في ست وعشرين ، وأحمد بن عاصم في سبع عشرة ، وأحمد بن أبي الحواري في ثمان وعشرين ، والحارث المحاسبي في خمس وثلاثين ، وعبد الله بن خُبَيق في إحدى وعشرين ، وسهل التستري في ثلاث وعشرين ، والجنيد بن محمد في ثنتين وثلاثين . والتراجم الباقيات لايكاد يتجاوز القليل منها العشر صفحات ، وأكثرها لايتجاوز الصفحات القليلة ، وكثيراً مالايتجاوز الخبر الواحد والسطرين أو الثلاثة . وهذا مثال وأمثاله كثير : « ومنهم إبراهيم المغربي : حدثنا محمد بن الحسين قال : سمعت محمد بن عبد الله يقول : سمعت إبراهيم بن الوليد يقول : دخلت على إبراهيم المغربي وقد رفسته بغلة فكسرت رجله ، فقال : لولا مصائب الدنيا لقدمنا على الله مفاليس » .

وهذه هي الأسماء التسعة والخمسون ، وهؤلاء ليسوا بالتأكيد من صغار الصوفية والزهاد والمغمورين بل هم شيوخ كبار لهم مقاماتهم العليا بين المتصوفة وإن منهم من كان له أثر كبير على الحياة الروحية في الإسلام .

أبو سليمان الداراني ـ أحمد بن عاصم الأنطاكي ـ منصور بن عمار ـ ذو النون المصري ـ أحمد بن أبي الحواري ـ أبو يزيد البسطامي ـ أحمد بن خضرويه ـ أبو تراب النخشبي ـ يحيى بن معاذ ـ الحارث بن أسد المحاسبي ـ السري السقطي ـ عبد الله بن خبيق ـ سهل بن عبد الله

التستري ـ أبو حفص عمرو النيسابوري ـ حمدون بن أحمد القصار ـ محمد بن علي الحكيم الترمذي ـ أبو بكر محمد بن عمر الوراق ـ شاه بن شجاع الكرماني ـ يوسف بن الحسين الرازي ـ أبو عثمان الحيري ـ أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ـ أبو الحسين أحمد النوري ـ الجنيد بن محمد ـ عمرو بن عثمان المكي ـ رويم بن أحمد ـ أحمد بن محمد بن عطاء الأدمي ـ خير النساج ـ سمنون بن حمزة المحب ـ أبو عبد الله بن الجلاء ـ محمد بن أبي الورد ـ طاهر المقدسي ـ بنان بن محمد البغدادي ـ إبراهيم الخواص ـ أبو عبد الله المغربي ـ أبو الحسن المزين الصغير ـ أبو عمرو الدمشقي ـ أبو محمد الجريري ـ أبو علي الحسن بن علي الجوزجاني ـ أبو عبد الله السجزي ـ أبو بكر بن طاهر الأبهري ـ ممشاذ الدينوري ـ أبو إسحاق إبراهيم بن داود القصار ـ أبو عبد الله بن بكر المرتعش ـ أبو يعقوب إسحاق بن محمد النهرجوري ـ أبو علي أحمد الروذباري ـ أبو بكر محمد بن علي الكتاني ـ أبو بكر الشبلي ـ أبو سعيد أحمد بن الأعرابي ـ أبو عمرو محمد بن إبراهيم الزجاجي ـ محمد بن عليان ـ أحمد بن أبي سعدان ـ أبو الخير الأقطع ـ أبو عبد بن سالم البصري ـ أبو الحسن علي بن أحمد البوشبخي ـ جعفر بن محمد بن نصير الخلدي ـ أبو بكر الطمستاني ـ أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري ـ بندار بن الحسين الشيرازي ـ أبو عبد الله محمد بن خفيف .

وختم أبو نعيم أخيراً الحلية بوقفة على نساك أصبهان ومتصوفتها (١٠ / ٣٨٩ ـ ٤٠٩) عرضت لها من قبل في ترجمته .

وبعد ، هذا عرض لمحتويات الحلية سعيت فيه أن أسير مع أبي نعيم خطوة خطوة في طريق الحلية الطويل ، عساني أكون الدليل المدقق الأمين لمن يريد أن يتعرف على الحلية تعرفاً إجمالياً قبل التورط في السير فيها .

للبحث صلة

المراجع والتعليقات

(٤٦) الفهرست ٢٣٥ ـ ٢٣٨ (ط . طهران) ـ بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) ٤ / ٥٣ ـ ٨٨ ـ سزكين ، تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) ٢ / ٤١٩ ـ ٥٠٦ .

(٤٧) اقرأ حول « حديث بئر معونة » سيرة ابن هشام ٣ / ١٨٤ ـ ١٩١

ومغازي الواقدي ١ / ٣٤٦ ـ ٣٥٢ ، وجاء فيه

« فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بئر معونة .. ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الركعة من الصبح ، في صبح تلك الليلة التي جاءه الخبر ، فلما قال : سمع الله لمن حمده ، قال : اللهم اشدد وط أتك على مضر ، اللهم عليك ببني لحيان وزعب ورِعل وذكوان وعصية فإنهم عصوا الله ورسوله ، اللهم عليك ببني لحيان وعضل والقارة ، اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، غِفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله . ثم سجد .. ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى ماوجد على قتلى بئر معونة . وكان أنس بن مالك يقول : أنزل الله فيهم قرآناً قرأناه حتى نُسخ : « بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه » .

وفي تاريخ الطبري ٢ / ٥٤٥ ـ ٥٥٠ نحو ذلك

وجاء في الحلية ١ / ١٢٣ :

« حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن مخلد ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا روح بن عبادة ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك : أن رعلاً وذكوان وعصية أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاستمدوه على قومهم فأمدهم بسبعين رجلاً من الأنصار كانوا يدعون القراء يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل . فلما بلغوا بئر معونة غدروا بهم فقتلوهم . فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت شهراً يدعو الله على رعل وذكوان وعصية . فقرأنا بها قرآناً ثم إن ذلك رفع ونسي : « بلغوا عنا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا » .

(٤٨) سورة الكهف ، الآية ٢٨ .

(٤٩) طبقات الصوفية ، المقدمة ٣٤ .

(٥٠) سيرة ابن هشام ٤ / ١٩٤ ـ ١٩٧ ـ تاريخ الطبري (ط . دار المعارف) ٣ / ٩٧ ـ ١٠٠ .

(٥١) الإصابة ٤ / ٤٥٩ .

(٥٢) جاء في مغازي الواقدي بعد ذكر كتابة الكتاب في الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش وكان المسلمون في غضب : « .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : قوموا فانحروا واحلقوا ، فلم يجبه منهم رجل إلى ذلك . فقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك يأمرهم ، فلم يفعل واحد منهم ذلك . فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على أم سلمة زوجته مغضباً شديد الغضب ، وكانت معه في سفره ذلك ، فاضطجع . فقالت : ما لك يارسول الله ، مراراً لاتجيبني ؟ .. ثم قال : عجباً يأم سلمة ، إني قلت للناس انحروا واحلقوا وحلوا مراراً فلم يجبني أحد من الناس وهم يسمعون كلامي وينظرون في وجهي . قالت : فقلت : يارسول الله ، انطلق أنت إلى هديك فانحره فإنهم سيقتدون بك . فاضطبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه ثم خرج وأخذ الحربة يَنهم هديه☆ . قالت أم سلمة : فكأني انظر إليه يهوي بالحربة إلى البَدَنة رافعاً صوته : بسم الله والله أكبر . قالت : فما هذا إلا أن رأوه نحر ، فتواثبوا إلى الهدي فازدحموا عليه حتى خشيت أن يَغُم بعضهم بعضاً » المغازي ٢ / ٦١٣ .

(٥٣) جاء في جامع الترمذي : « حدثنا قتيبة بن سعيد نا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن يحي بن عبيد عن عطاء عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ في بيت أم سلمة . فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت أم سلمة : وأنا معهم يارسول الله . قال أنت على مكانك وأنت إلى خير . وفي الباب عن أم سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك . هذا حديث غريب من هذا الوجه ـ تحفة الأحوذي ٤ / ٣٤٣ .

(٥٤) انظر تفسير الآية حسب السياق الذي وردت فيه في تفسير القرطبي ١٤ / ١٨٢ ـ ١٨٤ .

(٥٥) سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٦١ .

(٥٦) صفة الصفوة ٢ / ١٣٦.

(٥٧) صفة الصفوة ٢ / ١٠٣ .

☆ اضطبع : أخذ ثوبه فجعله وسطه تحت إبطه الأيمن وألقى طرفيه على كتفه الأيسر من جهتي الصدر ـ نهم الرجل ناقته إذا زجرها .

(٥٨) روى أبو نعيم في الحلية ٤ / ٢٨٩ ـ ٢٩٥ عدة روايات عن حوار سعيد بن جبير مع الحجاج ثم قتله ، نقل عنه أطول هذه الروايات الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٢٨ ـ ٣٣٢ وعقب عليها بقوله : « هذه حكاية منكرة غير صحيحة ، رواها أبو نعيم في الحلية » . ولكنهما اتفقا على روايات أخرى ، منها :

« حدثنا أبو حامد بن جبلة ثنا محمد بن إسحاق ثنا محمد بن أحمد بن خلف ثنا سفيان عن سالم بن أبي حفصة قال : لما أتي الحجاج بسعيد بن جبير قال : أنا سعيد بن جبير ، قال : أنت شقي بن كسير ، لأقتلنك ، قال : فأنا إذن كما سمتني أمي . ثم قال : دعوني أصلِّ ركعتين . قال : وجهوه إلى قبلة النصارى . قال : ﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾ . وقال : إني أستعيذ منك بما عاذت به مريم . قال : وما عاذت به ؟ قال : قالت : ﴿ إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ . رواها ابن عيينة عن سالم . ثم قال ابن عيينة : لم يقتل بعد سعيد إلا رجلاً واحداً » .

ومنها :

« حدثنا أبو حامد ثنا محمد بن إسحاق ثنا هارون بن عبد الله ثنا محمد بن سلمة بن هشام بن إسماعيل أبو هشام المخزومي ثنا مالك عن يحي بن سعيد عن كاتب للحجاج يقال له يعلى ـ قال مالك : وهو أخ لأبي سلمة الذي كان على بيت المال ـ قال : كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذٍ غلام حديث السن يستخفني ويستحسن كتابتي فأدخل عليه بغير إذن . فدخلت عليه يوماً بعدما قتل سعيد بن جبير ، وهو في قبة لها أربعة أبواب ، فدخلت مما يلي ظهره ، فسمعته يقول : مالي ولسعيد بن جبير ؟ ! فخرجت رويداً وعلمت أنه إن علم بي قتلني . فلم ينشب الحجاج بعد ذلك إلا يسيرا » .

وانظر في مقتل سعيد بن جبير :

تاريخ الطبري ٦ / ٤٨٧ ـ ٤٩١ ، الكامل لابن الأثير ٤ / ٥٧٩ ـ ٥٨٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٩ / ٩٦ ـ ٩٧ .

(٥٩) سير أعلام النبلاء ٥ / ٤٣٤ .

(٦٠) سورة الكهف الآيات ٦٠ ـ ٨٢ .

(٦١) الحلية ٩ / ١٩١ .

(٦٢) تذكرة الحفاظ ١ / ٣٣١ .

(٦٣) تذكرة الحفاظ ٢ / ٤٣٤ .

(٦٤) تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٣ .

(٦٥) تاريخ بغداد ٧ / ٢٤٤ .

التبيين

في فوائت الأدباء العصريين

الأستاذ : صبحي البصام

هـذه فوائت أدبـاء عصريين . وقـد تعقبهـا فـوائت أُخَر في مقـالات أُخر . فإن أعقبتها فلن يكون لهـا ترقيم يـدلّ على تسلسل ، لأنهـا ليست مهيّأة ، وإنما تهيّـأ عنـد حصول موادهـا ، واسعـاف الحـال بكتبهـا . وأقرّ بهذا ، وأنا أتعقب على أدباء أموراً ، أنهم محسنون اليّ وإلى نـاس كثير بما قـدّموه من علم . ومـا أفعلـه إنمـا هو لتزويق مـاشـادوه ، أو لتعـديل مـا أقـامـوه ، وذلـك منهم في كتب ألفـوهـا ، أو مخطـوطـات حققـوهـا ، أو مقالات نمّقوها . ولاشك أنّ عرض أصحاب الفوائت مـالـديهم من علم هو أعلى من فتشي عمـا فيـه من أغـلاط ، وأين سهـولـة المتـح من صعـوبـة الاستنباط . وهذا بدء تبيين الفوائت :

كتاب علم الفلك في القرون الوسطى

١ ـ دخول الفاء على خبر المبتدأ :

قال المستشرق السنيور كرلو نلّينو في كتابـه « علم الفلـك في القرون الوسطى ص ٧١ » المطبوع برومـا سنـة ١٩١١ إنّ ابن أبي أُصيبعـة انحرف في كتـابـه « عيـون الأنبـاء ... » عن قـواعـد الصرف والنحـو . وقـال : « أدخل الفاء فيما لايجوز دخوله » كقوله : « وأنت فقد عملت غير ماقلت لك » وكقوله : « وجميع ماتحتاج إليه من الكتب وغيرهـا فهو يـأتيـك » وكقوله : « وشعره فهو الذي عجز عنه كلّ شاعر » . قلت : عبـارات ابن

أبي أُصيبعة هذه ، وهي ثلاث ، دخلت الفاء في كل منها على خبر المبتدأ . وهذا من الكلام الفصيح العالي الذي لايُعاب تأليفه ، ولا يغمص من قدره . وإنما ينكره المنكر لاعتياده لغة العصر الحديث ، وهي قد خلت من هذه الفاء أو كادت . والفاء فيه مشبهة الجزاء وليست به . وكأنها اجتلبت لتدل على وجوب وقوع الخبر . ومنه قوله تعالى ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [سورة النور ، آية ٢] ، ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾ [سورة المائدة / ٣٨] . وقيل في الزاني والزانية إنّ التقدير فيهما : الذي زنى والتي زنت . وفي السارق والسارقة : الذي سرق والتي سرقت . فاجتلبت الفاء من أجل أنّ الاسم الموصول يضمّن معنى الشرط . كأنّ الأصل : من زنى فاجلدوه ، ومن سرق فاقطعوا يده . ومن دخول الفاء على خبر المبتدأ قول بعضهم :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلو كما هيا[1]

وقول عدي بن زيد :

أرواح مودّع أم بكورُ أنت فانظر لأي حال تصيرُ[2]

وقول صعصعة بن صُوحان (آخر كتاب مجمع الأمثال) : « اذا لقيت المؤمن فخالصه ، واذا لقيت الكافر فخالفه ، ودينك فلا تكلمنّه » . وقول

---

(1) [البيت من شواهد سيبويه ، وانظره في كتاب شرح أبيات سيبويه لأبي محمد السيرافي ١ : ٤١٣ ـ ٤١٤ ، وفي كتابي عبد القادر البغدادي : خزانة الأدب ١ : ٢١٨ ـ ٢١٩ وشرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٣٧ ـ ٣٩ / المجلة] .

(2) [البيت من شواهد سيبويه وانظره في شرح أبيات سيبويه لأبي محمد السيرافي ١ : ٤١٤ ـ ٤١٥ وفي شرح أبيات مغني اللبيب ٤ : ٣٩ ـ ٤١ / المجلة] .

ابن عباس لمعاوية « وهذا المال فليس لك فيه الاّ مـالرجل من المسلمين » (الآمل والمأمول ص ٢٩) . وقول الحجّاج : « كلّ مـاقـالوا فقـد صـدقوا فيه » (الوزراء والكتاب ص ٤٢) . وقول الراغب الإصبهـاني : وقولـه : « ونفس وماسواها فإشارة الى القوى التي جعلهـا مقوّمـة للنفس » (معجم مفردات ألفـاظ القرآن ص ٢٥٧) . والمُثُـل في ذلـك كثيرة ، أكتفي بمـا قـدّمت منهـا . على أننـا لو قـدّرنـا آسماً مـوصـولاً مضمّنـاً معنى الشرط في الأمثلة التي تلت الآيتين الكريمتين لكان في ذلك تكلّف . وأجاز الأخفش دخول الفاء على خبر المبتدأ باطّراد . وقد يكون الأولى أن تقيّد إجـازتـه بالدلالة على وجوب وقوع الخبر أو القصد إلى تقويته . ومما يـدل على قوّة هذه الفاء أن الحاجة لاتحوج إليها مع جواب الشرط حين يكون مضارعـاً مجزومـاً ، في حين يُحتـاج إليهـا في مـواضـع لتقـويـة الربـط بين الشرط وجوابه . وقد وجدت في بعض الشواهد مايدل على جواز تقـدير « أمّـا » للفاء[١] .

كتاب نخب الذخائر في أحوال الجواهر

٢ ـ تعدية « اعتبر » إلى مفعولين :

قال العلامة الأب أنستاس الكرملي في تحقيقه « كتاب نخب الذخائر في أحـوال الجـواهر »[3] : « فـإنّ إجبـار النـاس على إفراغ كلّ كلمـة على فعلول بوزن هذا الوزن وصبهـا في قـالب العصفور[٢] يُعتبران تعـدّيـاً على

(١) من المراجع التي رجعت إليها في هذه الفاء عدا ماذكرتـه : الكتـاب ، والمقتضب ، ومغني اللبيب ، والكشاف .

(٢) قلتُ : لو كان قال « عصفور » بلا ألف ولام لكان أجود .

(3) [كتاب نخب الـذخـائر في أحوال الجواهر لمحمـد بن إبراهيم بن سـاعـد الانصـاري السنجاري المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩ هـ) ، حققه الأب انستـاس مـاري الكرملي وطبع في القاهرة سنة ١٩٣٩ م / المجلة] .

حقوق المتكلمين » (ص ٨٠) . فعدّى « يعتبر » إلى مفعولين ، والوجه أن يُقال « يعتدّان » أو يُعدّان » بالدال فيهما . وممن استعمل « اعتدّ » البعيث الحنفي ، قال (المؤتلف والمختلف ص / ٥٦) :

ويعتده قوم كثير تجارة ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وإبراهيم بن المهدي (أشعار أولاد الخلفاء العباسيين ص / ٤٤) :

أراه في فعله عدوّاً وكنت أعتدّه صديقاً

وابن جني : « ولم يعتدّوا الساكن بينهما حاجزاً » (سر صناعة الاعراب ج ١ ص ١٣١) . وابن التلميذ (شعراء النصرانية ٢ / ٣٣٢) :

قد كنتُ اعتدّ حيناً لقياك أنفس ربحِ

وابن الطرّاح (فوات الوفيات ١ / ٢٦٧) :

ماغبت عنك لهجرة تعتدّها ذنباً عليّ ولا لضعف وفائي

وشهاب الدين محمود (أيضاً الفوات ٢ / ٤٨) :

ولم لا وقد صاحبته جلّ مدتي أراه أباً برّاً ويعتدني نجلا

وكنت بحثت في ذلك في مقالة لي في هذه المجلة (مج ٥٥ ج ٤ ص : ٨٦٤ ـ ٨٦٦) ثم رأيت أن أُضيف هاهنا مافيه مزيد بيان . إنّ لتعدية اعتبر إلى مفعولين في عصرنا هذا سببين . أحدهما تصحيف النسّاخ إيّاها من « اعتد » كما في كتاب « بغداد مدينة السلام » (ص ٨٤) للهمداني بتحقيق الدكتور أحمد صالح العلي ، وقد مرّ النص في المقالة المذكورة ، وكما في « أخبار الأذكياء » (ص ٨٩) لابن الجوزي بتحقيق الأستاذ محمد مرسي الخولي : « ... خوفاً أن أقول لها مثل ماقالت فتعتبر بذلك طالقاً

مني » . وهو نص منقول من بعض كتب الطبري ، ولم أجد الطبري استعمل « تعتبر » بهذا المعنى في كتبه . والآخر ورودها قديماً في بعض المواضع بما يوهم التعدية ، كقول الفرّاء في البرهان في علوم القرآن (٤ / ٢٣) : « فلهذا أعاد الضمير باعتبار المميّز جمعاً وإفراداً » . وجمعاً حال وليس مفعولاً ثانياً ، أي بالنظر في المميّز في حال جمعه وإفراده . وكقول الزركشي في الكتاب نفسه (١ / ٣٩٢) : « يعتبر من مبدئه الظاهر شيئاً بعد شيء » ، وشيئاً حال من « الظاهر » ، أي : الظاهر متدرّجاً . وكقوله فيه (٤ / ٦٦) : « وهو أن القرآن كلام أحكم الحكماء فيجب أن يكون على مقتضى الحكمة ، فوجب اعتباره كذلك » ، و « كذلك » حال ، أي فوجب النظر فيه على ذلك النحو . وكقول الشاعر (المستطرف ١ / ١٩٧) :

اقرأ كتابك واعتبره قريبا   فكفى بنفسك لي عليك رقيبا

و « قريباً » ظرف ، وكأني بقائل البيت أعاد رسالة إلى مُرسلها ليقرأها وليفكّر فيها « قريباً » ، أي وهي في يده . وأظنّ أني كنت متوهّماً في مقالتي المذكورة (مج ٥٥ ج ٤ ص ٨٦٥) اذ رأيت أنّ « اعتبِرْهُ » في البيت تحريف « اعتدِدْهُ » . فهذا الاستعمال الموهم بتعدية « اعتبر » إلى مفعولين ، وتصحيف النَسّاخ ، قد جعلا الفعل يتدرّج في معناه تدرّجاً طبيعياً على مرور الأيام إلى معنى « اعتد » . حتى بات أكثر أهل الأدب يستعملونه دون اعتدّ ، من غير أن يعلموا أنّ اعتدّ هو الوجه . ومما زاد استعماله هذا نقل التراجمة « consider » الانكليزية أو ما بمعناها في لغات أُخر إلى « اعتبر » دون « اعتدّ » . ويحسن أن تجاز هذه التعدية ، لتدرّج معناها بأسلوب طبيعي ، ولغلبة استعمالها في عصرنا هذا .

كتاب دراسات في فلسفة النحو والصرف

٣ ـ تعدية « قسَمَ » :

جرت مراسلات بين أستاذي العلامة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله والشيخ رءوف جمال الدين مضمونها محاورات في اللغة والنحو . وكان الدكتور مصطفى جواد في أثناء ذلك يخطّئ الشيخ رءوفاً في بعض الألفاظ . ثم نشر الشيخ رءوف المحاورات على نحو من الأنحاء ، مع تعليقات يدفع بها عن نفسه الخطأ ، وذلك في كتاب سمّاه « مناقشات مع الدكتور مصطفى جواد☆ » . فألف الدكتور مصطفى جواد كتاباً سمّاه « دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة وردٌّ على رءوف جمال الدين » (بغداد ١٩٦٧) ، ردّ فيه عليه ماخالفه فيه ، واستخرج من أقاويله ما يراه خطأ جديداً . من ذلك أنه كان خطّأ الشيخ رءوفاً في قوله : « الفعل ينقسم إلى قسمين » ، لأن قسم عنده يتعدى بعلى لاإلى . فاحتج الشيخ رءوف باستعمال علماء النحو هذه التعدية في كتبهم ، ولكنه لم يذكر شاهداً لاستعمالهم إيّاها . وأصرّ الدكتور مصطفى جواد على التخطئة في كتابه المذكور (ص ١٠٣) ، واستشهد بقول الجاحظ في كتابه الحيوان : « وبعض الناس يقسم الجنّ على قسمين » (٧ / ١٧٧) ، وبقول لابن حزم الأندلسي في جمهرة النسب ، وبقول لأديب من أدباء الخريدة (القسم المصري) . والصحيح أنّ « إلى » تحل محل « على » في مواضع عدّة ، منها « قسم على » ، فيقال « قسم إلى » . وربّما عدّي هذا الفعل في بعض المواضع بـ « في » أو « الباء » ، وربما استعمل له « بين » ، فأما « قسم إلى » فكقول الثعالبي في خطبة كتابه يتيمة الدهر :

☆ اطلعت على هذا الكتاب سنة ١٩٦٨ وهو بعيد مني الآن .

« ثم إنّ هـذا الكتـاب ينقسم إلى أربعـة أقسـام » (١ / ٥) . وكقـول الباقلاني في اعجاز القرآن : « فمن ذلـك أنهم قسموهـا إلى حروف مهموسـة وأخرى مجهـورة » (ص ٦٦) ، وكقـول البيضـاوي في أنـوار التنزيـل في تفسيره سورة الفاتحة : « انقسم انقسام الصفة عنده إلى مـاهو نفس المسمّى والى مـاهو غيره » (ص ٤) ، وكقول بعضهم في رسـائل إخوان الصفـاء : « وحركة العين ينقسم عـددهـا إلى ثلاثـة أقسـام » (٣ / ١٣٦) ، وكقول ابن الخشاب في كتابـه المرتجل : « انقسمت الكلم إلى ثلاثـة أقسـام » (ص ٥) ، وكقول ابن باجـة في رسـائلـه : « ومنهـا صنف آخر مثل النسب ، وتنقسم إلى جيـدة وخبيثـة » (ص ٦١) ، وكقـول الأبشيهي في المستطرف : « وهي مقسومة إلى مـايـذوب وإلى مـالا يـذوب » (٢ / ١٤٣) . ومنـه مافي نفح الطيب ، وهو مما نقلـه المؤلف من كتـاب المغرب لابن سعيـد : « وقسمه إلى ثلاثة أقسام » (١ / ٢٢٥) . فتعدّي قسم بإلى فـاشٍ بين أهل العلم . وعُدّيت أفعال أُخرى بعلى وإلى ، منها : ردّ على وردّ إلى ، ودخل على ودخل إلى ، ووفد على ووفد إلى ، وقـاس على وقـاس إلى ، ويُخطئ من يمنع من تعدية قاس بإلى . ولي شواهد لذلك جميعاً . أمـا تعـدّي قسم بفي فكقول عروة بن الورد (سمط اللآلىء ١ / ٨٦) :

أقسّم جسمي في جسـوم كثيرةٍ   وأحسـو قراح المـاء والمـاء بـاردُ

وأما تعديته بالباء فكقول ابن النحاس في كتـابـه شرح أبيـات سيبويـه : « فكانوا إذا حرثوا حرثـاً خطّوا في وسطـه خطـاً فقسموه بـاثنين فقـالوا : مـادون هـذا الخـط لآلهتهم ، ومـا ذرأه لله » (ص ٣٣١) . وكقـول ابن خلدون في مقدّمته : « وربما انقسمت الدولـة عنـد ذلـك بقسمين » . وأمـا استعمال « بين » فكقول بعضهم : « لقد طعنته طعنة لو قسمت بين الناس

لماتوا » (تأريخ الطبري ٦ / ٢٣٢) . وكقول أبي العيناء للمتوكل وقد سأله عن بعضهم : « نعم العبد لله ولك ، مقسّم بين طاعته وخدمتك » (جمع الجواهر ص ٢٨٣) . وقد يجيء الفعل دون حرف الجرّ ودون « بين » كما في رسائل إخوان الصفاء : « لما كان الفلك مقسوماً اثني عشر برجاً وُجد في بنية الجسد اثنا عشر ثقباً مماثلاً » (٢ / ٤٦٣) . وكما في كتاب المرتجل : « وأما المعرفة فتنقسم قسمين » (ص ١٩٢) . وأكثر تعدية قَسَم بعلى وإلى . على أني لم أجد نصّاً لـ « قسم إلى » بحيث يكون القِسم لعاقل أو غيره ليأخذه لنفسه ، في حين وجدت النصوص مستفيضة لـ « قسم على » في ذلك . فيقال : قسمتُ البُرّ على الفقراء ، ولا يقال قسمت البرّ إلى الفقراء . ويُقال قسمت الشعير على الحمير ولا يقال قسمت الشعير إلى الحمير . أما احتجاج الشيخ رءوف بأنّ علماء النحو استعملوا « قسم إلى » في كتبهم فما بالى به الدكتور مصطفى جواد بالة . واحتج بأن النحاة لم ينصوا على أن « إلى » تجيء بمعنى « على » فكيف جوّزوا لأنفسهم أن يقولوا « قسم إلى » ؟ وذلك منه لايعدل ميلاً ، ولا يُقيم أَوَداً[٣] .

---

(٣) وجدت بعض المدرّسين ببغداد يخطّئون طلبتهم في تعديتهم « قسم » بإلى متابعة منهم للدكتور مصطفى جواد في رأيه . وممن تابعه في ذلك الدكتور إبراهيم السامرائي ، فإنه خطّأ الدكتور سامياً الدّهان في هذه المجلة (مج ٤٦ / ج ٤ ص ٦٩٤) في تحقيقه كتاب التحف والهدايا للخالديين لقوله في المقدّمة : « وليست تنقسم إلى شعر حيناً ونثر حيناً آخر » ، فقال فيه « الذي أعرفه وجرى عليه المتقدمون في أساليبهم أنّ الفعل انقسم يتعدى بالحرف على ، فالصواب : وليست تنقسم على شعر حيناً » . وعسى أن يكون فيما ذكرته التبيين الكافي ، والبلسم الشافي .

٤ـ معنى « بسيط » :

وقال الشيخ رءوف في كتابه المذكور « تقدّم نموذجاً بسيطاً للقارئ » فخطّأه الدكتور مصطفى جواد في كتابه المذكور قائلاً : إنما البسيط هو « الواسع والفسيح » (ص ١٢٢) . واستشهد بأسماء كتب نقلها من كشف الظنون ، قال : « وصنّف السيد ركن الدين ثلاثة شروح على الكافية ، كبير وهو المسمى البسيط ، ومتوسط وهو المسمّى بالوافية ، وهو المتداول ، وصغير » . قلتُ : قولهم (نموذج بسيط) ـ ويقال أيضاً أُنموذج بالألف وهو أجود ـ من التعابير العصرية . فإن استعمله لغوي وله في استعماله وجه علمي كان ذلك منه مقبولاً ، وان استعمله متابعة لغيره دون أن يكون له قدرة على تصحيحه فقد أوجد على نفسه السبيل . ولتصحيحه أقول : إنّ له أصلاً قديماً . وإن استعماله مبني على تدرّج لغويّ طبيعي . ولاشك أن الأصل في معنى البسيط هو الواسع الفسيح ، على أنه وُلّد منه معنى ضد المركب لم تذكره معاجم اللغة[٤] ، ومنه ماجاء في كتاب الفرج بعد الشدّة (٣ / ١١١) :

قال حمار الحكيم توما ... لو أنصفوني لكنتُ أركبْ
لأنني جاهلٌ بسيط ... وصاحبي جاهل مركّب

فتدرّج معنى البسيط إلى معنى الشيء المبسوط الذي يكون طبقة واحدة ، بخلاف المطوي الذي يكون مركّباً من طبقتين أو أكثر ـ ومنه ماجاء في مغني اللبيب في « لكنّ » : « والبصريون على أنها بسيطة . وقال الفراء : أصلها : لكنْ إنّ » (١ / ٢٩١) . أي أنّ الفرّاء قال بتركيبها لجعله إيّاها

---

(٤) يُقال معاجم ومعجمات ، وكلاهما استعمل قديماً ، ومن خطّأ « معاجم » فقد أخطأ .

من جزأين . ومنه ماجاء في الإمتاع والمؤانسة : « وكما أنّ بين البسيط والبسيط فرقاً يكاد البسيط يكون به مركّباً ، كذلك بين المركب والمركب فرق يكاد المركب يكون به بسيطاً » (٣ / ١٤٢) . ومنه قولهم قديماً : العدد البسيط والعدد المركب . وقولهم في هذا العصر « نموذج بسيط » كأنه مما يُبسط ، لأن معناه يكون واضح الصورة عند بسطه ، فاستعير للنموذج الواضح الذي معناه ليس بمتراكب فتغمض صورته ، كما تغمض صورة مايُطوى بعد بسطه . وأظنّ أن أقوى ماأعان على هذه الاستعارة العبارة الانكليزية « plain example » إذ آثر التراجمة أن ينقلوها إلى « نموذج بسيط » .

٥ ـ الإشارة بـ « هكذا » :

وقال الشيخ رءوف في كتابه المذكور : « لفظ قاف يدلّ على هذا الشكل الذي صورته هكذا : ق » . فخطّأه الدكتور مصطفى جواد في كتابه في استعماله « هكذا » (ص ١٢٤) وقال : « لأن الإشارة بهكذا إلى شيء مكتوب أو ذي جسم أو معنويّ تستوجب تقدّمه عليه لاتأخّره » . واستشهد لقوله ببضعة نصوص استعملت فيها « هكذا » ، كقول السمعاني في أنسابه في بعضهم : « هذه النسبة إلى خفاجة ، هكذا ذكر لي أبو زيد الخفاجي » ، ثم قال « ولعلّ الصواب أن يقول (كهذا) بتأخير (ها) التنبيه عن حرف الجرّ الكاف . وأحسن من (ذا) أن يقول : الذي هذه صورته » . قلت : ماذكره الدكتور مصطفى جواد في تخطئته هذه لم يقل به أحد من العلماء . وممن بحث في كذا وهكذا ابن هشام في مغني اللبيب (١ / ١٨٧) ، ومختصر ماقاله أن الكاف في كذا للتشبيه ، وذا للإشارة ، وتدخل عليها (ها) التنبيه . ولم يخصها بوجه من وجوه الاستعمال عند الإشارة بها . فإن كان ماقال به الدكتور مصطفى جواد

استدلالاً من استقرائه نصوصاً في استعمالها فاستدلاله يُنقض بنصوص أُخَر جاءت على نقيض نصوصه . وذلك كقول معاوية بن مروان بن الحكم لطحان في حمار له : « أفرأيت إنْ قام ثم قال برأسه هكذا وهكذا ـ وجعل يحرّك رأسه يمنة ويسرة ـ مايُدريك أنت أنه قائم ؟ » (البيان والتبيين ٢ / ٢٦١) . وقال برأسه : أشار به[4] . وجاء في جارية لسليمان بن عبد الملك : « فجذبت نفسها من أيديهم ثم قالت :

من مات عشقاً فليت هكذا   لاخير في عشق بلا موتِ

فزجّت نفسها في الحفيرة فماتت » (ثمرات الأوراق ص ١٠٤) . وقال الجاحظ : « والإراغة أن يذهب الصيد هكذا وهكذا » (الحيوان ٦ / ١٠٩) . وقال بعضهم للجاحظ (أخبار الأذكياء ص ١٤٦) :

كأنك كندر في ذنْبِ كبشٍ   يُدَلدَلُ هكذا والكبش يمشي

وفي « جامع البيان .. » للطبري عن عمّار الدهني : « ... فأوحى الله إليه أن قُل بعصاك هكذا ... قال موسى بعصاه على الحيطان هكذا فصار فيها كُوى ... » (٢ / ٥٤) . وفي رسائل إخوان الصفاء : « فإذا ركّبت من هذه الثلاثة الأصول اثنين اثنين كان منها تسع نغمات ثنائية وهي هكذا : نقرة نقرتان ، مثل قولك تتن تتن » (١ / ١٩٨) . وقال الفيروزابادي في القاموس (مادة : ملع) : « والمَيْلعُ : الطويل والمتحرك هكذا وهكذا » . وقال الخفاجي في شرحه على درة الغواص (الجوائب ص ١٧٦) : « وقد أنشده الميداني في أمثاله هكذا :

---

(4) [وفي وصية عبد الملك بن مروان لابنه الوليد : « فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا ـ ديوان المعاني ١ : ١٥٢ ، ولرسول الله ﷺ يخاطب عمارا : « انما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا » ـ صحيح مسلم بشرح النووي ٤ : ٦١ / المجلة] .

فيــا عجبــا لمن ربيتُ طفــلاً ألقمـــه بـــأطراف البنـــان

ونقل صاحب مجاني الأدب (١ / ٨٥) من ألف ليلة وليلة : « فمشيت إليه قليلاً قليلاً وقطعت الخرج بهذه السكين وأخذت الكيس هكذا : ومدّ يده وأخذ الكيس[٥] » . فكما يجوز أن تتحرك اليد أو الرأس أو غيرهما إلى أي جهة وعلى أي صورة ، يجوز أن ينطق بـ « هكذا » مع تلك الحركة . وتدلّ « هكذا » على مشار إليه قد كان أو هو كائن في أثناء الكلام ، أو تالٍ له .

كتاب مشكلات اللغة العربية

٦ ـ قول في الخُفّ :

للأستاذ محمود تيمور في كتابه « مشكلات اللغة العربية » المطبوع بالقاهرة سنة ١٩٥٦ مقترحات في إحلال كلمات عربية محل كلمات أجنبيّة أو عاميّة . وهي مقترحات مفيدة تدلّ على وفور علمه وسعة اطلاعه . على أني أخالفه في اقتراحه أن يُنبذ لفظ الشبشب ويُستعاض منه بالخف (ص ١١٨) . والشبشب لفظة عامية مصرية لما يشبه النعل ، بل هو نعل بلا قبال ، وفي مقدّمه جلد كالكيس يضم الأصابع . كذلك هي صفته في ذهني ، وقد رأيته قبل زمن بعيد . وكأني بالشبشب سُمّي كذلك بالصوت الذي يُحدثه باحتكاكه بالأرض عند المشي . وهو مما يلبسه المصريون في بيوتهم . ومخالفتي رأي الأستاذ لسببين :

أحدهما : أن العامة استعملت الخُفّ لما يلبس في البيوت ، وهو المصنوع من نسيج أو جلد . ويغلب أن يكون مبطناً بالفرو أو الصوف

(٥) وجدت لغة القصة التي منها هذا النصّ عالية وذاكرتي الضعيفة تنبئني أنها منقولة من بعض مانُشر للتنوخي .

أو نحوهما . ويضم معظم القدم ويمسكها . وينفرش عند لبسه فيعرض ويصير له شبَه يسير بخُفّ البعير . ويجوز أن يكون سمّي كذلك لذلك ، أو لكونه يجعل السير به خفيفاً أكثر من النعل ، وهي تسمية صائبة في الحالين[٦] . ولفظة الخف العامية هذه استعملت في الأدب الحديث . والشبشب لاتصح فيه هذه التسمية لما ذكرتُ من صفته . ولو قيل له « خُفّ » لالتبس معناه بمعنى الخف البيتي المذكور .

والسبب الآخر : أن التوسع في استعمال الخف من شأنه أن يخرجنا من معناه الذي عُرف قديماً ، وكان يستعمل بخارج البيوت . والمشهور منه قديماً ماكان يضم القدم والساق . ومنه ماكان واسعاً حول الساق ، وربّما حفظ فيه شيء لسعته ، كرقاعٍ (الوزراء والكتاب ص ١٨٨) ، أو دفتر (مروج الذهب ٤ / ١٠٧) أو كتاب (أمالي السيد المرتضى ١ / ١٣٨) أو دواة (جمع الجواهر ص ٣٠٣) ونحو ذلك . وأظنّ أنّ تلك الأشياء كانت تحفظ في كيس مخاط بالخف . وكان الخفّ لاتساعه وطوله رُبّما شُبّه بالقلنسوة (البيان والتبيين ٤ / ٨) . ويبدو أن اتساعه هذا جاءنا من الأتراك ، لذلك قال بديع الزمان : « وخف تركي ، أعلاه جراب ، وأسفله غراب » (يتيمة الدهر ٤ / ١٨٤) . وربما قُطع الخف إلى مادون الكعبين (الموطّأ ص ٢١٥) ، وهو المستعمل في زماننا هذا من قبل أكثر الناس ويُقال له حذاء . والخف القديم الذي يضم الساق يلبسه في عصرنا هذا قسم من الشرطة والجند والنساء ، ولكنه غير واسع حول

---

(٦) وجدت في محيط المحيط في الخف بمعناه القديم أنه سمي خفاً لخفّته ، وذلك بعيد ، لما هو آتٍ من بيان صفته . [وهذه هي عبارة المعلم بطرس البستاني في محيط المحيط : « والخفُّ أيضاً واحد الخفاف التي تلبس في الرجل . سُمّي به لخفته . وهو شرعاً مايستر الكعب وأمكن به السفرُ أو المشي فرسخاً فما فوق ... وخُفٌّ ضاحك : أي مخرق تلوح القدم من خلاله / المجلة] .

الساق[٧] . ولا يُقال له خف في وطني العراق ، بل يقال لـه « جزمـة » ، وهي لفظة تركية ، ولا أدري مايقول له العامة في سائر بلاد العرب[5] .

وأن نقول « خُفّ » لما يُستعمل من قبل قسم من الشرطة والجند والنساء عوضاً من « الجزمة » أو غيرها من ألفاظ العامة أولى من أن نقول للشبشب خف . ويحسن أن يُقال للشبشب نعل ، لأنه ضرب من أضربه ، أو أن يبقى على لفظه . وأجده عربياً أحرفاً ووزناً وتسمية ، وإن كان عامّياً .

ديوان أبي الأسود الدؤلي

٧ ـ « رأساً » لا « مباشرة » :

طبع ديوان أبي الأسود الدؤلي في بيروت سنة ١٩٧٤ ، وهو برواية السكّري . وجاء في مقدمة محققه الشيخ محمد حسن آل ياسين (ص ٨) : « والظاهر أنه لم يولّه مباشرةً » . وقوله « مباشرة » في هذا الموضع من تعابير هذا العصر . وقد فشا استعماله في لغة العامة والصحافة والأدب .

---

(٧) الخف الذي يلبسه قسم من النساء في هذا العصر كان يُلبس من قبل قسم منهن منذ زمن الجاهلية . وممن ذكره الشمّاخ . قال (الديوان ص ٨٣) :

وداويّة قفر تمشّى نعاجُها كمشي النصارى في خفاف اليرندجِ

قلتُ : شبّه مشي نعاج البيداء وسواد أرجلهنّ بمشي نساء النصارى وقد لبسن خفاف اليرندج . وفسّر ابن قتيبة البيت في المعاني الكبير (١ / ٣٤٧) على نحوٍ يتوهم فيه متوهم أن المراد بالنصارى عنده الذكور . وحذا حذوه الأعلم الشنتمري في شرح شواهد الكتاب (١ / ٤٥٤) ، ويراجع في ذلك أيضاً حاشية الديوان (ص ٨٣) . وعندي أن « النصارى » مضاف إليه ، والمضاف محذوف تقديره « نساء » ، وبذلك تقع المشاكلة في التشبيه بين النعاج والنساء .

(5) [وفي بلاد الشام تسميه العامة « جزمة » / المجلة] .

وجعل التراجمة لايرون اللفظة الانكليزية « directly » الاّ نقلوها إلى « مباشرةً » . والأولى أن يعدل عنها إلى المعروف من كلام العرب ، كأن يُقال « رأساً » ، كقول البيضاوي في أنوار التنزيل في تفسيره سورة البقرة : « وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأساً » (ص ١٥٨) . وكقوله في تفسير سورة المائدة « لنفي القدرة عنه رأساً » (ص ١٥٨) . وقريب من ذلك « في الحال » ، كقول الحريري في المقامة الدينارية (المقامات ص ٣٥) : « فانبرى ينشد في الحال من غير انتحال » . وأيضاً قريب منه « من فوره » كما في نزهة الألباء في الكسائي « فأنف من هذه الكلمة وقام من فوره » (ص ٦٨) ، وكما في تأريخ الطبري (٨ / ١٢٩) : وخرج من فوره على البريد » . وأيضاً قريب منه « في الوقت » كما في نشوار المحاضرة في بعضهم وقد أُنشد بيت شعر لتعزيته وهو في مجلس العزاء : « فكتبه في الوقت ولم يشغله الحال » (٦ / ١٨٢) . وقد يستعمل بعضهم مباشرة والوجه حذفها بلا عوض منها ، كقول أستاذي الدكتور محمد مهدي البصير رحمه الله في كتابه « نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر » : « كانت الحلة التي تأتي بعد النجف مباشرة في المنزلة الأدبية » (ص ١٤) والوجه أن يُقال : « كانت : الحلة التي تتلو النجف في المنزلة الأدبية » . وقد سبقني أستاذي الدكتور مصطفى جواد رحمه الله إلى التنبيه على « مباشرة » ولكن على نحو آخر . ففي قول من قال : « أخذ الكتب عنهم مباشرة » قال : « الصواب أخذ الكتب عنهم سماعاً أو أخذها حضوراً » (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة ص ١١١) . فاختار سماعاً وحضوراً لتحل احداهما محل مباشرة لموافقتها تلك العبارة دون « رأساً » أو ماهو قريب منها .

٨ ـ « حَجَرات » أي نواحٍ لا « حُجُرات » :

وفي ديوان أبي الأسود المذكور ورد لأبي الأسود (ص ٤٢) :

كأنّ الظبـــاء الأُدم في حُجراتــه وجُـونَ النّعـام شـاجن وحمـائلُـهْ

وضُمت الحـاء من (حُجراتــه) وكأنــه جمع حُجرة ، والصـواب حَجَرات بفتحتين ، أي نواحٍ ، والمفرد حَجرة☆ ، قال بشر بن أبي خـازم (الـديوان ص ٨٨) :

جزيزُ القفا شبعـان يربض حَجْرةً حـديث الخصـاء وارم العَفْل مُعْبَرُ

والغلط في ضبـط « حَجَرات » وارد في بعض الكتب ، كما في مغني اللبيب بتحقيق الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، وذلـك في قول امرئ القيس (١ / ١٥٠) :

ودع عنك نَهْبـاً صِيح في حُجُراتـه ولكن حديثٌ ماحـديث الرواحلِ

هكذا بضمتين من « حُجُراتـه »(6) . وبهـاتين الضمتين ورد قول الفرزدق في ديوانه من طبعة صادر (٢ / ٣٥٨) :

كأنّ نهيم الغَلي في حُجُراتهــــــا تماري خصوم عـاقـدين النواصيـا

والصواب في البيتين فتح الحاء والجيم .

☆ إن احتمل أن يكون الغلط من المطبعة لم أقل بـذلـك الاحتمال ، بل أتركـه لحـدس القـارئ ، لأن ذلـك يلزمني تكرير عبـارة الاحتمال في مواضع من البحث على نحـو قـد يخلـق ديباجة الكلام ، ويفضي إلى الإملال .

(6) [جـاء البيت صحيح الضبـط في ديوان امرئ القيس (القـاهرة ١٩٥٨ م) : ٩٤ ، وقيل في تفسيره : الحجرات : النواحي / الجلة] .

٩ ـ « خدباء » لا « جرباء » :

وأيضاً في ديوان أبي الأسود (ص ٧٠) :

صفحتُ لـه بعـد الأنـاة فرُعتُـهُ   بجرباء لم يعلم لها كيف أرصُدُ

وسكت الشيخ المحقق عن « بجرباء » بالجيم فالراء ، ولا معنى لها في البيت ، وإنما هي تصحيف « بخدباء » بالخاء المعجمة فالدال المهملة ، وهي الضربة التي لها عَوَر في موضعها . كذلك فسّرها السكّري اذ وردت بعد صفحتين في قول أبي الأسود (ص ٧٢) :

عرضت لـه بعـد الأنـاة فرُعتـه   بخدباء قد ترفضّ عنها المَجاوبُ

أو هي كما يستفاد من القاموس ضربة السيف التي تقطع اللحم دون العظم .

١٠ ـ أ « ذكّروك » أم « ذاكروك » ؟

وأيضاً فيه لأبي الأسود (ص ١١٣) :

لنـا جيرة سـدّوا المجـازة بيننـا   فإن ذكّروك السدّ فالسد أكيسُ

و « ذكّروك » بتثقيل الكاف أظنها تحريف « ذاكروك » . وفي تصداق ذلك أنّ السكّري مهّد لهذا البيت ولآخر تلاه بقوله : « كان بين أبي الأسود وبين بعض بني عمه باب يتطرّقون منه ... وإنّ ابن عمه ذلك أراد سد ذلك الباب ... ثم إنه ندم فأراد أن يفتحه ... فأبى أبو الأسود » . فأي معنى للتذكير يصلح لسياق الكلام ؟ وأي حاجة إلى التذكير والباب المسدود يذكّرهم كل يوم خبر سدّه ؟ . أما « ذاكره السدّ » فالمراد منها فاوضه في الباب المسدود طماعة فتحه . يقال : ذاكره الأمر ، وذاكره بالأمر . أما ذاكره الأمر فما جاء في تأريخ الطبري

(٥ / ٣٠٣) : « فقدم على يزيد فذاكره ذلك » . وأما بالأمر ، فما قاله الشريف الرضي في مقدمته لنهج البلاغة (ص ٢١) : « وكثيراً ما أذاكر الاخوان بها »[7] . ويقال : تذاكروا الأمر وتذاكروا به ، وليس هذا موضع شاهدها .

١١ ـ « أو أكثر » لا « وأكثر » :

وأيضاً فيه لأبي الأسود (ص ١١٦) :

فقلت وبعض الظن يكذب أهله ويصدقهم وأكثر الظن كاذبُهْ

والواو من « وأكثر » تخل بالمعنى والوزن[8] ، وسياق القول يدل على أنّ

---

(7) [وعُرف أبو الحكم المنذر بن عبد الرحمن الأموي الأندلسي بالمذاكرة ، لأنه كان إذا لقي أحداً من اخوانه قال له : هل لك في مذاكرة باب من النحو ؟ فتكرر ذلك منه فلقب به (طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ، إنباه الرواة ٣ : ٣٢٣ ـ ٣٢٤ ، البلغة : ٢٧١ ـ ٢٧٢) / المجلة] .

(8) [لاإخلال بالوزن ، وإنما دخل الزحاف الحرف الخامس من (مفاعيلن) فأصبحت (مفاعلن) . وفي البحر الطويل « يجوز في كل مفاعيلن إلا التي في الضرب الأول أن تسقط ياؤه فيبقى مفاعلن ويسمى مقبوضاً » (كتاب الكافي للخطيب التبريزي : ٢٦ ، العيون الغامزة : ١٤٧ ، ١٤٨) ، ومن أمثلة زحاف القبض في الطويل قول امرئ القيس في المعلقة :

ترى بعر الأرْآم في عرصاتها وقيعانها كأنه حبُّ فلفلِ

. . . . .

إذا قامتا تضوَّع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل

. . . . .

ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من كورها المتحمل

. . . . .

فجئت وقد نَضَتْ لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل

. . . . .

قعدتُ له وصحبتي بين ضارج وبين العذيب بعدما متأملي

. . . . .

ومرّ على القنان من نفيانه فأنزل منه العصم من كل منزل

/ المجلة] .

الرواية الصحيحة « أو » بمعنى « بل » . ومن مجيء « أو » بمعنى « بل » قوله تعالى : « وأرسلناه إلى مائة أو يزيدون » (الصافات / ١٤٧) ، وقول جرير في عدّة أولاده :

كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

وقول ابن قتيبة في خطبته لأدب الكاتب : « ... غلط أو خطأ » أي : بل خطأ . وقول ابن قتيبة هذا يدلّ على أنّ الخطأ أشد من الغلط .

وكان الشيخ قال في مقدّمته (ص ١١) : « الذي يعتبر أول من وضع النحو » ، ثم قال في بعض حواشيه على الديوان (ص ١٤٤) : « باعتبارها في البيت اسماً ليكن » . وقد مضى القول في « اعتبر » مستوفى (الفقرة ٢) ، فأغنى عن إعادته .

مجلة المجمع (مج ٥٤ / ج١)

١٢ ـ تدّرج معنى « التصويب » :

أختم مقالتي هذه بالإشارة إلى فائتة فاتتني ، فأقول :

ذكر أرباب المعاجم اللغوية معنى واحداً للتصويب ، وهو الحكم بالصواب ، واستشهد غير واحد منهم لذلك بالمقولة : إن أخطأتُ فخطّئني وإن أصبت فصوّبني . وأظن أن هذا هو المعنى القديم له دون غيره ، ذُكر في معجم ثم تناقلته سائر أصحاب المعاجم دون أن يستقروا نصوص أهل العلم في أزمانهم . ومن أجل ذلك ، وأيضاً من أجل ما وقفت عليه من نصوص من كلام القدامى ، نشرت في هذه المجلة الزهراء (مج ٥٤ / ج١) مقالة عنوانها « المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ » خطّأت فيها قول هذا المعجم « وصوّب الخطأ : صحّحه » . ثم

زادت عندي النصوص التي تشهد لي حتى جاوزت أربعين نصّاً . على أني وجدتُ من بعدُ ثلاثة نصوص استعملت فيها صوّبه بمعنى صححّه أي أزال خطأه . وهي :

ا ـ قول ابن الجوزي في « أخبار الأذكياء » (ص ٦٦) : « كان بعض العمال واقفاً على رأس أمير ، فأخذه البول فخرج ، فلما جاء قال له : أين كنت ؟ قال : أصوّب الرأي ، يعني أنه لا رأي لحاقن » . وكان هذا أول النصوص الثلاثة التي وجدتها ، فذهب وهمي أول الأمر إلى أنّ « أُصوّب » تحريف « أقرّب » .

ب ـ وقول ابن بطوطة في تحفة النظّار : « والذي يخدم العربة يركب أحد الأفراس التي تجرّها ويكون عليه سرج ، وفي يده سوط يحرّكها للمشي ، وعود كبير يصوّبها به اذا عاجت عن القصد » (مجاني الأدب ١ / ١٣٣) .

ج ـ وقول السيد مرتضى الزبيدي في التاج (مادة : عير) ، وهو تعليقه على منع صاحب القاموس أن يُقال « عيّره بالأمر » بقوله : « فإنه قول العامة ، هكذا صوّبه الحريري في درّة الغوّاص » . فاستعمل « صوّب » بمعنى صحّح مع أنه كان أقرّ معنى التصويب في قول صاحب القاموس : « وصوّبه قال له أصبت » ، وذلك بأن علّق عليه قائلاً : « وتقول إن أخطأت فخطّئني وإن أصبت فصوّبني » . وليس القصد من استعماله التصويب بمعنى التصحيح أنه أراد أنْ يُرخي بعد إحكام ، أو أن ينقض بعد إبرام . وإنما هو سهو . ونحوه وقع لبعض العلماء قبله . وأيضاً يقع في العصر الحديث . وأقدم مستعملي التصويب بمعنى التصحيح من أصحاب هذه النصوص الثلاثة هو ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

والمترجح لديّ أن هذا الاستعمال كان مشاعاً على ألسنة العامة في زمنه . ويجوز أن يكون قبله بزمن طويل . فإن كان الذين جاءوا بعد ابن الجوزي من أصحاب المعاجم كابن منظور والصغاني والفيروزأبادي يعرفونه كان حقاً عليهم أن ينبهوا عليه ، قائلين بخطئه اعتماداً على قول من تقدمهم ، أو بصحته أخذاً بالتدرّج اللغوي الطبيعي .

وفذلكة القول : أن تخطئتي المعجم الوسيط على الوجه المذكور كانت فائتة ، لأنها بنيت على استقراء لم يتم . وأن نصّ هذا المعجم : « وصوّب الخطأ صحّحه » فيه بعض الصحة . وقد يحتاز كال صحته لو أُثبت فيه مامعناه « وصوّبه : يستعمل بمعنى عدّه صواباً ، وهو أصل ، وبمعنى صحّحه ، أي أزال خطأه ، وهو مولد . واختص قولهم في العصر الحديث (تصويب الخطأ) بمعنى تصحيحه . » . وأن أصحاب المعاجم الذين أعقبوا ابن الجوزي فاتهم أن يشيروا إلى استعمال التصويب بمعنى التصحيح ، أي إزالة الخطأ .

وأنا اذ أضع فائتتي وفوائت غيري بين يدي القارئ ، أرجو أن يحيط بهنّ فضلُه ، وأن يوفي عليهنّ كرمُه . وكذلك هو رجائي إن قدّمت إليه فوائت أُخر . فلكلّ مشتغل بالعلم هَفَوات ، كما لكل جواد كَبَوات وهيهات أن نجد من حاز العلم بطَرَفيه ، والتحف بمطرفيه .

لندن : **صبحي البصام**

إصلاح خطأ واستدراك

وقع في مقالة الأستاذ صبحي البصام « الملاحظ في حيوان الجاحظ » المنشورة في العدد الرابع من المجلد ٥٩ بعض الأخطاء المطبعية ، وإلى القارئ الكريم صوابها :

ص	س	الصواب
٨٠٦	٥ من أسفل	التعابير التي حملها إلينا
٨٠٧	١ من أسفل	بله لم أُجر
٨١٢	٥	من أن في مقدور أفعى
٨١٥	حاشية (٦)	يقرأ الرسالة بكمالها

هذا وقد بعث الأستاذ البصام إلى المجلة بحاشية صغيرة هذا نصها :

(ص ٨١٠ س ٨ ، ـ قوله « له نَعَل لا يطّبي ... البيت » مذكور في كتاب معاني القرآن للفراء (٢ / ١١٢) برواية « لا تطبي » بالتاء لا الياء . وكنت نقلت البيت من مرجع آخر لا أتذكره[1] .

ـ ومن أفضل الشواهد لاسكان ميم « الخَمَر » ـ وكان ندَّ عني ـ قول ذي الإصبع العدواني ، وقد أسكن اللام من « فَلَك » (الديوان ص ٥٥) :

والشمس ففي رأس فَلْكها انتصبت ... يرفعها في السماء ماارتفعا

لأن كلتا الكلمتين بفتح ففتح) .

---

(1) [أثبت الدكتور إحسان عباس محقق الديوان (ديوان كثير : ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٥٤٧ ، ٥٩٩) مختلف روايات بيت كثير في المصادر ، وخرّجه في : البيان والتبيين للجاحظ ٣ : ١٠٩ ، ١١٢ ، والحيوان ١ : ٢٦٦ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٤٧ ، والواحدي : ٦٣٢ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة : ٤٨٧ ، والفسر في شرح ديوان المتنبي لابن جني ٣ : ٢٣٩ أ (مخطوطة قونية) ، والتاج (نعل) .

وخرج البيت محقق كتاب معاني القرآن للفراء في الخصائص لابن جني ٢ : ٩ / المجلة] .

القصيدة العربية وطقوس العبور
دراسة في البنية النموذجية

د . سوزان ستيتكيفيتش

جامعة شيكاغو

مقدمــة

من المعروف ، بـل من المسلّم بـه ، أنّ القصيـدة العربيـة التقليـديـة مبنيـة على شكلٍ ثلاثي مكـوّن من النسيب والرحيـل والفخر / المـديـح ، ومن الصور الشعرية الخاصّة بكلّ جزء من هـذه الأجزاء . ومع ذلـك مـا يزال معنى هـذا القـالب لغزاً من ألغـاز الأدب العربي ولا نـزال نتسـاءل : لماذا كان هـذا القـالب الثلاثي يسيطر على الخيـال والإنتـاج الشعريين من العصر الجاهلي حتى بداية قرننـا هـذا ؟ لم يكن سبب ذلـك ضيق الخيـال الخلاّق عند الشعراء العرب ، كما ادّعى بعض النقاد بل الحقيقـة أن قواعـد الشعر العربي وقـوانينـه الشكليـة والمعنـويـة (أو مـا يسمى بـ « عمـود الشعر ») فُرِضَت على الشاعر لغاية أنّ ما خرج على مفهوم القصيـدة ـ أو لم يلمّح اليـه بطريقـة مـا ـ لم يعتبر شعرا . وهـذا مـا يفسّر لنـا ، مثلاً ، الهجوم النقدي ضد أبي تمام والمتنبي ، وكان هـذا الهجوم من حيث المعنى ، أي الصورة الشعرية . أمـا من حيث الشكل ، أي الهيكل الثلاثي ، فليس كل ما يسمّى بقصيـدة يوافق هـذا النمط موافقـة تـامـة ، بل تختلف عنـه قصـائـد كثيرة ، إمـا من حيث مضمـون أجـزاء الهيكل أو من حيث كمال

الهيكل . ولكننا مع ذلك نستطيع القول ان كل قصيدة عربية تشير أو تلمّح إلى مفهوم القصيدة الثلاثية بطريقة ما . فيشترك الرثاء والهجاء ، مثلاً ، بالرغم مما يختلف فيهما من موضوع الجزء الثالث (وما يترتب على ذلك من تغيرات في الجزأين الأولين) في ثلاثية القصيدة ؛ وحتى هذه الاختلافات في الموضوع ، حسب ابن رشيق ، ليست إلا التعبير غير المباشر (عن طريق انتقال الكلام إلى الماضي أو النفي) عن مفاهيم المدح ، فيقول : إن « الشعر كله في ثلاث لفظات .... فاذا مدحْتَ قلتَ أنت ، وإذا هجوت قلت لست ، وإذا رثيت قلت كنت »[1] (ونستطيع أن نضيف إلى هذه الثلاث رابعة : « وإذا فخرت قلت أنا ») .

أما القصيدة الناقصة شكلاً ، أي ما يسمى بقطعة أو مقطوعة أو قصيدة قصيرة ، فهي ظاهرة يمكننا أن نفسرها من وجهين : أولهما ، وهو الوجه المعروف ، أن القصيدة القصيرة الناقصة البناء لم تكن أصلاً قصيدة مستقلة ، بل هي بقية قصيدة طويلة مفقودة متكاملة البناء . أما الوجه الثاني ، فهو أن القطعة ليست بالضرورة بقيةً لقصيدة مفقودة ، بل هي قصيدة ناقصة البناء ولكنها بالرغم من ذلك نُظِمَت وفُهِمَت في ضوء قالب القصيدة الثلاثي . وعلى هذا نستطيع القول ان هذه القصائد وإن اختلفت شكلاً أو موضوعاً عن القصيدة الثلاثية ، فهي مع ذلك تشترك معها في مفهوم هذا البناء ، وهذا بإحدى طريقتين : إما بصفتها جزءاً من الكل ـ أي المقطوعة ـ أو بصفتها تنويعات على هذا البناء الأساسي عن طريق نقل الكلام إلى الماضي أو النفي ـ أي الرثاء والهجاء . فليست القصيدة الثلاثية قالباً لنظم الشعر العربي فحسب ، إنما هي أساس لاستيعاب الشعر العربي .

وعلى الرغم من أن النُقّاد القدماء اتخذوا هذا القالب الثلاثي مقياساً عاماً للشعر العربي ، فإنهم لم يناقشوه مناقشة توضّح العلاقات بين أجزائه ، فما قاله ابن قتيبة عن القصيدة ليس إلا وصف المواضيع العامة ، فحسب رأيه : ليس النسيب إلا حيلة جاذبة تلفت نظر المتلقي ـ أي وسيلة إغراء ، الخ[٢] أما تشبيه القصيدة بالجسم الإنساني كما نجده عند الحاتمي ، فيبدو أنه لم يقصد بذلك إلا توازن أجزاء القصيدة وتناسبها دون ما إشارة إلى علاقات دلالية بينها[٣] ، وما عدا ذلك فنجد النقاد القدماء غافلين أو متغافلين عن موضوع بناء القصيدة ومركّزين جهودهم على تحليل الأبيات أو المعاني المنعزلة[٤] .

أما في عصرنا هذا ، فنتيجةً لهذه الغفلة من جانب النقاد القدماء ، رفض بعض النقاد المحدثين وجود القصيدة كقالب ذي بناء دلالي مترابط الأجزاء ؛ فمنهم من استبدلوا بقالب القصيدة كأساس وحدة القصيدة أو تماسكها أسساً أخرى مثل الوحدة العضوية عند كولريدج (Coleridge) أو الثنائية الضدية عند البنيويين ، ومنهم من أنكروا أي وحدة شعرية في القصائد العربية البتة[٥] . ولكنني أرى عدم ـ أو قلة ـ اهتمام النقاد القدماء بقالب القصيدة لا يعني عدم وجود هذا القالب كبناء عميق مولد للشعر العربي ، بل أعتبره أمراً مسلّما به عند الشعراء العرب والنقاد القدماء سواء كانوا على وعي به أم لم يكونوا ، وبالإضافة إلى ذلك ، فعلينا أن نضع في الاعتبار أن النقاد القدماء كانوا منقطعين (حسب اعتبارهم)[٦] من ينابيع الشعر القديم . ولكن لا يفضي ذلك حتمياً إلى انقطاعنا نحن عن الجاهلية أكثر منهم ، بل يمكننا عن طريق استغلال ما قد قدّمته لنا العلوم الحديثة من المعلومات التاريخية والآثارية واللغوية

(خاصة على أساس اللغويات المقارنة) ومن النظريات الأدبية والنفسانية والأنثروبولوجية ، أن نقترب من ينابيع الشعر الجاهلي أكثر من النقاد القدماء وحتى أن نمتح منها .

أما البحث الراهن فسأركّز فيه جهودي على محاولة تفسير قالب القصيدة التقليدية وسيطرته العجيبة على كل من الخيال والإنتاج الشعريين على ضوء طقس العبور (rite of passage) كما صاغه الأنثروبولوجي فن جنب (van Gennep)[٧] ، وأرمي من تطبيق هذا النموذج الشعائري على القصيدة العربية إلى إثبات أنّ قالب القصيدة ليس قيداً شكلياً يقيّد الخيال الشعري ، بل هو أساس نمطي يسمح للشاعر بأن يعبّر عن تجربته الشخصية من خلال شكل ذي أبعاد نفسية وقبلية وطقسية وأُسطورية في نفس الوقت . وأريد أن أوكّد في البداية على أن تطبيق نموذج طقوسي معين على القصيدة العربية لا يعني اختزال العمل الفني إلى طقسٍ ما ، بل هو منهج تفسير سيكشف عن أبعاد فنية وغير فنية للقصيدة مازالت ، حتى الآن ، مخفية . والجدير بالذكر أيضاً أن غرض هذه التجربة النقدية ليس ربط تحليل القصيدة بهذا النموذج بطريقة ضيقة ، بل هو محاولة لإدخال نقد القصيدة في السياق الأوسع للنقد النمطي (archetypal criticism) .

فما هي طقوس العبور وما بناؤها ؟ فطقوس العبور حسب فيكتور تورنر (Victor Turner) هي تلك الطقوس التي تعبر عن انتقال شخص أو مجموعة أشخاص من مكانة اجتماعية معينة إلى مكانة اجتماعية أخرى ، معينة أيضا[٨] . فهي تَتِمُّ عند كل نقطة في الحياة الاجتماعية تتغير فيها المكانة ، كالولادة والزواج والموت ، وعلى سبيل المثال السبوع ،

والتعميد ، والختان والعرس والجنازة . وأبرز هذه الطقوس وأوسعها انتشارا تلك التي تسمى بطقوس الانتماء (rites of initiation) ، وهي ترمز إلى انتقال العابر - أي الشخص الذي يُمَارَسُ عليه طقسُ العبور - من الطفولة إلى الرجولة ، أو بعبارة أخرى ، الطقوس التي يصبح الطفل عبرها عضواً ناضجاً في المجتمع . وقد درس الانثروبولوجيون حتى العقد الأول من هذا القرن طقوس العبور هذه في أشكالها المتنوعة وفي مجتمعاتٍ متعددة ، حيث استنبط « فن جنب » من دراسته لمظاهر هذه الطقوس المختلفة نموذجاً وحيداً . فحسب نظريته يتكون كل طقس عبور من ثلاثة أجزاء أو ثلاث مراحل : أولاها الفراق (separation) أي انقطاع العابر من مكانته السابقة في المجتمع ؛ وثانيتها الهامشية (marginality) أو العتبية (liminality) ، أي طور انتقال يقضيه العابر على هامش المجتمع ، وهي حالة وسط بين المرحلتين السابقة واللاحقة . وفي هذه المرحلة لا يملك العابر أية مكانةٍ اجتماعية معينة بل يعيش خارج المجتمع . ويؤكد « فيكتور تورنر » وأتباعه أن العابر في هذه الفترة يعيش مرحلة « بين بين » ، أو بعبارة أفصح ، في مرحلة (غير ثابتة وغير معينة) بين مرحلتين (ثابتتين معينتين) ، ولذلك نجد أن الرموز المسيطرة على هذا الجزء من الطقس تعبر عن الغموض وعدم الاستقرار كما تشير أيضاً إلى سلوك غير اجتماعي أو ضد المجتمع ، على سبيل المثال : القفر والصحراء ، الليل والظلام ، الحيوانات الوحشية والتصرف الإجرامي[٩] . ويتعرض العابر في طور الانتقال هذا للصعوبة والخطر والموت . وعلى هذا الأساس ، لاحظت ماري دوغلاس (Mary Douglas) أن ابتلاء العابر وامتحانه في هذه المرحلة من الطقس عبارة عن عملية الموت والبعث الرمزية ، أي عن طقوس التدنيس والتطهير[١٠] . أما المرحلة الثالثة ،

فهي إعادة التجمع في المجتمع أو إعادة الاندماج في المجتمع (reincorpora-tion, reaggregation) - حيث يحرز العابر في هذه المرحلة مكانةً ثابتة معينة جديدة ، فيتمتع بالحقوق المترتبة على هذه المكانة ويتحمل المسؤوليات المتعلقة بها . فهذه هي المراحل الثلاث التي حسب صياغة الانثروبولوجيين تشكّل طقس العبور وتحدد رموزه . أما العلاقات بين هذه المراحل فلنؤكد أولاً ما لاحظه بيير فيدال-ناقاي (Pierre Vidal-Naquet) عن العالم الإغريقي القديم ، أي أن الإغريق القدماء كانوا يعبّرون عن الانتقال من الطفولة إلى البلوغ في الشعائر وفي الأساطير بطريقة ما يسميها فيدال ناقاي « قانون القلب المتناسق » (law of symmetrical inversion)[١١] ومعنى ذلك في هذا الصدد أن الضدية الثنائية كما نعرفها في البنيوية فعالة بين مرحلة الهامشية من جهة ، وبين مرحلتي الفراق والتجمع من جهة أخرى : أي ثمة تقابل بين مرحلة الهامشية (طور الانتقال الغامض خارج المجتمع وضدّه) وبين مرحلتَي الطفولة والبلوغ المتعلقتين بمكانة اجتماعية معينة . وهناك تقابل آخر بين المرحلة الأولى : الطفولة والانقطاع عنها ، والثالثة إعادة التجمع في المجتمع كرجل ناضج . ذلك بأن الطفل لا ينتج ولا ينجب ، بل هو عالة على المجتمع ، في حين أن الرجل البالغ منتج ومنجب ومسؤول عن إعالة القبيلة وعن الدفاع عنها . ومع أن هاتين المرحلتَيْن تشتركان في كونها عبارة عن مكانتَين اجتماعيتَين معينتَين ، فإن الطفولة مرحلة موقتة تنتهي في الفراق او الانقطاع ، ولا بد للعابر من أن يخرج عنها ولا يعود إليها ؛ في حين أن مرحلة النضج على العكس من ذلك ، حالة مستقرة يدخلها العابر ولا يخرج منها . ومعنى ذلك أن مرحلة الفراق عبارة عن الماضي المفقود ؛ أما مرحلة التجمع فهي عبارة عن الحاضر المستمر .

ومن أسس هذه الضدية الثنائية أيضا العلاقة الجدلية بين الطبيعة والحضارة ، هذه العلاقة التي يعبر عنها كلود ليفي ـ شتراوس (Claude Lévi-Strauss) بطريقة استعارية بـ « النيء » و « الناضج »[١٢] ونستطيع ان نفسر هذه الاستعارة بالقول إن المواد الخام في حالتها الطبيعية ليست ملائمة لأن يستخدمها البشر أو المجتمع ، وإنما تصبح قابلة للاستخدام بعد أن تعالَج معالجة تحضير ، فنقول مثلا إن اللحم النِّيء ليس ملائما للأكل حتى يتحول بعملية بشرية حضارية ـ أي الطبخ ـ من مادة طبيعية خام إلى مصنوع حضاري قابل للأكل ، أي اللحم الناضج . وكذلك يمكننا القول ان الطفل هو أيضا نوع من مادة خام يتحول بوسيلة طقس العبور إلى مصنوع حضاري يستطيع المجتمع أن يستفيد منه ، أي يصبح إنساناً بالغاً ناضجاً .

١

وعندما ننتقل إلى القصيدة العربية نجد أن التوازي بين النموذج الثلاثي لطقس العبور وبين القالب الثلاثي للقصيدة ليس صعب الإدراك . فسأبتدئ هذا البحث بتحليل معلقة لبيد باعتبارها قصيدة معروفة ، ومن خير أمثلة القصيدة العربية الكاملة في العصر الجاهلي :

١	عَفَتِ الدِّيارُ مَحَلُّها فَمُقامُها	بِمِنًى تأبَّدَ غَوْلُها فرِجامُها
٢	فمَدافِعُ الريَّانِ عُرِّيَ رَسْمُها	خَلَقاً كما ضَمِنَ الوَحِيَّ سِلامُها
٣	دِمَنٌ تَجَرَّمَ بعد عَهْدِ أنيسِها	حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُها وحَرامُها

. . . .

١٦	بل ما تَذَكَّرُ مِن نَوَارَ وقد نأَتْ	وتقطَّعتْ أسبابُها ورِمامُها
١٧	مُرِّيَّةٌ حَلَّتْ بفَيدَ وجاورَتْ	أَهْلَ الحِجازِ فأينَ مِنْكَ مَرامُها

نرى في كلٍّ من عفاء الأطلال وتأبّد الديار وقطع الأسباب ومضي الزمان ما يشير إلى انقطاع الشاعر عن مرحلةٍ سابقة ، وما يعبّر عن تقهقر الحضارة أمام القوى الطبيعية . ويعبر الشاعر عن نفس المعنى في وصفه لفراق الظعن فهو يشبّه النساء بالبقر الوحشي والظباء فيصفهن بعد ذلك بأنهن ينسجمن في عالم الطبيعة حتى يندمجن ، هن وهوادجهن ، في أشجار منعطفات وادي بيشة وأحجارها :

١٤ زُجَلاً كأنّ نِعاجَ تُوضِحَ فوقَها ... وظِباءَ وَجْرَة عُطَّفاً أرْآمُها
١٥ حُفِزَت وزايلَها السَّرابُ كأنّها ... أجزاعُ بِيشَةَ أثْلُها ورِضامُها

ويقلب الشاعر عملية توحُّش الحضارة هذه في وصفه الطبيعة وكأنها قد تحضرت :

٨ وجَلا السُّيولُ عن الطُّلول كأنَّها ... زُبُرٌ تُجِدُّ متُونَها أقْلامُها
٩ أو رَجْعُ واشمةٍ أُسِفَّ نَؤورُها ... كِفَفاً تَعَرَّضَ فوقَهُنَّ وِشَامُها
١٠ فَوقَفْتُ أسألُها وكيف سُؤالُنا ... صُمّاً خَوالدَ ما يُبِينُ كَلامُها

فبطريقةٍ لا تخلو من اللغز وحتى التهكّم ، يصف الشاعر الطبيعة في عملية محو الطبيعة للحضارة بفعلين يعبّران بصفة معينة عن أعمالٍ حضارية أو بشرية صرف ، أي بالكتابة والوشم ، هذين الفعلين اللذين يشيران في نفس الوقت إلى ما لا يُمْحَى ولا مفرّ منه ، أي القدر . والرسالة الخالدة هذه (البيت ٨) هي عدم خلود الإنسان . فبقدر ما تُمْحَى سماتُ الحضارة تصبح الرسالةُ أوضح وأثبت . وليس إدراك الشاعر لهذه الحقيقة إلا عبارة عن الأكل من فواكه شجرة المعرفة . وذلك أنه يدرك أنه ليس بخالد ولا مستمر إلا عن طريقة الإنجاب والإنتاج ،

فيصبح خروج الشاعر ـ أو إخراجه ـ من الجنة أمراً لا مفر منه . فبينما كانت النبتات تزدهر والظباء والنعام تطفل في طهارة الجنة وبراءتها ، كُتِبَ على الإنسان أن يُطْرَدَ من هذا الفردوس ولا يعود إليه :

٤ رُزِقَتْ مَرَابيعَ النُّجومِ وصَابَها ... وَدْقُ الرَّواعِدِ جَودُها ورِهامُها
٥ مِنْ كُلِّ سارِيةٍ وغادٍ مُدْجِنٍ ... وعَشِيَّةٍ مُتَجاوبٍ إرْزامُها
٦ فعَلاَ فُروعُ الأَيْهُقانِ وأَطْفَلَتْ ... بالجَلْهَتَيْنِ ظِباؤُها ونَعامُها
٧ والعِينُ ساكنةٌ على أَطْلائها ... عُوذاً تَأَجَّلُ بالفضاء بِهامُها

. . . .

١١ عَرِيَتْ وكانَ بها الجميعُ فأَبْكَروا ... مِنْها وغُودِرَ نُؤْيُها وثُمامُها
١٢ شَاقَتْكَ ظُعْنُ الحَيِّ حِينَ تحمَّلوا ... فتكنَّسُوا قُطُناً تَصِرُّ خيامُها
١٣ من كُلِّ محفوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ ... زَوجٌ عليه كِلَّةٌ وقِرامُها

ونرى في المنسوجات المزدوجة التي تغطّي هوادج الظعائن وهن يغادرن ما يذكّرنا بأوراق التين التي غطّى بها آدم وحواء سوأتَيْهما ، أي رموز الحياء والحضارة . ومن الملاحظ التقابل بين عري الأطلال أو تعريتها (في البيتين ٢ و ١١) وبين تغطية الإنسان (في البيتين ١٢ و ١٣) الذي يعبر الشاعر من خلاله عن الضدية الثنائية بين النّيء والناضج ، بين الطبيعة والحضارة . ونرى الشاعر يطبّق « قانون الانقلاب المتناسق » (توحش الحضارة × تحضر الطبيعة) في كل هذه الصور ، وهو يشير بذلك إلى انقلاب النظام الاجتماعي : الخروج من المرحلة الأولى أو الانقطاع عنها ، أي ما يقابل « الفراق » في طقس العبور .

ولصورة الأَطلال في القصيدة العربية ، بالإضافة إلى ما يشير إلى طرد من جنة الطفولة والبراءة والطبيعة أبعاد أخرى تشير هي أيضاً إلى

الماضي المفقود . فهناك البعد الاجتماعي المناخي البدوي ، أي ضرورة الانتقال من مكان إلى مكان بحثا عن الماء والمرعى حسب دورة فصول السنة . وهناك أيضاً البعد الحضاري التاريخي ، وذلك أن العرب في العصر الجاهلي كانوا يعيشون في بقايا حضارات عريقة منهارة وآثارها . ويثبت ما جاء في القرآن الكريم عن سد مأرب أن العرب لم ينسوا جذورهم الراسخة والمستقرة بل عاشت ذكرى هذا الماضي المفقود وكأنها ذكرى الجنة : ﴿ لقد كان لِسَبَإٍ في مسكنهم آيةٌ جنتانِ عن يمينٍ وشِمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدةٌ طيبةٌ وربٌّ غفور ● فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيلَ العَرِم وبدَّلْناهم بجنَّتَيْهم جنَّتَيْن ذواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشيءٍ من سِدْرٍ قليل ● ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكَفُور ● وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرىً ظاهرةً وقدَّرنا فيها السيرَ سيروا فيها ليالي وأيَّاماً آمنين ، ﴾ [سورة سبأ : ١٥ ـ ١٨] .

فبوسع صورة الأطلال أن تشير بطريقة مجازية إلى عصر ذهبي ، تاريخياً كان أم أسطورياً ، وبوسعها أيضا أن تعبّر في نفس الوقت عن اهتمامات أكثر شخصيةً ومباشرةً ، كما نرى في آخر مقدمة معلقة لبيد :

٢٠ فاقْطَعْ لُبانةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُه ولَشَرُّ واصلِ خُلَّةٍ صَرَّامُها

٢١ واحْبُ المُجامِلَ بالجزيلِ وصَرمُهُ باقٍ إذا ضلعت وزاغ قِوامُها

واذا انتقلنا إلى الرحيل نرى الشاعر بين موقفين معينين ، أي بين أطلال الديار في المقدمة من جهة ، ومن جهة أخرى موطن القبيلة في الفخر . فنستطيع القول : إن الرحلة في القصيدة ، كرحلة الهامشية في طقس العُبور ، هي طور انتقال بين مرحلتين . فالشاعر في هذا الجزء من القصيدة ، كالعابر في مرحلة الهامشية ، ليس في مكان ثابت وإنما هو على

العكس من ذلك ، يقطع قفرا مُوحِشا تهدّده فيه أخطارٌ ومتاعبُ ، ومع ذلك فإن مطيته ، الناقة ، هي التي تلوّح إلى نجاحه النهائي في هذا الامتحان وإلى وصوله إلى موطن القبيلة ، تلك الناقة التي تجسّد القدرة على اختراق القفار وتحمُّل الصعوبات والحنين إلى الموطن . وهي ترمز من جهة إلى نية الشاعر وعزمه ؛ ومن جهة أخرى ، بصفتها أساس الحياة القبلية الاقتصادية والطقسية ، إلى القبيلة نفسها .

ويبدو أن إلحاح الشاعر الجاهلي على الوصف المفصَّل لخصائص ناقته الجسدية والمزاجية ، خاصة لضروب مشيها ، يرجع إلى قلقه أو إلى اهتمامه بقُدرته الجسدية والنفسية على رحلة الانتقال من أطلال الديار الى موطن القبيلة ، أي من الطفولة الى الرجولة . وعودا الى معلقة لبيد ، فلم يصف الشاعر رحلته بطريقة مباشرة بل وصفها من خلال وصفه للناقة ومن خلال التشبيهَيْن الطويلَين اللذين يشبّه الناقةَ فيهما بكل من الأُتان والبقرة الوحشية ، وسنرى أن كل هذه الفقرات مبنيةٌ بطريقة استعارية على نفس النموذج الذي بنيت عليه القصيدة ككل .

٢٢ بطَليحِ أسْفارٍ تَرَكْنَ بَقيَّةً منها فأَحنَقَ صُلبُها وسَنامُها

٢٣ فإذا تَغَالَى لَحمُها وتحسَّرتْ وتقطَّعَتْ بعدَ الكَلال خِدامُها

٢٤ فلَها هِبَابٌ في الزِّمامِ كأنَّها صَهْباءُ خَفَّ معَ الجَنوب جَهامُها

في هذه الأبيات ينتقل الشاعر من انقطاع صلة الصداقة (البيت ٢١) الى وصف وسيلة الانقطاع ، أي الناقة . فيصف ضمورها والصعوبات التي تعانيها حتى ينتهي إلى تشبيه سرعة سيرها بسير سحابة حمراء قد هراقت ماءها . ونرى في هذه الصورة عبارة عن جدب الهامشية وتعبها بعد الانقطاع عن خصب المقدمة ونعمتها .

أما تشبيه الناقة بالأتان (الأبيات ٢٥ ـ ٣٥) فنجد في البيت الأول ما يدلّ على الخصب والحياة ويؤكّد القوة الحيوية ، أي امتلاء ضرع الأتان باللبن وحملها . ولكن سرعان ما تُرْغِمُ دورة الفصول الأتانَ والعير على الجولان بحثا عن الورد والمرعى ، فنرى في الأبيات من ٢٦ حتى ٣٢ ما يقابل صورة الحياة والخصب في البيت ٢٥ حيث يواجه الحماران الوحشيان في رحلتهما الأخطار والمتاعب من القفار ، والصيادين ، والجوع والجروح :

٢٧ بأَحِزَّةِ الثَّلَبوتِ يَرْبَأُ فَوقَها قَفْرَ المَرَاقِبِ خَوْفُها آرامُها

٢٨ حَتَّى إذا سَلَخَا جُمادَى سِتَّةً جَزْءاً فطال صِيامُه وصِيامُها

. . . .

٣٠ ورَمَتْ دَوابرَها السَّفا وتَهَيَّجَتْ رِيحُ المَصَايفِ سَومُها وسَهَامُها

ومما يشير أيضاً إلى اليبس والجدب وعدم الخصب تشبيه الغبار المضطرب بقوائم الأتان والعير وظلالهما بدُخان نار أُوْقدت بخشب يابس فتنتشر بسرعة :

٣١ فتنازَعا سَبِطاً يَطيرُ ظِلالُه كدُخانِ مُشْعَلَة يُشَبُّ ضِرامُها

٣٢ مَشْمولةٍ غُلِثَتْ بنابتِ عَرفج كدُخانِ نارٍ ساطعٍ أسْنامُها

وفيما بعد ذلك مباشرة (في البيتين ٣٤ و ٣٥) نرى الأتان والعير وهما يصلان إلى الماء ـ أي ما يقابل صورة القفر والنار التي سيطرت على الجزء الأوسط من هذه الفقرة ـ حيث يخوضان الغدير الذي تنمو فيه النبتات المائية الخصبة الوافرة :

٣٤ فتوسَّطَا عُرْضَ السرِيِّ وصَدَّعَا مَسْجُورةً مُتجاوِراً قُلاَّمُها

٣٥ مَحْفوفةً وَسْطَ اليَرَاعِ يُظِلُّها منه مُصَرَّعُ غابةٍ وقِيامُها

ونستطيع أن نستنبط من هذا التشبيه الطويل نموذجاً ثلاثياً يوازي نموذج طقس العبور ، فهناك ـ ١ ـ وصف الخصب (اللبن والحمل) ، فالانقطاع عنه ؛ ـ ٢ ـ فوصف طور انتقال على هامش الحياة والجولان في القفر والتعرُّض للمتاعب والأخطار ؛ وأخيراً ـ ٣ ـ الدخول مرة أخرى في حالة الحياة والخصب ، أي خوض الحمارين غدير الماء ، فقد نسمي مثل هذا التشبيه المستطرد « قصيدة ضمن القصيدة » ذات وظيفة دلالية ، أي تكرار الرسالة الشعرية الأساسية وتأكيدها .

ويمكننا كذلك أن نستنتج نفس النموذج من تشبيه لبيد لناقته بالبقرة الوحشية ، ففي هذه البقرة الوحشية التي تطوف وهي منقطعة عن الصوار والتي قد وقع طفلها فريسة للذئاب الكواسب عبارة عن الانقطاع أو الفراق عن المجتمع :

٣٦ أَفَتلكَ أمْ وحشيّةٌ مَسْبوعةٌ   خَذَلَتْ وهاديَةُ الصّوارِ قِوامُها
٣٧ خَنْساءُ ضيَّعتِ الفَريرَ فلم يَرِمْ   عُرْضَ الشَّقائِقِ طَوفُها وبُغامُها
٣٨ لمعَفَّرٍ قَهْدٍ تنازعَ شِلْوَهُ   غُبْسٌ كَواسبُ لا يُمَنُّ طَعامُها

وبعد ذلك نجد الشاعر يستخدم الرموز نفسها التي ذكرها الأنثروبولوجيون بصدد مرحلة الهامشية : الليل والظلام ، الخوف والخطر :

٤٠ باتَتْ وأَسْبَلَ واكِفٌ من دِيمَةٍ   يُرْوِي الخَمائِلَ دائِماً تَسْجامُها

. . . .

٤٢ يَعْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُتَوَاتِرٌ   في لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجومَ غَمامُها

. . . .

٤٧ فَتَوَجَّسَتْ رِزَّ الأنيسِ فَرَاعَهَا   عن ظَهْرِ غَيْبٍ وَالأنِيسُ سَقَامُهَا

٤٨ فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَينِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُها وأَمامُها

ونرى تضاؤل قوى الخصب والحياة من الجهة الجسمية وتدهور الحالة المعنوية من الجهة النفسية في صورة يأس البقرة وترددها في بحثها الخائب عن طفلها حتى ينقطع لبنها في آخر الأمر :

٤٥ عَلِهَتْ تَرَدَّدُ في نِهَاءِ صُعَائِدٍ سَبْعاً تُؤاماً كامِلاً أَيَّامُهَا
٤٦ حَتَّى إذا يَئِسَتْ وَأَسْحَقَ حالِقٌ لَمْ يُبْلِهِ إرْضاعُها وَفِطامُهَا

ففي كل هذه الصور ما يشير إلى الوظيفة الأساسية لمرحلة الهامشية في طقس العبور ، أي نحول العابر الجسدي والنفسي . أما الجزء النهائي لهذا التشبيه ، فنجد فيه تغلُّب البقرة الوحشية على اليأس والتردد والخطر ، أي تغلب الحياة على الموت ، ومن الملاحظ اختيار الشاعر الكلمات بالذات التي تقابل اليأس والتردد ، أي اليقين (البيت ٥١) والقصد (البيت ٥٢) :

٥١ لِتَذُودَهُنَّ وأَيْقَنَتْ إنْ لم تَذُدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الحُتُوفِ حِمامُها
٥٢ فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابِ فَضُرِّجَتْ بِدَمٍ وَغُودِرَ في المَكَرِّ سُحَامُها

ومواجهةُ الموت هذه هي حسب ملاحظة « ماري دوغلاس » التجربة المحورية لطقس العبور والتعبير الأساسي عن الموت والبعث الرمزيَين[١٣] . والجدير بالذكر في هذا الصدد أن البقر كان ـ وفي بعض الأحيان لا يزال ـ الحيوان المضحى به أو الحيوان الطوطمي في عدة حضارات مجاورة للعرب من الفرس والإغريق والمصريين ، فأمامنا إمكانيات واسعة لدراسات مقارنة بحثاً عن روابط بين دور البقرة الوحشية في القصيدة العربية ودور البقر عامة في مراسم هذه الحضارات وأساطيرها .

ويرجع الشاعر في آخر الأمر إلى الناقة نفسها ليختتم الرحلة بصورة مكثفة تعبر عن مَشقَّة الهامشية ، ويعبر عن انقلاب النظام الطبيعي (أي تحضر الوحش) بطريقة استعارية ، وهذا بوصفه لوامع السراب وكأنها ترقص والإكام وكأنها تلبس أردية :

٥٣ فَبِتِلْكَ إِذْ رَقَصَ اللَّوامِعُ بالضُّحَى وَٱجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكامُها

٥٤ أَقْضِي اللُّبانَةَ لا أُفَرِّطُ رِيبَةً أَوْ أَنْ يَلُومَ بحاجةٍ لُوّامُها

ومن الملاحظ ههنا أن الشعراء العرب يستعملون وقت الضحى بالإضافة إلى الليل تعبيراً عن الهامشية ، وسبب ذلك أن الضحى في الصحراء مع شدة أشعة الشمس وحرارتها ولوامع السراب يعبر مثل الليل عن الصعوبة والخطر والغموض وعدم الاستقرار .

وخلاصة القول في هامشية الرحيل أن الشاعر في هذا الجزء من القصيدة ليس بريئاً يعيش في الفردوس الطبيعي الذي وصفه لنا في المقدمة ، ولا بالغاً يُعِيل القبيلةَ ويدافع عنها ، بل هو في مرحلة انتقالية ، منقطعٌ عن الجنة والماضي من جهة ، وعن القبيلة من جهة أخرى .

وإذا غادرنا الرحيل إلى الجزء الثالث من القصيدة ، أي الفخر ، نرى الشاعر وهو يحتفل بالحياة الجماعية وتحمُّله للمسؤولية فيها ، وكما اعتبرنا قطع الأسباب علامة للفراق والانقطاع (في البيتين ١٦ و ٢٠) نجد في صورة وصل الأسباب علامة تدل على اندماج العابر ودخوله في المجتمع من جديد وإعادة ربط العلاقات الاجتماعية :

٥٥ أَوْ لم تَكُنْ تَدْري نَوَارُ بأَنَّني وَصّالُ عَقْدِ حَبائِلٍ جَذّامُها

ويفتتح الشاعر جزء الفخر بوصف تزويده الخمر لأصحابه ، وهو يشير بذلك إلى نهاية فترة الانتقال الفردي الصعب ، وإلى دخوله من جديد إلى المجتمع البشري النعيم ، وأن الخمر في حضارات الشرق الأوسط القديمة بصفة عامة ، وفي حضارة العرب الجاهليين بصفة خاصة ، مادة ذات أبعاد طقسية ورمزية متعددة . فلها دور في كل من طقوس التضحية والقربان والثأر ، وعقد القسم بصفتها بديلاً للدم أو رمزاً له ، كما قد لاحظ روبرتسون ـ سميث (Robertson Smith)[١٤] . وللصبوح (شرب الصباح) أيضاً وجه طقسي فهو يلعب دور وجبة جماعية (com- mensal meal) أو قربان . ولذلك يمكننا أن ندرك في فض ختام الخمر عبارة عن ذبح ضحية يحتفل الشاعر عن طريقته باندماجه في المجتمع . ومن الملاحظ أيضاً أن الخمر ـ بصفتها عصيراً طبيعياً نيئاً قد تحول عن طريقة الاختمار إلى مشروب ناضج محفوظ ـ ترمز إلى تحول العابر عن طريقة طقوسية من كائن طبيعي ونيءٍ إلى كائن بالغ وناضج . فعلى هذين الأساسين نستطيع أن نعتبر الخمر من أبرز رموز الاندماج والحياة الاجتماعية .

٥٧ بَلْ أَنْتِ لا تَدْرِينَ كَم من لَيْلَةٍ طَلْقٍ لَذيذٍ لَهْوُها وَنِدامُها
٥٨ قدْ بِتُّ سامِرَها وَغايَةِ تاجِرٍ وَافَيْتُ إذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مُدامُها
٥٩ أُغْلِي السِّباءَ بكُلِّ أَدْكَنَ عاتِقٍ أَوْ جَوْنَةٍ قُدِحَتْ وَفُضَّ خِتامُهَا
٦٠ بِصَبُوحِ صافيةٍ وَجَذْبِ كَرِينةٍ بِمُوَتَّرٍ تَأْتَالُهُ إبْهامُهَا

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى وصف الفرس التي هي مطيته عندما يفي بواجباته نحو المجتمع ، أي حماية القبيلة في الحرب وإعالتها عن طريق الصيد . ويشير التزامُه لهذه الواجبات وتحمله هذه المسؤوليات إلى

بلوغه الرجولة الناضجة . فكما رأينا الناقة المطية المناسبة للشاعر في الرحلة أو في طور الانتقال حتى يصبح وصف الناقة موضوعاً جوهرياً للتعبير عن رحلة القصيدة وهامشية طقس العبور ، نرى الفرس المطية المناسبة للشاعر في الحرب والصيد ، حتى يصبح وصف الفرس إشارة إلى اندماج الشاعر في المجتمع كعضو منتج . وترمز الفرس إلى العابر المندمج أيضا باعتبارها طاقة طبيعية مقيدة لخدمة المجتمع البشري . وهذا هو أساس تشبيه الفرس بنخلة جرداء ، فهي أيضا صورة أخرى للطبيعة المحضرة أو بعبارة أدق ، المتحضرة .

٦٢ وغَداةِ ريحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ إذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمالِ زِمامُها
٦٣ ولَقَدْ حَمَيْتُ الحَيَّ تَحْمِلُ شِكَّتي فُرُطٌ وِشاحِي إذ غَدَوْتُ لِجامُها

. . . .

٦٦ أَسْهَلْتُ وَانْتَصَبَتْ كجِذْعِ مُنيفَةٍ جَرْداءَ يَحْصَرُ دونَها جُرّامُها
١٧ رَفَّعْتُها طَرَدَ النَّعامِ وَشَلَّهُ حَتَّى اذا سَخِنَتْ وخَفَّ عِظامُها

أما الميسر ، القمار الذي حرّمه الإسلام ، فمن وجهة نظر المجتمع القبلي هو مؤسسة لضمان توزيع اللحوم في وقت الشدة :

٧٣ وَجَزُورِ أَيْسارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِها بِمَغالِقٍ مُتَشابِهٍ أَجْسامُها
٧٤ أَدْعُو بِهِنَّ لِعاقِرٍ أو مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لِجيرانِ الجَميعِ لِحامُها
٧٥ فالضَّيفُ والجارُ الغريبُ كأَنَّما هَبَطا تَبالَةَ مُخْصِباً أَهْضامُها
٧٦ تأوي إلى الأَطْنابِ كُلُّ رَذِيَّةٍ مِثْلِ البَلِيَّةِ قالِصٍ أَهْدامُها
٧٧ ويُكَلِّلُون إذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ خُلُجاً تُمَدُّ شَوارِعاً أَيْتامُها

وكما توصف القِفارُ في فترة الهامشية بالجدب والجوع والعطش ، نجد فترة التجمع والاندماج في المجتمع ، على العكس من ذلك ، توصف بالخصب

والأكل والماء ، وهذا في وقت الشدة بالذات . ويدل ذلك على أن المجتمع قد تغلب على القوى الطبيعية حتى يتيح للبشر حياة ثابتة ومستقرّة . ومن الملاحظ أن غنى القبيلة يوصف بما يتعلق بالخصب الطبيعي : كوادٍ مُخْصِب (البيت ٧٥) وخُلُج ، أي أنْهار (البيت ٧٧) .

وكما افتتح لبيد معلقته بما يشير إلى تقهقر الحضارة أمام الطبيعة ، فقد اختتمها بما يعبّر عن سيطرة الحضارة ـ أي عن سيطرة سُنَّة القبيلة ومؤسساتها الثابتة المستقرة ـ على الطبيعة في دوراتها المتناوبة : فالدورات الطبيعية تتناوبُ بين الربيع والشتاء وبين الخصب والجدب وبين النعمة والشدة ، بينما تسيطر القبيلة على هذا التناوب الطبيعي حتى تصبح وكأنها ربيعٌ دائمٌ .

٨١ مِنْ مَعْشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ ولكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإمامُها

. . . .

٨٤ وإذا الأمانَةُ قُسِّمَتْ في مَعْشَرٍ أَوْفَى بأَوْفَرِ حَظِّنا قَسَّامُها
٨٥ فَبَنَى لَنَا بَيْتاً رَفيعاً سَمْكُهُ فَسَما إليه كَهْلُها وَغُلامُها

ونرى في الأبيات الثلاثة الأخيرة وصفاً مثالياً لرجال القبيلة الناضجين وهم يؤدون وظائفهم الأساسية في إعالة القبيلة والدفاع عنها :

٨٦ وَهُمُ السُّعَاةُ إذا العَشيرَةُ أُفْظِعَتْ وَهُمُ فَوَارِسُها وَهُمْ حُكَّامُها
٨٧ وَهُمُ رَبيعٌ للمُجَاوِرِ فِيهِمُ والمُرْمِلاتِ إذا تَطَاوَلَ عامُها
٨٨ وَهُمُ العَشيرَةُ أن يُبَطِّئَ حاسِدٌ أو أن يَميلَ مَعَ العَدُوّ لِئامُها

٢

وسأنتقل الآن إلى معلقة امرئ القيس ، وبالطبع ليس من الممكن

في حدود مثل هذه المقالة أن نعالج هذه القصيدة معالجة تامة ، فسأقصُر الكلام على بعض الملاحظات التي تبرز الإمكانيات التحليلية لاتجاهنا النظري والمنهجي . فالواضح أنني لا أقصد بتطبيق نموذج طقس العبور على القصيدة العربية تجريدَها من ملامحها الشعرية لكي أدافع عن نظرية ما ، بل أقصد اتخاذ هذا البناء الطقسي نقطةَ انطلاق أو افتراضاً عملياً لأُفسّرَ على أساسه صوراً شعرية كانت حتى الآن غامضة ولأكشف عن طريقته أبْعاداً دلالية لم تُدْرك بعد .

١ قِفَا نَبْكِ مِن ذِكرَى حبيبٍ ومَنْزِلِ بسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخول فحَوْمَلِ
٢ فَتُوضِحَ فالمِقْرَاةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لِما نَسَجَتْها من جَنُوبٍ وشَمْأَلِ
٣ تَرَى بَعَرَ الأرْآمِ في عَرَصَاتِها وَقِيعانِها كأنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ

في مطلع معلقة امرئ القيس يتضح انقطاع الشاعر عن الماضي وفشل الخصب والعلاقات الاجتماعية . ويظهر ذلك في بكاء الشاعر ، أي جريان الدموع المالحة التي ترمز إلى الجدب ، وكذلك في وصف الحبيب والمنزل بأنهما قد أصبحا مجرد ذكرى . وقد أصبحت الطبيعة تؤدي دور المجتمع ، فتوصف الرياح بأنها تنسج . والنسج ، كما رأينا في معلقة لبيد ، عبارة عن الحضارة . وكذلك يشبّه بَعَر الأرآم بحب فلفل ؛ والتوابل هي أيضاً مما يعبّر عن الحضارة أو عملية التحضر . ونرى في هذه الصور ما رأيناه في معلقة لبيد من تطبيق الشاعر « قانون القلب المتناسق » لوصف الانقطاع ، أي وصف توحش المنزل البشري (الحضارة) بتحضر الوحش (الطبيعة) .

وما ان نصل إلى البيت السابع حتى يبتدئ الشاعر بوصف سلسلة من مغامرات غرامية . ويختلف الرأي النقدي في معنى هذه المغامرات كل

الاختلاف : أهي عبارة عن الاخفاق أو النجاح أو عن النطاق الكامل للعلاقات بين الرجل والمرأة ؟[١٥] إن استندنا على نموذج طقس العبور فسيفسر لنا من ناحية تفاصيل الصور الشعرية ، شهوانيةً كانت أم مَهْزَلِيّة ، ومن ناحية أخرى سيثبت دور هذه السلسلة من المغامرات في تطور القصيدة الدلالي . فلنفترض حسب موقع هذه المغامرات في القصيدة أنها تعبر عن الفراق أو الهامشية . فهي من ناحية تشترك في خصائص الانقطاع بصفتها علاقاتٍ صبيانية غير ناضجة وغير منتجة . وهي كذلك علاقات موقتة وفاشلة قد انتهت فلن ترجع ولا تتكرر . ومن ناحية أخرى نرى في هذه المغامرات ما يدل على مرحلة الهامشية ـ خاصة العلاقة الضدية بين هذه الفترة خارج المجتمع وضد المجتمع وبين مفاهيم مرحلة التجمع من النضج والإنتاج وتحمل المسؤولية ، والثبات والاستقرار ، فتشمل هذه العلاقات المدى الكامل للعلاقات بين الرجل والمرأة ماعدا الزواج وهو العلاقة الوحيدة التي يُحِلُّها المجتمع والتي تؤدي دوراً اجتماعياً إيجابياً من حيث الإنجاب والإنتاج .

أما أُم الحويرث وجارتها أم الرباب فتُوصَفان بتضوّع المسك والقرنفل منهما ، أي بما يشير إلى اللذة والترف والإغراء دون الإنجاب والإنتاج[١٦] ، فمهما كان أمر الشاعر معهما لذيذاً ، انتهى بالدموع التي ترمز الى فشل العلاقة والعقم بصفة خاصة ، وإلى الجدب بصفة عامة :

٧	كَدَأْبِكَ من أُمِّ الحُوَيرِثِ قَبْلَها	وَجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بِمَأْسَلِ
٨	إذا قامَتا تَضَوَّعَ المِسكُ مِنْهُما	نَسيمَ الصَّبا جاءَتْ بِرَيّا القَرَنْفُلِ
٩	ففاضتْ دُموعُ العَينِ مِنّي صَبابَةً	عَلى النَّحْرِ حَتّى بَلَّ دَمْعِيَ مِحْمَلِي

وفي مغامرة دارة جلجل نرى منظراً تتخلله لذّةٌ لعلاقة صبيانية غير

ناضجة . ويشير عقر الناقة ، باعتبارها وسيلة العبور من الطفولة إلى الرجولة ، إلى لامبالاة الشاعر بإتمام هذا العبور ، بل إنه يفضل البقاء في حالة المراهقة هذه بين هاتين المرحلتين . ويعبّر الشاعر عن طيش وقائع دارة جلجل بوصف العذارى بأنهُنَّ يلعبن باللحوم والشحوم النيئة . وأساس هذه الصورة هو أن هذه اللحوم والشحوم النيئة استعارة للعذارى اللواتي هن أيضا غير ناضجات ولا مستويات حتى تصبح العلاقة بينهن وبين الشاعر لعباً ولذة دون جدية أو إنتاج :

١٠ أَلاَ رُبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ ولا سِيَّما يَومٍ بِدارةِ جُلْجُلِ

١١ وَيَوْمَ عَقَرْتُ للعَذارَى مَطِيَّتِي فَيَا عَجَباً من كُورِها المُتَحَمَّلِ

١٢ فَظَلَّ العَذارى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِها وَشَحْمٍ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ

وكذلك تذبذب هودج عنيزة عندما يحاول امرؤ القيس إغراءها ليس بتفصيل مضحك وفكاهي فقط وإنما له دور دلالي في تأسيس الضدية بين هذه العلاقة المضطربة وبين الزواج الشرعي والثابت :

١٣ وَيَوْمَ دَخَلْتُ الخِدْرَ ، خِدْرَ عُنَيْزَةٍ فقالتْ لكَ الوَيْلاتُ إِنَّكَ مُرْجِلي

١٤ تَقُولُ وقد مال الغَبِيطُ بنا معاً عَقَرْتَ بَعِيري يا امرأَ القيسِ فانْزِلِ

١٥ فَقُلْتُ لها سِيرِي وأَرْخِي زِمامَهُ ولا تُبْعِدِيني من جَناكِ المُعَلَّلِ

وفي مايلي نجد علاقة ينتهك فيها الشاعر ومحبوبته القواعد الأخلاقية والاجتماعية . فتنقطع بدفعة واحدة أسْبابُ الزواج بين المرأة وزوجها وكذلك صلة الأمومة : أولاً بين الأم وطفلها الرضيع (وذلك باعتبار الممارسة الجنسية عند العرب القدماء خطيرة للرضيع[١٧] وثانياً بين الأم والجنين .

١٦ فمِثْلِكِ حُبْلَى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ فألْهَيتُها عن ذي تَمائِمَ مُحْوِلِ
١٧ إذا ما بَكَى مِن خَلْفِها انْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍّ وتَحْتي شِقُّها لم يُحَوَّلِ

فإنّ غرض هذه العلاقات ليس الإنجاب والإنتاج ، بل الانغماس في التمتع واللهو :

٢٣ وَبَيضَةِ خِدْرٍ لا يُرامُ خِبَاؤُها تَمَتَّعْتُ من لَهْوٍ بها غَيرَ مُعْجَلِ

. . . .

٣٨ وتُضْحِي فتيتُ المِسْكِ فَوقَ فِراشِها نَؤُومُ الضُّحَى لم تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّلِ

ويصف الشاعر هذه العلاقات الهامشية التي هي خارج قواعد المجتمع وضدها بأنها خطيرة ، بل قاتلة ، جسماً وروحاً :

٢٠ أَغَرَّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّكِ قاتِلي وأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُري القَلْبَ يَفْعَلِ

. . . .

٢٢ وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلاّ لِتَضربي بسَهْمَيكِ في أَعْشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ

. . . .

٢٤ تَجَاوَزْتُ أَحْرَاساً إليها ومَعْشَراً عَلَيَّ حِرَاصاً لو يُسِرُّونَ مَقْتَلي

وإذا اعتبرنا تحمل المسؤولية من أسس الاندماج في المجتمع والمشاركة فيه كرجل بالغ وناضج ، نرى في هذه المغامرات الغرامية ، على العكس من ذلك ، التخلي عن المسؤولية ورفض النضج :

٤١ إلى مِثلِها يَرْنُو الحَليمُ صَبَابَةً إذا ما اسْبَكَرَّتْ بَيْنَ دِرْعٍ ومِجْوَلِ
٤٢ تَسَلَّتْ عَمَايَاتُ الرِّجالِ عَنِ الصِّبا وَلَيسَ فُؤادي عن هَوَاكِ بِمُنْسَلِ
٤٣ أَلا رُبَّ خَصْمٍ فيكِ أَلْوى رَدَدْتُهُ نَصيحٍ على تَعْذالِهِ غيرِ مُؤْتَلِ

وخلاصة القول في هذه المغامرات أنها تمثل ، باعتبارها غير مستقرة

ولا منتجة ولا منجبة بل موقتة ومخفقة وخطيرة ، تطبيق قانون القلب المتناسق على العلاقة بين مرحلة الهامشية ومرحلة الاندماج .

ولا نجد في الشعر العربي تعبيراً أوضح ولا أجمل عن غموض الهامشية وصعوبة العبور من وصف امرئ القيس للّيل :

٤٤ وَلَيْلٍ كَمَوجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُولَهُ عَلَيَّ بأَنْواعِ الهُمُومِ لِيَبْتَلي
٤٥ فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجازاً ونَاءَ بِكَلْكَلِ
٤٦ أَلاأَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاانْجَلِ بِصُبْحٍ وما الإِصْباحُ مِنْكَ بأَمْثَلِ
٤٧ فيالَكَ من لَيْلٍ كأنّ نُجومَهُ بِكُلِّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ
٤٨ كأنّ الثُّرَيّا عُلِّقَتْ في مَصامِها بأَمْراسِ كتّانٍ إلى صُمِّ جَنْدَلِ

فنرى في هذه الأبيات تعبيراً مكثّفا عن رموز الهامشية وصفاتها المذكورة عند الأنثروبولوجيين من الليل ، والاضطراب (الأمواج) والابتلاء ، وبالاضافة إلى ذلك مايشير إلى الميزة الخاصّة لمعلّقة امرئ القيس ، أي البطء في العبور ، فقد رأينا ذلك في إغراقه في العلاقات الصبيانية حتى أصبح وكأنه في حالة التوقف عن التطوّر النفسي أو في حالة المراهقة الممتدة . فيشير إلى ذلك أيضاً في وصف مضي الليل بالامتداد والتطاول لتمطي البعير البطيء (البيت ٤٥) وأخيراً في وصف مضي الزمان بأنه تقريباً لايمضي ، أي كأنّ النجوم مربوطة بحبال إلى صخور ضخمة حتى لاتتحرّك (البيت ٤٨) .

وفي مابعد ذلك فقطعُ القفر ووصف الذئب رمزان معروفان للهامشية . ومن الملاحظ في هذا الصدد التشبيه المزدوج ، أولاً للعابر في مرحلة الهامشية (الشاعر) بالذئب ، وثانياً للذئب بالشخصية الهامشية (الخليع) :

٤٩ وَوَادٍ كجَوفِ العَيرِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ ... به الذئْبُ يَعْوي كالخَليعِ المُعَيَّلِ
٥٠ فقُلْتُ له لمّا عَوَى إنّ شأنَنا ... قليلُ الغِنَى إنْ كُنتَ لمّا تَمَوَّلِ
٥١ كِلانا إذا ما نالَ شيْئاً أفاتَهُ ... وَمَن يَحْتَرِثْ حَرْثِي وحَرْثَكَ يَهْزِلِ[1]

وأخيراً ينجلي الصبح الذي يرمز إلى التجمع والدخول في المجتمع من جديد ، كما قد رمز الليل إلى الهامشية . فيصف الشاعر فرسه في الصيد والحرب ـ هذين العملين اللذين يشيران إلى تحمل الشاعر المسؤولية كرجل بالغ يصطاد لكي يعيل القبيلة ويقاتل لكي يدافع عنها (الأبيات ٥٢ ـ ٦٩) ـ . ونرى الفرس وقد شبهه الشاعر بالسيل والمطر والصخور من ناحية ـ أي بما يدل على قوة الطبيعة والخصب والإنجاب ـ ومن ناحية أخرى بما يشير إلى الحضارة ، أي غليان المرجل . فالطبخُ ، كما لاحظنا من قبل ، من أبرز رموز الحضارة :

٥٢ وَقَدْ أغْتَدي والطَّيرُ في وُكُناتِها ... بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ
٥٣ مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعاً ... كجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيلُ من عَلِ
٥٤ كُمَيتٍ يَزِلُّ اللِّبدُ عن حالِ مَتْنِهِ ... كما زَلَّتِ الصَّفْواءُ بالمُتَنَزِّلِ
٥٥ على الذَّبْلِ جَيَّاشٍ كأنَّ اهتزامَهُ ... إذا جاشَ فيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ

ونرى في الصيد وفي تغلُّب الفرس على البقر الوحشي تغلب الحضارة على الطبيعة ، وليس ذلك إلا عكس الانقلاب المتناسق الأول في عملية

---

(1) [لم يرو جمهور الأئمة هذه الأبيات في هذه القصيدة ، وزعموا أنها لتأبط شراً ، انظر شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري : ٨٢ ، وشرح المعلقات للزوزني : ٢٨ / المجلة]

الانقطاع ـ أي تغلب الطبيعة على الحضارة ـ . ففي إعادة إثبات قوة الحضارة في مرحلة الاندماج تصبح الكائنات الطبيعية عن طريق التشبيه دلائل على الحضارة . فتوصف دماء البقر الوحشي مسفوكة على وبر الفرس بأنها حنّاء على شيب ، أي ما يدل على تجديد الحياة بوسيلة عملية حضارية ؛ وتصبح إناث السرب عذارى في الطواف الشعائري ، أو تشبه قلادة تعبّر بخرزها المتعاقب عن النظام الاجتماعي المتعاقب بين الأعْمام والأخوال (الذكر والأنثى) :

٦٢ كأنَّ دِماءَ الهاديات بنَحْرِهِ عُصارةُ حِنّاءٍ بشَيبٍ مُرَجَّلِ
٦٣ فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نِعاجَهُ عَذَارَى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذَيَّلِ
٦٤ فأدْبَرْنَ كالجِزْعِ المُفَصَّلِ بَيْنَهُ بجيدِ مُعَمٍّ في العَشيرِ ومُخْوَلِ

ومن الملاحظ في هذه المناسبة أن الصيد نفسه في الشعر العربي عبارة عن نوع من التضحية . وأساس التضحية هو تجديد المجتمع وتطهيره عن طريق سفك دماء الضحية ، أو بعبارة أخرى غسل المجتمع بالدماء ؛ أو موت الضحية وبعث المجتمع . ومن الصعب أن نميّز تمييزاً قاطعاً بين طقوس العبور وطقوس التضحية ، بل يبدو لي أنهما تقريباً عبارة عن نفس الشيء ، فكثيراً ما تؤدي التضحية دوراً رئيسياً في طقوس العبور وكذلك طقوس التضحية تعبر في أغلب الأحوال عن عبورٍ أو تغيّرٍ ما في مكانة المشاركين الاجتماعية وحتى المراحل الثلاث لطقوس التضحية كما يصفها هوبرت وماوس (Hubert, Mauss)[١٨] في دراستهما المعروفة عن التضحية تساوي مراحل طقس العبور ولكن من وجهة نظر مقلوبة : أولاً فالدخول إلى الحالة المقدسة التي هي خارج حدود المجتمع العادي يساوي الانقطاع عن المجتمع أو الفراق ؛ وثانياً : الحالة المقدسة للتضحية

تساوي فترة الهامشية ؛ وثالثاً ، الخروج من الحالة المقدسة (أي الرجوع إلى الحياة العادية) يساوي التجمع أو الدخول في المجتمع من جديد .

وعندما نقارن بين وصف اللحوم النيئة بدارة جلجل وبين وصف اللحوم المطبوخة يتّضح أنه كما تعبّر الأولى عن الحالة الطبيعية وعدم النضج ، تعبّر الثانية عن الحضارة والنضج :

٦٧ فَظَلَّ طُهاةُ اللَّحْمِ من بَينِ مُنْضِجٍ صَفيفَ شِواءٍ أَوْ قَديرٍ مُعَجَّلِ

ويختتم الشاعر وصف الفرس بصورة تعبّر عن حالة العابر بعد الاندماج إلى المجتمع وبعد تحمل المسؤولية ، فهي صورة الطاقة الطبيعية المقيّدة لخدمة المجتمع :

٦٩ فَباتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ ولِجامُهُ وباتَ بعَيني قائِماً غَيرَ مُرْسَلِ

أما وصفُ العاصفة الذي يكون الجزء النهائي لمعلقة امرئ القيس (الأبيات ٧٠ ـ ٨٢) ، فهو صورة ذات جذور عميقة في ميثوبيا (mythopoesis) الشرق الأوسط ، حيث نجد في أسطورة من أساطير سومر وصف نزول المطر على الأرض بأنه سيلانُ منيّ الإلّه انكي (Enki) في رحم الإلاهة نهورسغ (Ninhursag) أي ما يعبر عن الخصب والإنجاب .

وإنّ قصة نوح عبارة عن قوة العاصفة (او الطوفان) المزدوجة ، المدمّرة والمحيية ، هذه القوة التي هي أيضاً أساس استخدام العاصفة رمزاً في أساطير أو شعائر التدنيس والتطهير أو الموت والبعث . وفي صورة العاصفة الخاصة بقصيدة امرئ القيس ما يعبّر ـ كما يعبر الفرس ـ عن تحضُّر الطبيعة ، أي ما يقابل عملية توحش الحضارة في بداية القصيدة .

فيصبح البرق مرشد الإنسان إلى الاستقامة (أي مرشد العابر في الهامشية إلى المجتمع) مثل يدين تلوحان أو مثل مصابيح راهب تُرْشِد الضالّ في الظلمة .

٧١ أصاحِ تَرَى بَرْقاً أُرِيكَ وَميضَهُ كَلَمْعِ اليَدَين في حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
٧٢ يُضِيءُ سَنَاهُ أوْ مَصَابيحُ راهِبٍ أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ المُفَتَّلِ

وفي صورة العاصفة أيضاً عناصر تشير إلى انقلاب الجيل القديم حتى يحلّ الجيل الجديد محله . وهذا ماتسمّيه ماري دلكورت (Marie Delcourt) في تحليلها لأساطير أوديب على أساس طقوس العبور « الاستيلاء على السلطة » (prise du pouvoir) أي الوصول إلى الرجولة[١٩] .

٧٤ فأضْحَى يَسُحُّ الماءَ حَوْلَ كُتَيفَةٍ يَكُبُّ على الأذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبُلِ
٧٥ وَمَرَّ عَلى القَنَّانِ من نَفَيَانِهِ فأنْزَلَ منه العُصْمَ من كلِّ مَنْزِلِ
٧٦ وَتَيْماءَ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلَةٍ ولا أُطُماً إلاّ مَشِيداً بجَنْدَلِ

ونرى في صورة العاصفة أيضا إشارة إلى إعادة نسج القماش الاجتماعي بعد التمزيق والتدمير . فيشبّه الشاعر حُطام العاصفة على رأس الجبل بفُلكة المِغْزَل ، وكذلك يشبّه ضروب الأزهار والنبتات التي أنبتها المطرُ بثياب وأَقْمِشَة تاجر يَمَنِيٍّ معروضة على الأرض . والجدير بالذكر أن النسج والكساء من أبرز رموز الحضارة والنظام الاجتماعي .

٧٨ كأنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً من السَّيلِ والأغْثاءِ فُلْكَةُ مِغْزَلِ
٧٩ وَأَلْقَى بصَحْراءِ الغَبيطِ بَعاعَهُ نزُولَ اليَماني ذي العِيابِ المُحَمَّلِ

فكيف بعد كل ذلك نفسّر المكاكيّ المغردة والسباع الغرقَى التي

تشكّل الصورة النهائية في هذه القصيدة ، أي ما يبقى بعد العاصفة ؟

٨٠ كَأَنَّ مكاكِيَّ الجِـواءِ غُـدَيَّـةً صُبِحْنَ سُلافاً من رَحيقٍ مُفَلْفَلِ
٨١ كَأَنَّ السِّبـاعَ فِيـهِ غَرْقَى عَشِيَّةً بأَرْجائِهِ القُصْوَى أَنابيشُ عُنْصُلِ

أن نفترض أنّ العاصفة عبارة عن شعائر التطهير فيمكننا أن ندرك في البيت (٨٠) ما يشير إلى الكون المتحضّر والمطهّر وفي البيت (٨١) ما يشير إلى العناصر المدنسة والوحشية التي قد اجترفها السيل . فنستطيع أن نعتبر ذلك وصفاً للشاعر نفسه أي العابر الذي قد أتمّ طقس العبور ، أو وصفا للمجتمع ككل . ومن الملاحظ العلاقةُ الضدية بين البيتين ، ففي البيت الأول إشاراتٌ إلى الحياة والحضارة في حين أن في البيت الثاني دلائل على التوحش والموت . فإن الطير معروف كرمز الروح الخالد مقابل الجسم الفاني الذي ترمز إليه هنا السباع الغرقى . أما شرب الصباح ، فله أبعاد طقسية مرتبطة بالتضحية ، فيعبر شرب الخمر بطريقة استعارية عن شرب دماء الضحية ، تلك الشعائر التي تؤدي إلى الحياة المتجددة والأبدية . وترمز الخمر كاللحم المطبوخ إلى الحضارة ، أي مرحلة التجمع من جديد ، بصفتها مادّة طبيعية تَخْضَع لعملية التحضير ، أي التخمير . وأكّد الشاعرُ هذا المعنى بوصف الخمر بأنها مفلفلة ، والتوابل ، كما ذكرنا سابقا ، من أبرز رموز الحضارة والتحصر ، وسبب ذلك ليس صعب الإدراك ، فوظيفة التوابل هي حفظ المادّة الغذائية الخام وإبقاؤها سليمة ومنع الإفساد ، وهذه هي بالذات الوظيفة التي تؤديها عملية التحضر عن طريق طقس العبور . ونجد مقابل المكاكيّ في الغداة ـ الوقت الذي يشير إلى التجمع وتجديد الحياة ـ السباع التي قد غَرِقَتْ في العشاء وهو الوقت الذي يدل على الليل والظلام ، فترة التوحش والهامشية ،

وما يؤكد تفسيرنا هذا لمعنى السباع الغَرْقَى تشبيهها بأنابيش العنصل ، أي أصول البصل البرّي .

وبالجملة ، نستطيع أن نستنتج من صورة العاصفة ومعانيها عناصر شعرية تعبّر عن عملية « التدنيس والتطهير » أو « الموت والبعث » التي هي ، كما لاحظت ماري دوغلاس ، من أسس طقوس العبور أيضاً .

ـ ختـــام ـ

أظن أنه يوجد في هذه الملاحظات ما يكفي لإثبات التشابه بين النموذج الثلاثي لطقس العبور وقالب القصيدة الثلاثي . فلنحاول أن نفسر أساس هذا التشابه وأن نستنتج منه بعض نتائج مفيدة . ويبدو لي أن التفسير السليم لتشابه هذين النموذجين هو أنّهما مظهران لبنية نموذجية مشتركة . ومعنى ذلك أن كلا هذين القالبين يعكسان نموذجاً نفسانياً ، حتى بيولوجياً ، لتطوّر الإنسان النفسي ـ الاجتماعي . وذلك أن المراحل الثلاث لهذين القالبين ترمز إلى المراحل الثلاث في التطور البشري : الطفولة والمراهقة والنضج . ومن الممكن للشعائر والفنون أن تعبر عن هذه التجربة الأساسية مباشرة أو شبه مباشرة ، بل أكثر من ذلك أن تتخذ هذه التجربة الأساسية نموذجاً مجازياً أو استعارياً للتعبير عن تجارب أخرى ، شخصيةً كانت أم جماعيةً ، سياسيةً كانت أم تاريخيةً . فإنّ افتراضَ وجود مثل هذا النموذج الأعلى وراء هذين الشكلين الطقسي والشعري سيفسّر لنا انتشار طقوس للعبور ذات بنية وحيدة في مختلف المجتمعات البشرية من جهة ، ومن جهة أخرى فانّه سيبرّر لنا سيطرة قالب القصيدة الثلاثي على الشعر العربي من ظهوره الأول في العصر الجاهلي حتى النصف الأول لقرننا هذا . ويبدو أنّ للشعائر وللأشعار وظيفةً مشتركة ، أو بعبارة أصحّ ، أنّ للشعر وجها شعائرياً . فحدّد

الأنثروبولوجيون الشعائر بأنّها نموذج سلوكي (behavioural pattern) فَقَدَ وظيفتَه الأصلية بيد أنّه لا يزال يتكرر من أجل تبليغ معلومات اجتماعية أساسية[٢٠] . وفي ذلك ما يذكّرنا بوصف ابن رشيق لوظيفة الشعر في العصر الجاهلي :

« وكان الكلام كلّه منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأنجاد ، وسمحائها الأجواد ، لتهزّ أنفسها إلى الكرم ، وتدلّ ابناءَها إلى حسن الشيم ، فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تمّ لهم وزنُه سمّوه شعراً ؛ لانهم شعروا به ، أي : فطنوا »[٢١] .

فنستطيع القول على هذا الأساس ان تكرار هذا النموذج الثلاثي في قصيدة بعد قصيدة يرجع إلى وظيفتها كقالب ملائم لتبليغ معلومات اجتماعية أساسية وللاحتفاظ بها .

ـ هوامش ـ

(١) ابن رشيق القيرواني ، « العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده » ، بيروت ١٩٧٢ ، ٢ : ١٤٧ .

(٢) ابن قتيبة ، « كتاب الشعر والشعراء » ، ليدن ١٩٠٢ ، ص ١٤ ـ ١٥ .

(٣) أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي ، « حلية المحاضرة في صناعة الشعر » .

(٤) انظر :

G . J . H . Van Gelder, **Beyond the Line: Classical Arabic Literary Critics on the** Coherence and Unity of the Poem, Leiden, 1982.

(٥) انظر :

Kemal Abu Deeb, **Al-Jurjani´ s Theory of poetic Imagery,** London, 1973, ch. 7; pp. 257-302.

, « Towards a Structural Ana lysis of Pre-Islamic Poetry, I » **International Journal of Middle Eastern Studies** 6 (1975): 148-84; part II «The Eros Vision» Ede-

biyat 1976: 3-69.

Adnan Haydar «The Mu - allaqa of Imru'al-Qays: Its Structure and Meaning» I and II, **Edebiyat** : 1977: 227-261; 1978: 51-82.

Van Gelder, **Op. Cit.**

(٦) محمد بن سلام الجمحي ، « طبقات فحول الشعراء » ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٢ .

(٧) Arnold van Gennep, **The Rites of Passage (Les rites de Passage)** Chicago, 1960; (Paris 1909).

(٨) Victor Turner, **The Ritual Process: Structure and Anti-Structure,** Ithaca, New York, 1977; PP. 94-95.

(٩) Victor Turner, **Op. Cit.**

(١٠) Mary Douglas, **Purity and Danger: An Analysis of Concepts of Pollution and Taboo,** London, 1966, PP. 96-97.

(١١) Pierre Vidal-Naquet, «The Black Hunter and the origin of the Athenian Ephebeia,» in R. L. Gordon, **Myth, Religion and Society: Structuralist Essays,** Cambridge, 1981, PP. 154-155.

(١٢) Claude Lévi-Strauss, **The Raw and the Cooked,** New York, 1969.

(١٣) Mary Douglas, **Op. Cit.**

(١٤) W. Robertson Smith, **The Religion of the Semites: Fundamental Institutions,** New York, 1957.

(١٥) Abu Deeb, «The Eros Vision,» p. 63; Adnan Haydar,«Structure and Meaning,» I; 243-244.

(١٦) Marcel Detienne, **The Gardens of Adonis: Spices in Greek Mythology,** tr. lioyd, Atlantic Highlands, New Jersey, 1977. Ch. 3.

(١٧) W. Robertson Smith, **Kinship and Marriage in Early Arabia,** Boston, n. d., p. 295.

(١٨) Henri Hubert and Marcel Mauss, **Sacrifice: Its Nature and Functions,** tr. Halls, Chicago, 1964.

(١٩) Marie Delcourt, **Oedipe ou la légende du conquérant,** Paris, 1944, PP. 71ff.

(٢٠) Walter Burkert, **Homo Necans: The Anthropology of Ancient Greek Sacrificial Ritual and Myth,** tr. Bing, Berkeley, California, 1983, PP. 22-29.

(٢١) ابن رشيق ، « العمدة » ١ : ٢٠ ، ٨٢ .

أسماء النجوم في الفلك الحديث

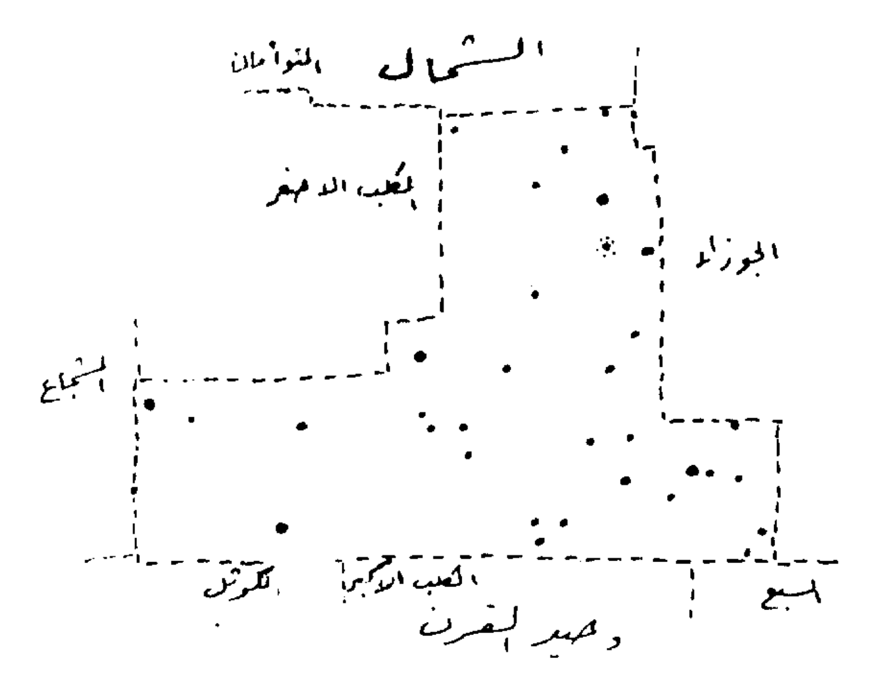
أصولها وتطوّرها

(القسم الرابع)

الدكتور : عبد الرحيم بدر

كوكبة وحيد القرن

MONOCEROS

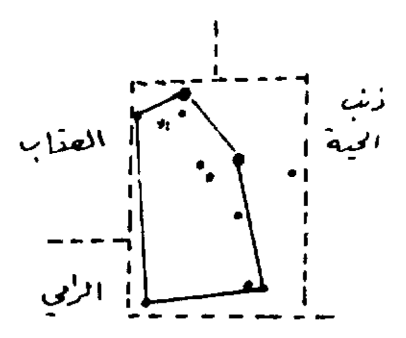


وضعت لتملأ الفراغ الكبير بين الكلبين والجوزاء والشجـاع . ترى في خارطة الشتاء . ليس لنجومها أسماء .

ترجع اهمّيتها لوجودها في نهر المجرة ، ولوجود عناقيد من النجوم فيها .

كوكبة الترس

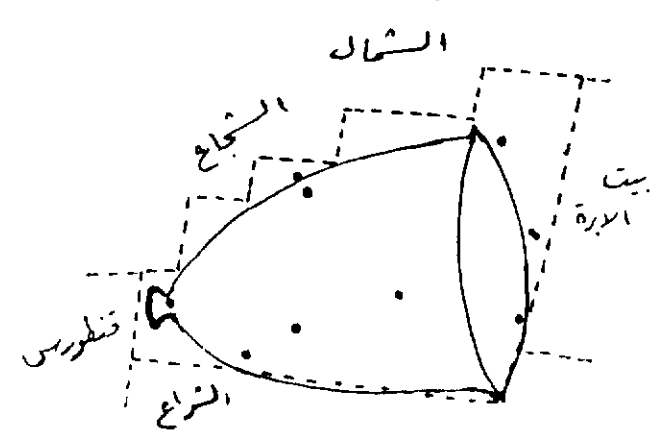
SCUTUM



يرى موضعها في خارطة الصيف بين ذنب الحيّة والعقاب والرامي . تتميّز بوقوعها في المجرة وكثرة ما فيها من سدم وعناقيد . ليس لنجومها اسماء . قدّر السير وليام هيرشل بالمرقب أن النجوم التي تقع ضمن حدودها تبلغ (٣٣١٠٠٠) نجما .

كوكبة مفرّغة الهواء

ANTLIA

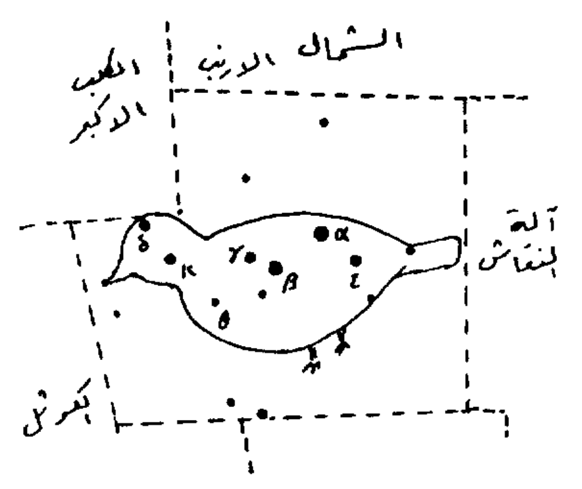


يرى موضعها في خارطة الربيع الى الجنوب من الباطية والشجاع . ويكاد يكون وسطها خالياً من النجوم ، اذ انتشرت على حدودها . ومن شكلها هذا كان اسمها .

ليس لنجومها أسماء .

كوكبة الحمامة

COLUMBA



وتسمّى حمامة نوح لوقوعها فوق الكوثل الذي هو جزء من السفينة .

ترى في خارطة الشتاء جنوبيّ الارنب وغربيّ الكلب الاكبر . ونجوم الكوكبة كلّها هي في الاصل من صورة الكلب الاكبر وكانت تسمّى (الفرود) وقد تسمّى (الاغربة) أيضا . (انظر كوكبة الكلب الاكبر) .

وقد كتبت على الصورة أسماء النجوم بالاحرف اليونانية ليستطيع القارئ مقارنتها مع صورة الصوفي والفرود التي فيها .

الفا الحمامة ... تسمّى في بعض الاطالس phact أو phaet أو phad .

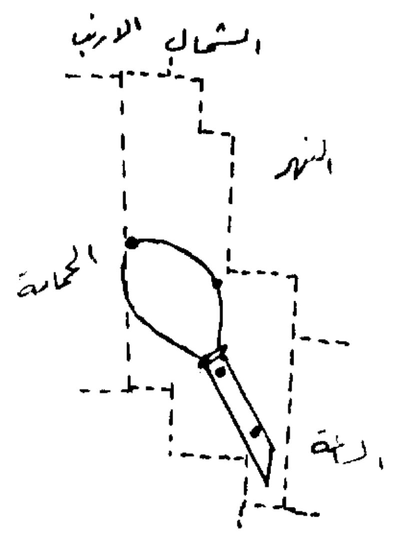
ولا يعلم اشتقاق هذا الاسم الحديث من أين أتى . وقد مرّ بنا حين أُطلق على (غاما الدب الاكبر) . وهو في الصورة التي رسمتها للحمامة ليس على الفخذ ، وانما في أعلى الظهر . يبدو أن الفلكيّ الذي اطلق هذا الاسم رسم صورة أخرى . بيتا الحمامة ... تسمّى في بعض الاطالس Wezn أو Wazn .

وقد مرّ بنا أن كلمة Wezen تطلق على (دلتا الكلب الاكبر) .

والذي سمى بيتا الحمامة بهذا الاسم ، كان يفترض أن ألفا وبيتا الحمامة هما من جملة النجوم التي يخطئ الانسان أنهما حضار والوزن ، فهما محلفان ومحنثان . وهذا افتراض خاطئ لأنهما نجمان من القدر الثالث ولا مجال للخطأ بينهما وبين نجمين آخرين من القدر الأول .

كوكبة آلة النقّاش

CAELUM

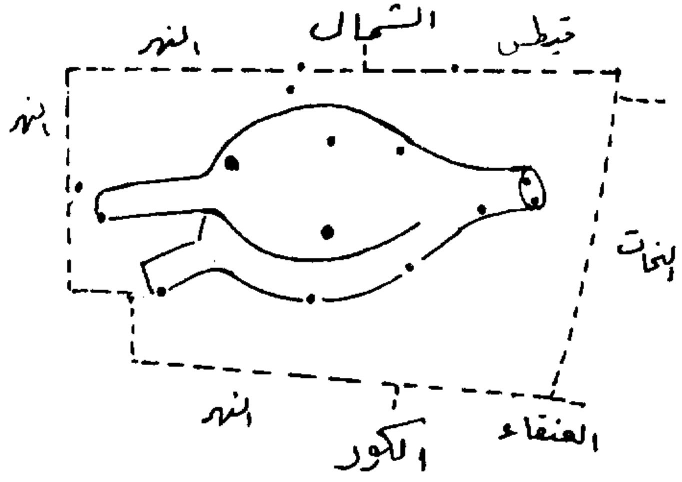


يرى موضعها في خارطة الشتاء ، الى الغرب مباشرة من الحمامة .

ليس لنجومها أسماء .

كوكبة الكور

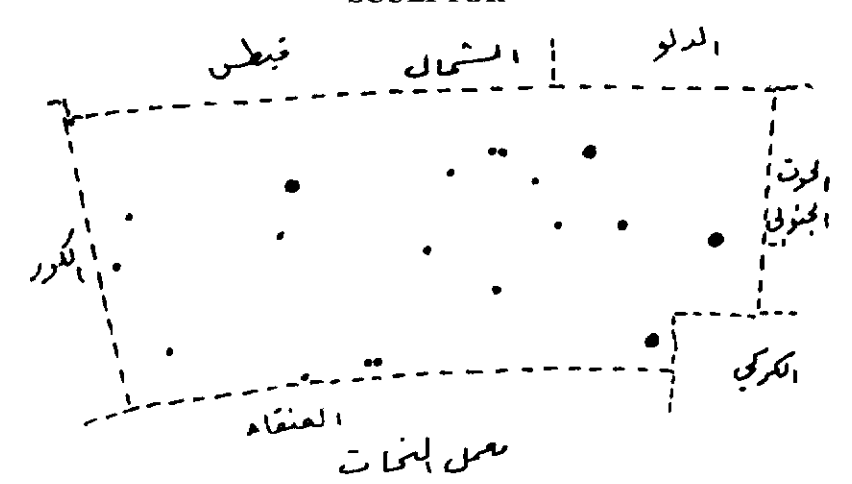
FORNAX



تظهر في خارطتي الشتاء والخريف غربيّ النهر .

كوكبة معمل النحات

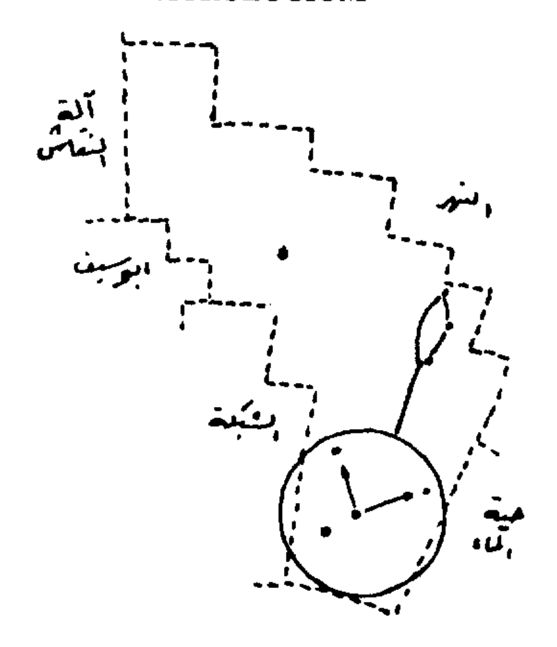
SCULPTOR



كوكبـة خفيـة النجوم ، جنوبي قيطس والـدلو . يظهر موضعهـا في خارطة الخريف وخارطة الشتاء .

كوكبة الساعة

HOROLOGIUM



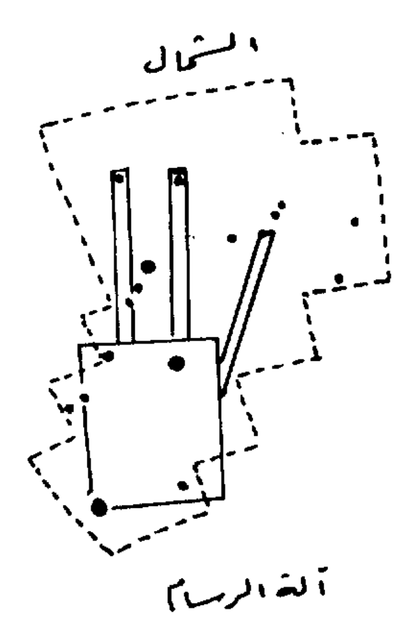
الســاعة

ترى في خـــارطتي الشتـــاء والخريف ، في اقصى الجنـوب . اكثر نجم لمعانا فيها هو (بيتا) من القدر الثالث . ليس لنجومها أسماء .

كوكبة آلة الرسّام

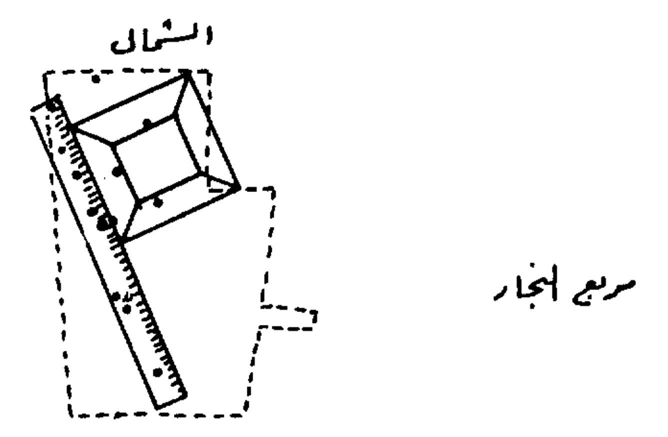
PICTOR

يرى موضعها في خارطة الشتاء ، جنوبيّ الحمامة .



كوكبة مربع النجّار

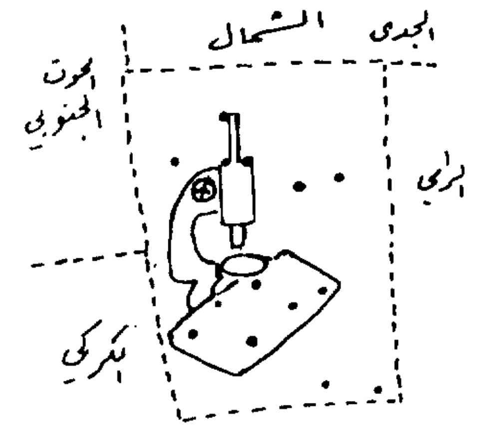
NORMA



يرى موضعها في خارطة الصيف بين السبع والمجمرة ، جنوبي العقرب .

كوكبة المجهر

MICROSCOPIUM

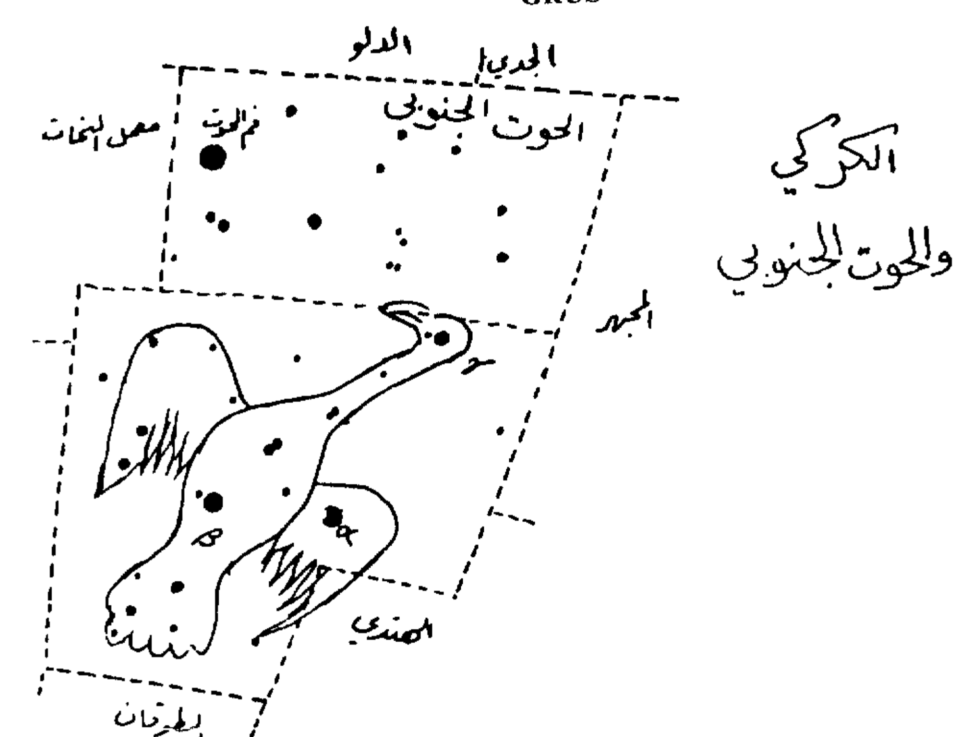


المجهر

ترى في خـــارطتي الصيف والخريف ، الى الشرق من الرامي والى الجنوب من الجدي .

كوكبة الكركيّ

GRUS

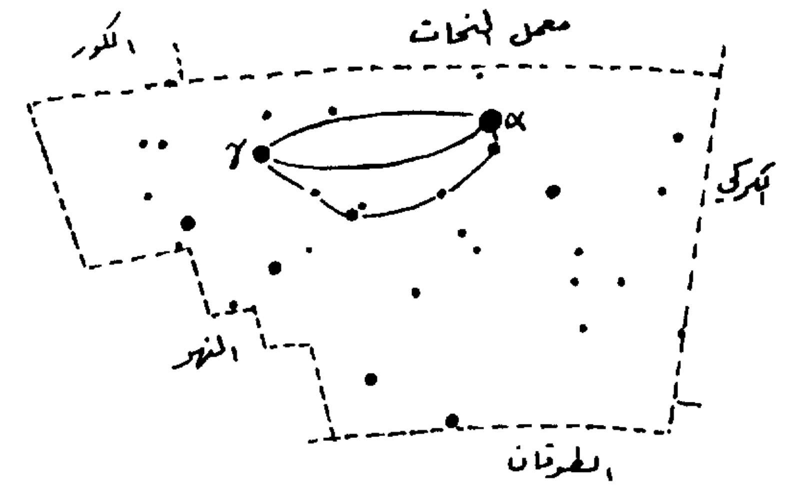


يظهر موضعها في خارطة الخريف وتبدو صورتها في كوكبات الدائرة القطبية الجنوبية ، الى الجنوب مباشرة من (الحوت الجنوبي) . وقد رسمت هنا خارطة الحوت الجنوبي في اعلاها لاظهار العلاقة بينهما ، اذ أنها كانت تعتبر جزءا منه في الفلك القديم .

غاما الكركي .. هي الذنب عند التزيني ، أي ذنب الحوت الجنوبي ، مع أنها الآن في عين الكركي	Al Dhanab
الفا الكركي .. هي النيّر في ذنب الحوت الجنوبي عند التزيني	Al Náir

كوكبة العنقاء

PHOENIX



العنقاء

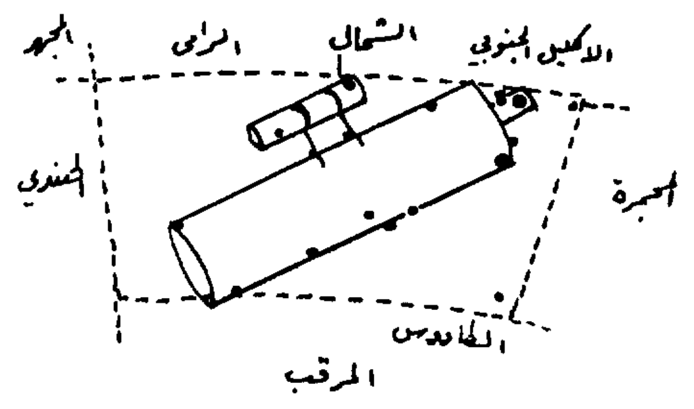
يظهر موضعها في خارطة الخريف . ويظهر أيضا في خارطة الكوكبات التي تحفّ بالقطب الفلكي الجنوبي ، حيث رسمت لها صورة طير خرافيّ . أما هنا فقد رسمت شكل زورق على نجومه التي عرفتها العرب بهذا الاسم .

واذا راجعت الحديث عن كوكبة (النهر) تجد الصوفي يقول : وبين الظليم والظليم الـذي على فم الحـوت ، كـواكب كثيرة بـلا نهـايـة تسمّى (الرئـال) وهي فراخ النعـام . فـالرئـال إذن تشمل كلّ نجوم (العنقـاء) وقسما كبيرا من (الكركي) وبعض نجوم (معمل النحات) .

الفا العنقاء .. نيّر الزورق عند التزيني Nàir Al Zaurak

كوكبة المرقب

TELESCOPIUM



يرى موضعها في خارطة الصيف ، الى الجنوب من الرامي .

الكوكبات التي تقع حول القطب الفلكي الجنوبي

إننا لا نرى هـذه الكوكبـات عـادة من البلاد العربيـة ، كما لم يرهـا اجدادنا من قبل . ولهذا يحق لنـا أن نطلق عليهـا اسم « النجوم الابـديـة الاختفاء » قياسا على النجوم التي تحيط بالقطب الفلكي الشمالي التي نطلق عليها اسم « النجوم الابدية الظهور » .

وكلّما سـار المرء الى الجنوب ، اخـذت « النجوم الابـديـة الاختفـاء »

تتكشّف له شيئا فشيئا ، حتى إذا وصل خط الاستواء أصبح يراها كلّها ، أما إذا تجاوز خط الاستواء الى الجنوب ، فإن النجوم الواقعة حول القطب الفلكي الشمالي تبدأ بالاختفاء .

ولا ننتظر أن نجد أسماء عربية في هذه الكوكبات الجنوبية الابدية الاختفاء .

وقد رسمت خارطة لهذه الكوكبات ورسمت عليها الاشكال التي اسعفني بها خيالي .

كوكبة الثمن **OCTANS**

فيها النجم (سيغما الثمن) يحدد القطب الفلكي الجنوبي ، إذ يبعد عنه ثلاثة أرباع درجة فقط . وهو من القدر السادس .

طائر الفردوس **APUS**

كوكبة الحرباء **CHAMAELEON**

كوكبة البيكار **CIRCINUS**

قريبة من قدمي قنطورس ، جنوبي السبع ومربع النجار .

كوكبة ابي سيف **DORADO**

كوكبة الهندي **INDUS**

كوكبة حية الماء **HYDRUS**

كوكبة الجبل **MENSA**

كوكبة الذبابة **MUSCA**

كوكبة الطاووس **PAVO**

جنوبيّ الرامي والاكليل الجنوبي

كوكبة الطوقان	**TUCANA**

جنوبي العنقاء مباشرة

كوكبة المثلث الجنوبي	**TRIANGULUM AU STRALE**
كوكبة الشبكة	**RETICULUM**
كوكبة السمكة الطائرة	**VOLANS**

أطلس للسماء

إن دراسة الكوكبات التي رسمها الصوفي دون ربطها بحقيقتها التي توجد عليها في السماء ، ستكون بحثاً أكاديمياً نظريّا لاعلاقة له بالفلك الحديث ، اللهمّ الاّ مجرد ذكرى . غير أن الأمر في الواقع غير ذلك . فالسماء التي تحدث عنها الصوفي هي نفسها التي تظللنا الآن . والنجوم التي وصفها هي النجوم نفسها ، وهي لاتزال في مواضعها لم يحدث عليها تغيير ـ وإذا حدث شيء من ذلك فهو طفيف جدّاً لا يؤثّر في هذا البحث ولا تلاحظه العين المجردة .

ولهذا رأيت أن أرسم هذا الأطلس عن خرائط حديثة للسماء ، وأن أرسم عليه صور الكواكب التي رسمها الصوفي ، لكي يكون باستطاعة القارئ تطبيق معلوماته النظرية على الحقيقة الواقعة .

والخرائط الأربع التالية تظهر كلّ نجوم السماء التي يشاهدها الانسان في الدول العربية عبر أيام السنة . وكلّ خارطة تظهر نجوم فصل من الفصول .

وحين يريد القارئ دراستها ، عليه أن يختار خارطة الفصل الذي هو فيه ، وأن يولّي وجهه شطر الجنوب ، ويمسك بالخارطة فوق رأسه . سيجد أن الخارطة تظهر له نجوم السماء الموجودة في القبة الفلكية فوق رأسه .

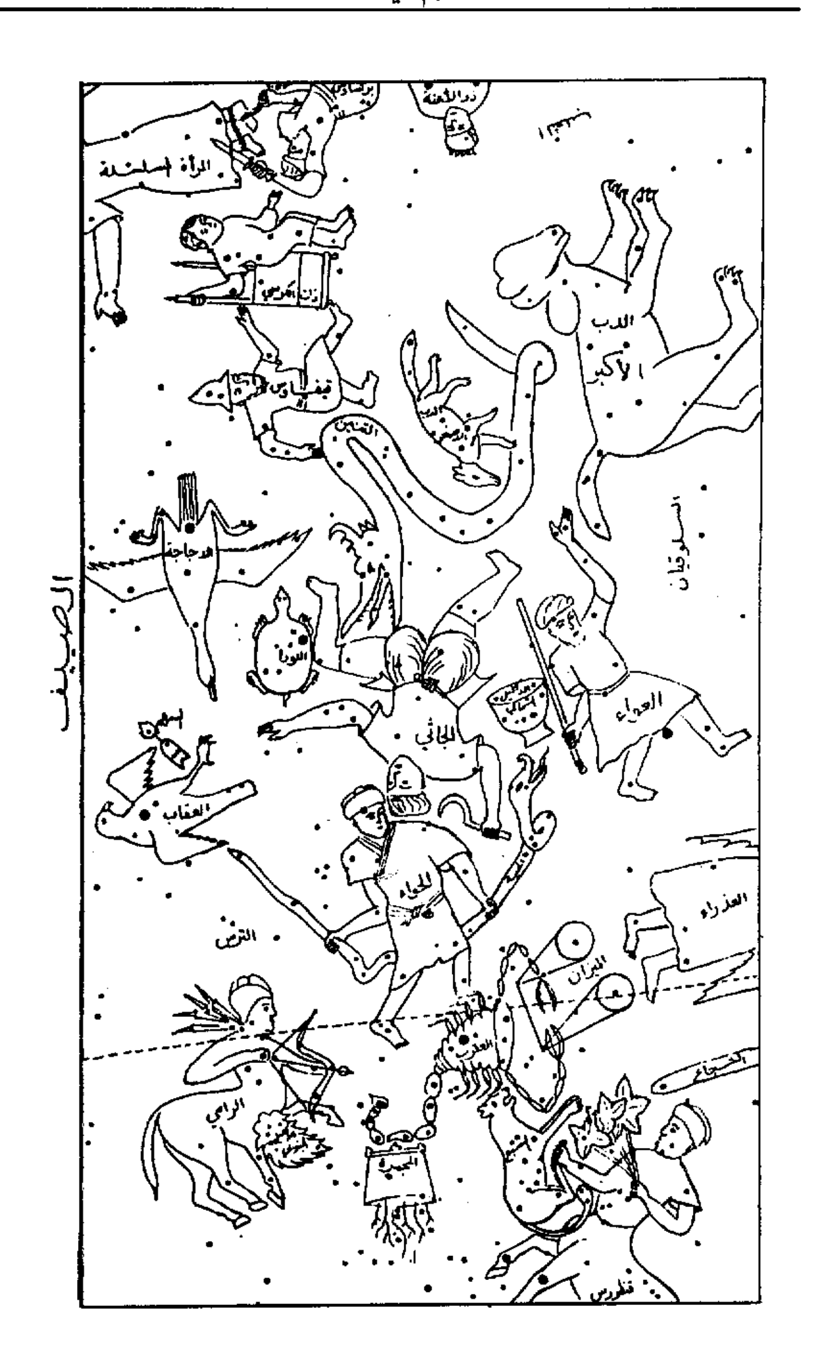
وقد كتب على كلّ خارطة اسم فصل من الفصول . ومعنى هذا أن النجوم التي ستظهر له هي نجوم ذلك الفصل . إلا أنني أودّ أن ألفت الانتباه الى أن القبّة السماوية تتحرّك حركة ظاهرية من الشرق الى الغرب . ومن المفروض أن يرى الراصد النجوم الموجودة في الخارطة في الأمسيات بعد غياب الشمس . ولكنه إذا جاء متأخّراً عن الموعد بستّ ساعات مثلا ، فسيجد أن نجوم ذلك الفصل قد تحركت الى جهة الغرب ، وأن نجوم الفصل السابق قد احتلت موضعها في السماء . وقد يأتي للرصد في وقت تكون فيه النجوم في السماء مشتركة بين فصلين ، وعليه في هذه الحالة أن يتابع الرصد في خارطتين . فالكوكبات مشتركة بين الخرائط وسيرى أن بعض الصور منقسمة بين خارطتين .

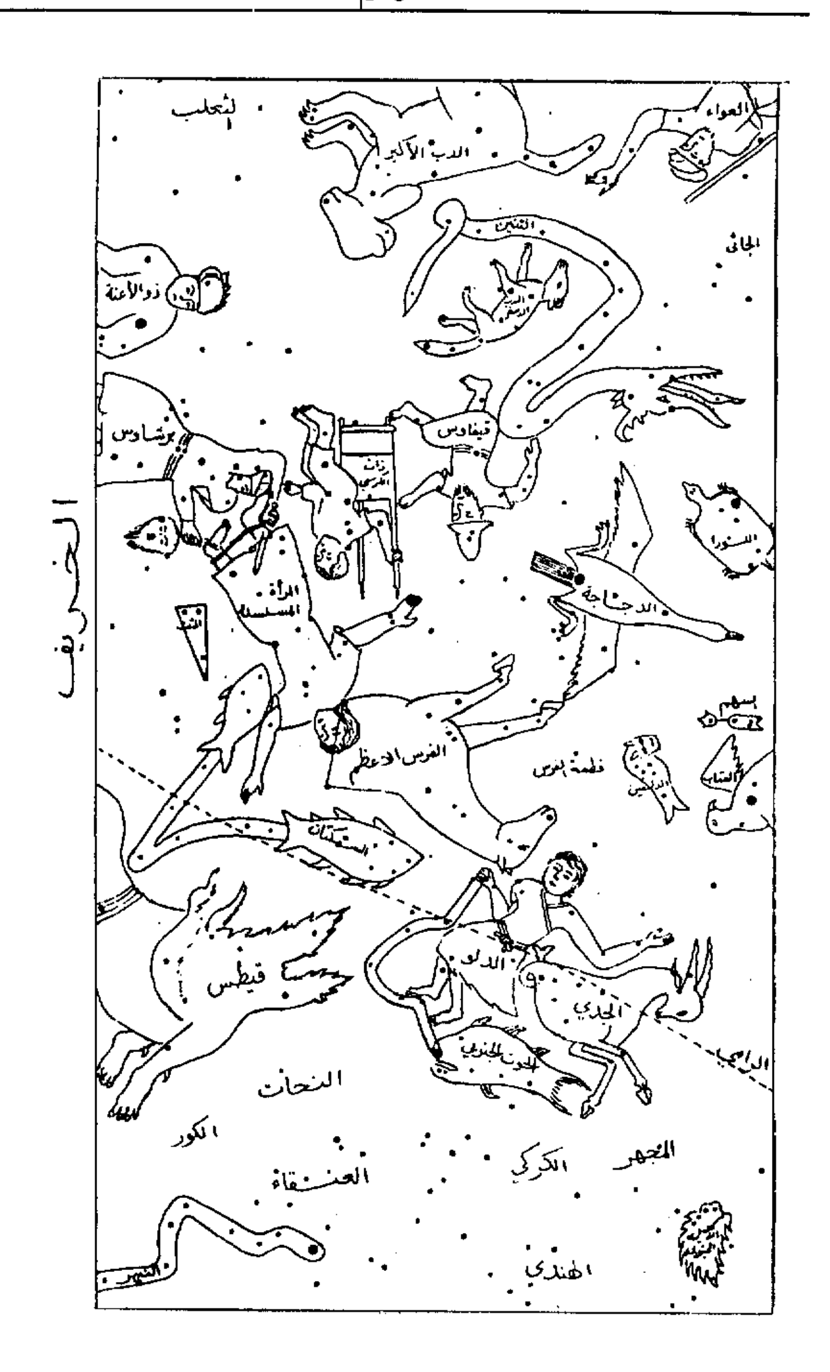
ولكن الراصد إذا اهتدى الى كوكبة واحدة في السماء فإنه يستطيع أن يستدلّ بها على الكوكبات الاخرى ، ببعض التؤدة والصبر . وإذا وجد الراصد صعوبة في العثور على كوكبة يبتدئ بها ، فإني أنصحه بالابتداء بكوكبة الدب الاكبر والتفتيش على النجوم السبعة اللامعة التي يسميها العرب « بنات نعش الكبرى » . قد يكون حسن الحظ إذا بدأ يرقبها في أمسيات الربيع ، فسيراها متلألئة في شمال السماء كما هي في الخارطة . أما إذا جاء إليها في مساء يوم من أيام الشتاء ، فعليه أن ينتظر عددا من الساعات حتى تظهر في كبد السماء كما هي في الخارطة .

إن أيّ خارطة من الخرائط التالية ستأخذ بالتقدم إلى الغرب شيئاً فشيئاً ، حتى تحلّ محلّها في السماء خارطة الفصل السابق بعد ست ساعات . فإذا كنت تنظر إلى خارطة الربيع في الساعة التاسعة مساء ، فستجد أن خارطة الشتاء قد حلّت محلها في الثالثة صباحاً . وهكذا .

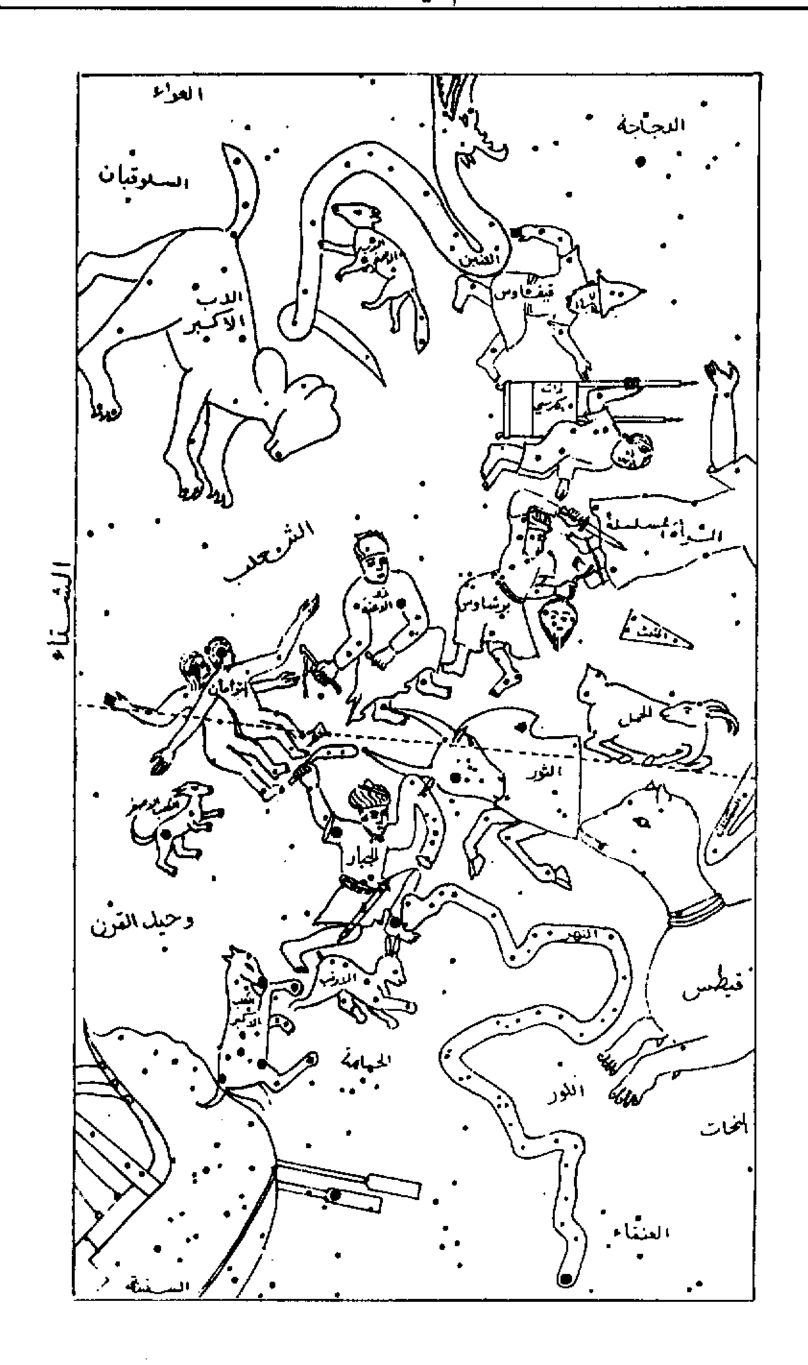
وأخيراً أرجو من الراصد أن يتسامح عن التفلطح الذي يبدو في الصور التي هي في أعلى الخارطة أو في أسفلها ، وذلك أمر حتمي عندما نرسم سطحا كرويّا على ورقة مسطحة على طريقة مساقط مركاتور .

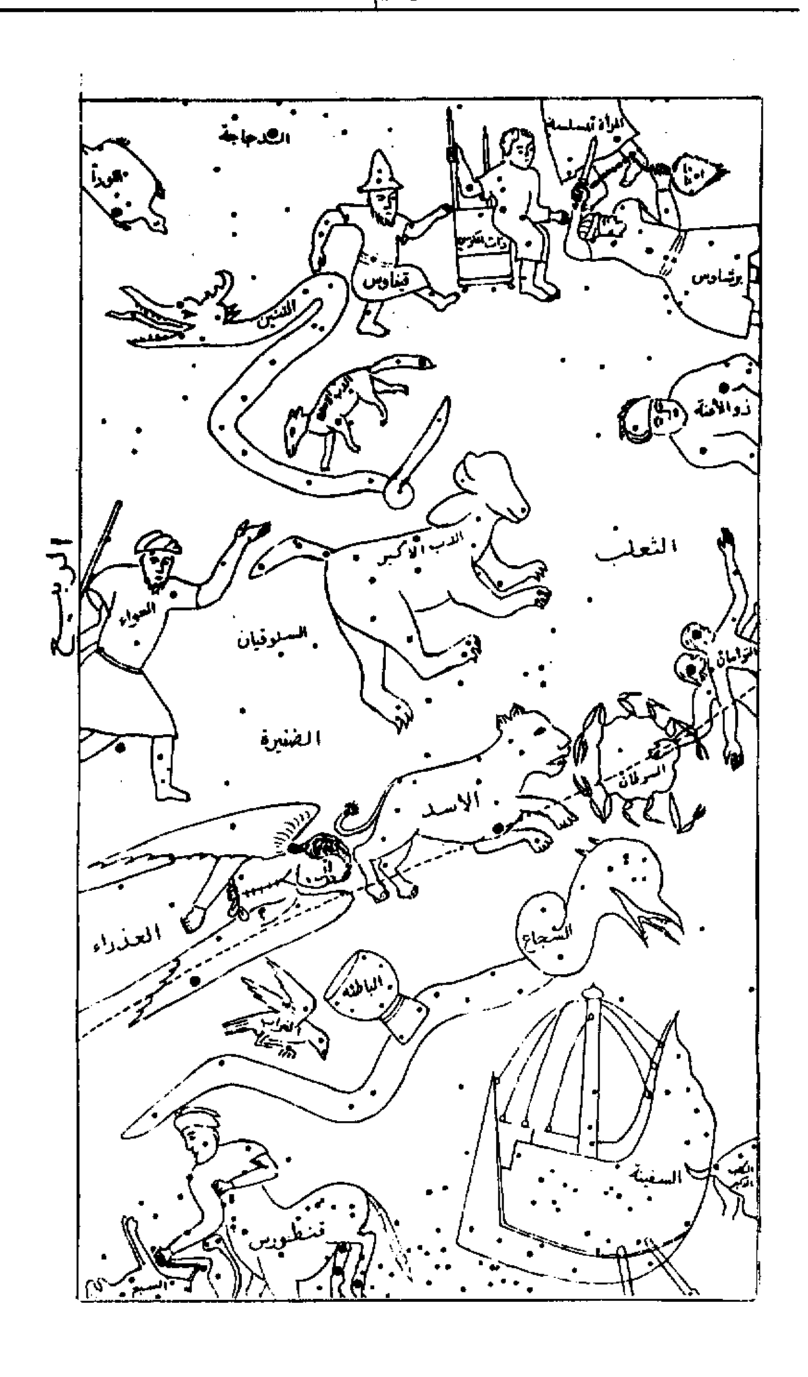
الدكتور عبد الرحيم بدر





الخريف
العواء
الدب الأكبر
التنين
الجاثي
ذو الأعنة
برشاوس
قيفاوس
المرأة المسلسلة
الدجاجة
الفرس الأعظم
قطعة الفرس
سهم
العقاب
السمكتان
قيطس
الدلو
الجدي
الحوت الجنوبي
الكور
العنقاء
الكركي
المجمر
الهندي
النهر




الدجاجة
الجوزاء
قيفاوس
ذات الكرسي
المرأة المسلسلة
برشاوس
التنين
ذو الأعنة
الدب الأكبر
الثعلب
العواء
السلوقيان
التوأمان
الضفيرة
السرطان
الأسد
العذراء
الشجاع
الباطية
الغراب
السفينة
قنطورس

المعجمات الطبية

الدكتور نشأت حمارنة

- ١ -

عراقة التقاليد الطبية في بلادنا

لقد كان الطبّ من أسبق العلوم التي استحوذت على اهتمام الإنسان القديم إن لم يكن أسبقها جميعاً ، ذلك أن الصحة والمرض كانتا وما تزالان أهم مايشغل بال الإنسان لتأثيرهما المباشر عليه ، ولذلك فهما تعنيانه أكثر مما يعنيه أي شيء آخر . فاختلاف الليل والنهار وتعاقب الفصول وظاهرات الطبيعة جميعاً : حركات الكواكب والأمطار والفيضانات والبرد والحر حازت قدراً كبيراً من تفكير الإنسان في فجر التاريخ ، ولكن مسائل الموت والحياة والمرض والصحة كانت أكثر إلحاحاً على فكره ، وبالتالي فلا عجب أن نجد أن أقدم الوثائق التي نمتلكها عن فجر العلوم عند الإنسان هي وثائق متعلقة بالطبّ ، ذلك أنه حينما عرف الإنسان التدوين سارع إلى كتابة المعلومات التي أخذها عن أسلافه والتي كان يخشى عليها من النسيان . وفي مقدمة هذه الثروة العلمية البدائية تأتي الوصفات الطبيّة التي أثبتت جدواها في معالجة بعض الحالات المرضية الشائعة .

وهكذا دخل الطبّ في مرحلة التدوين بعد أن كان لعدة ألوف من السنين في مرحلة الممارسة ينتقل شفوياً من جيل إلى آخر . وقد وصلت إلينا وثائق طبية من الحضارات الأقدم ، وأهمّ هذه الوثائق هي وثائق

الطب المصري القديم . وقد انتهت علوم الأقدمين (المصرية والبابلية) إلى اليونان الذين جمعوها وأضافوا إليها وأغنوها . وفي العصر الهلنستي الذي يتميز بوصول اليونان كقوة عسكرية وحضارية إلى بلاد الشرق القديم (مصر وسورية وبلاد مابين النهرين وفارس) أتيح للعلوم اليونانية الآتية من الغرب أن تمتزج بعلوم الشرق القديم العريقة .

لقد جاء الطب اليوناني إلى الشرق حاملاً معه إلى جانب مكوّناته الأصلية العناصرَ ذات الأصل الشرقي ، التي لم تكن غريبة عن البلاد ولا عن الممارسة الطبيّة الشائعة عند السكان .

ولما جاء العصر الروماني كان طبيعياً أن يستمر ازدهار العلوم الطبيّة في شرق الامبراطورية . كما أنه لم يكن من المعقول أن تصل هذه العلوم في الغرب الأوروبي إلى المستوى الذي وصلته في الشرق الآسيوي والإفريقي ، الذي لم يغب عنه مشعل العلم عبر العصور .

وليس من باب المصادفة أن تزدهر المدارس الطبيّة في الإسكندرية وجنديسابور وأنطاكية ، بينما لا نجد لها في الغرب أية نظائر . وقد ترعرعت بعض هذه المدارس في كنف الأديرة المنتشرة انتشاراً واسعاً في العراق والشام ، وأصبحت بؤراً للمعرفة : ساهمت في نشر العلوم الطبية على أساس من المعرفة النظرية ، كما أمنت للأطباء ـ الحكماء التعرف على ما يلزمهم من العلوم الأساسية الضرورية لثقافتهم العامة في حقول الفلسفة وعلوم الطبيعة .

ومن الطبيعي في هذا الجو العلمي أن تترجم كتب الفلسفة والطب والعلوم عامّة من اليونانية إلى السريانية لغة البلاد العريقة .

ولذلك فإنه حينما جاء الإسلام إلى الشام والعراق وجد الطبّ متقدماً في هذه البلاد ، وقد وصل إلى أعلى مستوياته في ذلك العصر ، سواء من حيث الممارسة العملية ، أو من حيث المعرفة النظرية .

وفي المرحلة التالية حينما اندمجت أمم عديدة في الدولة الإسلامية ، وأصبحت اللغة العربية لغة المعرفة والعلوم ، وأضحت الاتصالات متوفرة بين أرجاء العالم القديم صار لزاماً أن تنتقل العلوم تدريجياً إلى العربية ، كما أصبح من الضروري إيجاد الوسائل التي تسهل التفاهم بين الشعوب المختلفة التي ائتلفت في الدولة الإسلامية الناشئة .

فأسماء العقاقير والأعشاب الطبية التي تختلف من لغة إلى لغة ، ومن قطر إلى آخر وجَبَ أن يوضع لها معجم عديد اللغات يسهّل على الأطباء ممارستهم .

وإضافة إلى ذلك فإن الترجمة من اليونانية إلى السريانية قبل الإسلام وبعده ، ومن اليونانية والسريانية إلى العربية بعد الإسلام حتّمت على التراجمة إيجاد مصطلحات علمية ثابتة ، ذات مدلول فنّي متخصص . وقد خضعت اللغة السريانية حكماً إلى هذه التجربة قبل اللغة العربية بسبب أنها كانت لغة العلم في العراق والشام ثم في الأحواز منذ القديم ، وبسبب الظهور المبكّر للترجمات الطبيّة اليونانية إلى هذه اللغة في الإسكندرية وجنديسابور .

وإذا كان عصر ترجمة العلوم اليونانية إلى العربية قد ازدهر في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، فلا شك أنه بدأ قبل ذلك ، ويكفي للتدليل على هذا أن نعرف مدى اطّلاع جابر بن حيان الذي عاش في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي على العلوم اليونانية .

وقد أصبحنا نمتلك اليوم الوثائق التي تثبتُ مانذهب إليه ـ في حقل الترجمات الطبية ـ ، فممارسةُ الطب لابد أن تعتمد ـ ولو جزئياً ـ على التدوين ، إن لم يكن تدوين الفكرة والملاحظة فتدوين الوصفة الطبية : اسم العقار الداخل في تركيبها ، ومقدارُه ، وطريقة تحضيره ، وأسلوب ادخاله في الدواء . فالممارسة كانت سابقة ـ لا شك في ذلك ـ ولكن التدوين لابدّ أن يكون قد حصل ولو بشكل بدائي في مرحلة مبكرة من حياة الدولة الإسلامية . فإذا كان عصر بني أمية لم يعرف الترجمات الطبية بالمعنى العلمي والواسع ، فقد تكون بعض الملاحظات قد دوّنت بالعربية . وإذا افترضنا أن الأطباء دوّنوا هذه الملاحظات باليونانية أو السريانية وليس بالعربية فلا بدّ أن نفترض أن اللغة العربية قد استعملت في التفاهم بين الطبيب والمريض في كل مرة كان المريض فيها عربياً ، والطبيب غيرَ عربي اللسان . لا شك أن الطبيب قد حاول أن يشرح للمريض تفصيلات عن مرضه بالعربية ، وهذا يستدعي أن يعبّر الطبيب بالعربية ، وأن يحاول ترجمة أفكاره المتعلقة بأسماء الأمراض أو العلامات أو الأدوية إلى العربية .

وإذا لم نقبل أن يكون هذا التفاهم قد حصل بين الطبيب والمريض بالعربية في كلّ مرة .. فلا بدّ أنه حصل أحياناً . وهذا يكفي لكي تبدأ هذه العملية العقلية .. عملية نقل الأفكار والمسمّيات الطبية إلى العربية . وهذا كله لابدّ أنه سبق عصر الترجمة الرسمي الذي يبدأ في عرف مؤرخي الطب التقليديين وبعض المستشرقين في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، والذي ـ إذا تساهل بعض هؤلاء ووافقوا أن يكون هذا العصر ـ قد بدأ مبكراً فإنهم يحدّدون له بدء عصر المأمون أو عصر الرشيد ، وفي أحسن الأحوال عصر المنصور . ونحن نذهب إلى أقدم من هذا

بكثير . إلى العصر الذي اختلط العرب فيه بأبناء عمومتهم السريان في الشام والجزيرة ، وذلك قبل الإسلام .

- ٢ -

بداية التدوين الطبي بالعربية

تعود أقدم المدوّنات الطبية العربية التي وصلت إلينا إلى أوائل العصر الأموي . فقد قام ماسرجويه البصري في عهد مروان بن الحكم بترجمة كنّاش أهرن القس من السريانية إلى العربية . ثم أضاف ماسرجويه إلى هذا الكتاب مقالتين من تأليفه ، وقد ضاع هذا الكتاب فلم يصل إلينا .

ويقتبس الرازي في الحاوي كثيراً عن كتاب أهرن ، كما يقتبس عن هاتين المقالتين مشيراً إليهما بكلمة (قال اليهودي) ، وذلك تمييزاً لماسرجويه اليهودي عن مؤلف آخر مسيحي من جنديسابور يحمل الاسم نفسه . وفي الحاوي : نجد أيضاً مقتبسات لعدد من المؤلفين الذين عاشوا في القرن الثامن الميلادي ، أو في أواخر القرن الثامن وبداية القرن التاسع وضاعت أعمالهم .

وهذه المقتبسات عديدة ، وإذا قمنا بجمعها وتحليلها فإننا سنكون قادرين على معرفة المصطلحات الطبية والتعبيرات الفنية التي استعملت قبل عصر الترجمة أي قبل عصر يوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق(القرن التاسع الميلادي) . وأهمية هذه المقتبسات تأتي من أنها ستتيح لنا التعرف على المحاولات الأولى للكتابة بالعربية في حقل العلوم الطبية ، وذلك لندرة الكتب التي وصلت كاملة من تلك الحقبة ، كما أنها ستمكننا من معرفة المساهمة الحقيقية ليوحنا بن ماسويه وحنين بن إسحاق

في مجال الإصطلاحات الطبية .

وسنكون بعدها قادرين على الإجابة على الأسئلة التالية :

١ ـ ما هي الإصطلاحات الطبية التي استعملت قبل عصر حنين ؟
٢ ـ هل كانت هذه الإصطلاحات تختلف بين مؤلف وآخر ؟
٣ ـ إلى أيّ مدى تبنّى ابن ماسويه هذه الاصطلاحات ؟ وإلى أي مدى كان مستقلاً في تعبيراته ؟
٤ ـ ما هي المساهمة الحقيقية لحنين بن إسحاق في وضع هذه المصطلحات وتثبيتها وإيصالها إلى مؤلفي نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر ؟

☆ ☆ ☆

وإذا أردنا أن نسمّي بعض هؤلاء المؤلفين على سبيل المثال ، فإننا نذكر :

١ ـ تياذوق : الذي كتب كنّاشا طبياً وكتاباً في إبدال الأدوية .
٢ ـ أبو جريج الراهب : الذي اقتبس الرازي من ثلاثة كتب له : إصلاح الأدوية ، في المسهلات ، تذكرة للنقرس .
٣ ـ جرجيس بن بختيشوع : الذي كتب كنّاشا في الطبّ نقله حنين بن إسحاق من السريانية إلى العربية .
٤ ـ بختيشوع بن جرجيس : وله كناش مختصر ، وكتاب التذكرة .
٥ ـ جابر بن حيان : وقد كتب عدداً من المؤلفات في حقل الطب لم تصلنا ، ولكن أجزاء منها حفظت في كتابه (إخراج ما في القوى إلى الفعل) .
٦ ـ ماسرجويه الجنديسابوري : وكان يترجم من السريانية إلى العربية ، وترك عدداً من المؤلفات الطبية .

٧ ـ يحيى بن البطريق : الذي لم يكن يعرف العربية حقّ معرفتها ـ كما يقول ابن أبي أصيبعة ـ وله كتاب : السموم .

٨ ـ عيسى بن حكم : صاحب الكناش الكبير ، وقد عرف باسم : مسيح الدمشقي .

وسواءً أكان هؤلاء يترجمون نصوصاً طبية قديمة أو يكتبون أفكاراً طبية سائدة في عصرهم فلا بدّ لهم من استعمال مصطلحات طبية فنية . هذه المصطلحات يمكننا أن نجمعها من الفقرات المقتبسة التي حفظها الحاوي ، والتي يصل عددها إلى المئات . كما يمكن لبعض الكتب أن تكون قد وصلت إلينا كاملة كما هي الحال في كتاب جابر بن حيّان .

وإذا كان من الصعب دراسة هذه الحقبة من وجهة نظر (تاريخ الطبّ) : استعراض هؤلاء المؤلفين ، ومعرفة المزيد عن حياتهم وأعمالهم ، والبحث في قيمة مؤلفاتهم ، ودورهم في تطور الطب العربي في بداياته ، فإنه لاشك أصعب بكثير تقييم هذه الفترة من وجهة نظر (اللغة) ودراسة مصطلحات هذه الحقبة . والسبب في ذلك أن لغة هذه النصوص التي وصلتنا ليست بالضرورة لغة هؤلاء المؤلفين ، وبالتالي فإن المصطلحات الواردة فيها قد لا تكون من وضعهم .

فماسرجويه الجنديسابوري كان ترجماناً ينقل من السريانية إلى العربية ، فالأرجح أن يكون قد كتب مؤلفاته الطبية بالعربية لغة العلم الجديدة . وعلى عكس هذا تماماً كتب جرجيس بن بختيشوع باللغة السريانية التي كانت سائدة في مدرسة الطب في جنديسابور ، ونقل حنين كتابه إلى العربية ، وعلى ذلك فإن لغة المقتبسات المنسوبة إلى جرجيس هي لغة حنين . ويحيى بن البطريق لم يكن يعرف العربية حق

معرفتها ، فهل وصلتنا مقتبساته بلغته أم أنها تعرضت للتعديل من قبل آخرين ؟

وهذا شأن كلّ المؤلفين الآخرين ، كلٌّ له حالة متميزة .

خلاصة القول : إن هذه المقتبسات لم تخضع بعد للدراسة اللغوية والتاريخية المرجوة ، وسوف يمرّ زمن طويل قبل أن تتأمن الشروط الموضوعية اللازمة لمثل هذه الدراسة ، والتي تقتضي توفر الأصول الإغريقية والسريانية التي استعملها هؤلاء الأطباء .. وتتطلب هذه الدراسة بطبيعة الحال وجود الفريق العلمي المتخصص والمؤهل لهذه الغاية ، والذي يجب أن يضمّ اللغويين إلى جانب مؤرخي الطبّ العارفين باللغات اليونانية والسريانية والعربية ، والعارفين بأدقّ التفصيلات حول ملابسات تلك الفترة الهامّة من تاريخ العلوم .

- ٣ -

المعجمات الطبية الباكرة

مع استقرار الحياة في الدولة الإسلامية الناشئة ، ونتيجة للفتوحات وانضواء الأمم العديدة تحت راية الإسلام ، أتيح لمراكز العلم المنتشرة في العالم القديم أن يتصل بعضها ببعضها الآخر ، وأن تتبادل المعرفة وبالتالي أن تتبادل التأثير ـ كما يقول سزكين ـ ، وعلى ذلك فإن التطور الذي حصل في هذه المراكز والذي كان محدوداً بسبب ظروف العزلة قبل الإسلام دخل الآن في مرحلة جديدة بسبب التفاعل الذي وقع بين هذه المراكز . فبغداد أصبحت على صلة بعلماء الإسكندرية وجنديسابور وأنطاكية وحرّان . واستقدمت الكتب الهامة التي لم تكن متوفرة في الشام ومصر من بيزنطة ، وبدأ عصر الترجمة بكل زخمه .

وفي بداية هذه المرحلة ظهرت المعجمات الطبية العديدة اللغات لتسهل على الأطباء والتراجمة أعمالهم ، فالرازي يحفظ لنا في « الحاوي » اسمين من أسماء هذه الكتب .. أحدهما ظهر في مدرسة جنديسابور ، والآخر كتبه بختيشوع ، وليس من الصعب أن نتصور أن هذه المؤلفات هدفت إلى توضيح معاني الكلمات المستعملة في الطب ، وأسماء العقاقير في اللغات المختلفة التي كان يتكلم بها سكان الدولة الجديدة .

ففي جنديسابور حاضرة الأحواز (خوزستان) العلمية لابدّ أن يكون الأطباء قد اهتموا بمعرفة مدلولات هذه الاصطلاحات الطبية والصيدلانية باللغات السائدة هناك : السريانية والفارسية . وبالدرجة الثانية اليونانية إلى جانب العربية ، اللغة الرسمية للدولة .

وفي العراق والشام لابدّ أن تكون اللغتان السريانية واليونانية ـ وهما لغتا العلم في أديرة الشام وبلاد مابين النهرين ـ الأساس الذي اعتمد عليه لتأليف مثل هذه الكتب .

الكتاب الأول الذي يذكره الرازي ويقتبس منه ينسبه إلى الخوز (خوزستان) حيث انتشر هناك ولا نعرف زمن تأليفه .

أما الكتاب الثاني الذي كتبه بختيشوع فربما يكون تأليفه قد تم في جنديسابور حينما كان بختيشوع مايزال رئيساً للمستشفى هناك خلفاً لوالده جرجيس ، وقد يكون قد كتبه بعد مجيئه إلى بغداد في أيام هارون الرشيد . أي إن هذا الكتاب يعود إلى أواخر القرن الثامن الميلادي .

وقد جاءتنا أخبار عن كتابين آخرين من هذا الصنف من الكتب لا نعرف زمن تأليفهما ذكرهما البيروني .

ولابدّ أن يكون هذا الصنف من الكتب قد ظلّ ضرورياً طوال عصر الترجمة ، وفي مرحلة استعمال عدة لغات في التدوين في حقل الطب . ولا بدّ أن تكون أهمية هذا الصنف قد تضاءلت حينما أصبحت اللغة العربية هي المسيطرة تماماً . وآخر هذه الكتب ألّفه حنين بن إسحاق . وقد اصطلح في ذلك الوقت على تسمية هذا النوع من الكتب باسمها السرياني : « بشقشماهي » الذي يعني : « شرح الأسماء » .

أما حينما سيطرت اللغة العربية تماماً كلغة للعلوم المختلفة ومن بينها الطب فقد أصبحت هذه الكتب تصدر بالعربية فقط .

فالرازي يكرس أحد أجزاء كتاب « الجامع » لهذا النوع من الكتب « في تفسير الأسماء والأوزان والمكاييل التي للعقاقير ، وتسمية الأعضاء والأدواء » .

والزهراوي يخصص المقالة التاسعة والعشرين من كتابه « التصريف » لهذا الغرض .

ومن الواضح أن هذا النوع من المؤلفات كان ضرورياً لكي يصبح الطبيب قادراً على الاستفادة من الكتب المختلفة التي تركها الأقدمون

ومن الكتب الحديثة التي تصدر في شتى أنحاء العالم الإسلامي بين الأندلس غرباً وأواسط آسيا شرقاً ، كما أنها كانت هامة بالنسبة إلى المؤلف نفسه : فبدون هذا الجزء الخاص من كتاب « الجامع » لا تكون بعض التفصيلات في أجزاء الكتاب الأخرى واضحة ، ذلك أن بعض الاصطلاحات الطبية والتعابير الصيدلانية الفنية اقتصر استعمالها على قطر دون آخر ولم تصبح شائعة في كل أرجاء الدولة الجديدة . وبدون المقالة المتخصصة في كتاب الزهراوي ماكان بوسع الأطباء في الأقطار المختلفة أن يستفيدوا من هذا

الكتاب الهام ومن المستوى الرفيع والدقة البالغة اللذين وصل الكتاب إليهما في مجال الصيدلة وتحضير الأدوية .

فهذه الكتب قامت بخدمة الأعمال اليومية في حقل الصيدلة كما سهلت مهمة التفاهم في التعبير الطبي .

وإذا انتبهنا إلى اسم كتاب الرازي ، نلاحظ أن الجزء الأول منه يشير إلى حقل اختصاصه الأول في عالم العقاقير والصيدلة بينما يشير الجزء الثاني من الاسم إلى غرض الكتاب الثاني في عالم « الإصطلاحات الطبية » المستعملة في الطب النظري بين الأساتذة وطلابهم .

وكان العرب قد عرفوا كتاب « جالينوس » (في الأسماء الطبية) وهو كتاب اطّلع عليه « حنين » ووصفه ، كما قام « حبيش » بترجمة جزء منه إلى العربية . وهذا الكتاب يحدد التعابير التي استعملها الأطباء اصطلاحاً للدلالة على المعاني الفنية المحددة ، فهذه الكلمات إما أن تكون خاصة بالأطباء لايستعملها غيرهم ، ومن هنا وجب تحديد مدلولها ، وإما أن تكون شائعة في اللغة استعارها الأطباء لتعطي معنى فنياً خاصاً غير ذلك المعنى الذي يفهمه عامة الناس ، وهذا يستوجب أيضاً تحديد هذا المعنى .

واسم الكتاب كما ذكره « حنين » يعطي أحسن وصف للغاية التي وضع الكتاب من أجلها : (كتاب الأسماء الطبية التي استعملها الأطباء ، وعلى أي المعاني استعملوها) .

« والقمري »[1] صاحب أول معجم عربي خاص بالاصطلاحات الطبية يحدد غايته من تأليفه كتابه هذا : (وأشرح كل شيء شرحاً كافياً وافياً ، وأن لا أعدو مذهب أهل هذه الصناعة ، وإن كانت اللغة تحتمل غيره ، وأهل البلدان والأقاليم مختلفون فيه .) .

وقد نسج العرب على منوال كتاب جالينوس المشار إليه فألّفوا نوعين من الكتب : النوع الأول كان على شكل المعجم مختصراً جداً ، والثاني جاء على شكل الموسوعة المبسّطة وفيه شروح للكلمات وتعريف بمعناها حيثما ترد في كتب الطب . وقد عبّر العرب عن هذا النوع الثاني بقولهم . (كتب الحدود الطبية) . وندع المجال للقمري هنا ليذكر لنا الغاية من تأليفه كتابه : (التنوير في الاصطلاحات الطبية) . يقول القمري : (وقد أحببت في هذا الوقت أن ألتقط من بطون الكتب وتضاعيف الكنّاشات ألفاظاً هي عند أهل الصناعة معروفة ، واتخاذ الأشياء التي يحتاج الطبيب إليها في كل وقت ، ثم لاتوجد تلك الأشياء إلا متفرقة في كتب شتى ، والطارئ على هذا العلم يحتاج في تحصيلها والوقوف على معانيها إلى تكلّف شديد ومقاساة تعب كثير ، ولعل التبرم بها ومعاناة النصب في طلبها يحمله على نبذها جانباً والإعراض عنها) . والقمري كان السبّاق إلى تأليف أول معجم طبي مستقل بالعربية . وبعده ظهر العديد منها وهذا عرض لها وفق زمن صدورها :

---

(1) [هو أبو منصور الحسن (أو الحسين) بن نوح القُمري من أهالي بخارى . يقول ابن أبي أصيبعة : إن ابن سينا لحقه وهو شيخ كبير ، وأخذ عنه . ولعل وفاته قد وقعت بين عامي ٣٨٠ و ٣٩٠ هـ . أشهر كتبه كتاب : غنى ومنى / المجلة] .

١ ـ فكتاب القمري « التنوير .. » ظهر في أواخر القرن العاشر .

٢ ـ وفي العصر نفسه ألّف الخوارزمي كتابه الشهير (مفاتيح العلوم) الذي خصص فيه الباب الثالث لمصطلحات الطب . وقد قسّم هذا الباب إلى ثمانية فصول شرح فيها مصطلحات التشريح وأسماء الأمراض وتعابير الصيدلة بما فيها الأوزان والمكاييل .

٣ ـ وفي النصف الأول من القرن الحادي عشر كتب عبيد الله بن بختيشوع كتاباً سمّاه (الروضة الطبية) . وهو كتاب لشرح بعض المصطلحات الطبية والفلسفية . وقد جاءت الشروح في هذا الكتاب مستفيضة بحيث إن تصنيفه يكون في النوع الثاني من هذه الكتب ـ النوع الموسوعي ـ .

٤ ـ وفي مطلع القرن الثالث عشر كتب ابن الحشّاء كتاباً سمّاه : (مفيد العلوم ومبيد الهموم) شرح فيه الاصطلاحات الطبية التي جاءت في كتاب الرازي ـ الطب المنصوري ـ وعلّق عليها[2] .

وباستثناء كتاب القمري فإن كل الأعمال الأخرى لايمكن أن توصف بأنها معجم طبي مستقل . ويجب أن ننتظر حتى القرن الرابع عشر لكي يصدر معجم آخر مكرس للاصطلاحات الطبية ، ذلك هو :

٥ ـ كتاب حقائق أسرار الطب لمسعود بن محمد السجزي الذي انتهى من كتابته مع نهاية الثلث الأول من القرن الرابع عشر . وهذا الكتاب لم يتح له بعد من يحققه وينشره .

٦ ـ وفي منتصف القرن الرابع عشر كتب لسان الدين بن الخطيب كتاب (الوصول لحفظ الصحة في الفصول) وقد اختتم هذا الكتاب بمعجم شرح

(2) [طبع كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم لابن الحشاء في الرباط (المغرب ١٩٤١ م) بتحقيق كولان ورنو / المجلة]

فيه المصطلحات الطبية التي وردت فيه .

٧ ـ وفي نهاية القرن الخامس عشر كتب محمد بن يوسف الهروي موسوعة طبية باسم (جواهر اللغة) لم تنشر بعد .

٨ ـ ولكن الهروي مالبث بعد أكثر من ربع قرن أن كتب معجمه الطبي الشهير : (بحر الجواهر في تحقيق المصطلحات الطبية) وقد نشر هذا الكتاب في كالكوتا سنة « ١٨٣٠ » . وقد رتب المؤلف معجمه على حروف الهجاء ، وعالج فيه الموضوع بأسلوب جديد مضيفاً إلى التعابير التشريحية والمصطلحات المرضية وأسماء العقاقير ، أسماء بعض مشاهير الأطباء .

٩ ـ وفي مطلع القرن السابع عشر كتب مدين بن عبد الرحمن القوصوني : (قاموس الأطباء وناموس الألباء) الذي شرح فيه المعنى الطبي والأصل اللغوي لعدد كبير من الاصطلاحات واعتمد فيه أئمة الطب كابن سينا إلى جانب أئمة اللغة كابن منظور . وقد نشر مجمع دمشق هذا الكتاب .

ـ ٤ ـ

الكتب الطبية الميسرة

وإلى جانب هذه المعاجم التي تفسر التعابير الطبية باختصار شديد أو تشرحها شرحاً مقتضباً ظهر نوعان من الكتب الميسرة لطلاب الطبّ وذلك بدءاً من القرن التاسع .

النوع الأول هو الكتب التي صنفت على هيئة المسألة والجواب ، ويأتي السؤال فيها واضحاً وهادفاً إلى تبسيط الإجابة ، ويكون الجواب بدوره مركزاً ومختصراً .

وكانت الغاية من هذه الكتب أن تُرَاجَع من قبل دارسي الطبّ

لتثبيت المعلومات التي أخذوها عن الكتب الموسعة ، كما أنها تسعفهم في التحضير للامتحان الذي يتقدمون له قبل السماح لهم بممارسة المهنة .

وإذا أردنا أن نعطي مثلاً على هذا النوع من الكتب في حقل طب العيون : فإننا نذكر كتاب يوحنا بن ماسويه المسمى (معرفة محنة الكحالين) كما نذكر كتاب حنين بن إسحاق (المسائل في العين) الذي نشره سباط ومايرهوف .

أما النوع الثاني فهو الكتب الطبية المختصرة جداً والمكتوبة على شكل جداول ، والمسماة المشجرات .

وكمثل عليها نسمي كتاب الرازي (التقسيم والتشجير) أو كتابه (المشجرة في أمراضِ العين) أو كتاب ابن جزلة (تقويم الأبدان) .

وفي جميع هذه الكتب نجد المصطلحات الطبية مرتبة حسب الموضوع وليس حروف الهجاء ، ومشروحة شرحاً مقتضباً من حيث أسبابها وعلاماتها وعلاجها .

فأمراض الجهاز العصبي المركزي مثلاً ترد بالتسلسل : الصرع ، الرعشة ، التشنج ، الصداع ، الشقيقة ، الدوار الخ . وكذلك أمراض الجفن : البرد ، التحجر ، الالتزاق ، السلاق ، انتشار الهدب الخ ..

ـ ٥ ـ

كتاب (التنوير في الإصطلاحات الطبية)

ونصف هنا باختصار أقدم هذه المعاجم وهو : (التنوير في الإصطلاحات الطبية)[3] . نذكر الأبواب التي ينقسم الكتاب إليها . ثم

(3) [وفي نسخة أياصوفيا جاء اسمه : كتاب التنوير المعروف بسراج القمري / المجلة] .

تحقق القسم المتعلق بأمراض العين من هذا الكتاب .

وفي هذا التحقيق نبحث عن المصدر الذي استقى منه القمري تعبيره في مؤلفات ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وفي كتاب (الذخيرة) المنسوب إلى ثابت بن قرة . ونكتفي بهؤلاء إلى أن تتم عملية جمع ودراسة أعمال المؤلفين الذين عاشوا قبل عصر ابن ماسويه .

ونحاول أن نبيّن الفروق في الاصطلاحات الفنية التي اعتمدها هؤلاء المؤلفون ، كما نشير إلى أماكن التعريف بهذه الأمراض ووصفها في المؤلفات اليونانية التي عرفها العرب[1] وترجموها دون أن نخوض في التفصيلات المتعلقة بهذه الترجمات وأصحابها وزمن ظهورها .

وبطبيعة الحال فلن نذكر هنا هذه المصطلحات كما أوردها المؤلفون الذين جاؤوا بعد القمري كابن سينا وعلي بن عيسى الكحال البغدادي وعمار بن علي الموصلي ، تاركين ذلك إلى حينه .

ينقسم كتاب (التنوير ..) إلى عشرة أبواب :

١ ـ الباب الأول : في أسامي العلل الحادثة من الفرق إلى القدم .
٢ ـ الباب الثاني : في أسامي العلل الحادثة في سطح البدن .
٣ ـ الباب الثالث : في أسامي الحميات وتوابعها .
٤ ـ الباب الرابع : في أسامي ما في بدن الإنسان من عضو وغيره مما يجري مجراه .
٥ ـ الباب الخامس : في أسامي الطبائع وما في معناها من الألفاظ والحوادث في بدن الإنسان .
٦ ـ الباب السادس في أسامي الأشياء التي تستعمل في العلاجات .

(١) بعض هذه الكتب لم يعرفها العرب مثلاً ـ ديموستينس .

٧ ـ الباب السابع : في أسامي الأطعمة والأشربة .
٨ ـ الباب الثامن : في أسامي ألفاظ القراباذينات
٩ ـ الباب التاسع : في أسامي الأوزان والأكيال .
١٠ ـ الباب العاشر : في اتخاذ الأشياء التي لابدّ منها كل يوم .

☆ ☆ ☆

الباب الأول :

ففي البـاب الأول يستعرض الأمراض من الرأس حتى القـدم على عادة أطباء ذلك الزمان .

يبدأ بأمراض الجملة العصبية المركزية فيذكر أكثر من عشرين اصطلاحاً مع شرح مختصر لها .

ونذكر ثلاثة من هذه الاصطلاحات لإعطاء فكرة عن الإختصار الشديد الذي يميل إليه المؤلف . وكذلك لتبيان حرصه على إعطاء المعنى الطبّي للاصطلاح دون المعنى اللغوي .

السُّبات : إغراق الإنسان في نوم غير طبيعي ، فإن تُرك نام ، وإن صيح به انتبه .

السدر : أن يَرى إذا قام كأنه في ظلمة أو ضباب .

الشخوص : أن يبقى شاخص العين لايطرف . والفرق بينه وبين السبات تغميض العين وشخوصها . وبعد هذه الأمراض العصبية تأتي اصطلاحات أمراض العين ، وسنفصل في ذكرها فيا بعد . وبعدها أمراض الأذن والأنف والفم (كالطرش ، والخشم ، والرعاف ، والزكام) ثم الصدر (كالربو ، وذات الجنب) فالبطن (كالتهوّع ، والهيضة) فجهاز البول (كالحصى ، والأسر) فالأطراف السفلية (كعرق النسا ، والنقرس)

والجهاز التناسلي (كاختناق الرحم) .

الباب الثاني :

أما في هذا الباب فنجد عدداً كبيراً من المصطلحات التي تقع اليوم في اختصاص أطباء الجلد (كالحزاز ، والسعفة ، وداء الثعلب ، والبهق ، والبرص ، والجذام ، والشرى) .

الباب الثالث :

وفيه أسماء الحميات بأنواعها : (كحمى الدق ، وحمى الغب ، والحمى المطبقة) كما أن فيه بعض المصطلحات الأخرى المتعلقة بالأمراض الباطنة (كالبحران ، والنضج) إضافة إلى أسماء بعض الأمراض التي تكون الحمى جزءاً من تظاهراتها (كالجدري ، والحصبة) .

الباب الرابع :

وفيه مصطلحات تشريحية عامّة : كالعروق والشرايين ، والأوردة (وأسماء بعضها : كالأكحل ، والصافن) وكذلك الأعصاب والأوتار والربط والأغشية والغضاريف . وأسماء بعض الأعضاء الباطنة (كالفؤاد ، والبواب ، والأعور) .

الباب الخامس :

وهذا الباب الذي يذكر اصطلاحات (الطبائع) (والحوادث) في بدن الإنسان - ويعني بها مصطلحات (علم وظائف الأعضاء) (الفسيولوجيا) - يفسر معظم ما جاء في النظرية الطبية اليونانية من تعابير فنية (كالاسطقسات ، والمزاج ، والأخلاط ، والقوى ، والأرواح) .

الباب السادس :

ويشرح معنى عدد من الوسائل العلاجية والأشكال الصيدلانية المستعملة في الطبّ (كالكماد ، والنطول ، والقطور ، والغرور ، والمضوض ، والسفوف ، والذرور ، والحقنة ، والشياف) .

الباب السابع :

وفيه أسماء الأطعمة والأشربة الضرورية للحمية والتغذية ، ذلك أن الحمية كانت جزءاً من التدبير العلاجي العام ، لايستغنى عنه .

كما أن الأطباء عرفوا أهمية التغذية في تدبير الناقه من المرض .

وفي هذا الباب نجد مصطلحات من أمثال : (السميد ، الشواء ، المطجنة ، القليّة ، الهلام ، المزورات ، التوابل ، الأبازير ، الشراب) الخ .

الباب الثامن :

وفي هذا الباب نجد مصطلحات الصيدلة وعلم الأقراباذين ،(كالأيارجات ، والجوارشنات ، والمطبوخات ، والمربيات ، والعصارات ، والأكحال) .

الباب التاسع :

يبدأ المؤلف هذا الباب بقوله : [إن الاختلافات في الأوزان والأكيال في أهل البلدان والأقاليم كثيرة .... وقد ذكرتُ أنا منها ما تدور أساميه في الكتب الطبية مع اتفاقهم على مقاديره ....]

ويذكر منها : (القيراط ، والمثقال ، والأوقية ، والرطل ، والدورق ، والكيل ، والصاع) وغيرها .

الباب العاشر :

وفيه يذكر باختصار بعض العمليات الصيدلانية التي (لابدّ منها في كلّ وقت) كغسل الشمع ، وغسل الطين ، وتطرية الأدهان ، وصنعة دهن البيض ، وأخذ الأرمدة ، وإحراق الحجارات ، وتدبير خبث الحديد ، وصنعة ماء الجبن . كما يذكر فيه بعض الإجراءات العلاجية كالحمام اليابس .

☆ ☆ ☆

وهذا الكتاب صغير الحجم إلى درجة أننا نجده مكتوباً على هامش نسخة الظاهرية ذات الرقم (٧٨٨٩) من كتاب (غنى ومنى) للمؤلف نفسه . دون أن يلفت نظر متصفح الكتاب إلى أكثر من أنه شرح للمصطلحات الواردة في متن الصفحات .

وهذه الحقيقة تشير إلى التوافق في تبويب هذين الكتابين .. فكأنّ (التنوير) جاء شرحاً للاصطلاحات الطبية في (غنى ومنى) .

ولاتكاد كلمات هذا الكتاب تبلغ الآلاف الخمسة . فمخطوطة (سراي أحمد الثالث) مثلاً تشتمل على خمس وعشرين ورقة ، والصفحة الواحدة منها تحتوي على ثلاثة عشر سطراً ، ومعدل عدد الكلمات في السطر الواحد يبلغ ثماني كلمات . بينما نسخة (أيا صوفيا) تشغل ست عشرة ورقة ، الصفحة الواحدة فيها تحتوي على خمسة عشر سطراً وعدد الكلمات في كل سطر نحو عشر كلمات .

أما نسخة (دبلن) فتقع في تسع ورقات ، وعدد الصفحات المكتوبة يبلغ ست عشرة صفحة . ويتراوح عدد الأسطر في كل صفحة بين اثنين وعشرين وسبعة وعشرين سطراً . ويشتمل كل سطر على نحو اثنتي عشرة كلمة .

(للبحث صلة)

التعريف والنقد

ديوان ابن الرومي

الدكتور شاكر الفحام

- ١ -

كان أبـو الحسن علي بن العبـــاس الروميّ (٢٢١ ـ ٢٨٣ هـ) من الشعراء المكثرين المطيلين ، خلَّف ديواناً ضخماً حفـظ الكثرة الكاثرة من أشعاره . ولم يُتَحْ لـديوانـه أن يُطْبع في مطـالع عصر النهضـة مع دواوين أمثاله من الشعراء الكبار المجوّدين . ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد في تعليل تـأخر نشر الـديوان : « تـأخر لأن ديوانـه أطول ديوان محفوظ في اللغـة العربيـة من جهـة ، ولأن نسختــه ـ من جهــة أخرى ـ لم تكن ميسورة في البـلاد السـوريـة حيث طبعت بعض الـدواوين ، وربما كان الإقذاع في الهجاء سبباً ثالثاً مضافاً إلى ذينك السببين » .[1] .

حاول الشيخ محمد شريف سليم (١٨٦١ ـ ١٩٢٥ م)[2] نشر الـديوان ، فـأصـدر جزأين منـه (القـاهرة ـ ١٩١٧ م ، ١٩٢٢ م) يشتملان على قوافي الهمزة والألف والباء والتاء حتى الخـاء[3] ، بـذل فيهما جهـداً مشكوراً ، ثم توقف عن المتابعة . وأصـدر الأستـاذ كامل كيلاني (القـاهرة ـ ١٩٢٤ م) مختارات من ديوان ابن الرومي في ثلاثة أجزاء . ثم قـدّم الأستـاذ عبـاس محمود العقاد مختارات من شعر ابن الرومي في ختام كتابه ابن الرومي[4] . ومن قبل ذلك « جمع لنا محمود سـامي البـارودي في مختـاراتـه أفـانين من شعر شاعرنا في المدح والصفات والرثـاء والهجـاء والنسيب »[5] . وكـذلـك

فعل السيد توفيق البكري الصديقي في كتابه فحول البلاغة ، الذي اختار فيه لثمانية من فحول الشعر وأمراء الكلام ، فكان ابن الرومي واحداً منهم[٦] .

وبقي الديوان ينتظر مَنْ ينهضُ بحق تحقيقه وأعباء نشره ، حتى قُيّض له الأستاذ الدكتور حسين نصار فاضطلع بهذه المهمة العلمية الثقيلة ، ولكن المحبَّبة ، ونشر الديوان في ستة أجزاء (القاهرة / ١٩٧٣ ـ ١٩٨١ م) ، بلغت صفحاتها زهاء (٢٧٥٠) صفحة . وإنه لعمل ضخم لا يقوى عليه إلا الصابرون من العلماء أولي العزم . وقد بيّن الدكتور نصار في المقدمة النهج الذي ارتضاه في تحقيق الديوان ونشره ، ووصف المخطوطات التي اعتمدها ، وما تنفرد به كل منها . ثم التمس من القراء والعلماء ، بتواضع العالم ورضا نفسه ، أن يساعدوه فيما تصدّى له ، وأن يرشدوه إلى مواطن الصواب إن فاتته[٧] .

سعدتُ وأنا أتصفح الديوان بأجزائه الستة ، وقدّرتُ للأستاذ المحقق جليل ما قدّم ، وبدت في أثناء القراءة أشياءُ اتجه لي فيها غير ما اتجه له ، ورأيتُ غير مارتآه ، فكان من تمام الوفاء للأستاذ الصديق أن أستجيب لرغبته ، وأعرض ماترجَّح لديَّ من رأي مشفوعاً بحجته ، موقناً بأن تلاقح الأفكار يُوصل إلى اليقين ، وأننا لن نؤدي حق العلم علينا إلا إذا تعاونّا جميعاً ، وتبادلنا الأقوال والأنظار ، في نقاش هادئ ، وحوارٍ لا لجاجة فيه ، لا نرمي من ورائه إلى مغالبة ، ولا نطلب الانتصار ، ولا نبغي منازعةً ولا خصومة ، وإنما الغاية والمطلب بلوغُ الحق ، والوقوفُ معه حيث يقف .

- ٢ -

وأول ماأبسطه في فاتحة قولي أمران اثنان جاءا في مقدمة المحقق ، يتصل أولهما بكلمة ابن النديم في صفة ديوان ابن الرومي وفهم مؤداها والمراد بها ، ويتصل ثانيهما بما رجحه جامعا مخطوطتي الديوان (د ، ع) في تحديد رويّ جملة من القصائد .

الأمر الأول : كلمة ابن النديم

أورد ابن النديم في الفن الثاني من المقالة الرابعة من كتاب الفهرست أسماء الشعراء المحدثين ، ومقدار شعر كل شاعر منهم ، والمكثر منهم والمقلّ ، ومن جمع أشعارهم وألّفها . بدأ ابن النديم هذا السرد بذكر بشار بن برد أبي الشعراء المحدثين ، فابن هرمة ، فأبي العتاهية ، فأبي نواس ، فمسلم بن الوليد ، ومضى يتتبع الشعراء ويتناول دواوينهم بعبارة موجزة دقيقة ، حتى بلغ في تعداده أبا تمام والبحتري وابن الرومي وغيرهم من الشعراء الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري . وختم ابن النديم سرده بأسماء جماعة من الشعراء المحدثين بعد الثلاثمئة إلى عصره . وقد رأيتُ من الخير أن أورد عبارة ابن النديم التي عرض فيها لابن الرومي ، ثم قفّاه بذكر عدة شعراء ،أنقلها بنصها حتى يكون القارئ على بينةٍ مما نتحدث عنه ، لم أُضف إليها إلا الأرقام التي تزيد النص بياناً ووضوحاً ، وإن لم يكن بحاجة إليها . قال ابن النديم :

« ١ - ابن الرومي علي بن العباس [بن جريج] .

كان شعره على غير الحروف ، رواه عنه المسيَّبيّ .

ثم عمله الصولي على الحروف .

وجمعه أبو الطيب ورّاق ابن عبدوس من جميع النسخ ، فزاد على كل

نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت .

٢ ـ مثقال غلام ابن الرومي .

مئة ورقة .

[ورواه عنه أبو الحسن علي بن العصب الملحي ، عن مثقال ، عن ابن الرومي]

٣ ـ ابن الحاجب غلام ابن الرومي .

مئة ورقة . / في طبعة طهران : مئتي ورقة / .

٤ ـ أحمد بن أبي فنن الكاتب .

مئة ورقة .

٥ ـ خالد الكاتب .

مئتا ورقة .

وعمله الصولي (على الحروف)[٨] » .

إن عبارة ابن النديم ، على وجازتها ، دقيقة واضحة الدلالة . فقد تحدث ابن النديم في الفقرة (١) من كلمته عن ديوان ابن الرومي ، وذكر من قام بعمله ، ثم انتقل ليذكر في الفقرات (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) دواوين شعراء آخرين هم : مثقال وابن الحاجب وأحمد بن أبي فنن وخالد الكاتب .

لم يورد ابنُ النديم ، وهو يتحدث عن ابن الرومي ، مقدار شعره ، بل أغفل ذلك وتغاضى عنه ، كما أغفل من قبله ذكر مقدار شعر البحتري ، على خلاف ما فعله حين ذكر الشعراء الآخرين ، فبيَّن مقدار أشعارهم . ولعلَّ هذا الإغفال كان أحد الأسباب التي ورَّطت في الخطأ

من تورّط من دارسي ابن الرومي ، وفي جملتهم الدكتور نصار محقق الديوان ، فأساؤوا فهم عبارة ابن النديم في فهرسته .

- ٣ -

يقول الأستاذ المحقق الدكتور نصار في مقدمة ديوان ابن الرومي ، وقد رقمت فقرات كلمته تسهيلاً للمناقشة :

« ١ - ويمنحنا ابن النديم معلومات قيمة عن رواية ديوان ابن الرومي ، فيبين أن اثنين من غلمان الشاعر عُنيا بشعره ورويا ودوناه أيضاً ، وهما محمد بن يعقوب المعروف بمثقال ، وابن الحاجب . وبلغت نسخة كل منهما مئة ورقة ، يقدر غست ما اشتملت عليه بألف وخمس مئة بيت .

٢ - ورواه أيضاً جماعة من الكتاب كانوا على صلة بالشاعر ، وهم أبو الهيثم خالد بن يزيد المتوفَّى في سنة ٢٦٢ هـ ، وأبو الحسين علي بن عبد الله بن المسيَّب ، وأبو علي أحمد بن أبي قرة[٩] .

٣ - ولا نعرف عن هذه الروايات المباشرة غير القليل ، فرواية مثقال أخذها عنه أبو الحسن علي بن العصب الملحي . ورواية المسيبي قُدّر لها البقاء في روايات تالية ، وأن تكون محنةً للعلماء المتأخرين ، فقد تحرفت كلمة « المسيبي » إلى « المتنبي » فخدعت كثيرين .

وكانت رواية المسيبي غير مرتبة ، فاتخذ منها أبو بكر محمد بن يحي الصولي المتوفَّى في سنة ٣٣٥ هـ أساساً له ، غير أنه رتبها على حروف قوافيها ، ودوَّنها في مئتي ورقة .

٤ - وأعلن ابن النديم أن أبا الطيب ورّاق ابن عبدوس جمع

الروايات المختلفة من الديوان ، ولفَّق منها روايته ، فزادت على أكبر نسخة أخرى بنحو ألف بيت .

ولم نستطع معرفة أبي الطيب ، غير أن ابن عبدوس المشار إليه هو أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري ، مؤلف الوزراء والكتاب المتوفَّى في سنة ٣٣١ هـ ، الذي مدحه ابن الرومي بالقصيدة التي مطلعها :

استقبل المهرجانَ بالفرحِ فقد مضت عنك دولةُ الترحِ

٥ ـ ولا تكشف أية مخطوطة عثرتُ عليها نسبتها أو صلتها بأية واحدة من الروايات السابقة ، غير أن مفهرسي دار الكتب أعلنوا أن المخطوطة الكبيرة التي تقتنيها الدار تضمُّ رواية الصولي . وأعتقد أن ذلك منهم افتراضٌ قائمٌ على ترتيب الشعر على القوافي . فإنني لم أجد في المخطوطة نفسها أدنى إشارة إلى ذلك »[١٠] .

ـ ٤ ـ

إن عبارة الدكتور حسين نصار تدل دلالة قاطعة على أنه ظنَّ أن نصَّ ابن النديم الذي عرض فيه لدواوين الشعراء : مثقال وابن الحاجب وابن أبي فنن وخالد الكاتب إنما هو تتمة وصلةٌ للفقرة السابقة التي يتحدث فيها ابن النديم عن ديوان ابن الرومي . ومن هنا وقع فيما وقع فيه من خطأ . ويحسن بنا أن نتناول ماجاء في كلمته فقرةً اثر فقرة .

١ ـ فهو يرى ، طبقاً لما أورده في الفقرة الأولى ، أن كلاً من مثقال وابن الحاجب قد عُنيا بشعر ابن الرومي ورروياه ودوَّناه أيضاً ، وبلغت نسخة كل منهما مئة ورقة ، يقدّرُ (غست) ماشتملت عليه بألف وخمس مئة بيت .

- يقول الإخباريون :

كان مثقال (أبو جعفر محمد بن يعقوب الواسطي) شاعراً ، نزل بغداد ، واستفرغ شعره في الهجاء والرفث . وممن كان يهاجيهم من الشعراء ابنَ الخبازة[١١] ، وأبو منصور محمد بن إبراهيم الباخرزي[١٢] . وكان ابن الرومي في أول أمره ينحله شعره[١٣] في هجاء خالد القحطبي وغيره[١٤] .

أما ابن الحاجب (محمد بن أحمد) فأديبٌ شاعر ، وكان صديقاً لابن الرومي[١٥] .

ومن هنا فقد استحقا ، وهما شاعران من شعراء القرن الثالث الهجري ، أن يعرض لهما ابن النديم ، ويذكر مقدار أشعارهما ، وأن شعر كل منهما قد بلغ مئة ورقة . إن عبارة ابن النديم تتحدث عنهما ، وتحدد مبلغ ما قاله كل منهما من شعر ، ولا تعني أبداً أن كلاً منهما قد جمع شعر ابن الرومي فبلغ ماجمعه من شعره مئة ورقة .

بقي أمر أن يكون الشاعران مثقال وابن الحاجب قد رويا من شعر ابن الرومي ودوَّناه . فهو لدينا محتمل بل راجح لصلتهما الوثيقة بالشاعر ، ولكن عبارة ابن النديم المذكورة آنفاً لاتتطرق لهذا الموضوع ولا تتناوله .

ولعل من تمام الحديث أَن نذكر أن الدكتور حسين نصار ليس أول من أساء فهم عبارة ابن النديم هذه ، بل سبقه الى ذلك سابقون ، فمشى على غرارهم ، واقتصَّ آثارهم .

من أولئك السابقين الأستاذ عباس محمود العقاد الذي عرض لكلمة

ابن النديم فأساء تفسيرها ، وفهم منها أن مثقالاً وابن الحاجب وأحمد بن أبي قر (هكذا) الكاتب قد جمع كل منهم مئة ورقة من شعر ابن الرومي ، وأن خالداً الكاتب قد جمع مئتي ورقة[١٦] .

ومنهم روفن غست الذي ذكر أن سلامة بن سعيد الحاجب قد كتب مئة ورقة من شعر ابن الرومي ، وأن مثقالاً قد كتب قدراً مماثلاً لما كتبه سلامة من الشعر[١٧] .

أما ماجاء في ختام الفقرة الأولى وهو : « يقدر غست ماشتملت عليه [مئةُ ورقة] بألف وخمس مئة بيت » ، فإن هذا التقدير لماتضمه مئة ورقة من أبيات الشعر قد حصل عليه غست بالعودة إلى ديوان مسلم بن الوليد المطبوع ، فأحصى أبياته فوجدها زهاء (٣٦٠٠) بيت ، وكان ابن النديم قد ذكر أن ديوان مسلم بن الوليد مئتا ورقة ، واذن فمئة ورقة تشتمل على نحو (١٥٠٠) بيت[١٨] .

وفي الطريقة التي اتبعها غست لتقدير ماتشتمل عليه مئة ورقة من أبيات الشعر عجبان لاعجبٌ واحد . أول العجبين أن نصف (٣٦٠٠) بيت هو (١٨٠٠) بيت لا (١٥٠٠) بيت . والعجب الثاني أن ابن النديم صاحب الفهرست قد ذكر في مقدمة حديثه عن الشعراء المحدثين ومقادير أشعارهم مايعنيه بالورقة فقال : « فإذا قلنا إن شعر فلان عشر ورقات فإنا إنما عنينا بالورقة أن تكون سليمانية[١٩] ، ومقدار مافيها عشرون سطراً ، أعني في صفحة الورقة ، فليعمل على ذلك في جميع ماذكرته من قليل أشعارهم وكثيره ، وعلى التقريب قلنا ذلك ، وبحسب مارأينا على مرّ الزمان لابالتحقيق والعدد الجزم »[٢٠] . وكلامُ ابن النديم واضح الدلالة فهو « يحدّد مقدار عشرين سطراً في صفحة الورقة ، وللورقة صفحتان

يكتب فيها ، فيكون مجموع مافي الورقة الواحدة بصفحتيها أربعين سطرا »[٢١] . فكأنّ ابن النديم قد قدّر ماراه من شعر مثقال بنحو (٤٠٠٠) بيت من الشعر ، وكذلك شعر ابن الحاجب .

وبعد ، فكيف يتصور باحثٌ أن يقوم شاعران راويان لابسا ابن الرومي وخالطاه وكانا من أصدقائه ، فيجمع كل منهما شعره ، ثم لايكون مايجمعه إلا زهاء أربعة آلاف بيت (وفي تقدير غست هو زهاء ألف وخمس مئة بيت) ، على ما عُرِف به ابنُ الرومي من الإكثار والغزارة في الشعر ، حتى لايكاد يجاريه في هذا الميدان إلا قلة من شعراء العربية ؟ يقول الدكتور نصار نفسه في مقدمة الجزء الأول من الديوان وهو يصف إحدى مخطوطاته : « .... ولما كانت الصفحة تحتوي على مايقرب من ٥٠ بيتاً . كان لنا الحق أن نظن أن هذه النسخة تحوي مابين ٢٥٠٠٠ و٣٠٠٠٠ بيت . وعلى الرغم من ذلك ، لا تحتوي هذه النسخة على جميع شعر ابن الرومي ، بل تعطينا هي نفسها الأدلة على ذلك ..... »[٢٢] . أليس عجباً أن يقول الدكتور نصار هذا القول ثم يبدو له أن يجمع جامعٌ شعر ابن الرومي ، وهو من خلطائه ، في مئة ورقة أو مئتين فقط ؟ .

٢ ـ ويرى الأستاذ المحقق ، طبقاً للفقرة الثانية من كلمته ، أن كلاً من خالد بن يزيد الكاتب وأبي الحسين علي بن عبد الله بن المسيب وأبي علي أحمد بن أبي قرة (الصواب : أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ، كما بينا في التعليق رقم ٩) كانوا على صلة بابن الرومي ورووا شعره .

أما رواية المسيّبيّ لشعر ابن الرومي وتلقيه إياه عنه فهو واضح وضوح الشمس ، أفصحت عنه عبارة ابن النديم إفصاحاً لالبس فيه ولا غموض . وما قاله الدكتور المحقق بشأنه لا مرية فيه ولا خلاف ، ولقد

عاد الدكتور المحقق فبيَّن مكانة المسيبي من ابن الرومي وصلته به في تعليقين[٢٣] ، وقع أحدهما في غير موقعه[٢٤] . وسنعيد القول في المسيبي حين نناقش الفقرة الثالثة من كلمة الأستاذ المحقق .

وأما رواية خالد الكاتب وأحمد بن أبي فنن لشعر ابن الرومي فلا تشير إليه عبارة ابن النديم ، وإنما هو انزلاق المحقق في الخطأ الذي تورط فيه من قبل . كل ما تعنيه عبارة ابن النديم أن لابن أبي فنن ديوان شعر مقداره مئة ورقة ، وأن لخالد الكاتب ديوان شعر مقداره مئتا ورقة ، وعمله الصوليّ على الحروف .

ـ كان أبو عبد الله (أو أبو عبد الرحمن) أحمد بن أبي فنن شاعراً مفلقاً مطبوعاً ، وكان مجوِّداً ، نقيّ اللفظ ، مدح الفتح بن خاقان (ت ٢٤٧ هـ) وزير المتوكل فأكثر المدح له . وكان ابن أبي فنن أسود اللون ، بلغ سناً عالية ، وتُوفّي بين الستين والسبعين والمئتين .

إن هذه الترجمة القصيرة لابن أبي فنن تدلُّ على أنه سبق ابن الرومي مولداً ، فهو يعدُّ من طبقة الشعراء التي جاءت قبل ابن الرومي . ويذكر الرواةُ أنه شهد مجلس أبي تمام وخالطه ووصفه بأنه « كان أحضر الناس خاطراً » ، وروى من أخبارد . وقد عُمِّر ابن أبي فنن وتُوفّي قبل وفاة ابن الرومي . وكل ذلك يقطع بأن ابن أبي فنن لم يكن من رواة ديوان ابن الرومي[٢٥] .

ـ وكان أبو الهيثم خالد بن يزيد التميمي الكاتب أحد كُتّاب الجيش ببغداد . وقالوا في صفته : « شاعر مشهور رقيق الشعر » ، « وله شعر مدوَّن ، وشعره كله في الغزل » ، « وشعره حسنٌ جداً وليس لأحد من

الرقيق ماله » . وقال خالد يتحدث عن شعره : « إنما أقول في شجون نفسي ولا أمدح ولا أهجو » . لقي خالد أبا تمام الطائي ، ودعبل بن علي الخزاعي ، وعلي بن الجهم الساميّ (من بني سامة بن لؤي بن غالب ، من قريش) ، ومن في طبقتهم من الشعراء ، ونشب بينه وبين أبي تمام هجاء مرّ . وكان خالد على صلة بإبراهيم بن المهديّ ، فلما بويع إبراهيم بالخلافة (٢٠١ ـ ٢٠٣ هـ) طلبه واستنشده ، ثم صحب خالدٌ عليَّ بن هشام حين ولي الجبل وقمّ وأصبهان وأذربيجان للمأمون سنة ٢١٤ هـ فأنس به عليٌّ واستمع إلى شعره وجعله في ندمائه إلى أن قتل عليٌّ سنة ٢١٧ هـ . وحظي خالد بجوائز المأمون والمعتصم ، وولاّه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات عملاً ببعض الثغور . وكبر خالد وعاش دهراً طويلاً حتى دقّ عظمه ورقّ جلده واختلط في آخر عمره ، ووسوس حتى ذكروا أنه كان يركب على قصبة والصبيان خلفه يصيحون : ياخالد يابارد . وتوفي خالد ببغداد ، واختلفوا في تاريخ وفاته ، فجعله قوم سنة ٢٦٢ هـ ، وجعله آخرون سنة ٢٦٩ هـ (أو في حدود السبعين ومئتين)[٢٦] .

لقد قال خالد بن يزيد الكاتب الشعر وأنشده أهل عصره قبل أن يولد ابن الرومي ، وعُمّر خالد طويلاً حتى اختلط ووسوس ، وتوفي قبل وفاة ابن الرومي . أليس في هذا الدليلُ البين القاطع بأن خالداً لاصلة له البتة برواية شعر ابن الرومي ؟

ـ كنتُ أرجو أن تنبه عبارة ابن النديم « وعمله الصولي » التي جاءت في عقب الحديث عن ديوان خالد الكاتب الأستاذ المحقق ، إذ لا معنى لها ولا فائدة منها إذا كان الكلام ما يزال متصلاً بديوان ابن الرومي ، لأن ابن النديم قد قال من قبل ، وهو يتحدث عن شعر ابن الرومي : « ثم

عمله الصولي على الحروف » ، فما معنى أن يعيد القول في ذلك بعد عدة أسطر ؟ إن ابن النديم يتحدث عن شعر خالد الكاتب ، لذلك ذكر مقداره وأنه مئتا ورقة[٢٧] ، وأن أبا بكر الصولي قد عمله .

٣ ـ وتأتي الفقرة الثالثة من كلمة الأستاذ المحقق ، وقد أراد أن يتحدث فيها عن سند الرواية في شعر ابن الرومي ، فذكر روايتين : رواية مثقال ورواية المسيّبي .

يقول الأستاذ المحقق : « فرواية مثقال أخذها عنه أبو الحسن علي بن العصب الملحي » . وأصل عبارة ابن النديم التي تفردت بروايتها طبعة فلوغل ، ولم ترد في المخطوطات التي اعتمدتها طبعة إيران : [ورواه عنه أبو الحسن علي بن العصب الملحي عن مثقال عن ابن الرومي] ، وقد جاءت هذه العبارة في عقب حديث ابن النديم عن ديوان مثقال : « مثقال غلام ابن الرومي ، مئة ورقة » .

وأبو الحسن علي بن العصب الملحي (ويقال : ابن أبي العصب الملحي) من شعراء اليتيمة ، ولد في سنة ٢٨٥ هـ أو بعدها بقليل ، وعُمِّر دهراً ، فقد سمع الجوهريُّ منه في سنة ٣٧٤ هـ ، ووثّقه أصحاب الحديث ، وكان طيب المداخلة والمعاشرة ، ويقول شعراً خفيف الروح ، وله مُلَحٌ مع السريّ الرفاء وابن سُكَّرة[٢٨] .

وعبارة ابن النديم لاتؤدي المعنى الذي أورده المحقق ، ولو أراد صاحب الفهرست المعنى الذي ذكره المحقق لقال : « ورواه أبو الحسن علي بن العصب الملحي عن مثقال عن ابن الرومي » ، ولكن ابن النديم يقول : « ورواه عنه أبو الحسن علي بن العصب الملحي عن مثقال عن

ابن الرومي » ، فهناك راوٍ آخر وسيط بين ابن العصب ومثقال(٢٩) . مهما يكن فإن العبارة فيما يبدو لي لم تقع موقعها ، ولعلها من تعليقات أحد العلماء ، أدمجها أحد النساخ في المتن ، فجاءت في غير موضعها . وأخشى أن يكون قد أصابها تحريف أو سقط ، بل أرجح ذلك .

ـ أما المسيبي صاحب الرواية الثانية فهو أبو الحسين علي بن عبد الله بن المسيب ، وكان كاتباً شاعراً ، وكان صديق ابن الرومي وراوية شعره ، وألف كتاباً في أخباره . أخذ عنه العلماء ، ورووا عنه شعر ابن الرومي ، وفي مقدمتهم أبو أحمد العسكري صاحب كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف(٣٠) . وكان ابن الروميّ يودُّه ويؤثره ويحمد سجاياه وأخلاقه :

لعليٍّ أبي الحسين سَمِيّي خُلُقٌ لا يُذَمُّ في خُلّانه(٣١)

ولم يتوان عن أن يشاركه أحزانه حين ماتت ابنته ، فرثاها بقصيدة :

أخا ثقتي أَعْزِزْ عليَّ بنوبةٍ مناك بها صَرْفُ القضاء المقدَّرُ(٣٢)

وكان يداعبه حيناً فيقول الشعر على لسانه(٣٣) .

يقول الدكتور المحقق « ورواية المسيّبي قُدّر لها البقاء في روايات تالية ، وأن تكون محنة للعلماء المتأخرين ، فقد تحرَّفت كلمة (المسيّبيّ) إلى (المتنبي) فخدعت كثيرين » .

والشطر الأول من كلمة المحقق لايضيف جديدا ، ويبدو من المفيد أن يُعنى باحثٌ بتتبع الروايات عن المسيّبيّ عن ابن الرومي في كتب الأدب والمحاضرات وأمثالها ، فقد تنير الطريق لمعرفة سلسلة الرواة والمتأدبين الذين نقلوا رواية المسيَّبيّ .

أما الشطر الثاني من كلمته ففيه إشارة إلى ماوقع في مطبوعة وفيات الأعيان المصرية فقد صحفت فيها كلمة (المسيبيّ) إلى (المتنبي) فأضلَّتْ طائفة من الباحثين :

منهم الشيخ محمد شريف سليم الذي حقق جزأين من ديوان ابن الرومي ، وقال مشيداً بالشاعر في مقدمة الديوان : « روى المتنبي أشعار ابن الرومي غير مرتَّبة »[٣٤] .

ومنهم الشيخان أحمد الاسكندري ومصطفى عناني صاحبا الوسيط في الأدب العربي ، اللذان قالا في التنويه بابن الرومي : « ويكفيه فضلاً أن يكون المتنبي أحد رواة ديوانه والآخذين عنه »[٣٥] .

وختام الفقرة الثالثة من كلام المحقق اختلط فيه الصحيح بالسقيم ، فأوله (وهو أن رواية المسيّبيّ كانت غير مرتبة على الحروف) صحيح سليم ، نطقت به عبارة ابن النديم ، وأما أن الصولي[٣٦] اتخذ من هذه الرواية أساساً له ، غير أنه رتبها على حروف القوافي فأمر جائز محتمل ، ولكنه غير يقيني ، لأنه لا يعضده سند من رواية أو توثيق . ومن المعقول أن يكون الصولي قد اعتمد في عمله مراجع شتى وروايات مختلفة ، كان من بينها رواية المسيّبيّ ، فقد كان الصولي « واسع الرواية حسن الحفظ للآداب ، حاذقاً بتصنيف الكتب ، ووضع الأشياء منها مواضعها »[٣٧] . ولا يجوز القطع واليقين حيث يحسن الشكّ والظن .

لقد تحدثت كتب الأدب عن عدة رواة عُنوا بشعر ابن الرومي ، ونقلوا أخباره قبل أن يصنع الصوليُّ شعره :

منهم أبو الحسن علي بن العباس النوبختي أحد مشايخ الكُتَّاب ،

وأهل الأدب والمروءة ، روى من أخبار البحتري وابن الرومي بالمشاهدة قطعة حسنة ، وتوفي في سنة ٣٢٧ هـ بعد سنٍّ عالية[٣٨] . وكان الصولي ممن أخذ عنه أخبار ابن الرومي وأشعاره[٣٩] .

ومنهم أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار الثقفي الكاتب (ت ٣١٠ هـ أو ٣١٤ هـ أو ٣١٩ هـ) ، ذكره الخطيب البغدادي وقال : « له مصنفات في مقاتل الطالبيين وغير ذلك » . وكان ابن عمار على صلة بابن الرومي في حياته ، فلما مات ابن الرومي عمل ابن عمار كتاباً في أخباره ومختار شعره ، وجلس يمليه على الناس . وابن عمار من شيوخ أبي الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني ، وأبي أحمد العسكري صاحب كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف[٤٠] .

ومن رواة ابن الرومي أبو عثمان الناجم ، وكان يصحب ابن الرومي ويروي أكثر شعره ، وله معه أخبار ، وكان أديباً فاضلاً شاعرا ، روى عنه أبو بكر محمد بن يحيي الصولي ، وتوفي سنة ٣١٤ هـ[٤١] . يقول الشابشي : « وكان أبو عثمان هذا راوية ابن الرومي ، وهو مليح الشعر ، رقيق الطبع ، جيد المعاني في وصف الخمر والأغاني والغزل »[٤٢] . وفي كتب الأدب أسماء طائفة من الرواة الذين أخذوا عنه أخبار ابن الرومي وشعره[٤٣] ، وممن روى عنه شعر ابن الرومي العالم اللغوي الكبير أبو علي القالي[٤٤] .

وما أكثر الرواة عن ابن الرومي ! لقد ترجم الخطيب البغدادي لابن الرومي في كتابه تاريخ بغداد[٤٥] ترجمة مختصرة شغلت في الكتاب المطبوع نحو ثلاث صفحات ونصف صفحة ، وقد أحصيتُ الرواة الذين

شاهدوا ابن الرومي وجالسوه ونقلوا من أخباره ، ورووا ما أنشدهم من أشعاره فكانوا سبعة هم : أبو الحسين علي بن جعفر الحمداني[٤٦] روى مقطعات من شعر ابن الرومي (وكان من رواته الخالع الشاعر وعنه روى الخطيب البغدادي شيئاً من أخبار ابن الرومي وأشعاره)[٤٧] ، والحسين بن القاسم الكوكبي[٤٨] ، وأبو القاسم إسماعيل بن علي الخزاعي[٤٩] ، وهو ابن أخي دعبل بن علي الخزاعي ، وجحظة[٥٠] ، وعلي بن العباس النوبختي[٥١] ، وأبو عثمان الناجم الشاعر[٥٢] ، وإبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي الملقب نفطويه[٥٣] (وممن روى عن نفطويه شعر ابن الرومي المعافى بن زكريا)[٥٤] .

وفي عصر الصولي نفسه صنع الخالديان كتاب اختيار شعر ابن الرومي[٥٥] . وقد يجد المتتبع لكتب الأدب أسماء آخرين سبقوا الصولي أو عاصروه شاركوا في رواية شعر ابن الرومي ، وصنع ديوانه أو مختارات من شعره . بل إن الصولي نفسه شاهد ابن الرومي ورآه . يقول الصولي : « وإنما جئت بابن الرومي لأنه ممن رايتُ وشاهدتُ ، وهو أقربُ المحسنين عهداً ، وآخرهم موتاً ..... »[٥٦] .وستكون دراسة خصبة ممتعة أن يقف أحد المتأدبين بحثاً يتتبع فيه الرواة عن ابن الرومي : المكثرين منهم والمقلين ، متقصياً ماجاء في كتب الأدب والأخبار والمحاضرات ، ويفصل ما أجملته عبارة الخطيب البغدادي وهو يتحدث عن ابن الرومي : « أحد الشعراء المكثرين المجودين في الغزل والمديح والهجاء والأوصاف . روى عنه غير واحد من أهل الأدب »[٥٧] . ثم يمضي في التعرف إلى الطرق التي تنوقلت بها تلك الروايات .

بقي آخر ماجاء في الفقرة الثالثة وهو أن الصولي دوّن شعر ابن

الرومي الذي رواه في مئتي ورقة . لقد أوضحنا آنفاً أن ابن النديم يتحدث عن شعر خالد بن يزيد الكاتب ، وأن مقداره مئتا ورقة ، وأن الصولي عمله على الحروف ، ولا صلة لذلك بابن الرومي وديوانه . وأين تقع مئتا ورقة (أي نحو ٨٠٠٠ بيت من الشعر) من ديوان ابن الرومي الكبير الواسع الذي يجاوز (٣٠٠٠٠) بيت ؟

٤ ـ يقول الأستاذ المحقق وهو يتحدث عن أبي الطيب ورّاق ابن عبدوس الذي جمع ديوان ابن الرومي من جميع النسخ : « ولم نستطع معرفة أبي الطيب » . ومن قبله قال روفن غست : « أما أبو الطيب فلم أجده في المراجع الأخرى »[٥٨] .

وأُحبُّ أن أقول : إن أبا الطيب ورّاق ابن عبدوس معروف مشهور ، شهد له المؤلفون والعلماء بصحة ضبطه ، والثقة بما يكتبه ، وأجمعوا على أن خطه حجة ، ونقلوا عنه في كتبهم دون تحرز اطمئناناً إلى دقته ، وإن اختلفوا فيما وراء ذلك : في تسميته وذكر أخباره . وتحتفظ دار الكتب الظاهرية ـ عمرها الله وصانها وحاطها بيده الحانية ـ بنسخة من ديوان الفرزدق (الجزء الأول) بخطه ، وقد رأى مجمع اللغة العربية بدمشق أن تكون هذه النسخة النادرة الفريدة ، في متناول العلماء والأدباء ، فصوَّرها وأخرجها إلى الناس ، وشرفني بكتابة مقدمة لتلك النسخة ، قلتُ فيها معرّفاً بأبي الطيب : « وكان أحمد بن أحمد كاتباً مجوّداً ، ووراقاً لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري صاحب كتاب الوزراء والكتاب . أثنى عليه ياقوت الحموي ، وجعل خطه حجة ، لصحة نقله ، وإتقان ضبطه ، وقد أكثر أحمد بن أحمد النقل من خط أبي سعيد السكّريّ ، فوثّقه لذلك العلماء ، ورجعوا إليه في مقابلة

نسخهم .... »[٥٩] . وقد رأيتُ تنويهاً بأبي الطيب ورّاق ابن عبدوس أن أعدّد أبرز المراجع التي تحدثت عنه أو أشارت إليه أو أشادت بخطه :

- الفهرست لابن النديم (ط إيران) : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ١٠٤ ، ١٩٠ ، ٣٦٤

- معجم الأدباء لياقوت ٢ : ١٣٧ ـ ١٣٨ ، ٤ : ١٨٨ ـ ١٨٩

معجم البلدان لياقوت (أسنمة ، بطحان ، ترياع ، التناضب ، توماء ، الدفينة ، دوار ، قطر ، المحيصر ، المقر ، النقرة ، وقيط) .

- إنباه الرواة للقفطي ١ : ٢٤٢ ، ٤ : ١٠٠

- الوافي بالوفيات للصفدي ٦ : ٢٢٩ ـ ٢٣٠

- مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ٢ : ٩١

- المغانم المطابة للفيروزابادي : ٥٦

وفي ختام الفقرة الرابعة يتحدث الدكتور المحقق عن أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري مؤلف كتاب الوزراء والكتاب المتوفَّى في سنة ٣٣١ هـ[٦٠] ، ثم يضيف إلى ذلك فيقول : « الذي مدحه ابن الرومي بالقصيدة التي مطلعها :

استقبل المهرجان بالفرح فقد مضت عنك دولةُ الترحِ

ونعود إلى ديوان ابن الرومي (٢ : ٥٤١) لنجد القصيدة في مديح أبي عبد الله عمر بن محمد بن عبدوس . وشتان ماأبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري وأبو عبد الله عمر بن محمد بن عبدوس .

هذا ما بدا لي وأنا أقرأ كلمة ابن النديم في فهرسته ، وتفسيرها وتفصيلها في مقدمة ديوان ابن الرومي . وأرجو ألا أكون أخطأتُ مراد

ابن النديم فيما ذهبتُ إليه ورجحته . فإن لم يكن بدٌّ من شاهدٍ أستأنس به فهو أن القدماء قد فهموا كلمة ابن النديم كما فهمتُ حين تحدثوا عن ابن الرومي ، ووقفوا في صفة ديوانه حيث وقفتُ ، لم يجاوزوه إلى سواه . يقول ابن خلكان في وفيات الأعيان وهو يترجم لابن الرومي : « وكان شعره غير مرتب ، ورواه عنه المسيّبي ، ثم عمله أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف ، وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ فزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت »(٦١) . وكلمة ابن خلكان إنما هي عبارة ابن النديم بنصها ، نقلها عنه غير مصرح بذلك .

(للبحث صلة)

التعليقات والحواشي

(١) ابن الرومي ، حياته من شعره للعقاد (ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٨ م) : ٦ .

(٢) ترجمة الشيخ محمد شريف بن سليم محمد البيومي ومراجعها في كتاب الأعلام للزركلي (ط ٣) ٧ : ٢٩ ، ١٠ : ٢٠٢ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ : ٦٧ .

(٣) حقق الشيخ محمد شريف سليم الذي كان مفتشاً بوزارة المعارف بمصر ، ثم ناظراً لمدرسة دار العلوم ديوان ابن الرومي عن « نسخة فذة في المكتبة السلطانية . وقد طال على هذه النسخة القدم ، حتى كاد يلحقها بالعدم ،..... ولكن نسخة المكتبة السلطانية مملوءة بالتحريف والتصحيف واللحن وغير ذلك ، وما نُسخ منها لبعض أفرادٍ من عشاق الأدب مثل حضرة صاحب السعادة جعفر باشا وليّ ، وصاحب العزة أحمد بن تيمور أكثر تغييراً وتبديلاً لجهل النساخ ، فكان من الضروري إذن أن يُتَحرّى الصوابُ على قدر الإمكان في نقل النسخة المذكورة إلى الطبع ، وأن تراقب صحة الطبع أيضاً » . (ديوان ابن الرومي ، تح محمد شريف سليم ١ : ٨ م) ، وصدر الجزء الأول من الديوان (القاهرة ـ ١٣٣٥ هـ / ١٩١٧ م ، عدد الصفحات : مقدمة ١٢ ص + النص ٥٧٧ ص) مشتملاً على قوافي أحرف الهمزة والألف والباء . وصدر جزؤه الثاني (القاهرة ـ ١٩٢٢ م ، عدد الصفحات : مقدمة ٤ ص + النص ١٢٣ ص + تعليقات ٨٨ ص) مشتملاً على قوافي أحرف التاء والثاء والجيم والحاء والخاء .

والنسخة التي اعتمدها الشيخ محمد شريف هي النسخة التي رمز إليها الدكتور نصار بحرف (د) واعتدها الأصل في تحقيقه (ديوان ابن الرومي ، تح الدكتور حسين نصار ١ : ١٢ ـ ١٨ م) ، ويقابل أشعار الجزء الأول من ديوان ابن الرومي الذي حققه الشيخ محمد شريف سليم القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام (١ ـ ٦٣ ، ١٠١ ـ ٢٤٣) من الجزء الأول من الديوان بتحقيق الدكتور حسين نصار . كذلك تقابل أشعار الجزء الثاني الذي حققه شريف سليم القصائد والمقطوعات ذوات الأرقام (٢٧٥ ـ ٢٨٣ ، ٣٢٥ ـ ٣٤٦) من الجزء الأول من الديوان ، والقصائد والمقطوعات ذوات الأرقام (٣٤٩ ـ ٣٧٢ ، ٣٧٧ ـ ٤٢١ ، ٤٢٩ ـ ٤٤٣) من الجزء الثاني من الديوان بتحقيق الدكتور حسين نصار . وانظر كلمة الدكتور نصار بهذا الشأن (ديوان ابن الرومي . تح الدكتور حسين نصار ١ : ٦ ـ ٧ م) .

(٤) ابن الرومي لروفن غست (ط بيروت) : ٧٩ ـ ٨٢ ، ابن الرومي ، حياته من شعره للعقاد : ٣٤٠ ـ ٣٩٨ ، ديوان ابن الرومي (تح الدكتور حسين نصار) ١ : ٦ ـ ٧ م ، حصاد الهشيم للمازني (ط ٢ ، القاهرة ١٩٣٢ م) : ٣٦٢ ـ ٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ابن الرومي لمحمد عبد الغني حسن (سلسلة نوابغ الفكر العربي ـ ١١) : ٣٥ ـ ٣٦ ، تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين (الترجمة العربية) مج ٢ ج ٤ : ١٧٦ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٢ : ٤٨ ، وبلغ ما اختاره الأستاذ كامل كيلاني من شعر ابن الرومي زهاء (٧٠٠٠) بيت من الشعر ، وبلغ ما اختاره الأستاذ العقاد زهاء (١١٠٠) بيت من الشعر (ابن الرومي لروفن غست : ٨٠ ، ديوان ابن الرومي ، تح الدكتور حسين نصار ١ : ٧) .

(٥) ابن الرومي لمحمد عبد الغني حسن : ٣٦ ، وكان محمود سامي البارودي (ت ١٣٢٢ هـ) قد انتقى مختاراتٍ من شعر ثلاثين شاعراً من فحول الشعراء المولدين ، ورتّب كتابه على سبعة أبواب : الأدب ، المديح ، الرثاء ، الصفات ، النسيب ، الهجاء ، الزهد . وبلغ ما اختاره لابن الرومي في الأبواب السبعة زهاء (٣٧٣٢) بيت من الشعر ، وهو أعلى ما اختاره لشاعر من الشعراء الثلاثين . وطبعت مختارات البارودي بعد وفاته في أربعة أجزاء (مصر ١٣٢٧ ـ ١٣٢٩ هـ) ، وأشرف على تصحيحها وطبعها السيد ياقوت المرسي . انظر مختارات البارودي ج ١ : ٣ ، ج ٤ : ص (د) . وتجد ترجمة البارودي ومراجعها في الأعلام للزركلي (ط ٤) ٧ : ١٧١ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٢ : ١٦٥ ـ ١٦٧ .

(٦) فحول البلاغة للسيد محمد توفيق البكري الصديقي (القاهرة ١٣١٣ هـ) . والشعراء الذين اختار لهم هم : مسلم بن الوليد (ص ٣ ـ ١٠) ، وأبو نواس (ص ١٠ ـ ١٨) ، وأبو تمام (ص ١٨ ـ ٣٨) ، والبحتري (ص ٣٨ ـ ٥٨) ، وابن الرومي (ص ٥٨ ـ ٩٠) ،

وابن المعتز (ص ٩٠ ـ ١١١) ، والمتنبي (ص ١١١ ـ ١٤٠) ، وأبو العلاء المعري (مختار شعره ، ص ١٤١ ـ ١٨٧ ، مختار رسائله ، ص ١٨٨ ـ ٢٧٩) .

وتجد ترجمة السيد محمد توفيق البكري الصديقي (١٢٨٧ ـ ١٣٥١ هـ) في حلية البشر لعبد الرزاق البيطار ١ : ٤٢٩ ـ ٤٣٢ ، ومجلة المقتبس ٢ : ٤٣٨ ، والأعلام للزركلي (ط ٤) ٦ : ٦٥ ـ ٦٦ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٩ : ١٤١ ، وقد عدد صاحبا الأعلام ومعجم المؤلفين في ختام الترجمة بقية المراجع .

(٧) ديوان ابن الرومي (تح الدكتور حسين نصار) ١ : ٨ ـ ٣٦ ، ٤ : ١٧٩٩ .

(٨) الفهرست لابن النديم (ط فلوغل) : ١٦٥ ـ ١٦٦ (ط إيران) : ١٩٠ (ط الاستقامة بالقاهرة) : ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، وقد جعلت بين حاصرتين [ ] ما تفردت به طبعة فلوغل ، وبين هلالين ( ) ما تفردت به طبعة إيران .

(٩) أبو علي أحمد بن أبي قرة ، هكذا أورده الأستاذ المحقق ، والصواب : « أبو عبد الله ، أو أبو عبد الرحمن أحمد بن أبي فنن » . أما أبو علي بن أبي قرة فأحدٌ من نالهم ابن الرومي بسياطٍ من هجائه وشواظ من ناره ، وتدلُّ أهاجي ابن الرومي على أن ابن أبي قرة من أهل البصرة ، وأنه أعور قصير ، وعالم بصيرٌ بالمواقيت والأرصاد (ديوان ابن الرومي ١ : ٣٧٧ ، ٣٩٧ ، ٢ : ٧٦٩ ، ٣ : ٩٨٥ ، ٤ : ١٤٤١ ، ٥ : ١٨٢٩ ، ١٨٤٢ ، ٦ : ٢٢٦٠ ، ٢٢٩٧ ، ٢٤٨٥) . ولعله الذي تحدث عنه ابن النديم فقال في صفته : « ابن أبي قرة ، ويكنى أبا علي . وكان منجّم العلوي البصريّ . وله من الكتب : كتاب العلة في كسوف الشمس والقمر ، عمله إلى الموفق » (الفهرست / ط فلوغل : ٢٧٨ ، ط طهران : ٣٣٧) . وقد أدرجه غست بين اولئك الذين لانعرف عنهم غير ذكرهم في ديوان ابن الرومي (ابن الرومي لروفن غست : ٦٦) .

(١٠) ديوان ابن الرومي (تح الدكتور حسين نصار) ١ : ١٠ ـ ١١ .

(١١)ابن الخبازة هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن زكريا الشاعر ، له شعر كثير في الزهد والرقائق والتذكير بالموت والمواعظ . ترجمته في تاريخ بغداد ٥ : ٤٢٥ ، وأشار إليها محقق الديوان (ديوان ابن الرومي ١ : ٩٧ هـ ٥) . هجاه ابن الرومي هجاءً مراً قبيحاً ونبزه بابن بوران (ديوان ابن الرومي ١ : ٩٧ ـ ٩٨ ، ٢٧٧ ، ٣٤٥ ، ٣٨٢ ، ٢ : ٧٢٧ ، ٣ : ١١٥٥ ـ ١١٥٦ ، ٤ : ١٣٧١ ـ ١٣٧٢ ، ٥ : ١٨٧٥ ـ ١٨٧٨ ، ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ ، ٦ : ٢٣٤٥ ـ ٢٣٥٤ ، ٢٣٥٨ ـ ٢٣٦٥ ، ٢٤٥١ ، ٢٥٤٦ ، ٢٥٤٧ ، ٢٥٥٢ ، ٢٥٨٧) . وكان ابن الخبازة من المغبّرة ، وهم قوم يغبّرون بذكر الله تعالى بدعاء وتضرع أي يهللون ويرددون الصوت

بالقراءة وغيرها . قال الأزهري : وقد سمّوا مايطربون من الشعر في ذكر الله تغبيراً كأنهم إذا تناشدوه بالألحان طرّبوا فرقصوا وأرهجوا فسموا مغبّرة لهذا المعنى . وقيل : سموا مغبرة لتزهيدهم الناس في الفانية وهي الدنيا ، وترغيبهم في الغابرة وهي الآخرة الباقية (اللسان والقاموس ـ غبر) ، ولذلك قال فيه ابن الرومي (الديوان ١ : ٢٧٧) :

ولابن بورانَ وجهُ عذرٍ   لأنه مُطْرِبٌ مصيبُ

وقال فيه (الديوان ١ : ٩٨) :

وكأني أراك تهتف ايـه   تزجر الشعر حضرة الغوغاء
مستميلاً أسماعهم بهجائي   بنباحٍ ملحّنٍ بعُواءِ
قد أصاخوا وأنت تَيْعر كالتيـ   ـسِ وهم ضامزون مثل الشاءِ

(١٢) أبو منصور محمد بن إبراهيم الباخرزي ، من أهل خراسان ، نزل بغداد ، وكان يهاجي مثقالاً الواسطي . ترجمته وأخباره وأشعاره في : معجم الشعراء للمرزباني : ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ، والوافي بالوفيات للصفدي ١ : ٢٤٠ ، والمحمدون من الشعراء للقفطي (دمشق ١٩٧٥ م) : ١٣٥ ـ ١٣٦ ، وأعيان الشيعة ٤٣ : ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(١٣) جاء في لسان العرب (نحل) : « ونحله القولَ : نسبه إليه . ونحلتهُ القولَ : إذا أضفت إليه قولاً قاله غيره ، وادعيته عليه » . ومعنى العبارة أن ابن الرومي كان يقول الشعر في هجاء خالد القحطبي وغيره ، وينسبه إلى مثقال ، ويدّعي أن مثقالاً قاله . وقد خفي معنى النحل على مترجم « تاريخ التراث العربي » فقال : « وكان أبو جعفر محمد بن يعقوب ، مثقال الواسطي غلام ابن الرومي وراويته .... وقيل أيضاً : إن ابن الرومي سرق شعره » . (تاريخ التراث العربي / الترجمة العربية ، مج ٢ ج ٤ : ١٧٤) .

(١٤) من المراجع التي ترجمت لمثقال أو ذكرت أخباره أو أشعاره كتاب الورقة لابن الجراح : ١١٤ ، ومعجم الشعراء للمرزباني : ٤٠٣ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٥ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، والمحمدون من الشعراء للقفطي (دمشق ١٩٧٥ م) : ١٢٦ هـ ١ ، وتاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين (الترجمة العربية) . مج ٢ ج ٤ : ١٩٨ ، ويرى روفن غست أن مثقالاً مات قبل ابن الرومي (ابن الرومي : ٤٩ ، ١٧٦) . وانظر ديوان ابن الرومي٣ : ١٠٤٣ ، ٥ : ١٨٧٥ ، ٦ : ٢٣٥٨ ، ٢٤٥١ ، وانظر أخبار أبي تمام للصولي : ١١٤ .

(١٥) من المراجع التي ترجمت لابن الحاجب أو ذكرت أخباره أو روت أشعاره معجم الشعراء للمرزباني : ٤١٠ ـ ٤١١ ، والوافي بالوفيات ٢ : ٤٧ ـ ٤٨ ، والمحمدون من الشعراء

للقفطي (دمشق ١٩٧٥ م) : ٤ ، ومعاهد التنصيص ٤ : ١١ ، وتاريخ التراث العربي ، مج ٢ ج ٤ : ١٩٩ .

ويثير ديوان ابن الرومي إشكالاً يتطلب مزيداً من البحث والتحقيق ، إذ يسميه أبا شيبة سلامة بن سعيد الحاجب ، وينعته أحياناً بالمغنّي (ديوان ابن الرومي ١ : ١٨٠ ، ٣٥٢ ، ٣ : ٩٧٦ ، ١٠٤٢ ، ١١٥٧ ، ٥ : ٢٠٣١ ، ٦ : 2551) . أما روفن غست فقد قطع بأنه سلامة بن سعيد الحاجب ، وأن المرزباني أخطأ فسماه محمد بن أحمد (ابن الرومي : ٤٩ ، ٧٧ ، ١٧٥ ـ ١٧٦) .

(١٦) ابن الرومي للعقاد : ٧٩ .

(١٧) ابن الرومي ، حياته وشعره لروفن غست : ٤٩ ، ٧٦ ـ ٧٧ ، ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(١٨) ابن الرومي لروفن غست : ٧٧ ، ٢١٩ .

(١٩) من صنوف الورق التي عرفتها الحضارة العربية الورقَ الخراسانيُّ ، وكان يُعمل من الكتان ، على مثال الورق الصيني ، وله ستة أنواع : السليماني ، الطلحي ، النوحي ، الفرعوني ، الجعفري ، الطاهري (الفهرست لابن النديم : ٢٣ ، مقالة الورق أو الكاغد لكوركيس عواد ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٢٣ (١٩٤٨ م) : ٤٠٩ ـ ٤٣٨) .

(٢٠) الفهرست (ط فلوغل) : ١٥٩ (ط إيران) : ١٨١ .

(٢١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٦ (١٩٨١ م) : ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

(٢٢) ديوان ابن الرومي (تح الدكتور حسين نصار) ١ : ١٣ .

(٢٣) ديوان ابن الرومي ١ : ١٤٦ ، ٦ : ٢٦٢٣ .

(٢٤) نظم ابن الرومي أرجوزة ، كثر فيها التصحيف والتحريف ، يقول فيها (ديوان ابن الرومي ٦ : ٢٦٢١ ـ ٢٦٢٣) :

ومنزل الـوحي على نبيّـه

لأنـزلنّ الشعر من حبيّـه

. . . .

في حَضَريّ الشعر أعرابيّـه

لا ومـد الظـلّ ولا ويّـه

. . . .

فرزدقيّ الطرز أغلبيّـه

مـــاشئت عجّـــاجيـــه رؤبيّـــه
لم يتقـــاصر عن مسيّبيّـــه
ولا الـــزهيريّ ولا كعبيّـــه

. . . .

فابن الرومي ، وهو في معرض الإشادة في أرجوزته المدحية ، يتحدث عن ممدوحه فيلحقه بالفحول المتقدمين من الشعراء والرجاز فصاحة وبلاغة . ويرى أنه يسامي ، بنسجه ودبياجته ، شعر الفرزدق والأغلب العجلي والعجاج ورؤبة والمسيب بن علس وزهير بن أبي سلمى وكعب ابنه .

وقد سبق إلى وهم الأستاذ المحقق أن ابن الرومي يتحدث عن المسيّبيّ (أبي الحسين علي بن عبد الله بن المسيب الكاتب) صديقه وروايته ، لا عن الشاعر الجاهلي الكبير المسيب بن علس خال الأعشى ، وكان المسيب بن علس من شعراء بكر بن وائل المعدودين ، وهو أحد ثلاثة عدّهم النقاد أشعر المقلّين وهم المسيب بن علس ، والمتلمس ، وحصين بن الحمام المري ، وضمّ إليهم ابن سلاّم في طبقاته : سلامة بن جندل ، فكانوا الطبقة السابعة من فحول شعراء الجاهلية (طبقات فحول الشعراء لابن سلام ١ : ٤٠ ، ١٥٥ ـ ١٥٧ ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٨١ ، ٨٨ ، ١٢٦ ـ ١٣٠ ، ١٣٥ ، ٦٣٠ ، وفي حاشية الشعر والشعراء : ١٢٦ مراجع ترجمته وأخباره وأشعاره) .

(٢٥) تجد ترجمة أبي عبد الله أحمد بن أبي فنن وأخباره وأشعاره في طبقات ابن المعتز : ٣٩٦ ، ٥٠٦ ، ٥٢٣ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٠٢ ، ومعجم الأدباء ١٦ : ١٨٤ ـ ١٨٥ (ترجمة الفتح بن خاقان) ، ووفيات الأعيان ٤ : ٧٥ ، ٦ : ٣٤١ ، ٣٤٣ ، والوافي بالوفيات ٦ : ٤٢٣ ، وفوات الوفيات ١ : ٧٠ ، وكتاب الديارات للشابشتي (بغداد ١٩٦٦ م) : ١٢٥ ـ ١٢٦ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٢٢٧ ، ٤ : ٦ ، وأخبار أبي تمام للصولي : ٧٠ ، ٧١ ، ١٩٦ ،والأغاني ٤ : ١٠٧ ، وديوان المعاني ١ : ٢٨٤ ، ٣١٥ ، ٣٤٥ ، وتاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج ٢ ج ٤ : ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٢٦) طبقات ابن المعتز : ٤٠٥ ـ ٤٠٦ ، ٥٠٦ ، ٥٢٤ ، الأغاني ٢٠ : ٢٣٣ ـ ٢٤٩ ، سمط اللآلي ١ : ٣١١ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢٣٢ ـ ٢٣٦ ، معجم الأدباء ١١ : ٤٧ ـ ٥٢ ، فوات الوفيات ١ : ٤٠١ ـ ٤٠٢ ، تاريخ بغداد ٨ : ٣٠٨ ـ ٣١٤ ، المنتظم ٥ : ٣٥ ـ ٣٩ ، (وفيات سنة ٢٦٢ هـ) ، الوافي بالوفيات للصفدي (مصورة مخطوطة في خزانة مجمع اللغة العربية

بدمشق) ، الديارات للشابشتي : ١٥ ـ ٢١ ، ١١٦ ـ ١١٧ ، معاهد التنصيص ١ : ٤٠ ـ ٤١ ، النجوم الزاهرة ٣ : ٣٦ ، الأعلام للزركلي (ط ٣) ٢ : ٣٤٣ ، تاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج ٢ ج ٤ : ١٧٠ ـ ١٧١ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٢ : ٣٨ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٤ : ٩٨ ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ١٨ : ٢٥٣ ـ ٢٥٧ ، وتملك دار الكتب الظاهرية العامرة مخطوطة من ديوان خالد بن يزيد الكاتب ، هي اليتيمة في العالم حتى الآن (رقم المخطوطة ٣٣٣١) ، وتملك دار الكتب المصرية مخطوطة منسوخة عنها . وقد قام بتحقيق الديوان الدكتور يونس أحمد السامرائي (بغداد ١٩٨١ م) ، وقدّم له بمقدمة ضافية ، تجد فيها بقية المصادر التي ترجمت للشاعر ، أو ذكرت أخباره أو روت أشعاره .

(٢٧) ومعنى ذلك أن ديوان خالد الكاتب يحوي (٨٠٠٠) بيت في تقدير ابن النديم انظر ما نقلناه آنفاً من تقدير صاحب الفهرست ما في صفحة الورقة بعشرين سطراً ، وعلى التقريب قال ذلك ، لا بالتحقيق والعدد الجزم . أما محقق ديوان خالد الكاتب فقد ذكر أن عدد أبيات المخطوطة التي اعتمدها قد بلغ (٢٣٢٧) بيت (ديوان خالد الكاتب ، تح الدكتور يونس أحمد السامرائي ، ص : ٥٦) .

(٢٨) ترجمة أبي الحسن علي بن العصب (أو علي بن أبي العصب) الملحي وأخباره وأشعاره في يتيمة الدهر للثعالبي ٢ : ١٥٠ ـ ١٥٨ ، ٣ : ١٢٠ ، وتاريخ بغداد ٧ : ٣٩٣ ، ١٢ : ٨٧ ، والوافي بالوفيات ٢٢ : ١١٢ ـ ١١٣ ، والأنساب للسمعاني (مرغليوث) الورقة ٥٤١ / ب ، واللباب لابن الأثير ٣ : ٢٥٤ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٤١١ ـ ٤١٣ (ترجمة ابن سكرة الشاعر) ، والاكال لابن ماكولا ٧ : ٣٢٠ ، والمشتبه للذهبي ٢ : ٤٨٦ ، ٦١١ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ٣ : ١٠٤٦ ، ٤ : ١٣٩٠ ، وتوضيح المشتبه لابن ناصر الدين (في حرف الغين المعجمة وفي حرف الميم / مخطوطة دار الكتب الظاهرية عمرها الله) ، ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٣٢ ، وقد تصحف الاسم على الإمام الذهبي فظنه ابن أبي العقب (المشتبه ٢ : ٦١١) . وابن أبي العقب صاحب قصيدة الملاحم (الأغاني ٢ : ٩ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٥٤ ، كشف الظنون ٢ : ١٨١٨ / ملحمة ابن عقب ، مقدمة ابن خلدون : ٢٨٥) . وابن أبي العقب الشيخ الإمام محدث دمشق أبو القاسم علي بن يعقوب الهمداني (ترجمته ومراجعها في سير أعلام النبلاء ١٦ : ٣٨ ـ ٣٩) .

(٢٩) ذهب مذهب الدكتور نصار في فهم العبارة التي جاءت في الفهرست (ط فلوغل) الأستاذ الدكتور فؤاد سزكين ، فقد قال في ترجمة ابن الرومي : « وعن مثقال روى أبو الحسن بن العصب الملحي ديوانه » (تاريخ التراث العربي ، مج ٢ ج ٤ : ١٧٤) .

(٣٠) ديـوان ابن الرومي ١ : ١١٢ ، ١٤٦ ، ٢٠٢ هـ ٤ ، ٢ : ٨٠٢ ، ٣ : ٩٥٢ ، ٤ : ١٥٧٨ ،١٥٧٩ ، ٦ : ٢٤٥٣ ، ٢٤٩١ ، ٢٥٦٩ ـ ٢٥٧٠ ، ديـوان المعـاني لأبي هـلال العسكري (القـاهرة ١٣٥٢ هـ) ١ : ١٢١ ، ٢٧٠ ، ٢ : ٢٣٧ ، معجم الأدبـاء ٣ : ٢٣٤ ، ١٨ : ١١٣ ـ ١١٤ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٥٨ ، ابن الرومي لروفن غست : ٤٧ ، ٧٦ ، ١٧٣ ـ ١٧٤ ، تاريخ التراث العربي ، مج ٢ ج ٤ : ١٧٤ .

(٣١) ديوان ابن الرومي ٦ : ٢٤٩١ .

(٣٢) ديوان ابن الرومي ٣ : ٩٥٢ ـ ٩٥٤ .

(٣٣) ديوان ابن الرومي (تح الدكتور حسين نصار) ١ : ٢٠٢ هـ ٤ .

(٣٤) ديوان ابن الرومي (تح الشيخ محمد شريف سليم) ١ : ٨ م .

(٣٥) الـوسيـط في الأدب العربي وتـاريخـه (ط ٧ ، القـاهرة ١٩٢٨ م) : ٢٦٩ ، ابن الرومي لمحمد عبد الغني حسن : ٣٥ ، وانظر وفيات الأعيان (تح إحسان عباس) ٣ : ٣٥٨ ، هـ ٢ .

(٣٦) هـو أبـو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٥ هـ) . تجد ترجمته وأخبـاره في الفهرست لابن النديم (ط إيران) : ١٦٧ ـ ١٦٨ ، ١٧٣ (وانظر بقيـة مواضع ذكره في كتـاب الفهرست ص ٤٨ / فهرس الأعلام) ، وتـاريـخ بغـداد ٣ : ٤٢٧ ـ ٤٣٢ ، ومعجم الأدبـاء ١٩ : ١٠٩ ـ ١١١ ، والمنتظم ٦ : ٣٥٩ ـ ٣٦١ (وفيـات سنـة ٣٣٦ هـ) ، ووفيـات الأعيـان ٤ : ٣٥٦ ـ ٣٦١ ، والأنسـاب للسمعـاني ٨ : ١١٠ ـ ١١١ ، واللبـاب ٢ : ٢٥١ ، والعبر للـذهبي ٢ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، وتذكرة الحفاظ ٣ : ٨٤٩ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ : ٣٠١ ـ ٣٠٢ والوافي بالوفيات للصفـدي ٥ : ١٩٠ ـ ١٩٢ ، وإنبـاه الرواة للقفطي ٣ : ٢٣٣ ـ ٢٣٦ ونـزهـة الألبـاء (القـاهرة ١٢٩٤ هـ) : ٣٤٣ ـ ٣٤٥ ، ومعجم الشعراء للمرزبـاني : ٤٣١ ـ ٤٣٢ ، والنجـوم الـزاهرة ٣ : ٢٩٦ ، ولسان الميزان ٥ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٣٩ ـ ٣٤٢ ، والبدايـة والنهـايـة لابن كثير ١١ : ٢١٨ ، ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، وكنوز الأجـداد لمحمـد كرد علي : ١٤١ ـ ١٤٥ ، وتـاريخ الأدب العربي لبروكلمـان (الترجمـة العربيـة) ٣ : ٥١ ـ ٥٤ ، والأعلام للـزركلي (ط ٣) ٨ : ٤ ـ ٥ ، ومعجم المؤلفين ١٢ : ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٣٧) تاريخ بغداد ٣ : ٤٢٧ ، وانظر نزهة الألباء : ٣٤٣ ، والمنتظم ٦ : ٣٥٩ .

(٣٨) تجـد ترجمـة أبي الحسن علي بن العبـاس النـوبختي وأخبـاره في معجم الشعراء : ١٥٥ ـ ١٥٦ ، ومعجم الأدبـاء ١٣ : ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، وسير أعـلام النبـلاء ١٥ : ٣٢٦ ، والمنتظم ٥ / ٢ : ١٦٨ ، والأعـلام للـزركلي (ط ٣) ٥ : ١١١ ، ومعجم المـؤلفين ٧ : ١١٦ ، وانظر ديوان ابن الرومي ٢ : ٥٧٦ ، ٣ : ١١٤٦ .

(٣٩) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٥ ، سير أعلام النبلاء ١٤ : ٢٠ .

(٤٠) تجد ترجمة أبي العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي وأخباره في الفهرست لابن النديم (ط إيران) : ١٦٦ ، ١٨١ ، ١٨٢ (ط الاستقامة / القاهرة) : ٢١٨ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، ومعجم الأدباء ٣ : ٢٣٢ ـ ٢٤٢ ، ولسان الميزان لابن حجر ١ : ٢١٩ ـ ٢٢٠ ، وأعيان الشيعة ٩ : ٣٩ ـ ٤٣ ، وانظر ديوان ابن الرومي ١ : ٢٣٥ ، ٢٨٤ ، ٢ : ٤٨٤ ، ٣ : ٩١٣ ـ ٩١٤ ، ١٠٩٧ ـ ١١١٧ ـ ١١١٨ ، ١١٢٦ ـ ١١٢٧ ، ٤ : ١٧٠٥ ، ٦ : ٢٢٧٨ ـ ٢٢٧٩ ، ٢٤٥٨ ـ ٢٤٥٩ ، وكتاب ابن الرومي لروفن غست : ٤٣ ـ ٤٤ ، ١٦١ ـ ١٦٣ ، وتاريخ التراث العربي ، مج ٢ ج ٤ : ١٧٤ ، وانظر كتاب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف (دمشق ١٩٨١ م) ١ : ٢ ، ٩ ، ١١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ١٠٢ ، ...... ، وكتاب الأغاني ١ : ٢٨ ، ٢٢٤ ، ٢ : ٩ ، ١٧٨ ، ١٩٤ ، ٢٤٢ ، ٣٨١ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٣ : ٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٣٤ ، ٢٤٥ ، ٣١١ ، ٣٢٤ ، ٣٦١ ، ٤ : ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ٣٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢١٨ ، ٣٤٩ ، ٤١٨ ، ومقاتل الطالبيين (القاهرة ١٩٤٩ م) : ٦٩ ، ٧١ ، ٧٣ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٣٨ ، ٣٩١ ، ٤١٠ ، ٤٢٣ ، ٤٤٢ ، .... ، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٩ : ٥٩٤ .

(٤١) ترجمة أبي عثمان الناجم (سعيد بن الحسن بن شداد المسمعي) وأخباره وأشعاره في الموشح للمرزباني : ٣٣٨ ، ورسالة الغفران للمعري (ط ٤) : ٤٠ ـ ٤١ ق ، ٤٧٨ ، ٤٨٢ ، والديارات للشابشتي : ٩٣ ـ ٩٥ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٢٦ ، والأمالي للقالي ١ : ٢٣٠ ، ومعجم البلدان (دير الخوات) ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٩٣ـ ١٩٤ ، وفوات الوفيات ٢ : ٥١ ـ ٥٢ ، ووفيات الأعيان (ترجمة ابن الرومي) ٣ : ٣٦١ ، والأعلام للزركلي (ط ٣) ٣ : ١٣٣ ، ٨ : ٣٠٥ ، وتاريخ التراث العربي (الترجمة العربية) مج ٢ ج ٤ : ١٧٧ ، وابن الرومي لروفن غست : ٤٨ ، ١٧٤ ـ ١٧٥ ، وانظر ديوان ابن الرومي ٢ : ٥١٣ ـ ٥١٤ ، ٧٧٠ ـ ٧٧١ ، ٨٠٢ ، ٣ : ١٠٣٩ ، ٥ : ١٨٨٩ (وفي هامش الصفحات : ٥١٣ ، ٨٠٢ ، ١٨٨٩ تعريف المحقق بأبي عثمان الناجم وأشعاره وأخباره) . وهناك شاعر عرف بمحمد بن سعيد المصري الناجم (سمط اللآلي ١ : ٥٢٥ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٤٢١ ، المحمدون من الشعراء للقفطي : ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٣ : ٩٤ ـ ٩٥) . فهل هما واحد ؟ .

(٤٢) الديارات : ٩٤ .

(٤٣) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٦ ، المنتظم ٥ / ٢ : ١٦٥ .

(٤٤) الأمالي ١ : ٨٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ .

(٤٥) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣ ـ ٢٦ .

(٤٦) أبو الحسين علي بن جعفر الهمداني (٢٦٣ ـ ٣٦٠ هـ) ، روى عن ابن الرومي مقطعات كثيرة من شعره (تاريخ بغداد ١١ : ٣٧٠ ، واللباب لابن الأثير ١ : ٣٨٦ ـ ٣٨٧) .

(٤٧) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٤٨) أبو علي الحسين بن القاسم الكوكبي الكاتب (ت ٣٢٧ هـ) ، صاحب أخبار وآداب وحكايات ، وكان من شيوخ المعافى بن زكريا صاحب الجليس والأنيس (تاريخ بغداد ٨ : ٨٦ ـ ٨٧ ، والأنساب للسمعاني ١٠ : ٤٩٩ ـ ٥٠٠ ، واللباب ٣ : ١١٩ ، والمنتظم ٦ : ٢٩٧ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٣ : ٨٣٢ ، ولسان الميزان لابن حجر ٢ : ٣٠٩ ،و تاريخ التراث العربي للدكتور فؤاد سزكين (القاهرة ١٩٧١ م) ١ / ١ : ٤٤٦ ، والجليس والأنيس للمعافى بن زكريا ١ : ٨٧ ـ ٨٨ ، ٢٠٢ ،٢١٤ ، ٢٣٧ ، ٢٧١ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٣٦٠ ، ٣٨٢ ، ٤٢٥ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٦٨ ، ٤٨٠ ، ٥١٠ ، ٥٣١ ، ٥٨٠ ، ٢ : ١٥ ، ٢٩ ، ٤٧ ، ٦١ ، ٧١ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ١٦٩ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٤١ ، ٣٦١ ، ٣٧٩ ، ٣٩٥ ، ٤٣٢ ، ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، وسير أعلام النبلاء ١٢ : ١١ ، ٣١٣) .
وفي دار الكتب الظاهرية مجموع نفيس يضم فيما يضمه الجزء التاسع من أخبار الكوكبي ، وقد حققته ، وسينشر قريباً بعون الله وحوله . وفي ديوان ابن الرومي قصيدة طويلة في مدح أبي العباس بن ثوابة وهجاء الكوكبي ، وقد نعى ابن الرومي على مهجوه عوره وأنه هجا بني ثوابة الكرام (ديوان ابن الرومي ١ : ١٦٢ ـ ١٧٢) :

أنى هجوتَ بني ثوابه ... ياصاحب العين المصابه

. . . .

عورٌ وإعوارٌ به ... لا تضبط الأيدي حسابه

ولا أجزم أنه الكوكبي الكاتب صاحب الأخبار .

(٤٩) أبو القاسم إسماعيل بن علي الخزاعي (٢٥٩ ـ ٣٥٢ هـ) ، ترجمته في تاريخ بغداد ٦ : ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٥٠) جحظة : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن الوزير يحيى بن خالد بن برمك ، كان كثير الرواية والأخبار ، متصرفاً في فنون من العلم ، ولم يكن يتقدمه أحد في صناعة الغناء . توفي عام ٣٢٤ هـ . انظر ترجمته وأخباره في الفهرست لابن النديم (ط إيران) : ١٦٢ ـ ١٦٣ ، وتاريخ بغداد ٤ : ٦٥ ـ ٦٩ ، ومعجم الأدباء ٢ : ٢٤١ ـ ٢٨٢ ، والمنتظم لابن الجوزي ٦ : ٢٨٣ ـ ٢٨٦ (وفيات سنة ٣٢٤ هـ) ، ووفيات الأعيان ١ : ١٣٣ ـ ١٣٤ ، وسير أعلام النبلاء ١٥ : ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، ولسان الميزان ١ : ١٤٦ ، والأعلام للزركلي (ط ٤) ١ : ١٠٧ ، ومعجم المؤلفين ١ : ١٨٣ ، وانظر ديوان ابن الرومي ١ : ١٧٥ ،

٣٩٩ ـ ٤٠٠ ، ٣ : ٩٨٤ ـ ٩٨٥ ، ١٠٩٢ ، ١١٠٩ ـ ١١١٠ ، ٤ : ١٦٦٠ ، ٦ : ٢٤٧٩ ـ ٢٤٨٣ ، ٢٥١٢ (وفي هامش الصفحتين : ١٧٥ ، ٣٩٩ ترجمة محقق الديوان له مع تعداد أبرز المراجع) .

(٥١) علي بن العباس النوبختي . سبقت ترجمته في الحاشية رقم ٣٨ .

(٥٢) أبو عثمان الناجم الشاعر . سبقت ترجمته في الحاشية رقم ٤١ .

(٥٣) إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي (نفطويه) ، كان نحوياً أديباً ثقةً صدوقاً متقن الحفظ . توفي سنة ٣٢٣ هـ . تجد ترجمته وأخباره في الفهرست لابن النديم (فلوغل) : ٨١ ـ ٨٢ (طهران) : ٩٠ ، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي (القاهرة ١٩٧٣ م) : ١٥٤ ، ومعجم الأدباء ١ : ٢٥٤ ـ ٢٧٢ ، ١٨ : ١٢٥ ، ١٣١ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١٥٩ ـ ١٦٢ ، والمنتظم ٦ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨ (وفيات سنة ٣٢٣ هـ) ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٧ ـ ٤٩ ، وإنباه الرواة ١ : ١٧٦ ـ ١٨٢ ، ونزهة الألباء (القاهرة ١٢٩٤ هـ) : ٣٢٦ ـ ٣٢٩ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٦ : ١٢٩ ـ ١٣٠ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٥ : ٧٥ ـ ٧٦ ،وبغية الوعاة : ١٨٧ ـ ١٨٨ ، والبداية والنهاية ١١ : ١٨٣ ، ولسان الميزان ١ : ١٠٩ ـ ١١٠ ، والبلغة للفيروزابادي : ٧ ـ ٩ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢٩٨ ـ ٢٩٩ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٢ : ٢٢٠ ، والأعلام للزركلي (ط ٣) ١ : ٥٧ ـ ٥٨ ، ومعجم المؤلفين ١ : ١٠٢ ، وانظر ديوان ابن الرومي ٣ : ١٢٥٩ ـ ١٢٦٠ .

(٥٤) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٦ .

(٥٥) الفهرست (ط إيران) : ١٩٥ .

(٥٦) أخبار أبي تمام للصولي : ٢٥ .

(٥٧) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٣ .

(٥٨) ابن الرومي لروفن غست : ٧٦ .

(٥٩) ديوان الفرزدق (دمشق ١٩٦٥ م) : 3 ـ 4 ، كتاب الفرزدق (دمشق ١٩٧٧ م)٢٣٠ .

(٦٠) تجد ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١ هـ) في الفهرست لابن النديم (ط الإستقامة / القاهرة) : ١٩٠ ، ٤٣٧ ، والوافي بالوفيات للصفدي ٣ : ٢٠٥ ، والنجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٩ ، وانظر بقية المراجع في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ٣ : ٥٥ ، والأعلام للزركلي (ط ٤) ٦ : ٢٥٦ ، ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ : ٢٧٥ ، وانظر مقدمة كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (ط القاهرة ١٩٣٨ م) .

(٦١) وفيات الأعيان ٣ : ٣٥٨ .

المدارس في بيت المقدس

في العصرين الأيوبي والمملوكي

تأليف الدكتور عبد الجليل حسن عبد الهادي

مأمون الصاغرجي

كان للمدارس التي أنشئت في الحواضر العربية والإسلامية منذ أواخر القرن الرابع وحتى القرن الثالث عشر الهجري أثر بارز في ازدهار الحركة الفكرية ، يضاف إلى جانبها المعاهد الأخرى ، كالمساجد ودُور القرآن ، ودُور الحديث ، والبيمارستانات التي تعد بمثابة الكليات والجامعات في وقتنا الحاضر .

والمقصود بالمدارس « تلك الدور المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم ، وتدر عليهم المعاليم والأرزاق ، ويتولى تدريسهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء ، يختارون بحسب شروط الواقف ممّن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للدعوة إليه ، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الإلهية والبشرية »[١] .

إن القدس واحدة من تلك الحواضر العربية الإسلامية ، بل هي من أجلّها خطراً في نظر المسلمين بعد مكة والمدينة ، إذ يُعّد مسجدها الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين الذي تشد إليه الرحال[٢] مما حدا بالسلاطين إلى توجيه عنايتهم بها ، وإنشائهم العديد من المدارس والمعاهد العلمية فيها .

تحدث كثير من المؤرخين عن المدارس وإنشائها في تضاعيف كتبهم التاريخية ، كابن الأثير وأبي شامة ، وابن خلكان ، وابن شداد ، والذهبي ، والصفدي ، وغيرهم ، إلا أنهم لم يفردوا المدارس والمعاهد الأخرى بالتصنيف ، ولعل أول من أفرد المدارس بالتصنيف هو النعيمي عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧ هـ) في كتابه المسمّى : « الدارس في تاريخ المدارس » أو « تنبيه الطالب وإرشاد الدارس فيما بدمشق من الجوامع والمدارس »[٣] ثم أتى من بعده عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) فألف كتابه « منادمة الأطلال ومسامرة الخيال » في معاهد الشام الدينية القديمة[٤] .

وربما كان أول من أحصى مدارس القدس مؤرخها وقاضيها مجير الدين العليمي (ت ٩٢٨) سنة ٩٠٠ هـ قبيل انتهاء عهد المماليك[٥] ؛ أما في عصرنا الحاضر فقد نشرت مجلة المجمع العلمي العربي (مج : ٢٠ ص ٢٣٤) مقالاً للدكتور أسعد طلس ، تحدث فيه عن دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها ، وأشار فيه إلى بحث يعده الأستاذ أحمد سامح الخالدي (ت ١٩٥١ م) عن مدارس القدس ومعاهدها[٦] . وممن كتب عن مدارس القدس ومعاهدها الأستاذ عارف العارف في كتابه « المفصل في تاريخ القدس » ـ طبع سنة ١٩٦١ م ـ حيث أفرد لها فصلاً (ص ٢٣٦ ـ ٢٥٥) وكذلك الدكتور كامل العسلي في كتابه الذي صدر مؤخراً عام ١٩٨٠ م « معاهد العلم في بيت المقدس »[٧] .

لقد كان الدكتور عبد الجليل كسلفه الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي ، من أولئك الغُيُر الذين يحزُّ في نفوسهم أن يروا اليد الآثمة وهي تعيث في معالم القدس ، فتعرضها للتشويه والزوال ، حيث تحدث

الأستاذ الطيباوي في مقالـه الـذي نشرتـه مجلتنـا الزاهرة (مج : ٥٤ ص ٧٥٣ ، مـج : ٥٥ ص ٢٣) عن « القـدس الشريف في تـاريـخ العرب والإسـلام » منـذ عهـوده الأولى حتى عصرنـا الحـاضر ، بينمـا يركـز بحث الدكتور عبد الجليل على الحركة الفكرية ومؤسساتها في مدينـة القـدس ، ومن خلال العصرين الأيوبي والمملوكي ، أي منذ تحرير بيت المقـدس من الصليبيين سنة ٥٨٣ وحتى ٩٢٣ هـ .

إن عملاً كهذا يعتد في طليعة الأعمال التي تـدل على أصـالـة القـدس وعروبتها . وكأن الدكتور عبد الجليل يردد مع العلامة عبد القادر بدران قوله :

إليكم يـابني وطني كتـابـاً ... يـذكركم بـآثـار الجـدود
فكـونـوا مثلهم أدبـاً وعلمـاً ... ولا ترضـوا منـادمـة الجمـود[٨]

لم يشـأ الـدكتـور عبـد الجليـل التحـدث عن المـدارس وفـق تقسيم موضوعي كما أشار في مقدمته ، كأن يتحدث عن مدارس الفقه ، ومدارس العربية ، ودور القرآن ، ودور الحديث وغيرها ، وذلك لعدم اقتصـار كل مدرسة على تدريس مذهب معين ، أو علم واحد من العلوم ، « فالمدرسـة الصلاحيـة مثلاً كانت تـدرس العلوم الشرعيـة والعلـوم اللغـويـة والعلـوم الريـاضيـة ، والمنطـق ، وعلم الكـلام ، ولم يقتصر التـدريس فيهـا على المذهب الشـافعي الـذي وقفت عليـه »[٩] . ويلفت انتبـاه القـارئ إلى أن هـذه الـدراسـة « لم تُعن بـالحـديث عن الطراز المعماري لهـا أو مـايتصـل بذلك ، فمجال ذلك رحب لدى الباحثين في علم الآثار »[١٠] .

قسم الدكتور بحثـه إلى ثلاثـة أبواب ، في كل بـاب ثلاثـة أو أربعـة فصـول ، حيث مهـد للبـاب الأول بنظرة عـامـة إلى نظـام التـدريس

وطرقه ، وأحال على كتابه المخصص عن « الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي » تجنباً للتكرار ، ثم تحدث في الفصل الأول عن التدريس في موضوعاته وكتبه ، فذكر عديداً من كتب القراءات ، والحديث ، والفقه بمذاهبه الأربعة ، وعلوم اللغة العربية ، والأدب ، والتاريخ ، والعلوم العقلية والرياضية والطبية ، والتصوف وغيرها . وتناول في الفصل الثاني المشتغلين بالتدريس وأثرهم السياسي والاجتماعي ، فتحدث عن لقب « الشيخ » الذي يعد من أعلى المراتب العلمية ، ثم المدرس ونائب المدرس والمعيد . إذ كان الشيوخ يعينون بمرسوم أو توقيع سلطاني خاص ، ويكون في احتفال خاص يعقد في المسجد الأقصى . وكان الشيوخ والمدرسون يشاركون في الاجتماعات السياسية والاجتماعية التي تعقد في المسجد الأقصى[١١] . ثم انتقل إلى الحديث عن الطلاب وحريتهم في اختيار العلوم التي يرغبون فيها ، والأوقاف الكثيرة التي حبست عليهم ، والمستوى العلمي الذي تحلوا به . وخُصص الفصل الثالث للإجازات العلمية فتحدث عن مفهومها اللغوي والاصطلاحي ، وعدد أنواعها وبين الأسلوب المتبع في إعطائها .

أما الباب الثاني فقسمه إلى ثلاثة فصول أيضاً ، خصص الفصل الأول للحديث عن المدارس في بيت المقدس وأثرها في الحركة الفكرية في العصر الأيوبي ، إذ رتبها ترتيباً تاريخياً ، بحسب إنشائها الزمني ، وتحدث عن الشيوخ والمدرسين والمعيدين الذين تناوبوا عليها ؛ فذكر في طليعة هذه المدارس المدرسة الصلاحية التي أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ ، والتي تعد من أشهر مدارس بيت المقدس ، وأعظمها أثراً في الحركة الفكرية[١٢] ، ويشير إلى أنها أصيبت « بأضرار بالغة من قبل العدو الصهيوني المحتل سنة ١٩٦٧ م »[١٣] .

وخصص الفصل الثاني للمدارس التي أنشئت في القرن السابع الهجري . أما الفصل الثالث من هذا الباب فأفرد للحديث عن الخوانق والزوايا في بيت المقدس .

ونهج المؤلف في الباب الثالث نهجه في الباب السابق ، فذكر مدارس بيت المقدس في العصر المملوكي ، فقسمه إلى أربعة فصول ، أولها للمدارس التي أنشئت في القرنين السابع والثامن الهجريين ، والثاني لمدارس القرن التاسع الهجري ، ثم تحدث عن دُور القرآن والحديث في الفصل الثالث وتناول في الفصل الرابع الخوانق والزوايا والرباطات[١٤] .

ثم أرفق المؤلف في خاتمة بحثه خريطة لمدينة القدس مثبتاً عليها المدارس في أماكنها ، وكلل جهوده بأن أتبع كتابه فهارس فنية شاملة تيسر للباحث الوصول إلى بغيته من أقرب طريق .

نبذة العصر

في انقضاء دولة بني نصر

كانت غرناطة الموئل الأخير الذي لاذ به العرب في الأندلس ، بعد أن تساقطت مدنهم الكبرى وهوت حواضرهم الزاهرة في أيدي العدو المتغلب . وإن تاريخ غرناطة التي صمدت للعدو نحو مئتين وخمسين عاماً أو يزيد لهو ملحمةٌ بطولةٍ فذّة ، سطر صفحاتها الناصعة الفرسانُ العرب الأنجاد بدمائهم وتضحياتهم التي جاوزت المدى . وهو إلى ذلك مأساةٌ مروِّعة ، تكشف عن فسادِ أكثر ملوك غرناطة واعوجاجهم ، وسوء تدبيرهم وتنابذهم واقتتالهم ، حتى أضاعوا الأندلس وأهله .

لم يصل إلينا من أخبار غرناطة في أيامها الأخيرة ، إلا النَّزْر اليسير ، فقد كان أبناؤها في شغل عن التأليف بالداهية التي ألمت بهم وأقضت مضاجعهم ، فهم بين عدوٍّ شرسٍ لايرحم ، يتحيَّفُ أراضيهم ، ويستطيل عليهم ويشتد طمعه فيهم ، وملوكٍ عابثين ، صغار النفوس ، ضعاف الهمم ، لايستحقون رئاسة ، ولاينهضون لدفع أذًى أوردٍّ عادية .

وإنَّ كتاب « نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر » من الكتب القلائل التي بقيت لنا ، والتي شهد مؤلفها أحداث غرناطة ، وهي في الغسق ، حين ألقى ملوكها يد الصغار والذلة ، وأسلموها لأعدائهم ؛ ولم يبق أمام ناسها إلا أن يضرعوا إلى الله هاتفين : « لاغالب إلا الله » حسرةً على مانابهم من فادح المصاب ، وما نزل بهم من كوارث تتابعت لتنتهي بالفاجعة الكبرى حين استولى العدو على جميع بلاد الأندلس .

عرض المؤلف في كتابه أحداث الأندلس التي وقعت في أعوامها الخمسة عشر الأخيرة (٨٨٢ ـ ٨٩٧ هـ) في مدة ملوكها الضعاف الواهنين الثلاثة : أبي الحسن علي بن سعد ، وأخيه أبي عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل ، وابنه أبي عبد الله محمد بن علي الذي نُبز بالصغير ، والذي تخلى عن الأرض والوطن ، فكان أخيب الخائبين .

ويروعك في الكتاب لهجة الصدق ونبرات الألم ؛ وهو يسوق الأحداث والوقائع ، يسردها رابط الجأش ، وإن كان يتنزَّى حزناً وأسىً وغيظاً . ها هو ذا يصف تسليم غرناطة ، وخيانة القابضين على زمام الأمور : « وقد زعم كثير من الناس أن أمير غرناطة ، ووزيره وقواده ، كان قد تقدم بينهم وبين ملك الروم النازلِ عليهم الكلامُ في إعطاء البلد ، إلا أنهم خافوا من العامة ، وكانوا يحتالون عليهم ويلا طفونهم ...

فيا لها من فجعةٍ ما أمرَّها ، ومصيبة ماأعظمها ، وطامَّةٍ ما أكبرها ... فعلى هذا فليبك الباكون وَلْينتحب المنتحبون ... »[١٥] .

طبع كتاب « نبذة العصر » لأول مرة بمدينة ميونيخ (ألمانيا) عام ١٨٦٣ م ، قام بتحقيقه المستعرب الألماني مارك مولّر ، ونشره بعنوان (كتاب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر) ضمن طائفة من النصوص التاريخية الهامة ، صدرت جميعاً في كتاب بعنوان (أشياء عن غرناطة)[١٦] .

ثم أعاد الأمير شكيب أرسلان طبع الكتاب في مجموع يضم : رواية آخر بني سراج لشاتوبريان ، وترجمة الأمير شكيب أرسلان (ص ١ ـ ٥٨) ، يليها كتاب خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة (ص ٦٠ ـ ٣٦٨) ، ويليهما كتاب أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر (ص ٣٦٩ ـ ٤٠٦) ثم أثارة تاريخية رسمية في أربعة كتب سلطانية عثمانية (ص ٤٠٧ ـ ٤١٣) . وقد طبع الكتاب بمطبعة المنار (مصر ١٩٢٥ م) وكانت رواية آخر بني سراج قد طبعت من قبل ذلك بمطبعة الأهرام سنة ١٨٩٧ م[١٧] .

واكتشف الأستاذ الفريد البستاني مخطوطتين للكتاب ، مخطوطة تطوانية تامة ، ومخطوطة مؤلفة من ورقات كانت متناثرة ، فرأى أن يعيد تحقيق الكتاب ، ونَشَره في العرائش (المغرب) عام ١٩٤٠ م بعنوان (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر) ، وضم إليه ترجمة إلى اللغة الإسبانية ، نهض بعبئها المستعرب كارلوس كيروس[١٨] .

وقام بأخَرَة الأستاذ الدكتور محمد رضوان الداية فحقق الكتاب معتمداً رواية (نبذة العصر) التي حققها الأستاذ البستاني منبهاً على

الفروق بينهـا وبين الطبعـة التي أشرف عليهـا الأمير شكيب أرسـلان ، وعلـق على النص تعليقـات مفيـدة هـامـة ، وقـدمـه لقراء العربيـة داني القطاف ، بعـد أن قلّت نسخـه المطبوعـة ؛ وقـد أصـدره بعنوان : « آخر أيام غرناطة » . (دمشق ١٩٨٤م) .

الحواشي

(١) خطط الشام ٦ / ٦٧ .

(٢) في الحـديث الصحيـح عن أبي هريرة أن الرسـول صلى الله عليـه وسلم قـال : « لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، ومسجـدي هـذا ، ومسجـد الأقصى » رواه أحمد ٢ / ٢٣٤ وفي مواضع متفرقة من مسنده ، والبخاري ٢ / ٥٦ باب فضل الصلاة في مسجـد مكة ، ومسلم ٢ / ١٠١٤ (١٣٩٧) كتاب الحج باب لاتشد الرحـال ، والترمـذي عن أبي سعيـد الخدري ٢ / ١٦ أبواب الصلاة باب ما جاء في أي المساجد أفضل ، والدارمي ١ / ٣٣٠ كتـاب الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وانظر مجلـة مجمع اللغـة العربيـة مج : ٥٤ ص ٧٥٨ حاشية (١٠) .

(٣) من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، طبع الجزء الأول عام ١٩٤٨ والثاني عام ١٩٥١ م .

(٤) حاول العلامة عبد القادر بدران طبع كتابه ، فأخرجت مطبعة روضة الشام منـه ملـزمـة واحـدة سنـة ١٣٣١ هـ ، ثم تـوقف فترة ليطبـع بعـدهـا بـدمشـق (١٩٦٠ م) . انظر « منادمة الأطلال » المقدمة : و .

(٥) انظر الأنس الجليل ٢ / ٣٣ وما بعدها ، ومجلة المجمع مج : ٥٤ ص ٧٨٥ ، ٧٨٦ .

(٦) ذكر الزركلي في الأعلام ١ / ١٣٠ (ط ١٩٧٩ م) مؤلفات الخالـدي بعـد أن ترجم له ، فعد منها « تاريخ المعاهد الإسلامية » في ثمانية أجزاء ، وأشار إلى أنـه مـازال مخطوطـاً ، كما ذكر كتاباً آخر « المعاهد المصرية في بيت المقـدس » طبع عـام ١٩٦١ م ، ولعل هـذا الأخير هو الذي عناه الدكتور طلس في مقاله .

(٧) المدارس في بيت المقدس ١ / ٧ و٢ / ٢٢٤ .

(٨) صدّر بدران كتابه الذي طبع منه ملزمـة واحـدة بهـذين البيتين ؛ انظر منـادمـة الأطلال : المقدمة : ف .

(٩) المدارس في بيت المقدس ١ / ٤ ، ٥ .

(١٠) المدارس في بيت المقدس ١ / ٥ .

(١١) المدارس في بيت المقدس ١ / ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٤ .

(١٢) المدارس في بيت المقدس ١ / ١٨١ .

(١٣) المدارس في بيت المقدس ١ / ١٩٦ حاشية .

(١٤) الخوانق جمع خانقاه : وهو رباط الصوفية ومتعبدهم ، فارسية أصلها خانكاه ، والنون فيه مفتوحة ، وهو بقعة يسكنها أهل الصلاح والخير من الصوفية . قال المقريزي : وقد حدثت في الإسلام في حدود الأربعمئة ، وجعلت لمتخلّي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى . والرِّباط : واحد الرباطات ، وهي دور يسكنها أهل الطريق ، وهم الصوفية ، والرباطات منازلهم التي يلازمون فيها مصلين وداعين الله لدفع البلاد عن العباد والبلاد ، كالمجاهدين المرابطين في الثغور الذين يدافعون عمن وراءهم . والزوايا كالخانقات والرباطات ، إلا أنها تقام فيها الأذكار ، وقد كثرت بكثرة الطرق والمشايخ المعتقدين ، وذلك بعد القرن السادس . انظر التاج (خنق ، خنقه ، ربط) وخطط الشام ٦ / ١٣٤ ، ١٣٦ .

(١٥) آخر أيام غرناطة : ١٢٣ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

(١٦) كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر : ١٥ م ، ١٧ م - ١٨ م ، أخبار العصر (ذيل رواية آخر بني سراج) : ٤١٤ ، آخر أيام غرناطة : ٢٣ .

(١٧) رواية آخر بني سراج وذيولها (مصر ١٩٢٥ م) : ١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٣٦٩ ، ٤٠٧ ، ٤١٤ - ٤١٥ ، آخر أيام غرناطة : ٢٣ .

(١٨) نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر : ٣ م ، ١٥ م - ١٩ م ، آخر أيام غرناطة : ٢٣ .

فهارس المخطوطات العربية في العالم

الأستاذ : كوركيس عواد

الباحثة : غزوة بدير

الأستاذ كوركيس عواد من علمائنا الأعلام ، له في باب الفهارس التراثية القِدْحُ المعلَّى ، لا يجاريه فيه سابق . وقد خدم العربية والباحثين بكتبه ومؤلفاته في هذا الميدان الخدمات الجُلَّى ، التي لا تقدر بعِوَضٍ مهما غلا . ولئن لهجت أَلسُنُ الشكر والتقدير بالثناء عليه ، إنها لن توفيه حقه ، ولن تبلغ به المكانة التي حلَّها بجهده وعمله الدائب ، لا يفتر ولا يتوقف . يُضَمُّ إلى ذلك ما جبل عليه من خُلُق كريم ، وما عُرف به من تواضع يؤهلانه أن يكون الأسوة الحسنة والقدوة المثلى في ركب العلماء العاملين علماً وخلقاً ومسلكاً .

آخر مؤلفات الاستاذ الجليل كتابةً : « فهارس المخطوطات العربية في العالم » وقد جاء في جزأين ، (الأول : ٤٤٥ صفحة ، والثاني ٤٤٨ صفحة) ، وهو من منشورات معهد المخطوطات العربية (الكويت ١٩٨٤ م) .

أُفتِتح الكتاب بكلمة (ص ٥ ـ ٦) للدكتور محي الدين صابر المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تلتها مقدمة الأستاذ كوركيس عواد بتبيان مضمون كتابه : « هذا كتاب يحوي أسماء فهارس المخطوطات العربية التي تزخر بها شتى المكتبات في مشارق الأرض

ومغاربها » (ص ٧) ، وعَرْضِ طريقته في إعداده وتبويبه ، والكشف عن رموزه ومختصراته التي اصطنعها فيه .

ثم بدأ بتوطئة مهّد بها لكتابه ، وقسمها على مبحثين :

أولهما : « فهرس الفهارس للمخطوطات العربية » ، عدّ منها تسعة وعشرين فهرساً (ص ١٧ ـ ٢٣) ، وكان نصيب ما هيأه الاستاذ كوركيس منها ثمانية فهارس . ومن أبرز ما ذكره في مبحثه كتاب الدكتور فؤاد سزكين المترجم إلى العربية ، والذي تحدث عن مجموعات المخطوطات العربية في مكتبات العالم (رقم : ١٣ ، ٢٥) . وأشار المؤلف إلى فهرس مطبوعات مجمع اللغة العربية ١٩٢١ ـ ١٩٧٩ م (رقم ٢٢) ، ويحسن بي أن أذكر هنا أن مجمع اللغة العربية قد أصدر بأَخَرَةٍ فهرسه المشتمل على مطبوعاته للأعوام (١٩٢١ ـ ١٩٨٣ م) .

وثاني المبحثين كان فهارس وتقارير عامة ودراسات عن المخطوطات العربية (ص ٢٤ ـ ١٠٣) .

تناول المؤلف بعد ذلك الأقطار التي تملك مخطوطات عربية ، فتتبعها قطراً قطراً مرتبة على حروف المعجم ، وقد عدد في كل قطر جملة المدن التي عرفت بمخطوطاتها العربية مع تبيان المؤسسات العلمية في كل مدينة ، وذكر الفهارس التي تحدثت عن محتويات خزائنها من المخطوطات . وقد بلغ مجموع الأقطار التي سردها الأستاذ كوركيس في كتابه : (٦٦) قطراً (الاتحاد السوفييتي ، الأردن ، اسبانية ، افغانستان ، ألمانيا الاتحادية ، ألمانيا الديمقراطية ، الإمارات العربية المتحدة ....الهند ، هولندة ، الولايات المتحدة ، اليمن الجنوبية وحضرموت ، اليمن الشمالية ، يوغوسلافيا) .

ورقّم المؤلف الفهارس بأرقام متسلسلة فبلغ مجموعها (٣٣١٢) مادة (فهارس المخطوطات العربية في العالم ٢ : ٣٨١) .

ثم ختم المؤلف كتابه بفهرس لأسماء الأشخاص جعله قسمين : أولهما يتضمن الأسماء العربية والأسماء المكتوبة بحروف عربية (٢ : ٣٨٢ ـ ٤٢٩) ، والقسم الثاني يتضمن الأسماء الأجنبية المكتوبة بحروف لاتينية (٢ : ٤٣٠ ـ ٤٤٦) .

ـ فات الاستاذ كوركيس عواد في مبحثه الأول الإشارة إلى دليل الباحث في التراث العربي للاستاذ بسام الجابي ، وهو ثبت بأسماء المكتبات وقوائم المخطوطات في العالم ، مع ذكر اختصارات أهم المجلات التي تبحث في التراث ، وقد صدر عن دار البصائر (دمشق ١٩٨١) وعدد صفحاته (١٠٩) صفحة ، كما فاته ذكر كتاب : فهرس فهارس المخطوطات العربية في العالم ، نشر المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ، ١٩٨٤ ، (طبعة تجريبية) .

وبدا لي وأنا أتتبع العمل الجاد الكبير الذي قام به الأستاذ عواد أن قد سها عن باله ذكر بعض الفهارس مثل فهرس مخطوطات مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي في نابلس (عمان ١٩٨٣) . وهناك تكرار بين الرقمين (٤٥١) و (٢١٨٨) فهما كتاب واحد هو : فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل (عمان ١٩٨٣ م) ، ولم يشر المؤلف إلى ذلك .

وذكر المؤلف (ص ٤٢٧ / رقم ١٥٨٣) أن فهرس مخطوطات الظاهرية (الفقه الحنفي) تحت الطبع ، ويحسن أن نشير هنا إلى أن

الفهرس قد تم طبع جزئه الأول عام ١٩٨٠ ، وطبع جزؤه الثاني عام ١٩٨١ م .

ـ فات المؤلف ذكر مقال للاستاذ رياض عبد الحميد مراد حول مصورة لمخطوطة كتاب العبر موجودة في مكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : مج ٥١ ص ٥٣٧ ـ ٥٧٣ .

ـ كذلك لم يذكر مقال الاستاذ محمد أحمد دهمان عن المخطوط الموجود في الآستانة الذي يبحث في مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن منظور وذلك في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٥٥ ، ص ١٠٨ .

لا يسعنا إلا أن نشيد بهذا الجهد الطيب الذي قام به الاستاذ كوركيس عواد فأسدى إلى المكتبة العربية ومحبي التراث يداً لا تنسى ، والمأمول أن يكون هذا الكتاب ، كما نتوقع له ، مقدمة لاعداد الفهرس الشامل المتجدد للمخطوطات العربية في العالم .

مجلة الثقافة الإسلامية

تلقت خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق العدد الثالث من المجلد الثامن والخمسين من مجلة الثقافة الإسلامية لعام ١٩٨٤ ، وهي مجلة فصلية متخصصة في الدراسات الإسلامية وما يتعلق بنواحيها السياسية والاجتماعية والفكرية والتراثية ، تصدر باللغة الانكليزية في حيدر اباد الدكن ـ الهند ، ويشرف عليها عدد من الأساتذة الكبار المهتمين بالتراث العربي الإسلامي . يحتوي هذا العدد على مقالات حول التاريخ الإسلامي كتبها أساتذة من جامعات عدة .

افتتح المجلة الأستاذ أصغر فتحي ببحث عن الوظائف الاجتماعية والسياسية للمسجد في الجماعة الإسلامية (ص ١٨٩ ـ ١٩٩) ، بحث فيه تطور وظائف المسجد وأهميته لدى المسلمين ، وكيف تغير دور المسجد عبر العصور التاريخية سياسياً واجتماعياً بحيث لم تبق للمسجد الأهمية العظمى التي كانت له في زمن الرسول والخلفاء الراشدين والأمويين .

ـ والبحث الثاني للاستاذ شمس الدين تحت عنوان : السياسة الدينية السوفيتية في أوزبكستان (ص ٢٠١ـ ٢١٦) . حاول فيه المؤلف تحليل الاتجاهات الأساسية للسياسة الدينية السوفيتية بالنسبة للرعايا المسلمين في مرحلة ما بعدالحرب العالمية الثانية . وعرض في نهاية المقال تصوراً يضع الخطوط الأساسية لنموذج الثقافة الناشئة في أوزبكستان .

وثالث الأبحاث يتعلق بالجنيد والحلاج وعنوانه : أوضاع الجنيد والحلاج بالنسبة للسُنَّة والاحوال والمقامات (ص ٢١٧ ـ ٢٢٦) . يبدأ كاتب المقال الاستاذ درشن سينغ فيعرف التصوف ، تلك الحركة الروحية في الإسلام ، ثم ينتقل بعد ذلك ليذكر أن الحلاج والجنيد هما أكثر من أفرط في الصوفية في التاريخ الإسلامي بأكمله .

وكتب الاستاذ أكمل أيوب بحثاً بعنوان : الإسهامات التركية للخرائطية (علم أو رسم الخرائط) (ص ٢٢٧ ـ ٢٣٢) ، عرف فيه في البداية علم الخرائط ، وأن الأتراك مثل العرب ميزوا أنفسهم في هذا الفرع من المعرفة . ثم بيّن اهتمام الأتراك بالمسائل الجغرافية . وأن أول جغرافي تركي اهتم بهذا العلم هو برهان الحق ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الذي ولد عام ٣٦٢ هـ .

وهنـاك بحث بعنوان : الزكاة ودلالتهـا في الهنـد في القرون الوسطى (ص ٢٣٣ ـ ٢٤٤) للاستاذ زفرُل إسلام يعرف فيه الزكاة بأنها زيادة ونمو في المـال ، وأنهـا وردت في طـائفـة من آي القرآن الكريم ، لينتقـل من بعدها إلى مناقشة الزكاة في الهنـد في القرون الوسطى مزينـاً بحثـه ببعض الأمثلة من التاريخ الهندي .

ومن البحوث أيضـاً بحث يتعلق بـابن عربي لـلاستـاذ محمـد بيرقـدار سمّاه : نسبية علم الكونيات لدى ابن عربي (ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠) . يقول في بداية مقاله : « إنه مقال حول المظهر الخاص لعلم الوجود والكونيات لدى ابن عربي ، وإن أي شخص يعرف ابن عربي يتعرف صعـوبـة الكـلام عليه » . ويوضح الكاتب أنه لفهم النسبية لعلم الكونيات لديـه علينـا أن نبدأ بتعريف تفكيره لعلم الكونيـات . وهو مـا عرض لـه الكاتب في تتمـة البحث .

وأمـا الأستـاذ سُبشـاه برهـار فقـد كتب بحثـاً تحت عنـوان : بعض الحدائق المغولية المنقرضة في البنجاب ، يذكر فيه أن الأزهار والنبـاتـات أعجبت الهنـود منـذ الأزمنـة المبكرة ؛ وفي الأدب البـوذي والمسرحيـات السنسكريتية ملامح كثيرة عن تلك الحدائق .

ثم ننتقل إلى عالم الكتب والمجلات ، وهو آخر ما اتحفتنا به المجلـة ممـا يهم الباحثين فأوردت أسماء أبرز المجلات العلمية . واختـارت من كل مجلـة عناوين أهم مقالاتها . وهذه هي المجلات التي نوهت بها :

١ ـ مجلة جامعة جون ريلاند في مانشستر .
٢ ـ مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية في جامعة لندن .

٣ ـ مجلة البرهان .

٤ ـ مجلة دراسات إسلامية ، تصدر في الهند .

٥ ـ مجلة الجامع ، تصدر في الهند .

٦ ـ مجلة البحث في الاقتصاد الإسلامي .

٧ ـ مجلة معارف .

٨ ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

٩ ـ مجلة العالم الإسلامي .

لقد تجلى على صفحات المجلة الاهتمام والعناية اللذان يبذلها المشرفون عليها وظهر لقارئها ما قدموا من جهد مشكور لتبدو في المستوى العلمي اللائق .

(آراء وأنباء)

تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني سبح

لمجمع اللغة العربية

صدر عن السيد رئيس الجمهورية المرسوم ذو الرقم ٣١ المتضمن تجديد رئاسة الأستاذ الدكتور حسني سبح لمجمع اللغة العربية :

مرسوم رقم ٣١

رئيس الجمهورية

يرسم مايلي .

مادة ١ ـ يجدد تعيين السيد الدكتور حسني سبح رئيساً لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٧ / ١٢ / ١٤٠٤ هـ الموافق ١٢ / ٩ / ١٩٨٤ م

مادة ٣ ـ ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٣ / ٤ / ١٤٠٥ هـ

٥ / ١ / ١٩٨٥ م

رئيس الجمهورية

حافظ الأسد

وكان مجلس مجمع اللغة العربية قد عقد جلسته الأولى في الدورة المجمعية ٨٤ ـ ٨٥ (تاريخ ١٧ ذي الحجة ١٤٠٤ هـ الموافق ١٢ أيلول ١٩٨٤ م) فجدَّد بالإجماع وبالاقتراع السري انتخاب الرئيس لأربع سنوات أخرى ، وصدر بذلك المرسوم المذكور آنفاً .

وأسرة المجمع تتمنى للمجمع مزيداً من النشاط والعمل لخدمة اللغة العربية والتراث العربي في ولايته الخامسة هذه .

تقرير عن أعمال المجمع في دورته المجمعية

(١ / ٩ / ١٩٨٣ ـ ٣١ / ٨ / ١٩٨٤ م)

١ ـ مجلس المجمع

عقد مجلس المجمع في دورته المجمعية ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ ثلاث عشرة جلسة نوجز فيما يلي أهم مابحث فيها .

ـ درس المجلس كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المتضمن دعوة المجمع للمشاركة في حلقة دراسية تعقد في الرباط في ٢٠ / ١ / ١٩٨٤ حول استعمال الحرف العربي في (الحاسوب) ، والعلاقة بين (الحاسوب) وبين علم اللغات ، والشفرة الموحدة ـ الطريقة المعيارية ـ بنك المعطيات المعجمية . ولقد تركز النقاش حول مشروع الاستاذ الأخضر غزال لتطوير شكل الحرف العربي .

وقرر المجلس ترشيح الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي لتمثيل المجمع في هذه الندوة غير أن هذا الاشتراك قد تعذر بسبب تأخر المنظمة في إنجاز الترتيبات الضرورية من أجل سفره .

ـ درس المجلس موضوع مشاركة المجمع في الاتفاقات الثقافية التي تعقدها وزارة التربية العربية السورية مع الدول الأخرى من عربية وأجنبية ، وأجمع السادة أعضاء المجلس على ضرورة مشاركة المجمع في هذه الاتفاقات .

ـ رحب مجلس المجمع بالمرسوم ذي الرقم ٧٥٩ المؤرخ في ٢٧ / ٨ / ١٩٨٣ القاضي بتدريس اللغة العربية في جميع سنوات كليات

الجامعات العربية السورية .

- اطلع المجلس على الكتب التي وجهها إلى المجمع مكتبُ تنسيق التعريب في الرباط حول مشروع معجم علم اللغة (اللسانيات) وحول توصيات اللجنة الاستشارية في هذا المكتب .

- اطلع المجلس على الدعوة التي وجهها الى المجمع مكتبُ تنسيق التعريب في الرباط للمشاركة في مناقشة مشروع معجم ألفاظ التربية في ٢٥ / ١٠ / ١٩٨٣ في العاصمة المغربية .

- درس المجلس تقرير لجنة المجلة والمطبوعات عن المقدمة التي وضعها الأستاذ الدكتور شكري فيصل لديوان المرحوم الأستاذ شفيق جبري : نوح العندليب .

- اطلع المجلس على أسماء الكتب المترجمة من الفرنسية إلى العربية في تونس ، والكتب التي ترجمها وأصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون في الكويت ، والكتب التي ترجمت في العربية السعودية وفي العراق ، في عامي ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ . كما اطلع على أسماء الكتب التي ترجمتها وأصدرتها المؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر في الأعوام ١٩٨١ ـ ١٩٨٤ .

- انتخب المجلس أعضاء اللجان التالية : لجنة المصطلحات ، ولجنة المجلة والمطبوعات ، ولجنة المخطوطات وإحياء التراث ، ولجنة ألفاظ الحضارة ، ولجنة الأصول ، ولجنة اللهجات العربية المعاصرة . وأجاز اللجان جميعها الاستعانة بمن تشاء من الخبراء سواء من أعضاء المجمع أو من خارجه .

- اطلع المجلس على كتاب القائد العام للجيش والقوات المسلحة حول تسمية الشوارع بأسماء الشهداء وقرر المجلس التذكير والتأكيد على محافظة مدينة دمشق بضرورة تسمية بعض شوارع العاصمة بأسماء أعضاء المجمع المتوفين سواء أكانوا من مدينة دمشق نفسها أم كانوا من غيرها .

- قرر المجلس المشاركة في أعمال الملتقى الدولي الثالث للسانيات المقرر عقده في تونس في شهر تشرين الثاني ١٩٨٤ ، بدعوة من مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية التابع للجامعة التونسية ، وبما أن المجمع لم يتلق من المركز الآنف الذكر جواباً عن معلومات طلبها حول الملتقى المذكور فقد تعذرت المشاركة فيه .

- درس المجلس العرض الذي قدمه السيد مدير معهد المخطوطات العربية في الكويت حول مساهمة المعهد في طبع الكتب أو فهارس المخطوطات التي يصدرها المجمع فقرر تشكيل لجنة لوضع مسودة مشروع الاتفاق . ولقد تقدمت هذه اللجنة بتوصيات ناقشها المجلس وأقرها ، ووجهت رئاسة المجمع كتاباً في هذا الشأن إلى السيد مدير معهد المخطوطات العربية في الكويت .

- قرر المجلس تكليف الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي تمثيل المجمع في الندوة التي يقيمها اتحاد الكتاب العرب في دمشق من ١٩ إلى ٢١ / ٥ / ١٩٨٤ حول مشكلات الكتاب العربي وذلك بإعداد بحث حول تقويم كتب التراث وقد حقق الدكتور اليافي هذه المهمة .

- درس المجلس كتاب الدكتور سلمان قطاية المتضمن اقتراحه تهيئة احتفالاتٍ لسنة ١٩٨٨ بمناسبة مرور ٧٠٠ سنة آنذاك على وفاة العالم العربي ابن النفيس وقد رحب المجلس بهذا الاقتراح واضعاً في حسبانه أن يقوم المجمع بما يترتب عليه في هذا الشأن في الحين الملائم .

- دعي المجلس إلى انتخاب رئيس جديد للمجمع نظراً لانتهاء مدة رئاسة السيد الأستاذ الدكتور حسني سبح . ولقد أصر الأستاذ الرئيس على رفضه تجديد انتخابه ، فقرر المجلس تأجيل بت هذا الموضوع إلى أول جلسة تعقد في الدورة المجمعية المقبلة .

٢ ـ أعمال لجان المجمع

ـ لقد قامت لجنة المصطلحات بدراسة مصطلحات جيولوجية ومصطلحات كيميائية ومصطلحات من نطاق العلوم الحيوية وأقرتها كما قامت اللجنة بوضع بعض القواعد لأعمالها .

ـ بذل كل من لجنة المجلة والمطبوعات ، ولجنة المخطوطات وإحياء التراث ، جهوداً كبيرة تجلت فيما صدر من أعداد المجلة وما ظهر من مطبوعات المجمع الأخرى .

٣ ـ مشاركات المجمع خارج القطر

ـ شارك الأستاذ الدكتور حسني سبح بالاحتفال بالذكرى المئوية لمولد المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون العضو المراسل السابق في مجمع اللغة العربية بدمشق وذلك بين ٩ و ٢٠ / ١٢ / ١٩٨٣ في باريس .

ـ قرر المجلس ترشيح الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب الرئيس لتمثيل المجمع في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية في الجزائر من ٧ إلى ٩ / ٤ / ١٩٨٤ ، وقد شارك الأستاذ نائب الرئيس في هذه الندوة .

ـ كان الأستاذ وجيه السمان قد رشح في الدورة المجمعية ٨٢ ـ ٨٣ للاشتراك في ندوة مصطلحات الاتصالات السلكية واللاسلكية التي ستعقد في الرباط في عام ١٩٨٤ . بين ١٥ ايلول و١٧ تشرين الأول ١٩٨٤،اشترك الأستاذ السمان في الندوة التي تم فيها مراجعة عشرة آلاف مصطلح في نطاق الاتصالات .

٤ ـ عضو جديد في المجمع

حدَّد المجلس يوم الخميس العاشر من شهر شعبان ١٤٠٤ هـ الموافق

العاشر من شهر أيار ١٩٨٤ م موعداً لعقد جلسة علنية لاستقبال عضو المجمع الجديد الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان . وقد عقدت هذه الجلسة في قاعة المرحوم الأستاذ محمد كرد علي في مبنى المجمع القديم (المدرسة العادلية) .

٥ ـ مطبوعات المجمع

أ ـ الكتب التي أنجز طبعها خلال هذه الدورة هي :

١ ـ التوفيق للتلفيق للثعالبي ، تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح .
٢ ـ مشيخة ابن طهمان ، تحقيق الأستاذ الدكتور محمد طاهر مالك .
٣ ـ سفر السعادة وسفير الإفادة للسخاوي (ج ١ و ٢ و ٣) ، تحقيق الأستاذ محمد الدالي .
٤ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن) الجزء الأول ، وضعه الأستاذ صلاح الخيمي .
٥ ـ شعر دعبل بن علي الخزاعي ، تحقيق الدكتور عبد الكريم الأشتر (ط ٢) .
٦ ـ نوح العندليب (ديوان شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري) طبع بإشراف الأستاذ قدري الحكيم وتقديم الدكتور شكري فيصل .
٧ ـ نظرات في ديوان بشار بن برد ، بقلم الأستاذ الدكتور شاكر الفحام .
(مقالات سبق أن نشرتها مجلة المجمع) .
٨ ـ فهرس المجاميع المخطوطة في الظاهرية (الجزء الأول) وضع الأستاذ ياسين السواس .
٩ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (علوم القرآن) الجزء الثاني ، وضعه الأستاذ صلاح الخيمي .

ب ـ الكتب التي يجري طبعها :

١ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر :

أ ـ جزء فيه تراجم الأحمدين ، تحقيق الأستاذ عبد الغني الدقر ومراجعة الأستاذ مطاع الطرابيشي .

ب ـ جزء فيه تراجم (عبد الله بن سالم ـ عبد الله بن أبي عائشة) تحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي .

جـ ـ جزء فيه ترجمة عثمان بن عفان ، تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

د ـ جزء فيه قسم من السيرة النبوية ، تحقيق الأستاذة نشاط غزاوي .

٢ ـ معرفة الرجال ليحي بن معين (الجزء الأول) ، تحقيق الأستاذ محمد كامل القصار .

٣ ـ المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء ، تحقيق الأستاذ مصباح غلاونجي والأستاذ ماجد الذهبي .

٤ ـ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، صنعة الأستاذ مطاع الطرابيشي .

جـ ـ الكتب التي انهت اللجان دراستها وتقرر طبعها :

١ ـ كتاب اللامات لأحمد بن فارس ، تحقيق الدكتور شاكر الفحام .

٢ ـ كتاب وصف المطر والسحاب لابن دريد ، تحقيق الأستاذ التنوخي ، مراجعة الدكتور شاكر الفحام .

٣ ـ شعر خداش بن زهير ، تحقيق الدكتور يحي الجبوري .

٤ ـ ديوان أبي الفتح البستي ، تحقيق الأستاذ لطفي الصقال والأستاذة

درية الخطيب .

٥ ـ المستدرك على فهرس مخطوطات الظاهرية (الشعر) وضعه الأستاذ رياض مراد .

٦ ـ فهرس مجلة مجمع اللغة العربية (السنوات العشر الخامسة) وضعه الأستاذ محمد خير محمد .

٧ ـ الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي (الجزء الأول) تحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان (رسالة ماجستير) .

٨ ـ الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي (الجزء الثاني) تحقيق الأستاذ غازي طليمات (رسالة ماجستير) .

٩ ـ المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني ، تحقيق الأستاذ سبيع الحاكمي .

١٠ ـ البغداديات لأبي علي الفارسي ، تحقيق الآنسة رفاه طرقجي (رسالة ماجستير) .

١١ ـ فصول التماثيل في تباشير السرور لعبد الله بن المعتز ، تحقيق الدكتور جورج قنازع والدكتور فهد أبو خضرة .

١٢ ـ المسائل المنثورة لأبي علي الفارسي ، تحقيق الأستاذ مصطفى الحدري (رسالة ماجستير) .

١٣ ـ إعراب الحديث النبوي للعكبري ، تحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان (طبعة ثانية) .

٦ ـ مطبوعات المجمع في معارض الكتب

مثلت دار الفكر للطباعة المجمع في عرض مطبوعاته خلال الدورة المجمعية الماضية بمعارض الكتب التالية :

١ ـ معرض الجزائر الدولي الثاني للكتاب الجزائر بتاريخ ١٩٨٣/٩/٢٣

٢ ـ المعرض التاسع للكتاب العربي الكويت بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢
٣ ـ معرض الكتاب الجغرافي العربي المغرب بتاريخ ١٩٨٣/١١/٢٥

وستعرض دار الفكر للطباعة مطبوعات المجمع في المعارض التالية :

١ ـ معرض الجزائر الدولي الثالث للكتاب وسيقام في الجزائر بتاريخ ٢١ / ٩ / ١٩٨٤
٢ ـ المعرض السادس للكتاب وسيقام في صنعاء بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٨٤
٣ ـ المعرض العاشر للكتاب العربي وسيقام في الكويت بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٩٨٤

٧ ـ مكتبة المجمع الخاصة

كانت الزيادة في هذه المكتبة خلال الدورة المجمعية (٨٣ ـ ٨٤) ١٢٠ كتاباً شراء و٣٣٢ كتاباً إهداء من المؤلفين أو من مؤسسات عامة .

٨ ـ موازنة المجمع

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في الميزانية العامة للدولة لعام ١٩٨٤ مبلغ (١٥٨٧٠٠٠) ل . س ، كما بلغ المرصود للمجمع من الميزانية الاستثمارية لعام ١٩٨٤ مبلغ (٢٥٠٠ ٠٠٠) ل . س خصصت من أجل إتمام مشروع تحويل النفق الكائن تحت مدخل بناء المجمع (في الجانب الشمالي من مدخله) إلى مستودعات فنية تضم مطبوعات المجمع .

هذا وقد صرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية العامة حتى ٣١ / ٨ / ١٩٨٤ مبلغ (١٠٠٤٦٥٩,٨١) ل . س ، وصرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية الاستثمارية حتى التاريخ الآنف الذكر مبلغ (١١١٩٤٨) .

٩ ـ افتقاد مجمعيين

افتقد المجمع خلال دورته المنصرمة عضوين من كبار أعضائه المراسلين ومن أفذاذ شعراء العرب في العصر الحديث وهما :

١ ـ الشاعر الغنائي المبدع الأستاذ حسن كامل الصيرفي عضو المجمع المراسل من مصر ، انتقل إلى رحمته تعالى في مصر الجديدة بتاريخ ١٩ أيار ١٩٨٤ .

٢ ـ الشاعر المهجري الكبير الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي) عضو المجمع المراسل من البرازيل توفاه الله في مسقط رأسه في جبل لبنان بتاريخ ٢٨ آب ١٩٨٤ .

١٠ ـ دار الكتب الظاهرية

١ ـ أصبح عدد الكتب المطبوعة الموجودة في المكتبة الظاهرية ٦٨٦٥٦ كتاباً بعد أن دخل المكتبة ٥٢٢ كتاباً عربياً و٨٠ كتاباً بلغة أجنبية كان المشترى منها ١٥١ كتاباً .

٢ ـ بلغ عدد الكتب المعارة ١٨٥٠٤ كتاب .

٣ ـ بلغ عدد رواد المكتبة حوالي ٧٦ ألفاً .

٤ ـ بلغت الدوريات التي دخلت الدار في هذه الدورة ٢٧٢ باللغة العربية و ١٥٨ بلغة أجنبية .

٥ ـ بلغ عدد مستعيري الدوريات ٢٢٤ قارئاً .

٦ ـ تم تصوير ٣٧٠ مخطوطة لصالح مكتبة المجمع .

٧ ـ تم تصوير ٤٩٤ مخطوطة لصالح المؤسسات العلمية وطلاب البحث والتحقيق .

فهارس دار الكتب الظاهرية

الصادرة حتى عام ١٩٨٤ م

محمد مطيع الحافظ

- سجل كتب المكتبة العمومية

وفيه تعليمات المكتبة وتنظيماتها ، وفهرس بأسماء الكتب التي تضمها وأرقامها ومن وقفها، طبع بدمشق عام ١٢٩٩ هـ - ١٠٠ صفحة من الحجم الكبير - أشرفت على طبعه الجمعية الخيرية بدمشق .

أهم التعليمات فيه هي ضم الكتب الموقوفة في مكتبات دمشق وجوامعها ، وجعلها في تربة الملك الظاهر ، وتشكيل لجنة تشرف على المكتبة تسمى جمعية المكتبة العمومية يرأسها مفتي دمشق الشيخ محمود حمزة ، وتعيين محافظين اثنين لها .

وقد جمعت المكتبة العمومية (دار الكتب الظاهرية الآن) الكتب الموجودة في المكتبات الآتي ذكرها :

المكتبة العمرية ، مكتبة عبد الله باشا ، مكتبة سليمان باشا ، مكتبة الملا عثمان الكردي ، مكتبة الخياطين ، مكتبة المرادية ، مكتبة الشميصاتية ، مكتبة الياغوشية ، مكتبة الأوقاف ، مكتبة بيت الخطابة (الجامع الأموي) . وضم إليها طائفة من الكتب الأخرى .

وقد أدرجت الكتب في الفهرس حسب الموضوعات ، في جدول ذكر فيها الرقم المتسلسل واسم الكتاب والمؤلف ، واسم المكتبة التي كان فيها من قبل ، أو اسم من وقفه حديثاً . والملاحظات .

بلغ عدد الكتب حتى تاريخ طبع هذا السجل ٢٤٦٥ كتاباً ، علماً بأن غالبها من المخطوطات ، والقليل منها من المطبوعات ، إذ قارب عدد المطبوعات ٧٠ كتاباً .

- خزائن الكتب في دمشق وضواحيها

تأليف حبيب الزيات - ٢٤٦ صفحة - صدر في القاهرة - مطبعة القاهرة عام ١٩٠٢ م وصدرت الطبعة الثانية بدمشق عام ١٩٨٢ م مصورة مع مقدمة فيها تعريف بالمؤلف ومؤلفاته

الكتاب في أربعة أقسام : ١ - خزائن الكتب في دمشق ٢ - في صيدنايا ومكتبة دير الشاغورة ٣ - في معلولا ولهجتها السريانية ٤ - في يبرود ومكتبة المطران غريغوس عطا .

في القسم الأول تعريف بنشأة المكتبة الظاهرية ، وأسماء المكتبات التي جمعت منها المخطوطات ، ثم تعريف بكثير من المجاميع المخطوطة وما تحويه من رسائل . ثم تعريف بمخطوطات الفرائض والتوحيد والكلام ، والتصوف ، واللغة ، والنحو ، والصرف ، والمعاني والبيان والبديع ، والمنطق وآداب البحث والمناظرة ، والسيرة النبوية ، والتاريخ ، والأدبيات ، والطب ، والكيمياء ، والحكمة الطبيعية والإلهية ، والحساب والجبر ، والهيئة .

- فهرس مخطوطات التاريخ وملحقاته

وضعه الدكتور يوسف العش - ٤٦٨ صفحة - صدر عام ١٩٤٧ م .

- فهرس مخطوطات التاريخ وملحقاته (الجزء الثاني)

وضعه الأستاذ خالد الريان - ٩٢٠ صفحة صدر عام ١٩٧٣ .

وفيه وصف للمخطوطات التاريخية التي وردت بعد صدور الجزء الأول ، كما يضم في آخره وصفاً موجزاً للمخطوطات التي وضعها الدكتور العش في فهرسه .

ـ فهرس مخطوطات علوم القرآن

وضعه الدكتور عزة حسن ـ ٤٦٤ صفحة ـ صدر عام ١٩٦٢ م .

ـ فهرس مخطوطات علوم القرآن الكريم ـ الجزء الأول

ويضم وصفا لمخطوطات المصاحف ، التجويد ، القراءات ـ وضعه الأستاذ صلاح محمد الخيمي ـ ٥٤٤ صفحة ـ صدر عام ١٩٨٣ م .

ـ فهرس مخطوطات علوم القرآن الكريم ـ الجزء الثاني

وضعه الأستاذ صلاح محمد الخيمي وفيه وصف لمخطوطات علوم القرآن ـ ٤٢٤ صفحة ـ صدر عام ١٩٨٤ م .

ـ فهرس مخطوطات علوم القرآن الكريم ـ الجزء الثالث

وضعه الأستاذ صلاح محمد الخيمي وفيه وصف لمخطوطات التفسير ـ ٥٢٨ صفحة ـ صدر عام ١٩٨٤ م .

وفي الأجزاء الثلاثة وصف لجميع المخطوطات في علوم القرآن الكريم بما فيها أسماء المخطوطات التي ذكرها ووصفها الدكتور عزة حسن في فهرسه الذي صدر عام ١٩٦٢ م .

ـ فهرس مخطوطات الفقه الشافعي

وضعه الشيخ عبد الغني الدقر ـ ٣٥٦ صفحة ـ صدر عام ١٩٦٣ م .

ـ فهرس مخطوطات الشعر

وضعه الدكتور عزة حسن ـ ٤٣٦ صفحة ـ صدر عام ١٩٦٤ م .

ـ فهرس مخطوطات الطب والصيدلة

وضعه الدكتور سامي خلف حمارنة ـ راجعته السيدة أسماء الحمصي ـ ٦٩٢ صفحة ـ صدر عام ١٩٦٩ م .

ـ فهرس مخطوطات الطب والصيدلة (الجزء الثاني)

وضعه الأستاذ صلاح محمد الخيمي ـ ٤٩٤ صفحة ـ صدر عام ١٩٨١ م .

وفيه وصف لمخطوطات الطب والصيدلة التي وردت بعد صدور الجزء الأول ، كما يضم في آخره وصفاً موجزاً للمخطوطات التي ذكرت في الجزء الأول ـ ولطائفة من المخطوطات فات وصفها في الجزء الأول .

ـ فهرس مخطوطات علم الهيئة وملحقاته

وضعه الأستاذ إبراهيم الخوري ـ ٣٧٦ صفحة صدر عام ١٩٦٩ م .

ـ فهرس مخطوطات الجغرافية وملحقاتها

وضعه الأستاذ إبراهيم الخوري ـ ١٩٢ صفحة صدر عام ١٩٦٩ م .

ـ فهرس المنتخب من مخطوطات الحديث

وضعه الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني ـ ٥٢٦ صفحة ـ صدر عام ١٩٧٠ م .

ـ فهرس مخطوطات الفلسفة والمنطق

وضعه الأستاذ عبد الحميد حسن ـ ٢٨٤ صفحة ـ صدر عام ١٩٧٠ م .

ـ فهرس مخطوطات الرياضيات

وضعه الأستاذ محمد صلاح عائدي ـ ١٤٨ صفحة ـ صدر عام ١٩٧٣ م .

ـ فهرس مخطوطات علوم اللغة العربية ؛ اللغة

وضعه السيدة أسماء الحمصي ـ ٧٨٤ صفحة صدر عام ١٩٧٣ م .

ـ فهرس مخطوطات علوم اللغة العربية : النحو

وضعته السيدة أسماء الحمصي ـ ٧٧٦ صفحة صدر عام ١٩٧٣م .

ـ فهرس مخطوطات التصوف ـ الجزء الأول

وضعه الأستاذ محمد رياض المالح ـ ٧٩٠ صفحة ـ صدر عام ١٩٧٨ م .

ـ فهرس مخطوطات التصوف ـ الجزء الثاني ـ

وضعه الأستاذ محمد رياض المالح ـ ٨٢٢ صفحة ـ صدر عام ١٩٨٠ م .

ـ فهرس مخطوطات التصوف ـ الجزء الثالث ـ

وضعه الأستاذ محمد رياض المالح ـ ٥٥٤ صفحة وفي آخره فهرس لعناوين الكتب الواردة في الأجزاء الثلاثة ـ وفهرس للمؤلفين ، وفهرس للنساخ . ثم مستدرك عام . صدر عام ١٩٨٣ .

ـ فهرس مخطوطات العلوم والفنون عند العرب

وضعه الأستاذ مصطفى سعيد الصباغ ـ ٥٦٨ صفحة ـ صدر عام ١٩٧٩ م .

ـ فهرس مخطوطات الفقه الحنفي ـ الجزء الأول

وضعه محمد مطيع الحافظ ـ ٥٤٠ صفحة ـ صدر عام ١٩٨٠ م .

ـ فهرس مخطوطات الفقه الحنفي ـ الجزء الثاني

وضعه محمد مطيع الحافظ ـ ٤٢٨ صفحة ـ صدر عام ١٩٨١ م .

ـ فهرس مخطوطات الأدب ـ الجزء الأول

وضعه الأستاذ رياض مراد والأستاذ ياسين السواس ـ ٤٥٦ صفحة ـ صدر عام ١٩٨٢ م .

ـ فهرس مخطوطات الأدب ـ الجزء الثاني

وضعه الأستاذ رياض مراد والأستاذ ياسين السواس ـ ٤٨٠ صفحة ـ صدر عام ١٩٨٣ م .

فهرس مخطوطات المجاميع (القسم الأول)

وضعه الأستاذ ياسين محمد السواس ـ ٥٤٤ صفحة صدر عام ١٩٨٤ م .

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام ١٩٨٥ م (ربيع الثاني ١٤٠٥ هـ)

الأعضاء العاملون

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور حسني سبح	١٩٤٦
« رئيس المجمع »	
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٥٨
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٦٠
« أمين المجمع »	
الدكتور شكري فيصل	١٩٦١
الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٦٨
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور شاكر الفحام	١٩٧١
« نائب الرئيس »	
الدكتور عبد الرزاق قدورة	١٩٧٥
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٦
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٧٦
الدكتور احسان النص	١٩٧٩
الدكتور محمد مروان محاسني	١٩٧٩
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٧٩
الدكتور عبد الحليم سويدان	١٩٨٣

الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (☆)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الاردنية الهاشمية	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	١٩٧٧
الجمهورية التونسية	
الأستاذ محمد المزالي	١٩٧٨
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح	١٩٧٧
المملكة العربية السعودية	
الأستاذ حمد الجاسر	١٩٥١
الجمهورية العربية السورية	
الأستاذ عمر أبو ريشة	١٩٤٨
الدكتور قسطنطين زريق	١٩٥٤
الجمهورية العراقية	
الشيخ محمد بهجت الأثري	١٩٣١
الأستاذ أحمد حامد الصراف	١٩٤٨
الأستاذ كوركيس عواد	١٩٤٨
الأستاذ محمود شيت خطاب	١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب	١٩٦٩
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	١٩٧٣
الدكتور عبد اللطيف البدري	١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري	١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي	١٩٧٣
الدكتور جميل سعيد	١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام	١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي	١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين	١٩٧٣
الدكتور محمد تقي الحكيم	١٩٧٣
فلسطين	
الدكتور إحسان عباس	١٩٧٢

(☆) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي والأسماء حسب الترتيب الزمني .

	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية اللبنانية	
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٤٨
الدكتور عمر فروخ	١٩٤٨
الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية	
الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٥٧

	تاريخ دخول المجمع
جمهورية مصر العربية	
الأستاذ محمد عبد الغني حسن	١٩٧٢
الأستاذ محمود محمد شاكر	١٩٧٧
المملكة المغربية	
الأستاذ عبد الله كنون	١٩٥٦
الأستاذ الأخضر غزال	١٩٧٨

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
اسبانية	
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٤٨
إيران	
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٥٧
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٧٧
ايطالية	
الأستاذ غبرييلي (فرنسيسكو)	١٩٤٨
باكستان	
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٦٦
تركية	
الدكتور فؤاد سزكين	١٩٧٧
السويد	
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٦٥

	تاريخ دخول المجمع
فرنسة	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٤٢
فنلانده	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	١٩٢٣
النروج	
الأستاذ موبرج	١٩٢١
النمسا	
الأستاذ جير	١٩٢١
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٢٨
الدكتور اشتولز (كارل)	١٩٥٤
الهند	
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٥٧

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

أ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ الياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٧
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب الرئيس»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب الرئيس»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «أمين المجمع»	١٩٧٠

	تاريخ الوفاة
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجت البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل خوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن	

الجمهورية العربية السورية

	تاريخ الوفاة
الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٣٢
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	**١٩٤٣**
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦

	تاريخ الوفاة
الشيخ محمد زين العابدين	١٩٥١
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام	١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)	١٩٨١

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي	١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي	١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي	١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي	١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي	١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي	١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي	١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي	١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري	١٩٦٩

	تاريخ الوفاة
الأستاذ منير القاضي	١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد	١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي	١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي	١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم	١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف	١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث	١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محي الدين	١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة	١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي	١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي	١٩٨٤
الأستاذ طه باقر	١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش	١٩٨٤

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق	١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي	١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص	١٩٤٧
الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي	١٩٤٨

	تاريخ الوفاة
الأستاذ خليل السكاكيني	١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر	١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي	١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان	١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	
الأمير شكيب أرسلان	١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١

	تاريخ الوفاة
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الشيخ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢

	تاريخ الوفاة
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي	١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي	١٩٨٤

المملكة المغربية

	تاريخ الوفاة
الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣

جـ - الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادوار دو فيتش)	١٩٥٧
اسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
المانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١
ايران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
ايطالية	
الأستاذ غريفيني (أوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذغويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نللينو (كارلو)	١٩٣٨
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨

	تاريخ الوفاة
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ ادوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د . س .)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ . ج .)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون ا . ر .)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢

	تاريخ الوفاة
تشيكوسلوفاكية	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحي)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك . ف)	١٩٥٣
سويسرة	
الأستاذ مونته (ادوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح . ح)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (ارثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢

تاريخ الوفاة

الأستاذ فران (جبرييل) ١٩٥٣

الأستاذ مارسيه(وليم) ١٩٥٦

الأستاذ دوسو (رينه) ١٩٥٨

الأستاذ ماسينيون (لويس) ١٩٦٢

الأستاذ ماسيه (هنري) ١٩٧٠

الدكتور بلاشير (ريجيس) ١٩٧٣

الأستاذ كولان (جورج)

المجر

الأستاذ غولدزيهر (اغناطيوس) ١٩٢١

الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الأستاذ عبد الكريم جرمانوس ١٩٧٩

النمسا

الدكتور اشتولز (كارل)

الهند

الحكيم محمد أجمل خان

آصف علي أصغر فيضي ١٩٨١

تاريخ الوفاة

هولاندة

الأستاذ هورغرونج (سنوك) ١٩٣٦

الأستاذ اراندونك (ك ڤان)

الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس) ١٩٤٣

الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الاميركية

الدكتور مكدونالد (ب) ١٩٤٣

الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨

الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦

الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١

الدكتور فيليب حتي ١٩٧٨

الكتب المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الرابع من عام ١٩٨٤

محمد مطيع الحافظ

ـ **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** ـ تأليف محمد عبد الخالق عضيمة ـ القسم الثاني (١ ـ ٤) القسم الثالث (١ ـ ٤) توزيع جامعة محمد بن سعود الإسلامية ـ طبع في القاهرة ١٩٨١ م .

ـ **رباعيات الإمام البخاري** ـ تأليف د . يوسف الكتاني ـ الرباط ١٩٨٤ م .

ـ **الأحكام الشرعية للأعمال الطبية** ـ تأليف : د . أحمد شرف الدين ـ الكويت ١٩٨٣ م .

ـ **تراث الخلفاء الراشدين في الفقه والقضاء** ـ تأليف المحامي الدكتور صبحي محمصاني ـ بيروت ١٩٨٤ .

ـ **كتاب السحر والشعر** ـ تأليف لسان الدين بن الخطيب ـ مدريد ١٩٨١ م .

ـ **دراسات في المثل العربي المقارن** ـ تأليف عبد الرحمن التكريتي ـ بغداد ١٩٨٤ م .

ـ **قائمة مكة للمفردات الشائعة** ـ جامعة أم القرى ، معهد اللغة العربية وحدة البحوث والمناهج ، مكة المكرمة .

- **الأسس المعجمية والثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها** - تأليف د . رشدي أحمد طعيمة - مكة المكرمة ١٩٨٢ م .

- **المسائل العسكريات - لأبي علي الفارسي** - تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة - مراجعة د . نهاد الموسى - عمان ١٩٨١ م .

- **تاج العروس من جواهر القاموس** - للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - الجزء الحادي والعشرون - تحقيق عبد العليم الطحاوي - راجعه مصطفى حجازي ١٩٨٤ م .

- **كتاب فعلت وأفعلت** - تأليف أبي إسحاق الزجّاج إبراهيم بن السري بن سهل - تحقيق وشرح وتعليق ماجد حسن الذهبي - دمشق ١٩٨٤ م .

- **العشرات في غريب اللغة** - لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد - تحقيق د . يحيى عبد الرؤوف جبر - عمان ١٩٨٤ .

- **العشرات في اللغة** - لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميي القزاز القيرواني - تحقيق د . يحيى عبد الرؤوف جبر - عمان ١٩٨٤ .

- **فن الكتابة والتعبير** - تأليف محمد علي أبو حمده - عمان ١٩٨١ .

- **تربية الأبناء في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي** - تأليف د . محمد إبراهيم حوَّر أبو ظبي - العين - ١٩٨٠ .

- **فلسطينيات ، ألوان من الحماسة الأدبية المعاصرة** - تأليف د . محمد إبراهيم حوَّر - أبو ظبي - العين ١٩٨٢ م .

- **النزعة الإنسانية في الشعر العربي** - تأليف د . محمد إبراهيم حوَّر - أبو ظبي - العين ١٩٨٤ م .

- **صفي الدين الحلي - حياته وآثاره وشعره** - تأليف د . محمد إبراهيم حوَّر - أبو ظبي - العين ١٩٨٤ م .

- **رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي** - تأليف د . محمد إبراهيم حوَّر - أبو ظبي - العين ١٩٨١ م .

- **التجديد في لغة الشعراء الاحيائيين** - تأليف د . عادل جاسم البياتي - بغداد ١٩٨٤ .

- **تاريخ الأدب العربي** - تأليف د . فرّوخ . الجزء السادس : الأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة - بيروت ١٩٨٣ م .

- **الشعر الحديث بين النظر والتطبيق** - تأليف د . هاشم ياغي - عمان ١٩٨١ م .

- **مجموعة الخضراء** - شعر طاهر زمخشري - جدة ١٩٨٢ م .

- **حنين بن إسحاق رائد الترجمة في العصر العباسي** - تأليف محمد سعيد الطريحي - النجف ١٩٧٤ م .

- **فضل الكوفة ومسجدها** - تأليف محمد بن جعفر المشهدي الحائري - تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت .

- **فضل الكوفة وفضل أهلها** - تأليف محمد بن علي بن الحسن الكوفي - تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨١ م .

- **الحفريات الاسرائيلية حول المسجد الأقصى المبارك ومسجد الصخرة المشرفة** - إعداد روحي الخطيب أمين القدس - عمان ١٩٨١ م .

- **المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي - دورها في الحركة الفكرية** - تأليف د . عبد الجليل حسن عبد المهدي - (١ - ٢) - عمان ١٩٨١ .

- **مصادر تاريخ الجزيرة العربية** (١ ـ ٢) ـ جامعة الرياض ١٩٧٩ .
- **تاريخ أطباء العيون العرب** ـ تأليف د . نشأت حمارنة .
- **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة** ـ لمؤلف مجهول ـ تحقيق د . محمد عيسى صالحية ، د . إحسان صدقي العمد ـ الكويت ١٩٨٤ .
- **تشكيل العقل الحديث** ـ تأليف كرين برينتون ـ ترجمة شوقي جلال ـ مراجعة صدقي حطاب ، الكويت ١٩٨٤ .
- **اجتماع خبراء في إدارة التغيير والابداع** ـ خلاصة مداولات ومناقشات الاجتماع ـ إعداد د . مير غني عبد العال حمور ـ عمان ١٩٨٤ .
- **دراسات في المجتمع العربي** ـ تأليف أساتذة بجامعة الامارات العربية المتحدة ـ مراجعة وتقديم د . جميل سعيد ، العين ١٩٨٣ م .
- **البيولوجيا ومصير الانسان** ـ د . سعيد محمد الحفار ـ الكويت ١٩٨٤ .
- **الإمكانات الاقتصادية والسيادة الدبلوماسية** ـ الرباط ١٩٨٣ .
- **تخطيط التعليم في جامعة الإمارات العربية المتحدة لغاية عام ٢٠٠٠** ـ إعداد د . أحمد رفيق قاسم ـ شارك في إعداد الدراسة أحمد خليل المطوع ـ الشارقة .
- **مراكز المعلومات في جامعة الخليج العربي** ـ إعداد مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ١٩٨٤ م .
- **المسح الشامل لجمهورية الصومال الديمقراطية** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ بغداد ١٩٨٢ .
- **فهارس المخطوطات العربية في العالم** ـ تأليف كوركيس عواد ـ (١ ـ ٢) منشورات معهد المخطوطات العربية ـ الكويت ١٩٨٤ .

- **قائمة منشورات دار الكتب الوطنية** - اعداد دار الكتب الوطنية التونسية - تونس ١٩٨٤ .

- **فهرس مخطوطات مكتبة جامعة الإمارات العربية المتحدة** - إعداد إدارة المكتبة - ١٩٨٣ .



فهرس الجزء الأول من المجلد الستين

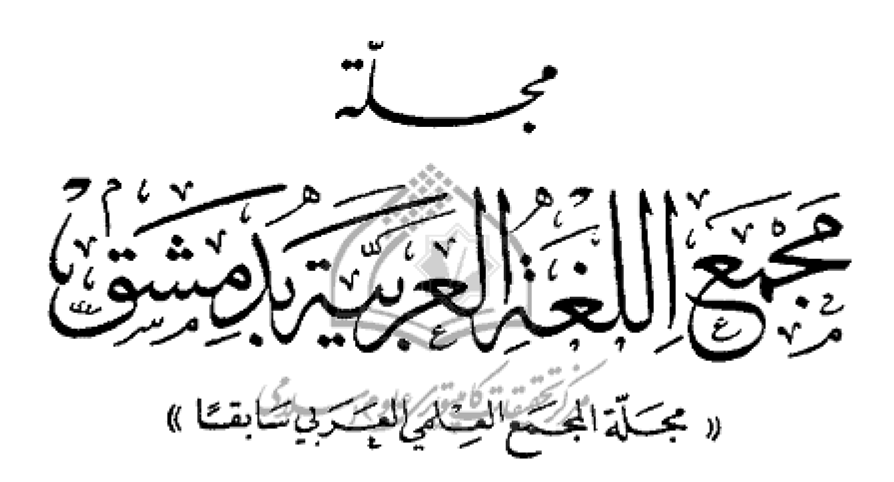
(المقالات) الصفحة

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مجلة





رجب ١٤٠٥ هـ

نيسان (أبريل) ١٩٨٥ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو نعيم الأصبهاني

وكتاب « حلية الأولياء وطبقات الأصفياء »

عبد الكريم زهور عدي

القسم الثالث

التراجم في الحلية

سبق القول إن عدد التراجم في الحلية أربعة وثمانون وستمائة . وباستعراضها يتبين أن خمساً وعشرين وثلثمائة منها ، أي نحو نصف عددها ، تقع كل ترجمة منها في أقل من ثلاث صفحات ومعظمها لايبلغ الصفحة الواحدة بل قد لا يتجاوز الأسطر القليلة أو مجرد ذكر الاسم وحده أو اللقب أو الكنية . وقد ذكرت من قبل مثلاً على هذه التراجم ، وهذا مثل آخر[٦٦] :

« وذكر (أبو عبد الرحمن السلمي) جرهد بن خويلد وقيل ابن رزاح السلمي ، سكن الصفة متطرقاً ، شهد الحديبية . حدثنا أبو بكر بن خلاد ثنا محمد بن غالب ثنا القعنبي عن مالك بن أنس عن أبي النضر عن زرعة بن عبد الرحمن بن جرهد عن أبيه قال : كان جرهد من أصحاب الصفة وأنه قال : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا وفخذي منكشفة ، فقال : أما علمت أن الفخذ عورة ؟ » .

فهذه ، كما هو واضح ، ليست ترجمة ، إذ لاتقدم لنا من المعلومات

أكثر مما يقدمه سند الحديث . والحديث ، بالمناسبة ، لايدخل في باب الرقاق بل في باب الأحكام .

وما يقال في هذه الترجمة يقال مثله في أمثالها مما تحتوي أكثر من حديث أو قول مثل : ترجمة الأغر المزني[٦٧] وترجمة عبد الله ذي البجادين[٦٨] وأمثالها كثير .

فإذا تجاوزنا أمثال هذه التراجم إلى تراجم أطول وأكثر تفصيلاً تبلغ الصفحتين وقد تزيد فماذا نجد ؟ لنأخذ ترجمة طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مثلاً :

ترجم له أبو نعيم[٦٩] في صفحتين وقف فيهما على صفتين من صفاته : شجاعته التي برزت في بلائه يوم أُحُد ومجالدته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استحق أن يقول فيه الرسول : « من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض قد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة » ، وكرمه حتى استحق لقب « طلحة الخير » و « طلحة الفياض » .

ولكن طلحة ليس نموذجاً أسطورياً للشجاعة والكرم ، بل هو شخصية تاريخية له اسمه وكنيته ولقبه ونسبه وبلده وتاريخ مولده ووفاته وله صفاته الجسدية والخلقية والعقلية وأعماله وحسناته وأخطاؤه . فلننظر كيف ترجم لطلحة الخير آخرون وليكن مثلاً ابن سعد (١٦٨ ـ ٢٣٠) في طبقاته[٧٠] :

ترجم ابن سعد لطلحة في اثنتي عشرة صفحة ألم فيها باسمه ونسبه وكنيته وأولاده وبإسلامه وهجرته ومن آخى بينه وبينه رسول الله وبغيابه عن بدرٍ بسبب مهمة بعثه فيها الرسول وبلائه في أحد وبصفاته

الجسدية ولباسه وبموقفه من عثمان وندمه بعد مقتله الذي ورطه في وقعة الجمل ، وبمقتله وتاريخه وقاتله وموقف علي بعد مقتله منه ومن أولاده وبغناه وسخائه وعمره .

وماقيل في ترجمة طلحة يقال مثله في ترجمة أبي عبيدة بن الجراح[٧١] رضي الله عنه إلا أن هذه أكثر غنى بالتفصيلات ، فأبو عبيدة كان فقيراً زاهداً وهذا الصنف من الرجال هو الذي كان يجتذب أبا نعيم إليه .

ولننتقل إلى رجال من نوع آخر صوفية ، وليكن مثلنا أبا عبد الله أحمد بن يحيي الجلاء :

ترجم له أبو نعيم[٧٢] في أكثر من صفحة ، ذكر فيها اسمه وكنيته وقال : إن أصله من بغداد وسكن الرملة ، وذكر عدداً من شيوخه ثم سرد كلمات له مع أسانيدها .

فإذا رجعنا إلى طبقات الصوفية[٧٣] لأبي عبد الرحمن السلمي لانجد فيه أكثر مما في الحلية إلا أنه قال : أقام بالرملة ودمشق ، وأنه كان أستاذ الدقي ، وأن إسماعيل بن نجيد قال : « كان يقال : إن في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لارابع لهم : الجنيد ببغداد وأبو عثمان بنيسابور وأبو عبد الله بن الجلاء بالشام » .

وزاد عليهما الذهبي في السير[٧٤] فذكر عدداً من الشيوخ الذين صحبوه وقولاً لتلميذه الدقي فيه وتفسيره (أي تفسير ابن الجلاء) للقب أبيه الجلاء وتاريخ وفاته .

والشيء نفسه نجده في ترجمة أبي نعيم لأبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري النيسابوري[٧٥] إلا أنه يضيف إليه تاريخ وفاته ، وهذا أمر قلما

فعله أبو نعيم في الحلية ، وحديثين مسندين ، وهذا أمر يكاد يكون مطرداً فيها .

فأظن أنه أصبح ممكناً ، بعد هذه الأمثلة ، القول : إن غالب التراجم القصيرة لاتكاد تعد تراجم ، إنها أحاديث أو أقوال أو أخبار ترتبط ارتباطاً تتفاوت قوته بالمترجم . والتراجم الأكثر تفصيلاً ينقصها عدد من الصفات التي قد يكتفي بها علماء الحديث وهي قليلة : ذكر اسم المترجم ولقبه وكنيته حين توجد ، ونسبه إلى قبيلته أو بلده في أحيان غير قليلة . وعدد من شيوخه وتلاميذه . وإيراد شهادات فيه : في صلاحه وصدقه وعلمه وغيرها ، أي تقويمه من حيث الثقة به وبروايته لتقدير درجة صحة مايروى من حديث . ورواية عدد من الأحاديث أسندها . وتحديد تاريخ وفاته أو تقديرها للتأكد من صحة تسلسل الأسانيد .

فإذا جاوزناها إلى التراجم المتوسطة الطول أو المطوّلة فهل نجدها أو نجد فيها تراجم استكملت عناصر الترجمة ؟ ولتكن ترجمة محمد بن واسع مثالاً للدراسة :

ترجم أبو نعيم لمحمد بن واسع[٧٦] في اثنتي عشرة صفحة انطوت على مجموعة من أقواله والأقوال فيه وأحاديث أسندها واسم أنس بن مالك وبعض التابعين وقد أسند عنهم . ولكنها في مجموعها تقدم صورة لاينقصها الوضوح عن الصفات العقلية والخلقية والروحية لمحمد بن واسع الخاشع المتواضع المُخفي صلاته وصومه وبكاءه ، الذي يخشى ربه بالغيب لما أوتي من بصيرة ثاقبة تساور سرائر النفوس وترقب تحركاتها وجماحها وشرادها ، القليل الكلام الطويل الصمت اللطيف في عبادته القائل :

« رأيت يكفي من الدعاء مع الورع اليسير » لأنه يعلم أن العبادة مناجاة وسر بين العبد وربه . ومن أعظم ماقيل فيه قولة قتيبة بن مسلم المقاتل في الله ولله حين خرجت إليه الترك فبعث إلى المسجد من ينظر فيه فلم يكن فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه فقال : « إصبعه تلك أحب إلي من ثلاثين ألف عنان » ، كلمة هينة ولكنها عظيمة الدلالة على القائل القول والمقول فيه . ومن أعمق ماقال وقيل فيه قوله لمالك بن دينار ، حين قسم أمير للبصرة على قرائها فبعث إلى مالك فقبل ، فقال ابن واسع : « يامالك قبلت جوائز السلطان ؟ فقال : ياأبا بكر سل جلسائي ، فقالوا : ياأبا بكر اشترى بها رقاباً فأعتقهم ، فقال له محمد : أنشدك الله أقلبك الساعة له على ماكان عليه قبل أن يجيزك ؟ قال : اللهم لا ، قال : ترى أي شئ دخل عليك ، فقال مالك : إنما مالك حمار ، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع » .

فإذا رجعنا إلى ترجمته في « سير أعلام النبلاء »[٧٧] نجد الذهبي قد اختار من الأقوال والأخبار ، ورتبها بعض الترتيب ، مايكاد يفي بما وفت به الأقوال والأخبار الواردة في الحلية . ذلك إلى ذكر كنيته ونسبه إلى الأزد وبلده وعدد من الرجال الذين روى عنهم ورووا عنه وعدد الأحاديث التي أسندها وتوثيقه من قبل علماء الحديث ولباسه وماقيل في تاريخ وفاته . كل ذلك في ترجمة لاتبلغ ثلاث صفحات أو ربع الترجمة الواردة في الحلية .

ومن الواضح أن ترجمة أبي بكر بن واسع في السير ، على خلاف ترجمته في الحلية ، تكاد تكون قد جمعت عناصر الترجمة كما هي الترجمة في التراث الإسلامي . ولو تفحصنا معظم التراجم في الحلية ما كان منها

أوسع قليلاً أو كثيراً من هذه الترجمة أو أقصر لحصلنا على النتائج نفسها . ومع ذلك لنفحص ترجمة رجل نسيج وحده : الجنيد بن محمد شيخ مشايخ الصوفية في بغداد بل شيخهم في العالم الإسلامي في زمانه وربما بعد زمانه ، ولنقارن بين ترجمته في الحلية وترجمته مثلاً في تاريخ بغداد . وقد تكون خير طريقة للمقارنة فهرسة العناصر والمواد في الترجمتين فهرسة مفصلة ومقابلة ماورد منها وما لم يرد فيهما :

جاءت ترجمة الجنيد عند أبي نعيم[٧٨] في ثلاث وثلاثين صفحة واحتوت على العناصر والمواد التالية :

اسمه واسم أبيه واسم جده وكنيته : أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد .

رأيه في أن التصوف مضبوط بالكتاب والسنة .

تفقهه على مذهب أصحاب الحديث : أبي عبيد وأبي ثور .

صحبته للسري السقطي والحارث المحاسبي ، وخبر ذو دلالة هامة على طريقة المحاسبي في تأليف كتبه .

كلمة مطوّلة في التوحيد .

حلم ذو قيمة رمزية كبيرة في حق التصوف ، لا أرى بأساً في إيراده : « أخبرنا جعفر بن محمد بن نصير فيما كتب إلي وحدثني عنه محمد بن إبراهيم قال : رأيت الجنيد في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم ، وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار » .

كلمة مطوّلة في المعرفة .

وكلمة ثانية مطوّلة في الوصول ومفاوز الطريق .

كتاب إلى بعض إخوانه في أن ما يجعل الموعظة ذات تأثير أن تصدق أفعال الواعظ أقواله .

كلمة مطوّلة فيا تنهى عنه الحكمة .

كلمة تصف عباد الله الذين أشرف بهم علم اليقين على ماهم إليه صائرون .

أقوال له قصيرة من مثل : « إن بدت عين الكرم ألحقت المسيئ بالمحسن ، قال أبو العباس بن عطاء : متى تبدو ؟ فقال له الجنيد : هي بادية ، قال الله : سبقت رحمتي غضبي » .

تعبده وهو في عتبات الموت .

قول له في الذكر الخفي .

وقول له فيا يورثه الله لأوليائه .

كلمة مطوّلة في الإيمان .

أقوال قصيرة وشعر أنشده ، منه هذان البيتان

أناس أمنّاهم فنمُّوا حديثنا ... فلما كتمنا السرّ عنهم تقولوا
ولم يحفظوا الود الذي كان بيننا ... ولاحين همّوا بالقطيعة أجملوا

كلمة مطوّلة في أن العاقل من لايفقد أياً من مواطن ثلاثة : موطن يعرف فيه حاله أمزاد أم منتقص ، وموطن يخلو فيه بتأديب نفسه ، وموطن يستحضر فيه عقله برؤيته مجاري التدبير عليه .

حوار مع السري في المحبة وآخر في التوبة وثالث في علم العبد قبول الله له .

حوار مع أشخاص من الجن أو من الأولياء .

أقـوال قصيرة من نـوع جـوامـع الكلم ، مثـل : « لاتكـون عبـداً لله بالكلية حتى لاتبقى عليك من غير الله بقية » .

كتاب إلى أبي إسحـاق المـارستـاني في موقف المخصوصين من المـذنبين تجاه أنفسهم وتجاه المذنبين .

كلمة في : متى يكون الرجل موصوفاً بالعقل ؟

قوله في أهل المعرفة والطاعات

أقوال له .

كتاب إلى بعض إخوانه فيـه توصيـات من نوع : ترك الالتفـات إلى كل حال مـاضيـة ، وترك الملاحظـة للحـال الكائنـة بجولان الهمـة لملتقى المستقبل من الوقت الوارد ...

كتاب إلى بعض إخوانه حول عدم إخلاء الله الأرض من أوليائه .

كلمة في المحبة هل هي من صفات الذات أم من صفات الأفعال .

قول في آثار المعرفة على العارف .

عمله وهو في النزع .

حديث أسنده .

دعاءان طويلان .

قول في المناصحة للنفس وللخلق .

أبيات من الشعر أنشدها ، منها :

تريـــــد مني اختبـــــار سري وقـــــــــد علمت المراد مني

فليس لي من ســواك حـــظ فكيفما شئت فـــــامتحني

كل بـــــــــلاء عليّ مني يـــاليتني قـــد أخـــذت عني

دعاء طويل استغرق نحو ثلاث صفحات .

وعند الخطيب كانت ترجمة الجنيد في ثماني صفحات فقط ألم فيها بالموضوعات التالية :

اسمه واسم أبيه واسم جده وكنيته : أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد .

مهنة أبيه وكان قواريرياً ومهنته هو وكان خزازاً ومن هنا لقبه : الخزاز والقواريري .

أصله من نهاوند ومولده ونشأته في بغداد .

سمع الحديث ولقي العلماء ودرس الفقه على أبي ثور .

صحب جماعة من الصالحين منهم الحارث المحاسبي وسري السقطي .

أسند الحديث عن الحسن بن عرفة ـ حديث مسند (ورواه الخطيب بطريق آخر ليس فيه الجنيد) .

شهادات معاصريه فيه وفي تبحره في كثير من العلوم حتى كان « يفتي في حلقة أبي ثور وبحضرته » وحتى قال هو : « ماأخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لي فيه حظاً ونصيباً » . ولكن علم التصوف عنده هو أشرف العلوم ، قال : « لو علمت أن لله علماً تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم ... لسعيت إليه وقصدته » .

شهادة تصف مجلسه ، قال أبو القاسم الكعبي : « رأيت لكم شيخاً ببغداد يقال له الجنيد بن محمد مارأت عيناي مثله . كان الكتبة يحضرونه لألفاظه ، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه ، والمتكلمون يحضرونه لزمام علمه ، وكلامه بائن عن فهمهم وكلامهم وعلمهم » .

أقوال له في تبعية التصوف للشريعة : الكتاب والسنة .

أقوال في تعبده .

حادثة تدل على ذوقه ولطفه في معاملته لإخوانه .

قول في اجتماع العلم والحال له .

رجوعه إلى الله وخلوته في المسائل التي ليس له بها منازلة .

أقوال له .

حادثتان تدلان على ولايته .

أقوال تصفه وتصف تعبده وهو في النزع .

تحديد يوم وفاته وتاريخها ووصف جنازته ومكان قبره وزيارة الناس له كل يوم نحو الشهر .

وختم الخطيب الترجمة بحادثة طريفة عن رجل مصاب كان يسكن خربة بجوار الجنيد ، فلما مات فارقها وقال :

وا أسفي من فراق قـــوم ... هم المصابيح والحصون

والمدن والمزن والرواسي ... والخير والأمن والسكون

لم تتغير لنا الليالي ... حتى توفتهم المنون

فكل جمر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

فترجمة أبي نعيم للجنيد ، إذا أردت أن أصفها بقليل كلام ، هي في معظمها مجموعة أقوال للجنيد وإجابات على سؤالات وكتب كتبها إلى إخوانه وأدعية (والجنيد على ماأعلم لم يخلف كتباً مؤلفة بل كان أهم مافي تراثه رسالاته إلى إخوانه) ، وهي في قليل منها أقوال فيه وأخبار ، أي بتعبير أدق تقف عند الجنيد المفكر الروحاني أكثر مما تقف عند الجنيد الإنسان . وهي ، من هذه الناحية ، ذات قيمة كبيرة إذ تسمح باستخراج مخطط هيكلي على الأقل لنظرية الجنيد الصوفية . ولكنها من حيث هي

ترجمة تفتقد عناصر أساسية وضرورية .

وبالمقابل فإن ترجمة الخطيب تحمل أخباراً عن علاقاته الإنسانية بإخوانه وبالناس وموقفه منهم وموقفهم منه وتبحره في العلوم المختلفة وحاله ، وتصف مجالسه وأنماط الناس الذين يحضرونها وطريقته في تحضير الأجوبة على مايلقى عليه من أسئلة وتعبده وكراماته الخ .. ذلك إلى كثير من التفصيلات المتصلة بشخصه والضرورية لكل ترجمة .

والنتيجة من كل ماتقدم أنه إذا قيل إن الحلية تحتوي على تراجم ففي هذا القول كثير من التجوز والتوسع في مدلول كلمة ترجمة . والواقع أنها أقوال وأخبار في الزهد و .. التصوف حشدت حول أسماء . وليس معنى هذا القول أن أبا نعيم لايتقن « فن التراجم » أو « علم الرجال » ، ففي « تاريخ أصبهان » تراجم حوت ، وهي لاتتجاوز الأسطر القليلة ، من عناصر الترجمة أكثر مما تحوي منها تراجم في « الحلية » تتجاوز عشرات الصفحات . ولكن مقصد أبي نعيم في الحلية كان غير ترجمة الرجال ، كان كما قال في المقدمة تصنيف « كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المتحققين من المتصوفة وأئمتهم .. » ولكن هذا التحديد نفسه لموضوع الحلية يثير كثيراً من التحفظات ، أكتفي منها باثنين :

الأول أرجع فيه إلى ملاحظة كنت أثبتها من قبل حين وجدت أن الأسماء المشتركة بين « طبقات الصوفية » و « الحلية » خمسة وستون من مائتين وخمسة ترجم لهم أبو عبد الرحمن . والطبقات أقدم من الحلية ولم يشمل إلا كبار مشايخ الصوفية ، والحلية يشمل صغاراً وكباراً والصغار أكثر عدداً ، فكان المتوقع أن يحيط الحلية بكل ما أحاط به الطبقات

ويزيد عليه . والواقع أن نصيب المتصوفة ، حتى إذا أضفنا إليهم من لايعدون من صلب الصوفية أمثال إبراهيم بن أدهم والفضيل بن عياض وإنما هم تباشير للتصوف ، لايبلغ عشر الحلية ، هذا إذا اتبعنا رأي السلمي والقشيري وجمهور علماء التصوف . ولكن أبا نعيم ، على مايظهر من ربطه بين صفات معظم الرجال الذين ترجم لهم وبين التصوف ربطاً يتفاوت فيما فيه من اصطناع وتكلف ، يعد كل من ترجم لهم من المتصوفة ، معتمداً على تمييزه بين الأئمة الذين نصبهم الله هداة وقدوة للناس أجمعين وولايتهم خفية والأولياء الذين أظهر عليهم نعمته بالولاية . ويبقى لنا أن نعجب من إدخال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مثلاً من الصحابة والشافعي مثلاً من أئمة الفقه في عداد المتصوفة (وأمثالهم في الحلية كثير) ، وأبو نعيم نفسه يذكر بحق الأول الحديث التالي[٨٠] : « حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أبو يزيد القراطيسي ثنا أسد بن موسى ثنا عمارة بن زاذان عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال : بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً رجت منه المدينة ، فقالت : ماهذا ؟ قالوا : عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام ، وكانت سبعمائة راحلة ، فقالت عائشة : أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً .. » ، ونقل عن الثاني قوله[٨١] : « حدثنا محمد بن عبد الرحمن حدثني أبو الحسن بن القتات ثنا محمد بن أبي يحي ثنا يونس بن عبد الأعلى قال سمعت الشافعي يقول : لو أن رجلاً عاقلاً تصوف (في الصباح) لم يأت الظهر حتى يصير أحمق » .

والذي بدا لي من قراءة الحلية (وغيرها) أن أبا نعيم لم يتجاوز في التصوف عتباته ، وأنه إذا كان خطا في العتبات فتحت تأثير الجو الذي

خلفه جده محمد بن يوسف البناء لابدافع من طبعه ، وأنه لم يكن إلا عالماً من علماء الحديث وأخبارياً على طريقة أهل الحديث من النوع الذي صرف جانباً من اهتمامه إلى الرقائق ، وأن الحلية كتاب في الزهد جمع كثيراً من أخبار الزهد والزهاد وقليلاً من أخبار التصوف والصوفية .

والتحفظ الثاني هو على هذا التحديد الجديد لموضوع « الحلية » . فأبو نعيم يخصص من كل ترجمة جزءاً لأحاديث أسندها المترجم ، إذا كان ممن روى الحديث وأكثرهم رواه . وهذه الأحاديث قد يكون منها مايدخل في باب الرقاق والزهد وقد لايكون ، والأغلب إن كان أن يكون جزءاً يسيراً من مجموع الأحاديث المسندة . فإذا كان المترجم عالماً من علماء الحديث فقد يطغى الجزء المخصص للحديث طغياناً كبيراً وأحياناً كاملاً على الترجمة :

فحماد بن سلمة مثلاً جاءت ترجمته[٨٢] في ثماني صفحات منها نحو ستِ أحاديثُ أسندها .

وحماد بن زيد : ترجمته[٨٣] في عشر صفحات منها سبعٌ أحاديثُ .

وشعبة بن الحجاج[٨٤] : ترجمته في خمس وستين منها ثنتان وخمسون أحاديثُ .

ومسعر بن كدام : ترجمته[٨٥] في ثنتين وستين منها سبع وخمسون أحاديثُ .

وعبد الرحمن بن مهدي : ترجمته[٨٦] في أربع وستين منها خمسون تكاد تكون كلها أحاديث الخ ...

أما ابن راهويه إسحاق بن إبراهيم فكانت ترجمته[٨٧] في نحو خمس صفحات منها نحو أربع روى فيها أبو نعيم ستة عشر حديثاً كلها من أفراد

إسحاق وغرائبه ، وكأنه لم يعثر على أي خبر عنه أو أي قول له أو فيه إلا أبياتاً قليلة من الشعر قيلت فيه ، مع أن ابن راهويه كان من الأئمة في خراسان ، وقد ترجم له الخطيب في تاريخه[٨٨] في عشر صفحات روى فيها عنه حديثين اثنين في نحو نصف صفحة فقط ، وترجم له الذهبي في السير[٨٩] في خمس وعشرين صفحة روى فيها عنه عالياً خمسة أحاديث في نحو صفحتين ونصف الصفحة .

فإذا كان المترجم مشتهراً بعلم من العلوم كالتفسير أو الفقه أو تعبير الرؤيا .. أو خصيصة من الخصائص كقوة العارضة في المناظرة أو نفاذ البصيرة في الفراسة أو شدة التأثير في الوعظ .. خالط أخبار الزهد والنسك والتعبد في ترجمته أخبار تتصل بما اشتهر به ، ويتفاوت الحيز الذي تشغله من الترجمة ولكنه في الغالب لايكون كبيراً ، إلا في حالات قليلة كما هي الحال في ترجمة أبي الحجاج مجاهد بن جبر[٩٠] : فقد أخذت ترجمته من الحلية ثنتين وثلاثين صفحة كان منها عشرون تفسيراً وتسعَ أحاديثَ مسندة .

فعالم الحديث والأخباري الذي وجه اهتمامه إلى أخبار الزهد والزهاد كانا يعملان معاً في تصنيف الحلية من دون رقابة تمسك عالم الحديث في الحدود التي ينبغي أن لايتجاوزها في كتاب مخصص لأقوال الزهاد وأخبارهم . وإني لأتخيل أبا نعيم الشيخ الذي تقدم في العمر ، وقد عزم على تصنيف الحلية ، قد نشر بين يديه ماكتبه في عمره المديد في الحديث والأخبار وكتباً لسواه ، وأخذ يقرأ ، والأغلب يقرأ عليه ، فيلحق أو يقول ألحقوا هذا الحديث بفلان وذاك الخبر بفلان الآخر دون كبير عناية بالترتيب . ولما كانت الأحاديث والأخبار جميعاً مسندة وتتكرر

إن في كتاباته أو كتب سواه بالسند الواحد أو بأسانيد متعددة ، فقد كان يمكن أن يُلحق الحديث أو الخبر بأي رجل من رجال السند أو الأسانيد . وهذا سبب مانقع عليه من أحاديث وأخبار مكررة في تراجم متعددة . ذلك إلى سبب آخر هو ضخامة كتاب الحلية ومايبنغي أن يكون قد استغرقه تصنيفه من وقت طويل . ولذلك قد تتكرر حتى ترجمة الرجل الواحد لسبب يبينه أبو نعيم أو دون سبب ظاهر ودون إشارة منه ، كما هو الأمر في تراجم الرجال الآتية أسماؤهم ، ويلاحظ أنهم جميعاً من المغمورين الذين لاتثبت أسماؤهم في الذاكرة :

أبو الأبيض له ترجمة في ٣ / ١١١ وفي ١٠ / ١٣٣ ـ أحمد الموصلي في ٨ / ٢٨٨ و ١٠ / ١٣٤ ـ أبو محمد خزيمة العابد في ٦ / ٣٠٢ و ١٠ / ١٣٠ ـ أبو محمد سباع الموصلي في ٨ / ٢٩٢ و ١٠ / ١٣٦ ـ أبو عبد الله بن أبي جعفر البراثي ١٠ / ١٣٧ و ١٠ / ٣٢٣ ـ أبو محمد عبد الله بن دينار الجعفي ١٠ / ١٦٢ و ١٠ / ٣٥٩ ـ أبو محرز الطفاوي في ١٠ / ١٣٨ و ١٠ / ١٥٨ ـ مسكين بن عبيد الصوفي ١٠ / ١٣٦ و ١٠ / ١٥٩ ـ مغيث الأسود في ١٠ / ١٤٣ و / ١٠ / ١٦٠ ـ أبو أحمد يحي بن الحسن القلانسي في ١٠ / ٣٠٦ و ١٠ / ٣٤١ ـ أبو يعقوب الزيات في ١٠ / ٢٢٣ و ١٠ / ٣٤٢

وليس معنى هذا القول أن كتاب الحلية كان يفتقد نوعاً ما من الترتيب إن في مجموعه أو في كل ترجمة ترجمة . أما ترتيبه في مجموعه فقد عرضت له من قبل . وأما في التراجم فكان أبو نعيم يتبع الترتيب التالي أو ترتيبات مشابهة له أو قريبة :

يفتتح كل ترجمة « بديباجة » مؤلفة من جمل مسجوعة يسعى فيها

إلى تلخيص صفات المترجَم وخصائصه ، ويتفاوت توفيقه فيها بمقدار ماتواتيه السجعات أو تشمس عليه ، وأكثرها متكلفة تبقى الأوصاف فيها إما عامة جداً أو مهتزة الحدود غائمة المضمون . وأكتفي بذكر ديباجة في وصف رأس مرحلة هامة في تطور الحياة الروحية في الإسلام :

قال أبو نعيم في ديباجته يصف الحسن البصري[٩١] : إنه « حليف الخوف والحزن أليف الهم والشجن عديم النوم والوسن أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن ، الفقيه الزاهد المتشمر العابد ، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا ، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا » . ولكن منذا الذي من زهاد ذلك العهد لم يكن خائفاً من أهوال يوم القيامة ومحزوناً مما ابتلي به من النفس الأمارة والدنيا الغرارة ؟ وكم هم المتفقهون في دينهم في تلك الأيام ؟ وربما كانت كلمة صغيرة وردت في « سير أعلام النبلاء » وهي وصفه بأنه « شيخ أهل البصرة »[٩٢] أكثر دقة في الوصف من كل هذه الأوصاف . فالبصرة كانت أكبر مركز للحضارة الناشئة في ظل الإسلام ، والحسن كان فعلاً شيخها في الفقه والعبادة والنسك والموعظة والبيان و .. ولاسيا في اعتزال الفتنة اعتزالاً قائماً على العقيدة والإيمان ، مما يصح معه ماورد في السير أيضاً أنه « سيد أهل زمانه علماً وعملاً » .

ثم يُتبع الديباجة غالباً عباراتٍ مسجوعة أيضاً يحاول فيها ربط الصفات التي ذكرها فيها بالتصوف ، وتكون هذه العبارات إلا قليلاً منها متكلفة ولايكاد الإنسان أحياناً يتبين لها معنى فيا هي في صدده :

وهذه هي العبارات التي ألحقها أبو نعيم بديباجة ترجمة الحسن ، عسى أن يجد غيري فيها أية دلالة خاصة تتصل بالحالة الخاصة للحسن :

« وقد قيل : إن التصوف التنقية من الدرن ، والتوقية من البدن ، للتبقية في العدن » .

ثم يأتي أبو نعيم بحشد يختلف في كثرته حسب الرجل المترجَم أو المواد المتوفرة لديه من الأقوال للمترجم وفيه والأخبار عنه ، وإذا كان مشهوراً مثلاً بالوعظ فقد يأتي له بموعظة أو أكثر وقد تكون الموعظة طويلة ، أو كان مشهوراً بالفراسة فقد يورد له غرائب من فراسته الخ .. كل ذلك يأتي به في الغالب مختلطاً بعضه ببعض دون تصنيف ما يأتلف منه مع بعضه وفرزه عما عنه يختلف . وقد سردت من قبل المواد التي تضمنتها ترجمة الجنيد وإنها لتصلح مثالاً على ماذكرت .

ثم يختم الترجمة عادة بذكر عدد من الشيوخ أسند عنهم المترجَم وأحاديث أسندها ، إن وجدت ، ويتفاوت عددها ونوعها ، تبعاً لصفته وما حصّل أبو نعيم منها وما اختار مما حصل : فقد يكتفي بما رواه عالياً ، أو يقف عند غرائبها وأفرادها ، أو ما كان مشهوراً منها أو كثرت رواياته الخ .. وقد سبقت أمثلة يمكن الرجوع إليها ، وهذه أمثلة أخرى :

ختم ترجمة الحسن بثمانية من غرائب حديثه ، وترجمة سفيان الثوري بأحاديث ملأت زهاء ستين صفحة قدم لها بهذه الكلمة « فمن مسانيد بعض حديثه ومشاهيره وغرائبه » ، وترجمة الفضيل بن عياض بأكثر من تسعين حديثاً ، وخالف في ترجمة الجنيد فذكر له حديثاً واحداً لافي نهاية الترجمة بل خلالها وأقرب إلى نهايتها الخ ..

ويمكننا في نهاية هذا العرض تلخيصه في النقاط التالية :

١ ـ إن زهاء نصف التراجم في الحلية كانت قصيرة فافتقدت كل العناصر الضرورية للترجمة أو أكثرها .

٢ ـ والنصف الآخر من التراجم المتوسطة والطويلة افتقدت أيضاً عناصر أساسية كثيرة .

وما ذلك إلا لأن مقصد أبي نعيم في الحلية لم يكن ترجمة الرجال بل جمع أقوال وأخبار في الزهد والزهاد و .. التصوف والصوفية .

٣ ـ حتى هذا المقصد لم يحققه أبو نعيم خالصاً فقد اقتطعت الأحاديث نصيباً وافراً من الحلية وآخر قليلاً معلوماتٌ وأخبارٌ ترجع إلى علوم واتجاهات أخرى .

٤ ـ اتبع أبو نعيم عموماً في التراجم المتوسطة والطويلة التخطيط التالي :

أولاً ـ ديباجة مسجوعة تلخص الصفات والخصائص الأساسية للمترجم متبوعة بعبارات تربط بين هذه الصفات والخصائص وبين التصوف .

ثانياً ـ أقوال في المترجم وأخبار عنه .

ثالثاً ـ أقوال له .

وهذه الأقوال والأخبار جميعاً تأتي مختلطة ينقصها الحد الأدنى من التبويب .

رابعاً ـ ذكر بعض الشيوخ الذين أسند عنهم المترجَم وعدد من الأحاديث المسندة .

للبحث صلة

المراجع والتعليقات

(٦٦) الحلية ١ / ٣٥٣

(٦٧) الحلية ١ / ٣٤٩

(٦٨) الحلية ١ / ١٢٢ و ١ / ٣٦٥

(٦٩) الحلية ١ / ٨٧

(٧٠) طبقات ابن سعد ٣ / ٢١٤ ـ ٢٢٦

(٧١) الحلية ١ / ١٠٠

(٧٢) الحلية ١٠ / ٣١٤

(٧٣) طبقات الصوفية ١٧٦

(٧٤) سير أعلام النبلاء ١٤ / ٢٥١ ـ وجاء فيها : « قال الدقي : ... فسمعته يقول : ماجلا أبي شيئاً قط ، ولكنه كان يعظ فيقع كلامه في القلوب ، فسُمّي جلاء القلوب » .

(٧٥) الحلية ١٠ / ٢٤٤

(٧٦) الحلية ٢ / ٣٤٥

(٧٧) سير أعلام النبلاء ٦ / ١١٩

(٧٨) الحلية ١٠ / ٢٥٥

(٧٩) تاريخ بغداد ٧ / ٢٤١

(٨٠) الحلية ١ / ٩٨

(٨١) الحلية ٩ / ١٤٢

(٨٢) الحلية ٦ / ٢٤٩

(٨٣) الحلية ٦ / ٢٥٧

(٨٤) الحلية ٧ / ١٤٤

(٨٥) الحلية ٧ / ٢٠٩

(٨٦) الحلية ٩ / ٣

(٨٧) الحلية ٩ / ٢٣٤

(٨٨) تاريخ بغداد ٦ / ٣٤٥

(٨٩) سير أعلام النبلاء ١١ / ٣٥٨

(٩٠) الحلية ٣ / ٢٧٩

(٩١) الحلية ٢ / ١٣١

(٩٢) سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٦٥

المصطلحات العربية

للاتصالات السلكية واللاسلكية

الأستاذ المهندس وجيه السمان

يزداد شيوع اللغة العربيـة مع الأيـام ، ويتسع المجـال لهـا لتظهر في ميادين ومحافل كان ينبغي أن تظهر فيها من قبل لو ان ابناءهـا أوْلوهـا إذْ ذاك العناية اللازمـة والاهتمام المنظم لكي تسـاير تقـدم الحضـارة وتعود من جـديـد لغـة العلم كما كانت في المـاضي وكما تـؤهلهـا امكانـاتهـا الـوافرة وعبقريتها .

لقـد دخلت الى الأمم المتحـدة والى منظمـة اليـونسكـو وغيرهـا من المنظمات الـدوليـة ، وهـا هي تـدخـل الآن الاتحـاد الـدولي لـلاتصـالات السلكية واللاسلكية .

في عام ١٩٨٢ عقد في نيروبي ، عاصمة كينيا مؤتمر لمندوبي الاتصالات المفوضين مطلقي الصلاحية ، وقعت فيه اتفاقية دولية عـدّلت مـا سبقهـا وفق مقررات المندوبين ونصت المادة السادسة عشرة فيهـا على ان اللغـات الرسمية للاتحاد الـدولي للاتصـالات هي : الانكليزيـة والعربيـة والصينيـة والاسبانية والفرنسية والروسية .

وهكذا دخلت اللغـة العربيـة الى الاتحـاد واصبحت اللغـة السـادسـة فيه . وجاء في المادة نفسهـا ان لغـات العمل هي الانكليزيـة والاسبـانيـة والفرنسية ، وان النص الفرنسي يعتمد في حالة الخلاف .

وجاء في البند ٢ ـ ١ من المادة السابقة ان الوثائق الختامية في مؤتمرات المندوبين المفوضين والمؤتمرات الادارية والقرارات والتوصيات تسجل بلغات الاتحاد الرسمية وفقاً لتحرير متطابق من حيث الشكل والجوهر .

اما الوثائق الأخرى لتلك المؤتمرات فتصاغ بلغات العمل للاتحاد .

ومن أبرز ما جاء في بنود المادة السابقة :

البند ٣ ـ ١ : تنشر وثائق العمل الرسمية للاتحاد ، المبينة في القوانين الإدارية باللغات الرسمية الست .

البند ٣ ـ ٢ : ان الاقتراحات والاسهامات التي تعرض للنظر فيها ، في المؤتمرات وفي اجتماعات اللجان الاستشارية الدولية ، المصوغة باحدى اللغات الرسمية تبلغ الى الأعضاء في لغات العمل للاتحاد .

البند ٣ ـ ٣ : كل الوثائق الأخرى التي يجب على الأمين العام أن يوزعها ضمن حدود صلاحياته تصاغ بلغات العمل الثلاث .

البند ٤ ـ ١ : اثناء مؤتمرات الاتحاد والجمعيات العمومية للجان الاستشارية الدولية CCITT و CCIR وأثناء اجتماع لجان الدراسات المدرجة في برنامج العمل الذي يوافق عليه من قبل الجمعية العامة واجتماعات مجلس الادارة ، ينبغي اعتماد نظام ناجع للترجمة الشفوية باللغات الرسمية الست .

البند ٤ ـ ٢ : تجري المداولات اثناء الاجتماعات الأخرى للجان

الاستشارية الدولية بلغات العمل ، ويترتب على الأعضاء الـذين يرغبون بالحصول على ترجمة شفوية في لغة عمل معينة ان يعلنوا عن رغبتهم في ذلك .

- - - - - - - - - - - - -

هـذه هي المواد والبنود الهامة التي بينت نطاق استعمال اللغة العربية . وقد غدا من اللازم ، لكي تصبح اللغة العربية لغة رسمية بالفعل ، ان تترجم مصطلحات الاتصالات وهي تشتمل على النواحي الادارية والمالية والعلمية والتقنية . وهي موجودة باللغات الرسمية الأخرى ويوجد منها قوائم مطبوعة باللغات الثلاث : الانكليزية والفرنسية والاسبانية ويبلغ عدد هذه المصطلحات قرابة ٢٣ الف مصطلح .

تسلم الاتحاد الدولي للاتصالات (ومركزه في جنيف) امانة تنفيذ هذه الفكرة الهامة وعين لها مديراً هو الدكتور رشاد الحمزاوي☆ مدير المركز الثقافي الدولي في الحمامات بالقطر التونسي ، وجعل مركز مشروع الترجمة في مدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية .

☆ الدكتور رشاد الحمزاوي خريج جامعة ليدن بهولنده الشهيرة بالاستشراق وبمطبعتها العربية التي طبعت فيها كتب عربية قديمة كثيرة . له مؤلفات عديدة ومقالات ورسائل في اللغة العربية وخاصة في نطاق اللسانيات ووضع المصطلحات . أسهم في ندوات ومؤتمرات عربية عديده وله كتابان عن مجمعي اللغة العربية في دمشق والقاهرة . وهو عضو في مجمع القاهرة .

وبعد استشارات قام بها المدير فور تسلمه للعمل ، اتصل فيها ببرنامج الامم المتحدة للانماء والجامعة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والاتحاد العربي للاتصالات السلكية واللاسلكية واتحاد الاذاعات العربية كما اتصل بالهيئات التي تهتم بتعريب المصطلحات مثل مكتب تنسيق التعريب ومعهد الدراسات والابحاث للتعريب تألفت من هذه الهيئات لجنة سميت لجنة تنسيق المشروع . وبعد أن أعد المديرالعام نهجاً عاماً للعمل في تنفيذ المشروع عرضه على هذه اللجنة ، فاتخذت عدة قرارات منها ان يتعاون المشروع مع الهيئات ومع الخبراء ومع كل من له صلة أو إسهام في المصطلحات لا سيا مجامع اللغة العربية ، وقررت تأليف لجنة من الخبراء دعيت لجنة المنهجية العامة فألفت هذه اللجنة من سبعة اعضاء من بينهم كاتب هذا المقال ، واجتمعت في الرباط بين ١٨ و ٢١ كانون الثاني ١٩٨٣ .

قدم مدير المشروع الى اللجنة في بدء الاجتماعات نبذة تاريخية عن المشروع وعن أهدافه وبيّن أن مجموع المصطلحات التي يرمي الى ترجمتها يقارب ٢٣ ألف مصطلح وأنه قُدّر لهذا العمل مدة ثلاثة اعوام تبدأ في أول ١٩٨٣ .

وانه يرمي الى تطبيق قرار مؤتمر نيروبي لعام ١٩٨٢ ، الذي قرر ان يجعل اللغة العربية لغة رسمية في الاتحاد الدولي للاتصالات ، لترجمة وثائقه الرسمية الى العربية وتأييد الترجمة المحررة أو الفورية في الندوات المختصة الدولية والعربية والوطنية .

ويستعين من أجل ذلك بالترجمات الموضوعة في التدريس بالعربية

في المعاهد العربية المختصة بالاتصالات السلكية واللاسلكية والمصطلحات الموضوعة في المؤلفات العربية التي تدرّس في المعاهد المذكورة .

واعتماد مناهج الترجمة التابعة للمشروع في قسم الترجمة الذي يزمع انشاؤه في الاتحاد الدولي للاتصالات .

وبين المدير العام ان الجهاز التنفيذي العلمي المقترح يتألف من :

أربعة مترجمين متخصصين في الترجمة العلمية .

أربعة مهندسين متخصصين في مجال الاتصالات .

أربعة مجمعيين وجامعيين متخصصين في قضايا اللغة ووضع المصطلحات العلمية والتقنية .

موثق متخصص في التوثيق العلمي .

اخصائيين في الاعلام وفي تخزين المصطلحات المترجمة .

ثم قدم المدير العام مجموعة من الوثائق المتعلقة بالمشروع ، تبحث في المكتبة التي يزمع تأسيسها من أجل المراجع والوثائق ، وعرضاً للجذاذات التي ستسجل عليها المصطلحات ، ثم بحثاً عن تقنيات الترجمة ، وبياناً في كيفية رسم المعرّبات والدخيل ، وطريقة للتحليل الدلالي ، وبياناً بما تجمع لديه من السوابق واللواحق وترجماتها بالعربية ، والمصادر والمراجع المستعملة في هذا المشروع .

تناولت اللجنة هذه المواضيع بالدرس وادخلت عليها بعض التعديل وبعض الزيادات وتمت الموافقة أخيراً على صيغة نهائية لكل هذه الوثائق .

بعد ذلك ، وفي النصف الأول من عام ١٩٨٣ جرى البحث عن المترجمين والمهندسين والمجمعيين والجامعيين : لتأليف جهاز الترجمة ، وتم الاتصال بمجامع اللغة العربية وببعض الجامعات العربية وطلب منها أن ترشح من تراه اهلاً للنظر في المصطلحات بعد أن تضعها لجان الترجمة .

ومضت جهود تهيئة عمل الترجمة قدماً باشراف لجنة التنسيق ، ولدي قرار المنهجية العامة النهائي الذي وافقت عليه هذه اللجنة في اجتماعها الرابع في ٢٦ شباط ١٩٨٣ ، أستقي منه المعلومات الآتية باختصار ، وقد طبق واخرج الى حيز الوجود في الأشهر التي جاءت بعد ذلك مباشرة :

١ ـ انشاء مكتبة تحتوي على مجموعة من المصادر والمراجع والوثائق العامة التي لها صلة بالمشروع لكي تمد المشتغلين فيه ، على جميع فئاتهم وطبقاتهم بالمعلومات التي يحتاجون إليها .

ـ انشاء وحدة عمل تكون قاعدة لمعاهد التعليم والتدريب في نطاق ترجمة مصطلحات الاتصالات في البلاد العربية .

ـ تكوين خلية توثيق عربية كاملة متخصصة في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية يرجع اليها عند الحاجة ، بحيث تصبح مركز توثيق عربي بل وعالمي ، وتوفر كل الامكانات لمواصلة العمل المنتظر في الترجمة والتعليم في المستقبل حسبما ينص على ذلك المشروع .

لذلك جمعت في مركز المشروع بالرباط المراجع والوثائق الآتية :

المعاجم الموحدة التي تمخضت عنها مؤتمرات التعريب ، والمصطلحات التي وضعتها المجامع اللغوية والاتحادات العربية المختصة والمصطلحات الموحدة ضمن كل قطر عربي (اذا كانت موجودة) .

والمصطلحات السلكية واللاسلكية المستعملة في ادارات الاتصالات العربية ، ومصطلحات الاتصالات التي وضعها الاتحاد العربي للمواصفات والاتحاد العربي والاتحاد العالمي للبريد . ومصطلحات الاتصالات التي وضعتها هيئات معنية ، ومانشر من هذا الباب في المجلات المتخصصة مثل مجلة اللسان العربي التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب .

مصطلحات الاتحاد العربي للسكك الحديدية

مطبوعات الاتحاد الدولي للاتصالات ذات الصلة بالموضوع .

هذا ، اضافة الى المعاجم العربية والعربية الأجنبية وبعض امهات المعاجم الأجنبية وكل ماله شأن بموضوع المصطلحات عامة أو خاصة بهذا الغرض ، لاسيا منشورات المنظمة العربية للمواصلات والمقاييس وتوصيات منظمة ISO .

وأحدث الى جانب هذه المكتبة المنظمة المنسقة السهلة المراجعة (ويبلغ مافيها من مؤلفات ووثائق ومجلات ٥٣٣) نظام حديث للجذاذات وخزائنها وأعدت لها مناهج للكتابة وللتصنيف والتخزين تسهل مراجعتها ، وجعل لكل مصطلح جذاذة خاصة به .

٢ ـ القسم اللغوي من المنهجية

أ ـ استقراء وجمع كل المصطلحات والعبارات المتعلقة بالميدان الذي سيكون موضوع الترجمة دون اسقاط ولا اهمال ولا تكرار . وقد سماه التقرير بالحقل الاعجامي (او المعجمي) ، فهو يقوم على المسح الكامل لكل ما يتعلق بالموضوع المطروق اي على المصطلحات والعبارات السلكية واللاسلكية المنشورة في قائمة المصطلحات (Gloss) التي وضعها الاتحاد

الدولي للاتصالات باللغات الأجنبية الثلاث : الانكليزية والفرنسية والاسبانية .

ب ـ الاهتمام بالطرائق الخمس المتعلقة بوضع المصطلح ، وهي حسب الاهمية : الاشتقاق فالمجاز فالنحت فالتركيب المزجي فالتعريب . والانتباه خاصة الى الجداول الطويلة التي تجمعت من جهات عديدة (منها اتحاد الاطباء العرب) للصدور واللواحق (أو السوابق والكواسع) ويوجد منها في اللغات الأجنبية مئات بل الوف ، اشتقت من اللغتين : اليونانية واللاتينية . وقد ورد في بعض المجلات العربية المتخصصة (مثل مجلات مجامع اللغة العربية ومجلة اللسان العربي) بحوث وجداول طويلة لذلك .

ج ـ الانتباه الى تعدد المقابلات العربية الممكنة للمصطلح الأجنبي الواحد ، وذلك لعدم شيوع توحيد المصطلحات العلمية حتى الان ، ودليل ذلك ما يجده المرء في المعاجم ذات اللغتين وفي النشر وفي الاذاعة والتلفزة وفي الكتب العلمية المترجمة الى اللغة العربية .

د ـ العناية برسم المعرّبات والدخيل لاجتناب الاضطراب والتعدد الناجمين من عدم اتباع قواعد موحدة : فكلمة Angleterre مثلاً تكتب بالعربية انكلتره او انجلتره او انغلترا او انقلترا ، فضلاً عن الصعوبة في نقل حروف اللين اي les voyelles ، الى العربية . واستقر الرأي على اتباع ما وضعه مجمع القاهرة في هذا الشأن ، بانتظار ندوة عربية تقوم بهذا التوحيد .

هـ ـ التنميط (او المعيرة والتقييس) ويراد به ان تقر هيئة علمية

معترف بها منهجية يتفق عليها في قبول مصطلحات قد اختيرت اختياراً مبرراً ، والقصد من ذلك هو ضمان الإجماع على هذه المصطلحات .

ومن أجل ذلك يصنع ملف للتنميط غايته وضع مقاييس مصنفة لاختيار المصطلح ولضبط ميادين تطبيقها ، وذلك للتخلص من العمل الاعتباطي . فمن شأن ملف التنميط أن يوفر جميع الوسائل والأسباب لاتخاذ قرار الاختيار المناسب للمصطلح . ولهذا فهو يركز على أمرين هامين .

أ ـ اختيار الأصلح من المترادفات .

ب ـ اظهار الاستعمال الخاطئ .

هنا يدخل المحضر في شرح مفصل لتقنية العمل في التنميط ، والبحث مفيد جداً ، ولكن لاأرى مجالاً للخوض فيه الآن ، ولربما أفردته ببحث خاص اعده لعدد قادم من هذه المجلة ، ان شاء الله ، لأن فيه على ماأرى أول محاولة لوضع قواعد عملية مفصلة لصنع المصطلحات . واكتفي الآن بذكر عناوين الفقرات التي يتألف منها هذا البحث ، وهي :

المقاربة وهي من نوعين : فالنوع الأول يعتمد على الوصف والتحليل السياقي ، والثاني يعتمد الكيف والكم .

والضوابط التي يوردها التقرير في هذا الصدد للعون على اختيار المصطلح الأحسن كثيرة وهي :

الاطراد : fréquence ، ويسمى أيضاً بالتواتر أو التردد .

يسر التداول : maniabilité

الملاءمة : adéquation

الحوافز : motivation .

يتبين لنا من هذا العرض الموجز لمشروع مصطلحات الاتصالات أن مدير المشروع لم يأل جهداً ، مع لجنة التنسيق ، في اعداد عدة كاملة لنجاح مشروع ترجمة هذه المصطلحات واضاف الى ذلك أحسن ماهدي إليه من المترجمين والمستشارين التقنيين واللغويين ، وقد ظهرت لي هذه النتائج تدريجياً عندما أرسلت إليّ حصتي من المصطلحات لمراجعتها ، (وقدرها ٢٥٠٠ مصطلح) فدرستها في دمشق مدة شهرين في الصيف الماضي ، قبل أن اسافر إلى الرباط في منتصف شهر أيلول . وهنالك تألفت أربع فرق ، قوام كل واحدة منها ثلاثة خبراء : هم المترجم والمهندس الخبير بشؤون الاتصالات وعضو المجمع أو أستاذ الجامعة ووظيفة المترجم في كل فرقة هي تقديم جذاذات المصطلحات الخاصة بمجموعته وتوفير الوثائق اللازمة للعمل الخاصة بمجموعته وتقديم المسوغات التي دعت الى الترجمة المقترحة وتسجيل المصطلحات التي يتفق عليها نهائياً على الجذاذات الكبيرة .

وجرى العمل على مراحل متدرجة :

ففي المرحلة الأولى يسجل عضوا كل فريق (اي المجمعي والمهندس) ما اتفقا عليه من مصطلحات وما اختلفا فيه حتى يأتيا على المصطلحات الـ ٢٥٠٠ جميعها .

وفي المرحلة الثانية يقوم كل فريق بإقرار ما تبقى من مصطلحات اختلف فيها وذلك بمراجعتها في جذاذات المصطلحات بمعونة المترجم .

وفي المرحلة الثالثة يتبادل الفريقان (الأول والثاني معاً) وكذلك الفريقان (الثالث والرابع) مصطلحاتها بقصد اتفاق كل فريقين على مصطلحاتها حتى يتم الاتفاق على ٥٠٠٠ مصطلح . وفي المرحلة الرابعة تعمل الأفرقةُ الأربعة معاً للاتفاق على الصيغة النهائية .

ثم تعقد جلسة ختامية لاقرار ما تم إنجازه نهائياً .

نفذ هذا البرنامج بحذافيره . وهكذا تم إنجاز ترجمة عشرة آلاف مصطلح ومراجعتها والموازنة بين عمل اللجان لاتمام التوحيد بينها .

وبقي من المشروع ثلاثة عشر ألف مصطلح تجري ترجمتها الآن ، وسيرسل الى كل خبير من الخبراء حصته لدراستها في بلده اولاً ثم لمراجعتها في مقر المشروع بالرباط مثلما حصل في العام الماضي .

والأمل كبير في أن تكون حصة هذا العام من العمل أتقن صنعاً وأنضج فهماً من حصة العام الماضي ، لأنها استفادت من تجربة مفيدة جداً ، ولأن عدداً لابأس به من مفرداتها سيرد من جديد هذا العام وقد تم الاتفاق عليه في العام الماضي .

● تلقينا بأخرة (والمجلة قد تمّ إعدادها ودنا صدورها) العدد السادس من مجلة الفكر التي تصدر بتونس (آذار١٩٨٥ م) ، وفيها مقال حبره الدكتور محمد رشاد الحمزاوي بعنوان « المنهجية العربية لوضع المصطلحات من التوحيد الى التنميط » (مجلة الفكر : ٨٧٩ ـ ٨٨٨) . ومن جميل المصادفات أن المقال يكاد يكون تتمة وتكملة لما عرضه أستاذنا الكبير المهندس وجيه السمان في مقالته ، فقد تحدث الدكتور الحمزاوي عن منهجية التنميط : مبادئها وتطبيقاتها ، فاقتضى الاشارة [المجلة] .

الكوكبيات

الجـــزء التـاســـع [٢٥ أ]

من أخبار

أبي علي الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبيّ رحمه الله

رواية أبي القاسم إسماعيل بن سعيد بن إسماعيل [بن محمد][1] بن سويد عنه
روايـة أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن المسلمة عنه
روايـة أبي القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد الواسطي عنه
روايـة أبي القاسم يحيى بن أسعد بن يحيى [بن محمد بن علي][1] بن بوش عنه
سماعاً ليوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي عفا الله عنه

تحقيق
الدكتور شاكر الفحام

[٢٥ ب] **بســـم الله الرحمن الرحيـــم**

أخبرنا أبو القاسم يحي بن أسعد بن يحي [بن محمد بن علي][1] بن بوش الخباز قراءة عليه وأنا أسمع ببغداد في رجب من سنة سبعٍ وثمانين وخمس مئة ،

أنبا أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد الواسطي قراءة عليه وأنا أسمع في جمادى الأولى سنة ست عشرة وخمس مئة ،

أنبا أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن الحسين بن المسلمة في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وأربع مئة ،

أنبا أبو القاسم إسماعيل بن سعيد [بن اسماعيل][2] بن محمد بن سويد المعدل قراءة عليه ،

أنبا أبو علي الحسين بن القاسم بن جعفر الكوكبيّ في يوم الجمعة لسبع خلون من رجب سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة :

(١) ـ ثنا أبو محمد عبد الله بن عمرو البلخيّ ثنا علي بن الحارث

● آثرنا أن ننشر النص المحقق فالسماعات ، ثم نتحدث عن المؤلف والمخطوطة .

● أشرنا الى صفحات المخطوطة بأرقام بين حاصرتين [ ] .

● النقاط المثبتة ما بين حاصرتين تشير الى كلمات مطموسة لم نقو على قراءتها ، ولم نستطع استدراكها استمداداً من مراجع أخرى ، أو ترجيحاً بقرينة السياق .

● الكلمات المثبتة ما بين حاصرتين مضافة الى النص ، وقد دللنا على مصدرها في التعليقات .

● النقاط المثبتة في ختام القول تدل على خبرٍ فضّلنا إسقاطه وحذفه .

البصري حدثني هيثم بن خالد الطويل قال :

دخلتُ يوماً على صابحٍ مولى منارة في يومٍ شاتٍ في قبة طارمة[٣] ، مغشّاةٍ سَمُّوراً[٤] ، وهي مفروشةٌ بالسمُّور ، وبين يديه كانون[٥] من فضة ، وهو يوقد عليه بعود[٦] .

ثم مرّتْ به سُنَيّاتٌ فرأيتُ صابحاً على حمارٍ بإكافٍ[٧] ، يقف على الناس على الجسر ، فيقول للرجل : « أنا صابح مولى منارة ، فتصدَّقْ رحمك الله » ، فلا يعطيه كثير من الناس ، فإن أعطاه إنسانٌ أعطاه درهما .

وكان أبو العتاهية قال فيه أيام نعمته في غيبةٍ غابها :

أما والذي لو شاء لم يخلق النوى لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
يوهمنيك الشوقُ حتى كأنني أناجيك عن قربٍ وان لم تكن قربي[٨]

(٢) ـ ثنا أبو علي الكَرَاني حدثني أبو حاتم السجستاني حدثني أبو زيد الأنصاري [٢٦ أ] [..........] :

وجه يحي يدعو إلى البزق فيه غير أني أصونُ عنه بزاقي[٩]

(٣) ـ وحدثني أبو حاتم حدثني الأصمعي قال :

قلتُ لشيخٍ من أهل المدينة : من يقول :

عين بَكّي بعبرةٍ وعويلِ واندبي إن ندبتِ آلَ الرسولِ
ستة كلُّهم لصلب عليٍّ قد أُبيدوا وستة لعقيلِ[١٠]

قال أبي يقوله . قال الأصمعي : وكنتُ سمعتُها من أبي عمرو بن العلاء .

(٤) ـ ثنا ابن أبي سعد حدثني علي بن الحارث البصري حدثني أبو حزرة الشاعر قال :

كنتُ جالساً مع أبي مسلم بن سعيد بن مسلم في الدار التي اشتراها في بني نمير في جناح ، إذ أقبلت سوداءُ على عنقها جرةٌ قد ملأتها من حوض بني نمير ، وهي تغنّي بجِرْمٍ[11] لم أسمع أحسن منه . تقول :

حَرٌّ حُبٍ وحَرٌّ هجرٍ وحرٌّ أيُّ شيءٍ من بعد هذا أَمَرٌّ

فما سمعتُ شيئاً قطُّ أحسنَ من غنائها ، واستحسنتُ الشعر فحفظته . وبقي منه لم يحفظه علي بن الحارث .

(٥) ـ حدثنا ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسين حدثني رستم بن أسامة حدثني إبراهيم بن رستم الخياط جليسٌ لأبي بكر بن عياش عن أبي بكر قال :[12]

قال لي رجل مرة وأنا شاب : « خَلِّصْ رقبتَكَ ما استطعت في الدنيا من رقّ الآخرة ، فإن أسير الآخرة غير مفكوكٍ أبدا » . قال أبو بكر : فما نسيتها بعدُ .

(٦) ـ حدثنا ابن أبي سعد حدثني محمد بن اسحاق المسيّبيّ حدثني القاسم بن محمد بن المعتمر عن إسحاق بن يحي بن طلحة عن عمه موسى بن طلحة قال :

كان بيني وبين رجل من بني [٢٦ ب] عبد شمس خصومةٌ إلى مروان[13] ، فكنتُ إذا اجتمعتُ أنا وهو عند مروان رأى أن الحق حقي فوجَّه إليَّ القضاءَ ، فاذا خرجتُ من عنده صرفه أهلُ بيته عن ذلك

فأعود إليه وقد حال رأيه ، فنتعاود الخصومة ، فيرى أن الحقَّ حقي فيصدر لي القضاء ، ونخرج من عنده فيصرفه عن ذلك أصحابه . فخرجتُ من عنده يوماً فلقيتُ عبد الله بن الزبير فقال : من أين يا ابن أبي محمد[١٤] ؟ فقلتُ من عند مروان . قال : مالك وله وللدخول عليه ، فحدثته بحديثي وحديث خصمي ، فقال : أنا حاضرٌ معك غداً ، فلما كان من الغد حضرت باب مروان فاذا أنا بابن الزبير قد حضر ، وخرج آذنُه فنظر مَنْ بالباب ودخل[١٥] اليه فأخبره ثم خرج فقال : قُمْ يا أبا بكر[١٦] ، فقام ابن الزبير ، ثم أذن لنا فدخلنا عليه ، فاذا ابن الزبير معه على الفراش ، فجلستُ بين يديه أنا وخصمي ، فقام ابن الزبير فجلس معنا ، فقال : يامروانُ ، هذا ابنُ أبي محمد ، فلعن اللهُ قاتلَ أبي محمد[١٧] ، قال فقال مروان : ورحم الله قاتل الزبير[١٨] . قال فقال : ترحم على قاتل الزبير ؟ قال : فتلعن قاتل أبي محمد ؟ قال : فقام كل واحد منهما إلى صاحبه . قال : وقمتُ فدخلتُ بينهما فأقبلتُ على ابن الزبير فقلتُ : سبحان الله ! شيخ قريش وعابدها يخرج إلى هذا ، قال : فيترحم ابن الزرقاء[١٩] على قاتل الزبير . قال : فأقبلتُ على مروان فقلت : سبحان الله ! أنت الأمير ولك سنٌّ في قومك ، أما تستحي من هذا ؟ قال : فيلعن[٢٠] ابنُ العوام قاتلَ طلحة . قال : فوالله إنْ[٢١] زلتُ أدفعُ هذا عن هذا حتَّى فرَّقْتُ بينهما ، وكل واحد منهما يناول صاحبه . وظننتُ أن الذي حمل ابن الزبير على ما فعل شيءٌ كان [٢٧ أ] [بلغه عني ، فقلتُ : يا أبا][٢٢] بكر : أكان بلغك عني شيءٌ ؟ قال : لا ، قلتُ[٢٣] : فما أحوجك[٢٤] إلى هذا وأنا أشكو اليك ظلمه ، ما تراه صانعاً بعد هذا ؟ فقال : وما علمك أنت بهذا ؟ فانصرفت . فلما كان من الغد حضرتُ فاذا

ابن الزبير قد حضر ، فخرج حاجب مروان فنظر مَنْ بالباب ، ثم دخل اليه ثم خرج فقال : قم يا أبا بكر ، قال : فدخل ، ثم أذن للخصوم ، قال : فدخلتُ أنا وخصمي فجلسنا بين يديه ، فأقبل مروان علينا فقال : إني قد نظرتُ في هذا الأمر ، فاذا الحقُّ حقُّ ابن طلحة ، اشهد أني قد قضيتُ له به . قال : فلقيتُ ابن الزبير فقال : ألم أقل لك اني أعلم بمعاملة قومي[٢٥] .

(٧) ـ حدّثني أبو اسحاق البصري حدثني أبو الحسن علي بن الصباح ثنا أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب عن عوانة بن الحكم قال[٢٦] :

كان عبد المطلب إذا ورد اليمن نزل على عظيم من عظمائهم ، فنزل في بعض ما كان ينزل ، فوجد عنده رجلاً كبيراً قد أُمهل له في العمر ، وقد قرأ الكتب . فقال الرجل : ياعبد المطلب ، ائذنْ لي في أن أفتش مكاناً منك . فقال : ليس كل مكان مني آذنُ في تفتيشه . قال : إنما هما منخراك . قال : فدونك ، فنظر إلى شَعَرٍ في منخريه فقال : أرى نبوة وملكاً ، وأرى أحدهما في زهرة[٢٧] . فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له أبا النبي ﷺ[٢٨] .

(٨) ـ قال[٢٩] :

فقال له ذلك اليماني الذي كان ينزل عليه : يا أبا الحارث ، ألا تغيّر ما أرى من بياض رأسك ولحيتك ؟ قال : بلى . فأمر بحنّاء[٣٠] فخضب به ، ثم عَلّى بالوسمة[٣١] ، فلما أراد عبد المطلب الانصراف زوّده وسمة وحنّاء ، فلما دنا [٢٧ ب] عبد المطلب من مكة اختضب ودخل مكة ، فقالت امرأته نتيلة[٣٢] : يا [شيبة الحمد][٣٣] ، ما أحسن هذا السواد لو

كان يدوم ، فأنشأ عبد المطلب يقول[٣٤] :

لـو دام لِيَ هـذا السـواد حمدتُـه ولكن بديلاً من شبابٍ قد انْصَرَمْ[٣٥]
تمتعتُ منـــه والحيـــاة قصيرةٌ ولا بدّ من موتٍ ، نتيلة ، أو هَرَمْ
وما ذا الذي يُغْني عن المرء خَفْضُه وزينتُـه يـومـاً اذا عرشُـه انهـدم
فموتٌ جهيزٌ[٣٦] عـاجلٌ لا شوى لـه لعمري خير من مقـــالتهم حَكَمْ

(٩) ـ [٣٧][حاشية ـ ثنا أبو علي ثنـا ثعلب عن ابن الأعرابيّ قـال : العرب تقول : قد حكم الرجلُ : اذا بلغ النهاية في الفضل والعلم[٣٨] . قـال وأنشدنا :

يـــأتي الشبـــابُ الأقـــورين ولا تغبط أخـاك بـأن يقـال حَكَمْ[٣٩]

الأقورين : الدواهي[٤٠] . تمت] .

(١٠) ـ قال :

وكان عبد المطلب لا يسافر سفراً إلا ومعه ابنه الحـارث ، وكان أكبر ولده ، وكان شبيهاً به جمالاً وحسناً ، فأتى اليمن ، وكان يجالس عظيماً من عظمائهم ، ويجلس معه الحارث . وكان عبد المطلب لا يكاد يشرب تنزهاً عنه حين طعن في السنّ ، فقال الحميريّ : يا أبـا الحـارث لو أمرتَ ابنـك هذا يجالسني وينادمني فاني أُسَرُّ بذلك ، فكان عبـد المطلب لا ينهـاه عن ذلـك ، فعشقت امرأةُ الحميريّ الحـارثَ فراسلتـه ، فـأبى عليهـا ، وألَحَّت عليه ، فبعث اليها :

لاتطمعي فيا لـــــديَّ فـــإنني كرمٌ منـــــادمتي عفيفٌ مئزري
أسعى لأدرك مجـد قـوم شـاده[٤١] عمرو[٤٢] قطين البيت عنـد المشعر

فاقنَيْ حياءك واعلمي أني امرؤٌ ... آبَى بنفسي أن يُعَيَّر معشري
أنّي أُزَنُّ بجارتي أو كنّتي ... أو أن يقالَ صبا بعِرْس الحميري

وأخبر أباه بذلك ، وكان عند الملوك سمٌّ ساعة وسمٌّ يوم وسمٌّ شهر ، فلما يئسَتْ منه سقته سمَّ شهر ، فارتحل عبد المطلب حتى اذا كان بمكة مات الحارث[٤٣] ، فجزع عليه عبد المطلب ، فأنشأ يقول :

سقى الإله صدى واريتَه ظهراً ... ببطن مكة يعفوه الأعاصيرُ
[٢٨ أ] [..........] خيرته ... مرٌّ مريرته بالخير مذكورُ
يا حارث الخير قد أورثتني شجناً ... فما القلبي عن ذكراك تفتيرُ
واللهِ أنساكَ ما هبَّتْ شآميةٌ ... وما بدا عَلَمٌ في الأرض معمورُ
قد كنت عزاً وزيناً لي أؤمّله ... في النائبات وفي الأيام تغييرُ

(١١) ـ انبا ثعلب عن سلمة عن الفراء عن الكسائي قال :

العربُ لا بد لها في القسم من جواب ، وربما حذفت الجواب[٤٤] . فممّا حذفت الجواب قوله :

فقلتُ لها والله يدري مسافرٌ ... اذا أضمرته الأرضُ ما اللهُ صانعُ

معناه : لا يدري . ومنه قول أبي طالب[٤٥] :

كذبتم وبيت الله يُبْزَى محمدٌ ... ولما نقاتل دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرَّع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

معناه : كذبتم وبيت الله لا يبزى محمد . ويُبْزَى : يُغْلَب ويُقْهَر[٤٦] .

(١٢) ـ حدثنا ابن أبي سعد حدثني محمد بن رجاء أبو الهيثم الغنوي حدثني خليج بن الحسن بن الصقر الغنويّ قال :

وفد رجل من قيس بن ثعلبة[٤٧] على هوذة بن علي[٤٨] ذي التاج ، فحجبه الحاجب لعلةٍ وجدها هوذة ، فعافت نفسُ القيسي الوقوف على بابه ، فانصرف وهو يقول :

قلحَ الثنايا بنو قيس إذا حجبت شكّوا الحجاب بأطراف الجوابات[٤٩]

إن تحجبونا فإنا سوف نحجبكم حسن الثنايا بأسيافٍ مضيّات

قال : فَنَمَى البيتان إلى هوذة ، فأرسل إلى الحاجب وكان عبداً نوبياً فلحاه وضربه ، ثم أرسل معه مئة ناقة إلى القيسيّ ، فلما وردت عليه قال له : إن قومي قد عذلوني في انتجاعي صاحبك ، وقد جمعوا لي من أموالهم ما فيه غنى ، فلي بما جمعوا مندوحة عنه ، وقد أعتقتك ووهبتُ لك هذه [٢٨ ب] المئة ، فارجع إلى صاحبك .

(١٣) ـ حدثنا أبو العباس الهروي ثنا أسد بن النوشجان [.....] قال شبيب بن شيبة ، قال خالد بن صفوان :

دخلتُ على يزيد بن عبد الملك فرأيته خاثر النفس[٥٠] ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، مالي أراك متغيراً ، فلقد أصبحت رخيَّ البال ، مالكاً للأمور ، قادراً عليها ....

(١٤) ـ حدثني أبي قال :

استقضى بعضُ أمراء المدينة عثمانَ بنَ طلحةَ بن عمر بن عبيد الله بن معمر[٥١] ، فامتنع عليه من ذلك ، فأشرف عليه يضرب بالسياط[٥٢] ، فلما رأى ذلك [٢٩ أ] قضى بين الناس حتى استوجب رزق عشرة أشهر ، قال : وقدم المهديُّ المدينةَ حاجّاً ، فدخل عليه عثمان بن طلحة فسأله أن يعزله عن القضاء ، فقال : ليس إلى ذلك سبيل . قال عثمان : يا أمير

المـؤمنين ، والله لـو علمتُ أن ملـك الروم يجيرني ولا يمنعني من الصـلاة وديني لاستجرتُ به . قال المهدي : وإنك لعلى ما قلت ؟ قال : والله إني لعلى ما قلت . قال : فإني قد عزلتك ، فاقبض مالك عندنـا من الرزق . قال : والله ما بي[٥٣] عنه غنى ، ولكنه كان لي نظراءُ وأشباهٌ يكرهون من هـذا العمل مـا أكره ، ثم أُكرهوا عليـه فـدخلوا فيـه ، فلما عُزلوا كرهوا العزل ، فلم أجد معناهم في كراهتهم العزل إلا هذا الرزق ، فلذلك كرهتُ أخذه .

(١٥) ـ أنشدنا أحمد بن عرفة المؤدب لبعضهم :[٥٤]

لـــو كنتَ لحمــــــاً كنتَ لحمَ كَلْبِ
أو كنتَ نـــاراً لم تَحُــــكْ في عَصْبِ
أو كنتَ مـــــاءً لم تُسَـــغْ لشرب
أو كنت سيفــــاً كنت غير عَضْب[٥٥]

(١٦) ـ وأنشدني في مثله :

لـــو كنتمُ شـــاءً لكنتمْ نَقَـــدا[٥٦]
أو كنتمُ لحمـــــاً لكنتم غُــــدَدا
أو كنتمُ قـــولاً لكنتم فَنَـــــدا[٥٧]
أو كنتمُ مـــــاءً لكنتم زَبَـــــدا
أو كنتمُ صــــوفــــاً لكنتم قَرَدا[٥٨]

(١٧) ـ قال الكوكبي : وأنشدني [في][٥٩]ضده :

لـو كنتَ ليـلاً من ليـــالي الـــدهرِ

كنتَ من البيض وفـــاء النـــذر
غراء لا يشقى بهـــا من يسري[٦٠]
أو كنت مـــاءً كنت غير كـــدر
مـــاءَ سماء في صفـــا أو صخر
أظلّـــه اللهُ بعيصٍ سِـــدْر
فهـــو شفـــاءٌ لغليـــل الصـــدر

العيصُ : أصل كل شيء ، وهو هاهنا أصلُ السِّدْر .

(١٨) ـ أنشدني أحمد بن عرفة لأعرابيّ :[٦١]

لـــو كنتَ ريحـــاً كانت الـــدَّبـــورا[٦٢]
او كنت مخـــاً كنت مخـــأريرا

رِيرٌ ، ورارٌ ، ورَيْرٌ وهي نادرة[٦٣] . أخبرناه ثعلب عن سلمة عن الفراء .

أو كنتَ مـــاءً لم تكن طهـــورا

(١٩) ـ أخبرني أبو اسحاق إبراهيم بن محمد البصري ثنا علي بن الصباح عن الكلبي عن عوانة قال[٦٤] :

لما ولد الحجاج امتنع من الرضاع ، فخرج به أبواه يلتمسان له مرضعاً ، فتلقاهما شيخ في صورة متطبب يعرفانه ، فسألهما عن حاله فأعلماه ، فأمرهما أن يذبحا له شاة ، ويولغانه في دمها ، فذبحا له شاة فولغ في دمها ، ثم قبل من مرضعته ، فأتيا من الغد المتطبب الذي يعرفانه ببِرٍّ قد أعداه له فلم يعرف السبب في ذلك ، فقصا عليه القصة ، فقال : مالقيتكما ، ولا حكيت[٦٥] لكما مما تقولان شيئا ، فيقال إنه كان إبليس .

(٢٠) ـ [٢٩ ب] حدثنا أبو العباس الهروي أنبا الرياشي عن العتبي عن أبيه قال :

كتب الحجاج إلى عبد الملك : يا أمير المؤمنين إن شيطاناً خلا بي فقال : أطعتَ عبد الملك فسفكت الدماء بغير حلها ، وأخذت الأموال من غير حقها ، فزجرتُ ذلك الشيطان وأخسأته ، وأحببتُ إعلام أمير المؤمنين من سرّ أمري مثل الذي علم من عياني . فكتب إليه عبد الملك : إن مَلَكاً خلا بي فقال : أطلقت يد الحجاج فأخذ المال من غير حلّه ، وسفك الدم بغير حقه ، واني شاورت ذلك الملك فيك فأشار عليَّ بقتلك ، وأنا أستخير الله في طاعته . فلما ورد الكتاب على الحجاج التفت إلى أصحابه ثم قال : انظروا ما يصنع التكلف بأهله . ثم قال : عليَّ بأغلظ قلم وأدقّ قلم ، فأُتي بهما فجعل إذا جرى ذكر عبد الملك كتبه بالقلم الغليظ ، وإذا جرى شيءٌ من ذكره كتبه بالقلم الدقيق حتى أنجز الكتاب .

قال العتبي : فخبرني مخبر أن الكتاب نُهب في نهب ابن زبيدة[٦٦] .

(٢١) ـ حدثنا أبو العباس أحمد بن يحي الشيباني ثعلب قال :

رُئي سعيد بن وهب في طريق مكة على رملٍ وهو يعتسفه وينشد :

قدميَّ اعتورا رملَ الكثيبِ	واطرقا الآجن من ماء القليبِ
ربّ يوم رحتما فيه إلى	لذة الدنيا وفي وادٍ خصيبِ
وسماعٍ حسنٍ من حسنٍ	صخب المزهر كالظبي الربيبِ

فـاحسبـا ذاك بهـذا واصبرا   وخـذا من كل عيشٍ بنصيب
إنمـا أبكي لأني مـذنبٌ   ولعـل الله يعفـو عن ذنـوبي

(٢٢) ـ قال :

ولسعيد بن وهب في حاضنةٍ كانت لبعض أولاد الهاشميين يقال لها رُخاص[٦٧] ، وقد كانت رأته يقبل الصبي الذي[٦٨] هي حاضنته ، فزجرته فقال :

[٣٠ أ][......]   عشـرا غـارت عليـك رخـاصُ
فـاقتصَّ عشراً بعشرٍ إن الجروح قصـاص[٦٩]

(٢٣) ـ حدثنا أبو الفضل الربعي حدثني أبي حدثني بعضُ أصحابنا الهاشميين قال :

سألتُ إسحاق بن سليمان[٧٠] بالبصرة عن سبب حبس الرشيد له ، وإطلاق محمد[٧١] له في خلافته قال : وشى بي حاسد إلى الرشيد فخبره بأنه سمعني وأنا أقول : إذا مضت سنةُ أربع وخمسين ومئتين للهجرة ضعفت دولتنا حتى يطمع فيها من لم يكن يطمع ، فلا تزال[٧٢] تزداد ضعفاً حتى تمضي سنة سبعين ومئتين للهجرة[٧٣] ، ثم تتراجع قوتها وجدتها ، فدعا بي فقال : لِمَ تخرجُ أسرارنا وأسرار دولتك ؟ لست أعاقبك بأكثر من الحبس . فأمر بحبسي ، فلما ولي محمد بعده أمر بإطلاقي ، وتقدَّمَ ألا أقيم في جواره .

(٢٤) ـ حدثنا أبو علي محرز الكاتب قال سمعتُ أبا محمد الحسن بن مخلد يقول انبا مسلم بن جميل وكان يحزن للبرامكة قال :

لما قُتل جعفر بن يحي[٧٤] نظر اليه ذفافة قتيلاً فقال : كان والله يـاأمير المؤمنين يجهل قدر النعم ، على بغضٍ للعرب ، وعصبيةٍ على النسب . فقال له الرشيد : لئن كانت للآخر من كلامك ، إنها للمقدمة عندك . ثم أقبل على العباس بن محمد فقال : قل فيه ياعمّ . قال : يا أمير المؤمنين ، وما عسى أن أقول فيه : عبدٌ غذته نعمتك بغير شكرك ، فأذاقه اللهُ بأسك . فأقبل على علي بن سليمان فقال : قل فيه ، قد كنتُ أعرف خاصيتك به وموقعه منك . قال : كان ذاك يا أمير المؤمنين ، وهو صفوة نفسك ومصون أنسك ، فلما غمط النعم توطأته النقم .

(٢٥) ـ حدثنا الفضل بن الحسن الأهوازي انبا محمد بن الحكم السلولي أخبرني أبي قال :

كتب علي بن عيسى بن ماهان[٧٥] إلى الرشيد أنه وُجد الفضلُ بن يحي بن خالد بن برمك قد عمر [٣٠ ب] بيوت النيران بخراسان ، وأقام لها السَّدَنة[٧٦] ، ووكل بها المَهَنَة[٧٧] ، فوصل [الكتاب إلى الرشيد][٧٨] ، وجعفر بن يحي عنده ، فلما قرأه قال : أفٍ لهما ، ألم أنههما عن هذا وشبهه ؟ ورمى بالكتاب [إلى جعفر][٧٩] فلما قرأه التُمع لونه[٨٠] ، فقال له الرشيد : لا عليك ، فان علمي بما طلب[٨١] ، يذهب عنك مكروه ما كتب ، فاكتب إليه كتاباً يجمع في حاشيتيه تأنيب المتعطف وإيعاد المتوقف . فقال جعفر : والله يا أمير المؤمنين ما أدري على أيّ النعمتين أقدم الشكر : على علمك أم على أدبك . ثم دعا بدواةٍ وقرطاسٍ وكتب إليه : « حفظك الله أبا يحي ، وحبَّب إليك الوفاء فقد أبغضته ، وبغَّض إليك الغدر فقد أحببته . إني التمستُ عند قراءة كتابك شيئاً أشبهك به

فلم أجده ، فرجعتُ إليك فشبهتك بك . وبعد ، فإن تَجْرِ المقاديرُ في أمرك بما تحب لم تَعْدُ ما يجمل » . فلما أصلح الكتاب عرض على الرشيد فلما رأى ذلك الاقتضاب السريع والمعنى القريب استحسنه وتبسَّم وأنشأ يقول :

يريدون أمراً أنت فوق مرادهم بباعٍ، وهل يسطاعُ مسُّ الكواكبِ

وأنفذ الكتاب إلى علي بن عيسى ، وكتب إليه بخبر المجلس وما دار فيه فقال : من يدافع السيل عن درئه[٨٢] ، ليس للملك المقبل حيلة إلا الموافقة ، إلى أن ينقضي .

(٢٦) ـ حدثنا الحسين بن الفهم أخبرني ابن أبي فاطمة ، وكان[٨٣] في ناحية آل طاهر هو وأبوه ، وولاؤهم لبني هاشم قال :

قال عبد الله بن طاهر[٨٤] : إن لكل شيءٍ حياة وموتاً ، فما يحي اللبَّ محادثة الألباء ، ومما[٨٥] يحي الودّ محادثة الأوداء ، ومما يحي العزَّ مظافرة الأعزاء ، ومما يحي الذل مظاهرة الأذلاء[٨٦] ، ومما يحيي الشجاعة مصاحبة الشجعاء ، ومما يحي الكرم مواصلة الكرماء ، ومما يحي الحياء مثاقبة[٨٧] أهل الحياء ، ومما يحيي اللؤم معاشرة اللئام .

(٢٧) ـ أخبرني العنزيّ ثنا دماذ قال[٨٨] :

كتب خلفٌ الأحمر على الاسطوانة التي يجلس إليها [٣١ أ] أبو عبيدة :

صلى الإله على لوطٍ وشيعته أبا عبيدة قل بالله آمينا

فقرأه أبو عبيدة فترك الجلوس في المسجد .

(٢٨) ـ حدثني أبو محمد الهدادي حدثني خالي أبو هفان قال قال أبو الأصبغ بن ربعي الهذلي : ....

(٢٩) ـ حدثنا العنزيّ ثنا المازني انبا يزيد بن معمر قال[٨٩] :

دخل رجل على سَلْم بن قتيبة[٩٠] في حاجة له ، فوضع قائم سيفه على إصبع سلم ، واتكأ بالسيف على اصبعه ، وسَلْمٌ منصتٌ لا يشعر ، وقد جرحه ، فلما فرغ دعا بمنديل فمسح الدم ، فقيل [٣١ ب] له ألا نحَّيتَ رجلك ، قال : كرهت أن أقطعه عن حاجته .

(٣٠) ـ حدثنا [العنزيّ][٩١] [......] عن الأصمعي قال :

كان هشام بن عبد الملك قد ضمَّ سعيد بن عبد الرحمن بن حسان [إلى][٩١] عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدب ولده ....

(٣١) ـ حدثنا أبو النضر إسماعيل بن ميمون انبا الليث بن مسعود انبا اسماعيل بن موسى الكرماني قال :

اجتمع أربعة حكماء : صاحب كسرى وصاحب قيصر وصاحب ملك الهند وصاحب ملك السند ، فقالوا : تعالوا حتى ندبّر كلام حلم يزداد به الحكيم حكمة ويرتدع به[٩٢] الجاهل عن جهله . فقال صاحب كسرى : أنا على ردّ ما لم أقل أقدر مني على ردّ ما قد قلتُ . وقال صاحب قيصر : اني قد ندمتُ على ما قد قلت غير مرة ، ولم أندم على ما لم أتكلم به . قال صاحب الهند : أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ولم أملكها . قال صاحب السند : عجبت لمن تكلم بكلام إن سكت عنه لم يضره ، وان تكلم به لم ينتفع[92] .

(٣٢) ـ حدثنا منصور بن يحيي بن الشبل انبا المازني عن الأصمعي قال : قال صالح بن كيسان[٩٣] :

أيكم ينشدني بيتاً نصفه مخنَّثٌ يتفكك[٩٤] ، ونصفه أعرابي في شملة بالبادية ؟ قلنا : ما نعرفه . قال : قبحكم الله ، أما سمعتم قول جميل :

ألا أيها الركب النيام ألا هُبُّوا

فهذا أعرابي في شملة . ثم قال :

نسائلكم هل يقتل الرجل الحبُّ ؟

فهذا مخنَّثٌ بالعقيق[٩٥] يتفكَّك .

(٣٣) ـ وقال لنا :

أما علمتم أن النابغة كان مُخَنَّثاً ؟ قلنا : وما علمك ؟ قال : أما [٣٢ أ] [سمعتم قوله][٩٦] :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد[٩٧]

لا والله ما عرف تلك الاشارة إلا من خَنَث[٩٨] .

(٣٤) ـ وقال يوماً :

هل علمتم أن عامر بن جُوَيْن[٩٩] كان أحمق ؟ قلنا : وكيف ذاك ؟ قال : أما سمعتم إلى قوله[١٠٠] :

فما بيضة بات الظليمُ يحفُّها إلى جؤجؤ دان بميثاء حرملة[١٠١]

بأحسن منها يوم قالت ألا ترى تبدل خليلي انني متبدلة[١٠٢]

فما[١٠٣] أعجبه منها وهي تقول هذه المقالة لولا أنه أحمق ؟

(٣٥) ـ أنشدني ابن أبي الوفا للخريمي[١٠٤] :

لَذكرُكَ أحلى في الفؤاد وفي الحشا   من الشهد بالعذب الزلال المبرّد
على أن بين السَّحر والنحر جمرةً   متى ما أهيجها بذكراك توقد[١٠٥]
فقدتك فقد الطفل أمّاً حفيةً   على ضرع منه وحدثان مَوْلد
دعاها فلما استعجمت عن جوابه   أحال على ثدي لأخرى مجدّد[١٠٦]
فأنكره فارتاع يلمس أمه   وبات له ليل السليم المسهَّد[١٠٧]

(٣٦) ـ أنشدني ابو الفضل الاصبهاني[١٠٨] :

هل الوجدُ إلا أن قلبي لو دنا   من الجمر قيد الرمح لاحترق الجَمْرُ
أفي الجود[١٠٩] أني مغرم بك هائمٌ   وانك لاخل هواك ولا خمرُ

(٣٧) ـ وأنشدني لأبي العتاهية[١١٠] :

أرقيك أرقيك باسم الله أرقيكا   من بخل نفسٍ لعل الله يشفيكا
ما سلمُ نفسك إلا من يتاركها   وما عدوُّك إلا من يرجّيكا

آخر الجزء التاسع

(٣٨) ـ ومما قرئ على ابن سويد عن الكوكبي أيضا :

كتب بعض الأصدقاء الى صديق له محبوس :

فلعمر الإله لو كان للسيـ   ـفِ مساغ وللسان مقالُ
ما تناسيتك الصفاء ولا الودَّ (م) ولا حال دونك الأشغالُ

(٣٩) ـ [٣٢ ب] وسمعتُ ابراهيم بن الجنيد يقول :

كان يقال : من افتقر اتهمه من كان له [موافقاً][١١١] ، وأساء به الظنَّ من كان يظن به حسناً .

آخر الجزء

والحمد لله وحده

وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلامه

التعليقات

(١) الزيادة مستمدة من سند كتاب (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) للأصمعي (ط دمشق ١٩٥١ م) : ١٠ ، ١٢ ، (مخطوطة الظاهرية ، رقم ١٤٤٧) : ورقة ١٢٨ أ ، وجاء نسب أبي القاسم اسماعيل بن سعيد ، باثبات اسم محمد في تاريخ بغداد ٦ : ٣٠٨ .

(٢) الزيادة مستمدة من سند كتاب (ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه) للأصمعي : ١٠ ، ١٢ ، (مخطوطة الظاهرية ، رقم ١٤٤٧) : ورقة ١٢٨ أ ، ومما جاء في وجه الورقة الأولى [٢٥ أ] من الكوكبيات .

(٣) الطارمة : بيت من خشب كالقبة . وهو دخيل ، أعجمي معرّب (لسان العرب ـ طرم ، المعرب للجواليقي : ٢٢٤ ، شفاء الغليل للخفاجي : ١٧٧) . وتتردد لفظة « الطارمة » في النصوص العباسية ، من ذلك : « أتذكر وأنت في طارمة على النهر وأنت في البستان » (الطبري ١٠ : ٧ ، سنة ١٦٦ هـ) .

(٤) السَّمُّور (بفتح السين وتشديد الميم المضمومة) : دابّة تُسوَّى من جلودها فِراءٌ غالية الأثمان (لسان العرب والقاموس ـ سمر) ، وخُصَّ هذا النوعُ باتخاذ الفراء من جلوده للينها وخفتها ودفئها وحسنها ، ويلبسه الملوك والأكابر (حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢ : ٤٧ / السمور) . « والسمور وغزال المسك لا يكونان إلا في الصحارى الشرقية الشمالية » (الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ٢ : ١٠٤) . وفي سفينة البحار (١ : ٦٥٥) أن السمور يكون ببلاد الترك يشبه النمر . وجاء في المعجم الوسيط (سمر) : « السمور حيوان ثديي من الفصيلة السمورية من آكلات اللحوم ، يتخذ من جلده فرو ثمين ، ويقطن شمالي آسية » . ولم يرد في المعجم نفسه شيء بشأن الفصيلة السمورية .

(٥) الكانون والكانونة : الموقد (لسان العرب ـ كنن) .

(٦) العود : الخشبة المطرّاة توقد ، يتطيب بها (لسان العرب ـ عود) .

(٧) الإكاف من المراكب والوكاف : شبه الرحال والأقتاب ، يكون للبعير والحمار والبغل (لسان العرب ـ أكف ، وكف) .

(٨) البيتان في تكملة ديوان أبي العتاهية ، وخرجها الدكتور شكري فيصل محقق الديوان في عيون الأخبار لابن قتيبة ، وكتاب التشبيهات لابن أبي عون ، والأمالي لأبي علي القالي ، وزهر الآداب للحصري (أبو العتاهية : أشعاره وأخباره للدكتور شكري فيصل / دمشق ١٩٦٥ م ، ص : ٤٩١) .

(٩) البزاق والبساق والبصاق (على وزن غراب) : ماءُ الفم اذا خرج منه . وما دام فيه فهو ريق (القاموس المحيط ـ بصق) .

(١٠) البيتان هما الأول والثاني من مقطوعة لسليمان بن قتة (قتة على وزن ضبة) ذكرها العاملي في أعيان الشيعة (بيروت ١٩٨٣ م) مج ٧ : ٣٠٩ ، وأورد أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين : ٩١ ، ٩٢ أربعة أبيات منها هي الثالث والرابع والسادس والسابع من المقطوعة . وانظر أخبار سليمان بن قتة وأشعاره في الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦ ، والمعارف : ٤٨٧ ، ٥٩٨ ، والكامل للمبرد : ١٩١ ، ٥٩٠ ـ ٥٩١ ، والتعازي والمراثي للمبرد : ٧٨ ـ ٧٩ ، ٢٠٢ ، والطبري ٨ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩ (سنة ١٢٠ هـ) ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢ : ٩٦١ ـ ٩٦٣ (المقطوعة ٣٣١) ، والأغاني (ط بيروت) ١٩ : ٦٢ ، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصبهاني (انظر سليمان بن قتة في فهرس أعلامه) ، وتاريخ الاسلام للذهبي ٤ : ١٢٠ ، وطبقات القراء لابن الجزري ١ : ٣١٤ ، والقاموس المحيط والتاج (قتت) ، وأعيان الشيعة (ط ١٩٨٣ م) مج ٧ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ، وشرح نهج البلاغة مج ٤ : ٢٦ ، وفي أخباره اضطراب فلتحرر .

(١١) الجرم (بكسر الجيم وسكون الراء) : الحَلْقُ ، والصوت (اللسان والقاموس ـ جرم) .

(١٢) روى الخبر أبو نعيم في حلية الاولياء (٨ : ٣٠٤) بسنده الى ابن ابي الدنيا قال : حدثنا محمد بن أحمد حدثني أبي ثنا عبد الله بن محمد بن سفيان (هو ابن ابي الدنيا) قال حدثني محمد بن الحسين حدثني رستم بن أسامة حدثني إبراهيم بن رستم الخياط جليس لأبي بكر بن عياش عن أبي بكر بن عياش قال : .....

- وروى الخبر ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣ : ٩٥ - ٩٦) بسنده الى أبي نعيم في حلية الأولياء قال :

أخبرنا المحمدان ابن ناصر وابن عبد الباقي قالا انا حمد (وفي بعض الكتب : أحمد) بن أحمد قال انا أحمد بن عبد الله (هو أبو نعيم الاصبهاني) قال نا محمد بن أحمد قال نا أبي قال نا عبد الله بن محمد بن سفيان (هو ابن أبي الدنيا) قال حدثني محمد بن الحسين قال حدثني رستم بن اسامة قال حدثني إبراهيم بن رستم الخياط عن أبي بكر بن عياش قال : ....

(١٣) هو مروان بن الحكم ، ولي المدينة لمعاوية بن أبي سفيان مرتين ، أولاهما ما بين سنتي (٤٣ - ٤٩ هـ) ، والثانية ما بين سنتي (٥٣ - ٥٨ هـ) . انظر تاريخ الطبري في السنوات المذكورة .

(١٤) أبو محمد : كنية الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله التيمي ، قُتل يوم الجمل سنة ٣٦ هـ ، وهو ابن اثنتين وستين سنة (طبقات ابن سعد ٣ : ٢١٤ - ٢٢٥ ، المعارف لابن قتيبة : ٢٢٨ - ٢٣٤ ، التبيين في أنساب القرشيين لموفق الدين بن قدامة المقدسي / المجمع العلمي العراقي ١٩٨٢ م ، ص : ٢٨٤ ، الاصابة لابن حجر ٢ : ٢٢٩ - ٢٣٠ ، أسد الغابة لابن الأثير ٣ : ٥٩ - ٦٠ ، الاستيعاب على هامش الاصابة ٢ : ٢١٩ - ٢٢٥) .

(١٥) في المخطوطة : « وادخل » .

(١٦) أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير ، ويكنى أيضاً أبا خبيب (المعارف لابن قتيبة : ٢٢٤ - ٢٢٦ ، جمهرة ابن حزم : ١٢٢) .

(١٧) يذكر المؤرخون أن مروان بن الحكم رُمي بقتل طلحة بن عبيد الله غدراً يوم الجمل (طبقات ابن سعد ٣ : ٢٢٣ - ٢٢٤ ، المعارف : ٢٢٩ ، الطبري ٤ : ٥٠٩ / ط القاهرة ١٩٦٣ م ، التبيين في أنساب القرشيين : ٢٨٦ الاصابة ٢ : ٢٣٠ ، اسد الغابة ٣ : ٦٠ - ٦١ ، الاستيعاب / على هامش الاصابة ٢ : ٢٢١ - ٢٢٤ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر / مخطوط - ترجمة مروان بن الحكم) .

(١٨) الزبير بن العوام حواريُّ رسول الله ، قُتل منصرفه من يوم الجمل . قتله عمرو بن جرموز التيمي (طبقات ابن سعد ٣ : ١١٠ - ١١٣ ، المعارف : ٢١٩ - ٢٢٧ ، الطبري ٤ : ٥٣٤ - ٥٣٥ ، جمهرة ابن الكلبي / الكويت ١٩٨٣ / ١ : ٢٢٧) .

(١٩) أم مروان بن الحكم هي بنت علقمة بن صفوان بن أمية ، من بني مالك بن كنانة . وهي الزرقاء التي كان يُعيَّر بها مروان وأولاده (جمهرة ابن حزم : ٨٧ ، ١٨٩ ، الطبري ٧ : ٨٤ / ط بيروت ، سنة ٦٥ هـ) .

(٢٠) في المخطوطة : « فليعن » .

(٢١) إن (بكسر الهمزة ونون خفيفة) تفيد هنا النفي . واذا وقعت إن نافيه فجراها مجرى (ما) في نفي الحال ، وتدخل على الجملتين الاسمية والفعلية (شرح المفصل لابن يعيش ٨ : ١١٢ ـ ١١٣) .

(٢٢) ما بين الحاصرتين مطموس في المخطوطة ، ورجحنا ما أثبتناه بقرينة السياق .

(٢٣) في المخطوطة : « قال » .

(٢٤) وقد تقرأ : « فما أخرجك » .

(٢٥) لعله يعني بقوله : « قومي » جميع ولد قصي بن كلاب ، إذ يجتمع بقصي بن كلاب : عبدُ الله بن الزبير ومروان بن الحكم . فقد ولد قصي بن كلاب : عبد مناف ، وفيه البيت والشرف (وإليه ينتمي مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف) ، وعبد العزّى (ومنه عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى) ، وعبد الدار ، وفيهم حجابة البيت ، وعبد . انقرض عقب عبد (جمهرة ابن حزم : ١٤ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ١٢٠ ـ ١٢٢ ، أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ٥٢ ـ ٥٣ ، جمهرة ابن الكلبي ١ : ٩٠ ـ ٩١ ، ١٤٨ ـ ١٥٢ ، ٢٢٤ ـ ٢٢٨ ، المعارف : ٧٠ ـ ٧١ ، ٢١٩ ، ٢٢٤ ، ٣٥٣) .

(٢٦) انظر الخبر في طبقات ابن سعد ١ : ٨٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٧٩ ـ ١٨٠ ، وقد أورد ابن عساكر الخبر بروايات عدة (تاريخ مدينة دمشق / السيرة النبوية ـ القسم الأول : ٣٣٨ ـ ٣٤١) .

(٢٧) يعني بني زهرة بن كلاب أخوة قصي بن كلاب (جمهرة ابن حزم : ١٢٨ ، المعارف : ٧٠ ، ١٣١) .

(٢٨) في رواية الخبر على هذا النحو وهم وتخليط . وصحته ما جاء في المصادر الأخرى : « فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وزوّج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فولدت محمداً ﷺ ، فجعل الله في بني عبد المطلب النبوة والخلافة ... » (طبقات ابن سعد ١ : ٨٦) . وقد أجمع الرواة والمؤرخون

والنسابون أن هالة بنت وهيب (أو أهيب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب هي زوج عبد المطلب وأم حمزة بن عبد المطلب (جمهرة ابن الكلبي ١ : ١٠٢ ـ ١٠٤ ، المعارف : ١١٩ ، جمهرة ابن حزم : ١٥ ، ١٢٩ ، التبيين في أنساب القرشيين : ٣٨ ، نسب قريش للمصعب : ١٧ ، تاريخ مدينة دمشق / السيرة النبوية ، ق ١ : ٩٤ ، ٩٧ ، طبقات ابن سعد ١ : ٩٣ ، ٩٥ ، تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٦ / ط القاهرة ١٩٦١ م ، أنساب الأشراف ١ : ٧٩ ، ٩٠) ، وأن فاطمة بنت عمرو (أو عمر) بن عائذ بن عمران بن مخزوم هي أم عبد الله بن عبد المطلب (جمهرة ابن الكلبي ١ : ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٢٢ ، المعارف : ١١٩ ، ١٢٩ ، نسب قريش للمصعب : ١٧ ، جمهرة ابن حزم : ١٤ ـ ١٥ ، ١٤١ ، تاريخ مدينة دمشق / السيرة النبوية ، ق ١ : ٥١ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ .... ، أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ٨٧ ـ ٨٨ ، الكامل لابن الأثير ٢ : ٢ ، ١٤ ـ ١٥ ، طبقات ابن سعد ١ : ٦٢ ، ٩٣) ، وأن عبد الله بن عبد المطلب تزوج آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فولدت له رسول الله محمداً ﷺ (جمهرة ابن الكلبي ١ : ١٠٦ ، ١٢١ ، المعارف : ١٢٩ ، طبقات ابن سعد ١ : ٩٤ ـ ٩٥ نسب قريش للمصعب : ٢٠ ، التبيين في أنساب القرشيين : ٣٨ تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٣ ـ ٢٤٦ ، الكامل لابن الأثير ١ : ٢٠٩ ، ٢ : ٣ ـ ٤ ، جمهرة ابن حزم : ١٧ ، ١٢٨ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر / السيرة النبوية ، ق ١ : ٥١ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، أنساب الأشراف ١ : ٧٩ ـ ٨١ ، ٩١ ، متن الباجوري ـ مجموع من مهمات المتون ـ مصر ١٣٢٨ هـ ، ص : ٤٧) .

(٢٩) جاء الخبر في طبقات ابن سعد ١ : ٨٦ ـ ٨٧ ، وأنساب الأشراف للبلاذري (القاهرة ١٩٥٩ م) ١ : ٦٥ ـ ٦٦ ، وهو موجز في كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري ١ : ٢٧ ، وخرجه محققاه في المعارف لابن قتيبة (وهو موجز في المعارف : ٥٥٣) وفي شرح المواهب اللدنية للزرقاني ، وتجد إشارة اليه في شرح نهج البلاغة مج ٤ : ٣٤٠ .

(٣٠) الحِنّاء (بكسر الحاء وتشديد النون والمد) ، معروف . والحناءة : أخصُّ منه ، والجمع حِنّان (لسان العرب ـ حنأ) . وجاء في المعجم الوسيط (حنأ) : « الحناء : شجر ورقه كورق الرمان ، وعيدانه كعيدانه ، له زهر أبيض كالعناقيد ، يُتخذ من ورقه خضاب أحمر . الواحدة : حناءة » .

(٣١) الوسمة (بفتح الواو وكسر السين ، وتسكينُ السين في الوسمة لغةٌ) : العِظْلِمُ يختضب به (لسان العرب ـ وسم) . وقال الشيخ أحمد رضا (معجم متن اللغة ـ وسم) : « الوسمة : ورق النيل ، أو نبات يخضب بورقه ، وشجر باليمن يخضب بورقه الشعر » . وجاء

في المعجم الوسيط (وسم) : « الوسمة : نبات عشبيٌّ زراعي للصباغ ، من الفصيلة الصليبية » .

(٣٢) هي نتيلة بنت جناب من النمر بن قاسط ، وهي أم العباس وضرار ابني عبد المطلب (جمهرة ابن الكلبي / ط الكويت ١٩٨٣ م / ١ : ١٠٢ ، المعارف ١١٩ ، أنساب الاشراف ١ : ٨٨ ـ ٩٠ ، طبقات ابن سعد ١ : ٩٣ ، جمهرة ابن حزم : ١٥ ، تاريخ مدينة دمشق ـ السيرة النبوية ، ق ١ : ٩٥ ـ ٩٦ ، ٩٧ ـ ٩٨) .

(٣٣) شيبة الحمد أو شيبة : اسم عبد المطلب الذي سُمّي به قبل أن يشتهر بعدُ بعبد المطلب (جمهرة ابن الكلبي ١ : ٩٦ ، المعارف : ٧٢ ، ١١٧ ، طبقات ابن سعد ١ : ٨٢ ، ٨٣ ، أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ٦٤ ، ٦٥ ، التبيين في أنساب القرشيين : ٣٧ ، شرح نهج البلاغة مج ٣ : ٦٨٥ ـ ٦٨٦ ، ٦٩٧) .

ـ وما أثبتناه بين الحاصرتين كان مطموساً في المخطوطة ، واستدركناه من طبقات ابن سعد ١ : ٨٧ ، وفي أنساب الأشراف ١ : ٦٦ : « ياشيب » .

(٣٤) جاءت الأبيات في طبقات ابن سعد ١ : ٨٧ ، والثلاثة الأولى في أنساب الأشراف ١ : ٦٦ ، والأول والثاني في الأوائل للعسكري ، وذكر محققاه أن الأبيات في شرح المواهب اللدنية ،وجاءت الأبيات الأول والثاني والرابع في شرح نهج البلاغة مج ٤ : ٣٤٠ .

(٣٥) الأبيات من البحر الطويل . وقد دخل البيت الأول الخرمُ ، وهو حذف أول متحرك من الوتد المجموع في أول البيت ، فبقيت فعولن ـــــ» عولن (الوافي في العروض والقوافي للتبريزي : ٤٣) . ورواية الشطر الثاني من البيت في طبقات ابن سعد وأنساب الاشراف والاوائل « فكان بديلاً من .... أو : وكان بديلاً .... » .

(٣٦) موتٌ جهيزٌ ومجهز : أي سريع . وفي الحديث : هل تنظرون إلا مرضاً مفسداً أو موتاً مجهزاً اي سريعا (اللسان ـ جهز) . قال عنبسة بن أمية بن عبد شمس (جمهرة ابن حزم : ٧٩) :

لموتٌ جهيزٌ عاجلٌ لا شوى له ... اذا ما أتى مستمسكاً بالمشارب
أحبُّ إليَّ من سؤال عشيرةٍ ... اذا سُئلوا تغامزوا بالمناكب

ويقال في معناه : موتٌ وحيٌ (على وزن فعيل) : أي سريع .

(٣٧) ما بين الحاصرتين جاء في الحاشية اليمنى من الصفحة [٢٧ ب] . وقديماً قيل : « التعليق في حواشي الكتب كالشنوف في آذان الأبكار » (البصائر والذخائر لأبي حيان

التوحيدي ١ : ١٦١ ، نثر الدر للآبي (تونس ١٩٨٣) : ١٣١) .

(٣٨) جاء في كتاب التهذيب للأزهري ٤ : ١١٤ « قال : وحكم الرجلُ يحكمُ حُكْمًا : اذا بلغ النهاية في معناه مدحاً لازماً . وقال مرقّش :

يــأتي الشبــابُ الأقــورين ولا تغبــطْ أخــاك أن يقــال حكم »

وسياق كلام الأزهري يشعر بأنه نقل هذا المعنى من معاني (حكم) عن ثعلب عن ابن الأعرابي . ونقل صاحب اللسان (حكم) نص الأزهري ، وجاءت روايته للشطر الثاني : (تغبط أخاك بأن يقال حَكَمْ) .

(٣٩) البيت لمرقش من قصيدة مفضلية مطلعها (شرح اختيارات المفضل للتبريزي ٢ : ١٠٥٤ ـ ١٠٦٩) :

هــل بــالــديــار أن تجيب صَمَمْ لــو كان رسم نــــاطقــــاً كَلَمْ

(٤٠) جــاء في اللســان (قــور) : « ولقيتُ منــه الأقــورين والأمرين والبرحين والأقوريات : وهي الدواهي العظام » .

(٤١) في المخطوطة : « ساده » بالسين المهملة .

(٤٢) عمرو هو هاشم بن عبد مناف بن قصيّ ، وهو أول من ثرد الثريد ، فقال عبد الله بن الزبعري في ذلك :

عمرو العــلا هشم الثريــد لقــومــه ورجــالُ مكــة مسنتــون عجــافُ

(جمهرة ابن الكلبي / الكويت ١٩٨٣ م / ١ : ٩١ ـ ٩٣ ، المعارف : ١١٧ ، أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ٥٨ ـ ٦٣ ، طبقات ابن سعد ١ : ٧٥ ـ ٨١ ، جمهرة ابن حزم : ١٤ ، المحاسن والمساوئ للبيهقي : ٩٢ ، تاريخ مدينة دمشق ـ السيرة النبوية ١ : ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥٣ ، التبيين في أنساب القرشيين : ٣٦ ، نسب قريش للمصعب : ١٤ ، شرح نهج البلاغة مج ٣ : ٦٨٣ ـ ٦٨٥ ، ٦٩٧) .

(٤٣) كان الحارث أكبر أبناء عبد المطلب وشهد معه حفر زمزم ، وبه كان يكنى . وذكروا أنه مات في السنة التي نحر فيها عبد المطلب الإبل ، وكان نحر الإبل قبل الفيل بخمس سنين (المعارف : ١١٨ ، ١٢٦ ، نسب قريش للمصعب : ١٨ ، التبيين في أنساب القرشيين : ٣٧ ، أنساب الأشراف للبلاذري ١ : ٦٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، طبقات ابن سعد ١ : ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٢ ـ ٩٣) .

(٤٤) المراد : وربما حذفت العرب حرف (لا) في جواب القسم المنفي « لأنه تخفيف

لا يوقع لبساً ، إذ لو كان ايجاباً لكان بحروفه اللازمة له من اللام ونون التوكيد . وفي التنزيل : (قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف) [سورة يوسف ، آية : ٨٥] أي لاتفتأ تذكر ..... » (شرح المفصل لابن يعيش ٩ : ٩٦ ـ ٩٨) .

(٤٥) البيتان في سيرة ابن هشام ١ : ٢٤٧ ، وسيرة ابن كثير ١ : ٤٨٨ ، وخزانة الأدب للبغدادي ١ : ٢٥٥ ، وتعليق من أمالي ابن دريد (الكويت ١٩٨٤ م) : ١٠٠ ، ونسب قريش للمصعب : ٩٤ ، وشرح نهج البلاغة مج ١ : ٣٩١ ، مج ٣ : ٤٧١ ، والبيت الأول مع اختلاف الرواية في أنساب الأشراف للبلاذري (القاهرة ١٩٥٩ م) ١ : ٢٣٢ ، والتهذيب للأزهري ١٣ : ٢٦٩ ، واللسان (بزا) ، والثاني في الأغاني (القاهرة ١٩٥٠ م) ٤ : ١٩٠ .

(٤٦) البزو : الغلبة والقهر . يُبزى : يقهر ويستذل (التهذيب للأزهري ١٣ : ٢٦٩ ، اللسان ـ بزا) . وجاء في الروض الانف للسهيلي (القاهرة ١٩١٤ م) ١ : ١٧٦ « وقوله : نُبْزَى محمدا : أي نسلبه ونغلب عليه » .

(٤٧) قيس بن ثعلبة : من بكر بن وائل (جمهرة ابن الكلبي / ط دمشق ، ٢ : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ، جمهرة ابن حزم : ٣١٩ ـ ٣٢١) .

(٤٨) هوذة بن علي السحيمي الحنفي صاحب اليامة ذو التاج ، وشاعر بني حنيفة وخطيبها . « وكان هوذة بن علي ذا قدر عالٍ ، وكانت له خرزاتٌ تُنظم فتجعل على رأسه تشبهاً بالملوك .... وكتب رسول الله الى هوذة كما كتب الى الملوك » (الكامل للمبرد : ٧٣٠ ، المعارف : ٩٧ ، ١١٥ ، جمهرة ابن الكلبي (ط دمشق) ٢ : ٢٦٣ ، العفو والاعتذار لأبي الحسن العبدي ٢ : ٤٣٠ ـ ٤٣٥ ، سفينة البحار ٢ : ٧٢٧) ، وانظر ترجمته ومصادرها في كتاب الاعلام للزركلي (ط ٣) ٩ : ١١١ ـ ١١٢ .

(٤٩) قُلْح (بضم فسكون) جمع أقلح : وهو الذي كثرت الصفرة على أسنانه وغلظت ، ثم اسودت وخضرت . فالشاعر ينبز بني حنيفة ويهجوهم .

و (شكوا) هي القراءة الراجحة لرسم الكلمة ، وقد تقرأ على ضعف (شلوا) .

(٥٠) خثرت نفسُه (خثر من باب نصر) : غثت وخبثت وثقلت واختلطت . قال ابن الاعرابي : خثر : اذا لقست نفسه . وفي الحديث : أصبح رسول الله ﷺ وهو خاثر النفس أي ثقيلها غير طيب ولا نشيط (لسان العرب والقاموس ـ خثر) .

(٥١) عثمان بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي . كان من أهل الهيئة والفقه . ولما ولي جعفر بن سليمان على المدينة ولايته الثانية استقضى عثمان ، وكان لا يأخذ على القضاء رزقا ، وأعفاه الخليفة المهديُّ حين قدم معتمراً (أخبار القضاة لوكيع ١ : ٢٢٩ ،

نسب قريش للمصعب : ٢٩٠ ، جمهرة ابن حزم : ١٤٠ ، التبيين في أنساب القرشيين : ٢٩٨ ـ ٢٩٩) . وجاء في جمهرة ابن الكلبي (الكويت) ١ : ٢٥٨ ، (دمشق) ١ : ١٠٤ « عثمان بن عمر بن طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر » بزيادة « عمر » بين عثمان وطلحة .

(٥٢) هكذا جاءت العبارة ، ولعل صوابها : فأشرف على أن يضربه بالسياط .

(٥٣) ما بي : هي القراءة الراجحة للكلمة في المخطوطة . ويجوز أن تقرأ (مالي) .

(٥٤) جاء في كتاب الكامل (٢ : ٧٩٠ / القاهرة ١٩٣٩ م) للمبرد : « وقال آخر :

لو كنتَ ماءً لم تكن بعذبِ
او كنت سيفاً كنت غير عضب
او كنت لحماً كنت لحم كلب
او كنت عيراً كنت غير نَدْب » .

(٥٥) سيفٌ عضب : قاطع . وُصف بالمصدر (لسان العرب ـ عضب) .

(٥٦) النقد (بفتح النون والقاف) : جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه (لسان العرب والقاموس ـ نقد) .

(٥٧) الفند (بفتح الفاء والنون) : الخَرَفُ وانكارُ العقل من الهرم او المرض ، والخطأ في الرأي والقول (لسان العرب والقاموس ـ فند) .

(٥٨) القرد (بفتح القاف والراء) : ما تمعّط من الوبر والصوف وتلبّد . وقيل : هو نُفاية الصوف خاصةً ، ثم استعمل فيما سواه من الوبر والشعر والكتان (لسان العرب والقاموس ـ قرد) .

(٥٩) زيادة يقتضيها الكلام .

(٦٠) في المخطوطة : (تسري) والليلة الغراء : الليلة البيضاء بنور القمر . ويقول الأزهري : الليالي الغُرّ : هي ليلة ثلاث عشرة واربع عشرة وخمس عشرة ، ويقال لها البيض (اللسان / غرر) .

(٦١) أنشد المبرد في الكامل (٢ : ٧٩٠) خمسة أبيات من هذه الأرجوزة ، كان منها الأبيات الثلاثة التي أوردها الكوكبي ، وترتيبها في رواية المبرد (١ ، ٣ ، ٢) .

(٦٢) الدّبور (بفتح الدال) : ريح تهبُّ من نحو المغرب ، والصبا تقابلها من ناحية المشرق (لسان العرب ـ دبر) . قال المبرد (الكامل ٢ : ٧٨٩) : « والعرب تكره الدبور ، وفي

الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « نُصِرتُ بالصبا ، وأُهلكت عادٌ بالدَّبور » . وقلّما يكون بالدبور المطرُ ..... » .

(٦٣) قال المبرد في الكامل (٢ : ٧٩٠) : « الرِّيرُ : المخُّ الرقيق ، يقال : مُخٌّ رِيرٌ ورارٌ في معنى واحد .... » . وجاء في اللسان ـ رير : « مُخٌّ رارٌ ورَيْرٌ ورِيرٌ : ذائبٌ فاسدٌ من الهزال » .

(٦٤) انظر الخبر برواية أخرى في وفيات الأعيان ٢ : ٣٠ (ترجمة الحجاج) .

(٦٥) في المخطوطة : « ولا حكمتُ » .

(٦٦) يعني حين نهبت بغداد قبيل مقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ .

(٦٧) قال في القاموس المحيط (رخص) : « رخاص بالضم (اي بضم الراء) من أسمائهن » . قال في التاج (رخص) : « قال ابن دريد : مأخوذ من قولهم : امرأة رخصة البدن : اذا كانت ناعمة الجسم » . وجاء في اللسان (رخص) : « ورخاص : اسم امرأة » . وجاء في جمهرة ابن دريد (٢ : ٢٠٨) : « وامرأة رخصة البدن : اذا كانت ناعمة الجسم . وبه سميت المرأة رخاص » .

(٦٨) في المخطوطة : « التي » .

(٦٩) يشير الى الآية الكريمة : (والجروح قصاص) [سورة المائدة ، آية ٤٥] .

(٧٠) ولي إسحاق بن سليمان بن علي ، ويكنى أبا يعقوب ، المدينة والبصرة والسند ومصر لهارون الرشيد ، وولي حمص وأرمينية لمحمد بن الرشيد (أنساب الأشراف للبلاذري / القسم الثالث : ٩٤) .

(٧١) هو محمد الأمين الذي ولي الخلافة (١٩٣ ـ ١٩٨ هـ) بعد أبيه الرشيد .

(٧٢) في المخطوطة : « فلا يزال » .

(٧٣) هذه الفترة تكاد تقابل الوقت الذي ظهرت فيه فتنة الزنج بالبصرة وتعاظم أمرها حتى هددت خلافة بغداد . فقد خرج صاحب الزنج لأربع بقين من رمضان سنة ٢٥٥ هـ ، ودخل البصرة وقتل أهلها وأحرقها سنة ٢٥٧ هـ ، ثم قُتل في صفر سنة ٢٧٠ هـ (تاريخ الطبري ١١ : ١٧٤ ، ٣٢٦ ، سنة ٢٥٥ هـ ، سنة ٢٧٠ هـ ، شرح نهج البلاغة مج ٢ : ٤٨٩ ـ ٥٤٠) .

(٧٤) قتل الرشيدُ جعفر بن يحيى بن خالد وأوقع بالبرامكة سنة ١٨٧ هـ ، وانظر

ترجمة جعفر البرمكي ومراجعها في الوافي بالوفيات للصفدي ١١ : ١٥٦ ـ ١٦٥ .

(٧٥) علي بن عيسى بن ماهان من قواد الرشيد والأمين . قُتل سنة ١٩٥ هـ قتله طاهر بن الحسين حين نشب النزاع بين الأمين والمأمون (تاريخ الطبري ١٠ : ١٣٨ ـ ١٥٣ / سنة ١٩٥ هـ ، العبر للذهبي ١ : ٣١٦ ـ ٣١٧) .

(٧٦) السَّدَنة جمع سادن : وهو خادم الكعبة وبيت الأصنام .

(٧٧) المهنة جمع ماهن (مثل كتبة وكاتب) : وهو الخادم .

(٧٨) الكلمات في المخطوطة ليست بيّنة .

(٧٩) ما بين الحاصرتين مطموس في المخطوطة .

(٨٠) التّمع لونه : اذا ذهب (اللسان ـ لمع) .

(٨١) لم يحسن الناسخ كتابة (طلب) في المتن ، فدفعه ذلك الى أن يضع فوقها خطاً يشير الى تصحيحها في الحاشية . وجاء في الحاشية (طلب) واضحة ، وفوقها كلمة لم أتبين قراءتها .

(٨٢) درأ السيلُ : اندفع . وجاء السيلُ دَرْءاً : اذا اندفع من مكانٍ لا يُعلم به فيه . وفي حديث أبي بكر :

صادفَ درءُ السيل درءاً يدفَعُهْ

يقال للسيل اذا اتاك من حيث لا تحتسبه : سيلٌ درء (لسان العرب ـ درأ ، مجمع الأمثال ١ : ٤٠٧ ، شرح نهج البلاغة مج ١ : ٤٩٧ ـ ٤٩٨) .

(٨٣) في المخطوطة : « ما كان » وفوقها شبه ضبة .

(٨٤) هو أمير المشرق أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ، كان شجاعاً مهيباً ، عاقلاً ، جوادا . توفي سنة ٢٣٠ هـ وله ثمان وأربعون سنة (المعارف لابن قتيبة : ٥٢٥ ، العبر للذهبي ١ : ٤٠٦ ، الطبري ١١ : ١٣ / سنة ٢٣٠ هـ ، وانظر ترجمته ومراجعها في وفيات الأعيان ٣ : ٨٣ ـ ٨٩ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٠ : ٦٨٤ ـ ٦٨٥) .

(٨٥) في المخطوطة : « وما » .

(٨٦) ظاهر فلان فلاناً : عاونه . والمظاهرة : المعاونة . والتظاهر : التعاون

ـ ويقال : تضافر القومُ على فلان ، وتظافروا عليه ، وتظاهروا : بمعنى واحد ، كلُّه

إذا تعاونوا وتجمّعوا عليه . وتألبوا وتصابروا مثله .

ـ وتظافر القومُ عليه وتظاهروا : بمعنى واحد (لسان العرب ـ ضفر ، ظفر ، ظهر) .

(٨٧) لعل صوابها : « مثافنة » . ثافنتُ الرجلَ مثافنة : أي صاحبته ، لا يخفى عليّ شيءٌ من أمره ، وذلك أن تصحبه حتى تعلم أمره ... وثافن الرجلَ : اذا باطنه ولزمه حتى يعرف دخلته ... (لسان العرب ـ ثفن) .

(٨٨) انظر البيت والخبر مع اختلاف الرواية في وفيات الأعيان ٥ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ ، وإنباه الرواة ٣ : ٢٨٢ ، والمحاسن والمساوئ للبيهقي : ٦٠٢ .

(٨٩) جاء الخبر في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر . انظر مخطوطة ابن عساكر ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٤٠ .

(٩٠) انظر ترجمته وأخباره في : أنساب الأشراف للبلاذري / القسم الثالث ـ بيروت ١٩٧٨ م ، فهرس الأعلام : ٣٣٦ ، المعارف لابن قتيبة : ٣٧١ ، ٤٠٧ ، ٦٠٢ ، تاريخ الطبري ٩ : ١٢٢ ، ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ / ١٣٢ هـ ، ١٤٥ هـ ، ١٤٦ هـ) ، الوافي بالوفيات ١٥ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ، تهذيب التهذيب ٤ : ١٣٤ ـ ١٣٥ ، ميزان الاعتدال ٢ : ١٨٦ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (مخطوط / جزء سفيان ـ سليمان) ، تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٣٩ ـ ٢٤١ ، وانظر كتابنا : نظرات في ديوان بشار بن برد : ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٩١) هذه قراءة رجحناها لكلمة شبه مطموسة في المخطوطة .

(٩٢) في المخطوطة : « بها » .

(92) جاء الخبر بتغيير طفيف في التذكرة الحمدونية (بيروت ١٩٨٣ م) ١ : ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ، وخرّجه الأستاذ الدكتور إحسان عباس محقق الكتاب في : عيون الأخبار ، ونور القبس ، وربيع الأبرار ، وحلية الأولياء ، وبهجة المجالس ، وزهر الآداب ، والبيهقي ، وكتاب الآداب ، والجوهر النفيس ، ومحاضرات الأبرار ، ومختار الحكم ، وتسهيل النظر ، والمحاسن والاضداد ، والتمثيل والمحاضرة ، والمستطرف .

(٩٣) انظر الخبر برواية أخرى في العقد لابن عبد ربه ٥ : ٣٨٢ ، وروى الخبر أبو الفرج الاصبهاني في الأغاني ٤ : ١١٤ ، ٨ : ١١٨ ، والبيت في ديوان جميل (القاهرة ١٩٦٧) : ٢٥ ، وخرّجه الدكتور حسين نصار جامع الديوان ومحققه في الأغاني والموشح ومختصر تاريخ ابن عساكر وسمط اللآلي والشعر والشعراء والعقد لابن عبد ربه ، وأمالي القالي والزهرة .

(٩٤) فلانٌ يتفكك : اذا لم يكن به تماسك (لسان العرب ـ فكك) .

(٩٥) العرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسّعه : عقيق . وعدّ ياقوت في معجم البلدان عدة أعقة ، منها عقيق بناحية المدينة وفيه عيون ونخل (معجم البلدان ـ عقيق) .

(٩٦) ما بين الحاصرتين مطموس ، رجحناه بقرينة السياق .

(٩٧) ديوان النابغة الذبياني (بيروت ١٩٦٨ م) : ٣٤ ، والنصيف : الخمار ج أنصفة ونصف ، مثل رغيف وأرغفة ورغف (ديوان النابغة ولسان العرب ـ نصف) .

(٩٨) خَنِث الرجلُ خَنَثاً كفرح فرحا : تثنّى وتكسّر ، فهو خَنِث ككتف . وخنّثْتُ الشيءَ تخنيثاً أي عطفته ، ومنه المخنّثُ للينه وتكسره (لسان العرب والقاموس ـ خنث) .

(٩٩) عامر بن جوين الطائي (جوين وزن زبير) شاعر فارس جاهلي ، نزل عليه امرؤ القيس بعد أن قتل أبوه فأجاره . انظر ترجمته وأشعاره وأخباره في شرح أبيات مغني اللبيب ٣ : ٣١٦ ، ٧ : ٣٥١ ، ٨ : ١٨ ، الشعر والشعراء ١ : ٦٥ (ترجمة امرئ القيس) ، الأغاني ٩ : ٩٥ (ترجمة امرئ القيس) ، النوادر للقالي : ١٧٧ ـ ١٧٨ ، اللسان (أنس) .

(١٠٠) البيتان من قصيدة لعامر بن جوين الطائي ، جاءت أبيات منها موزعة في عدة مراجع . وأتمها ما أورده الأخفش الأصغر في كتاب الاختيارين (دمشق ١٩٧٤ م) : ١٣٥ ـ ١٣٧ ، وانظر معجم البلدان ـ ملكان ، والأغاني ٩ : ٩٥ ، والنوادر للقالي : ١٧٧ ، وكتاب سيبويه ١ : ١٥٥ ، وشرح أبيات سيبويه لأبي محمد السيرافي ١ : ٣٣٧ ـ ٣٣٩ ، وفرحة الأديب للغندجاني (ط دمشق ١٩٨١ م) : ٨٠ ـ ٨٢ ، والمخصص لابن سيده ١٥ : ١٨٢ ، ١٦ : ١٦٠ ، وشرح شواهد المغني للسيوطي (دمشق ١٩٦٦ م) ٢ : ٩٣١ ـ ٩٣٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٧ : ٣٥٠ .

ـ ودار بيت من أبيات القصيدة في كتب النحاة شاهداً من شواهدهم وهو :

ولم أر مثلها خباسة واحد ونهنهتُ نفسي بعد ما كدت أفعله

وقد خرجه عبد السلام هارون (معجم شواهد العربية : ٢٦٦) في كتاب سيبويه وشرح شواهده للأعلم ، والانصاف لابن الانباري ، والمقرب لابن عصفور ، ومغني اللبيب لابن هشام ، والعيني ، وهمع الهوامع ، والدرر اللوامع ، وشرح الأشموني ، واللسان (خبس) .

(١٠١) جاء في حاشية المخطوط بعدها : « ح ق حرمل » ولعل المقصود بها ان رواية نسخة ق : حرمل .

(١٠٢) جاء في حاشية المخطوط بعدها : « ح ق متبدل » ، ولعلها تعني ان رواية نسخة ق : متبدل .

(١٠٣) في المخطوطة : « أفما » .

(١٠٤) في المخطوطة : « للخزيمي » بالزاي .

(١٠٥) السحر (بفتح السين وسكون الحاء ، وبفتح السين والحاء ، وبضم السين وسكون الحاء) : الرئة . ويقال للجبان الذي ملأ الخوفُ جوفه : قد انتفخ سحره . ويقال ذلك أيضاً لمن تعدّى طوره وجاوز قدره . وانقطع منه سحري : يئستُ منه . وصُرِم سحره : انقطع رجاؤه . وفي حديث عائشة : مات رسول الله ﷺ بين سحري ونحري : أي مات رسول الله وهو مستند الى صدرها وما يحاذي سحرها منه (لسان العرب وأساس البلاغة والقاموس - سحر ، وغريب الحديث للخطابي ١ : ٣٩٨ ، والبصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ١ : ٣٥) .

(١٠٦) ناقة مجدَّدة الأخلاف : ذهب لبنها ، ويبست أخلافها (اللسان - جدد) .

(١٠٧) السليم : الملدوغ . وانما سمّوا اللديغ سليما تفاؤلاً ، كما قالوا للفلاة : مفازة ، تفاءلوا بالفوز وهي مهلكة ، فتفاءلوا للديغ بالسلامة (اللسان - سلم) .

(١٠٨) البيتان من حماسية عدتها ثلاثة أبيات (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣ : ١٢٦٧ - ١٢٦٨) .

وقال الأخ الصديق الأستاذ أحمد راتب النفاخ في حاشية له : « البيتان الأول والثالث مما في الحماسة - في الأشباه والنظائر للخالديين ٢ : ٢٨٣ لفائد بن منير القشيري . والثاني (أفي الحق ....) من شواهد المغني . وذكر السيوطي في شرحه لشواهده ١ : ١٧٣ ما قبله وما بعده (يظهر أنه نقلها من الحماسة) ، وسُمّي قائلها فيه : عابد بن المنذر العسيري . والأول (هل الوجد ....) في شرح مشكل شعر المتنبي : ٢٥ (ط الداية) بلا عزو ، ونسبه البكري في اللآلي : ٤٠٣ الى رجل من ربيعة ، وأدرجه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٤ : ١٣٩ في أبيات من رائية أبي صخر الهذلي » .

وأورد الأبيات الثلاثة البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب (١ : ٣٥٦ - ٣٥٨) ، وقال : ولم يذكر أحدٌ من شراح الحماسة قائل هذه الأبيات .

(١٠٩) رواية الحماسة : « أفي الحق » وهي المختارة .

(١١٠) لم يرد البيتان في ديوان ابي العتاهية (ابو العتاهية : أشعاره وأخباره للدكتور شكري فيصل / دمشق ١٩٦٥ م) . ولعلهما لشاعر آخر .

(١١١) كلمة مطموسة ورجحنا ما أثبتناه من السياق .

استدراك

الخبر ذو الرقم ٣١ ـ جاءت حكمة كسرى في كتاب نثر الدر للآبي (تونس ١٩٨٣) : ٧٧ .
الخبر ذو الرقم ٣٣ ـ جاءت كلمة صالح بن كيسان في كتاب نثر الدر للآبي : ١٩١ .

الاتجاهات المعاصرة
في نظم التوثيق

الدكتور المهندس : محمد أمين الصالح

تمهيد :

تعتبر أهمية المعلومات في نشر المعرفة احدى الحقائق التي رافقت التطور الحضاري للانسان منذ بدء الخليقة . وان من أهم عطاءات القرن العشرين تثبيت تلك البديهية ، وهي أن تنمية بلد ما لاتعتمد على الموارد المالية والبشرية فحسب ، ولكنها تعتمد على المعلومات أيضاً . فالمعلومات تتيح استخداماً أفضل للقدرات الكامنة ، فهي تساعد على تجنب الازدواجية في العمل وتسمح بتوفير الوقت واقتصاد الموارد وتسهم بارساء التخطيط الواقعي .

وقد بدأ الانسان مساره الحضاري بالاعتماد على الذاكرة في حفظ المعلومات ، وعندما أصبحت الذاكرة قاصرة عن استيعاب كل الانتاج الفكري والحضاري ، جاءت الوثيقة لتصون التاريخ وتحفظ المعالم الحضارية في مختلف بقاع الأرض وعلى مدى العصور والأجيال . ومن أبلغ الدلائل على أهمية الوثيقة وتعاظم دورها في حياتنا اليومية ماتتسم به من قدرة على إثبات الوضعيات التشريعية والاقتصادية والاجتماعية .

ومن الصعب تداول الوثائق الا اذا كانت متاحة ، ولن تكون متاحة بغير نظام قادر على الانتقاء والتزويد والحفظ والاسترجاع .

☆ ☆ ☆

والبحث الذي بين يديك في نظم التوثيق يتألف من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في منهجية نظام التوثيق

وقد عرفنا في الفقرتين الاوليين منه (١ - ١ ، ١ - ٢) نظام المعلومات بشكل عام . أما الفقرة (١ - ٣) ، فهي تتناول أحد التطبيقات الهامة لنظام المعلومات وهو نظام التوثيق ، حيث بحثنا في مسوغات نظام التوثيق ثم في العناصر الأربعة للسلسلة التوثيقية . ثم أجرينا مقارنة بين ثلاثة أشكال [(٢) ، (٣) و (٥)] بغية استيعاب بنية نظام المعلومات بشكل عام ونظام التوثيق بشكل خاص .

الفصل الثاني : المكنز

لما كان عنصر تحليل الوثائق هو أدق عمل في سلسلة نظام التوثيق لكونه مرتبطاً ببناء المكانز ، فقد خصصنا الفصل الثاني للمكنز ، حيث قمنا بشرح ثلاث علاقات متبادلة بين الواصفات (المصطلحات) التي يتألف منها المكنز ، ثم طبقنا ذلك على مثالين أحدهما في علم المكتبات وثانيهما في الإعلاميات . وفي الفقرة الخامسة ، قمنا بشرح بناء المكانز سواء عن طريق فهرسة الوثائق أو عن طريق الاستعانة ببعض المكانز الدولية وترجمتها وتطويعها . وأشرنا إلى الدقة التي يجب أن تتوفر في عملية فهرسة الوثائق لأنها ستؤدي إلى دقة الواصفات ، وبالتالي إلى دقة المكنز . ثم شرحنا قواعد النحو المستخدمة في المكنز . وفي الجزء الثالث من هذه الفقرة شرحنا العملية التكنولوجية لانشاء ثلاثة ملفات تتألف منها قاعدة بيانات نظام التوثيق ، وأهم هذه الملفات ملف المكنز . واذا شئنا الاطلاع فقط ، تاركين الخوض في التفاصيل للاختصاصيين ، فيكفي أن

تختزن العناوين الثلاثة لتلك الملفات : المكنز ، الانتقاء ، المكتبة ، وننتقل مباشرة إلى الفصل الثالث .

في الفقرة الأخيرة من الفصل الثاني ، أعطينا مثالاً عن استخدام المكنز في البحث عن الوثائق بواسطة الحاسوب ، بدءاً من السؤال عن وثيقة ، ومروراً بمراحل البحث في الملفات الثلاثة وانتهاء بطباعة الأجوبة .

الفصل الثالث : مفهوم الشبكة العربية للتوثيق

في الفصل الثالث والأخير ، تعرضنا إلى متطلبات تصميم نظام آلي للتوثيق ، وإلى العوامل الرئيسية التي تؤثر في فعاليته ثم إلى متطلبات الشبكة العربية للتوثيق . أما السبب المباشر للتفكير بشبكة عربية للتوثيق فهو يعود إلى ضرورة توزيع قواعد البيانات المتخصصة بين بلدان الوطن العربي ، لاستحالة وجودها المزدوج في أكثر من دولة ، لعدة أسباب سنكتفي بذكر أهم الأسباب الاقتصادية منها :

١ ـ قلة الاطار الفني المدرب .

٢ ـ الحجم الكبير للاستثمار الذي يتطلبه إنشاء قاعدة البيانات . وبالتالي فإن تقليص التكاليف مرتبط بتوفير أكبر عدد ممكن من المستفيدين الذين يمكنهم الاتصال بقاعدة البيانات عن طريق شبكات المواصلات السلكية واللاسلكية من خلال أجهزة المطارف .

وحتى يوم قريب كان من المتعذر تحقيق هذا الاتصال بسبب عدم الانتهاء من تقييس المحارف العربية كما أشرنا في نهاية البحث . الا أنه قد صدرت مواصفة عربية بهذا الخصوص تحمل العنوان التالي : « مجموعة

المحارف العربية المشفرة ذات العناصر السبعة لتبادل المعلومات » . ومن خصائص هذه المواصفة ، تمثيل النص العربي سواء كان مشكولاً كلياً أو جزئياً أو كان غير مشكول ، كما أنها تسمح بتبادل المعلومات بين قواعد البيانات بغض النظر عن الصانع الذي ينتمي إليه الحاسوب الذي يستقبل أو تُخزن فيه هذه القواعد . ولعله من المناسب أن نخصص بحثاً مستقلاً لشرح المشاريع العربية بخصوص نقل تكنلوجيا الحاسوب إلى الوطن العربي والتي كُلِّلت بنجاح يُعدُّ بمثابة نقطة انعطاف في حضارتنا الحديثة ، من خلال المواصفة العربية المذكورة التي تحمل الرقم ٤٤٩ ، والتي ستسجل دولياً خلال الأشهر القليلة القادمة .



البحث

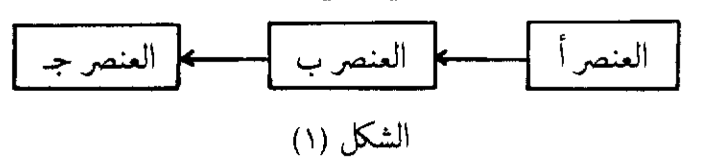
١ ـ منهجية نظام التوثيق

١ ـ ١ ـ تعريف النظام بشكل عام :

النظام هو مجموعة الكيانات المرتبطة بعلاقات تبادلية أو صلات(☆) بين بعضها البعض وتنتظم داخل اطار مشترك يستقبل متغيرات محددة تتفاعل مع الكيانات بداخله تحت تأثير الظروف المحيطة به لتتحول إلى عوائد محددة[1] .

(☆) ارجع إلى قائمة المصطلحات في الملحق وفيها المصطلح بالانكليزي والمقابل بالعربي .

يتسم النظام بخاصية التدرج أو الترتيب الهرمي . وان أبسط شكل لهذا الترتيب هو الصلة على التوالي كما في الشكل (١) :

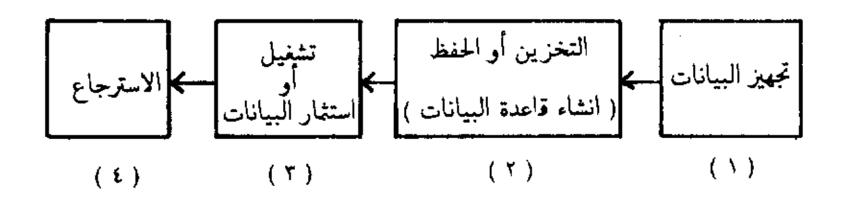


الشكل (١)

فتكون مخرجات أحد العناصر مدخلاً لعنصر آخر . لكن يمكن اعتبار كل عنصر في السلسلة نظاماً فرعياً للعناصر التي تليه ، فتكون مخرجات العنصرين أ و ب في الشكل (١) هي مدخلات العنصر جـ .

١ ـ ٢ ـ عناصر نظام المعلومات

ان نظام المعلومات هو نظام لحفظ وتشغيل المعلومات واسترجاع مايطلب منها . وقد يكون يدوياً ، وقد يطور باستخدام الميكروفيلم والميكروفيش ، وقد يستخدم الحاسوب (الحاسب الالكتروني) . تسمى مدخلات هذا النظام بالبيانات ، وهي المادة الخام التي تتحول داخل النظام بعد تشغيلها (معالجتها) إلى معلومات . وعلى غرار السلسلة في الشكل (١) ، يمكن بناء سلسلة مماثلة لنظام المعلومات كما في الشكل (٢) :



الشكل (٢)

(١) تجهيز البيانات : اعدادها وتنقيتها وترتيبها وفرزها وتصنيفها تمهيداً لتخزينها .

(٢) التخزين أو الحفظ : وضعها في ملفات مترابطة (انشاء قاعدة البيانات) .

(٣) تشغيل أو استثمار البيانات : عملية التفاعل بين مجموعة من الملفات بغية استخلاص ملفات جديدة أو تحليل بيانات هذه الملفات والحصول على نتائج جديدة واعادة تخزينها لحين الحاجة إليها أو استرجاعها مباشرة .

(٤) الاسترجاع : أي الحصول على المعلومات المطلوبة عند الحاجة إليها .

ويعتمد نظام الاسترجاع على وضع أدلة وبرامج للاسترجاع التي تعتمد بالتالي على العلاقات والصلات بين عنصري التخزين والتشغيل ، بل والعلاقة بين الملفات وتنظيمها وبنيتها[1] .

من الواضح أن مخرجات العناصر (١) و (٢) و (٣) هي مدخلات للعنصر (٤) سواء كانت بشكل مباشر مثل (٢) و (٣) أو غير مباشر مثل العنصر (١) ، التي تؤثر مخرجاته في فعالية نظام الاسترجاع . ويمكن اعتبار أن تجهيز البيانات هو العنصر الأساسي في النظام ، فأي خطأ يحدث في العناصر الأخرى ، يمكن معالجته خلال زمن وبجهد مقبولين ، لاسيا وأن العناصر (٢) و (٣) و (٤) تنفذ باستخدام الحاسوب . أما العنصر (١) فتنفيذه يدويّ ، وبالتالي يجب استثار الجهد اليدويّ بشكل مثالي وأن نحاول عدم اللجوء إلى تكرار هذا الجهد ، الأمر الذي لايمكن تلافيه اذا كانت النتائج التي يقدمها لنا نظام الاسترجاع غير مرضية .

وتجدر الاشارة إلى نظام هو محور الصلات بين عناصر نظام المعلومات ، هو نظام الاتصال . وهو النظام الذي من خلاله تتدفق البيانات من مصدرها إلى داخل نظام المعلومات ، ثم بين عناصر النظام ذاتها حتى تخرج في شكل نتائج أو تقارير تحتوي معلومات لطالبيها .

وتتطلب عملية انتقال المعلومات في عملية الاتصال توافر خمسة أطراف[٢] :

(١) المرسل أو مصدر المعلومات
(٢) الرسالة أو موضوع المعلومات
(٣) وسيلة اتصال
(٤) اللغة التي تصاغ بها الرسالة
(٥) مُسْتقبل المعلومات أو الموجه إليه الرسالة

وتعتمد نظم المعلومات على فكرة انشاء قواعد البيانات باستخدام الأساليب الحديثة للفهرسة (الفقرة التالية ١ ـ ٣) . وتتيح قواعد البيانات امكانية تطبيق نظم الاتصال الفوري للمعلومات والتي يمكن عن طريقها باستخدام الحواسيب القيام بعمليات ادخال واسترجاع المعلومات مباشرة بواسطة المستفيد من خلال وحدات اتصال طرفية دون الحاجة إلى وساطة ، وبذلك يتحقق لأي باحث امكانية استخدام هذه الأجهزة في البحث والسؤال عن أي موضوع سبق تخزينه في قاعدة البيانات ، دون أن يتطلب ذلك انتقاله إلى مكان تشغيل الحاسوب نفسه .

١ ـ ٣ ـ تطبيق في التوثيق

أ ـ مقدمة

ان الحاجة إلى المنهجية التالية لنظام آلي للتوثيق (الفقرة ب التالية) تسوّغها جملة أسباب نذكر منها[٣] :

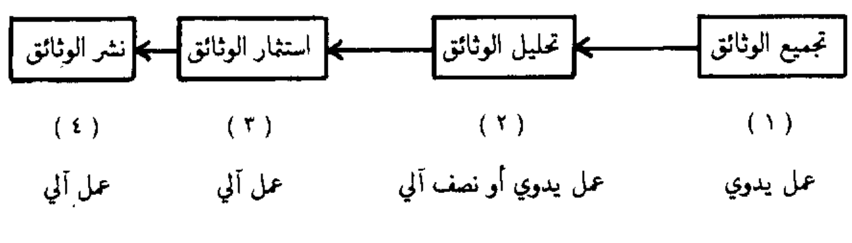
- قيام دور النشر ومؤسسات البحث بانتاج أعداد هائلة من أوعية المعلومات بدرجة جعلت من الصعب أو حتى من المستحيل على أي باحث متخصص متابعة مايجري في مجال تخصصه الموضوعي بدقة وكفاية .
- الأهمية المتزايدة للأوعية غير الكتب كوسائط لنقل المعلومات ، سواء كانت في الصورة الورقية التقليدية مثل مقالات وبحوث الدوريات ، تقارير البحوث ، تقارير وبحوث المؤتمرات والحلقات ، ... أو كانت في الصورة غير التقليدية كما تتمثل في الأشكال المصغرة (ميكروفيش ، ميكرو فيلم) وفي أشرطة الحاسوب وغيرها من الوسائط .
- تعدد اللغات التي تنشر بها المعلومات .
- لم تعد المواضيع سهلة واضحة كما كانت من قبل ، وإنما تداخلت أو تشابكت لدرجة كبيرة . فعلى سبيل المثال يمكن لأي معلومة أن تتناول أكثر من مجال من مجالات الاهتمام وفقاً لوجهة نظر الشخص الذي يتعامل معها . فاذا كان هناك تقرير يدور حول أحداث إيران وآثارها على البترول ومشكلة الشرق الأوسط[٢] ، فإن هذا التقرير يمكن أن يدخل في مجالات اهتمام عديدة منها : إيران ، البترول والطاقة ، اسرائيل ، الولايات المتحدة ، مشكلة الشرق الأوسط ، الدول العربية المنتجة للبترول ... وتستفيد من هذا التقرير أكثر من جهة باحثة . ويتم ذلك عملياً في نظم التوثيق الحديثة بتغيير مداخل البحث والفهرسة .

وإزاء هذا كله ، أصبحت الوسائل المكتبية التقليدية عاجزة عن تنظيم أوعية المعلومات وتحليلها ، ولم يعد الباحثون يهتمون بالكتاب أو البحث كوحدة ، بقدر مايهتمون بالوصول إلى المعلومات التي يحتويها الكتاب أو البحث . لذا بات من الضروري أن ننظم مصادر المعلومات تنظيماً يجعلها في متناول أيدينا . فعلى الباحث المتخصص ، اذا أراد أن

يماشي التطور ، وأن يجدد معلوماته ، أن يتمكن من الحصول سريعاً على المصادر التي لايمكنه الاستغناء عنها في معالجة المشكلة التي تهمه . وان أحد الأهداف الرئيسية من نظام التوثيق الآلي هو أن نستطيع الاختيار وبشكل سريع من بين الوثائق التي تتناول أحد المجالات ، تلك التي تبحث موضوعاً محدداً .

ب ـ السلسلة التوثيقية

تتألف السلسلة التوثيقية من أربعة عناصر هي[٤] :



الشكل (٣)

(١) تجميع الوثائق : جمع مواد النشر (الكتب ، المقالات ، الأطروحات ، بحوث المؤتمرات ...) بحسب الاختصاصات (الإعلاميات ، الرياضيات ، الكيمياء ...) .

(٢) تحليل الوثائق : فهرسة الوثائق ، أي اظهار محتواها بشكل مكثف . ويتم ذلك عن طريق اختيار العناصر المرجعية لمادة النشر (العنوان ، المؤلف ، الناشر ، سنة النشر ، ملخص ...) ورصد المواضيع الهامة في النص ، والتعبير عنها باستخدام كلمات مفتاحية (تسمى أيضاً بالواصفات ، الفقرة ٢ ـ ١) . ويبين الشكل (٤) بطاقة مكتبية تحتوي المعلومات الآنفة الذكر حسب نظام محدد[٤] .

رقم الوثيقة (رقم الورود)		رقم ISBN :	
النسبة	الاسم	النسبة	الاسم
(١)		(٢)	
العنوان : (بلغة الكتاب) :		لغة الكتاب أو المرجع :	
اسم الناشر :	بلد النشر :		سنة النشر :
تاريخ الورود :	يوم / شهر / سنة		
الملخص :			
الكلمات المفتاحية : (الحد الأقصى : عشر كلمات)			

الشكل (٤)

(٣) استثمار الوثائق : ـ تخزين البيانات المنتقاة من الوثائق في وحدات التخزين الثانوي (الدائم) لدى الحاسوب التي هي غالبا الأقراص الممغنطة . وتسمى هذه العملية بانشاء الملفات .

ـ استرجاع الوثائق وانتقاؤها .

(٤) نشر الوثائق : توجد نماذج عديدة لنشر الوثائق ، أهمها :

١ ـ النشر الجماعي الشهري بواسطة فهرس يبين للمستفيدين الوثائق الجديدة التي ظهرت في اختصاصاتهم (مثال : النشرة الشهرية التي تصدرها مراكز الأبحاث) .

٢ ـ نشر دوري مختار يبين للمستفيد الوثائق التي ظهرت حديثاً في مجال بحثه وليس في المجال الواسع لاختصاصه .

٣ ـ نشر استعادي عن المراجع ، يتناول المجموعة التوثيقية بكاملها ويجيب عن سؤال محدد من قبل المستفيد (مثال : مراجع استعادية منظمة حسب الموضوع أو حسب المؤلف ، خلال فترة زمنية محددة) .

اذا ما قارنا بين السلسلتين في الشكلين (٢) و (٣) ، نجد أننا في الشكل (٣) فرّعنا عنصر تجهيز البيانات إلى فرعين هما تجميع الوثائق وتحليل الوثائق . ونشير إلى أن تحليل الوثائق هو أدق عمل في هذه السلسلة لكونه مرتبطاً ببناء المكانز من جهة ، فعن طريقه يتم إحصاء المفردات والمصطلحات لتقديم مؤشرات بناء المكانز (الشكل ٧) ، ولكون نجاح نظام الاسترجاع يعتمد على الخبرة الدقيقة في فهرسة الوثائق من جهة أخرى . ويمكننا القول إن الخبرة في تحليل الوثائق حسب المواصفات المطلوبة لنظام التوثيق الآلي غير متوفرة في أكثر الأقطار العربية(☆) ، عدداً ونوعاً .

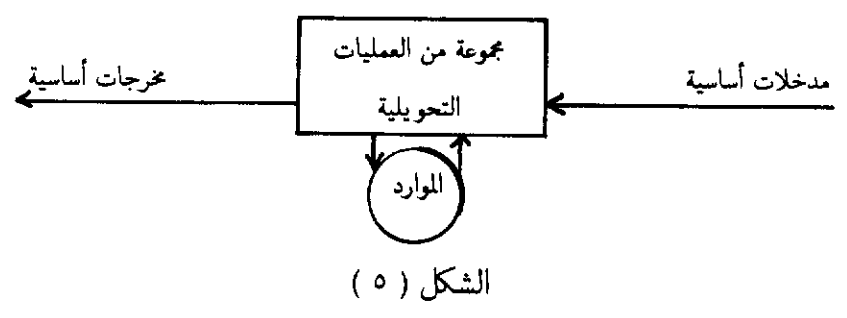
نستأنف المقارنة بين السلسلتين في الشكلين (٢) و (٣) ، فنجد أننا في الشكل (٣) جمعنا العناصر التالية : التخزين أو الحفظ ، تشغيل أو استثمار البيانات ، والاسترجاع ، في نظام فرعي واحد أسميناه استثمار الوثاق . ونشير إلى أن هذا النظام الفرعي ينفذ بواسطة الحاسوب ، وهو اذ يحتاج إلى مستوى عال من الخبرة في تحليل النظم ، فإن مثل هذه الخبرة يمكن توفيرها اذ تقتصر على وجود شخص مؤهل أو اثنين وبالتالي

(☆) تجدر الاشارة إلى وجود معهد ملحق بالمركز الوطني للتوثيق في الرباط ، يتم فيه إعداد إخصائيين في التوثيق ، مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات بعد الثانوية العامة .

فإن تنفيذ هذا النظام الفرعي لايقترن بالشروط البيئية (مستوى الثقافة في المجتمع ، الامكانات المادية ، التأهيل والتدريب ...) المحيطة بنظام التوثيق .

إن نشر الوثائق هو هدف عملية الاسترجاع ، الا أن اعتبارنا اياه عنصراً متميزاً في السلسلة التوثيقية ، مرده إلى تأثرنا بمنهجية مبسطة للنظام بشكل عام ، يمكن التعبير عنها كما يلي(٢) :

ان مكونات أي نظام هي المدخلات والمخرجات والاجراءات والموارد والعمليات ، كما في الشكل التالي :



الشكل (٥)

لدى مقارنتنا عناصر السلسلة في الشكل (٣) بعناصر هذا التعريف ، نجد مايلي :

- ان المدخلات الأساسية لنظام التوثيق مستقاة من تجميع الوثائق وتحليلها .
- ان مجموعة العمليات التحويلية تتم من خلال تخزين البيانات ، معالجتها (تحويلها إلى معلومات) واسترجاعها . ويمكن اعطاء أمثلة عنها هي : انشاء الملفات ، مراجعة البيانات وتصحيحها ، الفرز والترتيب ، البحث والمضاهاة ، الادماج ، عمليات التحليل اللغوي الصرفي والنظمي

والدلالي ، إحصاء المفردات والمصطلحات ..[٥].

- أما الموارد فيمكن تعريفها بشكل عام ، على أنها نوع من المدخلات تتفاعل مع كيانات النظام فتتحول إلى مخرجات . وهي تتميز بكونها مؤقتة أو دائمة وبتصنيفها المزدوج ادخال / اخراج . وفي تطبيقنا هذا فان الموارد هي البيانات المنتقاة من الوثائق والتي يتم تخزينها في ثلاثة ملفات رئيسية هي قاعدة البيانات لنظام التوثيق ، وهي على التوالي : ملف الكلمات المفتاحية أو المكنز ، ملف الانتقاء ، وملف المكتبة . وسنعطي أمثلة عنها في فقرة لاحقة (٢ ـ ٥) .
- وأخيرا فان المخرجات الأساسية هي نشر الوثائق . وتتمثل خدمة النشر غالبا بالشكل التالي :

١ ـ مستخلصات لكل المواد ، متاحةٌ في فهارس ورقية وعلى أشرطة ممغنطة .

٢ ـ ميكروفيش للنص المكتمل خاصة فيما يتعلق بالمواد غير المنشورة .

٢ ـ المكنز

٢ ـ ١ ـ تعريف

- « المكنز قائمة بالمصطلحات المتفق عليها أو الواصفات التي تُستخدم لتقنين وتحديد المفاهيم التي توجد في المطبوعات والتي عندما تنظم ويتم عرضها بشكل ما ، تبين العلاقات ذات الطبيعة الدلالية أو الهرمية »[٣] .
- « لأغراض هذه المواصفة ، فان المكنز يعرَّف بأنه تجميع للكلمات والجمل يظهر علاقات الترادف والعلاقات الهرمية وغيرها من العلاقات

والتوابع ، ووظيفته الإمداد بلغة مقننة لاختزان المعلومات واسترجاعها » . (المعهد القومي الأمريكي للمواصفات) .

٢ ـ ٢ ـ العلاقة المتبادلة بين الواصفات في المكانز(٦) .

أ ـ علاقة التساوي أو التكافؤ .

يمكن استخدام تسمية واحدة فقط لمفهوم واحد ، من بين التسميات المتعددة ، وهي التسمية المفضلة في العادة لاسترجاع الوثائق المتعلقة بالمفهوم . ويجب أن يُعْطى التفضيلُ لما يلي عند اختيار المصطلح المفضل (الواصف أو الكلمة المفتاحية) من بين عدة مرادفات :

ـ المصطلح الأكثر فهماً للمستفيد من نظام التوثيق
ـ المصطلح الجاري في الاستخدام بدلاً عن المصطلح الذي بطل استخدامه
ـ المصطلح المحلي للجزء المحلي من استخدام النظام (مفهوم الشبكة العربية ، الفصل الثالث) وانه من الضروري الاحالة من المصطلحات غير المفضلة أو غير المستخدمة إلى المصطلح المفضل أو المختار للاستخدام في نظام التوثيق . وهناك نوعان من الاحالات :

١ ـ احالة : استخدِمْ (ا س)

مثال : عائلة ا س أسرة

وهي تقود من المصطلحات غير المفضلة الى المصطلح المفضل .

٢ ـ احالة : مستخدم لـ (بدلاً من) ويرمز لها بـ:س ل

مثال : أسرة س ل عائلة

ب ـ العلاقة الهرمية

١ ـ علاقة الشمول . ويشمل هذا النوع من العلاقات علاقة الجنس / النوع

مثال : الأمراض (الجنس) الأمراض المعدية (النوع)

٢ ـ علاقة الجزء / كل :

مصطلح عريض (م ع) المصطلح المخصص هنا يشمل عدة معانٍ منها المصطلح الضيق .

مصطلح ضيق (م ض) المصطلح المخصص هنا هو جزء من المصطلح العام .

أمثلة :

الأمراض	م ض	الأمراض المعدية
فرنسا	م ض	باريس
النحاس	م ع	المعادن
	م ع	العناصر الكيميائية
		المصطلح المخصص

جـ ـ علاقة الترابط

تستخدم لتغطية العلاقات الأخرى بين المفاهيم المتصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً غير علاقة الاتصال الهرمي أو الاتصال التماثلي . ويرمز لها بـ (م ت) أي مصطلح متصل . وفيما يلي بعض الحالات التي تستخدم فيها هذه العلاقة :

ـ التضاد

الجو البارد	م ت	الجو الحار

ـ السبب والأثر

التدريس	م ت	التعلم

ـ الاستخدام المتلازم لمفهومين

التربية	م ت	التدريس
ـ علاقة الوسيلة		
النقل	م ت	العربات
علاقة المادة		
الكتب	م ت	الورق

٢ ـ ٣ ـ مثال في علم المكتبات[٦]

الكلمة المفتاحية أو الواصف : الببليوغرافيات		الكلمات المرتبطة
(مستخدم لـ)	س ل	قوائم القراءة
		قوائم المؤلفات
(معنى ضيق)	م ض	ببليوغرافيات الببليوغرافيات
		الببليوغرافيات العالمية
		الببليوغرافيات القومية
		الببليوغرافيات الموضوعية
(معنى عام)	م ع	الوثائق الثانوية
(معنى متصل)	م ت	الببليوغرافيون
		تجميع الببليوغرافيات
		الخدمات الببليوغرافية
		علم الكتاب

ومن أمثلة الإحالات المتبادلة أو العكسية للمثال السابق نجد :

قوائم القراءة		
(استخدم)	ا س	الببليوغرافيات
قوائم المؤلفات		

البيبليوغرافيات ا س

الوثائق الثانوية

البيبليوغرافيات م ض

البيبليوغرافيون

البيبليوغرافيات م ت

ولعله من الواضح أن الاحالات تمثل شبكة متكاملة للعلاقات المختلفة بين المصطلحات التي تشتمل عليها المكانز . وسنوضح ذلك في المثال التالي .

٢ ـ ٤ ـ مثال في الاعلاميات[٤]

١ برنامج التجميع (لغة)

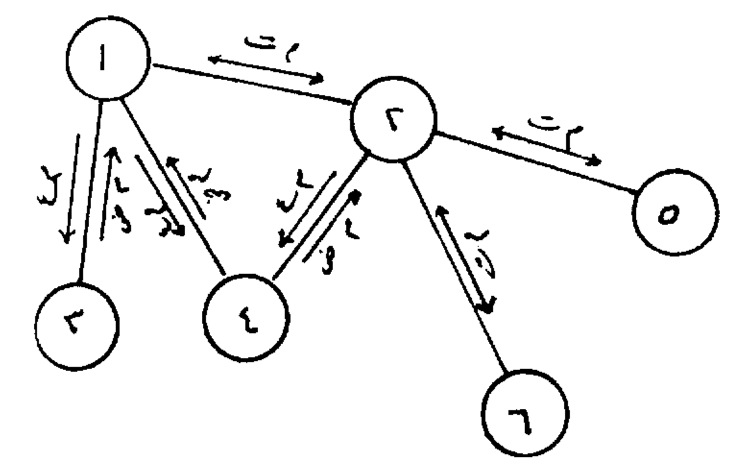
٢ برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف

٣ لغة

٤ برنامج

٥ عملية الترجمة

٦ عملية الترجمة والتجميع والتصنيف



الشكل (٦)

برنامج التجميع

م ع لغة

برنامج

م ت برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف

برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف

م ع برنامج

م ت عملية الترجمة والتجميع والتصنيف

برنامج التجميع

عملية الترجمة

برنامج

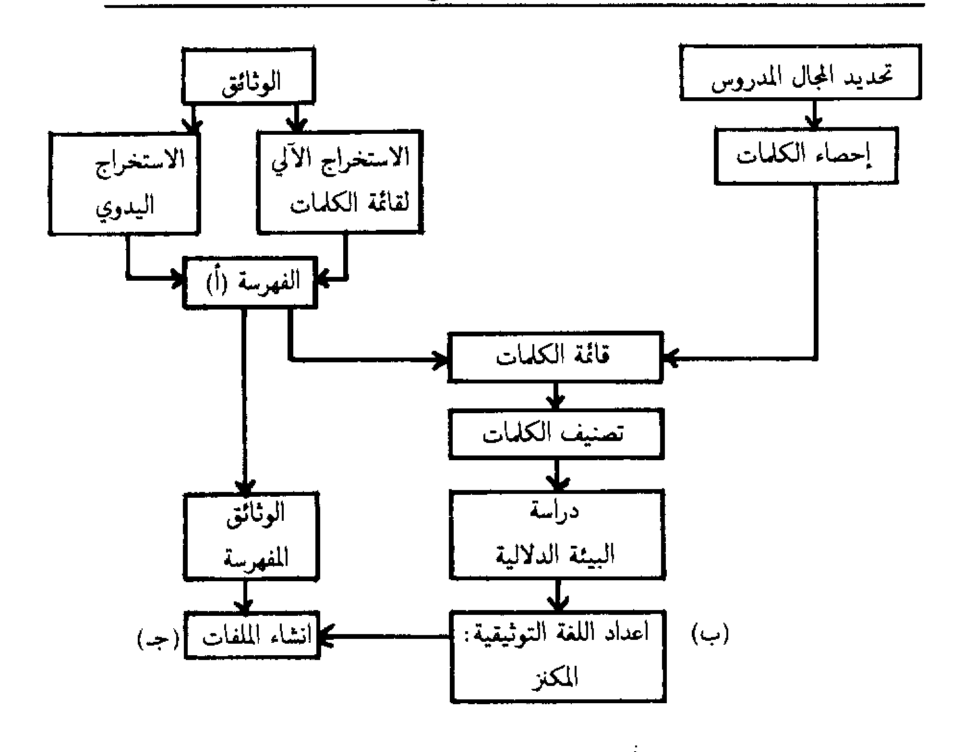
م ض برنامج التجميع

برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف

٢ ـ ٥ ـ بناء المكانز

يمكن بناء المكنز عن طريق فهرسة الوثائق المرتبطة بالمجال المدروس وإحصاء المفردات والمصطلحات ، أو عن طريق الاستعانة ببعض المكانز الدولية المنشورة والمعدّة بواسطة بعض مراكز التوثيق العالمية ، ثم ترجمة هذه المكانز وتعريبها وتطويعها للتطبيق المحلي .

ويبين الشكل (٧) مخطط إعداد المكنز والملف المناظر له ، بالاضافة إلى كون عملية الفهرسة تُؤدّي بشكل موازٍ إلى انشاء ملفي الانتقاء والمكتبة . وسنعطي أمثلة عن هذه الملفات في الفقرة جـ .



الشكل (٧)

أ ـ طرق فهرسة الوثائق

ان اختيار المفردات دقيق جداً ، فمثلاً كلمة عامة قد تثقل النظام ، بينما كلمة محددة جداً قد لا يستفاد منها . وكلما كان الحقل المدروس واسعاً ، جاز للواصفات أن تكون أقل دقة . وأمامنا طريقتان لاختيار مفرداتنا :

○ الطريقة اليدوية

ـ نتحرى مضمون الوثائق ونضع قائمة بالكلمات الأكثر تعبيراً عن الموضوع . أو

ـ نختار الكلمات حسب التقسيمات الرئيسية في كل مجال ونتحقق أولا بأول عند فهرسة الوثائق من أن الكلمات المستعملة هي ضمن

مفردات المكنز .

○ الطريقة الآلية

وتكون باستخدام برنامج لتحليل النصوص واستخراج الكلمات . ولا تأخذ هذه الطريقة بعين الاعتبار حتى الآن ، كل خواص اللغة الطبيعية ، ويجب أن تكون سعة ذاكرة التخزين في الحاسب كبيرة جدا ليتسنى لها تخزين النصوص .

ب ـ قواعد النحو في اللغة التوثيقية

ان قواعد النحو المستخدمة في المكنز يمكن أن تكون قريبة من اللغة الطبيعية أو لا تكون . ويجب أن يحتوي كل واصف (كلمة مفتاحية) على عدد محدد من الأحرف ، وتوجد ثلاثة حلول لوضع نظام بهذه الكلمات :

○ تناظر مباشر

مثال : المعادلات التفاضلية الجزئية المعادلات التفاضلية الجزئية

ان لهذا الحل مساوىء ، لأنه يمكن لعدد الأحرف أن يكون كبيرا ، مما يشكل عقبة أثناء البحث ، تتعلق بمقدرة الذاكرة على التخزين (سعة ذاكرة الحاسوب) .

○ تنظيم بحسب الأرقام

مثال : المعادلات التفاضلية الجزئية ← ١٠٧٠١

○ تنظيم معبر

مثال: المعادلات التفاضلية الجزئية ← معاد/تفاض/جز

ج ـ أمثلة عن الملفات

يجب لمقارنة المواضيع المطلوبة مع الوثائق ، أن تخزن المعلومات

المرتبطة بالوثائق وباللغة التوثيقية في ملفات ، هي قاعدة بيانات نظام التوثيق (الفقرة ١ ـ ٣ ـ ب) .

وفي حالة استخدام الكلمات المفتاحية (الواصفات) المنتقاة على شكل قائمة هجائية أو مرمزة ، لاتحتوي على العلاقات الدلالية بين الواصفات ، فاننا نحتاج إلى ملفين فقط من أجل عملية الاستثمار ، وهما ملف الانتقاء وملف المكتبة .

أما في حالة تنظيم الواصفات في مكنز ، فاننا نحتاج في عملية الاستثمار إلى ثلاثة ملفات :

ج ـ ١ ـ ملف الكلمات المفتاحية (المكنز)

وهو يحتوي على رموز الكلمات المفتاحية مع علاقاتها الدلالية . وفيما يلي مثال عن سجلات من الملف ، ثابتة الطول :

رمز الكلمة المفتاحية	عدّاد	رمز الدلالات	رمز الكلمة المفتاحية المرتبطة
سِجِلّ برنامج التجميع	١	م ع	لغة
	٢	م ع	برنامج
	٣	م ت	برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف
برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف	١	م ع	برنامج
	٢	م ت	عملية الترجمة والتجميع والتصنيف
	٣	م ت	برنامج التجميع
	٤	م ت	عملية الترجمة

جـ ـ ٢ ـ ملف الانتقاء

يحتوي هذا الملف على رمز الكلمة المفتاحية ، تتبعه أرقام الوثائق المرتبطة به .

رمز الكلمة المفتاحية	عدّاد	رمز الوثيقة المرتبطة
برنامج التجميع	١	٤٨٥٠
	٢	٥٣٦٠
	٣	٧٨٣٠
برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف	١	٤٥٥٠
	٢	٠١٦٠

ويعتبر هذا الملف صلة الوصل مع ملفّ المكتبة .

جـ ـ ٣ ـ ملف المكتبة

يحتوي هذا الملف على العناصر المرجعية المتعلقة بكل وثيقة . ويمكن العبور اليه عن طريق رقم الوثيقة . وفيما يلي مثال عن سجل متغير الطول ، وهو صورة عن البطاقة المكتبية (الشكل ٤) .

رمز (رقم) الوثيقة	تاريخ الورود	سنة النشر	اللغة	رقم ISBN	
المؤلف	الناشر	العنوان	الملخص	الكلمات المفتاحية	

٢ ـ ٦ ـ استخدام المكنز في البحث عن الوثائق

تتألف عملية البحث من : صياغة الأسئلة ، والرجوع إلى الملفات ، ونشر الأجوبة .

حين يطلب أحد المستفيدين البحث عن وثائق تتعلق بموضوع محدد ، فإن على إخصائي التوثيق أن ينتقي الكلمات المفتاحية من السؤال ، ثم يجمعها باستخدام المُعاملات المنطقية ، وعددها ثلاثة ، وهي : معامل التقاطع ، رمزه « و » ، معامل الاتحاد ، رمزه « أو » ، معامل النفي ، رمزه « ليس »[٤] .

أ ـ طريقة السؤال

○ عن طريق الحوار (الاتصال الفوري بالنظام)

يحتاج ذلك إلى وجود اتصال مع الحاسوب عن طريق وحدة اتصال طرفية ، حيث يطرح الباحث سؤاله ويتلقى عنه الجواب حالا ، ويستطيع من خلال الأجوبة التي يتلقاها ، أن يصحح أو يعدل من سؤاله ، حتى يصل إلى الوثائق المناسبة .

○ عن طريق وسيط (تقديم صيغة السؤال إلى إخصائي التوثيق ، وتلقي الاجابة في وقت لاحق) وهذا النظام أقل كلفة ، فهو يقتصد في عدد الوحدات الطرفية وفي النفقات المترتبة لشبكة الاتصال . لكنه اذ يستجيب للعديد من المستفيدين ، فان التعديل في الأسئلة محدود بزمن انتظار دور المستفيد .

ب ـ مثال عن السؤال

« مطبوعات حول الشروط المحيطية للمعادلات التفاضلية التي لها عوامل مفردة ، خلال عام ١٩٧٤ . »

الكلمات المفتاحية	رمز الكلمة المفتاحية
شروط محيطية	٠١٥٣
معادلات تفاضلية	٠٢١٢

معاملات مفردة ٠٢٢٨

صيغة السؤال المنطقي : (٠١٥٣ و (٠٣١٢ و ٠٢٢٨)) س ٧٤

ج ـ البحث في الملفات

بحث عادي : وفيه لانأخذ بالاعتبار ملف المكنز وبالتالي العلاقات الدلالية .

بحث موسع : وفيه نبحث في ملف المكنز عن الكلمات المرتبطة بالكلمات المفتاحية التي استخرجناها من صيغة السؤال .

وفيما يلي مراحل البحث باستخدام البحث الموسع :

ـ رصد الكلمات المفتاحية وعلاقاتها الدلالية في المكنز .

معادلات تفاضلية	م ع	معادلات
معاملات مفردة	م ع	معاملات

وسنكتفي بعدد محدود من الكلمات لتبسيط المثال .

ـ البحث في ملف الانتقاء عن أرقام الوثائق المرتبطة بالكلمات .

٠١٥٣	شروط محيطية	٣١	٤٢	٥٣	٧٨
٠٣١٢	معادلات تفاضلية	٣١	٥٥	٧٨	
	معادلات	٤٢	٧٣		
٠٢٢٨	معاملات مفردة	٤٢	٥٥	٧٦	
	معاملات	٣١	٥٣		

ـ دراسة التقاطع ، أي انتقاء الوثائق المشتركة بالأرقام ، بفك الأقواس الداخلية أولاً في السؤال المنطقي :

(٠٣١٢ و ٠٢٢٨)		٣١	٤٢	٥٥
(٠١٥٣ و (	))	٣١	٤٢	أي انتقاء الوثائق المشتركة بالأرقام المرتبطة بالرمز ٠١٥٣ وبتقاطع الرمزين ٠٣١٢ و ٠٢٢٨

- البحث في ملف المكتبة عن العناصر المرجعية المناظرة للوثائق المنتقاة .

٣١	الطرق العددية في التطبيقات الهندسية	سنة النشر	١٩٦٩
٤٢	الطرق العددية والبرمجة بلغة الفورتران	سنة النشر	١٩٧٤

- طباعة العناصر المرجعية المرتبطة بالوثيقة رقم ٤٢

٣ - مفهوم الشبكة العربية للتوثيق ومتطلباتها

٣ - ١ - اعتبارات عامة في تصميم نظام آلي للتوثيق[٢]

- التعرف على أهداف مراكز التوثيق في الأجل القصير والطويل ، ويدخل في ذلك تحديد وتجميع المعلومات المختلفة عن طبيعة عمل هذه المراكز والهيكل التنظيمي لها والظروف المحيطة بها . فالمعروف أن أي نظام لايمكن فصله عن البيئة المحيطة به .

- دراسة النظام الحالي المعمول به (سواء كان يدوياً أو آلياً) والتعرف على أهدافه ومزاياه .

- دراسة متطلبات النظام الجديد وهي :

- تحديد المخرجات المطلوبة
- تحديد المدخلات اللازمة لاعداد هذه المخرجات
- تحديد العمليات اللازمة
- تحديد الموارد المطلوب استخدامها

ويمكننا الرجوع بهذا الخصوص إلى تعريف هذه العناصر بالمقارنة مع السلسلة التوثيقية في نهاية الفقرة (١ - ٣ - ب) .

ـ دراسة نظام توزيع وحدات الاتصال الطرفية بين عدة مستفيدين (نهاية الفقرة ١ ـ ٢) ، وقد يصمم النظام على أساس اتاحة الفرصة لمستخدم المعلومات في التعامل المباشر مع النظام في عمليات الادخال والاسترجاع معا أو أن يكون تعامله مع النظام قاصراً على الاسترجاع فقط (الفقرة ٢ ـ ٦ ـ أ) .

ـ تحديد حجم المعلومات المطلوب توصيلها خلال فترة معينة وعدد الرسائل المطلوب توصيلها وحجمها ، لأن ذلك سيؤثر في اختيار نوع المعدات والوسائط المستخدمة .

ـ مدى استيعاب المستفيدين لطريقة استخدام المعدات ووحدات الاتصال . ويدخل في هذه المرحلة تعريفهم بطرق صياغة الأسئلة وسياسة الاسترجاع ومداخلها المختلفة وطرق الفهرسة المستخدمة في النظام .

٣ ـ ٢ ـ فعالية النظام الآلي للتوثيق

ان استخدام الحاسوب للمساعدة في البحث خلال آلاف المداخل في رصد معلومات نظام التوثيق ، يمكن أن يكون وسيلة اقتصادية وفعالة لاسترجاع المعلومات ، عندما يكون سؤال البحث متعدد الأوجه ويتطلب التنسيق أو الربط بين اثنين أو أكثر من المصطلحات أو المفاهيم أو عندما يكون السؤال عريضاً ويتطلب استعراضاً كبيراً للانتاج الفكري .

أما العوامل الرئيسية لمردود نظام التوثيق الآلي فهي :

ـ سرعة ومواصفات الحاسوب

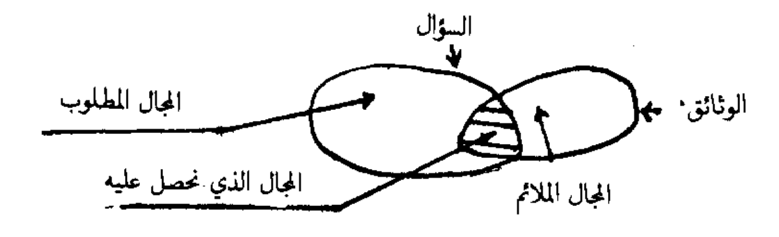
ـ العدد الكبير من الوثائق

ـ دقة تنفيذ مرحلة تحليل الوثائق . وسنقدم أمثلة على ذلك ، مشيرين إلى أن نجاح النظام بأكمله مرتبط بنجاح هذه المرحلة التي تنفذ في غالبية الأقطار بصفة يدوية :

○ يجب عند فهرسة الوثائق ، اختيار لغة الفهرسة (الكلمات المفتاحية) بحيث لاترصد كلمات ذات معنى عام (الأمر الذي ينعكس سلبياً على دقة الاجابة عن طلب التوثيق) ، كذلك لاترصد كلمات ذات معنى محدد جداً ، الأمر الذي ينعكس من جهة على بحث مطول في الملفات ، ومن جهة أخرى ، على انتقاء محدود للوثائق التي تلبي طلب التوثيق .

○ يجب اجراء دراسة معمقة للعلاقات الدلالية لكل كلمة مفتاحية ، فمثلاً اذا تم فهرسة وثيقة استناداً إلى كلمة مفتاحية ، فلا يجب فهرستها أيضاً استناداً إلى إحدى العلاقات الدلالية لهذه الكلمة ، والا فسينعكس ذلك سلباً على عدد الوثائق المنتقاة عند طلب التوثيق .

ـ اذا علمنا أنه يمكننا التعبير عن صفة المقارنة بين محتوى الوثائق والأسئلة عنها ، بالمخطط التالي :



الشكل (٨)

فيتحتم علينا أن نصل إلى أكبر تقاطع ممكن بين المجال المطلوب من الوثائق والمجال الملائم ، وذلك عن طريق الاعداد الفني للأطر التي تفهرس

الوثائق ، بحيث تتبع في طرق الفهرسة قواعد محددة وقياسية .

ويجب على محلل نظام التوثيق أن يطرح على نفسه الأسئلة التالية عند الاجابة عن طلب توثيق :

ماهو مقدار الوثائق غير الموجودة ؟

ماهو مقدار الوثائق الملائمة ؟

ماهو مقدار الوثائق غير الملائمة ؟

تلك هي العوامل التي تبرهن على فعالية نظام التوثيق .

٣ ـ ٣ ـ متطلبات الشبكة العربية للتوثيق

ـ انشاء مركز رئيسي في كل قطر يكون بمثابة مركز لتجميع المعلومات وتنظيمها للشبكة الوطنية للتوثيق ولمبادلتها قطرياً وعربياً ودولياً . وتشمل أنشطته عمليات مختلفة كاعداد المستخلصات والفهارس والترجمة وتنظيم برامج التدريب .

ـ وضع خطة موحدة تسير عليها المراكز المشتركة في الشبكة العربية للتوثيق في مجال الفهرسة والتصنيف واعداد المستخلصات والقوائم الببليوغرافية[٧] .

ـ تحتاج شبكة المعلومات إلى التوافق في المكانز الموضوعية التي تستخدم بها . ومن الواجب أن تَسْتخدم كلُّ المراكز لغة توثيقية واحدة . ويمكن للشبكة أن تشمل مراكز معلومات متنوعة ، البعض متخصص جداً والبعض الآخر أكثر عمومية في التغطية الموضوعية . والحل لهذه المشكلة هو انشاء مكنز عام يتناول المادة الموضوعية العريضة للشبكة ككل ، ومعه أيضاً عدد من المكانز المصغرة للاستخدام في المراكز المتخصصة[٣] .

ـ ونشير في ختام هذا الموضوع ، إلى أن المركز الرئيسي للشبكة يتصل

بالمراكز القطرية بواسطة وحدات طرفية ، وسوف يصطدم هذا الأمر بحقيقة تقنية وهي أننا لم نصل حتى الآن على الصعيد العربي أو القطري ، الى معيرة أو تقييس الحروف العربية ، الأمر الذي يسمح بتوحيد استعمالاتها على عتاد الإدخال والاخراج مثل الوحدات الطرفية[٨] . ولا بد من تذليل هذه العقبة حتى تتمكن مراكز التوثيق في الأقطار العربية من الاتصال فيما بينها .

المراجع

(١) محمد محمد أبو النور ، « أسلوب النظم كمدخل استراتيجي لدراسة المعلومات » ، المجلة العربية للمعلومات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد الثالث ، ١٩٧٩ .

(٢) أحمد عز الدين زيدان ، « استخدام نظم المعلومات الآلية في مجال وسائل الاتصال » ، المجلة العربية للمعلومات ، العدد الرابع ، مجلد ٢ ، ١٩٨٠ .

(٣) محمد فتحي عبد الهادي ، « المكانز كأدوات للتكشيف واسترجاع المعلومات ، الحاجة إليها ، تعريفها ووظائفها ، أنواعها » ، المجلة العربية للمعلومات ، العدد الثاني ، المجلد الأول ، ١٩٧٨ .

(٤) محمد أمين الصالح ، « نظام آلي للتوثيق » ، الحاسبات الالكترونية وسيلة لتطوير الأنظمة في المجتمع ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ١٩٨١ ، ص (٢٠٤ ـ ٢٢٤) .

(٥) حشمت محمد علي قاسم ، « بعض المفاهيم الأساسية في النظم الالكترونية لاسترجاع المعلومات » المجلة العربية للمعلومات ، العدد الثالث ، ١٩٧٩ .

(٦) محمد فتحي عبد الهادي ، « العلاقات المتبادلة بين الواصفات في المكانز » ، المجلة العربية للمعلومات ، العدد ٤ ، مجلد ٢ ، ١٩٨٠ .

(٧) ندوة نظم المعلومات التربوية وتدفقها في الوطن العربي وما يتصل بها من قضايا لتنفيذ استراتيجية التربية العربية ، « التقرير النهائي والتوصيات » ، ادارة التربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، مكان وتاريخ انعقاد الندوة : وزارة التربية ، دمشق ، آذار ١٩٨١ .

(٨) محمد أمين الصالح ، « الاتجاهات المعاصرة في جمع المعلومات التربوية وتدفقها » ، ندوة نظم المعلومات التربوية ، وزارة التربية ، دمشق ، آذار ، ١٩٨١ .

المصطلحات المستخدمة في البحث مرتبة حسب الأبجدية اللاتينية

Access	عبور
Assembler	برنامج التجميع (لغة)
Boundary Conditions	شروط محيطية
Broader term	مصطلح أعرض
Compilation	عملية الترجمة والتجميع والتصنيف
Compiler	برنامج الترجمة والتجميع والتصنيف
Couplings	العلاقات التبادلية ، الصلات
Descriptors	واصفات
Equivalence relation	علاقة التساوي أو التكافؤ
Generic relation	علاقة الشمول
Hierarchic	هرمي
Hierarchical relation	علاقة هرمية
Indexation	فهرسة
Informatics	اعلاميات
Information system	نظام معلومات
Input	مدخلات
Intersection	تقاطع
Keywords	كلمات مفتاحية
Language	لغة
Matching	مضاهاة
Merge	ادماج
Microforms	أشكال مصغرة
Morphological	صرفي
Narrower term	مصطلح أضيق
Negation	نفي
On line system	اتصال فوري بالنظام
Output	مخرجات
Processing	تشغيل ، معالجة

برنامج	Program
مصطلح متصل	Related term
بحث	Search
دلالي	Semantic
معيرة ، تقييس	Standardization
نظمي	Syntactical
وحدات اتصال طرفية	Terminals
مكنز	Thesaurus
عملية الترجمة	Translation
اتحاد	Union

(التعريف والنقد)

نظرات في نظرات[1]

٢

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

٢ ـ عرض الأستاذ في الفقرة (١٠) لبعض ماجاء في قصيدة سُمّي قائلها « كعب بن مشهور المخبّلي صاحب أم عمرو » فنبه على خطأ الناشر في ضبط أحد أبياتها ، ثم قال : « وجاء فيها :

خليلان أمّا أمّ عمرو فمنهما وأمّا عن الأخرى فلا تسلاني

وهذا البيت في الأغاني (٢٠ / ٢٦٧) برواية « خليليّ » بدل « خليلان » وقبله :

من الناس إنسانان ديني عليهما مليّان لوشاءا إذن قضياني[2]

ورواهما أبو الفرج للمخبّل القيسيّ ، ولكنه قال : وروى المفضل بن سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدمينة . قلت : وديوانه خلو منهما » .

هذا ماقاله الأستاذ . وكأنه يرى « المخبّل القيسي » ـ واسمه كعب ـ شاعراً آخر غير الذي أنشد له الهجري ماأنشد ، وهو هو ، فما « كعب بن مشهور المخبّليّ » إلا تحريف « كعب المشهور بالمخبّل » .

وقد تسرّع الأستاذ فجزم بأن ديوان ابن الدمينة خلو من البيتين ، وهما ثابتان فيه ، ص : ٣١ (البيتان : ٢١ ، ٢٢ من القصيدة : ١٢) وهما ثابتان أيضاً في رواية الخالديين للقصيدة في الأشباه والنظائر ، وهي مباينة لرواية الديوان ، وقد أثبتُّها على حيالها في ملحقات الديوان ، القسم الثالث ، ص : ١٦٨ ـ ١٧٠ .

هذا ، وقد بينت في تخريج القصيدة ، ص : ٢٢١ ـ ٢٢٣ مانُسِبَ منها إلى المخبل القيسي هذا ، ومنه هذان البيتان ، وفصلت القول في ذلك ، وذكرت فيا ذكرت مقالة أبي الفرج التي حكاها الأستاذ ، إلا أني أخطأتُ ثَمّ فذكرتُ أن الحافظ ابن حجر أنشد هذين البيتين للمخبل السعدي في ترجمته في الإصابة ، والصحيح أنه أنشدهما لكعب هذا .

٣ ـ قال الأستاذ في الفقرة (١٢) : « وفي (ص ٤٤) ستة أبيات نسبها الهجري لـ « آخر » [أي لم يسمِّ قائلها] أولها :

فوا كبداً كادت عشيّة غُرّب من الوجد إثر الظاعنين تَصَدَّعُ

وقال الأستاذ المحقق : « لم أجد الأبيات ولا قائلها في المصادر المتوفرة ، ولعلها لأبي الغطمش حسب ماجاء في هامش الأصل » . قلت : الأبيات لذي الرمة كما في ديوانه ، وروي منها بيتان في الحيوان ، وبيت في ثمار القلوب ، وبيت في العقد الفريد ونسب إلى مجنون ليلى ، وهو :

عشية مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في الدار مولع » اهـ

وظاهر هذا الذي قال الأستاذ أن الأبيات الستة جاءت كلّها لذي الرمة في ديوانه ، وليس في ديوان ذي الرمة على مثل هذا الوزن وهذه

القافية إلا قصيدة واحدة ، وهي في طبعة مكارتني له برقم (٤٦) ص : ٣٤١ ـ ٣٥٢ ، وفي طبعة مجمعنا بتحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح برقم (٢٣) القسم الثاني ، ص : ٧١٨ ـ ٧٤٤ ولم يرد فيها البيت الذي ذكر الأستاذ أنه أول الأبيات الستة التي أنشدها الهجري : « فوا كبداً .... » . ويؤخذ مما ذكره الدكتور أبو صالح في تخريج القصيدة ، القسم الثالث ، ص : ١٩٨٨ ـ ١٩٩٠ أنه لم يَرِدْ منها فيما أنشده الهجري ـ وقد كان مخطوط كتابه من مراجعه ـ إلا بيتان ، وهما البيت الذي نُسِب إلى المجنون : « عشية مالي .... » وآخر بعده ، وقد نُسِب إلى المجنون أيضاً ، وهو :

أخطّ وأمحو الخطّ ثمّ أعيدُه بكفيَ والغِربانُ في الدار وُقَّع

والبيت الذي ذكر الأستاذ أنه أول الأبيات الستة التي أنشدها الهجري : « فوا كبدا .... » جاء في معجم مااستعجم (غُرّب) ٣ : ٩٩٤ عن الرياشي منسوباً إلى جران العود ، وجاء وبعده آخر وهو :

عشية مافين أقام بغُرّب مُقام ولا فيمن مضى مُتَسَرَّعُ

في معجم البلدان (غرّب) والحماسة ٣ : ١٢٢٧ (بشرح المرزوقي) و٣ : ١١٧ (بشرح التبريزي) منسوبين إلى جران العود أيضاً ، إلا أن التبريزي قال : « وقال أبو رياش : هي لذي الرمة » .

وقد جاء البيتان أنفسهما ، وبينهما البيتان اللذان وقعا في قصيدة ذي الرمة ونُسِبا إلى المجنون ، في ديوان جران العود ، ص : ٣١ ـ ٣٢ . وجاءت هذه الأربعة باختلاف في الترتيب في أوّل مقطعة من سبعة أبيات أنشدها محمد بن داود في الزهرة ١ : ١٩٥ لجران العود أيضاً وقال : « ومن الناس من يرويه لذي الرمة » . والأبيات الثلاثة الأخيرة منها

والمزيدة على ما في ديوان الجران جاءت في قصيدة ذي الرمة في ديوانه باختلاف في بعض اللفظ ، وهي الأبيات : ٨ ، ٥ ، ١١ فيها[٣].

٤ ـ ذكر الأستاذ في الفقرة (١٥) أن الهجري أنشد أبياتاً لأبي خراش الهذلي وقال فيها : إنها في رثاء رجل « قتله جميل بن معمر يوم فتح مكة » وأولها :

فجّع أضيافي جميلُ بن مَعْمَرٍ لذي نجد تأوي إليه الأراملُ

كذا نقل الأستاذ البيت ، وفاته أن ينبه على أن « لذي » تحريف « بذي »[٤] . وأغلب الظن أن « نجد » أيضاً تحريف « فَجَر » وهو ماأطبقت عليه المصادر التي روت البيت ، وهي كثيرة[٥] ، ولاريب أنه هو ماقاله الشاعر ؛ يؤكد ذلك أن نعت المرثيّ بـ « الفَجَر » ـ وهو الجود والمعروف ـ أشبه بقوله في البيت « فجّع أضيافي » وقوله : « تأوي إليه الأرامل » من نعته بـ « النَّجَد » وهو البأس والنصرة .

وقد نبّه الأستاذ على وهم غريب للناشر ، ووهم آخر للهجريّ نفسه ، قال : « وظن الأستاذ المحقق أن القاتل هو الشاعر جميل بثينة ، وجعل يعرّف القارئ إياه ، وليس الأمر كذلك ، والأسماء قد تتشابه ، وأين زمان رجل قتل رجلاً في فتح مكة على قول الهجري ـ والصواب معركة حنين ـ من زمان جميل بثينة ؟ وإنما هذا رجل آخر عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم . وفي سيرة ابن هشام (ق ٢ / ٤٧٢ ـ ٤٧٤) والأغاني (٢١ / ٢١٠) وغيرهما مايدلّ على وهم الهجري والأستاذ المحقّق » .

وماذهب إليه الأستاذ صحيح في جملته ، وكلامه ـ على اقتضابه ـ كاف في الدلالة على وجه الصواب . وماكنت لأقف عند هذا الأمر لولا أني رأيتُ في روايات الخبر اختلافاً يحسن أن يُنْظَر فيه ، ثم رأيتُ الحافظ ابن عبد البرّ (ت ٤٦٣ هـ) حكى الخبر من غير ماروايـة ، ولكنه نقل ـ فيما يظهر ـ عن أصول لحقها خلل لم يأبه له ، فوهم أو هاماً ، وجاءت عبارته عن بعض ماذكر ملتبسة ، فتأوّلها بعضهم على وجه انتهى منه إلى وهم أفحش ، وجاز وهمه على كبار من الحفاظ والمؤلفين في تراجم الصحابة فتابعوه عليه ، فرأيت لزاماً عليّ ألا أدع بيان هذا الذي وقفت عليه .

وجميل الذي اقتصر الأستاذ في تعريفه على أنه رجل عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم ـ من أشراف بني جمح من قريش . وهو جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح . وزعم ابن الكلبي في جمهرة النسب ١ : ٣١٦ أنه هو الذي كانت قريش تسمّيه ذا القلبين ـ يعني لعقله ودهيه ، وكذلك قال مصعب الزبيري في نسب قريش ، ص : ٣٩٥ أيضاً . وقد أسلم جميل عام الفتح ، وشهد حنيناً ، وحكي عن ابن يونس أنه شهد فتوح مصر ، وتوفي في خلافة عمر رضي الله عنه . وله ترجمة في كتب من كتب الصحابة سيأتي ذكرها في الكلام على الخبر .

وخبر قتله مرثيَّ أبي خراش حكاه غير واحد من المتقدّمين . وأعلى ماوقفتُ عليه من رواياته ماجاء في المصدرين اللذين ذكرهما الأستاذ : سيرة ابن هشام ٢ : ٤٧٢ ، والأغاني ٢١ : ٢١٠ . رواه ابن هشام عن أبي عبيدة ، وأمّا أبو الفرج فحكاه من روايتي الأصمعيّ وأبي عمرو (الشيباني)

وسنده إلى كلّ منهما من أجود أسانيده . وقد اجتمع الثلاثة (أبو عبيدة ، والأصمعي ، وأبو عمرو) على أنه قَتَلَه يوم حنين . وكذلك جاء في نسب قريش ، لمصعب الزبيري[٦] ، ص : ٣٩٥ ، وفي ديوان الهذليين ٢ : ١٤٨ ، شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٢٢١) أيضاً . إلا أن الهجريّ لم ينفرد بالقول بأنه قتله يوم فتح مكّة ، بل كذلك قال أيضاً أبو العباس المبرد (ت ٢٨٦ هـ) في الكامل ١ : ٣٩٤ (ط . الحلبي) وصاحبه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الأصغر (ت ٣١٥ هـ) في الاختيارين ، ص : ٦٨٠ . وقد ألمّ الحافظ ابن حجر بكلا القولين في ترجمة أبي خراش - واسمه خُوَيلد بن مُرّة - في الإصابة ٢ : ١٥٢ .

والمعروفُ من خبر يوم الفتح ومَن أُصِيب فيه يدفع أن يكون قتله يومذاك . ويدفع ذلك أيضاً ويشهد بصحة القول الأول أن لاخلاف بين الروايات في أن جميلاً رأى المرثيّ وهو مربوط في الأسرى فقتله ؛ فإنه لم يكن يوم الفتح أسْر ، وإنما كان الأسر في يوم حنين . والقولان بعدُ قريبٌ من قريب ، ولعل الذين ذكروا أنه قتله يوم الفتح تسمّحوا في العبارة لأن يوم حنين كان عقيب الفتح ومن تمامه . (كان الفتح لعشر بقين من رمضان سنة ثمان ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمكة خمس عشرة ليلة سار بعدها إلى حنين) .

وأمّا القتيلُ فزعم أبو العباس المبرد في الكامل ١ : ٣٩٤ أيضاً أنه أخ لأبي خراش ولم يذكر له اسماً . وهو وهم منه مردّه - فيما يظهر - إلى أن أبا خراش رثى غير واحد من إخوته ، ومن ثم ظن أبو العباس أن المرثيّ بهذه القصيدة - وقد غاب عنه اسمه - أخ له أيضاً . ومن قبل المبرد وهم

مصعب الزبيري (ت ٢٣٦ هـ) فزعم في نسب قريش ، ص : ٣٩٥ أنه زهير بن الأغرّ الهذليّ ، وسيأتي القول في ذلك . والثبت الذي اجتمع عليه سائر الروايات والمصادرِ القدمى أنه زهير بن العجوة الهذليّ . ولم أقف لزهير هذا على ذكر في غير هذا الخبر ، ويظهر أنه كان من شِجعة هذيل وأجوادهم ، ولأبي خراش فيه مرثيتان أخريان . انظر ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧ ، ١٦١ ـ ١٦٤ (شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٢٢٩ ، ١٢٣٤ ـ ١٢٣٦) والأغاني ٢١ : ٢١٢ . وقد جاء في رواية ابن هشام عن أبي عبيدة أنه ابن عمّ أبي خراش ، ولعله أراد أنه من بني عمومته الأباعد لأنه ابن عمه لحًّا ؛ فقد جاء فيما حكاه أبو الفرج من روايتي الأصمعي وأبي عمرو أن زهيراً هذا « أخو بني عمرو بن الحارث » وجاء مثل ذلك في ديوان الهذليين والاختيارين ، وعبارة الأخير « أحد بني عمرو بن الحارث » وهؤلاء بطن من هذيل ، وأبو خراش من بطن آخر منهم ، فهو « أحد بني قرد بن معاوية » ويقال : « قرد بن عمرو بن معاوية » غير أنّ البطنين تجمعهما رحم ماسّة ، فإن معاوية والحارث أخوان أبوهما تميم بن سعد بن هذيل . انظر نسب البطنين في جمهرة ابن الكلبي ١ : ٤٩٨ ، ٥٠٥ ـ ٥٠٦ ، وجمهرة ابن حزم ، ص : ١٩٧ ـ ١٩٨ ، ونسب بني عمرو بن الحارث خاصة في نهاية الأرب ، للقلقشندي ، ص : ٣٧٧ ، ونسب أبي خراش في الشعر والشعراء ، ص : ٦٦٣ ، والأغاني ٢١ : ٢٠٥ ، وأول شعره في ديوان الهذليين ٢ : ١١٦ (شرح أشعار الهذليين ٣ : ١١٨٩) والاختيارين ، ص : ٦٦١ .

وأما زهير بن الأغرّ الذي وهم مصعب فزعم أنه قتيل جميل فمن بني لحيان بن هذيل ، ويظهر أنه كان من رؤوسهم . ولمالك بن خالد

الخناعي ـ من شعراء هذيل ـ أبيات في مديحه . انظر ديوان الهذليين ٣ : ٥ ـ ٦ ، وشرح أشعار الهذليين ١ : ٤٥١ ـ ٤٥٢ . وله مع أبي جندب أخي أبي خراش خبر مجمله أن أبا جندب كان مريضاً ، فعدا ابن الأغرّ وقومه لحيان على جار له من خزاعة ، فقتلوه وامرأته واستاقوا ماله ، ولما أبلّ أبو جندب من مرضه استجاش الخلعاء من بكر وخزاعة ، وصبّح بهم بني لحيان في العرج ، فقتل من رجالهم ، وسبى من نسائهم وذراريهم ، وقال في ذلك جملة أشعار . انظر خبر هذا اليوم في شرح أشعار الهذليين ١ : ٣٤٩ ـ ٣٥٦ ، وقابله بما حكاه أبو الفرج في الأغاني ٢١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ . ولعلّ ماأوهم مصعباً أن ابن الأغرّ هذا هو قتيلُ جميل أنّه هذليّ كابن العجوة وسَمِيٌّ له ، وأنّ له ذكراً في بعض حوادث السيرة أيضاً ؛ فقد كان ممنْ أعان من لحيان على الغدر بعاصم بن ثابت وصحبه رضي الله عنهم يوم الرجيع ، وكان هو وهذليّ آخر يُدْعَى جامعاً قد أعطيا يومئذٍ خُبَيْبَ بن عديّ رضي الله عنه ذمّتهما ، ثم غدرا به وباعاه من قريش ، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه من أبيات :

أبلغ بني عمرٍو بأنّ أخاهمُ	شراه امرؤ قد كان للغدر لازما
شراه زهير بن الأغرّ وجامع	وكانا جميعاً يركبان المحارما
أجرتمْ فلما أن أجرتمْ غدرتمْ	وكنتمْ بأكناف الرجيع لهازما

انظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٩ ، وديوان حسان ١ : ٢٤٨ (ط . بيروت بتحقيق د . وليد عرفات) وص : ٢٦٨ (ط . القاهرة بتحقيق د . سيد حنفي) ومغازي الواقدي ١ : ٣٦٢[٧] .

هذا ماخلص لي من النظر فيما وقفتُ عليه من روايات المتقدّمين

للخبر . وأما ماوقع في حكاية الحافظ ابن عبد البرّ له ، ومانجم من بعده عن تأويل بعض ماذكر فهذا بيان ذلك :

ترجم الحافظ جميلَ بن معمر في الاستيعاب ١ : ٢٤٧ (ط . البجاوي) فحكى بعض ماقصّ من أمره ممّاذكره الزبير بن بكار ومارواه عن عمه مصعب . وأكبر ظني أنه نقل ذلك من كتاب الزبير : جمهرة نسب قريش وأخبارها . ثم ذكر الخبر مجملاً قال : « أسلم جميل عام الفتح وكان مُسِنّاً ، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فقتل زهيرَ بن الأبجر الهذلي مأسوراً ، فلذلك قال أبو خراش الهذلي يخاطب جميل بن معمر .... » وأنشد أبياتاً من القصيدة ، وقال بعدها : « وقد ذكرنا هذا الخبر بتمامه في باب أبي خراش الهذلي من كتابنا هذا في الكنى » .

وماذكره الحافظ هنا يشبه ماقاله مصعب في نسب قريش ، بل الظاهر أنه مقالتُه نفسها حكاها من رواية الزبير عنه وإن لم يصرّح بذلك ، أومقالةُ الزبير اتبع فيها عمّه ، غير أنّ الحافظ نقل - فيما يظهر - عن أصل صُحِّف فيه « الأغرّ » إلى « الأبجر » . ويشهد بأن الحافظ نقله بهذا اللفظ مصّحفاً أن مقالته هذه حكاها بتمامها عز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) في ترجمة جميل في أسد الغابة ١ : ٢٩٥ - ٢٩٦ فتابعه على هذا التصحيف ، ثم تابعهما عليه الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٣ هـ) في ترجمة جميل أيضاً في الإصابة ١ : ٢٥٥ وقد حكى فيها هذه المقالة باختصار .

ومهما يكن شأن هذا التصحيف فإنه لم يكن عنه كبير شيء . وأما وهم الحافظ الذي سلفت الإشارة إليه ، وعبارته التي قادت بعضَهم إلى وهم أفحش فكانا في حكايته للخبر « بتمامه » في ترجمة أبي خراش -

الاستيعاب ٤ : ١٦٣٦ ، وقد عول ثَمّ على مقالة المبرد ورواية ابن هشام ، وألحق بها قولاً آخر لم يُسَمِّ صاحبه ، قال : « وكان جميل بن معمر الجمحي قد قتل أخاه زهيراً المعروف بالعجوة يوم فتح مكة مسلماً . وقيل : بل كان زهير ابنَ عمه . وذكر ابن هشام قال : حدثني أبو عبيدة قال : أُسِر زهير العجوة الهذلي يوم حنين وكُتِف ، فرآه جميل بن معمر فقال : أنت الماشي لنا بالمعايب[٨] ! فضرب عنقه ، فقال أبو خراش يرثيه ، وكان ابنَ عمه . كذا قال أبو عبيدة . والأوّل قولُ محمد بن يزيد [يعني المبرد] قال : وكان يومئذ جميل بن معمر كافراً ثم أسلم بعدُ ، وكان أتاه من ورائه وهو موثَق فضربه . وقد قيل : إنه قتله يوم حنين مأسوراً وجميل يومئذ مسلم . ففي ذلك يقول أبو خراش .... » وذكر المرثية .

وبمعارضة ماحكاه الحافظ عن ابن هشام بماجاء في سيرته يظهر أنه سقط من النسخة التي نقل عنها لفظ « ابن » من قوله « زهير بن العجوة » فتوهّم « العجوة » لقباً لزهير . ولهذا ماخفي عليه أن زهيراً هذا غير زهير الذي زعم صاحب المقالة التي حكاها في ترجمة جميل أنّه القتيل ؛ إذ الظاهر أن قوله في ختام ماذكره هنا : « وقد قيل : إنه قتله يوم حنين مأسوراً وجميلٌ يومئذ مسلم » إنما عنى به تلك المقالة ، وجعل الرجليين واحداً[٩] .

وأشدّ من هذا ماوقع فيما نسبه إلى المبرد . وذلك أن المبرد وهم ـ كما ذكرتُ فيما سلف ـ فزعم أن القتيل أخ لأبي خراش ولم يذكر له اسماً ، فظن الحافظ أنه عنى زهيراً هذا الذي جعل « العجوة » لقباً له ، ونسب إليه القول بذلك ، فزاد وهماً على وهم[١٠] ، وقال في العبارة عن ذلك في

صدر حكايته للخبر : « وكان جميل بن معمر الجمحي قد قتل أخاه زهيراً المعروف بالعجوة يوم فتح مكة مسلماً » فزاد أيضاً قوله : « مسلماً » وليس له أصل في كلام المبرد . وقد جاءت عبارته هذه ملتبسة لاشتباه موقع هذا اللفظ فيها (يحتمل أن يكون حالاً من كلّ من الفاعل والمفعول به) وما كان ذلك لِيُشْكِل كبيرَ إشكال لولا أنّ الحافظ لما ذكر ـ بعد حكايته رواية ابن هشام ـ أن هذا الذي ذكره أوّلاً « قول محمد بن يزيد » نسب إليه أنه قال أيضاً : « وكان يومئذ جميل بن معمر كافراً ثم أسلم بعدُ ، وكان أتاه من ورائه وهو موثَقٌ فضربه » .

والنظر في جملة مانسبه الحافظ إلى المبرد على هدي سائر ماذكره وحكاه يفيد أنه أراد بقوله : « والأوّل قولُ محمد بن يزيد » دعوى أنّ القتيل أخ لأبي خراش وأن جميلاً قتله يوم فتح مكة . وأما قوله ثمّ : « مسلماً » فيظهر أنه عنى به جميلاً وأوقعه حالاً من ضميره : فاعل « قتل » . وكأنه أراد بذلك أن يشير إلى أن هذا ماصحّ من حاله يومئذ لا ماقاله المبرد فيما نسبه إليه بعدُ من أنه كان يومئذ كافراً . إلا أنّ في نسبة هذه المقالة إلى المبرد نظراً ، بل إنها لاتصحّ عنه البتّة ؛ فقد خلت منها حكايته للخبر في الكامل ، وماجاء فيه لايعدو قوله : « وكان جميل بن معمر الجمحي قتل أخاً لأبي خراش الهذلي يوم فتح مكة ، وأتاه من ورائه وهو موثَق فضربه » . فلعلّ تلك المقالة مما علّقه بعضهم في النسخة التي نقل عنها الحافظ من الكامل ، فظنّها من كلام أبي العباس نفسه ، فألحقها به .

وقد كان من عاقبة هذا الذي وقع فيما نسبه الحافظ إلى المبرد من زيادة مالا أصل له في كلامه من جهة ، ومافي عبارته الأولى من لبس

من جهة أخرى ، أن بعض أصحاب الحديث ـ وهو أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري[11] (ت ٥٦١ هـ) ـ تأوّل تلك العبارة على أن قوله : « مسلما » حال من المفعول به : « أخاه زهيراً » وظنّ زهيراً هذا صحابيّاً فات الحافظَ أنه يفرد له ترجمة خاصّة ، فاستدركه عليه غير ملتفت إلى دلالة الروايتين الأخريين مما حكاه الحافظ . وجاز تأويلهُ على ابن الأثير ، فنقل في ترجمة أبي خراش في أسد الغابة ٥ : ١٧٨ ماذكره الحافظ في حكاية الخبر غير أنه تصرّف فيه ، فزاد على العبارة الأولى « وكان جميل كافراً » واستغنى بذلك عما نسبه الحافظ بعدُ إلى المبرد . وفعل نحو ذلك في سائر ماحكاه الحافظ أيضاً ، فأسقط من رواية ابن هشام ذكر أبي عبيدة ، ولما صار إلى قوله : « فرآه جميل بن معمر » زاد بعده « وكان مسلماً » وأسقط القول الأخير مما ذكره الحافظ ، فأساء . وخصّ زهيراً في كتابه هذا ٢ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ بترجمة حكى فيها مقالة الأشيريّ ، قال : « زهير بن العجوة ، وقيل : زهير المعروف بالعجوة ، قُتِلَ يوم حنين مسلماً ، ذكره أبو عمر [يعني ابن عبد البرّ] في ترجمة أخيه خراش السلمي مُدْرَجا ـ نقلته من خط الأشيريّ » .

ويظهر أن الأشيريّ وقف على أن الصحيح في اسم الرجل : زهير بن العجوة ، ولهذا ماقدّم ذكره بذلك وحكى ماظنه الحافظ من أن « العجوة » لقب له بصيغة التمريض . ولكنه خلّط فيا وراء ذلك ولفّق ؛ فمع أنه بنى قوله بصحبة الرجل على تأويل عبارة الحافظ الأولى فإنه ترك ماجاء فيها من القول بأنه قُتِل يوم فتح مكة إلى القول بأنه قُتِل يوم حنين كما جاء في الروايتين الأخريين ، ولم يأبه لما جاء في ثانيتهما من أن قاتلَه جميل بن معمر كان يومئذ مسلما . ثم إنه قال : « ذكره أبو عمر في

ترجمة أخيه خراش السلمي » وكان الوجه أن يقول : « .... أبي خراش الهذليّ » . وقد يكون لفظ « أبي » سقط في الطبع ، أو سقط من الأصل الذي نشر عنه الكتاب ، وأما نسبته إياه سلميًّا فتخليط بحت يظهر أن مردّه إلى أنه اشتبهت عليه ترجمة بترجمة ؛ فإن ابن عبد البرّ ترجم أبا خراش السلميّ قُبَيْل ترجمته لأبي خراش الهذلي .

ومع هذا كله فإن جواز هذه المقالة على ابن الأثير كان مدعاة إلى أن جازت من بعده على الحافظين الذهبي وابن حجر أيضاً ، فذكر الذهبي زهيراً في تجريد أسماء الصحابة ١ : ١٩٢ ، واختصر مانقله ابن الأثير عن الأشيريّ ، ووهم فنسب ماذكره إلى ابن عبد البرّ ، قال : « زهير بن العجوة ، ويقال : زهير الملقّب بالعجوة ، استشهد يوم حُنين . قاله أبو عمر في ترجمة أخيه » . وذكره ابن حجر في الإصابة ٣ : ١٥ في القسم الأول (أي الذين صحّت عنده صحبتهم) ولفّق ترجمته من مقالة الأشيريّ ومما ذكره ابن عبد البرّ في ترجمة أبي خراش ، قال : « زهير بن العجوة الهذليّ ، قُتِل يوم حنين مسلماً ، استدركه الأشيري[١٢] . وقد ذكره أبو عمر في ترجمة أخيه أبي خراش فقال : كان جميل بن معمر قتل زهيراً يوم الفتح مسلما ، حكاه المبرد قال : وكان جميل يومئذ كافراً ثم أسلم . وقال أبو عبيدة : أُسِر زهير بن العجوة الهذلي يوم حنين وكُتِف ، فرآه جميل بن معمر فقال : أنت الماشي لنا بالمعايب ؟ فقتله ، وقال أبو خراش يرثيه ، فذكر المرثية . ويقال : إنّ « العجوة » لقب زهير نفسه » .

وهذا الذي زعمه الأشيريّ من أن زهيراً هذا صحابيّ باطل من القول تسرّع في استظهاره من عبارة ابن عبد البر ولم يتثبّت ، وتسرّع ابن

الأثير ثم الذهبي وابن حجر في قبوله أيضاً ولم يتثبتوا . ولاريب عندي أن ابن عبد البر لم يُرد ذلك وإن كان ماوقع فيما نسبه إلى المبرد مما سلف بيانُه هو الذي قاد إليه . ولو أراد أن زهيراً قُتِل مسلماً لما أخلى كتابه من ترجمة له . ولكن الظاهر أنه ـ على ماوقع في حكايته للخبر من وهم وتخليط ـ لم يَخْفَ عليه أن الرجل لم يسلم أصلاً وإنما قُتِل كافراً ؛ وهذا ماتفيده رواية ابن هشام وماحكاه في ترجمة جميل ، وهو مايدلّ عليه أيضاً سائر روايات المتقدّمين للخبر دلالةً صريحة لايعلق بها أدنى شبهة . ولهذا ماتأوّلتُ عبارته تلك على الوجه الذي أسلفتُ ذكرَه .

وقد بينت فيما تقدم أن الصحيح في مقتل زهير هذا أنه كان يوم حنين كما جاء في أكثر الروايات وأعلاها ، وأن القول بأنه قُتِل يوم الفتح سهو من قائله أو تسمّح في العبارة . والذي يخلص بعدُ من جملة تلك الروايات أن الرجل كان عاتياً من شياطين هذيل ضوى فيمن ضوى من المشركين إلى هوازن يوم حنين طلباً للغنائم ، وكان يتوقع أن تكون الدّبرة على المسلمين ، ولما أنزل الله نصره على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وطفق أصحابه يقتلون من المشركين ويأسرون كان فيمن أُسِر ، فرآه جميل بن معمر وهو موثَق فقتله لإحنة كانت بينهما . ومن أصرح الروايات دلالةً على ذلك ماحكاه أبو الفرج في الأغاني من روايتي الأصمعي وأبي عمرو ، وتقدمةُ مرثية أبي خراش له في ديوان الهذليين . ولفظ الأوّل : « أَخَذَ[١٣] أصحابُ رسول الله ﷺ في يوم حنين أسارى ، وكان فيهم زهير بن العجوة أخو بني عمرو بن الحارث ، فمرّ به جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح وهو مربوط في الأسرى ، وكانت بينهما إحنة في الجاهلية ، فضرب عنقه .... » . ولفظ الديوان :

« قال أبو خراش في قتل زهير بن العجوة أخي بني عمرو بن الحارث ، وكان قتله جميل بن معمر .... يوم حنين ، وجده مربوطاً في أناس أخذهم أصحاب النبيّ ﷺ ، فضرب عنقه ، وكان زهير خرج يطلب الغنائم » .

وكان يكفي الأشيريَّ أن ينظر في جملة ماحكاه ابن عبد البرّ في ترجمتي جميل وأبي خراش نظرة متأنية ، ويعارض بعضه ببعض ، ويعتبر في تأويل مايلتبس منه بالمشهور المستفيض من خبر يوم حنين ، ليتبين له أن من المحال أن يكون زهير قُتِل مسلماً ؛ فقاتله جميل بن معمر شهد حنيناً ـ كما حكى الحافظ في ترجمته ـ مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، والظاهر أنه تقدّم إسلامُه يوم الفتح ، فما كان ليقدم على قتل رجل مسلم ، وقد قتل زهيراً مأسوراً ، ومايُعْرَف أنه أُسِر ذلك اليوم مسلم قط . ولو لم يُذْكر إسار زهير ، ولاسُمّي قاتله ، ولم يُعْرَف من خبره إلا أنه قُتِل يوم حنين لدلّ هذا وحده على أنه قُتِل كافراً ؛ وذلك أن أصحاب السير والمغازي ذكروا أن جميع من استشهد يوم حنين أربعة سمّوهم ، وهم رضي الله عنهم : أيمن بن عبيد ، وسراقة بن الحارث ، وأبو عامر الأشعري . واختلف في الرابع ، فقيل : يزيد بن زمعة ، وقيل : رُقَيْم بن ثابت[١٤] . ولوكان زهير مسلماً لذكروه خامساً لهم .

ومن الغريب أن يذهب هذا كلّه عمن تابعوا الأشيريّ على مقالته ، ولاسيما الحافظ ابن حجر ، وقد كان همُّه في الإصابة أن يميز من صحّت صحبتهم ممن لم يثبت لهم صحبة ، وأن ينبّه على أوهام من تقدّموه في هذا الباب . ولكن السهو لايعرى منه إنسان .

٥ ـ ذكر الأستاذ في الفقرة (١٦) أنه جاء في أبيات لبعض بني عذرة :

وتذهب من القناص في متمنّع　　متى ماتفزّع يرمي هضب بها هضبا

وأن المحقق (!) ضبط « تفزع » بالرفع ، واختار إثبات الياء في « ترمي » واتهم حذفها ـ وهو الثابت في أحد أصلي الكتاب ـ بالتحريف . وبيّن الأستاذ أن الصواب الذي يوجبه الإعراب ولايقوم الوزن إلا به « متى ماتُفَزَّعْ يَرْمِ .... » بجزم كلا الفعلين ، وهو كما قال . ثم قال الأستاذ عقب ذلك : « و « تذهب » حقَّه الرفع كما يدلّ موضعه من البيت ومما قبله : وبالرفع يختلّ الوزن ، وربما كان تحريف فعل آخر » ووصل ذلك بقوله : « ويجوز إصلاحه بأن يقال : « وتلهو عن القناص .... » .

كذا قال الأستاذ ! وله نحو هذه المقالة في الفقرة (٥٩) وسيأتي الكلام على ماجاء فيها . وظاهر هذا الذي قال يوهم أنه يجوز لمن يتصدّى لتحقيق شعر أن يستبدل بما لم يظهر له الوجه فيه مايراه أقومَ من غير ما سند من رواية أو قرينة تدلّ على أن مااختاره هو ماأراده الشاعر . ولعلّ الأستاذ لايقول بهذا وإن أوهمه ظاهر كلامه ، فإن فساده أظهر من أن يحتاج إلى بيان . وإطلاق مثل هذا القول واللهج بذلك مما يغري العبثة بآثار المتقدّمين ـ وماأكثرهم هذه الأيام ـ بالتمادي في عبثهم وعيثهم . ثم إن مارأى الأستاذ أنه يجوز إصلاح البيت به يخلّ ـ فيما أرى ـ بالمعنى الذي أراده الشاعر ، ويجعل الكلام ينقض بعضه بعضاً ؛ فالبيت ـ كما هو ظاهر ـ في صفة أنثى من الوحش (مهاة أو نحوها) أوت خيفة القناص إلى جبل منيع ، وقوله : « متى ماتُفَزَّعْ .... » يعني أنها

مع ذلك متيقّظة حذرة غير غافلة ولالاهية ، فإذا ماأحسّت نبأة طارت لها فزعاً ، وأخذت تثب من هضب إلى هضب . فأنّى يصلح البيت بأن يقال : « وتلهو عن القناص .... » ! !

و « تذهب » إذا كان حقّه الرفع فالأشبه أن يكون الشاعر قد أسكنه ضرورة . وإسكان المرفوع والمجرور في ضرورة الشعر أثبته سيبويه وجمهور المحققين ، وشواهده غير قليلة . وقد نصّ سيبويه ٢ : ٢٩٧ أن بعضهم قد يسكن ويُشِمّ - يعني في المرفوع خاصة . والإشمام هو الإيماء بالشفتين إلى الضمة من غير مانطق بها ولابجزء منها ، فهو - كما يقولون - للعين لاللأذن .

ولا أستبعد أن يكون الثابت في أصل كتاب الهجري : « وتذهبُ مِ القناص .... » فلم يحسن الناشر قراءته . وحَذْفُ نون « من » في الضرورة إذا لقيت لام المعرفة كثير ، وشواهد ذلك أشهر من أن يُتَكَثّر بذكرها .

٦ ـ ذكر الأستاذ في الفقرة (١٩) أنه جاء في قصيدة لأبي الحواس الخزيمي :

صبرت سُلَيمٌ يوم وعقة عامرٍ صبر الكرام ويالـه من مَدْعَقِ

وقال فيه : « أقرّ الأستاذ المحقق « وعقة » في البيت ، وقال يفسّرها : « رجل وعق لعق حريص جاهل .... » ولا موضع لهذا المعنى من البيت ، وأجد « وعقة » تحريف « وقعة » .... » .

ولم ينكر الأستاذ إلا منكَراً ، ولفظ « وَعْقة » محرّف كما قال ، إلا أن الأشبه أن يكون تحريف « دَعْقة » يصدّق ذلك قول الشاعر في آخر

البيت : « .... ويا له من مَدْعق » . وهو من قولهم : « دعق الغارة » أي بثها كما في القاموس . وجاء في اللسان : « دعق عليهم الخيل يدعقها دعقاً ، إذا دفعها عليهم في الغارة ، ودعقوا الغارة دعقاً : دفعوها ، والاسم : الدعقة » .

٧ - وفي الفقرة (٢٥) تكلّم الأستاذ على أبيات من قصيدة لمعن بن فهيرة يظهر أنها في مديح بعض الأشراف من بني هاشم[١٥] . وفيما ذهب إليه الأستاذ في غير مابيت منها نظر :

أ - من تلك الأبيات قوله :

فإنما أولاده من بعده درٌّ وياقوتٌ وتبرٌ ينتقدْ

ضبط الناشر « ينتقد » بفتح الياء على وجه ماسُمّي فاعله ، وقال الأستاذ في ذلك : « وأظن « ينتقد » تصحيف « يتقد » » .

وعندي أن الصواب « يُنتَقَد » بالبناء لما لم يُسَمَّ فاعله ، من قولهم : « نقدت الدراهم وانتقدتها » إذا أخرجت منها الزيف ، يعني أنهم ذهب خالص لازيف فيه . وهو نحو قول القائل (أنشده أبو العلاء في شرح ديوان ابن أبي حصينة ، ص : ٣٩ ، والزمخشري في أساس البلاغة : عقي) :

كلّ قومٍ خُلِقوا من آنُكٍ وبنو العبّاس عِقْيانُ الذهبْ

والعقيان : خالص الذهب .

ب - ومنها :

أبقى الإله عترة تنمي بها لم يكُ فيها عن هدى الحقّ لحدْ

قال فيه الأستاذ : « ضُبطت « تَمي » بفتح فسكون ، فهل المراد أن الممدوح يمي بعترته ؟ وماقيمة مدح كذلك ؟ ولعلها أن تكون « تُمى لها » بضم التاء ، أي تنسب إليها ، فتكون « بها » تصحيف « لها » .

ولاريب أن « بها » تصحيف « لها » كما قال الأستاذ ، والمعنى المراد نحو مما ذكر ، إلا أن الوجه في « تمي » فتح التاء ، أي ببنائه لما سُمّي فاعله كما ضبطه الناشر ، والمعنى : ترتفع إليها في النسب ؛ يقال : « نَمى إلى فلان » و « انتمى إلى فلان » بمعنى . ومن الأوّل قول الفرزدق (النقائض ، ص : ٦٠٩ ، وديوانه ١ : ٥٧) :

أبي غالبٌ والمرءُ صَعْصَعَةُ الذي ... إلى دارمٍ يَنمي فَمَنْ ذا يناسبُه

وقول مُرّة بن مَحْكان (من قصيدة له في الحماسة ـ ص : ١٥٦٨ بشرح المرزوقي) :

أنا ابن محكانَ أخوالي بنو مطرٍ ... أنمي إليهمْ وكانوا مَعْشَراً نُجُبا

ج ـ ومنها :

أمنعُ من ذي لِبَدٍ في غيله ... عبلُ الذراعين له جلدٌ ويدْ

استنكر الأستاذ قوله : « له جلد ويد » فقال : « وأيّ إنسان ليس له جلد ويد ؟ وربما كان ذلك تحريف « جِدٌ وأيْدٌ » أي له عزم وقوة » .

وفي هذا الذي قال الأستاذ أمران :

أحدهما أن القصيدة من تامّ الرجز ، وإذا قيل في عجز البيت : « عبل الذراعين له جدّ وأيدْ » كما قدر الأستاذ كان ضربه « مستفعلانْ »

بزيادة ساكن على الوتد المجموع في آخر الجزء ، وهي علة من « علل الزيادة » يسمّيها أصحاب العروض « التذييل » أو « الإذالة » ، وهذه العلل لاتلحق شيئاً من ضروب ماتمّ من الأوزان ، بل هي خاصة بأضرب طائفة من المجزوءات ، والتذييل هذا يختصّ منها بمجزوء البسيط ومجزوء الكامل . ومن ثمّ كان ماقدره الأستاذ مدفوعاً من هذا الوجه . ثم إن قافية البيت تكون ـ على ماقدر أيضاً ـ مردفة بالياء الساكنة في « أيْد » على حين جاءت قوافي الأبيات الأخر مجرّدة (لاردف فيها ولاتأسيس) .

والأمر الآخر أن الأستاذ تابع الناشر على ضبط « عبل الذراعين » بالرفع ، وحمله والجملةَ التي بعده على أنها من صفة الممدوح ، وقال في تلك الجملة ماقال . وأدنى تأمُّلٍ للبيت يهدي إلى أن حقّ « عبل الذراعين » الجرّ ، وأنه والجملة بعده ـ وهي في محلّ جرّ أيضاً ـ من صفة « ذي لبد »

وإذا كان الأمر على ماذكرت فإن قول الشاعر : « له جلد ويد » يتّجه على أن كلا من « جلد » و « يد » موصوف استغنُيَ عن صفته بدلالة الحال عليها ، فكأنه قال : له جلد لايُخَرَّق ، ويد باطشة ، أو نحو ذلك مما يفيد أنه أسد مهيب ذو بأس شديد يمنع غيله ولايجترئ عليه مجترئ . وحذف الصفة لدلالة الحال عليها معروف في الشعر والكلام لاينكر .

٨ ـ قال الأستاذ في الفقرة (٢٧) : « وفي (ص ١٢٩) قال الهجري : « وقد ورّد الرمّان ثم خضب ثم أرعث ثم عقد » وفسّر الهجري « أرعث » فقال : « والرعث : الجنون » وليس في كتب اللغة الرعث بمعنى الجنون ،

ولاصلة للجنون بطور من أطوار الرمّان ، وإنما هو تصحيف الناسخ لـ « العثنون » .

ويلزم مما ذهب إليه الأستاذ من أن « الجنون » تصحيف « العثنون » أن يكون ما يقال له : « رعث الرمّان » يقال له أيضاً : « عثنون الرمّان » وما من قائل بذلك . ويبدو أن الأستاذ استظهر ماقال مما جاء في اللسان (رعث) في تفسير « رعثة الديك » ونصّه : « رعثة الديك : عثنونه ولحيته » وقد جاء نحوه في مقاييس اللغة ٢ : ٤١٠ ، والقاموس (رعث) وهو لايفيد ماذهب إليه . وإنما « الجنون » تصحيف « الحَنّون » بالحاء المهملة مفتوحةً وتشديد النون . وأكبر ظني أن هذا هو الثابت في أصل كتاب الهجري وأن كاتبه أثبت تحت الحاء حاء صغيرة علامة على إهمالها ، فتوهّمها الناشر إعجاماً فصار إلى « الجنون » . و « الحَنّون » ـ كما قال أصحاب اللغة ـ الزهر ؛ قال ابن سيده في المحكم (حنن) ٢ : ٣٧٥ ، وهو عنه في اللسان (حنن) : « والحَنّون : نَوْر كل شجرة ونبت ، واحدته : حَنّونة ، وحنّن الشجر والعشب : أخرج ذلك » وقد حكى نحو هذه المقالة في المخصّص ١٠ : ٢٢٠ عن أبي حنيفة . وبيّنٌ بعد أن الهجري إنما أراد أن « رعث الرمّان » حَنّونه ، أي زهره ، وأن « أرعث الرمّان » بمعنى ظهر زهره وتفتّح . وذلك أن « الرعث » جمع « رعثة » وهي القُرْط ، ومن ثَمّ قيل لزهر الرمّان ـ وهو من أشبه الأزهار بالقرطة ـ : « رعث الرمّان » مجازاً ؛ نصّ على ذلك الزمخشري في أساس البلاغة (رعث) قال : « ومن المجاز : ..... تفتّح رعث الرمّان ، وهو زهره الذي يسمّى الجلّنار » . وعن الزمخشري حكى ذلك الزبيدي في التاج (رعث) .

٩ ـ وفي الفقرة (٢٩) ذكر الأستاذ هذا البيت :

وقولا فتى يشكو من الحبّ زفرة تضمنها عند الصفا من جمالك

وقال فيه : « ضبطت « تَضَمَّنها » بفتح التاء فالضاد فالميم المثقلة ، أي بالبناء على الفاعل ، والصواب « تُضُمِّنها » بضم التاء فالضاد وكسر الميم المشدّدة بالبناء على المفعول » .

كذا قال الأستاذ ! والوجه في ضبط « تضمنها » ماأخذ به الناشر ، وأما ماذهب إليه الأستاذ فسهو منه غريب يلزم منه أن يكون « تضمّن » مما يتعدّى إلى مفعولين ، والمعروف في كلامهم تعدّيه إلى واحد ؛ جاء في اللسان : « ضمّنَ الشيءَ الشيءَ : أودعه إياه كما تودع الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ ، وقد تضمّنه هو ، قال ابن الرقاع يصف ناقة حاملا :

أوكتْ عليه مضيقاً من عواهنها كما تَضَمَّن كَشْحُ الحُرَّةِ الحَبَلا » .اهـ

وإنما اقتصر « تضمّن » على مفعول واحد لأنه مطاوعٌ لـ «ضَمَّنَ» المتعدي إلى مفعولين ؛ وذلك أن المطاوعة ـ وهي قبول التأثير ـ توجب فيما له مطاوع من الأفعال أن يكون مؤثِّراً ، أي متعدّياً ، وتوجب لمطاوعه أن يقلّ عنه مرتبة في التعدّي ، فإذا كان الأوّل مما يتعدى إلى مفعول واحد كان مطاوعه لازماً وفاعله ما كان مفعولاً للأول ، نحو « قمعته فانقمع » و « كسرته » فانكسر » وإذا كان الأول مما يتعدى إلى مفعولين اقتصر مطاوعه على نصب ثانيهما وكان أوّلهما فاعلاً له ، ومن هذه البابة « ضَمّنْتُ الشيءَ الشيءَ فتضمّنه » .

١٠ ـ وفي الفقرة (٣٨) أدار الأستاذ الكلام على « أبي المهوش الأسدي » الشاعر وضبط كنيته ، فقال أوّل ماقال : « وفي (ص ١٨٨) ورد الاسم « أبو مهوس الأسدي » وضبطت مهوس بضم فسكون مع إغفال ضبط الواو وبالسين المهملة . وفي الحيوان (١ / ٢٠٧ و ٣ / ٣٢١) والخزانة (٣ / ٨٦ و ١٤٢) والإصابة (٢٠١٥) رُوي « أبو المُهَوِّش » بضمّ ففتح فتثقيل الواو المكسورة فالشين المعجمة » .

وقد سها الأستاذ في هذه المقالة ـ مع حرصه على الدقة فيما ينقل ـ سهواً عجباً : فإنه مامن ذكر لكنية الشاعر في الموضع الذي أحال عليه من الإصابة البتة . والموضعان اللذان ذكرهما من الحيوان لم يذكر فيهما الشاعر بكنية ولااسم أصلاً ، وإنما ذُكِر في موضع واحد منه أثبته محقّقه الأستاذ عبد السلام هارون في فهرس الأعلام ، وهو ١ : ٢٦٨ وقد أنشد الجاحظ ثمّ بيتاً لشريح بن أوس في هجاء أبي المهوش هذا ، وقد أنشد البيت نفسه في البخلاء ، ص : ٢٣٥ أيضاً . وبعد لأي ماتهدّيتُ إلى أن الأستاذ أراد « البيان والتبيين ١ : ٢٠٧ و ٣ : ٣٢١ » ولكن سبق قلمه فكتب مكانه « الحيوان » . هذا ، وفي قول الأستاذ : « رُوي » تسمّح ، ويظهر أنه أراد « ضُبِط » أو « قُيِّد » .

وأمّا ماانتهى إليه الأستاذ في أمر الشاعر وضبط كنيته فبسطه بقوله : « ولعله » أبو المَهْوَش » بفتح فسكون ففتح وبالشين المعجمة . جاء في اللسان (باب ـ هوش) « وأبو المَهْوَش من كناهم » وأبو المَهْوش الأسدي هو حط بن رئاب أو ربيعة بن وثاب ، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام » .

وقد سبق قلم الأستاذ ههنا أيضاً فكتب « حط بن رئاب » وإنما هو « حَوْط بن رئاب » . وماقاله في اسم الشاعر وعصره قد تقدّمه إلى نحوه غير واحد (لعلّ أولهم الأستاذ عبد السلام هارون في تعليقه على الحيوان ١ : ٢٦٨ ، وقد كرر ذلك في تعليقه على البيان والتبيين ١ : ٢٠٧ و ٣ : ٣٢١ ، وعلى كتاب البغال ـ رسائل الجاحظ ٢ : ٢٨٣) وكلهم أخذوا ـ وهم في مقام ترجمة للشاعر موجزة ـ بظاهر ماجاء في الخزانة ٣ : ٨٦ وقد لحق بعضَ نقوله خللٌ ، وفي بعضها وفي تعقيب البغدادي عليه مايدعو إلى فضل تدبّر ونظر . وقد رأيت من المستحسن أن أثبت هنا ماجاء في الخزانة ، وأعقب عليه بما ظهر لي فيه وبما بدا لي من أمر هذا الشاعر لأخلص بعد إلى القول فيما ذهب إليه الأستاذ في ضبط كنيته .

وهذا نصّ ماجاء في الخزانة :

« أبو مهوش الأسدي ، قال ابن الكلبي في جمهرة الأنساب : هو ربيعة بن وثاب بن الأشتر بن حجوان بن فقعس بن طريف بن عمرو [بن] قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر .

و « مهوِّش » بكسر الواو المشدّدة وبعدها شين معجمة . و « حَوْط » بواو ساكنة بين مهملتين . و « رئاب » براء مهملة مكسورة وبعدها همزة ممدودة . و « حَجْوان » بفتح المهملة وسكون الجيم . و « قُعَيْن » بضمّ القاف وفتح العين . و « دودان » بضمّ الدال المهملة الأولى .

وقال أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب : اسمه حوط بن رئاب . وبه ترجمه ابن حجر في الإصابة في قسم المخضرمين الذين أدركوا

النبيّ ﷺ ولم يروه ، قال : حوط بن رئاب الأسدي الشاعر ، ذكر أبو عبيد البكري في شرح الأمالي أنه مخضرم ، وهو القائل :

دنوت للمجد[١٦] والساعون قد بلغوا جهد النفوس وألقوا دونه الأزرا

فظهر من هذا أنه إسلاميّ . ولم أر له في كتب الشعراء ذكراً . والله أعلم » . ا هـ

وعمود هذا الذي ذكر البغدادي ـ كما هو بيّن ـ ثلاثة نقول : اسم الشاعر ونسبه ـ نقل ذلك عن جمهرة النسب لابن الكلبي ، وقول آخر في اسمه نقله عن ضالة الأديب لأبي محمد الأعرابي ، وهو المعروف بـ « الأسود الغندجاني » ، ثم ترجمة له بثاني الاسمين نقلها عن الإصابة للحافظ ابن حجر .

وقد وقع الخلل الذي تقدمت الإشارة إليه فيما نقله عن جمهرة النسب . وبيان ذلك أن ابن الكلبي ذكر أبا المهوش في كتابه هذا ، ص : ١٠١ ـ مخطوط المتحف البريطاني ، وهو يعدّد نفراً من ولد الأشتر بن حجوان بن فقعس ـ من أسد بغير ما جاء في مطبوع الخزانة ونصّه : « فمن بني الأشتر : خالد بن نضلة بن الأشتر ، و ...... وأبو مهوش وهو ربيعة بن حوط بن رئاب بن الأشتر الشاعر .... » وبنحو هذا اللفظ جاء في مختصر الجمهرة ، ص : ٤٣ ـ مخطوط مكتبة راغب باشا في استانبول ، وكان البغدادي قد ملك هذه النسخة نفسها وأثبت ذلك بخطه في صفحة العنوان منها . وكذلك أثبت اسم أبي المهوش ونسبه محمد بن حبيب ـ وهو راوي الجمهرة عن ابن الكلبي ـ في كنى الشعراء ، نوادر المخطوطات ٢ : ٢٨٢ ، والبلاذري في أنساب الأشراف ورقة : ٣٦٦ / أ ـ مخطوط استانبول . وبالاسم نفسه مقروناً

بكنيته سمّاه أبو عبيدة في خبر « يوم الوقيط » في شرح النقائض ١ : ٣١١ غير أن ناسخ أصله أقحم لفظ « ابن » بين كنيته واسمه ، فصار « أبو مهوش بن ربيعة بن حوط الفقعسي » . وكذلك حكى الخطيب التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق ٢ : ٤٠ عن أبي الفتح أن اسم أبي المهوش « ربيعة بن حوط الأسدي » .

هذا ، ولا ريب عندي أن البغدادي نقل مانقل عن ابن الكلبي على وجهه كما جاء في جمهرة النسب وفي مختصرها الذي كانت نسخته الوحيدة المعروفة اليوم في حوزته ، أي « هو ربيعة بن حوط بن رئاب بن الأشتر » ثم وصل نسبه إلى أسد ثم إلى مضر مما ذكره ابن الكلبي قبل ذلك ، غير أن النسخة التي طبع عنها الخزانة سقط منها ـ فيما يظهر ـ اسم أبي الشاعر : « حوط » وحُرّف اسم جدّه الأدنى : « رئاب » إلى « وثاب » فصار « ربيعة بن وثاب » والبغدادي نفسه بريء من عهدة ذلك . يدلّ على ماذكرت أبين الدلالة أنه لما فرغ من سياقة النسب قيّد بالعبارة كنية الشاعر وأسماءَ نفر من آبائه ، وكان مما قيّده « حوط » و « رئاب » وفي ذلك أوضح الدليل على أن كليهما ثابت في النسب كما نقله . وخفي ذلك على مصحح الخزانة فعلق على تقييده لهذين الاسمين قال : « قوله : « وحوط » الخ لعل هذا مقدّم من تأخير فلْيُتَأَمّل » . يريد : لعله تقييد لما نقله البغدادي بعدُ عن أبي محمد الأعرابي أن اسم أبي المهوش « حَوْط بن رئاب » فقدّم تقييد ذلك قبل ذكره . وقد أخذ الرجل ـ رحمه الله ـ فيما علّق بالسنّة الرشيدة التي جرى عليها مصحّحو مطبوعات بولاق : الشيخ نصر الهوريني وصحبه رحمهم الله وأجزل ثوابهم : ذكر ماعنّ له ، ورغب إلى القارئ أن يتأمّل هذا الموضع لعله ينكشف له من حقيقة أمره ماخفي عليه . والصواب البيّن ماقدّمت .

ويخلص لنا من جملة ماتقدم أنه مامن قائل في أبي المهوش : هو ربيعة بن وثاب ، وإنما هو ربيعة بن حوط في قول ابن الكلبي وأبي عبيدة ومن وافقهما ، وحوط بن رئاب فيما نقله البغدادي عن الغندجاني .

وبثاني الاسمين ـ فيما ذكر البغدادي ـ ترجمه الحافظ ابن حجر في الإصابة في قسم المخضرمين الذين أدركوا النبيﷺ ولم يروه ـ انظر الإصابة ٢ : ٦٧ ، رقم ٢٠١٥ . وقد نقل البغدادي ترجمته له إلاكليات في آخرها تفيد أن المرزباني ذكره في القسم المفقود من معجم الشعراء وأنشد له بيتاً . وعمود تلك الترجمة قوله : « ذكر أبو عبيد البكري في شرح الأمالي [يعني اللآلي] أنه مخضرم » . ومما يدعو إلى العجب وما فوق العجب أن يعقّب البغدادي ـ كما يفيد ظاهر مافي الخزانة ـ على هذه المقالة بقوله : « فظهر من هذا أنه إسلامي » ! ! فمثل هذا لايكون من عاقل يدري مايخرج من رأسه . وأكبر ظني أنه سقط من هذا الموضع من الخزانة أيضاً كلامٌ من كلام البغدادي ذكر فيه أن البكريّ لم يقل في حوط بن رئاب مانسبه إليه الحافظ ، وإنما قال فيه كما جاء في اللآلي ٣٣٩ : « شاعر إسلاميّ ، وأحسبه أدرك الجاهلية » ثم عقّب على مقالة البكري هذه بتلك الكلمة[١٧] .

ويستوقف الناظرَ في كلام البكري أنه لم يذكر لحوط هذا كنية ، على حين أن أبا المهوش لايكاد يُذكَر إلا بكنيته ، وقد ذُكِر بها في بعض ماحكاه البكريّ نفسه في كتابه هذا ص : ٨٥٩ ، ٨٦٣ . وانظر التنبيه ، له ص : ١٢١ أيضاً . وقد يدعو ذلك إلى الشك في أن يكون حوط عنده أبا المهوش . بيد أني رأيتُ ماقاله في حوط يصدق على أبي المهوش كلّ الصدق ؛ وذلك أن جلّ ماوقفت عليه من شعره ، على قلّته ، كان في هجاء بني تميم ، وقد هاجى

منهم نهشل بن حرّيّ ، ونهشل هذا عدّه ابن سلام في طبقات فحول الشعراء ٢ : ٥٨٣ أول الطبقة الرابعة من فحول الإسلاميين ، ونقل الحافظ ابن حجر في ترجمته في الإصابة ٦ : ٢٦٨ (رقم ٨٨٧٨) عن المرزباني أنه مخضرم بقي إلى أيام معاوية ، وكان مع علي رضي الله عنه في حروبه . وقد هجا فقعساً رهط أبي المهوش بقوله :

ضِنَ القَنـانُ لِفَقْعَسٍ سَوْآتِها إنّ القَنـانَ بِفَقْعَسٍ لَمُعَمَّرُ

وهجاه أبو المهوش بأبيات على قريّه عيّره في بعضها إيقاع اللهازم بقومه يوم الوقيط ، وذلك قوله :

عَضّتْ تميمٌ جِلْـدَ .... أبيهمُ يَوْمَ الوَقيط وعاونَتْها حَضْجَرُ

وقد عيّر تميماً ذلك اليوم بقوله أيضاً :

فما قاتلتْ يَوْمَ الوقيطَيْنِ نَهْشَلٌ ولا الإسكةُ الشُّؤْمى فُقَيمُ بنُ دارم

ويوم الوقيط هذا كان في فتنة عثمان رضي الله عنه ، وامتدّت ذيوله إلى مابعد ذلك . انظر خبر هذا اليوم في شرح النقائض ١ : ٣٠٥ ـ ٣١٣ ، والعمدة ٢ : ٢١٥ ، والعقد الفريد ٥ : ١٨٢ ـ ١٨٥ ، والكامل ، لابن الأثير ١ : ٦٢٨ ـ ٦٣١ (ط . بيروت) والخزانة ٣ : ٨٤ ـ ٨٥ وفي ذكر أبي المهوّش له أبين الدليل على أنه عاش في صدر الإسلام[١٨] ، ويظهر أنه أدرك خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد يكون عاش إلى مابعد ذلك ، ولايبعد أن يكون أدرك الجاهلية في حداثته أو وهو في مقتبل الشباب .

وأما ماذهب إليه الأستاذ البصام في ضبط كنيته فبناه على أنه جاء في

اللسان (هوش) : « وأبو المهوش من كناهم » وضُبط فيه بسكون الهاء وفتح الواو ، فسلّم الأستاذ بصحة هذا الضبط ، ثم انتهى به النظر في أمر الميم إلى ضبطها بالفتح ، وقال في الاحتجاج لذلك في حاشيته : « تُرِكت الميم في اللسان (ط . صادر) بلاضبط [وكذلك هي في ط . بولاق] وضبطتها بالفتح دون الضمّ لعدم « أهْوش » في العربية ، ولقول صاحب اللسان في الهَواش : كأنه جمع مَهْوَش من الهوش الجمع والخلط » . اهـ

وهذا الضبط الذي اعتدّ الأستاذ به واتخذه أصلاً لما ذهب إليه غير حريّ بالثقة لنقصه من جهة ، ولأنه ضبط قلم لا يُعرَف على وجه اليقين ممن هو من جهة أخرى . ويرجّح أنه ليس من ابن منظور ويزيد الريبة فيه أنه لم يُلْتَزَم في اللسان نفسه ؛ فقد ذُكِر أبو المهوش في مواضع أخر منه استشهد فيها بأبيات من شعره ، فترك « المهوش » في ثلاثة مواضع (حمر ، حور ، لقم) بلا ضبط البتة ، وضبط في (عجا) بضمّ الميم وفتح الهاء وتشديد الواو وكسرها ، وهو الوجه الذي رغب عنه الأستاذ ، وكان قد ضبط كذلك في موضعين آخرين (لصف ، خصا) إلا أنه صُحِّف فيهما إلى « المُهَوّس » بالسين المهملة .

هذا ، وأصل هذه المقالة ـ أعني « وأبو المهوش من كناهم » ـ من كلام ابن سيده في المحكم ٤ : ٢٩٠ . وقد أفاد محقق هذا الجزء الأستاذ عبد الستار فراج ـ رحمه الله ـ فيا علّق به على هذا الموضع أنه ضُبِط في أصله المخطوط بتشديد الواو ، ولهذا مارغب عن ضبط اللسان الذي اعتدّ به الأستاذ البصام مع أنه ذكره في تعليقه ، وضبطَه على الوجه الآخر ، أعني بضم الميم وفتح الهاء وتشديد الواو وكسرها ، وهو الوجه الذي أخذ به محققون قبله في طليعتهم شيخنا العلامة الميمني ـ رحمه الله ـ في السمط وغيره ، ثم الأستاذ عبد السلام هارون في غير ما كتاب مما أخرجه . وحسناً فعل الأستاذ فراج ؛ فإن هذا هو

الوجه الذي يظهر صوابه ، إذ لا ريب أن هذه الكنية من « هوّش » المضعف العين ، ذكر ذلك أبو بكر بن الأنباري في تفسيره لهذا الفعل في الزاهر ١ : ٤٥٠ قال : « معنى هوّشت : خلّطت وهيّجت . من ذلك قولهم في كنية بعض الشعراء : أبو المهوّش » وقد تقدّمه إلى نحو هذه المقالة ابنُ قتيبة في غريب الحديث ٢ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣ . ثم إن البغدادي نصّ فيما سلف نقله عن الخزانة ٣ : ٨٦ أنه « بكسر الواو المشدّدة » وكأنه اقتصر على ضبط موضع الاشتباه فيه لئلا يُتَوَهَّم أنه بصيغة اسم المفعول . وما كان البغداديّ ليقول ماقال إلا بالاعتماد على نصّ أو ضبط قلم ممّن يوثَق بضبطه . وقد رأيته مضبوطاً على هذا الوجه في مخطوطي جمهرة النسب ومختصره ، وكلاهما من الأصول التي يعتدّ بضبطها :

جاء في ختام الأول « فرغ منه علي بن حسن بن معالي المعروف والده بابن الباقلاويّ الحليّ النحويّ في رجب سنة ثلاث وخمسين وستمئة » . وعلي بن حسن هذا عالمٌ ابن عالم . كان أبوه حسن بن معالي (ت ٦٣٧ هـ) من أعيان عصره ، برع في علوم شتّى ، وانتهت إليه الرئاسة في علم النحو والتوحُّد فيه . انظر ترجمته في معجم الأدباء ٩ : ١٩٨ ، وبغية الوعاة ، ص : ٢٣٠ . وأما علي نفسه ـ وكانت وفاته سنة٦٨٣ هـ ـ فقد ذكره ابن الفوطي في تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ٤ / ٣ : ٢٤٣ فقال فيه : « أحد مشايخنا الذين أدركناهم بمدينة السلام ، كان عالماً بالنحو واللغة ومعاني الشعر ولغة الحديث ، رأيته وكتبت عنه .... » وعلائم الإتقان وجودة الضبط بيّنة في هذه النسخة . وانظر ماكتبه الدكتور جواد علي في صفتها في مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول ، ص : ٣٣٧ ـ ٣٤٨ .

وأما نسخة المختصر ـ وكانت ، كما ذكرتُ فيما قبل ، مما ملكه البغدادي ـ فقد اجتمع لها من أسباب التوثيق مادعا شيخنا علامة الجزيرة الأستاذ حمداً الجاسر ـ وهو الحجة في هذا الباب ـ أن يصفها بأنها « أصحّ المخطوطات العربية [يعني في بابها] وأوثقها وأكثرها دقة وعناية في الضبط بحيث لا يمر بك حرف واحد فيها بدون إشارة إلى ضبطه » . وكاتب هذه النسخة ـ كما بين الأستاذ الجاسر ـ هو الحافظ شرف الدين أبو الحسين علي بن محمد اليونيني البعلبكي (ت ٧٠١ هـ) نقلها من خطّ المختصِر ، وشهد له بأن صنيعه « يدلّ على الضبط التام والنباهة والمعرفة بهذه الصناعة » ، وحرّر أشياء فيها رآها تحتاج إلى تحرير ، فجاءت غاية في الصحة والضبط والإتقان . انظر مقالة الأستاذ في صفتها في مجلة مجمعنا هذه ، المجلد : ٢٧ (سنة ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م) الجزء الأول ، ص : ٤١ ـ ٥١ .

وما أظنّ أنه بقي بعد كل هذا الذي ذكرتُ أدنى شبهة في أن مارغب عنه الأستاذ البصام هو الصحيح في كنية هذا الشاعر المتعب .

وآخر مالابدّ من وقفة عنده من كلام الأستاذ في هذه الفقرة ماجاء في حاشيته في الاحتجاج لضبطه الميم من « مهْوَش » بالفتح دون الضم ، فإن فيه مقالا .

أما قوله : « لعدم « أهْوَش » في العربية » فأراد به أنه لم يضبط الميم من « مهْوَش » بالضمّ لأنه لم يجئ في كلام العرب « أهْوَش » فيكونَ « مُهْوَش » اسمَ المفعول منه . ونذّ عن الأستاذ أنهم لو بنوا من « الهَوْش » فعلاً على « أفْعَل » لاقتضى قياس كلامهم أن يقال فيه : « أهاش » وفي اسم المفعول منه « مُهاش » بإعلال العين ، لا « أهْوَش » و« مُهْوَش » بالتصحيح .

وأخطر من هذا شأناً مانقله عن اللسان في « الهُواش » فإن فيه نكارة ظاهرة تدعو إلى التأمّل والرجوع إلى الأصول التي نقل عنها ابن منظور . وقد أسقط الأستاذ منه تفسير « الهُواش » لأنه لايتعلّق بغرضه ، ونصّ ماجاء في اللسان بتمامه : « الهُواش ـ بالضم : ماجُمع من مال حرام وحلال ، كأنه جمع مَهْوش من الهَوْش الجمع والخلط » وقد رابني من هذا القول أوّلَ ماقرأتُه أن مافسّر به « الهُواش » يقتضي أنه مفرد لاجمع ، وأنّ غير واحد من أئمة العربية ممن أثبتوا « فُعالاً » في أبنية الجمع نصوا أنه عزيز نادر ، حتى إن يعقوب بن السكيت والزجاجي ذكرا أنه لم يجئ منه إلا ستة أحرف : ظِئْر وظُؤار ، وعنز رُبّى وأعنز رُباب ، وتَوْءَم وتُؤام ، وعَرْق وعُراق ، ورخل ورُخال ، وفَرير وفُرار ، وهناك حرف آخر أثبته سيبويه ، وهو ثِنْي وثُناء ، وقد زاد آخرون أحرفاً أخر ، فكان أقصى ماعُدّ من ذلك اثني عشر حرفاً ، ومن البدهيّ أن « الهُواش » ليس منها . وقد ذهب بعضهم إلى أن ماجاء من ذلك أسماء جموع لاجموع . انظر في ذلك كله كتاب سيبويه ٢ : ١٩٦ ، وغريب الحديث ، لابن قتيبة ١ : ٢٦٤ ، وأمالي الزجاجي ، ص : ١٢٩ ، وأخبار الزجاجي ، ص : ١٦٣ ، والزاهر ، لابن الأنباري ٢ : ٣٨٣ ، وليس في كلام العرب ، ص : ٦٦ ـ ٦٨ ، والفصول والغايات ، ص : ٤٢ ، والمخصص ١٤ : ١١٥ ، واللسان (عرق) وشرح المفصل ٥ : ٧٧ ، ٨٠ وشرح الشافية ٢ : ١٦٦ ـ ١٦٧ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٧ . ثم إن باب « مَفْعَل » أن يُكَسَّر على « مفاعل » وماأعرف شيئاً منه كُسّر على غير ذلك . ولهذا كلّه ماغلب على ظني أن هذه المقالة مما وهل فيه ابن منظور في النقل عن بعض أصوله ، وأن عبارة « كأنه جمع مَهْوَش » إنما قيلت في « مَهاوش »

التي وردت في حديث ذكره وفسّره غير واحد من أصحاب اللغة والمؤلفين في غريب الحديث ، وهو « من أصاب مالاً من مهاوش أذهبه الله في نهابر » . وعزّز عندي هذا الظن أني رأيت الكلام في هذا الحديث جاء في اللسان عقب ماجاء فيه في « الهَواش » وتوقّعت أن يكون أصل ذلك كلّه من كلام ابن الأثير في النهاية ـ وهو أحد الأصول الخمسة التي نثرها ابن منظور في اللسان . وبالرجوع إليه تحقّق عندي ماكنت ظننت ، وهذا نصّ ماجاء فيه ٥ : ٢٨٢ : « وفيه [أي في الحديث] من أصاب مالاً من مهاوش أذهبه الله في نهابر ـ هو كل مال أصيب من غير حلّه ولايُدرَى ماوجهه ، والهُواش ـ بالضم : ماجُمِع من مال حرام وحلال ، كأنه جمع مَهْوَش ، من الهوش : الجمع والخلط ، والميم زائدة » وتدبرّ هذه المقالة يهدي إلى أن الضمير في قوله : « كأنه جمع مَهْوَش » إنما هو لـ « مَهاوش » ولكن لتباعد ما بينهما توهّم ابن منظور أنه لـ « الهُواش » فجعل هذه العبارة من تمام الكلام فيه ، ثمّ قدّم ذلك على ماجاء قبله في تفسير الحديث ، وأسقط منه قوله : « والميم زائدة » .

وقد أصبت مصداق هذا الذي ذكرتُ في تفسير الزمخشري للحديث المذكور في الفائق ٤ : ١١٨ ، والظاهر أن ابن الأثير أخذ بعض مقالته السالفة منه ؛ قال الزمخشري : « من أصاب مالاً من مهاوش أذهبه الله في نهابر ـ أي من غير وجوه الحلّ ، من التهويش ، وهو التخليط ، كأنه جمع مَهْوَش » فهذه عبارة بيّنة لالبس فيها ، تدلّ دلالةً صريحة أن المعنيّ بقوله : « كأنه جمع مَهْوَش » إنما هو « مهاوش » . ثم قال الزمخشري عقب ذلك : « وروي : تَهاوِش ـ بالتاء ـ جمع تهواش ، قال :

تأكل ما جمعت من تَهواش

وهو من « هُشْت مالاً حراماً » أي جمعته . والهُواش ـ بالضم : ما جُمع من مالٍ حلال وحرام » . ومن هنا يستبين أن ابن الأثير لما ذكر معنى « مهاوش » ساق بعده تفسير « الهُواش » الذي ذكره الزمخشري في شرح الرواية الثانية لما بين اللفظين من مناسبة ، ثم أتى بعده بقوله : « كأنه جمع مَهْوَش » المراد به « مَهاوش » وقد تباعد مابينهما ، فأوهم ذلك ابنَ منظور ـ كما قدمتُ ـ أن الضمير في « كأنه » لـ « الهُواش » .

ومن الغرابة بمكان أن يستظهر الأستاذ البصام بهذه العبارة ـ أعني « كأنه جمع مَهْوَش » ـ لما ذهب إليه في كنية « أبي المهوّش » فإنها تفيد خلافَ ماظن ، تفيد أنه لم يُسْمَع في كلامهم « مَهْوَش » وأن المسموع جمعُه : « مَهاوش » فحسب . على أن في نفسي من هذه العبارة شيئاً ؛ وذلك أن قياس العربية يوجب في « مَفْعلَ » من « هاش هَوْشاً » ونظائره من الأجوف أن يُعَلّ موضع العين منه ، فكان الوجه أن يقال : « كأنه جمع مَهاش » . و « مهاوش » هذه لاأعرف أنها جاءت في غير الحديث المذكور ، وقد روي مكانها « تَهاوِش » بالتاء مفتوحة وبكسر الواو ، وذكر ابن قتيبة في غريب الحديث ١ : ٣٧٦ أن من المحدّثين من يرويه « تَهاوُش » بفتح التاء وضم الواو ، يريد مصدر « تهاوش القوم تهاوُشاً » ، وروي أيضاً « نَهاوِش » بالنون ، غير أن أبا عبيد قال في غريبه ٤ : ٨٦ في هذه الرواية : « لاأعرف هذا ، والمحفوظ عندنا بالميم » . ومع هذا الاضطراب في الرواية لامغمز في « مَهاوِش » من جهة العربية ، غير أن الحديث الذي جاءت فيه لايصحّ عند جهابذة السنة ،

فيه عمرو بن الحصين ، وهو واهٍ متروك ، وقال فيه الخطيب : « كان كذّابا » . انظر الكلام على هذا الحديث في المقاصد الحسنة ، ص : ٣٩٧ (رقم ١٠٦١) وفيض القدير ٦ : ٦٥ . وانظر ترجمة عمرو بن الحصين في الجرح والتعديل ٣ / ١ : ٢٢٩ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٢٥٢ ـ ٢٥٣ ، وتهذيب التهذيب ٨ : ٢١ ، ومقالة الخطيب فيه في ترجمة محمد بن عبد الله بن علاثة في تاريخ بغداد ٥ : ٣٩٠ .

الحواشي والتعليقات

(١) كتبت معظم هذه المقالة ولما يقع إلي كتاب الهجري الذي كتب عنه الأستاذ البصام ، ثم وافاني به الأخ المفضال الأستاذ بسام الجابي . ولما قابلت ما نقله عنه الأستاذ البصام بما جاء فيه رأيت الأستاذ سها في النقل عنه في بعض ما علقت عليه من مقالته ، فتركت ما كنت كتبته على حاله ، ونبهت على ما سها الأستاذ في نقله في الحواشي .

(٢) كذا نقل الأستاذ البيت ، والذي في الأغاني : « .... لقد قضياني » .

(٣) وبعد وقوع كتاب الهجري إليّ وجدتُ الأمر على ما ذكرتُ ، وليكون الكلام أبين رأيت أن أثبت هنا الأبيات الستة التي أنشدها ، وهذه هي :

١ فواكبداً كادتْ عشيةَ غُرّبٍ ... من الوجْد إثر الظاعنين تَصَدّعُ
٢ عشيةَ ما مِعْ من أقام بغرّب ... مقام ولا للظاعنين مشيّع
٣ عشيةَ أمحي الخطّ ثم أعيده ... بكفّيَ والغربان في الدار وقّع
٤ يثرن الحصى طوراً وطوراً كأنها ... إذا طردتْ في عرصة الدار ظلّع
٥ عشيةَ مالي حيلة غير أنّني ... بلقط الحصى والخط في الدار مولع
٦ عشيةَ ما أدري أخمس أصابعي ... بباطن كفّي أم ثلاث وأربع

(٤) لما رجعت إلى كتاب الهجري وجدت الناشر أثبته « بذي » على الصواب .

(٥) انظر تخريج الأستاذ عبد الستار فراج له في شرح أشعار الهذليين ٣ : ١٥٠٦ . ويزاد على ما ذكر : حذف من نسب قريش ، لمؤرج السدوسي ، ص : ٩٢ ، ونسب قريش ، لمصعب الزبيري ، ص : ٣٩٥ ، والاشتقاق ، لابن دريد ، ص : ١٣٠ . وهو مع أبيات أخر في ترجمة جميل بن معمر في الاستيعاب ٤ : ١٦٣٦ ، وأسد الغابة ٥ : ١٧٨ ، وقد صُحّف قوله : « بذي فجر » في الأول إلى « بذي مفخر » وفي الآخر إلى « بذي فخر » .

(٦) أحال الأستاذ على كتاب مصعب هذا في الحاشية ، وقال فيه : « بتحقيق محمود محمد شاكر » . وهو سهو منه ؛ فإن الذي قام على نشرة هذا الكتاب هو المستشرق بروفنسال ، وأما ما حققه شيخنا العلامة أبو فهر محمود محمد شاكر فجزء من القسم الثاني الذي عثر عليه من « جمهرة نسب قريش وأخبارها » للزبير بن بكار ـ ابن أخي مصعب ، ولا ذكر فيه لجميل بن معمر ولا لرهطه بني جمح ، وإنما فيه قطعة كبيرة من نسب بني أسد بن عبد العزى ، وجلّه في خبر ولد عبد الله بن الزبير .

(٧) ذكر ابن الكلبي زهيراً هذا في جمهرة النسب ١ : ٥١٢ قال : « منهم [يعني من بني عامر بن عادية] زهير بن الأغرّ ، واسم الأغر حبيب بن عمرو بن عبدة بن عامر بن عادية بن صعصعة (ابن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل) الذي ذكره حسان بن ثابت في شعره » .

(٨) في سيرة ابن هشام : « .... فقال له : أأنت الماشي لنا بالمغايظ » .

(٩) ومما يؤنس بذلك زيادةٌ فيما ذكره في ترجمة جميل أصبتها في طبعة الاستيعاب بهامش الإصابة ١ : ١٣٦ (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ هـ) وقد خلت منها طبعة البجاوي التي نقلت عنها أوّلاً . وموقع هذه الزيادة عقب ما أنشده الحافظ من أبيات أبي خراش ، ونصّها : « قيل : إن زهيراً هذا أخو أبي خراش كان يُعْرَف بالعجوة . وقيل : زهير بن العجوة ابن عم أبي خراش » إلا أن أكبر ظني أن هذه الزيادة ليست من قبل الحافظ نفسه ، وإنما هي من تعليق بعض من قرؤوا كتابه أقحمها النساخ في متنه .

(١٠) إلا أن لأبي خراش أخاً اسمه زهير أيضاً ، وكان قد خرج معتمراً فقتله قوم من ثمالة ، فانبعث أبو خراش يغزو ثمالة ويغير عليهم حتى قتل بأخيه أهل دارَيْن منهم . انظر الأغاني ٢١ : ٢١٥ ، ٢١٦ ـ ٢١٧ ، ومعجم ما استعجم ، ص : ٥٣٠ ـ ٥٣١ .

(١١) انظر ترجمتـه في اللبـاب ١ : ٦٨ (ط . مكتبـة المثنى) ومعجم البلـدان (أشير) والعبر ٤ : ١٧٤ ، وفي إنباه الرواة ٢ : ١٣٧ وسائر المصادر التي ذكرها محققه .

(١٢) صحف في الإصابة (ط . الخانجي سنـة ١٣٢٥ هـ ، وهي التي أحيلُ عليهـا) إلى « الأستري » ثم وجدته في ط . السعادة سنة ١٣٢٨ هـ « الأشيري » على الصواب .

(١٣) ضُبط في الأغاني ضلّة : « أُخِذَ » بالبناء لما لم يُسَمَّ فاعله !

(١٤) وكلا الرجلين ـ رضي الله عنهما ـ استُشْهِد ، إلا أن ابن إسحاق ومن وافقـه ذكروا يـزيـد فيمن استشهـد يـوم حنين ، وعـدوا رقيماً فيمن استشهـد يـوم حصـار الطـائف ، وعكس الواقدي ومن وافقه الأمر ، فعـدوا يزيـد فيمن استشهـد يوم الطـائف ورقيما فيمن استشهـد يوم حنين .

انظر سيرة ابن هشـام ٢ : ٣٦٣ ، ٤٥٩ ، ٤٨٦ ـ ٤٨٧ ، ومغـازي الـواقـدي ٣ : ٩٢٢ ، ٩٣٨ ، وطبقـات ابن سعـد ٢ : ١٥٢ ، ٤ : ١٢١ (ط . بيروت) وتـاريـخ الطبري ٣ : ١٢٣ (ط . الحسينية) والدرر ، لابن عبـد البر ، ص : ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، وجوامع السيرة ، لابن حزم ، ص : ٢٤١ ، ٢٤٤ .

وقـد نص ابن الكلبي في جمهرة النسب ١ : ٢٣٣ أن يـزيـد بن زمعـة استشهـد يـوم الطـائف ، وتبعـه صـاحبـه ابن حبيب في المحبر ، ص : ١٠٢ ، ثم ابن حـزم في جمهرتـه ، ص : ١١٩ (بخلاف ما أخذ به في جوامع السيرة) . وكـذلـك قـال مصعب في نسب قريش ، ص : ٢٢١ ، وتبعه ابن أخيه الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش وأخبارهـا ١ : ٤٧٠ وانظر تعليق شيخنا أبي فهر عليه ثمة .

(١٥) وقد وجدت تصديق ذلـك في كتـاب الهجري لمـا وقع إليَّ ، فـالممـدوح من ولـد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنـه ، وهو كما جـاء فيـه ٢ : ١١٨ عيسى بن محمد بن جعفر بن إبراهيم [ابن محمد (بن) علي بن عبـد الله بن جعفر] . ومـا جعلتـه بين حـاصرتين من نسبـه أخذته من نسب ولده موسى في الكتاب نفسه ٢ : ١١٧ وقد أنشد الهجري ثمّ أبيـاتـاً في مـديحـه لنصيحة بنت المسلم أخت عمرو .

(١٦) كذا في الخزانة : « دنوت .... » بالواو ، وفي الإصابة : « دنيت .... » بالياء ، وكلاهما تصحيف والصواب : « دَبَبْتَ .... » بباءين كما في الحماسة ٤ : ١٥١١ (بشرح المرزوقي) وأمالي القالي ١ : ١١٣ ، واللآلي ، ص : ٣٢٩ .

(١٧) وبعد كتابتي لهذا بأمد رجعت إلى مخطوط من الخزانة في دار الكتب الظاهرية برقم : ١٦٨٤ ، وترجمة أبي المهوّش في المجلد الثاني منه ، ق : ٦٤ / ظ فرأيت ما نقله عن ابن الكلبي جاء فيه على الوجه ، أي « هو ربيعة بن حوط بن رئاب .... » وأما ما نقله عن ابن حجر وما عقب به عليه فجاء طبقاً لما في المطبوع .

(١٨) ما ذكرته من أن هذا اليوم كان في فتنة عثمان هو ما صُرِّح به في العمدة والخزانة ، ويصدق ذلك رواية أبي عبيدة في شرح النقائض ، وهو الصحيح الذي لا ريب فيه . إلا أن موقع ذكره بين الأيام في العقد وكامل ابن الأثير ربما أوهم أنه من أيامهم في الجاهلية ، ومما يزيد الشبهة في ذلك أنه جاء في ختام خبره في العقد : « .... وقُتِل [أي في ذلك اليوم] حكيم النهشلي ..... وفيه يقول عنترة الفوارس :

وغادرنا حكيماً في مجالٍ صريعاً قد سلبناه الإزارا » اهـ

ونسبة هذا البيت إلى عنترة بيّنة الزيف ؛ فإنه لم يكن لقومه عبس شأن في هذه الحرب أصلا ؛ وإنما كانت هذه النسبة عن تحريف لاسم قائل البيت ، والصحيح أنه من مقطعة لعمير بن عمارة التيمي كما جاء في خبر هذا اليوم في شرح النقائض .

وقد ذكر الميداني هذا اليوم في مجمع الأمثال ٢ : ٤٣٣ (ط . محيي الدين عبد الحميد) برقم : ٢١ ، فصرح بأنه كان في الإسلام ؛ قال : « يوم الوقيط ـ بالقاف والطاء المعطل [كذا] ـ يوم كان في الإسلام بين بني تميم وبكر بن وائل .... » . وكذلك قال البكري في كلامه على « الوقيط » في معجم ما استعجم ٤ : ١٣٨٢ ؛ قال : « الوقيظ ـ بالظاء المعجمة والطاء المهملة معاً ، على وزن « فَعيل » ـ : ماء لبني مجاشع بأعلى بلاد تميم إلى بلاد بني عامر ، وليس لبني مجاشع بالبادية إلا زرود والوقيظ .... وكانت في هذه المواضع حرب بين تميم وبكر في الإسلام » . ومن البيّن أنه إنما عنى هذا اليوم .

شرح أبيات سيبويه

تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني

محمد أحمد الدالي

أخرج مجمع اللغة العربية بدمشق (ط ١٩٧٦ ، ١٩٧٧ م) كتاب : شرح أبيات سيبويه لأبي محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وقد قام بتحقيقه الدكتور محمد علي سلطاني ، ثم صدرت طبعته الثانية عن دار المأمون بدمشق (١٩٧٩ م) .

وقد قدم الدكتور المحقق للكتاب بمقدمة عن حياة ابن السيرافي وكتابه ، وبذل جهداً كبيراً في تحقيقه فقارن بين شرح ابن السيرافي لأبيات سيبويه وشرح غيره لها ، وأشار إلى مارآه « أجود وأوفى في أحيان كثيرة » وإلى اختلافهم في توجيه الشواهد ، وخرّج شواهد الكتاب من « شروح شواهد سيبويه أو غيرها مخطوطة ومطبوعة » وترجم « للأعلام الواردة في ثنايا النص » ، وذيّل « التحقيق بفهارس فنية جامعة » تيسر السبيل إلى الكتاب .

وأشار الدكتور المحقق إلى أن الكتاب كان قد طبع في القاهرة بتحقيق الدكتور محمد علي الريّح هاشم .

- بدت لي في أثناء مطالعتي الكتاب جملة من التعليقات أنشرها مسوقة على الولاء . وقد رمزت للسطر بحرف (س) وللحاشية بحرف (ح) :

الجزء الأول

١ ـ ١ / ٦ ح ٢ قال المحقق في الحاشية ٢ : « أما الفيروزابادي في القاموس (الناب) ١ / ١٣٥ .... » اهـ وكذا فعل أيضاً فيا وقفت عليه من حواشيه على الكتاب ، انظر ١ / ١١ (ح ١ ، ٢) ، ١ / ١٠٤ (ح ١) ، ١ / ١٦٨ (الحاشية *) ، ١ / ٣٤٩ (ح ٢) ، ١ / ٣٥٠ (ح ٣) ، ١ / ٤١٨ (ح ١) ، ١ / ٤٤٤ (ح ١ ، ٢) ...... إلخ

والصواب أن يحيل على المادة الأصلية وهي ههنا (ن ي ب) ، وإنما قدم صاحب القاموس « الناب » لأنها أشيع ألفاظ هذه المادة ، وهذا دأبه في سائر كتابه .

٢ ـ ١ / ١٥ س ٤ « والشاهد منه أنه حذف الضمير ... » والصواب « والشاهد فيه » .

وقول الشارح ص ١٤ ـ ١٥ : « كله لم أصنع .... الذي هو كلّه » نقله ابن خلف عنه ، انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٤ / ٢٤١ .

وقد نقل ابن خلف كثيراً من كلام ابن السيرافي ، وقد تابعت بعض هذه النقول ، وسأنصّ عليها .

٣ ـ ١ / ١٦ ح ٢ قال المحقق معلقاً على قول ابن السيرافي : « قال سيبويه : قال الراعي :

ليالِيَ سعدى لوتراءت لراهب بدومة تجر عنده وحجيجُ
قلى دينه واهتاج للشوق إنها على الشوق إخوان العزاء هيوجُ »

قال : « والغريب أن ابن السيرافي أسند نسبتها إلى الراعي إلى سيبويه ، وهما في الكتاب لأبي ذؤيب ، ويبدو أن سيبويه توهم ذلك ... » اهـ .

كذا قال المحقق ونسب سيبويه إلى الوهم ، وغاب عنه أن نسبة كثير من شواهد الكتاب ليست من سيبويه نفسه ، انظر خزانة الأدب

١ / ١٧٨ ، وانظر ماكتبه الدكتور خالد عبد الكريم جمعة عن نسبة شواهد الكتاب في كتابه « شواهد الشعر في كتاب سيبويه » ص ١٧٩ ـ ١٩١ وانتهى إلى « أنّ سيبويه نسب بعض شواهد كتابه ، وترك بعضها غير منسوب ، وأن العلماء الذين رووا الكتاب شاركوا في نسبة شواهده فتداخلت الشواهد التي نسبوها مع الشواهد التي نسبها سيبويه ، وأصبح من العسير تمييزها جميعاً بعضها من بعض .. » ا هـ .

وقد أشار ابن السيرافي في مواضع من كتابه إلى اختلاف نسخ الكتاب في نسبة أبيات بأعيانها إلى أصحابها . واختلاف نسبة البيتين في نسخ الكتاب دليل على أن سيبويه لم ينسبهما ، ولو نسبهما هو نفسه لما اختلفت النسخ في ذلك .

٤ ـ ١ / ٣٩ س ٢ ـ ١٠ قول ابن السيرافي « الشاهد فيه ... وأنه متى جاء لم تكرمه » نقله ابن خلف مختصراً منه . انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٧ / ٩٧ .

٥ ـ ١ / ٤٦ ح ٣ قال المحقق معلقاً على قول حاتم :

وأغفر عوراء الكريم ادخارَه وأعرض عن شتم اللئم تكرّما

قال : « وجعل المبرد في الكامل [١ / ٢٩١] هذا الشاهد من باب المفعول المطلق وأنه أضافه إليه ، أي أدخره ادخاراً كما تقول ادخاراً له . قلت : وفيه بُعد لاحتياجه إلى التأويل » ا هـ .

كذا قال ، وفيما عزاه إلى المبرد وهمٌ قاده إليه ظاهر عبارته ، ولو تدبّر كلامه لم يقل ما قال .

وذلك أنّ انتصاب « ادخارَه » و « تكرّما » عند المبرد على المصدر المفسر لما قبله ؛ يشهد لهذا قولُه عقب بيت حاتم : « ... إنما أراد للتكرّم » فلما طرح اللام عمل فيه الفعل ، وقولُه في المقتضب ٢ / ٣٤٨ :

« ... تقول جئتك ابتغاء الخير فتنصب والمعنى معنى اللام ، وكذلك قال الشاعر : وأغفر عوراء ... البيت . فإذا قلت جئتك أنك تحب المعروف فالمعنى معنى اللام ... » .

وأما قول المبرد : « فأخرجه مخرج أتكرم تكرماً » فأراد أنه نصب على المصدر لكن المعنى معنى اللام ، أي هو مصدر مفسّر لما قبله وهو المفعول له .

والذي وقع في كثير من نسخ الكامل « إنما أراد التكرّمَ » وهو تصحيف صوابه « للتكرّمِ » كما وقع في بعض نسخ الكامل ، وقد بسطتُ القول في هذا في تعليقي على « الكامل » الذي انتهيتُ من تحقيقه وأسألُ الله أن يفرج كربه بظهوره للناس . وانظر الكامل (ط . رايت) ص ١٦٥ وجزء التعليقات ص 66ـ67 .

٦ ـ ١ / ٦٠ ح١ قال المحقق شارحاً كلمة « أَخِمْ » التي وردت في قول ابن السيرافي س ٥ : « ولم أنكل : لم أعجز ولم أَخِمْ عنه » قال : « الوخِم : الرجل الثقيل . القاموس : وخم .. » ا هـ .

قلت : الصواب أن (أخم) من خام عنه يخيم : إذا نكص . القاموس (خام) .

٧ ـ ١ / ٦١ ح١ قال المحقق معلقاً على قول مالك بن زغبة :

لقد علمت أولى المغيرة أنني لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

قال : « .... أما أبو علي الفارسي فقد جعل الناصب هو الفعل (كررت) فقال متسائلاً فهل يكون على أنه أراد أنني كررت على مسمع فلم أنكل عن الضرب فلما حذف الجار وصل كررت إلى مسمع فنصب ... ثم تحفظ فقال : فإن ذلك لا يحمل عليه ما وجد مندوحة عنه » ا هـ .

كذا قال ، وعبارة أبي علي صريحة في أنه لا يجيز نصب « مسمع » بـ « كررت » على إسقاط حرف الجر . لكن أبا علي أجاز هذا الوجه في غير الإيضاح ، انظر الخزانة ٣ / ٤٤٠ .

٨ ـ ١ / ٧٤ ح١ قال المحقق معلقاً على قول الأخوص اليربوعي :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بشؤم غرابها

قال : « حار سيبويه في نسبة الشاهد . فقد جعله في ١ / ٨٣ للأخوص وفي ١٥٤ للأحوص بالمهملة وفي ٤١٨ للفرزدق . والصواب أنه للأخوص بالمعجمة ... » اهـ .

كذا قال ، وقد سلف تنبيهنا في الفقرة (٣) على أن نسبة كثير من شواهد الكتاب ليست من سيبويه نفسه .

ثم إن « الأحوص » بالمهملة في الكتاب تصحيف من الناسخ أو الناشر ، فقد قال ١ / ١٥٤ : « وقول الأحوص الرياحي » والرياحي هو الأخوص ! وانظر الكتاب (ط . عبد السلام هارون) ١ / ٣٠٦ .

أما نسبة البيت إلى الفرزدق فالظاهر أنها من سيبويه نفسه ، والله أعلم .

٩ ـ ١ / ٢٠١ قال المحقق معلقاً على نسبة الأبيات الميمية التي نسبها ابن السيرافي إلى الدبيري ، وهي :

يا ريّها يوم تلاقي أسلما ... الأبيات

قال : « ... وقد تحيروا جميعاً في أمر نسبتها بين الشعراء : مساور بن هند العبسي وأبي حيان الفقعسي والعجاج والتدمري والدبيري وعبد بني عبس . والله أعلم بالصواب » اهـ .

وهذا الذي قاله ـ وإن ألمع فيه إلى اختلافهم في نسبة الأبيات ـ غير جيد ولا دقيق .

فأما الخلاف في نسبة هذه الأبيات فقد حكاه البغدادي في الخزانة ٤ / ٥٧٢ . فنسبت إلى ابن جبانة وهو شاعر جاهلي لص وهو من بني سعد ثم من بني عوف بن سعد بن جبانة ، ونسبت إلى مسارو العبسي ، ونسبها بعضهم إلى العجاج ، وقال ابن السيرافي في شرح أبيات الغريب المصنف « للعجاج قصيدة يشبه أن تكون هذه الأبيات منها ، والرواية تختلف ، وأبيات العجاج في صفة فحل من فحول الإبل » ، ونسبت إلى أبي حيان الفقعسي ، ونسبت إلى الدبيري ، وإليه نسبها ابن السيرافي ، ونسبت إلى عبد بني عبس ، وإليه نسبت في مطبوعة الكتاب ، ولم ترد في الأصول التي اعتمدها الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيقه للكتاب ، ونزيد على ما حكاه البغدادي نسبتها إلى أبي محمد الفقعسي ، على ما جاء في اللسان (ض م ز) .

وانظر ديوان العجاج ٢ / ٣٣٣ ، ٤٧٨ ـ ٤٨٠ ، والحلل ٢٨٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٨ / ١٢٦ ، والكتاب ١ /١٤٥ (بولاق) و ١ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧ (ط . هارون) .

وأما « التدمري » الذي وقع في تعليق الدكتور المحقق ههنا وفي ٢ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧ ح١ فهو تحريف وقع في شرح شواهد المغني للسيوطي ص : ٣٢٩ لم يتنبه عليه الدكتور ؛ والصواب أنه « الدبيري » .

و « الدُّبَيْرِيُّ » هذه النسبة إلى دُبَيْر وهو لقب كعب بن عمرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . انظر الأنساب

٥ / ٢٧٨ (ط بيروت) ، واللباب ١ / ٤٩١ ، والإكمال ٣ / ٣١٠ ، والمشتبه ١ / ٢٨٣ ، وجمهرة أنساب العرب ١٩٥ .

و « الفَقْعَسِيُّ » هـذه النسبـة إلى فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . انظر الأنساب ٢ / ٤٣٧ ، وجمهرة أنساب العرب ١٩٥ .

ثم إن الدكتور المحقق قد علق على قول ابن السيرافي « قال الدبيري » قـال : « معروف الـدبيري ذكره المرزبـاني في معجم الشعراء ص ٤٨١ وقـال : أنشـد لـه الجـاحـظ في كتـاب الحيـوان . انظر الأخير ص ١٩٩ » ا هـ .

لقـد نسب المحقق الأبيـات إلى « معروف الـدبيري » وهو قول لم يقل به أحد .

وإذا كان معروف « دبيرياً » فهل في نسبته إلى دبير ما يوجب علينا أن نصرف نسبـة الأبيـات إليـه ، وهـل فيهـا نصّ على أنـه المعنيّ بـ « الدبيري » في قول ابن السيرافي ؟!! ناهيك بأنه قول لم يحكه أحد .

ثم إن ما حكاه عن المرزباني في معجم الشعراء لم يرد في أصل كتابه بل جاء في حـاشيتـه . ثم إنـه أحـال على « الحيوان ص ١٩٩ » ؟ وهو في الحيوان ١ / ٢٦٨ والبخلاء ٢٣٧ ، ولم يذكر المحقق كلا الكتـابين في فهرس مصـادره . [جـاءت الإحـالـة على كتـاب البخـلاء ، ص ١٩٩ (ط الجمهور ـ القاهرة ١٣٢٣ هـ) في حاشية كتاب الحيوان للجاحـظ ١ : ٢٦٨ هـ٢ / المجلة] .

١٠ ـ ١ / ٢٠٤ س ٣ ـ ٤ : « ويكـون مثـل قـولهم لا أبـالـك . والخبر

محذوف تقديره (لافالها) أو (فيما يعلمه الناس) أو ما أشبه ذلك » .
الصواب : « ... لا فالها أي فيما يعلمه الناس ... » .

١١ ـ ١ / ٢١٢ س ٥ : « قال المسيّب بن زيد مناة أحد بني عَبيد ، حين غزا حنظلة بن الأعرف الضبابي فأخذ غلاماً من غنيّ ، ثم [أخذه] أحدُ بني عبيد ... » اهـ .

ضبط المحقق « عَبيد » بفتح العين ، وما أظنه رجع في ضبطه إلى كتب النسب .

قال الأمير في الإكمال ٦ / ٢٥ : « أما عُبَيد بضم العين وفتح الباء فجماعة » ولم يذكر أحداً ، ثم ذكر عَبيداً بالفتح وذكر جماعة ليس فيهم عبيد الغنوي هذا . فالظاهر أنه « عُبَيد » على التصغير ، وفاتت النسبة إليه صاحب اللباب ٢ / ٣١٨ ، وكذا ضبطه الأستاذ عبد السلام هارون في جمهرة أنساب العرب ٢٤٧ .

وعُبَيد هو ابن سعد بن عوف بن كعب بن مالك بن جلان بن غنم بن عمرو ـ هو غني ـ بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر .

وما جعله الدكتور بين حاصرتين [ ] قال في التعليق عليه : « زيادة يقتضيها الخبر ليست في المطبوع » اهـ . وهي زيادة لا يقتضيها الخبر بل هي مخلّة ، والصواب أن يكون الكلام : « فأخذ غلاماً من غنيّ ثمَّ أحدَ بني عُبَيد .. » . وبنو عبيد من غنيّ .

١٢ ـ ١ / ٢١٥ س٧ ـ ٨ ضبط المحقق روي بيتي ابن مقبل :

يأوي إلي مجلسٍ بادٍ مكارِهُهُمْ لامُطمِعي ظالم فيهم ولا ظُلُمَ
شمٌّ مهاوين أبدان الجزور مخا ميص العشيات لامِيلٌ ولا قزُمَ

بالضمّ .

ولاريب أن ابن السيرافي رواهما مجروري الروي وعليه تكون الأوصاف التي وقعت في البيت الثاني مجرورة أيضاً ، فالصواب :

.... لا مطعمي ظالم فيهم ولا ظُلُمِ
شمٌ مهاوينَ أبدان الجزور مخا ميص العشيات لا مِيلِ ولا قُزُمِ

يشهد لهذا أن ابن السيرافي أنشد البيت الأول وفيه « لا مطعمي » - وهي صفة مجرورة لـ « مجلسٍ » - ليبين أنّ رويّ البيت الثاني مجرور لا مرفوع لأن « قزم » صفة وكذلك ما تقدمه من أوصاف لـ « مجلس » ؛ ولهذا ما قال أيضاً في خاتمة كلامه : « وقد أنشد البيت [أي : شمّ مهاوين ...] في الكتاب على أنه مرفوع الروي ، وقد ذكرت ما فيه » اهـ .

وقد وقع البيت في الكتاب ١ / ٥٩ (ط بولاق) مرفوع الروي والأوصاف التي تقدمت القافية ، وليس في كلامه ما يدل على أنه أنشده بالرفع ، فضبطه الأستاذ عبد السلام هارون في طبعته من الكتاب ١ / ١١٤ بالجر . وإذا كان الضبط بالرفع متوارثاً في نسخ الكتاب فيسوغه أن البيت ينشد مفرداً ، ومثل هذا التغيير كثيراً ما يقع . وانظر ما قاله البغدادي في الخزانة ٣ / ٤٤٨ .

والبيت في المقاصد النحوية ٣ / ٥٦٩ ، وشرح المفصل ٦ / ٦٤ ، وهمع الهوامع ٢ / ٩٧ ، واللسان (هون) .

١٣ - ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧ أنشد ابن السيرافي بيت الكتاب - ونسب للفرزدق - :

إني ضمنت لمن أتاني ما جنى وأبي فكان وكنت غير غدور

والـذي وقـع في كلتـا مطبـوعتي الكتـاب ١ / ٣٨ (ط بـولاق) و ١ / ٧٦ (ط هـارون) : « وأَبى » ، ولم يشر ابن السيرافي إلى اختـلاف نسخ الكتاب في ضبطه ههنا ودأبه أن يفعل إما اختلفت النسخ .

والذي وقع في الكتاب في كلتا مطبوعتيه ـ وعنه ضبط في الإنصاف ١ / ٩٥ ، ومعـاني القرآن للفراء ٢ / ٣٦٣ و ٣ / ٧٧ ـ تصحيفٌ لـ « وأبي » . وقد وقـع على الصـواب في البيـان في غريب إعراب القرآن ٢ / ١٦٤ ـ ١٦٥ وإن ضبطه المحقق « وأَبى » متابعاً الضبـط الـذي وقع في الكتـاب ، فقـد قـال ابن الأنبـاري عقب البيت : « أي كنت غير غـدور وكان أبي غير غدور ، فاكتفى بـذكر الثـاني عن ذكر الأول ... » . وكـذا وقـع « وأبي » في شرح أبيـات سيبـويـه المنسـوب لأبي جعفر النحـاس ص ٣٤ .

وقـال ابن السيرافي معلقـاً على البيت : « وأبي معطـوف على الضمير الـذي هو فـاعل ضمنت ولم يؤكـد حين عطف عليـه ، لأنـه جعـل الـذي بينهما عوضاً من التوكيد » ا هـ . وعلق المحقق عليه بقولـه : « ... قلتُ : ولعله أراد القسم بأبيه ، وقـد عُرِف عنـه اعتزازه الشـديـد بـه ، وبـذلـك نتخلص من عـدم تـوكيـد ضمير (ضمنت) قبـل العطف عليـه ، وجـواب القسم محذوف لتأخر القسم ، كقولك : أنت محق والله » ا هـ .

كـذا قـال المحقق ، وهو تخريج لما لا يحتـاج إلى تخريـج ، وقـولٌ لا يصحّ : أمـا قولـه « لعلـه أراد القسم بـأبيـه ... » فلا يقـوم بـالقسم معنى البيت ، ويكون الضمير في « كان » عائداً إلى « من » ؛ وليس هذا بمراد ، بل الضمير في كان يعود إلى « أبي » .

وأما قوله « وبذلك نتخلص من عدم ... » فهو قولٌ مبنيٌّ على أنّ العطفَ على الضمير في (ضمنت) قبل توكيده غيرُ جيد إن لم يكن أراد الضرورة . ولو رَجَع المحقق بصره فيما قاله ابن السيرافي في تعليل هذا لما قال ما قال ؛ فقد قال ابن السيرافي : « ... ولم يؤكد الضمير حين عطف عليه لأنه جعل الذي بينهما عوضاً من التوكيد » اهـ . وهذا قول معروف . وفي القرآن الكريم : ﴿ جنات عدن يدخلونها ومَنْ صلح من آبائهم ﴾ [الرعد : ٢٥] و ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

١٤ ـ ١ / ٢٣٠ س٨ « ومن الخضرةِ [بمعنى] السوادِ قول اللهبي ... » اهـ . ما بين حاصرتين زاده المحقق وقال : « زيادة تقتضيها العبارة » اهـ .

والعبارة لا تقتضي هذه الزيادة ، ومثلها دائر في كلام اللغويين .

١٥ ـ ١ / ٢٣٨ ـ ٢٤١ نقل البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب ٣ / ٢٧٣ ـ ٢٧٥ الكلام على بيت الأعور الشني :

فليس بآتيك منهيُّها ولا قاصر عنك مأمورها

عن ابن خلف وهو كلام ابن السيرافي بنصه باختلاف يسير . وقد وقع في كلام ابن السيرافي كما أثبته المحقق تصحيف وتحريف ونحوهما . وفيما يأتي تصحيح ما وقع فيه :

● ١ / ٢٣٨ ح٢ قال المحقق معلقاً على بيت الأعور الشني : « ... وأجاز الفارقي ـ كغيره ـ في (قاصر) الوجوه الثلاثة إلا أنه أعرب (قاصر) في حالة الرفع مبتدأ و (مأمور) فاعلاً سدّمسدّ الخبر » اهـ .

قلت : وأجاز الفارقي الوجه الآخر في حالة الرفع وهو أن يكون « مأمورها » مبتدأ و « قاصر » الخبر ، والوجه الأول عنده أجود . انظر الإفصاح ٢١٥ ـ ٢١٦ .

● ١ / ٢٣٩ س١١ « قد أخبرت على أمة الله ... » ا هـ . صوابه : « أخبرت عن أمة الله » ، وما أثبته المحقق تحريف .

● ١ / ٢٤٠ س٧ « ثم أتى بالبيت وهو في ضمير الظاهر ، ونظيرُ المسألة ... » ا هـ .

وهو كلام مضطرب لا معنى له لم يتنبه عليه المحقق . والصواب : « ثم أتى بالبيت ، وهو في الظاهر نظيرُ المسألة » . وجاء على الصواب في شرح أبيات المغني .

● ١ / ٢٤١ س١ « وجعل اللفظ بنهيها كاللفظ بالمأمور .. »ا هـ والصواب : « كاللفظ بالأمور » . وجاء على الصواب في شرح أبيات المغني .

● ١ / ٢٤١ س١ ـ ٣ « وكأنه حين قال : فليس بآتيك منهيُّها ، قد قال : تأتيك الأمور ، ولو قال : ليس بآتيتك الأمور لجاز ... » ا هـ كذا أثبت المحقق هذه العبارة ، وفيها سقط وتحريف ، والصواب : « ... قد قال : ليس بآتيتك الأمور ، ولو قال : ليس بآتيتك الأمور ... » . انظر شرح أبيات المغني ٣ / ٢٧٥ ، والإفصاح ٢١٧ .

١٦ ـ ١ / ٢٤٢ ح٢ أحال المحقق على القاموس (الحزم) . والصواب أن يحيل على (ح ر م) .

١٧ ـ ١ / ٢٤٦ س١ بيت عامر بن الطفيل :

قـالـوا لهـا إنـا طردنـا خيلـه قَلَـحَ الكـلاب وكنت غير مطرّد

كـذا ضبطـه المحقق ، والصواب « قُلْحَ » جمع أَقْلَح من القَلَح وهـو صفرة تعلو الأسنـان . وانظر ديوان عـامر ص ٥٥ ، وشرح الأنبـاري على المفضليات ص ٧١٢ . ومثله قول عامر أيضاً [ديوانه ص ١٥] :

أفرحت أن غـدر الـزمـان بفـارس قُلْـحَ الكـلاب وكنت غير مغلَّبِ

جـاء في شرحـه : « نصب قُلْح على السبّ والشتم ويجوز أن يكـون نـداء مضافاً » . ورأى ابن السيرافي أنه منصوب بـإضمار فعل على السبّ ، ورأى الضبي أنه أراد يا قلح الكلاب . انظر شرح أبيـات سيبويـه ، والأنبـاري على المفضليات .

١٨ ـ ١ / ٢٧٤ س١ ـ ٩ قوله « وفي شعره ... الـذي يكون فيـه الردف » نقلـه البغـــدادي في شرح أبيـــات مغني اللبيب ١ / ١٧١ ـ ١٧٢ عن ابن خلف ، وهو كلام ابن السيرافي باختلاف يسير .

١٩ ـ ١ / ٢٧٤ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت أوس :

تـواهـق رجـلاهـا يـداهـا ورأسـه لهـــا قتب خلف الحقيبـــة رادف

« ... والشاهد فيه أنه رفع (يداهـا) ولم يجعلها مفعولتين لـ (تواهق) . وفي شعره اليدان منصوبتان بـ (تواهق) ، وإنشاده :

تواهق رجلاها يديه » ا هـ

فعلق المحقق على هـذا بقـولـه : « .... قلتُ : والـذي أراه رفـع (يـداه) لأنهما هما اللتان تواهقان رجليهـا والأتـان تسير أمـام العير فنقول : تواهق رجليها يداه » . ا هـ .

وهذا قول مدفوع من وجوه :

الأول : أن ما ذهب إليه المحقق لا تؤيده رواية للبيت . وليس لنا مخالفة الرواية .

الثاني : أن الرواية في شعره ـ فيما قال ابن السيرافي ـ « تواهق رجلاها يديه » ، وانظر ديوان أوس ق ٣٠ / ٥٤ ص ٧٣ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ١ / ١٧١ . والمعنى فيها وفيما ذهب إليه المحقق على مخالفته للرواية واحد .

الثالث : أن ما ذهب إليه المحقق إلى مخالفته لرواية شعره مخالف للرواية التي استشهد بها سيبويه . وليس في رواية شعره ولا فيما ذهب إليه المحقق شاهد .

والأجود عندي ما جاء في روايته « رجلاها يداه » برفعهما ، كما في المخصص ٧ / ١١٣ ، ورسالة الغفران ٣٤١ ـ ٣٤٢ ، واللسان (وهق) . ولم يختر المعري هذه الرواية لانتفاء الضرورة ، وانظر كلام ابن جني في الخصائص ٢ / ٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

٢٠ ـ ١ / ٢٨٨ س٦ ـ ٨ « ... لأنه كان عنده أن جعل بني طهية كثعلبة في الشرف والسؤدد والعزة .

والمعادلة بينهم جهل ، وثعلبة ورياح .... » ا هـ .

كذا وقع ، وقد قطع المحقق العبارة فلا يكاد يظهر لها معنى ، والصواب أن تضبط هكذا : « لأنه كان عنده أنَّ جَعْلَ .... والمعادلةَ بينهم جهل . وثعلبة ورياح ... » .

٢١ ـ ١ / ٣١٨ ـ ٣١٩ قوله « ومهلاً منصوب بإضمار فعل .... وإن ضنوا لم أضن » ا هـ هو بنصه في شرح شواهد شرح الشافية ٤٩٠ عن ابن خلف باختلاف يسير ، وهو نقله عن ابن السيرافي .

٢٢ ـ ١ / ٣٤٣ ح٢ علق المحقق على بيت الشماخ

أواعدتني مالا أحاول نفعه مواعيد عرقوب أخاه بيَتْرَبِ

قال : « عند سيبويه عجز البيت فقط ، بلا نسبة . وهو للشماخ في ملحق ديوانه ص ٤٣٠ أول ثلاثة أبيات سيذكرها الغندجاني في تعقيبه بعد قليل . وفي رواية الديوان (بيَثْربِ) بالمثلثة . وهو الصواب في بيت الشماخ ، بيد أن لجبيهاء الأشجعي بيتاً شبيهاً به قافيته (بيترب) ... » اهـ ثم ساق ما عقب به الغندجاني في فرحة الأديب وأنشد أبيات الشماخ الثلاثة .

وفيما قال الدكتور المحقق نظر . فلا حجة في ملحق ديوان الشماخ ؛ لأن محققه إنما ألحق أبيات الشماخ الثلاثة عن الغندجاني نفسه في فرحة الأديب ٨٣ ، انظر ديوان الشماخ ص ٤٣٠ .

وأما الجزم بأن الصواب في بيت الشماخ « بيثرب » ـ وهو قول الغندجاني ـ فلا دليل عليه . فهذا ابن السيرافي يرويه « بيترب » بالتاء ، وكذا رواه ابن يعيش في شرح المفصل ١ / ١١٣ . ورواه « بيثرب » أبو زيد فيما نقل عنه صاحب الأغاني ١٥ / ١٥١ (ط . بولاق) ووقع في طبعة دار الكتب ١٧ / ٩١ « بيترب » وهو ههنا تصحيف .

ورواه « بيترب » في بيت الأشجعي أبو عبيدة فيما حكاه ابن دريد في الجمهرة ١ / ١٢٤ ، وياقوت في معجم البلدان (يترب) ٥ / ٤٢٩ وقال : « فهكذا أجمعوا على روايته بالتاء المثناة » وعنه في الخزانة ١ / ٢٧ ، وابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ / ١٤٧ والمعارف ٢٦٥ ، ونص على أنه هكذا قرأه في كتاب سيبويه على البصريين ، فصدّق رواية ابن السيرافي ، وسيبويه أنشد عجز البيت ، فاختلفا في إنشاد صدره ، وهو على رواية

ابن قتيبـة للأشجعي وعلى روايـة ابن السيرافي للشماخ . ورواه « بيترب » أيضاً صـاحبـا الصحـاح واللسـان (ترب ، عرقب) ، والتبريزي في شرح قصيـدة كعب ١٧ ، وابن يعيش ١ / ١١٣ (وأنشـد بيت الشماخ أيضـاً) ، وابن مكي الصقلي في تثقيف اللســان ٥٧ . وروى « بيثرب » في الـدرة الفاخرة ١ / ١٧٧ ، وأمثال أبي عبيد ٨٧ ، ووهم الميـداني فيما نقلـه عنـه في مجمعه ٢ / ٣١١ .

ولعل فيما قال ابن دريد توجيهاً لاختلافهم في الرواية ، فإنـه قـال : « ... فمن قال إنه [يعني عرقوباً] من الأوس قال بيَثْرِب ، ومن قال إنـه من العماليق قـال بيَتْرَب ، لأن بلاد العماليـق كانت بـاليمامـة إلى وبـار مما قرب منهـا ويترب هنـاك وقـد كانت العماليـق أيضـاً بـالمدينـة » الجمهرة ١ / ١٢٥ .

٢٣ ـ ١ / ٣٦٧ قـول ابن السيرافي س ١ ـ ٤ : « الشـاهـد .... المتقـدمـة » نقله ابن خلف بتصرف . انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٧ / ١٠٢ .

٢٤ ـ ١ / ٣٩١ س ١٢ قال الشاعر :

اعتـاد قلبُـك من سلمى عـوائـدَه وهـاج أهـواءكَ المكنـونـة الطلـلُ

كذا ضبطه المحقق برفع « قلبك » ونصب « عوائـده » . والصواب : اعتـاد قلبَك من سلمى عوائدُه ، بنصب قلبك ورفع عوائده .

٢٥ـ ١ / ٣٩٢ قول ابن السيرافي س ٤ ـ ١٣ : « وهو مـا يعوده .... الـذي يبـل وينـدي » نقلـه عنــه ابن خلف . انظر شرح أبيــات مغني اللبيب ٧ / ٢٦٧ .

٢٦ ـ ١ / ٤١٧ بيتا أبي نخيلة :

بريّـــــة لم تـــــأكل المرققـــــا

ولم تـــذق من البقـــول الفستقـــا

هما في الشعر والشعراء ٦٠٢ ، والمعرب ٢٨٦ ، والوساطة ١٥ ، والتنبيهات ١٨٥ ، والمقاصد النحوية ٣ / ٢٧٦ ـ ٢٧٧ .

٢٧ ـ ١ / ٤٢٠ علق المحقق على قول الشاعر :

أستغفر الله ذنبـاً لستُ محصيـه ربَّ العبـاد إليـه الوجـهُ والعمـلُ

قال : « لم يعرف قائله ، غير أن لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه (الدجيلي ص ٢١٨) بيتاً يشبهه وهو قوله :

نبئت أن زيـاداً ظـل يشتمني والقول يكتب عند الله والعملُ »

اهـ .

ولم يظهر لي مراد المحقق من إيراد هذا البيت . والبيتان ـ وإن اشتركا في القافية وهي « والعمل » ـ لايجمع بينهما معنى .

والبيت الشاهد قال عنه البغدادي في الخزانة ١ / ٤٨٦ إنه من الخمسين التي لم يعرف قائلوها ، وهو في الخصائص ٣ / ٢٤٧ ، والمقاصد النحويـة ٣ / ٢٢٦ ، وابن يعيش ٧ / ٦٣ و ٨ / ٥١ ، وأدب الكاتب ٥٢٣ ـ ٥٢٤ ، والاقتضاب ٤٦٠ .

٢٨ ـ ١ / ٦٠٤ س ٧ ـ ٨ بيتا قُرّان الأسدي :

أزوارَ ليلى يـالبرثنَ منكم أدلّ وأمضى من سليـك المقـانب

تـزورونهـا ولا أزور نسـاءكم ألهفَى لأولاد النسـاء الحـواطب

والصواب في الأول : « لَـزُوّارُ ليلى » وما أثبته المحقق خطأ . ورواية الكتاب « لَخُطّابُ ليلى » . وأما قوله في البيت الثاني « لأولاد النساء الحواطب » فهو تغيير من النساخ لم يتنبه عليه المحقق ، والصواب : « لأولاد الإماء الحواطب » ويشهد له قول المؤلف نفسه عقب إنشادهما :

« والإماء الحواطب : اللاتي يخرجن لالتماس الحطب ... » .

وقال المحقق معلقاً على البيتين ح ٢ : « أورد سيبويه البيت الأول ونسبه إلى فرار الأسدي وهو تصحيف ، والشعر لقران (بالقاف والنون) في ... واللسان (سلك) ... وادعى صاحب اللسان في (برثن) أن سيبويه نسب البيت إلى قيس بن الملوح » ا هـ .

وقد أسلفت (في التعليق / الثالث) أن نسبة عامة الشواهد في الكتاب ليست من سيبويه نفسه . وقد وردت نسبة هذا البيت في كلتا مطبوعتي الكتاب ١ / ٣١٩ (بولاق) و ٢ / ٢١٧ (هارون) بين حاصرتين ، ولاريب أنها وقعت في حواشي بعض النسخ فأثبتها ناشر المطبوعة الأوربية ثم ناشر مطبوعة بولاق والأستاذ عبد السلام هارون ، وجعلوها بين حاصرتين إلماعاً إلى أنها ليست ثابتة في النسخ جميعاً وأنها ليست من كلام سيبويه ؛ وعبارة النسبة ذاتها تدفع أن تكون من كلام سيبويه ، قال سيبويه : « ... وأما في التعجب فقوله [وهو فرار الأسدي] : لخطاب ليلى .... البيت» ا هـ .

ثم إنه اتهم صاحب اللسان بالادعاء على سيبويه بأنه نسب البيت إلى قيس بن الملوح . وهذا قول لا يقوله من يعرف طبيعة اللسان وأن صاحبه بناه على أصول اعتمدها ونقل منها . فابن منظور لم يدّع بل نقل عمن عزا نسبة البيت إلى قيس إلى كتاب سيبويه ، وهو وهم ممن نقل عنه ابن منظور ، ولا يقال في هذا إنه « ادعى » .

وفي الحاشية (٣) خرج المحقق بيت قران « لزوار ليلى .. » من معاني القرآن للفراء ٢ / ٤٢١ وليس البيت فيه بل الذي فيه بيته الثاني « تزورونها » وروايته « ألهف » .

٢٩ ـ ١ / ٦٠٤ س ٢ قال ابن السيرافي : « كان قران عرقب امرأته ـ وهي ليلى بنت الشمردل .. » ا هـ .

قوله « عرقب امرأته » أي قطع عرقوبها . وقوله « وهي ليلى بنت الشمردل » الذي في المحبر ٢١٤ أن الشمردل خالها ، وساق ابن حبيب خبر قران ص ٢١٣ ـ ٢١٨

للبحث صلة

كتاب الخراج

لأبي يوسف

مأمون الصاغرجي

يحتلُّ كتــــاب الخراج لأبي يــوسف يعقــوب بن إبراهيم (١١٣ ـ ١٨٢ هـ) صاحب أبي حنيفـة مكانـةً فريـدة في هـذا البـاب من أبـواب الفقــه ، فهـو من أوائـل الكتب التي أُلِّفت في هــذا الفن ، وقــد اضطلع بتأليفه عالم كبير بلغ الغاية في علمه .

طبع الكتاب لأول مرة (بتصحيح محمد الحسيني) بـالمطبعـة الميريـة ببولاق مصر المحمية سنة ١٣٠٢ هـ (صفحات المتن : ١٣٤ + فهرس كتـاب الخراج ، ص ١٣٦) ، وبهامشه الكتـاب المسمى بـالجـامع الصغير في الفقـه للإمام محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة .

وتحدث الأستاذ يوسف اليان سركيس عن هـذه الطبعـة ، وذكر أن السيد (الموسيو) فانيان قد ترجمـه إلى الفرنسيـة وطبع في بـاريس ١٩٢١ (معجم المطبوعات العربية والمعربة ١ : ٤٨٩) .

ثم طبع الكتاب ثانية بالمطبعة السلفيـة (القـاهرة ١٣٤٦ هـ) محققـاً على نسخة مخطوطةٍ في الخزانة التيمورية رقم ٩٧٤ فقه ، ومعـارضـاً بطبعـة بولاق المذكورة آنفاً (صفحات المتن : ٢٥٧ + الفهـارس : ٢٥٨ ـ ٣٠٤) ، وقُدِّر لهذه الطبعة السلفية المجوَّدة الذيوعُ والرواج ، فأعيـد طبعهـا غيرمـا مرة ، وقد أصدر طبعتها الخامسة (القـاهرة ١٣٩٦ هـ) قصي محب الـدين

الخطيب (صفحات المتن : ٢٣٥ + الفهارس : ٢٣٦ ـ ٢٦٠) . ويذكر الدكتور إحسان عباس أن لها طبعة سادسة ظهرت في سنة ١٣٩٧ هـ (كتاب الخراج ـ بيروت ١٩٨٥ م ص ٧) . أما الأستاذ عبد الجبار عبد الرحمن فقد عدّد لكتاب الخراج ثلاث طبعات : طبعة بولاق وطبعتي السلفية الأولى والثالثة (التراث العربي الإسلامي ١ : ٣١٩) .

ثم صدرت عن دار المعرفة ببيروت موسوعة الخراج (بيروت ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م) وتتضمن تصويراً لكتب ثلاثة في الخراج : كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الخراج ليحي بن آدم القرشي ، والاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي .

وقد توجت هذه الطبعات كلَّها طبعةُ الخراج لأبي يوسف التي أصدرها بنك الكويت الصناعي بتحقيق الأستاذ الكبير الدكتور إحسان عباس (بيروت ١٩٨٥ م) ، وتقع في نحو ٥٠٠ صفحة (مقدمة : ص ٥ ـ ٦٦ + المتن : ٦٧ ـ ٤١٦ + مستدركات : ٤١٧ ـ ٤٢٥ + فهارس : ٤٢٧ ـ ٤٩٩) .

اعتمد الدكتور إحسان عباس في تحقيقه مخطوطةَ نسخةِ المتحف البريطاني ، واستعان بطبعتي الكتاب البولاقية والسلفية ، وضمّ إليهما الإفادة من كتاب (فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج) لعبد العزيز الرحبي الحنفي . ورأى في المصادر الفقهية والحديثية معيناً لاينضب ، استمدّ منه في تصحيح النص وتخريج الأحاديث وضبط أسماء المحدّثين . وقدّم الدكتور عباس للكتاب بمقدمة جيدة تحدث فيها عن الإمام أبي يوسف وعن كتاب الخراج حديثاً فيه الابتكار والجدة .

ويبدو أن الأستاذ لم يبلغ كل ماكان يطمح إليه في تحقيق كتاب الخراج ، ويتجلى ذلك في الثبَت الذي سرد فيه (ص ١١ ـ ١٢) نسخ كتاب الخراج المخطوطة التي اطلع عليها في مكتبات استانبول فبلغت خمس عشرة نسخة ، كان يتلهف للحصول على اثنتين أو ثلاث أو أربع من نسخها الجيدة ليستوفي في تحقيق الكتاب غايته المثلى ، فلم يمكّنوه من ذلك .

وكانت طبعة السلفية قد أفردت فهرساً خاصاً بشيوخ المؤلف أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم ، وإنه لأمر هام أن يطلع القارئ أو الدارس على شيوخ المؤلف الذين روى عنهم واستمد منهم في كتابه . وكنا نتمنى ألاّ يُخلي الدكتور إحسان عباس كتابه من مثل هذا الفهرس أو مايحل محله ، كأن يصطنع إشارة خاصة بشيوخ المؤلف في فهرس الأعلام تدل الباحث المتتبع الذي يريد استخراج شيوخ المؤلف وتتبع رواياته عنهم .

لقد قدمت الطبعة الجديدة كتاب الخراج في حلة قشيبة : وطّأت النصوص للدارس ، وذلّلت له كثيراً من الصعاب ، وقسمت الكتاب إلى فقر تحمل أرقاماً متسلسلة (بلغ عددها ٣٩٣ فقرة) . أما استشهادات أبي يوسف فكان لها أرقام مستقلة .

لانملك إلا أن نقدر هذا الجهد الكبير الذي قام به الدكتور إحسان عباس ، يضمه إلى جليل أعماله التي تتصف بالدقة والغزارة والتنوع ، وتنبئ عما يتحلى به صاحبها من عمق الفكر وواسع المعرفة .

الميكرو إلكترونيات

تلقت خزانة المجمع حديثاً كتاب « الميكرو إلكترونيات - إلكترونيات الدقة ـ الدارات والأنظمة الرقمية والتشابهية » تأليف يعقوب ميلمان ، نقله من الفرنسية إلى العربية الأستاذ المهندس وجيه السمان عضو مجمع اللغة العربية بدمشق . صدر عن وزارة التعليم العالي (١٩٨٤ م) .

قال الأستاذ المترجم في مقدمته : « أقدم إلى الأساتذة والطلاب المهتمين بالعلوم الإلكترونية هذا الكتاب المعروف الذي يبحث في القوانين العامة التي تحكم الظواهر والأجهزة الالكترونية ، ويهتم بوصف هذه الأجهزة وبمميزاتها وكيفية تشغيلها ، وبطرق وصفها وباستعمالاتها وتطبيقاتها المختلفة . لقد أقدمت على ترجمة هذا الكتاب رغبة في الفائدة منه بعد أن كثرت الشكوى من قلة المراجع العربية لعلوم الإلكترونيات ... إن التأليف والترجمة العربية في نطاق هذا العلم لايزالان من الندرة والقلة بحيث يرى المترجم نفسه كالروّاد ، فالطريق مقفرة موحشة ، وليس ثمة مصطلحات متفق عليها . أضف إلى ذلك أن علم الكترونيات أنصاف النواقل علم حديث جداً ولد في أواخر الأربعينات ونشأ في أوائل الخمسينات من هذا القرن ... ولكن فتوحاته واسعة مذهلة ، وخطوات تقدمه سريعة لايلحق بها الركب إلا بصعوبة بالغة » .

يقع الكتاب في مجلدين ضخمين ، وقد كان مؤلفه جعله في ثلاثة أجزاء ، اهتم جزؤه الأول (وفيه أربعة فصول) ، بالميزات العائدة إلى الأجهزة الحاوية على أنصاف النواقل ، وهو موجه للطلاب الذين لم تسبق لهم دراسة تمهيدية للالكترونيات ؛ وجزؤه الثاني فيه خمسة فصول (٥ ـ ٩) يرود ويستكشف الدارات الرقمية والأنظمة . أما الجزء الثالث وفيه تسعة فصول (١٠ ـ ١٨) فيركز على الدارات والأنظمة الشبيهة (التماثلية) .

إن ترجمة هذا الكتاب تعد لبنة جديدة في بناء التقدم العلمي العربي .

مطبوعات

مجمع اللغة العربية لعام ١٩٨٤

محمد مطيع الحافظ

تاريخ مدينة دمشق - تأليف الحافظ علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر. (السيرة النبوية) - القسم الأول - تحقيق السيدة نشاط غزاوي - صنعت فهارسه الآنسة غزوة بدير - ٤٧٦ صفحة.

هذا القسم يشمل الأبواب التالية:

١ - ذكر قدوم رسول الله ﷺ بصرى، ومعرفة وصوله إليها مرة أخرى وعوده إليها مرة أخرى.

٢ - معرفة أسمائه وأنه خاتم رسل الله وأنبيائه.

٣ - باب ذكر معرفة كنيته ونهيه أن يجمع بينها وبين اسمه أحد من أمته.

٤ - ذكر معرفة نسبه وإيراد الخلاف فيه عن العالمين به.

٥ - باب ذكر مولده ومعرفة من كفله، وما كان من أمره قبل أن يوحي الله إليه.

٦ - باب معرفة أمه وجداته وعمومه وعماته.

٧ - باب ذكر بنيه وبناته عليه الصلاة والسلام وأزواجه.

٨ - ذكر مولده وطيب أصله وكرم محتده.

٩ - باب صفة خَلْقِه ومعرفة خُلُقه.

١٠ ـ باب ذكر ماجاء في الكتب من نعته وصفته وما بشرت به الأنبياء أممها من بعثته .

١١ ـ باب إخبار الأخبار بنبوته والرهبان وما يذكر من أمره عن العلماء والكهان .

١٢ ـ باب تطهير قلبه من الغل وإنقاء جوفه بالشق والغسل .

قدمت المحققة لهذا القسم بمقدمة عن الحافظ ابن عساكر : بيئته وحياته . وتحدثت عن مؤلفاته ، فخصت تاريخ دمشق بفضل من القول ثم تحدثت عن بقية مؤلفاته .
ثم عرضت المحققة للأصول التي اعتمدتها في تحقيق السيرة النبوية ، فكان اعتمادها على نسختين : نسخة أحمد الثالث التي تعود كتابتها إلى القرن العاشر تقريباً ، ونسخة المكتبة الظاهرية وهي نسخة سليمان باشا العظم . واستفادت المحققة بعض الشيء من مختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر ، ونظراً لتعدد الرواية عند ابن عساكر كان اعتمادها على مختصر ابن منظور محدوداً .

جعلت المحققة اعتمادها الأول على نسخة أحمد الثالث ورمزت لها بحرف « د » وفي حال وجود سقط اعتمدت نسخة سليمان باشا ورمزت لها بـ « س » .

ونظراً لعدم وجود أصل جيد لهذا الجزء فقد عانت المحققة من وجود تصحيفات وتحريفات وأخطاء وبعض السقط في المخطوطات التي اعتمدتها مما جعلها تعود إلى كثير من المصادر ـ وما أكثرها في السيرة النبوية ـ لإخراج نص سليم واضح ونقل الأخبار بأمانة كما جاءت في الأصول .

واعتمدت في خطتها على مقابلة الأصول وتبيان الفروق مستعينة بالكتب التي أخذ عنها المصنف ، وضبط الشعر وشرح الألفاظ بالاستعانة بمعاجم اللغة وكتب الشعر ، وضبط أسماء الأعلام ، وتخريج الأحاديث ، كما أشارت إلى كثير من موارد المصنف التي اهتدت إليها وكانت عوناً لها في عملها .

تاريخ مدينة دمشق ـ تأليف الحافظ علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر ـ الجزء السابع (أحمد بن عُتبة ـ أحمد بن محمد بن المؤمّل) حققه الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر ـ راجعه الأستاذ مطاع الطرابيشي ـ صنع فهارسه الأستاذ مأمون الصاغرجي . ٤٨٢ صفحة .

وهذا الجزء يبدأ بترجمة أحمد بن عتبة نظراً لعدم توافر أصل مخطوط من تاريخ ابن عساكر للتراجم التي سقطت قبل أحمد بن عتبة . وقد أشار الأستاذ المراجع إلى ذلك في مقدمته صفحة (كد) .

تحدث الأستاذ المحقق في مقدمته عن أهمية تاريخ ابن عساكر في تاريخنا العربي والإسلامي . وطريقته في كتابة التاريخ . ثم بيّن عمله في تحقيق هذا الجزء وكان الاعتماد في التحقيق والمراجعة على نسخة أحمد الثالث ورمزها « د » ونسخة الظاهرية ورمزها « ظ » وهي نسخة سليمان باشا العظم ، على حين رُمز إليها في الأجزاء التي نشرت في حرف العين بـ « س » والنسخة المغربية ورمزها « م » وهي النسخة المحفوظة بخزانة ابن يوسف بمراكش ، ونسخة كامبردج ورمزها « ك » ومختصر ابن منظور لتاريخ ابن عساكر .

وفي التعقيب الذي أورده الاستاذ الطرابيشي المراجع تحدث عن أمور ثلاثة :

١ ـ ثبت لديه أن كل النسخ في هذا الجزء متفرعة من نسخة البرزالي ، واستدل على ذلك بعدة أمور .

٢ ـ ثم تحدث عن مورد كبير من موارد الحافظ ابن عساكر ، هذا المورد هو تاريخ بغداد وتحدث عن النسخة التي اعتمدها الحافظ ابن عساكر في كتابة تاريخه ، وذكر الأستاذ الطرابيشي أن حديثه عن ذلك يعود إلى ورود ترجمة الخطيب البغدادي في هذا الجزء ثم الوفرة الظاهرة في المقتبسات منه ، وأن الترجمات المشتركة بين التاريخين ـ وما أكثرها ـ موجودة بتمامها في تاريخ ابن عساكر .

ويذكر الأستاذ المراجع أن عدد الشيوخ الذين حدّثوا ابن عساكر بكتب الخطيب البغدادي ٢٤ رجلاً منهم ١٣ حدثوه بدمشق و ١٠ حدثوه ببغداد وواحد حدثه بمرو ، وبلغ عدد رواة نسخة ابن عساكر من تاريخ بغداد ـ فيما أحصاه الأستاذ المراجع ـ ثمانية رجال : خمسة منهم دمشقيون وثلاثة بغداديون .

وبرهن أن الحافظ ابن عساكر قد اقتنى نسخة ثانية من تاريخ بغداد ، وأن نسخته ذات قيمة عالية ، تملك من المزايا مالا تملكه نسخة أخرى ، وبذلك أصبحت عَلَماً بين النسخ ، جمعت بين روايات عدة ، كما أنها موثقة ، قرئت على أكثر من شيخ وعورضت بأكثر من أصل .

ثم أشار إلى التلوين في أسانيد ابن عساكر لتاريخ بغداد ، والخلاف بين روايات تاريخ بغداد كما يبدو في تاريخ دمشق .

وتحدث عن ناحية هامة وهي الحديث عن السَقْط والخروم في تاريخ بغداد المطبوع ، وأنه قد يمكن استدراك ذلك من تاريخ ابن عساكر .

٣ ـ تحدث عن عمله في هذا الجزء في تحديد معالمه وذلك من خلال مشكلة التجزئة واعتمد أن للتاريخ تجزئتين : تجزئة المصنف في خمس مئة وسبعين جزءاً ، كل جزء في عشرين ورقة ، وحاصل ذلك ٥٧ مجلدة وهي تجزئة الأصل أو التجزئة الأولى للتاريخ . وتجزئة ابنه القاسم في النسخة المستجدة في ثمان مئة جزء ، كل جزء في خمس عشرة ورقة وحاصل ذلك ٨٠ مجلدة . والفرق بين التجزئتين لايعدو فرق التجليد .

ثم انتهى إلى تحديد هذا الجزء وهو الجزء السابع من التجزئة الثمانينية أو الثانية ، علماً بأن هذه أول محاولة لوضع التاريخ بتمامه في تجزئته التي انتهى إليها أمر الكتاب في تجزئته الأخيرة

وأخيراً تحدث عن عمله في مراجعة هذا الجزء والعمل على ظهور نص سليم وضبطه وتحرير المشكل من عباراته .

تاريخ مدينة دمشق ـ تأليف الحافظ علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر ـ ترجمة (عثمان بن عفان رضي الله عنه) ـ تحقيق الأستاذة سكينة الشهابي ـ ٦٣٠ صفحة .

تقع هذه الترجمة من تاريخ ابن عساكر في مجلدة وثلث مجلدة من المجلدات الثمانين من التاريخ ، عملت المحققة على إخراجه في جزء مستقل وأشارت في مقدمتها إلى أهمية هذه الترجمة ، ففيها الكثير مما يبحث عنه الباحثون ولا يستطيعون الوصول إليه إلا من خلال ابن عساكر ، ولا يعني هذا أن ابن عساكر روى كل شيء فقد كان ابن عساكر محدثاً قبل أن يكون مؤرخاً ، كان صاحب منهج فما كان من الأحاديث متفقاً مع منهجه جال فيه واستقصى الروايات حتى لايترك زيادة لمستزيد . وكان

أيضاً موضوعياً فيا ينقل من أخبار فقد نقل لنا الحافظ كل ماكان لعثمان وما كان عليه .

لقد تحدثت المحققة عن الاستقصاء عند الحافظ ، ولكنه أبعد الروايات المدسوسة في أخبار عثمان بالذات لأنها تسيء إلى التاريخ العربي ، وكان استقصاؤه مساعداً على تنمية النقاط المضيئة في تاريخ أمتنا العربية ، وهي جزء من حرصه على الحقيقة التي تعد من أهم مقومات التاريخ الصحيح .

وفي هذه الترجمة الموضوعات التالية : نسب عثمان ـ وشيء من روايته ـ فضائله ـ صفاته ـ خلافته ـ الفتنة وما أحاط بها من ملابسات ـ نتائج مقتله ـ سنه ومدة خلافته ـ ماقيل من الشعر في مقتله .

وتذكر المحققة أشياء عن اسلوب ابن عساكر فتقول :

« على الرغم من أن الحافظ يروي أخباره بأسانيد متصلة فلا يسمعنا صوته ولكنه يسمعنا ماشاء من الأصوات الناقلة لتلك الأخبار ، فإن أسلوبه هذا لم يضعف مقدرته على بعث الحياة فيا يرويه ، حتى ليحس قارئه أنه لايقرأ عن عثمان الصحابي بل يخيل إليه أنه يشاهد الأحداث ويسمع أصوات الصحابة ... »

اعتمدت المحققة في إخراج هذه الترجمة على :

١ ـ النسخة الأم « صل » وهي النسخة التي بخط القاسم ، ابن المصنف ـ ومن خلال التعريف بهذه النسخة أشارت إلى عمل القاسم في تبييض نسخة التاريخ وقراءته على والده والملحقات والاستدراكات التي تحفل بها هذه النسخة .

٢ ـ نسخة زكي الدين البرزالي « ب » التي سمعها على أبي نصر بن

الشيرازي وعارضها بنسخة القاسم سنة ٦١٩ هـ ، ومن بعض الدلائل تشير المحققة إلى أن البرزالي كان ينقل من النسخة الثانية التي كتبها القاسم والتي هي في ٨٠ مجلدة .

٣ ـ نسخة أحمد الثالث « د » وهي نسخة حديثة فيها كثير من السقط والتحريف .

٤ ـ نسختي الظاهرية : « س » وهي نسخة سليمان باشا العظم و « ع » وهي نسخة أسعد باشا العظم وهما نسختان سقيمتان تموران بالتصحيف والتحريف .

وقد جهدت المحققة في تقديم نص سليم محقق أقرب مايكون إلى الصحة والسلامة كما أراد له الحافظ ابن عساكر . وأوضحت خطتها في معارضة الأصول وذكر الفروق ، وضبط النص والأسماء والاشارة الى الأسماء المحرفة في نسخة البرزالي ، وتفسير الألفاظ الغريبة ، وذكرت بعض الموارد التي استطاعت معرفتها في الهوامش وأثبتت الخلاف بين أصل التاريخ وتلك الموارد . وعملت على تخريج الأشعار بالمقدار الذي ساعدتها فيه المصادر المتوافرة .

ـ نوح العندليب (ديوان شاعر الشام شفيق جبري) ـ شرحه وأشرف على طباعته الأستاذ قدري الحكيم ـ قدم له الدكتور شكري فيصل ـ ٤٦٨ صفحة[١] .

ـ الشاعر شفيق جبري عضو في مجمع اللغة العربية بدمشق ، ولد بدمشق سنة ١٨٩٨ م (أو ١٨٩٧ م) ، بدأ الشعر بين سنتي ١٩١٧ و

(١) نشر الأستاذ خالد قوطرش حديثاً تناول فيه ديوان نوح العندليب ، فأفاض وأفاد وأمتع (الثقافة الاسبوعية ـ دمشق ، الأعداد : ٤١ ـ ٤٣ / تشرين الأول ـ تشرين الثاني ١٩٨٤ م) . وانظر مقال الدكتور عمر الدقاق في كتابه : صناع الأدب (دمشق ١٩٨٣ م) : ١٣٥ ـ ١٦١

١٩١٨ م ، وفي عهد الحكومة العربية بدمشق تقلد عملاً في دائرة المراقبة ثم في دائرة المطبوعات ، ثم أميناً للسر في وزارة الخارجية . وفي سنة ١٩٢٠ عين رئيساً لديوان وزارة المعارف ، وفي سنة ١٩٢٦ انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي ، وفي سنة ١٩٢٩ عين وكيلاً لمدير مدرسة الآداب العليا في الجامعة السورية وأستاذاً فيها . وعين عميداً لكلية الآداب في الجامعة السورية في سنة ١٩٤٧ وأعيد انتخابه أربع مرات وفي سنة ١٩٥٨ تقاعد عن العمل . وفي سنة ١٩٧٩ قال آخر قصيدة ثم توفاه الله سنة ١٩٨٠ م .

ـ آثاره كثيرة منها : المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس ، الجاحظ ، دراسة الاغاني ، محاضرات عن محمد كرد علي ، أنا والشعر ، أنا والنثر . وله جبار القرن التاسع عشر أحمد فارس الشدياق ـ وهو دراسة قيمة لم يقدر لها ان تطبع بعد .

عرفت دمشق بعيد رحيل العثمانيين عنها أربعة من الشعراء نظراء متكافئين هم خير الدين الزركلي وشفيق جبري وخليل مردم بك ومحمد البزم ، كانوا طبقة واحدة ... نشؤوا في رحاب دمشق وترعرعوا في جنباتها وأشربوا حب أرضها وسمائها وامتلأت قلوبهم إيماناً بعروبتهم واعتزازاً فتغنوا في أشعارهم آمال الأمة العربية ومطامحها ، ونددوا بالقوى الاستعمارية الظالمة التي عاثت في الأرض فساداً ، وأذاقت الجماهير العربية المناضلة في سبيل الحرية والوحدة مرَّ العذاب .

لقد أقر مجلس المجمع طبع ديوان (نوح العندليب) تكريماً للفقيد الراحل وتنويهاً بمنزلته ومكانته ، ووفاء لذكرى الشاعر الكبير الذي تغنى أفراح الأمة وأشاد ببطولاتها .

ولقد تحدث الدكتور شكري فيصل في فاتحة الديوان عن الشاعر وشعره : ففي تسمية الديوان ذكر عدة أسئلة ، لماذا اختار الشاعر هذا العنوان (نوح العندليب) فذكر أن نغمة يائسة أو يغطيها اليأس تظل تصاحب القارئ وهو ينتقل من قصيدة إلى أخرى ، ولكن الذين عاشوا إلى جانب الشاعر يجدون أنفسهم في موقف آخر ، ذلك أن الحياة الخاصة للشاعر لم تكن مطبوعة بهذا الحزن وإنما كانت حياة ، يضحك فيها السن ويغلب عليها حب النادرة البارعة . ثم يتساءل الدكتور فيصل : هل الشاعر هو الإنسان الضاحك أم هو الشاعر الحزين ؟ ويجيب بأنه ليس من اليسير أن يصل الإنسان من ذلك إلى رأي قاطع .

ولعل العزلة التي عاشها الشاعر في مطلع شبابه حملته على شيء من الكآبة وفرضت عليه أنواعاً من التأمل ، وهناك عامل آخر ساعد على إشاعة الكآبة في روح الشاعر ، كان تياراً طارئاً على الشعر العربي ، وفد عليه وخالطه بتأثير النزعة الرومانتيكية التي سيطرت على مجموعة الشعراء الرومانتيكيين في الوطن العربي ، ولكن هذه الظاهرة لم تنتقل إلى الوطن العربي مذهباً واضحاً محدداً . بل انتقل إلينا منها الشعور بالحزن ، وحب العزلة ، وقد شاع ذلك في شعرنا في المهاجر وفي مصر وعند بعض شعراء من الشام وكان الشاعر جبري واحداً منهم .

لقد كان الشاعر مشدوداً إلى تراثنا الأدبي العربي فكان منه يستقي ، لذلك لم تستطع هذه النزعات أن تستبد به . ونستطيع أن نقول مطمئنين إن مظاهر الرومانتيكية في الأدب الغربي لم يكن لها وجودها المتحيز في شعرائنا : جبري وزملائه .

فلم يكن « جبري » مثلاً هذا الرومانتيكي الحالم ، كان فيه شيء من

الرومانتيكية ، ولكن كان فيه من النظر العقلي وتمجيد العقل وإيثار الفكر ومعالجة الواقع واصطناع الحكمة بقدر مافيه من شرود الرومانتيكية أو غلبتها . كان الإنسان العربي السوي الذي صنعته الثقافة والحضارة الإسلامية إنساناً متكاملاً .

وما من شك في أن معرفة « جبري » بالفرنسية وقراءاته فيها مكنت له من أن يقع على بعض الجديد في الفكرة والأداء . ولكنه لم يخرج في شعره عن عمود الشعر العربي ، كان التراث التليد أقوى من الطارئ الطريف .

ثم تحدث الدكتور فيصل بتفصيل في القسم الثاني من مقدمته عن الشاعر جبري وحديثه عن شعره ، وبين أهمية كتابي الشاعر « أنا والشعر » و « أنا والنثر » ، ثم تحدث عن المراحل في شعر الشاعر : مرحلة البواكير وفيها الاحتذاء والمعارضة التقليدية ، ومرحلة التجارب وهي التخلي عن المعارضة التقليدية والاتجاه نحو نوع من المعارضة جديد ؟ ثم مرحلة النضج نحو بناء جديد للقصيدة عند جبري ـ وحدة القصيدة ـ مفهوم وحدة القصيدة عند جبري وعند النقاد والمحدثين وفي التراث ، ثم تحدث عن تحرك الشاعر نحو التجديد سواء في التطلع والصراع أم في الاستلهام أم في الأفكار والصياغة ، والاستعارة من القديم .

وأشار إلى مظاهر التجديد في شعره الوطني : بين الوطن والمرأة والطبيعة ومفهوم الوطن والقومية في شعر جبري .

سفر السعادة وسفير الإفادة ـ تأليف أبي الحسن علي بن محمد السخاوي المتوفى سنة ٦٤٣ هـ الجزء الثاني ـ تحقيق الأستاذ محمد أحمد الدالي ـ قدم

للكتاب الدكتور شاكر الفحام ـ ٥٤٢ صفحة

السخاوي كما وصفه الذهبي عالم متقن للغة مع براعة في التفسير وإحكام لضروب الأدب وفصاحة في الشعر وطول باع في النثر ، مع كثرة التصانيف .

وكتابه سفر السعادة شرح فيه معاني الأمثلة ومبانيها المشكلة وأودع فيه مااستخرجه من ذخائر القدماء وتناظر العلماء وختمه بالنظم الذي اتفق لفظه واختلف معناه .

وقد استقل الجزء الأول من الكتاب ـ الذي طبع ضمن مطبوعات المجمع عام ١٩٨٣ م ـ بالأبنية وقد جعله في ثمانية وعشرين باباً ، وبلغ عدد الأبنية في الأبواب نيفاً وثلاثين مثالاً وثمان مئة مثال . وذكر محقق الكتاب أنه لم يعرف أحداً فيما وقف عليه من كتب القوم تقدم المؤلف إلى هذا الترتيب . وقد حفظ لنا المؤلف في هذا الكتاب مافسره الجرمي من أبنية سيبويه .

أما الجزء الثاني فقد اشتمل على عدة فنون وهي :

١ ـ مجالس العلماء والمسائل التي جرت بينهم .
٢ ـ النحو والصرف : نقل فيها المؤلف كلاماً لشيخه الكندي في توابع الأسماء ، ونقل مسائل عن ابن بري ، وذكر طرفاً من أحكام المبنيات .
٣ ـ علم القوافي : تكلم على حروف القافية وحركاتها وعيوبها .
٤ ـ معاني الشعر : ذكر طرفاً من أبيات المعاني ، ومنها الأبيات المشكلة الإعراب .
٥ ـ ختم الكتاب بقصيدة له فيما اتفق لفظه واختلف معناه ، عدة أبياتها ٣٤٣ بيتاً .

سفر السعادة وسفير الافادة ـ تأليف أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ـ المتوفى سنة ٦٤٣ هـ الجزء الثالث (الفهارس) ـ تحقيق الأستاذ محمد أحمد الدالي ـ ٢٥٤ صفحة .

يضم هذا الجزء فهارس للجزأين الأول والثاني وهي فهرس شواهد القرآن ، والأحاديث ، والأمثال ، والأشعار ، فهرس الأبنية الواردة في الجزء الأول مرتبة على الحروف ، فهرس ماااتفق لفظه واختلف معناه الوارد في « ذات الحلل » مرتباً بحسب لفظه غير مراعى فيه اعتبار الأصل ، فهرس اللغة ، فهرس مسائل العربية : النحو والصرف والعروض ، فهرس النماذج النحوية ، فهرس الشوارد ، والأمكنة ، والأعلام وأخيراً فهرس مراجع التحقيق ومصادره .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية علوم القرآن الكريم : المصاحف ـ التجويد ـ القراءات الجزء الأول ـ وضعه الأستاذ صلاح محمد الخيمي ـ ٥٤٤ صفحة .

سبق أن أصدر المجمع عام ١٩٦٣ فهرس مخطوطات علوم القرآن لدار الكتب الظاهرية الذي وضعه الدكتور عزة حسن ، وقد نفدت نسخه منذ فترة طويلة ، ووردت إلى المكتبة مخطوطات كثيرة كما أنه قد فات الدكتور عزة حسن مخطوطات لم يفهرسها ، لذا كان من الضروري العمل على فهرسة جديدة لمخطوطات علوم القرآن كافة . وهذا ماقام به الأستاذ الخيمي في فهرسه الجديد ، وقد اتبع في هذه الفهرسة الطريقة التي تعطي الباحث فكرة كاملة عن المخطوط ، فذكر فاتحته وخاتمته ووصفاً كاملاً للمخطوط يتضمن معلومات عن تاريخ نسخه واسم ناسخه ونوع الخط والحبر ، وعدد الأوراق وقياسها ، وعدد الأسطر ، وذكر بعض المصادر

التي تحدثت عن المؤلف أو الكتاب .

ورغبة من الأستاذ الخيمي في الإشارة إلى المخطوطات التي ذكرها الدكتور عزة حسن في فهرسه فقد وضع نجماً صغيراً بجانب كل كتاب ورد ذكره في الفهرس السابق .

قسم الأستاذ الخيمي فهرسه إلى ثلاثة أجزاء

الجزء الأول ويحوي المصاحف ـ كتب التجويد ـ كتب القراءات . تم طبع هذا الجزء في نهاية عام ١٩٨٣ م

أما الجزء الثاني فهو في علوم القرآن العامة : أحكامه ، أسباب نزوله ، إعرابه ، تقسيماته : أرباعه ، أحزابه ، أنصافه . رسمه ، آياته وعددها ، غريبه ، ناسخه ومنسوخه ، آداب حملته ...

صدر هذا الجزء عام ١٩٨٤ م وهو في ٤٢٦ صفحة

أما الجزء الثالث فهو في علم التفسير وهو في ٥٢٨ صفحة

وقد صنع الأستاذ الخيمي لكل جزء من فهرسه فهارس بأسماء الكتب ، وأسماء المؤلفين ومؤلفاتهم ، والأعلام والنساخ وقيود التملك ، وفهرس الأماكن ، وقيود المطالعة والقراءات والاجازات .

فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ « المجاميع » القسم الأول ـ وضعه الأستاذ ياسين محمد السواس ـ ٥٤٤ صفحة

تملك دار الكتب الظاهرية نحواً من اثني عشر ألف مخطوط جمعتها من جهات متعددة ، وأهم هذه المخطوطات تلك التي تضم رسائل عدة يصل مايضمه الواحد منها إلى أربعين أو خمسين بين كتاب ورسالة ، وقد يقل هذا ليصبح العدد كتابين فقط ، وهذا النوع من المخطوطات تعورف عليه باسم المجاميع .

وتجدر الإشارة إلى أن أهم هذه المجاميع هي مجاميع المكتبة العمرية التي كان كثير منها بخطوط مؤلفيها أنفسهم من مثل الضياء المقدسي وعبد الغني المقدسي والموفق المقدسي ، كما تحوي مخطوطات بخط الحافظ ابن عساكر وغيره من مشاهير علماء دمشق الأقدمين كما تضم رسائل بخطوط علماء جلبها المقادسة في رحلاتهم .

وحين كلف الأستاذ السواس بالعمل بقسم المخطوطات ، آثر القيام بعمل فهرسة شاملة لمجاميع الظاهرية نظراً لأهمية هذه المخطوطات وما تحويه من ذخائر تراثية لم تفهرس بعدُ فهرسةً تظهر محتواها وقيمتها . فكان أن اجتمع لديه مئتا مجموع ضمن المخطوطات التي تبدأ من الرقم ١ و حتى الرقم ١٦١٧ والتي تضم بدورها نحواً من ١١٢٤ بين كتاب ورسالة .

تتجلى قيمة هذا الفهرس في أنه يكشف عما تضمه المجاميع من كتب ورسائل بعضها نادر ، ويكشف عن خصائص كل مجموع ومدى الصلة بين رسائله وكتبه في الخط ، وتاريخ النسخ ونوع الورق ... وهذا يفيد الباحث في التعرف على أشياء قد تكون معروفة في إحدى الرسائل ومجهولة في غيرهما . إلا أن هذا لايعني أن يكون الأمر مطرداً ، إذ أن هذه المجموعات قد تكون ضمت مخطوطات لاتنتمي إلى مصدر واحد أو ناسخ واحد ، أو زمن واحد ، إنما قام بضم بعضها إلى بعض من تملك عدة رسائل وأراد أن تكون في مجموع واحد خشية ضياعها أو أنها في موضوع واحد ، أو أنها وجدت في مكتبة عامة وقفت عليها ورغب القيم عليها أن تجمع على شكل مجاميع وهذا ماحدث في مجاميع المدرسة العمرية . إذ نجد فيها رسائل بخطوط المقادسة الذين أوقفوا هذه الكتب ونجد رسائل بخط الحافظ ابن عساكر ، وهذا مايفسر لنا أن هذه الرسائل قد ضمت على هذا

الشكل في وقت متأخر ، والذي يغلب على الظن أنها قد ضمت في وقت قريب لعهد وصولها إلى المكتبة الظاهرية .

كان منهج الأستاذ السواس في عمله أن وصف كل مجموع على حدة ، مايحويه من رسائل وكتب واقتصر في فهرسه على ذكر العنوان واسم المؤلف واسم الناسخ وتاريخ النسخ وعدد الأوراق ، مع ملاحظات عامة إن وجدت .

وأشار عما تم فهرسته في فهارس سبق إصدارها ضمن فهارس المخطوطات التي نشرها مجمع اللغة العربية .

وذكر لكل مجموع رقمين : رقماً متسلسلاً للدلالة على عدد المجاميع التي قام بفهرستها ، ورقماً عاماً للمجموع كما ورد في سجل المكتبة الظاهرية .

صنع لفهرسه هذا فهارس عامة اشتملت على فهرسة للرسائل والكتب حسب الموضوعات ، وفهرس بأسماء المؤلفين وآخر للنساخ .

والأمل كبير في أن يتابع العمل في فهرسة هذه المجاميع لتكون الفائدة كاملة في معرفة ماتحتويه المكتبة الظاهرية وخاصة هذه المجاميع .

(آراء وأنباء)

مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة
في دورته الحادية والخمسين

عقد مجمع اللغة العربية في القاهرة مؤتمره السنوي في دورته الحادية والخمسين خلال أسبوعين ، بين ٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٥ هـ الموافق لـ ٢٥ من شباط (فبراير) ١٩٨٥ و١٩ من جمادى الآخرة الموافق ١١ من آذار ١٩٨٥ .

وكانت جلسة الافتتاح في القاعة الكبرى من مبنى جامعة الدول العربية في ميدان التحرير ، حضرها بالإضافة إلى بعض أعضاء المجمع العاملين والمراسلين لفيف من أساتيذ الجامعات ورجال التعليم والأدباء والعلماء المهتمين بشؤون اللغة العربية وفضليات السيدات ، وممثلي الصحافة والإذاعة والتلفزيون .

افتتحت الجلسة في تمام الساعة الحادية عشرة من صباح الاثنين من ٥ جمادى الآخرة ، بأن أعلن الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع افتتاح المؤتمر ، ثم قدم الدكتور مصطفى كمال حلمي نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالي والبحث العلمي ، فألقى كلمته التي أثنى فيها على الجهد الذي يبذله المجمع في خدمة اللغة العربية ، ولاسيا جعله « تعريب التعليم » الموضوع المقترح لهذه الدورة للمؤتمر ، ثم استطرد قائلاً : إن اختياركم لهذا الموضوع في بحوث مؤتمركم إيذان بالبدء في تعميم حركة

التعريب في وطننا العربي وقد آن الأوان لأن تؤتي ثمارها المرجوة على أوسع نطاق وفي كل مستويات التعليم ومراحله » .

وأعقبه الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع ، فارتجل كلمة رحب فيها بالسادة الحضور وخص منهم الضيوف من أعضاء عاملين ومراسلين ، مشيداً بالتآزر القائم منذ إنشاء المجمع ، بين العلماء المصريين وزملائهم من العرب والمستعربين ، وبما درج عليه المجمع بأن لايُتخذ فيه قرار لغوي إلاّ إذا أقره مؤتمر المجمع في لقائه السنوي ، وبأن يعالج مشكلة من المشاكل الكبرى في كل دورة ، وإنه اختير في هذه السنة معالجة مشكلة تعريب التعليم في مختلف مراحله وبخاصة التعليم العالي والجامعي مذكراً ان النهضة العلمية الاسلامية الأولى قامت على أساس من التعريب ، لأنها اعتمدت على حركة ترجمة دامت نحو قرنين أو يزيد ، فأخذت عن المصادر الأجنبية المختلفة ، مما كان له آثاره في الفكر الانساني عامة . وها نحن أولاء عدنا إليها مرة أخرى في نهضتنا الحديثة في أوائل القرن الماضي ، ونتابع السير ، ولاشك ان الدراسات العلمية في شتى العلوم العصرية أخذت طريقها ، ولا تزال بحاجة إلى تعهد ومتابعة ، وربما كانت دراسة الطب من الدراسات التي يقال إن العربية لم تهيأ لها ، وأردف قائلاً واسمحوا لي أن أقرر ان هذا ظلم للواقع والتاريخ ، فقد كتب الطب بالعربية وعمدته كتب قديمة ترجمت إلى اللغة اللاتينية والعبرية معاً كالقانون لابن سينا والحاوي للرازي .

وأنهى كلمته بقوله : وأنا واثق كل الثقة من أن العربية ستستعيد مكانتها كتابة وتأليفاً وتدريساً ، وستجد ذلك كله في ميادين التخصص المختلفة .

وتلاه الأستاذ عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع ،فاستهل كلمته بعد تحية الحفل قائلاً : « إن لغتنا هي الأمانة الغالية في أعناقنا وهي التي يهدر خائنها ، ويغضب الله ويغضب العربية والاسلام من يفرط في حقها أو يتهاون في جليل شأنها . نحن جميعاً أمناء على لغتنا لغة القرآن ، حراص على كيانها وعلى نقائها وتنمية تطويعها ، وعلى رفع شأنها في هذا الخضم العارم من لغات الناس في هذه الأرض ، وإن من ضلّ عن منهجها المحكم ومسلكها المبرم فقد ضلّ عن سواء السبيل » .

ثم أشار الى شأن المؤتمر بقوله : « ان قرارات مجمعنا وهي وليدة الشورى والتحقيق الجماعي ، إنما تستمد شرعيتها من هذا المؤتمر الذي هو بمثابة المحكمة العليا التي لها السلطان الأعلى ، ولا فضل هنا لرأي على رأي إلاّ بما ينال من إجماع أو مايحظى به من رضوان » .

وانتقل بعد ذلك الى ذكر التوصيات التي أصدرها المؤتمر السابق وهي :

- يوصي المؤتمر أن يتحقق التعاون بين المجامع العربية والجامعات والهيئات العلمية لتوحيد المصطلحات العلمية حتى نصل إلى لغة علمية موحّدة .
- أن تعنى وسائل الإعلام جميعها بالتزام العربية الفصحى نطقاً وأداءً مع وجوب تعيين مصححين متخصصين لكل مايكتب في الصحف والمجلات أو يذاع من أخبار وموادّ مختلفة ، يقومون بتقويم الألفاظ وضبطها ضبطاً دقيقاً ، وأن يعنى في الاذاعة والتلفزيون خاصة ، بتنمية المهارات والقدرات اللغوية بمحاضرات يلقيها على المذيعين متخصصون في اللغة العربية .
- يوصي المؤتمر بأن تلتزم مسارحُ الدولة باللغة الفصحى في تمثيلياتها ،

ويطلب إلى مسارح القطاع الخاص أن ترتقي بلغة تمثيلياتها إلى مستوى الفصحى تدريجياً .

- يوصي المؤتمر بأن يلتزم أساتذة الجامعات ومدرسو المدارس المختلفة باستعمال اللغة الفصيحة السهلة في إلقاء المحاضرات والدروس . وكذلك في المناقشات والمحاورات .

- يوصي المؤتمر أن تزود مكتبات مدارس التعليم العام بتسجيلات المصحف المرتل لتمكين الطلبة من محاكاة الفصحى والنطق بها نطقاً سليماً ، وأن تهتم وزارات التربية بزيادة رصيد الطلبة من محفوظ القرآن الكريم ليزداد وعيهم بالألفاظ والأساليب القرآنية .

- لاحظ المؤتمر تدهور مستوى النصوص التي تقدم إلى الطلبة ولاسيا نصوص الشعر ، لذلك يوصي وزارات التربية والتعليم بضرورة البعد عن النصوص التي تصدر عن أقلام غير معترف بها .

- يوصي المؤتمر بأن تقلل وسائل الإعلام من الاهتمام بالآداب الشعبية لتزيد من ناحية أخرى اهتمامها بالأعمال الأدبية الرفيعة التي تلقى الآن ترحيباً في مختلف الطبقات على امتداد العالم العربي .

- وجوب مراقبة الخطب العامة على اختلاف أنواعها من جهة ألفاظها ، ومن جهة ضبطها لما لها من آثار خطيرة في توجيه لغة الجماهير ونطقها ، وأن تبلغ هذه التوصية إلى مختلف الجهات الرسمية ، ولاسيا وزارة الأوقاف التي تخاطب الجماهير أسبوعياً ، لتلقى العناية الواجبة .

وانتقل الأستاذ عبد السلام هارون بعد ذلك إلى أعمال المجلس واللجان في الدورة الحالية وإلى ماأصدره المجمع من مطبوعات وما هو قيد الطبع من الكتب والمجموعات وما أسهم فيه من ندوات ولقاءات .

من أخبار المجمع :

استقبل المجلس خلال دورته الماضية : ثلاثة من الزملاء الجدد وهم فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ محمد الطيب النجار ، والأستاذ الدكتور محمد طه الحاجري ، والأستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافي .

وعقد جلستين علنيتين لتأبين المغفور له أحمد عبده الشرباصي والمغفور له الشيخ أحمد هريدي .

ويعقد جلسة علنية في هذه الدورة لتأبين عضو آخر من أعضائه هو المغفور له الأديب الشاعر الأستاذ محمد عبد الغني حسن الذي كان فقده خسارة كبيرة لدولة اللغة والأدب والشعر .

مطبوعات المجمع :

من مطبوعات المجمع التي أصدرها في هذه الدورة : المعجم البيولوجي ومعجم الكيمياء والصيدلة ومعجم علم النفس والتربية ، ومعجم الفيزيقا الحديثة (الجزء الأول) والأجزاء ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ من مجلة المجمع ، والمجلد ٢٤ من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ، وملحق الدورة ٤٦ ، والجزء الأول من كتاب غريب الحديث للهروي تحقيق الدكتور حسين شرف ومراجعة عبد السلام هارون والجزء الثاني من كتاب غريب الحديث للهروي تحقيق الدكتور حسين شرف ومراجعة المرحوم محمد عبد الغني حسن .

وقيد الطبع محاضر جلسات المجمع للدورة ٤٨ ومحاضر جلسات المؤتمر للدورة ٤٨ ، ومحاضر جلسات المجلس للدورة ٤٩ ومحاضر جلسات المؤتمر للدورة ٤٩ والطبعة الثالثة من المعجم الوسيط ، وهي طبعة جديدة

منقّحة أضيف اليها الكثير من المواد التي استدركت على الطبعتين السابقتين ، والطبعة الرابعة من معجم ألفاظ القرآن الذي أعيد تنقيحه وتنسيقه على أيدي لجنة مختارة ، والجزآن الأول والثاني من كتاب « التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة » من تأليف السيد مرتضى الزبيديّ بتحقيق الاستاذ مصطفى حجازي ومراجعة الأستاذ الدكتور مهدي علام ، وشرح شواهد الايضاح لأبي علي الفارسي من تأليف العلامة ابن بري بتحقيق الدكتور عيد مصطفى درويش ومراجعة الأستاذ الدكتور مهدي علام .

أعضاء جدد للمجمع

ضم المجمع إلى عضويته اثني عشر عضواً عاملاً ، أربعة منهم من المصريين ، وخمسة من العرب وثلاثة من المستشرقين .

أما الأعضاء المصريون فهم : الأستاذ الدكتور حسين مؤنس أستاذ التاريخ السابق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور عبد العظيم حفني صابر أستاذ الصيدلة بجامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور محمود علي مكي أستاذ الأدب الاندلسي بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور كمال بشر أستاذ الدراسات اللغوية بدار العلوم . وأما الأعضاء العرب فهم الأستاذ الدكتور عبد الستار الجواري من العراق ، والأستاذ الدكتور حسني سبح من سورية ، والأستاذ الدكتور عدنان الخطيب من سورية ، والأستاذ عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ، والأستاذ الدكتور أحمد طالب الابراهيمي من الجزائر .

وأما الأعضاء المستشرقون فهم : رودلف زلهايم من المانيا ، وجاك

بيرك من فرنسة ، وروبرت سرجنت من ايطاليا .

وختم الأستاذ هارون كلمته مكرراً التحية والشكر والتقدير للسادة الحضور .

وكان مسك الختام في جلسة الافتتاح هذه الكلمة البليغة التي ألقاها الأستاذ الجليل محمد بهجة الأثري ، عضو المجمع من العراق ، وهي كلمة الأعضاء العرب في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، فأثنى على جهود المجمع قائلاً : « ولست أشك أنه من يوم انبثاق فجره الصادق قبل واحد وخمسين عاماً إلى ساعته هذه ، قد وفق في معظم ماقدم من زاد للغة أصولها وفروعها توفيقاً ملحوظاً مشرق الوجه وواضح القسمات ، وقد أعطى وأجزل العطاء وقطع أشواطاً بعيدة مما أريد منه من زاد للفصحى ، لسان الأمة والملة ، وزادها كثير وغزير ، وهي تستجيب له وتعطيه عطاء من لايخشى الفاقة ، سمحة سخية لاتضن على طلب رفدها بشيء مهما كبر » .

وأخيراً ، اختتم الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع جلسة الافتتاح شاكراً كل الذين تفضلوا بالحضور ثم رفعت الجلسة والساعة تقترب من الواحدة بعد الظهر .

تتابعت جلسات المؤتمر الاثنتا عشرة في الأيام التالية وفي مبنى المجمع في الزمالك ، ماعدا الجلسة السابعة منها ، اذ كانت جلسة علنية ، عقدت في دار الجمعية الجغرافية ، وخصصت لتأبين الفقيد المغفور له محمد عبد الغني حسن ، كما أن الجلسة العاشرة ـ وهي علنية ايضاً ـ ألقى فيها الدكتور محمود حافظ عضو المجمع محاضرة مسهبة بعنوان « قضية تعريب

التعليم العالي الجامعي » عدد فيها بالتفصيل مابذل من جهود في تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر منذ أواخر القرن الميلادي الماضي إلى يومنا هذا .

كما ألقى الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري بحثاً في الجلسة الثالثة بعنوان تعريب التعليم ، والأستاذ الدكتور يوسف عز الدين بحثاً آخر في الجلسة الخامسة عنوانه « الأثر النفسي والاجتماعي في تعريب التعليم أيضاً » .

وعرض على المؤتمر في الجلسات الأخرى ، طائفة من مصطلحات الجيولوجيا والفيزياء وهندسة القوى الميكانيكية والرياضة ، وألفاظ الحضارة ومصطلحات في التاريخ والعلوم الطبية وفي علوم الأحياء والزراعة وفي الكيمياء والصيدلة ، كما ألقيت فيه البحوث اللغوية المختلفة بالإضافة إلى نموذج من المعجم الكبير من حرف الحاء .

وتقدمت لجنتا الأصول ، والألفاظ والأساليب بمايلي :

لجنة الأصول :

قرار : أولا : التصرف الحدث في أساليب الاستفهام

أ ـ حذف همزة الاستفهام :

يجري في الاستعمال المعاصر حذف همزة الاستفهام في مثل قولهم : كتبت الدرس ؟ محمد في الفصل ؟ اكتفاء بالنبر وطريقة الأداء أو بوضع علامة الاستفهام ؟ عقب الجملة .

وترى اللجنة جواز ذلك لما ورد من أمثلته في المأثور اللغوي شعره ونثره . ولما نص عليه جمهرة النحاة .

ب ـ خروج (ماذا) عن الصدر :

يكاد النحاة يجمعون على أن اسماء الاستفهام لها الصدارة في جملتها ولكن البحث في آراء الأئمة وشواهد العربية يجيز لنا في شأن (ماذا) أن يقال : (فعلت ماذا ؟) (قرأت ماذا ؟) ونحوهما .

لذا ترى اللجنة أن لاتثريب على الاستعمال حيث تكون (ماذا) معمولة لما قبلها .

جـ ـ تسويغ أساليب في ظاهرها خروج أدوات الاستفهام عن صدارتها :

يشيع قولهم : محو الأمية مسؤولية قومية . كيف ؟

وأنت من ؟ منزلك . أين ؟ السفر . متى ؟

مما ظاهره خروج أداة الاستفهام عن صدارتها ؟

ولهذه الاستعمالات نظائر منها : ـ

قوله تعالى : « كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ... » (التوبة / ٨)

وقول محمد بن كعب الغنوي :

وحدثتماني أنما الموت في القرى فكيف وهاتا روضةٌ وقليبُ

وقول زياد الأعجم :

ومن أنتم إنا نسينا من أنتم وريحكم من أي ريح الأعاصر

ثانيا : حذف تمييز (كم)

يجري في الاستعمال حذف تمييز (كم) استفهامية أو خبرية في مثل قولهم :

كم بقي من الشهر ؟ وكم نصحت لك ؟

وقد ورد مثل ذلك في الفصيح : كقوله تعالى :

﴿ قال كم لبثت ، قال لبثت يوماً أو بعض يوم ﴾ .

وقول معن بن أوس :

وكم علمتـــــه نظم القـــــوافي فلمـــا قـــال قـــافيـــة هجـــاني

ولـمـــا كان جمهرة النحـــاة لا يصرحـــون بجـــواز الحـــذف في كـــلا الاستعمالين ، وكانت كتب القـواعـد التعليميـة تغفـل ذلـك ؛ ترى اللجنـة ضرورة النص على ذلـك تعويلاً على المـأثور في الفصيح ، وعلى مـا ذكره بعض النحاة ، وبأن يوجه هذا بذكره في المرحلة المناسبة .

ثالثا : جواز دخول الالف واللام على « كل وبعض »

يجري في الاستعمال دخـول (أل) على (كل) و (بعض) فيقـال : الكل موافـق أو البعض مـوافـق ، وجمهرة النحـاة يمنعـون ذلـك ، على أن منهم من أجازه وبينهم ابن درستويه والزجاجي ، وثمة من المـأثور أمثلـة لورود ذلك في الشعر ، وقد جرى بذلك استعمال المولدين من قديم .

ولـــذا ترى اللجنـــة إجـــازة دخـــول الألف والـــلام على (كل) و (بعض) .

رابعاً : دخول (إذا) على الجملة الاسمية

يجري كثيراً في الاستعمال دخـــول إذا على الجملـــة الاسميـــة في مثـــل قولهم : اذا المطر انقطع فاخرج .

وللنحاة في تخريج مثل هذا رأي بصري شائع ، وهو أن الاسم الـذي بعدها فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور .

وهناك رأي يقول إنه مبتدأ وينسب إلى الأخفش والفراء ، وغيرهما من نحاة الكوفة ويعزى إلى سيبويه فيا ذكره السيرافي أيضاً .

ولما كانت أمثلة القرآن الكريم من ذلك تزيد على العشرين ومن الشعر تزيد على ستمائة ، وظاهرها دخول إذا على جملة اسمية خبرها ماض لفظاً أو معنى . فإن اللجنة ترى أن إعراب الاسم فاعلاً ، وإن كان أقيس في الصناعة النحوية ، فإن الرأي الذي يجعله مبتدأ فيه أخذ بالظاهر ، وتيسير في الإعراب ، وبعد عن افتراض فعل محذوف .

لجنة الألفاظ والأساليب

أ ـ كلمات فصاح فاتت المعجمات :

١ ـ رهيب : لفظة رهيب مما لم يرد في المعاجم ، ولكنها جاءت في شعر أبي ذُؤيب الهذلي (ـ ٢٦ هـ) .

بيض رِهابٌ ريشهُنَّ مقزَّعُ

(٤٢٧ المفضليات)

بيض رهاب : نصال رقاق مرهفة ، ورهاب جمع رهيب بمعنى مرهوب ، وجميع المعاجم لم تذكر هذا اللفظ المفرد .

وتخريج ذلك صرفياً أنها محولة عن مفعول والتحويل كثير أو قياسي .

٢ ـ عزّة بمعنى صعبة .

وردت بهذا المعنى في شعر عَبْدة بن الطبيب وهو من المخضرمين :

وثنيَّة من أمر قوم عزَّةٍ   فَرَجتْ يداي فكان فيها المطلعُ

(١٤٧ المفضليات)

وهي بهذا المعنى مما لم يرد في معاجم اللغة .

٣ ـ مشهود بمعنى ممزوج بالشهد .

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر ربيعة بن مَقْرُوم الضبيّ ، وهو من المخضرمين :

وبارداً طيباً عذباً مقبَّلُهُ   مخيَّفاً نبْتُه بالظَّلْم مشهودا
(٢١٣ المفضليات)

وبارداً : يريد الشاعر به ثغر حبيبتهِ ، وكلما برد الثغر كان أطيب لريحه .

الظَّلْم : ماء الأسنان ، واذا صَفَت الأسنان ورقَّتْ كان لها ظَلْمٌ .

مشهودا : اي كأن طعمه طعمُ الشهد ، أو ممزوج بالشهد وهذا المشتق (مشهود) مما لم يذكر في المعاجم بهذا المعنى .

٤ ـ قذِيف بمعنى دَعيّ النسب .

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر لِسُبَيْع بن الخَطيم ، وهو جاهلي :

من غير ما جُرْم أكونُ جَنَيْتُهُ   فِيهم ، ولا أَنا إن نُسِبْتُ قَذِيفُ
(٣٧٤ المفضليات)

واللفظة مما لم يرد في المعاجم بهذا المعنى .

٥ ـ عَنْوَة بمعنى جِهَاراً غَيْرَ خَتْلٍ .

وردت بهذا المعنى في شعر لِخُرَاشَةَ بن عَمرِو العبسي وهو جاهلي :

ونحن تركنـا عَنْـوَةً أم حَـاجِبٍ تُجاوِبُ نَوْحاً ساهرَ الليلِ ثُكَّلاَ
(٤٠٦ المفضليات)

النَّوْح : النساء النائحات . الثُّكل جمع ثاكِل وهي المرأة فقدت ولدها أو عزيزاً عليها .

ولفظ عَنْوة مما لم يرد في المعاجم بهذا المعنى .

٦ ـ رَجلٌ آنِسٌ .

ذو الايناس ، ورد بهذا المعنى في شعر المرقش الأكبر :

وقِدْرٍ ترى شُمْطَ الرجالِ عِيالَها لها قَيِّمٌ سهلُ الخليقة آنِسُ
(٢٢٦ المفضليات)

شُمْط جمع أَشْمَط وهو ما خالط سواد رأسه الشيب . عيالها : أي كأنهم عيال لها . قيِّم : قائِمٌ بشأنها . آنس يستعمل في المؤنث فيقال : جارية آنسة إذا كانت طيبة النفس ، واستعمال هذا اللفظ (آنس) في المذكر صحيح قياسي ولكن لم تنص عليه المعاجم .

٧ ـ آل بمعنى سياسة .

هذه اللفظة استعملها الشَّنْفَرَى وهو جاهلي ، بهذا المعنى ، فقال :

تخاف علينا العَيْلَ إن هي أكثرت ونحن جياعٌ ، أيَّ آلٍ تَألَّت
(١١٠ المفضليات)

العَيْل : الفقر . أي آل تألت : أي سياسة ساست ، والآل : أصله الأول ، قلبت الواو ألفا لسكونها بعد فتحة ... ولم يذكر في المعاجم بهذا المعنى .

٨ ـ رجلٌ بُكْمَة : أيْ أبكم .

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر الجُمَيْح مُنْقِذ بن الطَّمَّاح وهو جاهلي :

حاشا أبا ثَوْبانَ إنَّ أبا ثوبانَ ليس بِبُكْمَةٍ فَدْمِ
(٣٦٧ المفضليات)

وهذه اللفظة بهذا المعنى مما لم يرد في المعاجم .

٩ ـ المعين بمعنى الأجير ، لأنه يعاون صاحب العمل في أمره وهذه اللفظة بهذا المعنى وردت في شعر المثقِّب العبدي وهو جاهلي ، يمدح عمرو بن هند ملك الحيرة :

كأنَّ نَفِيَّ ما تَنْفي يداها قِذافُ غَرِيبةٍ بِيَدَيْ مُعِين
(٢٩١ المفضليات)

شبه ما تنفي يدا الناقة من الحصا في سيرها بحجارة تقذف بها ناقةً غريبة أتت حوضا غيرَ حوضِها لتشرب منه فَرُمِيَت .

ولفظ المعين في المعاجم بمعنى الظهير والمساعد على الأمر أي المستعان به . سئل الأصمعي : هل تعرف المُعِين بمعنى الأجير ؟ فقال : لا أعرف ، ولعلها لغة بحرانية ، يَعْني لغة أهل البحرين . وتفسير المُعِين بالأجير لم يذكر في المعاجم .

١٠ ـ اتَّنَى أي انثنى .

وردت في الشعر الجاهلي بهذا المعنى ، قال جابر بن حُنَيّ التغلبي ، وهو جاهلي :

تنـاولـه بـالرمـح ثم اتَّنَى لـه   فَخَرَّ صَريعـا لليـدين وللفم

(٢١٢ المفضليات)

اتَّنى : أراد انثنى ، فَـأَدْغَم النـون في الثـاء ، ثم أبـدلهـا تـاء ، قـالـه الأنباري ، وهو من نادر التصريف ، الذي لم يوجد لـه مثـال ، والقيـاس في مثله أن يكون أصله اثتنى على وزن افتعل ، واللغـة العـاميـة المصريـة تستعمل هذه اللفظة بالمعنى المذكور .

١١ ـ تَحَذَّرَه بمعنى أَخَذ حِذْرَهُ منه .

ورد في شعر عبد المَسِيح بن عَسَلَة ، وهو جاهلي :

لاينفـع الوحـشَ منـه أن تحـذَّره

(٢٨٠ المفضليات)

تَحَذَّرَه أصله تتحذرَه مضارع تحذَّر وهـذا الفعل ليس في المعـاجم بل فيها حذر واحتذر .

١٢ ـ النَّواَهِد بمعنى الدَّوَاهي جمع نَاهِدة .

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر مُزَرِّد بن ضِرَار الـذُّبْيَـانيّ وهو جاهلي :

. . . . وقد دَلَّهْنَهُ بالنَّواهد

(٨٠ المفضليات)

دلهنه : أزعجنه . النواهد الدواهي وهذا مما لم يذكر في المعاجم .

ب ـ ألفاظ وأساليب عصرية :

١ ـ التشخيص ـ الأنسنة

مما هو معهود في فنون الأدب إنزال غير العاقل كالحيوان والنبات والجماد والمعاني المجردة منزلة العاقل في التعبير والتصوير والخطاب ، وقد جرى ذلك في الأدب العربي وفي غيره من آداب اللغات المختلفة ، ولهذا الفن الأدبي مصطلحات أجنبية مختلفة ، وقد عُبِّر عن هذا المعنى في النقد الأدبي الحديث بكلمات شتى منها المخالطة الوجدانية ، والانطاق ، والتجسيد ، والتجسيم ، والتشخيص ، والأنسنة ، والتأنيس وترى اللجنة أن أنسب هذه الكلمات إما التشخيص وإن كانت مشتركة في دلالات أخرى كالتمثيل وتحديد المرض ، وإما الأنسنة وإن كانت اشتقاقاً من كلمة الإنسان على لفظها ، وإما التأنيس وهي اشتقاق من أصل مادة الانسان وهو الأنس .

٢ ـ التركيز

مما يجري في الاستعمال المحدث مثل قولهم : « شراب مركَّز » بمعنى أنه مكثَّف غليظ القوام وافر الحظ من العنصر الأصلي فيه ، وكذلك مما يجري على الألسنة في الاستعمال مثل قولهم ركَّز على كذا بمعنى قوَّاه وأكّده ، ولكن الذي في اللغة هو رَكَز الرُّمحَ أو الوتَدَ رَكْزاً أي دقه في الأرض تثبيتاً له ، وترى اللجنة أن التثبيت يسوغ في مجاز التغليط أو الترديد أو التجميع وكذلك تعدية الفعل رَكَّز بالتضعيف وجعل مصدره « التركيز » مما لاتأباه أقيسة العربية ، وأما التعدية بالحرف « على » فَتُحْمَل على أن التثبيت أو التجميع واقع على الشيء ، وكذلك يُحْمَلُ التعبير على تضمين

الحرف « على » معنى الحرف « في » كما حدث التضمين العكسي في قوله تعالى : ﴿ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ في جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ أي عليها .

٣ ـ اللصق واللاصق

يجري في الاستعمال المحدث مثل قولهم : « لَصْق الإعلانات ممنوع » . ومن مصطلح المهندسين قولهم : « شريط لاصق » . وقد أنكر نقاد اللغة المعاصرون ذلك ، لأن المأثور « ألصقه » لا « لصقه » .

وقد أطبقت المعجمات على أن مادة « لصق » مما تتعاقب فيه الصاد والسين والزاي ، فيقال : لصق ولسق ولزق . وعلى هذا فكل ما ورد في تعريف إحدى الصور يصدق على الصورتين الأخريين . وقد نقل صاحب تاج العروس عن ابن دريد قوله[1] : « اللزق : إلزاقك الشيء بالشيء » . وسياق الكلمة مع شرحها لا يحتمل إلا المعنى المصدري . وقد سبق للمجمع أن قرّر « أن الفعل المتعدي يصاغ له مصدر على وزن « الفَعْل » بفتح فسكون ما لم يدلّ على حرفة » . وعلى هذا يكون « اللصْق » مصدراً لـ « لَصِق به » . وإن كان المسموع المذكور في المعجمات « اللصوق » فقد أقرّ المجمع أنه إذا كان المسموع يخالف ما قدم من الأقيسة جاز العمل بالمسموع أو بالقياس . فـ « اللصْق » جائز بمقتضى قرار المجمع مع الاستئناس بالمنقول عن ابن دريد .

وأما قول المهندسين « الشريط اللاصق » فإنه صحيح بشهادة ما أجمعت عليه المعجمات من قولهم : « لَصِق بالشيء : اتصل به ولزمه .

(١) قال ذلك في الجمهرة ٣ : ١٤ وعبارته بتمامها : « اللزْق : إلزاقك الشيء بالشيء ، بالزاي والصاد ، والصاد أعلى فيها وأفصح » .

فالشريط لاصق بالجسم أو بالآلة أو نحوها ، يتصل به ويلازمه ، ولايحتاج إلى تأويل أو تسويغ أو تخريج ، إذ هو جاء على الفعل تصريفاً ودلالة .

إلا أن من مادة « لصق » ألفاظا تتمحّض للاسمية ، ويمكن أن يقوم كل منها مقام « الشريط اللاصق » وهي :

اللِّزاق (باللام المكسورة) : ما يلزق به .

اللصوق : ما يوضع على الجرح لاصقاً به .

اللزّاق (بتشديد الزاي) مبالغة من « لزق به »

وكلها يجوز أن تتعاقب عليها الصاد والزاي والسين ، وإن كانت الصاد أعلى وأفصح ، والزاي قريبة منها ، وربما كانت السين لا تستساغ .

٤ ـ معنى الخيارين والخيارات

مما هو شائع تجري به أقلام الكاتبين المعاصرين مثل قولهم : « العرب أمام خيارات لا محيد عنها فإما كذا وإما كذا وإما كذا » أو قولهم « الدولة في شأن الدعم الاقتصادي حيال خيارين : كذا وكذا .

والنقد اللغوي لا يطمئن إلى سلامة هذا التعبير وذلك لأن الخيار إنما يكون بين أمرين أو بين أمور ، ومعناه اختيار أحد الشيئين أو الأشياء وعلى ذلك يتعين أن يكون صواب التعبير في المثالين : العرب أمام خيار لا محيد عنه فإما كذا وإما كذا وإما كذا ، وأن يقال : الدولة في شأن الدعم الاقتصادي حيال خيار بين امرين كذا وكذا على أنه يمكن استعمال الخيارات إذا تعددت الموضوعات واحتوى كل موضوع

على أمرين أو أكثر . فيقال : نحن في صدد هذه الموضوعات أمام خيارات وفي كل موضوع خيار بين أمرين أو أمور .

٥ ـ الحياد والتحييد

من الاستعمال المحدث قولهم « الحياد السياسي ، والحياد الإيجابي » وكذلك قولهم « تحييد الدولة » بمعنى الزامها الحياد ، والمقصود بالحياد والتحييد المجانبة أو التجنيب للدولة بحيث لا تتحيز لسياسة معينة ، وقد نصت اللغة على أن الحياد هو المجانبة والميل عن الشيء . وكذلك جاء التحييد بمعنى جعل حُيود أو عُقَد في السير أو القيد على أن الفعل حادَ يجوز فيه التضعيف للتعدية ، كما أقر ذلك المجمع فيقال حاد عن الطريق وحيّده صرفه عنه بمعنى جنبه إياه وأماله عنه ومن ثمَّ ترى اللجنة جواز ما يجري في الاستعمالات المحدثة من هذا القبيل .

ح . س .

جهاز التعاون الدولي

لتنمية الثقافة العربية الإسلامية

مأمون الصاغرجي

بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عقد في تونس الاجتماع الأول لمجلس أمناء جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية والإسلامية يومي ٢١ ـ ٢٢ جمادى الثانية ١٤٠٥ هـ / ١٢ ـ ١٣ آذار ١٩٨٥ م ، برئاسة الأستاذ محمد مزالي الوزير الأول بتونس .

وحضر من سورية عضوا مجلس الأمناء الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق والأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع وشاركا في المناقشات .

وقد درس المجتمعون الوثائق المقدمة ، ونوّهوا بفكرة إنشاء جهاز متخصص في إطار المنظمة العربية يجمع قدرات الأمة العربية ، ويجسد إرادتها في خدمة الثقافة العربية الإسلامية ، وبسطها ميسورة في العالمين بدءاً بالأقربين ، ويكون أداتها في سعيها للحوار الإيجابي مع ثقافات وحضارات الآخرين بما يجسد الانبعاث الحضاري الذي تشهده أمتنا ، وقدرتها على مجابهة التحديات الجسام التي تواجه وجودها وواقعها ، على أساس من ثقافتها التي ظلت توحّدها وتمكنها من مواصلة الإشعاع المستنير في العالم .

وأقر المجلس مشروع خطة الجهاز المتوسطة المدى وبرامجه للسنوات (١٩٨٥ ـ ١٩٨٩) مع مراعاة الأولويات في تنفيذ البرامج والمشروعات ، ومواصلة الدراسات التقابلية بين اللغة العربية واللغات ذات الصلة بالحضارة الإسلامية لتيسير وتعليم وتعلم اللغة العربية ، وبذل عناية خاصة بنشر الحرف العربي واستعادة كتابة تلك اللغات به ، ورعاية التراث الذي كتبه المسلمون غير العرب باللغة العربية أو بلغاتهم بالحرف العربي ، والاهتمام بالجاليات العربية في المهاجر ، وحمايتها من الذوبان الحضاري في المجتمعات المضيفة ، ليظلوا أبداً موصولين بمنابت أمتهم ومنابع حضارتهم ، والاستفادة من تجارب الدول الأخرى في مجال نشر لغاتها وثقافاتها .

جامعة الدول العربية

تكمل عقدها الرابع

في الثاني والعشرين من شهر آذار عام ١٩٤٥ م تم التوقيع على ميثاق جامعة الدول العربية في القاهرة . ويطلُّ آذار العام الجديد (١٩٨٥ م) معلناً انقضاء أربعين عاماً على تأسيس الجامعة العربية . وقد أفردت مجلة « شؤون عربية »* جانباً هاماً من صفحات عددها الحادي والأربعين (جمادى الثانية ١٤٠٥ هـ آذار ١٩٨٥ م) للتحدث عن هذه المناسبة .

قدّم للعدد الأستاذ الشاذلي القليبي الأمين العام لجامعة الدول العربية متحدثاً عن الجامعة وهي تبدأ العقد الخامس من عمرها ، وتلاه الأستاذ

---

* هي مجلة فصلية فكرية تصدرها وحدة المجلات في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ـ تونس .

محيي الدين صابر الأمين العام للمنظمة العربية مبيناً دور الجامعة الثقافي ، ثم جاء عرضٌ لميثاق الجامعة والتحديات ،وكلمةٌ في مهام الأمانة العامة ووظائفها . وأعقب ذلك نظرات نقدية (ص ٦٠ ـ ١٠٠) لعدد من رجال السياسة والفكر تناولت العمل العربي المشترك خلال أربعين عاماً ، وخُصصت ندوةٌ للثقافة العربية في العقود الأربعة (ص ٢١١ ـ ٢٣٠) ، ثم اختارت المجلة في باب الوثائق نشر محاضر مناقشة ميثاق الجامعة وإقراره (ص ٣٧٥ ـ ٤٣٠) ، وهي تضم :

١ ـ النص الحرفي لمحضري الجلستين اللتين تمت فيهما مناقشة مشروع الميثاق وإقراره ، ولمحضر التوقيع ، ٢ ـ مشروع اللجنة الفرعية السياسية ، ٣ ـ التعديلات المقترحة ، ٤ ـ ميثاق الجامعة الذي تم التوقيع عليه .

ولقد أحسنت المجلة في نشر هذه الوثائق التي مضى عليها أربعون عاماً ، وأصبح الاطلاع عليها من أشق الأمور ، فقربتها بذلك إلى جمهور الدارسين والباحثين . ولعل المجلة توالي نشر أمثال هذه الوثائق الهامة ، وتيسّرها لجمهرة المثقفين المعنيين بهذه الدراسات .

مجلة المجمع العلمي العراقي

تلقت خزانة المجمع مؤخراً الجزء الرابع من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي (ذي الحجة ١٤٠٣ هـ / تشرين الأول ١٩٨٣ م) . افتتح العدد بكلمة لرئيس المجمع الدكتور صالح أحمد العلي ، ألقاها في افتتاح الجلسة الأولى من السنة المجمعية ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ تناول فيها جوانب من نشاط المجمع في إعداد المصطلحات وإقرارها ، ومادار من

مناقشات خلال جلسات المجمع التي عقدها ، ومدى اهتام المجمع بطبع الكتب ونشر البحوث التي يقدمها الأعضاء في المجلة .

ومن البحوث التي ضمها هذا الجزء « ضبط عين المضارع الثلاثي » (ص ٩ ـ ١٥) للدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، قدم فيه عرضاً لأقوال بعض العلماء المتقدمين في هذا الباب ، وخلص إلى أنّ ضمَّ عين الفعل الثلاثي في المضارع صحيحه ومضعّفه هو الأكثر ، سواء في ذلك المتعدي بنفسه الذي ينصب المفعول به والمتعدي بحرف الجر ؛ وذلك في مالم يسمع فيه ولم يشتهر الضم أو الكسر ، فإن سُمع فالحكم للمسموع .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن أستاذنا الجليل أحمد راتب النفاخ بسط القول في هذا الموضوع على صفحات مجلتنا هذه (مج ٥٧ : ص ٤٧٢ ـ ٤٨٥ شهر أب عام ١٩٨٢ م) وذلك إجابة عن رسالة للأستاذ محمد خليل الباشا بعث بها إلى رئاسة المجمع يقترح فيها وضع ضوابط لحركة عين المضارع يمكن أن يُعتمد عليها ، وتكون مطردة في القياس . وكان الأستاذ الباشا قد بعث بنسخة من رسالته هذه إلى رئاسة مجمع القاهرة ، فأحال مجلس المجمع اقتراح الأستاذ الباشا على لجنة الأصول لدراسته . وقد أبدى كل من السادة الأساتذة الدكتور شوقي ضيف والدكتور محمد حسن عبد العزيز والدكتور مهدي علام والأستاذ محمد شوقي أمين رأيه في هذا الموضوع (محاضر جلسات المجمع في الدورة السابعة والأربعين ١٣ تشرين الأول ١٩٨٠ م ـ ٢٥ أيار ١٩٨١ م ، ص ٣٦٠ ـ ٣٧٨ ، صدر عن مجمع القاهرة عام ١٩٨٣ م) . وقد نُشر نص قرار اللجنة في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني (العدد المزدوج ١٥ ـ ١٦ / حزيران ١٩٨٢ م ص ١٧١ ـ ١٧٣) .

ومن البحوث التي حواها الجزء ترجمةً للكاتب الشاعر « أحمد بن أبي فنن » للدكتور يونس أحمد السامرائي ، تحدث فيها عن حياته وثقافته وصفاته الخلقية والخلقية ، وماتمتاز به شاعريته ، ثم جمع جملة صالحة من أشعاره (نحو ١٦٥ بيت) استخرجها من مختلف المصادر .

وقد بذل الأستاذ الدكتور السامرائي جهداً مشكوراً فيما استقراه من أخباره وأشعاره . ومما يحسن التوقف عنده ماذهب إليه من أنه « لم تشر أخباره إلى أن له ديوان شعر » (مجلة المجمع مج ٣٤ ص ١٤٧) . ولعل في هذا الحكم شيئاً من التسرع ، إذ أشار ابن النديم في الفهرست (ط فلوغل ص ١٦٦ ، ط طهران ص ١٩٠ ، ط الاستقامة بالقاهرة ص ٢٤٢) إلى أن لابن أبي فنن ديوان شعر مقداره مئة ورقة . وهو ماأشار إليه أستاذنا الدكتور شاكر الفحام في نقده لطبعة ديوان ابن الرومي على صفحات مجلتنا هذه (مج ٦٠ ص ١٢٧ ، ١٣٣) .

ولقد سبق للدكتور يونس السامرائي أن حقق ديوان خالد الكاتب (بغداد ١٩٨١ م) ، وذكر أن ابن النديم قد أشار إلى ديوانه وأنه مئتا ورقة . وكلام ابن النديم عن ديوان خالد الكاتب يتصل بكلامه عن ديوان ابن أبي فنن قال : « أحمد بن أبي فنن الكاتب ـ مئة ورقة . خالد الكاتب ـ مئتا ورقة ، وعمله الصولي على الحروف » . فكأن ديوان ابن أبي فنن في أيام ابن النديم كان يشتمل على نحو أربعة آلاف بيت من الشعر (١٠٠ × ٤٠ = ٤٠٠٠ بيت) .

كما حوى هذا الجزء عدداً من المقالات في مختلف المواضيع :

- العلاء بن الحضرمي ، للواء الركن محمود شيت الخطاب .
- القرآن الكريم ونظرية الأدب بين الإغريق والعرب ، للدكتور كامل حسن البصير .
- اللغة والشعر ، للدكتور نوري حمودي القيسي .
- جهد الأصمعي النقدي في كتابه فحولة الشعراء ، للدكتور محمود عبد الله الجادر .
- فائت الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والإسلام ، للدكتور حاتم صالح الضامن .
- الأسماك في كتاب حياة الحيوان للدَّميري ، للدكتور جليل أبو الحب .

هذا وقد نعتِ المجلة عضوين عاملين توفيا في مطلع عام ١٩٨٤ م وهما الأستاذ طه الباقر والدكتور فخري محمد صالح ، وعقد مجلس المجمع جلسة تأبين لكل منهما ، ألقى فيها رئيس المجمع وبعض أعضائه كلمات أشادوا فيها بمآثر الفقيدين .

كما أبَّنَ المجمع فقيده الدكتور سليم النعيمي الذي اختاره الله إلى جواره في ٢ / ٣ / ١٩٨٤ .

ابن حيان مؤرخ الأندلس

منذ أن صدرت مجلة المناهل في الرباط في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ م وهي تشارك في إغناء الحياة الثقافية العربية ، ففي الحين بعد الحين تتحف قراءها بإصدار عدد تخصصه لبعض الأعلام العرب في المغرب العربي الذين كان لهم شأن في عالم الفكر والأدب ، فتتناول جوانب من حياة علم من أعلامه ، وتبسط آراءه من خلال مؤلفاته وأعماله ، وتتعرض لأبرز ملامح شخصيته ، وتنوه برسالته الفكرية التي وقف حياته عليها ؛ وبذلك تكون قد قامت بحق أولئك الأسلاف ، فاعترفت بفضلهم ، ولفتت أنظار الأجيال اللاحقة إلى رجال أسهموا في بناء الحضارة بوجه من الوجوه ، ليكونوا لهم أسوةً ونبراساً .

خصصت عددها الخامس عشر تموز (يوليو) ١٩٧٩ م للفقيه الأديب أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي (١٠٤٠ ـ ١١٠٢ هـ) . كما خصصت العدد التاسع عشر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ م لعالم المغرب وإمام الحديث في وقته القاضي عياض (٤٧٦ ـ ٥٤٤ هـ) .

أما العدد التاسع والعشرون الذي صدر مؤخراً في آذار (مارس) ١٩٨٤ م فقد خُصص لمؤرخ الأندلس وعالمها ، وأفصح المتكلمين في تاريخها أبي مروان حيان بن خلف القرطبي المعروف بابن حيان (٣٧٧ ـ ٤٦٩ هـ) .

كان هذا العدد ثمرة لندوة علمية عقدت في الرباط مابين ٢١ و ٢٥ محرم ١٤٠٢ هـ / ١٩ ـ ٢٣ ـ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨١ م ، حول تاريخ الأندلس وحياة أبي مروان بن حيان وآثاره ، وقد شارك في الندوة أساتذة من جامعات الشرق والغرب أسهموا جميعاً في الكشف عن حياة شيخ المؤرخين الأندلسيين وآثاره الباقية والمفقودة .

يحتوي القسم الأول من هذه المقالات « على دراسات تتعلق بشخصية ابن حيان وآثاره ، وتتناول حياته وثقافته وكفايته الأدبية والتاريخية وأفكاره الدينية والسياسية ، ومنهاجه فيا حبّر وحرّر ، وماحمد من صراحته أو أخذ عليه من شتم ووقيعة ، بالإضافة إلى نصوص مختارة من آثار قلمه أشبعت شرحاً وتحليلاً ونقداً ، تهم جوانب التاريخ السياسي والاجتماعي والحضاري للغرب الإسلامي من منتصف القرن الخامس الهجري »[1] .

شارك في هذه المحاضرات الدكتورة عائشة عبد الرحمن ، فألقت بحثاً بعنوان « أبو مروان بن حيان القرطبي وتاريخ الأندلس في قراءة جديدة » لكتابيه المقتبس والمتين .

كما شارك الدكتور إحسان عباس في « طريقة ابن حيان في الكتابة التاريخية » فتحدث عما يمتاز به « ككاتب مترسل مع أعيان العلماء والأدباء والساسة في عصره ، وكمؤرخ يتكئ على المؤرخين السابقين في « المقتبس » ومؤرخ مبدع في « المتين » مع مايتسم به أسلوبه من متانة ،

---

(١) المناهل ٢٩ : ١١ ، ١٢ .

وأفكاره من دقة وصراحة ، مدحاً وتشريفاً للحماة والمصلحين ، وقدحاً وتسفيهاً للخونة المجرمين ، في نماذج مختارة واستنتاجات محكمة »[٢] .

وتناول الدكتور مصطفى الشكعة في بحثه « ابن حيان بين الأدب الإبداعي وأدب كتابة التاريخ » فأشار إلى التلازم والتكامل بين الأدب والتاريخ ، وإلى التكوين الثقافي عند ابن حيان ، وكيف أصبح أديباً منشئاً استطاع أن يؤدب لغة التاريخ .

ونحا نحوه الدكتور حازم عبد الله خضر في بحثه « أبو مروان بن حيان أديباً وكاتباً » إذ تعرض لرسائل المديح والتهنئة عند ابن حيان ، وسمات الخصائص الفنية فيها .

« واهتم الدكتور محمد مفتاح والدكتور عبد الرحمن علي الحجي بجانب المنهجية عند ابن حيان ، فتحدث الأول عن منهجية ابن حيان في تاريخ الأدب ونقده ، واهتمامه بالإطارين الجغرافي والاجتماعي ، وتحرره من مذهب التقليد والتسليم والاتباع السائد في الأندلس »[٣] . كما تحدث الثاني عن مؤلفات ابن حيان وأن المتين هو أساسها ونواتها .

« وتحدثت الدكتورة وداد القاضي عن الفكر السياسي لابن حيان بعد أن ذللت عقبات تعترض دارس فكر ابن حيان : ضياع أجزاء من تاريخه ،ونقله عن سبقه من المؤرخين في المقتبس بخاصة ، وعدم احترافه الكتابة في السياسة ؛ فبينت خضوع الفكر السياسي لابن حيّان إلى عامل الزمن المتقلب الذي عاش فيه والمكان الأندلسي الذي لم يغادره قط . ثم

---

(٢) المناهل ٢٩ : ١٢ .

(٣) المناهل ٢٩ : ١٢ ، ١٣ .

استعرضت ملامح هذا الفكر السياسي الناتجة عن تصور ابن حيان ضرورة ارتكاز حكم أرض الإسلام « الأندلس » في حضرة دار الجماعة « قرطبة » سيراً مع طبيعة التاريخ الإسلامي »[٤] .

وخصص الأستاذ عبد الله كنون بحثه في « نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان » فتناول الجانب الأخلاقي عند ابن حيان ، فأشار إلى ضلاعته وسعة أفقه الأدبي والتاريخي ، مركزاً على نقطة الضعف التي تفرد بها عن جمهرة المؤرخين العرب ، كالذم والطعن والتشنيع على الناس ، مبيناً موقفه من الذين انتقدوه أو دافعوا عنه .

ومن البحوث الأخرى التي حواها العدد :

- شيخ المؤرخين أبو مروان بن حيان ، للدكتور علي عبد العظيم .
- خبر ظهور الترك بالثغر الأعلى في سنة ٣٣٠ هـ (٩٤٢ م) للدكتور أحمد مختار العبادي .
- الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الاندلس ، للدكتور الحبيب الجنحاني .
- نظم إدارة دولة بني أمية بالأندلس من خلال « المقتبس » للدكتور التهامي الراجي الهاشمي .
- العلاقات المغربية الأندلسية من خلال « المقتبس » للدكتور عبد الهادي التازي .
- ابن حيان وأهل العدوة ، للدكتور عبد القادر زمامة .
- مأساة الأندلس في رأي ابن حيان ، للدكتور عبد السلام الهراس .
- المستخرج من تاريخ ابن حيان ، للدكتورة ابتسام مرهون الصفار .

---

(٤) المناهل ٢٩ : ١٣ .

مجلة الوحدة

تلقت خزانة المجمع الأعداد الخمسة الأولى من مجلة الوحدة . وهي مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر والثقافة ، وتصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية ، مقرها باريس .

هدف المجلة الأساسي مواجهة حالة التجزئة التي مُني بها المجتمع العربي ، ومحاربة الغزو الثقافي الذي يقصد إلى طمس الشخصية العربية وتشويه تراثها الحضاري . وترى المجلة أن الخطوة الأولى في العمل من أجل الوحدة العربية هو تلاقي الفكر العربي لإنهاء التشتت والانفصال ؛ ولايتم مثل هذا التلاقي المثمر إلا بالمحاورة بين المثقفين ، مما يؤدي إلى تنمية الوعي ، وتصحيح المسار ، وتحقيق التقدم .

وقد حرصت مجلة الوحدة ، إلى جانب الموضوعات الثقافية التي تنشرها ، على أن تخصّ كل عدد بموضوع تدور حوله جملة من البحوث توضح جوانبه المختلفة ، وتغنيه ، وتدعو إلى مزيد من دراسته .

كان محور عددها التجريبي : نحو تصور عملي لتحقيق الوحدة العربية . وتناول عددها الأول (تشرين الأول ١٩٨٤ م) موضوع تحديث الفكر العربي . وعرض العدد الثاني (تشرين الثاني ١٩٨٤ م) لمفهوم التقدم . أما العدد الثالث (كانون الأول ١٩٨٤ م) فقد كان محوره موضوع الغزو الثقافي . وجاء محور العدد الرابع (كانون الثاني ١٩٨٥ م) بحوثاً تدور حول حوار الحضارات ، أما محور العدد الخامس (شباط ١٩٨٥ م) فكان خاصاً بالهوية والهوية القومية .

وتتسم بحوث المجلة بالغنى والعمق والانفتاح .

عبد الكريم جرمانوس
في
الذكرى المئوية لولادته

غزوة بدير

أقامت وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية بالتعاون مع السفارة المجرية معرض صور احتفاءً بالذكرى المئوية لولادة المستشرق المجري الشهير الحاج عبد الكريم جرمانوس (١٨٨٤ ـ ١٩٧٩ م) . وقد استطاع هذا المعرض الجميل (الذي أقيم في المركز الثقافي العربي بدمشق في ١٩ / ١ / ١٩٨٥ م) أن يبرز بالصور مراحل حياة الأستاذ الكبير جرمانوس نابضة بالحياة . وهذه لَمعٌ تحكي بعض ماأفصحت عنه الصور والتعليقات التي اقترنت بها .

ولد جيولا جرمانوس في مدينة بودابست في السادس من شهر تشرين الثاني عام ١٨٨٤ م . كان والده دباغاً . وكانت أسرته تود تعليمه حرفة صناعية ، أما هو فقد كان منذ مطلع شبابه منجذباً إلى العلوم وإلى عالم الشرق الساحر . درس في جامعات فيينا واصطنبول[١] ، واتقن التركية والعربية والفارسية . وخلال وجوده في اصطنبول اتصل بحركة « تركيا الفتاة » . وفي عام ١٩٠٧ م نال درجة الدكتوراة ؛ وكان موضوع اطروحة الدكتوراة الحرف التركية في القرن السابع عشر . وقد أتاح له ذلك فرصة نيل منحة دراسية في انكلترة لمدة ثلاث سنوات

(١) هكذا ورد اسمها في معجم البلدان لياقوت الحموي ١ / ٢٧٧ .

١٩٠٨ ـ ١٩١١ م ، ثم أصبح منذ عام ١٩١٢ م أستاذاً للتركية والفارسية والعربية في « الأكاديمية الملكية الشرقية » ببودابست .

وشارك إبان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) إلى جانب القوات التركية في المعارك الدائرة قرب الدردنيل ممثلاً للجنة الوطنية المشكلة لمؤازرة الهلال الأحمر ، ووقع في أسر البريطانيين ؛ ولكنه عاد إلى تركيا حيث منحه السلطان محمد السادس وسام المجيدية ، وخلال تلك الفترة نشر الكثير من أعماله العلمية واختير عضواً في العديد من الجمعيات العلمية .

وأصبح جرمانوس بعد ذلك مدرساً في المعهد الشرقي التابع لكلية العلوم الاقتصادية التابعة لجامعة بودابست . ومن ثم أصبح مديراً للمعهد بعد وفاة مديره واستمر في تدريس اللغات العربية والفارسية والتركية إلى جانب تاريخ الحضارة الإسلامية .

وفي عام ١٩٢٦ م انتخب جرمانوس سكرتيراً لنادي القلم المجري . كما شارك في تنظيم نادي القلم في كل من بلغاريا ومصر ويوغوسلافيا .

وفي عام ١٩٢٩ م استدعاه الشاعر الهندي طاغور ووكل إليه مهمة تنظيم كرسي العلوم الإسلامية في جامعة سانتينيكاتان التي تقع بالقرب من مدينة كلكتا ، فقد كان أول أستاذ في ذلك القسم . ولدى عودته من الهند ألف كتاباً عن انطباعاته وما شاهده في الهند تحت عنوان « نور الهند » India Vilègossàge تحدث فيه عن اللقاءات التي دارت بينه وبين المهاتماغاندي ونهرو وغيرهما من قادة الهند . وقد اعتنق جرمانوس الإسلام آنذاك في مسجد دلهي الجامع ؛ وكان شاهده الدكتور : ذاكر حسين ، الذي أصبح بعد ذلك رئيس جمهورية الهند .

وبعد زيارته للهند تشوق لزيارة الأماكن المقدسة في مكة والمدينة ، ولكنه قبل ذلك شد الرحال إلى القاهرة ، فزار الجامع الأزهر ، ومن ثم أتم استعداداته لرحلة الحج وأقام هناك علاقات وروابط مع رجال الدين والعلماء .

كانت حجته الأولى عام ١٩٣٥ م ليكون أحد أولئك الأوربيين القلائل الذين يزورون مكة . ودخل مكة مسلماً خاضعاً لله قانتاً . وقد خط سيرة رحلته الأولى في كتاب « الله أكبر » Allah Akbar الذي ترجم إلى عدة لغات .

وعاد فاشتد به الحنين إلى الشرق والديار الإسلامية ، ـ فقرر في عام ١٩٣٩ م ، أي وفي خضم أحداث الحرب العالمية الثانية ـ السفر ؛ فذهب إلى مصر ومنها إلى الحجاز . فحج حجته الثانية . وذكر انطباعاته عن هذه الرحلة في كتابه « في ظل النور الخافت للهلال » .

وإبان الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلتها بدا من المستحيل الاتصال بالشرقيين إلا عن طريق الرسائل ، وقد كان هذا الاسلوب أنجع طريقة ، وبذلك فقد وجد صندوق مراسلات خاص لدى جرمانوس عثر فيه على كتابات لعلماء مسلمين من العالم العربي والإسلامي . وفي تلك الفترة ألف رواية « نيران البنغال » باسم زوجته الأولى التي توفيت خلال سني الحرب .

وبعد الحرب العالمية الثانية أصبح على رأس المعهد الشرقي . وفي عام ١٩٤٨ م أصبح أستاذاً في جامعة بودابست للعلوم . ثم تزوج زوجته الثانية وهي السيدة كاتوكاياري التي أسلمت فيما بعد واتخذت لنفسها اسم عائشة فكانت زوجةً وزميلة عمل .

وفي عام ١٩٥٥ م سافر جرمانوس إلى الشرق من جديد ليجدّد روابط العلاقات الشخصية مع أصدقائه القدامى . وقد أثارت محاضراته في الجامعات المختلفة في الدول التي زارها كبير الاهتمام والإقبال ، ولقي كبير التقدير والاحترام في كل مكان . واختير عضواً في المجامع اللغوية في كل من دمشق والقاهرة وعمان وبغداد . وعضو شرف في اتحاد الكتاب العرب . وقابله بالاحترام والود نهرو وذاكر حسين ورادها كريشنا في الهند .

وقد انتخب مرتين عضواً في المجلس النيابي المجري ومنح عدداً من الأوسمة الرفيعة لنشاطه العلمي . وانتخبته في أوربا عدة مؤسسات عضواً فيها ، مثل الأكاديمية الإيطالية وكذلك في المشرق .

وظل جرمانوس يتابع نشاطه العلمي حتى وافته المنية في السابع من تشرين الثاني عام ١٩٧٩ م ، بعد حياة حافلة بالمآثر قضاها في عمل دائب مخلفاً تراثاً علمياً عظيماً وذكرى جميلة في قلوب أصدقائه وعارفيه .

الكتب المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

في الربع الأول من عام ١٩٨٥

محمد مطيع الحافظ

- **الميزان في تفسير القرآن** (١ ـ ١٠) ـ للسيد محمد حسين الطباطبائي ـ الطبعة الخامسة ـ بيروت ١٩٨٣ م
- **الغدير في الكتاب والسنة والأدب** (١ ـ ١١) ـ للشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي ـ الطبعة الخامسة ـ بيروت ١٩٨٣
- **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة** (١ ـ ١٥) ـ تأليف الإمام محمد بن الحسن الحر العاملي ـ تحقيق الشيخ عبد الحميد الرّباني الشيرازي ـ الطبعة الخامسة ١٩٨٣ م
- **تطور النظرة الإسلامية إلى أوربا** ـ د . خالد زيادة ـ بيروت ١٩٨٣
- **حركة التصوف الإسلامي** ـ محمد ياسر شرف ـ دمشق ١٩٨٤
- **فضائل المدينة** ـ للمفضل بن محمد الجَنَدي اليمني المكي ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ ، غزوة بدير ١٩٨٥
- **فضائل بيت المقدس** ـ لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي ـ تحقيق محمد مطيع الحافظ ـ دمشق ١٩٨٥
- **القول السديد في كشف حقيقة التقليد** ـ لمحمد الأمين الشنقيطي ـ بنارس الهند ١٩٨٣ م

- **مفاهيم الجماعات في الاسلام** - د. رضوان السيد - بيروت ١٩٨٤
- **تاريخ الغيبة الكبرى** - للسيد محمد الصدر - أصبهان
- **خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** - للحافظ أحمد بن شعيب النسائي - حققه وعلق عليه الشيخ محمد باقر المحمودي - بيروت ١٩٨٣
- **أسمى المناقب في تهذيب أسنى المطالب في مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** - لمحمد بن محمد الجزري الدمشقي - هذبه وعلق عليه الشيخ محمد باقر المحمودي - بيروت ١٩٨٣
- **المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين** - لأبي جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي - تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - بيروت ١٩٨١
- **جمهرة النسب** - الجزء الثاني (قيس عيلان ، ربيعة ، إياد ، أغمار) - ابن الكلبي - تحقيق محمود فردوس العظم - دمشق ١٩٨٤
- **من كتاب ديوان المعاني** - لأبي هلال العسكري (١ - ٢) اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها أحمد سليمان معروف - دمشق ١٩٨٤
- **حول المعجم العربي الحديث** - أحمد شفيق الخطيب - بيروت
- **مسالك القول في النقد اللغوي** - صلاح الدين الزعبلاوي - دمشق ١٩٨٤
- **لك القوافي** - مجموعة شعرية - أشرف على طبعه الدكتور عدنان درويش - دمشق ١٩٨٤
- **الثقافة وقيم الشباب** - الدكتورة ملكة أبيض - دمشق ١٩٨٤
- **أنت جريح** (رواية) - ايردال اوز - ترجمة فاضل جتكر - دمشق ١٩٨٤

- **المسرح العربي المعاصر في مواجهة الحياة** - فرحان بلبل - دمشق ١٩٨٤

- **عنف** (رواية) فيستس إيابي - ترجمة د . هاني الراهب - دمشق ١٩٨٤

- **نقود لماريا** (رواية) - فالنتين رسبوتين - ترجمة يوسف حلاّق - دمشق ١٩٨٤

- **لاتقتل عصفوراً ساخراً** (رواية) - هاربرلي - ترجمة توفيق الأسدي . دمشق ١٩٨٤

- **آنّا كارينين** (١ - ٣) ليون تولستوي - ترجمة صياح الجهيم - دمشق ١٩٨٤

- **على جناح الذكرى** - الجزء الثالث - رضا صافي - دمشق ١٩٨٤

- **مغامرات رشأ الصغيرة** (قصص للأطفال) اقتباس سعد صائب - دمشق ١٩٨٤

- **طقس في الزمن الرمادي** - عبد الإله الرحيل - دمشق ١٩٨٤

- **أساطير وحكايات شعبية للأطفال من العالم** - تدقيق نعوم إبراهيم عبود - ترجمة د . صاموئيل عبود - دمشق ١٩٨٤

- **من يذكر مصر الأخرى** (ستة نصوص قصصية) - يوسف القعيد - دمشق ١٩٨٤

- **بين المرسى والشراع** (شعر) - هند هارون - دمشق ١٩٨٤

- **وولت ويتمان (حياته وأعماله)** - موريس مندلسون - ترجمة عارف حذيفة - دمشق ١٩٨٤

- **أرسوس الدب القطبي** - (رواية للأطفال) - استيربرات غيرا - ترجمة صالح علماني - دمشق ١٩٨٤

- **أغنيات للممثل الوحيد** (مسرحيات صغيرة) - وليد اخلاصي - دمشق ١٩٨٤

- **أنذرك بحمامة بيضاء** (قصائد) - مرام مصري ، محمد سيده - منذر مصري - دمشق ١٩٨٤

- **الغيمة تمرح** (شعر للأطفال) - موفق نادر - دمشق ١٩٨٤

- **ثلاث مسرحيّات غنائية للأطفال** - محمد أبو معتوق - دمشق ١٩٨٤

- **علاء الدين والمصباح السحري** (مسرحية) - عدنان جودة - دمشق ١٩٨٤

- **موسوعة حلب المقارنة** (المجلد الثالث) - خير الدين الأسدي - أعدها للطباعة ووضع فهارسها محمد كال - حلب ١٩٨٤ م

- **محاضرات في تاريخ العلوم العربية والاسلامية** - د . فؤاد سزكين - فرانكفورت ١٩٨٤ م

- **أسماء خيل العرب وفرسانها** - لابن الأعرابي برواية أبي منصور الجواليقي - تحقيق د . نوري حمودي القيسي - د . حاتم صالح الضامن - بغداد ١٩٨٥

- **حلب - تاريخها ومعالمها التاريخية** - د . شوقي شعث - حلب

- **محاضرات الخليل في الإنشاء العربي** - خليل مردم بك - حققها وعلق عليها عدنان مردم بك - دمشق ١٩٨٥

- **التعليم العالي ومسؤولياته في تنمية دول الخليج العربي** - د . محمد عبد العليم مرسي - الرياض ١٩٨٥ م

- **الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها** (الجزء الأول) - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٣

ـ **دليل المعلم للكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٣

ـ **أشواك وبراعم** ـ (ثلاثيات ورباعيات شعرية) ـ رياض المعلوف بيروت ١٩٨٢

ـ **المثقفون والتقدم الاجتماعي** ـ عدد من المؤلفين ـ ترجمة شوكت يوسف ـ دمشق ١٩٨٤

ـ **كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية** ـ عمر بن مسعود المنذري (الجزء الرابع) سلطنة عمان ١٩٨٣

ـ **أراجيز ملاحية (السفالية ـ المعلقية ـ التائية)** نظم أحمد بن ماجد ـ تحقيق إبراهيم خوري ـ صنعاء

ـ **الديمقراطية الأوربية بين ١٨٤٥ و ١٩٣٣** ـ ارتورروزنبرج ـ ترجمة ميشيل كيلو ـ دمشق ١٩٨٤

ـ **أعمال ندوة البحث التربوي في المغرب (مناهج ومجالات)** ـ الرباط ١٩٨٢

ـ **الوراثة وتاريخ الحياة** ـ دانييل بريفولت ـ ترجمة محمد وائل الأتاسي ، سهيل حكيم ـ دمشق ١٩٨٤

ـ **فلسفة الفيزياء** ـ ماريوبونج ـ ترجمة حافظ الجمالي ـ دمشق ١٩٨٤

ـ **الطاقة وآفاقها المستقبلية** ـ الدكتور المهندس مظفر صلاح الدين شعبان ، المهندس سمير صلاح الدين شعبان ـ دمشق ١٩٨٤

ـ **المكرو الكترونيات (الكترونيات الدقة) ـ الدارات والأنظمة الرقمية والتشابهية** ـ ي . ميلمان ـ (الكتاب الأول) ـ نقله إلى العربية المهندس وجيه السمان ـ دمشق ١٩٨٤

- **مبادىء التحليل الرياضي** - أ . ج . مادوكس - ترجمة د . وليد ديب - راجعه علمياً د . محمد عرفات النتشة - راجعه لغوياً د . أحمد سعيدان - مجمع اللغة العربية الأردني - عمان ١٩٨٤
- **نشأة الإنسان** - دانييل بريفولت - ترجمة سهيل حكيم - دمشق ١٩٨٤
- **التطور والسلوك الحيواني** - دانييل بريفولت - ترجمة محمد وائل الأتاسي ، سهيل حكيم - دمشق ١٩٨٤
- **تاريخ الأفكار السياسية** - معهد الانماء العربي - ترجمة د . خليل أحمد خليل - بيروت ١٩٨٤
- **كشف الارتياب في أتباع محمد بن عبد الوهاب** - للسيد محسن الأمين - الطبعة الخامسة - بيروت
- **الموسوعة العلمية الميسرة** - نخبة من المؤلفين - (المجلد الثالث - الجزء الأول) - دمشق ١٩٨٤
- **دليل الدوريات الصادرة في دول الخليج العربية** - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨٤
- **المطبوعات العربية الصادرة في الكويت** في الفترة ١٩٧٧ - ١٩٨٢ إعداد مراقبة الشؤون الثقافية - الكويت
- **فهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في يافا** - إعداد محمود علي عطا الله - عمان - مجمع اللغة العربية الأردني - ١٩٨٤
- **نقل التكنولوجيا وعملية التنمية** - د . قاسم جميل قاسم - المنظمة العربية للعلوم الادارية عمان ١٩٨٤
- **محددات عملية التنظيم وتكيفاتها على مستوى التنظيم المحلي** - د . عبد المعطي العساف - المنظمة العربية للعلوم الادارية - عمان ١٩٨٤

- **حالات إدارية من الخبرة العربية مستمدة من دراسات استشارية** ـ د . نزيه الايوبي ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ عمان ١٩٨٤

- **مؤسسات التنمية الادارية العربية ، أوضاعها الراهنة وآفاق المستقبل** ـ د . حسن ابشر الطيب ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ عمان ١٩٨٤

- **استخدام الحاسبات الالكترونية في الادارة** ـ د . المهندس محمد نور برهان ـ المنظمة العربية للعلوم الادارية ـ عمان ١٩٨٤

فهرس الجزء الثاني من المجلد الستين





شوال ١٤٠٥ هـ

تموز (يوليو) ١٩٨٥ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

السيرة الذاتية

للمستشرق الالماني بروكلمان

(١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م)

الدكتور كامل عياد

١ ـ مقدمة

نشرت مجلة (اوريانس Oriens) التي تصدرها الجمعية الدولية للدراسات الشرقية في عددها المزدوج (٢٧ ـ ٢٨) ـ ليدن ١٩٨١ ـ ذكريات و ملاحظات كان سجلها المستشرق الكبير الأستاذ (كارل بروكلمان) في سنة ١٩٤٧ ، وبقيت محفوظة لدى أسرته حتى حصل عليها رئيس تحرير المجلة المستشرق الاستاذ (رودولف زلهايم) من جامعة (فرانكفورت/على الماين) .

وقد عرف الأستاذ (زلهايم) أن (الذكريات والملاحظات) لم يكتبها الأستاذ (بروكلمان) بقصد النشر ، بل أراد حفظها لولده الذي يحمل أيضاً اسم (كارل) والذي كان وقع في الأسر عند استسلام الجيش النازي في (ستالينغراد) سنة ١٩٤٣ .

ثم تسربت مؤخراً ، بعد انقطاع طويل ، أخبار عن الابن وعن احتمال رجوعه من الأسر . وبالفعل عاد الابن في أوائل الخمسينات وعمل طبيباً في مستشفيات المانيا الغربية قبل أن ينتقل إلى جزيرة (سوماطرا) للعمل فيها دون أن يجتمع بوالده في (هاللة) بالمانيا الشرقية .

كان الأستاذ (بروكلمان) أحيل في سنة ١٩٤٥ على التقاعد من كرسي أستاذية اللغات الشرقية في جامعة (برسلاو) ثم اضطر إلى النزوح عن هذه المدينة التي ضمت إلى (بولونيا) بعد دخول الجيش السوفياتي إليها في تموز من سنة ١٩٤٥ ، وهكذا فقد (بروكلمان) كل ما يملك وانقطع راتبه التقاعدي .

على أنه لما وصل إلى مدينة (هاللة) توسط له رئيس جامعتها المستشرق (آيسفيلد) في تشرين الأول ١٩٤٥ لتولي أمور مكتبة الجمعية الالمانية للمستشرقين والحصول بذلك على مورد للعيش مؤقتاً .

والى (بروكلمان) يرجع الفضل في المحافظة على هذه المكتبة القيمة في مكانها بأمر من الضابط المسؤول في الادارة العسكرية لمنطقة الاحتلال السوفياتية وذلك احتراماً لشخصية العلامة الالماني المشهور .

وقد أشرف (بروكلمان) على نقل الكتب من مخابئها إلى مقر الجمعية . ويتذكر رواد المكتبة أنهم في شتاء سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ وفي البرد القارس الذي يهبط إلى (٣٠) درجة تحت الصفر كانوا يشاهدون رجلاً متقدماً في السن ملتحفاً بمعطفه الأسود ، جالساً في مدخل المكتبة والى جانبه مدفأة كهربائية تشعل اذا لم يكن التيار الكهربائي مقطوعاً في أكثر الأحيان . هذا الرجل كان الاستاذ (بروكلمان) نفسه الذي قام بإعداد الفهرس لكتب جمعية المستشرقين الالمان ..

في خريف ١٩٤٧ تحرر الأستاذ (بروكلمان) من متاعب أعمال المكتبة اذ عهدت إليه جامعة (مارتين لوثر) في (هاللة) بكرسي أستاذ اللغة التركية ، فتهافت عليه الطلاب الذين كانوا يدرسون معه النصوص التركية والعربية والسريانية والآكادية والحبشية والذين كان يشرح لهم

اشتقاق الكلمات ومقارنتها في مختلف اللغات بالاضافة إلى معلومات غزيرة أدبية وتاريخية كان يجود بها .

كان بين الطلاب الذين التفوا حوله لدراسة اللغة العربية على كتابه (قواعد اللغة العربية) الشاب (رودولف زلهايم) الذي أرسله (بروكلمان) الى المانيا الغربية ، وكلفه بالاشراف على طبع الأجزاء الملحقة من كتاب (تاريخ الآداب العربية) المشهور لدى ناشره في هوللاندا .

جلس (بروكلمان) يوم ١٤ أيلول سنة ١٩٤٧ ، بعد أن بلغ التاسعة والسبعين من العمر وانتهى في عدة ساعات من كتابة سيرته الذاتية معتمداً على ذاكرته دون أن تكون لديه مذكرات مكتوبة . ولا عجب فقد اشتهر (بروكلمان) بقوة عجيبة في التذكر ، و بقدرة فائقة على تركيز أفكاره ، و بطاقة هائلة للعمل . وقد ظلت هذه السيرة الذاتية محفوظة لدى زوجته الثانية التي اقترن بها بعد وفاة زوجته الاولى في سنة (١٩٤٦) والتي كان محتاجاً لرعايتها بعد أن بلغ الثمانين من العمر .

ولما جاء تلميذه (زلهايم) ، الذي أصبح استاذاً في فرانكفورت / (على الماين) في زيارة إلى (هاللة) في سنة (١٩٥٨) اطلع على هذه السيرة التي تنازلت زوجة (بروكلمان) عنها إليه .

كان (زلهايم) يعلم بأن أستاذه (بروكلمان) لم يفكر أبداً في نشر ما كتبه عن سيرته الذاتية . ولكنه رأى مع غيره من المستشرقين بأن للأجيال الناشئة كل الحق في معرفة جميع النواحي المتعلقة بهذه الشخصية العلمية الفذة وأن يقرؤوا ما كتبه عن نفسه هذا المستشرق الذي يحتل مكانة عالية في تاريخ علم الاستشراق . وهل هناك من مستشرق على

وجه الأرض لا يعرف اسم (بروكلمان) ولم يرجع إلى مؤلفاته ويحمده على ما يقتبسه عنها من علم سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل على الرغم من التقدم العلمي المستمر في دراسة تراث الشرق وازدياد التخصص والتعمق في البحث ؟

٢ ـ أسرة (بروكلمان) ونشأته

يبدأ (بروكلمان) سيرته الذاتية بالكلام على أجداده وفروع أسرته ويذكر بعض أفراد عرفت أسماؤهم منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر في مقاطعة (هانوفر) وبالأخص في مدينة (روشتوك) على بحر البلطيق ، حيث ولد (بروكلمان) سنة ١٨٦٨ . وكان والده يميل إلى الزراعة مثل أجداده ولكنه اضطر إلى الاشتغال بالتجارة دون رغبة منه حتى انتهى إلى الافلاس فتولى أعمالاً ادارية بسيطة في مستشفى الجامعة وفي احدى المكتبات ..

نشأ (كارل بروكلمان) (Carl Brockelmann) في (روشتوك) ، حيث أتم الدراسة الثانوية (الجمنازيوم) . وهو يذكر أسماء بعض أساتذته الذين عرفوا بالكفاية . ويمدح مدرسي اللغة الالمانية اللذين كان أحدهما يدرس أيضاً اللغة العبرية التي كان تعلمها اختيارياً ، فاختارها (بروكلمان) لأنه ظل خلال فترة قصيرة يفكر في دراسة اللاهوت بالجامعة . الا انه سرعان ما أحب اللغة ذاتها . ولا حظ المدرس اهتمامه بهذه المادة خلافاً لجميع زملائه فأخذ يشجعه و يساعده . ولما أثبت تفوقه في فحص الشهادة الثانوية اتصل مدرسه بأستاذ اللغات الشرقية في الجامعة لتقديم التوصية بشأنه ، وبالفعل كان للاستاذ (فيليبي) أكبر الأثر في مجرى حياة (بروكلمان) .

ويشكو (بروكلمان) من مدرس اللغتين الفرنسية والانكليزية الذي لم يتعلم التلاميذ منه شيئاً . فقد كان من خريجي معاهد اليسوعيين ، لفق كثيراً من الكتب التافهة وفرض على التلاميذ مراجعتها في حين كان يقضي دوماً نصف ساعة الدرس في الثرثرة ورواية حوادث البلدة .

وقد خص (بروكلمان) بالذكر مدرسين في الصفوف الوسطى : أحدهما مدرس اللغة الالمانية (كرن) الذي لمع اسمه اذ ذاك بين كتاب الشباب المحبوبين ، والذي كانت قصصه ورواياته تلهب خيال الناشئين وتغذي ميولهم إلى المغامرات في بلاد الشرق البعيدة . أما المدرس الثاني فهو الدكتور (شتريليتس) المتميز في اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) وهو ، على الرغم من كونه (يهودياً) ورغم ضؤولة مظهره كان قادراً على فرض النظام في الصف .

يقول (بروكلمان) : « منذ الصفوف العليا الاولى بدأت تظهر بوضوح ميولي التي ظلت تسيطر على حياتي . فقد كانت لنا في المدرسة اذ ذاك حلقة للقراءة تجتمع مرتين كل اسبوع ، فكنا نأتي كل يوم أربعاء بمجلة (غلوبوس) ، وكل يوم سبت بمجلة (البلاد الأجنبية) ، وهما المجلتان الرائدتان في تلك الفترة التي كانت ما زالت تشهد تعاقب الاكتشافات الجغرافية الكبيرة في آسيا وافريقيا . وبتأثير ذلك اتجه خيالي مبكراً نحو الشرق . وكان اهتمامي مركزاً في الدرجة الأولى على المعلومات اللغوية التي يرد ذكرها في المجلتين . وبالاستناد إلى ذلك قمت ، وأنا في الصف الثانوي قبل الأخير ، بوضع قواعد لهجة (البانتو) السائدة في المستعمرة البرتغالية (آنغولا) . وكانت أكبر أمنيتي أن أعيش فيما وراء البحار . ومما كان يدفعني إلى ذلك الأوضاع السيئة في (روشتوك) . فقد كانت الحياة التجارية في الحضيض ، وكان التجار الموهوبون يسعون إلى

خارج البلاد ، وكنا نسمع كثيراً عن أبناء جيراننا الذين كانوا يمارسون التجارة أو ادارة الشركات في أمريكا الجنوبية أو في روسيا ، وعن الذين أصبحوا أغنياء . وعلمت مثلاً أن اثنين من زملائي التلاميذ قاما بتأسيس شركة للتصدير في (شانغهاي) .

ولكن من المؤسف أنه لم تكن لدي أي ميول أو مواهب تجارية . ولذلك فكرت أحياناً في دراسة اللاهوت ثم القيام بأعمال التبشير . وكان يخطر لي في بعض الأوقات دراسة الطب حتى أصبح طبيباً في البحرية فأتمكن من الرحيل إلى كثير من أنحاء العالم .

وفي الأخير تغلبت اهتماماتي اللغوية على كل الاتجاهات الأخرى . فقد كنت ، بعد أن تعلمت اللغة العبرية ، بدأت في الحال دراسة الآرامية ـ الانجيلية التي وضعتُ لها القواعد النحوية بنفسي ، كما تعلمت وأنا في الصف الثانوي الأخير اللغة السريانية ..

عندما انتهيت من فحوص الدراسة الثانوية في سنة ١٨٨٦ كان قد تم تأسيس معهد الاستشراق في برلين لاعداد التراجمة المطلوبين في خدمة السفارات والقنصليات ، وكذلك العمل في مستعمراتنا ، وقد بدا لي أن هذه هي الطريق الصحيحة بالنسبة لمستقبلي ، واعتقدت انه يحسن بي دراسة اللغات الشرقية في المعهد الجديد . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لحسن الحظ . فإن التراجمة الذين تعرفت عليهم فيما بعد كانوا ، في أثناء أعمالهم الرتيبة ، قد فقدوا كل اهتمام علمي ولم يكتب لهم التقدم في مسلك حياتهم ماعدا واحداً منهم هو (فريتس روزن) الذي أصبح سفيراً ، بل تولى في عهد الجمهورية وزارة الخارجية مدة ستة أشهر .

إن (بروكلمان) يذكر فضل والدته التي كانت تطلب منه ، وهو في

المدرسة ، أن يقرأ لها مؤلفات جميع الكتاب الألمان (الكلاسيكيين) بالاضافة الى الروايات المرغوبة في ذلك الوقت وعلى الأخص الروايات التاريخية فكان لهذه القراءات أثر في توسيع ثقافته العامة .

ثم يروي (بروكلمان) كيف كان يخرج أيام الأحد للنزهة مع والده ويتحدث اليه عن مشاريعه للمستقبل . ولكن والده اضطر بعد مدة قصيرة أن يعترف له بعجزه عن مساعدته على دخول الجامعة وتحقيق أهدافه ، وأن عليه بعد الآن الاعتماد على نفسه فقط .

٣ ـ الدراسة الجامعية والكفاح في سبيل العيش

يقول (بروكلمان) : « لما « سجلت » بجامعة (روشتوك) في عيد الفصح سنة ١٨٨٦ انتقيت ، عدا اللغات الشرقية ، مادتي اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يتسنى لي في يوم ما التقدم إلى فحص (أهلية التعليم الثانوي) لأن الاختصاص في اللغات الشرقية لم يكن ، كما بدا لي ، كافياً وحده لضمان العمل في المستقبل » .

ثم يذكر (بروكلمان) انه بدأ دراسة اللغتين العربية والحبشية على الاستاذ (فيليبي) الذي استطاع ، عندما اطلع على ظروف أسرة (بروكلمان) المادية السيئة ، أن يحصل له على أكبر منحة دراسية مخصصة للتوزيع اذ ذاك تبلغ (٧٥٠) مارك في السنة دون اشتراط الدراسة في مدينة (روشتوك) ذاتها . وبعد ذلك نصحه أستاذه بالانتقال إلى (برسلاو) ومتابعة دروس صديقه الاستاذ (بريتوريوس) .

يقول (بروكلمان) بعد انتقاله في عيد الفصح سنة ١٨٨٧ إلى (برسلاو) : « كانت المعيشة في (برسلاو) رخيصة ، فلم اضطر إلى العمل لكسب بعض المال الا في الفصل التالي ، و ذلك عن طريق

الدروس الخاصة بأغنياء اليهود الذين كانوا يحرصون على تعليم أولادهم اللغة العبرية . وقد درست في (برسلاو) مدة فصلين اللغات الشرقية لدى الاستاذ (بريتوريوس) وعلى الاستاذ بلا كرسي (فرنكل) ، وهو يهودي فطن جداً تتلمذ على (بريتوريوس) وعلى (نولدكه) . كذلك تابعت محاضرات (فرنكل) عن (التلمود) التي كان يلقيها على طلاب معهد (الخاخامين) . »

ويذكر (بروكلمان) ان (فرنكل) وصى به طبيب العيون (كوهن) الذي كان يرغب في زيارة (استانبول) مرة ثانية وطلب معلماً للغة التركية ، وكان (بروكلمان) بدأ دراسة هذه اللغة بنفسه ، فقبل العمل مدة ساعة في الاسبوع مقابل أجر حسن ، ولكن عمله اقتصر في الواقع على مجالسة (كوهن) لاحتساء القهوة معه والتدخين والاستماع إلى أحاديثه عن استانبول لتصحيح بعض الكلمات والتعابير ، لأن (كوهن) لم يكن حقاً يريد تعلم اللغة التركية وإنما اعتبر هذه الدروس نوعاً من الدعاية ..

ثم انتقل (بروكلمان) في عيد الفصح سنة (١٨٨٨) بنصيحة من استاذيه (فيليبي) و (بريتوريوس) إلى (شتراسبورغ) لتلقي العلم عن الاستاذ (نولدكه) ، أشهر مستشرق في ذلك الوقت . ويقول (بروكلمان) إنه بالفعل قد تعلم الكثير من (نولدكه) . وقد تركزت دراسته في الفصل الأول على اللغات الشرقية لدى (نولدكه) بالاضافة الى اللغة (السانسكريتية) عند (هوبشمان) ثم (الأرمنية) و (المصرية) عند (دوميشن) . وكان هؤلاء الاساتذة يدرسون في بيوتهم لقلة الطلاب ، وكان (بروكلمان) يحضر في الغالب وحده عند (نولدكه) ، ويرافقه راهبان أرمنيان عند (هوبشمان) . ويلاحظ

(بروكلمان) قائلاً : « كانت محاضرات (هوبشمان) شائقة ، مثيرة للاهتمام حتى إنني فكرت حيناً في الانتقال إلى التخصص باللغات الهندية ـ الجرمانية عوضاً عن الشرقية ، ولكن الاستاذ (هوبشمان) نصحني بالتخلي عن هذه الفكرة لأن جميع الكراسي في هذا القسم كان يتولاها في ذلك الوقت مدرسون في سن الشباب ولا أمل لذلك في الحصول على كرسي في القريب . »

يذكر (بروكلمان) ان المعيشة في (شتراسبورغ) كانت أغلى بكثير مما في (برسلاو) وانه لقي صعوبات كبيرة في أمر المسكن والطعام . ويبدو أن احد زملائه تحدث عن ضيق حاله الى الأستاذ (نولدكه) الذي استطاع أن يحصل له على منحة جيدة من إحدى المؤسسات الوقفية والذي نصحه في الوقت ذاته بأن يعود إلى دراسة اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يضمن معيشته في المستقبل .

كذلك قام (نولدكه) في شتاء سنة ١٨٨٩ ـ ١٨٩٠ بترتيب جائزة عن موضوع طلب إلى (بروكلمان) معالجته ، واستجابة لذلك كتب (بروكلمان) أطروحته وعنوانها : « العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري » فنالت الجائزة التي ساعدته على طبع الأطروحة (شتراسبورغ سنة ١٨٩٠) والتقدم بها إلى الجامعة لنيل الشهادة وحق التدريس ...

وفي فصل الصيف (١٨٩٠) حصل (بروكلمان) على وظيفة معلم خاص مقابل المسكن والطعام مع راتب شهري يبلغ (١٠٠) مارك وبذلك تمكن من التقدم إلى (امتحانات الدولة لنيل شهادة أهلية التعليم الثانوي) وبدأ التدريس في المدرسة الثانوية البروتستانتية في

(شتراسبورغ) لمدة سنة تجريبية . وقد عهد إليه بساعات اضافية عديدة في مختلف الصفوف ، ثم عين في بداية عام ١٨٩١ معلماً مساعداً براتب (١٠٠ مارك) كما ظل يسعى إلى إعطاء دروس خاصة لتوفير بعض المال الذي سوف يحتاج إليه عندما يعين « مدرساً خاصاً » في احدى الجامعات .

[ملاحظة : ان نظام الجامعات الالمانية ، الموروث عن القرون الوسطى ، كان اذ ذاك ولا يزال الآن مختلفاً عن سائر الأنظمة الغربية في تصنيف المدرسين وترتيب درجاتهم وأسلوب ترفيعهم ، اذ يقضي بأن يبدأ الأساتذة بلقب (مدرس خاص) لا يتقاضى راتباً ثابتاً وإنما يتلقى أحياناً منحة دراسية كما يحصل على مبلغ من الرسوم التي يدفعها الطلاب الذين يستمعون إلى محاضراته وهذا المبلغ يزيد أو ينقص حسب عدد الطلاب .]

شعر (بروكلمان) في خريف سنة ١٨٩٢ بضرورة اتخاذ قرار فيما يتعلق بمستقبله ومهنته . وقد أدرك انه ليس هناك من أمل في أن يحصل على وظيفة مدرس دائم في (الثانوية البروتستانتية) التي كان يقوم بتدريس ساعات اضافية فيها ، وذلك لأنه لم يكن هناك مكان شاغر اذ ذاك ، عدا ان ادارة المدرسة لم تكن ترغب في تعيينه لمعرفتها باهتماماته العلمية وتجاربها السابقة مع المدرسين الذين ينتظرون أول فرصة للانتقال إلى الجامعة .

يقول (بروكلمان) : « لما طلبت المشورة من الاستاذ (نولدكه) في التقدم إلى التدريس في جامعة (شتراسبورغ) نصحني بالتخلي عن ذلك لأن هذه الجامعة لا تقدم أي منحة للمدرسين الخاصين عدا أن شخصاً

اختصاصياً في اللغة الآشورية تقدم إلى قسم اللغات الشرقية ثم تقدم بعد مدة مدرس للغة العربية .

وهكذا اتجهت إلى الأستاذ (بريتوريوس) في (برسلاو) أسأله عن رأيه في العمل تحت رعايته فلم يعارض .

٤ ـ « مدرس خاص » في (برسلاو) و (برلين) (١٨٩٣ ـ ١٩٠٠)

انتقل (بروكلمان) في تشرين الثاني ١٨٩٢ إلى (برسلاو) وتقدم إلى الجامعة باطروحة لنيل حق التدريس ، كان موضوعها تحقيق مخطوطة في مكتبة برلين (لعبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي) عنوانها « تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار » . وقد تأخر تعيينه عدة أشهر لأن الاطروحة كان يجب أولاً طبعها في (ليدن) بهوللاندا ، ثم لأن عميد الكلية (كارو) اليهودي لم يظهر اهتماماً خاصاً بالأمر بل كان ينتظر أن يتولى المدرس اليهودي (فرنكل) كرسي اللغة العربية بعد انتقال (بريتوريوس) إلى جامعة (هاللة) .

ويعترف (بروكلمان) ، الذي عين مدرساً خاصاً ، في أول سنة ١٨٩٣ ، أن الأستاذ (فرنكل) لم يحاول ، بعد وصوله إلى المنصب ، أن يثير العراقيل والمصاعب في طريقه ، بل كان يكتفي بأن يزوره مرة أو مرتين خلال الفصل الدراسي . ثم يقول (بروكلمان) :

« كانت مهنة التعليم في (برسلاو) لمستشرق مثلي تدعو إلى الرضى من حيث الدخل ، اذ كان هناك ، بالاضافة إلى (كلية اللاهوت الكاثوليكية) معهد للخاخامين اليهود يقصده عدد كبير من الطلاب الذين يدرسون اللغات السريانية والعبرية والعربية ، ويدفعون الرسوم المقررة لتأمين رواتب المدرسين الخاصين . »

يذكر (بروكلمان) انه توقف عن التدريس في فصل الشتاء سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ للقيام برحلة الى (لندن) واستنساخ مخطوطة أحد اجزاء (كتاب الطبقات الكبير) لابن سعد ، الذي كان المجمع العلمي في (بروسيا) قرر نشره بإشراف الأستاذ (ساخاو) الذي كلف عدداً من المستشرقين الشباب بالتعاون معه . [المقصود بذلك هو الجزء الثامن من الطبقات المتضمن تراجم النساء . وقد طبع في ليدن سنة ١٩٠٤] .

وفي الوقت نفسه أراد (بروكلمان) أن يحقق وينشر مؤلفاً آخر هو (كتاب عيون الأخبار) لابن قتيبة ، وكان قد استنسخ من قبل مخطوطة للكتاب استجلبها من (بطرسبورغ) ، ولكن تبين له أنها ناقصة وعلم أن النسخة الوحيدة الكاملة موجودة في (استانبول) فقرر متابعة رحلته إلى هناك وكان من الصعب أن يستنسخ المخطوطة بسرعة في مكتبة (كوبريلي) التي لم تكن تفتح أبوابها إلا بضعة أيام في الأسبوع ولمدة ساعتين فقط ، لذلك لجأ (بروكلمان) إلى السفارة الالمانية التي توسطت لدى مدير المكتبات العام في سبيل استعارة المخطوطة ، خلافاً للنظام ، ونسخها في دار السفارة . [وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء في (برلين) و (شتراسبورغ) بين سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٨]

تعرف (بروكلمان) في سنة (١٨٩٧) على السيدة التي أصبحت زوجته فيما بعد . إلا ان أحواله المالية لم تكن لتسمح له في ذلك الوقت بالارتباط بها فوراً . ولما كان راتب (المدرس الخاص) لايعتمد عليه في تكوين أسرة أدرك (بروكلمان) ضرورة السعي للوصول إلى منصب أستاذ في الجامعة . ولكن لما مات أستاذه المستشرق (فيليبي) الذي كان يأمل في احتلال مكانه ، استدعت الجامعة إلى الكرسي الشاغر أحد الاختصاصيين في اللغة (السانسكريتية) خلافاً للتقاليد ، فأصيب

(بروكلمان) بخيبة الأمل ، وأخذ يفكر في التخلي عن السلك الجامعي وقد راودته الآمال بعض الوقت في الحصول على وظيفة (مدير للمكتبة الوطنية) في القاهرة التي كانت دوماً ، منذ تأسيسها يعهد بها إلى أحد المستشرقين الآلمان ، ولكن رئيس معهد الاستشراق الأستاذ (ساخاو) أسرع إلى تعيين أحد أتباعه في هذا المنصب . ثم تقدم (بروكلمان) في صيف سنة ١٨٩٩ إلى وظيفة مدرس ثانوي أعلنت عنها مدينة (مونيخ) ويقول (بروكلمان) : « لحسن الحظ لم يقبل طلبي لأن حكومة (بافاريا) كانت بطبيعة الحال ترغب في تعيين مدرس (كاثوليكي) . »

ثم يضيف قائلاً : « وأخيراً جاء الفرج فجأة في أوائل سنة ١٩٠٠ ، فقد توفي اذ ذاك ، في سن مبكرة ، الاستاذ (سوسين) صاحب كرسي اللغات الشرقية في (لايبزيغ) واقترح لخلافته (المدرس الخاص) في (هاللة) ، المستشرق (فيشر) الذي يكبرني ثلاث سنوات والذي كان يعلم اللغة العربية منذ أربع سنوات بمعهد الاستشراق في برلين ، وطلب الي اشغال مكانه ، فانتقلت في الربيع الى (برلين) واقتصرت على استئجار مسكن مؤقت لأنه كان من المنتظر أن يشغر قريباً منصبان آخران في الجامعات . »

« كان معهد الاستشراق تابعاً للجامعة ولكنه يخضع في الوقت نفسه لإشراف وزارة الخارجية ، ولهذا السبب كان يتمتع بميزات مالية . فعلى الرغم من أن وظيفتي كانت على سبيل الوكالة فقد زاد دخلي إلى ثلاثة أمثال ما كان عليه . »

« ان الاستاذ (ساخاو) الذي أسس المعهد في سنة (١٨٨٦) اصطدم بمشاكل كثيرة من جراء حبه للتسلط والاستبداد ، فلم تمض مدة طويلة حتى اضطر المدرسون الأوائل الذين تم اختيارهم إلى التخلي عن العمل في

المعهد . وكان مدرس اللغة العربية العالم الكبير (مارتين هارتمان) الذي عاش مدة (١٦) عاماً في بيروت يعمل ترجماناً ونشر أبحاثاً كثيرة عن العالم العربي . ولم يستطع (ساخاو) أن يفرض عليه ارادته أو أن يبعده عن المعهد . ولكنه لجأ إلى تعيين مدرسين آخرين للغة العربية عهد إليهما بجميع المواد الدراسية وهكذا ظل (هارتمان) يتقاضى راتباً عالياً ويتمتع بأوقات فراغ طويلة استغلها للقيام برحلات عديدة إلى الشرق . »

يلاحظ (بروكلمان) أن (مراكش) كانت إذ ذاك ، مع الأسف ، تحتل مكانة خاصة في سياسة المانيا الخارجية حتى أصبحت فيما بعد من أهم أسباب الحرب العالمية الأولى لأنها أدت إلى الاصطدام مع الفرنسيين .

وقد عهد إلى (بروكلمان) بتعليم اللهجة المراكشية التي كانت غريبة عليه وكان لا بد له من تعلمها مستعيناً بمعيد مراكشي ، كان تاجراً غير مثقف من الرباط ولكنه كان نبيهاً ، مجتهداً وقد سبق أن دربه الاستاذ (فيشر) على متطلبات وظيفته . فكان (بروكلمان) يجلس معه كل يوم أربع ساعات حتى يتعب من الكلام . وكان على (بروكلمان) أن يقوم بالتعليم مدة ساعتين يومياً . ولحسن الحظ لم يكن هناك سوى ثلاثة طلاب أحدهم من الحقوقيين اعترف بأنه لم يتقدم إلى معهد الاستشراق إلا للخلاص من التعيين في الارياف . واستطاع الطالب الثاني في آخر الفصل الدراسي أداء الامتحان فاستخدم في شركة (مانسمان) التي كانت تستثمر بعض المناجم في (مراكش) ، أما الطالب الثالث فكان شاباً يهودياً تخصص في اللغة المصرية القديمة .

ويتابع (بروكلمان قائلاً : « ان انشغالي بالمعيد المراكشي لم يترك مجالاً للاهتمام بالمعيدين العرب الآخرين الذين كان بينهم مدرس مصري

برز فيما بعد في حياة بلاده السياسية . وكان هناك زنجي من الحوساء يتكلم اللهجة التونسية عدا لغته الأصلية . اما المعيد لتعليم اللهجة السورية الذي لم يكن لديه طلاب يتولى أمرهم فكان يتيماً مسيحياً لجأ إلى المانيا في أثناء مذابح سنة ١٨٦٨ بدمشق وحصل على الجنسية الالمانية وعين كاتباً في بلدية (برلين) .

كانت لهجات المعيدين العرب مختلف بعضها عن الآخر إلى درجة يصعب معها التفاهم فيما بينهم فيضطرون إلى التحدث بالالمانية . »

٥ ـ أستاذ بلا كرسي في (برسلاو) (١٩٠٠ ـ ١٩٠٣)

« في نهاية صيف سنة ١٩٠٠ عرضت علي في وقت واحد وظيفةُ أستاذ بلا كرسي في جامعة (أرلانغن) ومثلها في جامعة (برسلاو) . لم يكن الاختيار سهلاً لأن جامعة (أرلانغن) اقترحت راتباً يزيد بمقدار (٨٠٠) مارك ، عن (برسلاو) . ولما استشرتُ موظفاً في وزارة التعليم أعرفه جيداً إذ كان قبلاً استاذاً في (برسلاو) ، نصحني بعدم الذهاب إلى (أرلانغن) لأنــه لم يكن هنــاك كرسي أستــاذ يمكن أن يشغر الا في « مونيخ » وهو الكرسي الذي ظل الاستاذ (هو ممل) يشغله أكثر من (٢٥) عاماً بعد ذلك التاريخ . »

« ثم عرض علي معهد الاستشراق وظيفة ثابتة عوضاً عن الوكالة وبراتب يبلغ ضعف الراتب الذي ينتظرني في جامعة (برسلاو) . ولكن العمل في المعهد كان يعني الخضوع لسيطرة الأستاذ (ساخاو) الذي رفض طلب الأستاذ (فيشر) للتدريس في جامعة (برلين) كما لم يقبل أيضاً أن أتقدم باطروحة لنيل هذا الحق . »

يقول (بروكلمان) : « هكذا استقر رأيي على قبول العمل في جامعة

(برسلاو) . وربما كانت فكرة السكنى في مدينة واحدة مع المرأة التي صممت على الاقتران بها من الحوافز الدافعة إلى هذا الاختيار . وعلى كل حال أثبتت لي الأيام صحة رأي صديقي . »

« وقد تبين لي أن منصب أستاذ بلا كرسي أسهل وألطف وظيفة جامعية . ولم أفهم لماذا ألغيت هذه المرتبة فيما بعد . إن صاحب هذا المنصب كان موظفاً براتب ثابت وان لم يكن مرتفعاً وكانت واجباته تقتصر على التعليم دون الاشتراك في أعمال الجامعة الادارية التي تؤدي إلى إضاعة كثير من الوقت . »

وقد التقى (بروكلمان) في (برسلاو) بعدد من أصدقائه القدماء كما كان يحضر حلقتين علميتين للمناقشة والقاء المحاضرات . وكانت احدى الحلقتين مؤلفة ، من الأساتذة أصحاب الكراسي الذين قرروا أن لا يقبلوا بينهم يهودياً بعد تجارب مؤسفة لهم مع مدرس كيمياء يهودي من أصحاب الملايين . عند ذلك اتفق عدد من الاساتذة اليهود على تأسيس حلقة ثانية دعوا إليها بعض المسيحيين ، بينهم (بروكلمان) وصديق آخر . وكان (بروكلمان) يرغب بالدرجة الأولى في الاجتماع بالمدرسين المشتغلين بعلوم الاستشراق . وقد حدد يوماً معيناً في الأسبوع لدراسة اللغة القبطية مع أستاذين متخصصين . ويشير (بروكلمان) إلى التجارب والفوائد الكثيرة التي اكتسبها في هذه الاجتماعات .

٦ ـ الانتقال إلى (كونيكسبرغ) في منصب أستاذ ذي كرسي (١٩٠٣ ـ ١٩١٠)

يقول (بروكلمان) : « في شتاء ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ طلب صاحب كرسي اللغات الشرقية في جامعة (كونيكسبرغ) الاستاذ (يان) إحالته على التقاعد قبل بلوغ المدة القانونية ، إذ كان غنياً وسبق له أن عاش في (برلين) وهو شاب منتقلاً بين أندية الرّقص فأراد العودة إلى حياة

الراحة واللهو . وعلى الرغم من أن علاقاتنا لم تكن حسنة منذ التقائي به مدة قصيرة في (استانبول) عند البحث في المخطوطات فإنه لم يستطع أن يعارض ترشيحي للحلول مكانه . وهكذا انتقلت في ربيع (سنة ١٩٠٣) إلى (كونيكسبرغ) وتوليتُ منصب كرسي اللغات الشرقية . لم يكن راتبي قد ازداد كثيراً في بادئ الأمر ، ولكن أصبح في استطاعتي الآن الاقدام على الزواج بالمرأة المختارة ، الا أنني لم أجسر على دعوتها إلى السكنى في هذه المدينة بسبب قساوة اقليمها ، عدا أن أملي كان كبيراً إذ ذاك في الانتقال بسرعة إلى (ماربورغ) . »

ظل (بروكلمان) استاذاً في (كونيكسبرغ) مدة سبع سنوات وعاش مع عدد من الزملاء الذين استرسل في وصفهم ولكنه لم يشترك كثيراً في حياتهم الاجتماعية ، كما لم يكن راضياً عن نشاطه في التعليم لأن سلفه لم يترك له من الطلاب سوى عدد قليل من اليهود الشرقيين الذين كانوا يتسابقون إلى نيل الاجازة ، فكان يثير العراقيل في سبيلهم للخلاص منهم بسرعة .

وكان (بروكلمان) يقضي فترات العطلة الجامعية في الأسفار . وقد رافق مرة صديقه (روزن) إلى ايطاليا التي تكررت رحلاته إليها بعد ذلك . وفي عطلة عيد الفصح سنة (١٩٠٥) اشترك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر وكان يرغب في زيارة (مراكش) حسب البرنامج الذي أعلنه المؤتمر ولكن السلطات الفرنسية لم تسمح بذلك لتوتر العلاقات بين فرنسا والمانيا في تلك الفترة بسبب حادثة (أغادير) . فقام برحلة إلى واحة (بسكرة) في الصحراء التي سكن فيها (ابن خلدون) عند تأليف المقدمة . وفي طريق العودة إلى المانيا زار في (شتراسبورغ) استاذه (نولدكه) الذي كان تقدم في السن كثيراً .

ثم اشترك (بروكلمان) في مؤتمر المستشرقين المنعقد سنة ١٩٠٨ في (كوبنهاغن) بدعوة من رئيس المؤتمر المستشرق الدانياركي (بول Buhl) الذي أصر على أن يعهد إليه برئاسة فرع اللغات السامية . ويقول (بروكلمان) : « لم تكن هذه المهمة مستحسنة لأنها كانت ترغمني على حضور الجلسات جميعها ولأن المناقشات تخللتها حوادث شغب مؤسفة إذ حاول أحد الاميريكين الالمان اسمه (هاوبت) ، في خطاب ألقاه أن يبرهن على أن المسيح لم يكن يهودياً ، بل كان من العرق الآري . وقد أثار هذا القول عاصفة من الاستنكار لدى اليهود الكثيرين الحاضرين الذين كانوا يكفرون بالمسيح ولكنهم لم يكونوا يريدون فقدان هذا الرجل المشهور من جملة أبناء جنسهم . وعدا ذلك اصطدمت مع أحد رجال اللاهوت الكاثوليك من (شتراسبورغ) اسمه (فوهاير) ، وهو الذي أصبح رئيس أساقفة (مونيخ) فيما بعد ، اتهمني بالاعتداء على حرية الكلام وبمنعه عن إبداء آرائه كما يشتهي .

ويتابع (بروكلمان) سيرته قائلاً :

« إن السنوات السبع في (كونيكسبرغ) كان يمكن أن تصبح أسوأ مما وصفت لو لم أكن في تلك الفترة منهمكاً كلياً في تأليف أحب كتاب الي من سائر كتبي ، وأعني بذلك (كتاب الأساس في قواعد اللغات السامية المقارنة) الذي طبع في برلين ، الجزء الأول سنة (١٩٠٧) والجزء الثاني (١٩١٣) ، ومن المؤسف أن الكتاب لم يطبع ثانية لأن دار النشر (رويتر ورايخارد) أغلقت بعد موت صاحبها الرئيسي . وقد قام اثنان من الزملاء الفرنسيين بترجمة ملخص للكتاب حاولا فيه مراعاة متطلبات التعليم في المعاهد الاستعمارية الفرنسية . »

ويذكر الأستاذ (زلهايم) على الهامش ان (بروكلمان) كان قام في الوقت نفسه بتأليف كتاب صغير ضمن سلسلة كتب (غوشن) بعنوان « علم اللغات السامية » صدرت الطبعة الأولى منه في (برلين) سنة ١٩٠٦ والطبعة الثانية المنقحة سنة ١٩١٦ . ثم انتهى (بروكلمان) من الاعداد لطبعة ثالثة وكتب في أوائل ١٩٥١ إلى (زلهايم) بفرانكفورت يخبره أن مخطوطة هذه الطبعة موجودة لدى دار النشر منذ سنة دون أن يتم طبعها . ويلاحظ الأستاذ (فوك) في كتابه عن المشرقين ان (بروكلمان) قام في السنوات العشر الأخيرة من حياته بإعداد طبعة جديدة للكتاب تتلاءم مع التقدم العلمي ويراعى فيه قبل كل شيء لغة (اوغاريت) . وفي حين يدعي (فوك) ان هذا المشروع لم ينفذ ، يقول (زلهايم) ان مخطوطة (كتاب الاساس) ومخطوطة الأجزاء الملحقة من كتاب (تاريخ الآداب العربية) موجودة وقد اخترقها الرصاص ، ملقاة في (هاللة) دون أن يستفاد منها .

يروي (بروكلمان) انه تزوج في خريف سنة ١٩٠٩ وقضى شهر العسل في أحد منتجعات (بافاريا) ثم عاد إلى عمله في (كونيكسبرغ) و بقي هناك في فصل الشتاء الذي كان لحسن الحظ معتدلاً ..

٧ ـ الانتقال إلى (هاللة) (١٩١٠ ـ ١٩٢٢)

في كانون الأول سنة ١٩٠٩ تلقى (بروكلمان) دعوة إلى تولي كرسي أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (هاللة) الذي تخلى عنه أستاذه (بريتوريوس) مفضلاً احتلال مكان الأستاذ (فرنكل) بعد موته في (برسلاو) . وقد انتقل (بروكلمان) في بداية سنة ١٩١٠ إلى (هاللة) حيث ظل يعمل مدة (١٢) عاماً (من ١٩١٠ ـ ١٩٢٢) وحيث رزق ابنته ثم ابنه .

يقول (بروكلمان) عن عمله الجامعي في (هاللة) :

« ان ظروف وظيفتي في (هاللة) كانت أفضل بكثير مما في (كونيكسبرغ) فقد لقيت هنا عدداً من الطلاب الموهوبين والمستمعين المهتمين باللغات الشرقية . ولما أرسل الأستاذ (ماينهوف) ، المتخصص باللغات الافريقية في (هامبورغ) يسألني ترشيح أحد طلابي لوظيفة أستاذ مساعد ذكرت له اسم (كلينكن هيبل) الذي أصبح فيما بعد خليفة (ماينهوف) في (هامبورغ) ، ثم ظهر في الفصل الدراسي التالي بين الطلاب (هلموت ريتر) الذي كان لاهوتياً موهوباً ولكنه انتقل بسرعة إلى فرع اللغات الشرقية وهو الذي رشحته ليكون مساعداً للأستاذ (بيكر) في (هامبورغ) . وقد تولى خلال الحرب العالمية الأولى وظيفة ترجمان في الشرق لمدة سنتين ثم أصبح خليفة (بيكر) في جامعة (هامبورغ) . ولكنه ، مع الأسف ، ارتكب بعض الأعمال الشاذة التي أدت إلى فصله عن العمل . وقد عاش منذ ذلك الوقت في استانبول حيث قام في بادئ الأمر بادارة فرع (جمعية المستشرقين الالمان) هناك ثم عين أستاذاً في جامعة (استانبول) فاستطاع انجاز كثير من الأعمال الباهرة . وقد أضاف (بروكلمان) على هامش مخطوطته الملاحظة التالية : عندما سرح الأتراك جميع الأساتذة الالمان في سنة ١٩٤٧ جاء (ريتر) إلى المانيا ولكن الدسائس حالت دون إعادته إلى وظيفته في جامعة (هامبورغ) ، لذلك شعر بالفرح لما استدعي في سنة ١٩٤٩ إلى التدريس في جامعة(فرانكفورت / ماين) .

يتحدث (بروكلمان) بالتفصيل عن اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) التي كانت مفاجئة للطبقة (البورجوازية) كافة . ويقول : « فقد كان الكثيرون يشعرون بالاستياء من هزائم المانيا الدبلوماسية في

قضية (مراكش) وظلوا يتابعون سياستنا في الشرق بكثير من الارتياب والقلق ولكن دون أن يدركوا ان هذه السياسة كانت تمهد لمسيرة الشعب الالماني في طريق الموت ، كما قال أحد المؤرخين الحديثين . ولم يكن ذلك رأي أساتذة الجامعات فقط ، الذين يوصفون بالبعد عن واقع الحياة ومجرى الأحداث . فقد صرح مثلاً صاحب أكبر مصرف في (هاللة) اذ ذاك بعد أيام قليلة من نشوب الحرب بأنها لن تدوم أكثر من أربعة أسابيع (وذلك حسب رأيه) بسبب تشابك المصالح الدولية ـ الرأسمالية . »

كانت الحرب في بادئ الأمر تسير سيراً حسناً يبعث على التفاؤل ، ولم يبدأ الناس يشعرون بالقلق على المستقبل الا بعد مرور سنتين عندما ازدادت المشاكل الاقتصادية والقيود المفروضة على شروط الحياة .

كان على (بروكلمان) في السنة الثالثة من مجيئه إلى (هاللة) أن يتولى عمادة الكلية التي كان يتجدد انتخاب صاحبها في كل فصل دراسي . وفي حين كان هذا المنصب يدر دخلاً جيداً في المعتاد تضاءلت وارداته كثيراً خلال الحرب .

ثم ماكاد (بروكلمان) في صيف سنة ١٩١٨ ينتخب رئيساً لجامعة (هاللة) حتى أخذت المشاكل الاقتصادية والادارية تزداد بسبب انهيار المانيا العسكري وتدفق الجنود العائدين من ساحات الحرب واندلاع الثورات والاضطرابات في كل مكان .

كان الاستياء شديداً في الجامعة ضد مدير المكتبة في ذلك الوقت حتى ان مجلس الجامعة قرر تكليف الرئيس (بروكلمان) مع أحد أساتذة التاريخ بالذهاب إلى برلين وتقديم الشكوى شخصياً . ولكن من المؤسف

أن مدير المكتبة كان يتمتع بحماية الوزير . ولذلك عندما عقد الاجتماع في الوزارة ، حيث انضم إلى الوفد المستشرق الأستاذ (بيكر) الذي كان يشرف على أمور الجامعات في الوزارة ، لم يستطع اقناع الوزير بسوء تصرفات مدير المكتبة . فبقي هذا المدير في وظيفته ولم تتمكن الوزارة من إثبات فساده الا بعد سنتين من وفاته ..

يقول (بروكلمان) : « لم تمض أيام على اندلاع الثورة على الامبراطور في (كيل) حتى تدفق جنود البحرية وأخذوا يسيرون في شوارع (هاللة) أيضاً رافعين الرايات الحمراء ، وقد حصلت بعض التغييرات في وظيفة عمدة المدينة وفي وزارة التعليم . واضطر مجلس الجامعة إلى تأليف (لجنة اصلاح) برئاستي تجمع كافة الاساتذة بكرسي أو بلا كرسي و باشرت عقد الاجتماعات مرة كل اسبوع تحتدم فيها المناقشات دون الوصول إلى أي نتيجة . وفي اجتماع حر للمدرسين تقرر أن « تخرج الجامعة إلى الشعب » كما كان يقال في روسيا . كذلك تقررت الدعوة إلى « أمسيات شعبية ، تجتمع في قاعة الجامعة كل اسبوعين مرة تلقى فيها محاضرات تعالج الموضوعات السياسية والاقتصادية و تعقبها مناقشات حرة . كانت هذه الأمسيات تمضي في المعتاد على أحسن وجه ، وان كانت أحياناً لاتخلو من طرائف غريبة واصطدامات مضحكة ، فقد قام مرة أستاذ الاقتصاد (ونتيغ) الذي كان والده يتمتع بثروة وسلطات جامعية واسعة وألقى محاضرة أعلن فيها أنه « بروليتارى » (أي صعلوك) أيضاً مثل أي عامل آخر لأنه إنما يعيش من عمله وجهده ، فارتفعت أصوات العمال تتهكم وتسخر من مظاهر ثيابه الفاخرة . ووقع مرة أخرى حادث مزعج إذ ما كدت أعلن افتتاح الاجتماع حتى اندفعت جماعة كبيرة من الشيوعيين ودخلت القاعة براياتها الحمراء وبرز بعضهم

فوق منصة الخطابة فأسرعت إلى إلغاء الاجتماع وخرج جميع الحاضرين وهم يزمجرون . وكان في القاعة عدد من رجال الشرطة لا حظوا بعض المشاغبين الذين اندسوا بين العمال فقبضوا عليهم بعد أيام ودعيت إلى السجن لمواجهتهم . »

يروي (بروكلمان) حوادث فترة الاضطرابات من استدعاء طلاب الجامعة العائدين من جبهات الحرب وجمعهم في ثكنات بألبستهم ومعداتهم العسكرية واتخاذهم حرساً خاصاً لحفظ الأمن والنظام حتى هدأت الأحوال في (هاللة) وغيرها من المدن ، ثم يقول :

« بعد أن نجح الاشتراكيون في توطيد سيطرتهم عهدوا بوزارة التعليم إلى زميلي المستشرق (بيكر) ، وهو من الديموقراطيين ، فتقدم بمشروع معقول يفرض على الجامعات أن تعمل بجميع الوسائل لنشر المعرفة بين الطلاب عن البلاد الأخرى ، لأن نقص هذه المعرفة هو الذي دفع الالمان إلى هاوية الحرب . ويقضي ذلك المشروع بأن تتولى جامعة (غوتنغن) الاعتناء خاصة بالحضارة الانكليزية والاميريكية وبأن يعهد إلى جامعة (بون) بالاهتمام بالحضارة الفرنسية وإلى جامعة (برسلاو) بحضارة العالم السلافي ، وأخيراً كان على جامعة (هاللة) ، وهي مركز جمعية المستشرقين الالمان ، أن تركز جهودها على الشرق . ولهذه الغاية عقدت اتفاقية بين الجمعية ووزارة التعليم تنص على تزويد الجمعية بالأموال اللازمة لاختيار رئيس قدير لمكتبة الجمعية ولشراء ما تحتاج إليه من كتب . كذلك تقرر الحاق المكتبة بمعهد للاستشراق يؤسس مجدداً وتكون له ميزانية خاصة . »

٨ ـ الانتقال إلى (برلين) (١٩٢٢ ـ ١٩٢٣)

في شتاء (١٩٢١ ـ ١٩٢٢) شغر كرسيان لأستاذية اللغات الشرقية

في (بـون) و (برلين) و عرضت الـوزارة على (بروكلمـان) اختيـار أحدهما . فلم يكن الأمر سهلاً . كان هناك من جهة جمال (جامعة بون) على ضفـاف (الراين) التي كان الاحتلال الفرنسي ، مـع الأسف ، يشـوه روعتها ، وكان هناك من جهـة ثـانيـة امكانيـات للتـدريس في (برلين) ولكن مـع صعـوبـات كبيرة في العثـور على مسكن . وقـد سـافر (بروكلمـان) أولاً إلى (بون) لمشـاهـدة الـوضـع عن كثب . فلما التقى هناك بصديقه الأستاذ (مايسنر) نصحه بأن يرفض المجيء إلى (بون) . ذلك لأن سلفه الأستاذ (ليتمان) لم يقم بتنظيم المعهد الذي كانت تنقصـه كل الأجهـزة الـلازمـة ، ولأن سلطـات الاحتـلال الفرنسي كانت تتعمـد ازعاج المواطنين الالمان . هكذا علم (بروكلمـان) من أحـد معـارفـه وهو رجل غني جداً من (برسلاو) ان الضباط الفرنسيين أقـدموا على مزاحمتـه في قصره فلم يتركوا له سوى غرفتين بالطابق الأرضي لسكنـاه . وكان على المـواطن الالمـاني إذا قـابـل ضـابطـاً فرنسيـاً في الطريـق أن ينزل عن الرصيف . ومعروف أن أكثر الجنود الفرنسيين كانوا من الهندالصينية .

يقول (بروكلمـان) : « استقر رأيي بعـد التفكير على اختيـار العمل في برلين ، حيث قطعت لي الوعود بتأمين منزل لي سريعاً ثم ببناء معهـد علمي جديد للاستشراق ، و قد تظاهر (بيكر) حسب العـادة ببـذل كل الجهود لتحقيق الوعود . ولكن تبين انه إنما كان يماطل في تقديم المسـاعـدة لأن منصبه في الوزارة لم يكن راسخـاً بسبب مطـالبـة الاشتراكيين تعيين أحـد منهم مكانـه ، فـأراد الاحتفـاظ بكرسي اللغـات الشرقيـة في برلين لنفسـه . » وهكـذا ظـل (بروكلمـان) يسـافر كل اسبوع مـدة يومين إلى برلين لالقاء محاضراتـه . وكانت قيمـة المـارك الالمـاني تتـدهور من يوم إلى آخر من جراء التضخم الهائل في النقـد فكان الراتب الـذي يـدفع لـه كل

اسبوعين مرة لا يكاد يكفي للعيش في أبسط الفنادق والمطاعم . الا ان (بروكلمان) كان راضياً عن نشاطه في التعليم اذ كان عدد الطلاب في قسم اللغة العربية يبلغ السبعين كما أن عددهم حتى في فرع مهمل مثل اللغة الحبشية لم يكن يقل عن الخمسة .

٩ ـ الانتقال إلى (برسلاو) (١٩٢٣ ـ ١٩٣٧)

في أواخر سنة (١٩٢٢) استدعي (بروكلمان) لاحتلال كرسي أستاذه السابق (بريتوريوس) الذي تقاعد في (برسلاو) . وكان التضخم النقدي قد بلغ أقصى الحدود فلاحظ (بروكلمان) عند انتقاله من (هاللة) ان كل مدخراته في المصرف لم تعد لها أية قيمة . ولم تستقر الاحوال الا بعد اصدار المارك الجديد في سنة ١٩٢٣ وبعد تدفق البضائع من البلاد الأجنبية .

استطاع (بروكلمان) ، بعد التغلب على مصاعب السكنى ، أن يقضي بضع سنوات هنيئة في (برسلاو) ، على الرغم من أن نشاطه في التعليم تقلص بالنسبة إلى الماضي لأن طلاب اللاهوت الكاثوليك الذين كانوا يقصدون دروسه قل الآن عددهم بعد أن صرح رئيس الأساقفة ان الطلاب التابعين له أصبح من الأفضل لهم أن يتعلموا اللغة البولونية عوضاً عن العبرانية .

انتخب (بروكلمان) في سنة ١٩٢٨ عميداً للكلية التي كانت في (برسلاو) ما زالت تجمع بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية ، فكثرت أعمال وظيفته ولكن دخله أيضاً زاد كثيراً حتى رأى انه يستطيع القيام في عطلة عيد الفصح (١٩٢٩) برحلة إلى استانبول ، على أن الطقس هناك كان في تلك السنة ما زال بارداً والعمل لم يكن سهلاً في المكتبات

التي كانت دون تدفئة في استانبول . ثم يستأنف (بروكلمان) سيرته الذاتية قائلاً :

« من المؤسف أن الحالة السياسية ازدادت اضطراباً وتوتراً في السنوات التالية بسبب الدعاية النازية . في سنة (١٩٣٢) طلب المعهد العالي التقني (أي كلية الهندسة) الانضمام إلى الجامعة لأن المعهد لم يكن يزدهر على الرغم من تجهيزاته الجيدة ، ومن البيئة الصناعية الغنية المجاورة . وكان المرشح لرئاسة الجامعة في سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ هو عالم الفيزياء (شيفر) الذي كانت مصلحته تدعو ، بطبيعة الحال ، الى توحيد المعهد التقني مع الجامعة ، وخوفاً من اتخاذ قرار متحيز طلب الي بصفتي محايداً لا علاقة لي بالأمر أن أتولى رئاسة الجامعة ، فكانت النتيجة ازدياد أعمالي الادارية إذ كان من واجبي أن أترأس اللجنة المختلطة من أساتذة الجامعة والمعهد التقني في جلسات لا نهاية لها . ولما أخذت سيطرة النازيين في الازدياد تخلى أكثر أساتذة المعهد عن مشروع التوحيد لأنهم كانوا يطمعون في الحصول على تأييد أكبر من حكومة جديدة .

ومن أسوأ الحوادث التي جابهتني في رئاسة الجامعة قضية (كوهن) . فقد كان أساتذة الحقوق استدعوا الى كرسي (التشريع الالماني) استاذاً يهودياً اسمه (Cohn كوهن) . وفي الحال أشيع ان النازيين سيحتجون على ذلك ، وفي اليوم الأول من الفصل الدراسي جاء (كوهن) إلى مكتب رئاسة الجامعة وطلب مني حمايته لأن الطلاب في قاعة المحاضرات كانوا يصرخون ويشاغبون . فرافقت الاستاذ الى القاعة وحذرت الحاضرين الذين كان بينهم الكثيرون من غير الطلاب وأنذرتهم بضرورة احترام كرامة الجامعة . وقد ساد الهدوء برهة ولكن ما كاد الاستاذ يبدأ الكلام حتى عاد الضجيج أكثر شدة . ولما تكرر ذلك ثلاث مرات طلبت

استدعاء الشرطة لاخلاء القاعة . وقد تكررت هذه الحوادث في شهري تشرين الثاني وكانون الأول (١٩٣٢) ولم تهدأ الحالة حتى بعد إغلاق الجامعة كلها مدة ثلاثة أيام . »

وقد تعرض الاستاذ (بروكلمان) الى هجمات الصحف النازية لقيامه بواجب رئيس الجامعة في منع الشغب والفوضى .

على انه بعد ابعاد (كوهن) عن الجامعة وتسلّم النازيين للسلطة في (آذار ١٩٣٣) كان (بروكلمان) قد بلغ الخامسة والستين من العمر وكان يمكن حسب الانظمة الجديدة احالته على التقاعد في الحال . ولكن وزير التعليم الجديد الذي جاء لزيارة (بروكلمان) في رئاسة الجامعة ، قابله بلطف وطلب منه البقاء في وظيفته حتى خريف سنة (١٩٣٥) .

وقد انتقل (بروكلمان) في سنة (١٩٣٧) الى مدينة (هاللة) وظلّ يعيش براتب التقاعد وما يصله من مكافآت عن كتبه . ثم انقطع راتب التقاعد في شباط ١٩٤٥ بعد انهيار الحكم النازي واحتلال (برسلاو) من قبل البولونيين . وكان (بروكلمان) قد فقد جميع مدخراته في المصرف بعد دخول السوفييت والغاء كل الاوراق النقدية . وهو ما كان ليستطيع المعيشة خلال صيف ١٩٤٥ لولا أن ناشر كتابه (القاموس السرياني) [الطبعة الثانية ، هاللة ١٩٢٨] أرسل اليه بقية المكافأة المستحقة .

حاول (بروكلمان) عبثاً في هذه الفترة أن يجد عملاً لكسب رزقه الى أن توسط له رئيس جامعة (هاللة) الاستاذ (آيسفيلد) فعين مستشاراً لمكتبة جمعية المستشرقين الالمان ، كما سبق ذكره في المقدمة . ثم تولى (بروكلمان) كرسي اللغة التركية مدة عدة سنوات اعتباراً من سنة

١٩٤٧ الى أن أحيل على التقاعد للمرة الثانية سنة ١٩٥٣ . وقد تعرض يوم عيد الميلاد سنة ١٩٥٥ الى برد شديد في احدى الكنائس القديمة فمرض ثم مات (٥ ايار ١٩٥٦) وقد قام زميله المستشرق (آيسفيلد) بإلقاء كلمة تأبينية في حفل كنائسي بسيط ، ولكن اصدقاء (بروكلمان) وتلامذته الكثيرين تنادوا في ١٧ ايلول من السنة نفسها لاقامة احتفال ضخم في القاعة الكبرى بجامعة (هاللة) بمناسبة عيد مولده الثامن والثمانين فتحدث الخطباء عن مآثر هذا العلامة والاستاذ المشهور واستعرضوا مؤلفاته القيمة الكثيرة التي مازال المستشرقون يعتمدون عليها .

العثور على النسخة المسروقة من كتاب
تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر

الدكتور ابو القاسم سعد الله

١ ـ كيف عثرنا على النسخة ووصفها :

كل من قرأ النسخة المطبوعة من كتاب (تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر)[١] يذكر أن المؤلف محمد باشا بن الأمير عبد القادر ، كتب في مقدمتها ما يلي : « ولما فرغتُ من ترتيبه ... وسميته (تحفة الزائر ...) فسطت عليه يد من لا بارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا ... ثم شمرت عن ساعد الاجتهاد ، لجمع ما تفرق من المواد ، بعد ان فقد منها الاكثر ... فجاء مطابقا للأصل ... »[٢] .

ومنذ قرأتُ انا تلك العبارات ، من نحو عشرين سنة خلت ، وسؤال يلح علي وهو : أين النسخة المسروقة من هذا الكتاب ، وهي النسخة التي سماها المؤلف (الاصل) ؟ فالاشياء المسروقة عادة لا تعدم بالضرورة ولكنها تنتقل من يد الى يد ومن مكان الى آخر . ولم يكن السؤال : من سرقها ؟ أو لماذا سرقت ؟ قضية هامة عندئذ . كما ان الفرق الذي قد يكون بين النسخة الاصل والنسخة الفرع لم يكن مهما ايضا . أما القضية الملحة في نظري فكانت البحث عن مكان تلك النسخة التي ادعى المؤلف أنها سرقت منه بعد الانتهاء منها .

وقد استمر بحثي عنها في كل المظان الممكنة : دمشق والاسكندرية واسطانبول وباريس ، وهي البلدان التي تردد عليها المؤلف والتي يوجد فيها من يهمه موضوع الكتاب . وكانت النتائج دائما مخيبة للآمال ، ولكن اليأس لم يتطرق الى البال . وزاد من حماستي للبحث أن الطبعة الثانية للكتاب التي صدرت بعناية الدكتور ممدوح حقي لم تقدم نقدا ما لقضية النسخة المسروقة ، رغم أن المحقق كان قريبا من بيئة المؤلف وقريبا من أسرته الموزعة بين سورية واسطانبول[٣] .

وفي زيارتي لاسطانبول في شهر آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، تمكنت من الاطلاع على نسخة مخطوطة من كتاب (تحفة الزائر ...) في احدى مكتبات اسطانبول . وكان عنوانها هناك (تاريخ الامير عبد القادر) وقد بادرتُ الى تصفحها وقرأت مقدمتها ، فاذا هناك فروق بين ما سبقت لي معرفته عن النسخة المطبوعة وهذه . وأول مالاحظته من فروق بين النسختين هو ان المخطوطة ليس فيها عبارة « فسطت عليه يد من لا بارك الله بأصله ونسله ، وسرقَتْه عمدا .. الخ » كما أن المخطوطة احتوت على إهداء طويل الذيل الى السلطان عبد الحميد الثاني ، وهو شيء خلت منه النسخة المطبوعة . ثم أخذتُ ألاحظ بقية الفروق بين النسختين لا على سبيل التحقيق والمقارنة الدقيقة ولكن على سبيل الفضول ، لأن الوقت والظرف لا يسمحان بذلك عندئذ . ولكني سجلت بداية النسخة المخطوطة ونهايتها وبعض الملاحظات على خطها وشكلها ، ودونت كذلك رقمها ، ونويت تصويرها لعقد مقارنة بينها وبين المطبوعة عندما يكون هناك متسع من الوقت . ولكن تمويل التصوير عندئذ كان يعوزني (والمخطوط في الف صفحة) .

واليك ما كتبتُ في كناشي عندما رأيت النسخة المخطوطة من هذا الكتاب لأول مرة باسطانبول : « تاريخ الامير عبد القادر ، جزآن منفصلان . مخطوط بخط نسخي جميل ، مذهب ومجلد . أهداه المؤلف الى السلطان عبد الحميد الثاني . فرغ منه سنة ١٣٠٧ هـ ، ١٨٩٠ م . لا يذكر المؤلف في المقدمة أنه سرق منه . في الجزء الاول قصيدة منفصلة لمحمد الشاذلي القسنطيني ، اولها :

أيا ذاهباً نحو الخليفة بَلِّغَنْ   سلاماً ...

وهو يحمل رقم ٤٧٨٨ ، مكتبة الحاج محمود افندي بالمكتبة السليمانية باسطانبول . ويحتوي الكتاب أيضا على عدة وثائق منفصلة ، منها واحدة في « ذكر هيئة المعسكر وترتيبه في السفر » وهي بخط رقعي مغاير للاصل . أول الجزء الاول « الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما ، وأنفذ في كل مخلوق قضاء أزليا وحكما ... » ويقع الجزء الاول في ٤٩٨ صفحة ، والثاني في ٥٠٣ صفحة » انتهى من كناشي المؤرخ سنة ١٩٧٠ ، اسطانبول .

ولما رجعتُ الى الجزائر ، طلبت من مكتبة الجامعة تصوير المخطوط على نفقتي ، واعطيتها الرقم والمعلومات الاضافية . ووقعت المراسلة بينها وبين المكتبة التركية ، ولكن هذه المكتبة لجأت الى ما يمكن أن نسميه (بالشانتاج) ، فاشترطت لتصوير المخطوطة ، المبادلة بنسخة من كتاب الدكتور محمد بن أبي شنب عن مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بالجزائر ، وقد وفت مكتبة جامعة الجزائر بالشرط وجاءت النسخة المخطوطة من كتاب (تحفة الزائر) على الميكروفيلم . ورغم أن النسخة كما رأيتها وكما

سأذكر ، جيدة وكاملة ، فان تصويرها جاء ناقصا ومشوها في بعض الحالات . ثم شُغِلت عنها بعض الوقت باعداد كتابي (تاريخ الجزائر الثقافي) ، الى أن حانت مصادفة رويت فيها للدكتور عبد الجليل التميمي حديث نسختي من كتاب تحفة الزائر ، فأخبرني أنه يملك هو أيضا صورة من نفس النسخة على الميكروفيلم وأرسل الي مشكورا نسخته لتدارك النقص وهذا ما تم فعلا[٤] .

٢ ـ حياة المؤلف :

ليس من غرضنا هنا التوسع في الحديث عن أسرة الأمير عبد القادر بالمشرق واستيطانها بلاد الشام وظروفها وعلاقاتها ، لان ذلك يخرجنا عن موضوعنا المحدد ، ولأن هناك مصادر أخرى تحدثت عن ذلك ، ومنها كتاب (تحفة الزائر) نفسه . ويكفي هنا أن نذكر بعض المعلومات عن مؤلف هذا الكتاب لعل ذلك يساعدنا على معرفة ظروف نسخته الضائعة ويلقي الاضواء على « سارقها » والهدف من أخذها منه ، وظروف تأليف النسخة الأولى (الاصلية) والثانية (الفرعية) .

ولد محمد لوالده عبد القادر بن محيي الدين بن مصطفى بن المختار ، في القيطنة بالجزائر عام ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ[٥] . والقيطنة هي مسقط رأس والده ايضا ، وهي تقع على وادي الحمام ، غير بعيد من مدينة معسكر اليوم (او أم العساكر) ، عاصمة دولة الأمير عبد القادر . وكان محمد اكبر ابناء الامير عبد القادر من زوجه ، ابنة عمه ، خيرة . وقد عاش محمد طفولة مضطربة حقا . فقد ولد اثناء تصاعد الكفاح بين الجزائريين بقيادة والده ، وبين الفرنسيين . ففي آخر سنة ١٨٣٩ م استؤنفت الحربُ

بين الأمير والجيش الفرنسي ، بعد معاهدة التافنة التي كانت عبارة عن هدنة . وفي ١٨٤١ ، جاء الجنرال بوجو المشهور الى الجزائر وعنده صلاحيات لمحاربة الأمير في كل مكان وبكل الوسائل ، وهي الحرب التي استمرت الى سنة ١٨٤٧ ، تاريخ هزيمة الأمير وأخذه أسيراً الى فرنسا . اذن لقد عاش محمد ثماني سنوات من الحرب الضروس بين بلاده وفرنسا ، ثم خمس سنوات من الأسر في سجون فرنسا ، آخرها هو سجن امبواز بنواحي بوردو ، وبعد نحو سنتين في بروسة نزلت أسرة الأمير بدمشق حيث استقر بها المقام .

اذن لم يعرف الامير محمد الاستقرار لا في الجزائر ولا في فرنسا ولا في بروسة . لقد فتح عينيه على الحرب والخوف بالجزائر وعلى الاسر والغربة بفرنسا وعلى الزلزال في بروسة . فلم يتلق تعليما منتظما ولم يعرف حياة اجتماعية هادئة ولا اصدقاء ثابتين . ولاشك أن والده قد تكفل بتعليمه في امبواز ووضعه على الخصوص تحت إشراف صهره مصطفى بن التهامي . ولكن ذلك كان غير كاف ليتعلم الطفل محمد تعليما منتظما . ولاشك ايضا ان الطفل ، وقد دخل مرحلة المراهقة ، قد عوض في دمشق ما فقده في موطنه ومهاجره الاخرى ، فاختلف الى مدارسها وتمكن من دروس علمائها ونهل من مكتباتها ، ولكن قاعدة تعليمه تظل في نظرنا ، واهية على اية حال .

ومهما كان الامر ، فان الشام ، والمشرق عموما قد اخذت تدب في أوصالها بواكير النهضة الادبية والسياسية عندما نزلتها أسرة الامير عبد القادر . ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت الصحافة والجمعيات الادبية

وحركة الجامعة الاسلامية والمنتديات العربية . وكانت أسرة الامير نهب الرياح تتجاذبها خيوط السياسة تارة نحو فرنسا وتارة نحو الدولة العثمانية وتارة نحو العزلة والانكماش وتارة اخرى نحو التيار العربي القومي . ولم يكن الامير محمد بعيداً عن هذه الاجواء . فهو كبير والده ، يرافقه حيث حل وارتحل ، ويطلع على أسراره وأخباره . لقد رافقه يوم ودع نابليون الثالث بباريس ويوم استقبله السلطان عبد الحميد باسطانبول . وسافر معه الى فرنسا ثانية وإلى مصر . ولكننا لاندري ان كان سافر معه في رحلته الى لندن[٦] . وكان يحضر مجالس والده مع أعيان الشام وغيرهم من زعماء العالم الاسلامي ، ومن الاوربيين ايضا . وقد اخبر هو عن نفسه أنه كان يلازم والده محتذيا حذوه في جميع أعماله ، وأنه قرأ عليه التوحيد والحديث والنحو ، وأنه استفاد منه ما يهمه في القديم والحديث .

وهكذا يتضح ان ثقافته ثقافة عصامية ـ اذا صح التعبير ـ تولاها والده ، والمجتمع الشامي ، ثم الحياة العامة وجهوده الشخصية . ويبدو أنه كان مهتما بالأدب والتاريخ . ذلك أن ثقافته التاريخيه الاسلامية تبدو غزيرة من كتابه (تحفة الزائر) ومن كتبه الأخرى التي سنذكرها . وأسلوبه الادبي ، المبني على السجع في معظمه ، غني ومتنوع مما يبرهن على كثرة مطالعاته ومحفوظاته . كما أن له اهتماما بالقضايا الاجتماعية المعاصرة كما سنرى أيضا . ورغم عيشته في فرنسا عدة سنوات سجيناً وزائراً فانه لم يتعلم الفرنسية ، كما يدل ذلك التجاؤه الى المترجمين في أسفاره من جهة وفي استحضار مادة كتابه من جهة أخرى .

ويبدو أن الامير محمداً قد اعتنق مبدأ الجامعة الاسلامية ، ولكنه لم يكن نشيطاً فيها نشاط بعض أنصارها الآخرين . وكأنه في ذلك كان يتبع سيرة والده الذي لا نجده قد اتخذ مواقف بارزة لصالح هذه الحركة رغم اجتماعه ومجالسته لبعض زعمائها مثل الشيخ محمد عبده ومحمد شمويل (شامل) الداغستاني . وتدل التعزية التي بعث بها محمد عبده الى الامير محمد واخيه محي الدين في والدهما الامير عبد القادر ، أنه كان يعرفهما شخصيا اثناء مجالسته لوالدهما . فقد كتب محمد رشيد رضا مقدما هذه التعزية بقوله : « وكتب منها (اي من رسائل التعازي) معزيا عن الامير عبد القادر الجزائري الشهير ، وكانت صلة المودة بينهما محكمة العرى ، كما اشير اليه في بعض المكتوبات الاصلاحية »[٧] ، ومما جاء في هذه الرسالة قول الشيخ محمد عبده : « وكفى في مصيبة أهل الايمان أن يقال : أصبحوا بلا امير ، وحسبهم تعزية عن مصابهم انكم بنوه وورثة فضله ومعززوه » وفي رسالة أخرى بعث بها محمد عبده الى الشيخ عبد المجيد الخاني طلب منه ابلاغ تحياته الى الامير محمد وأخيه محي الدين[٨] .

وكان ولاء الامير محمد للدولة العثمانية لا غبار عليه . فهو يكثر من الدعاء الى سلاطينها ، وبعد مبايعة الأسرة له جاءه وسام (نيشان) وراتب من السلطان عبد الحميد ، وكان على صلة بوالي دمشق عندئذ ، وقد حصل على لقب « الباشا » ، وأصبح فيما يقال ، ضابطا في الجيش العثماني . ولاشك ان هذا الولاء الواضح للدولة العثمانية قد كلفه غضب ، او على الاقل شك ، الفرنسيين فيه . ومع ذلك لانجد له عاطفة عداء قوية ضد الفرنسيين فوصفه لهم اثناء كتابه وصف محايد ، أو قل هو وصف تاريخي .

وكما لم نجد له موقفا متحمسا من الجامعة الاسلامية ، لم نجد له ايضا موقفا متحمسا من الوطنية أو من قضية الجزائر . فرغم أنه عاش الى سنة ١٩١٣[٩] ، وهو تاريخ سبقته عدة أحداث تهم القضية الجزائرية فاننا لا نجده قد شارك أو كتب ما يدل على عاطفته الوطنية القومية او العدائية نحو السلطة الاستعمارية . حقا ان حنينه الى الوطن قوي جدا ، يشير اليه في عدة مناسبات بألفاظ واضحة وأشعار مؤثرة ، ولكن الأمر لم يتجاوز الحنين الى الفعل . ولا نعلم انه زار الجزائر او حتى مسقط راسه الذي طالما حن اليه . فهل حاول ذلك ومنع منه ، او لم يكن ذلك في نيته اصلا ؟

ومهما كان الامر فقد أصبح ، بعد وفاة والده ، هو كبير الأسرة على اثر مبايعة اخوته له في وثيقة وقعوها بذلك . ولم يكن أبناء الامير العشرة من أم واحدة . وكان الولاء فيما بينهم ضعيفاً ، والمصالح الاجتماعية والسياسية تجعلهم في اتجاهات متعاكسة أحياناً . وكان ولاء أبناء الامير موزعا بين الدولة العثمانية وفرنسا . واذا كان ولاء الاخوة محي الدين ومحمد وعلي واضحا نحو الدولة العثمانية ، فان ولاء عمر ، والهاشمي ، وعبد المالك كان ، على الأقل ، قبل الحرب العالمية الاولى ، نحو فرنسا . ولانعرف ولاء بقية الاخوة[١٠] . وقد ترك الامير محمد بعض الابناء ، منهم علي زين العابدين الذي ترك احمد مختار الذي ترك السيدة أمل التي التقينا بها في الجزائر يوم ٢٥ أيار (مايو) ١٩٨٣[١١] .

وبالاضافة الى شؤون الاسرة ، كان الامير محمد (باشا) يشتغل بالتأليف . وقبل أن نتحدث عن مخطوطه (تحفة الزائر) ، نذكر أنه الف عدة كتب هي :

(١) ـ تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ، طبع للمرة الاولى في الاسكندرية (مصر) ، ١٩٠٣ . وهو في جزأين[١٢] وسنتحدث عنه .

(٢) ـ مجموع فيه ثلاث رسائل او ابحاث ، مطبوعة في مصر (القاهرة) ، بدون تاريخ ، وهي :
أ ـ ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الاسلام للعقل .
ب ـ كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب .
ج ـ الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق .

(٣) ـ عقد الاجياد في الصافنات الجياد (مطول) ، وهو مطبوع حسبما جاء في الاعلام[١٣] .

(٤) ـ نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد ، وهو مختصر من الاول ، ومطبوع طبعتين في بيروت ، الاولى سنة ١٢٩٣ في ٤١٠ ص . والثانية سنة ١٣٢٦ ، في ٣٠٤ ص . وموضوع هذا الكتاب كما يدل عنوانه في أوصاف الخيل وتاريخها وآدابها .

(٥) ـ نزهة الخاطر في قريض الامير عبد القادر ، طبع المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، في ٥٨ ص . والكتاب الاخير جمع فيه بعض ما تفرق من شعر والده ، ولكن لم يأت عليه جميعا[١٤] .

واذا حكمنا على تفكيره واهتمامه من مؤلفاته فاننا نجد الأمير محمداً منسجماً مع التيار الاصلاحي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي في المشرق عموماً وفي الدولة العثمانية على وجه الخصوص . فهو يتحدث عن قضية تعدد الزوجات ويقدم لها الحلول الاجتماعية والشرعية

او « الفاروق والترياق » كما يقول . وهو يكتب عن عقلانية الاسلام (اذا صح التعبير) أو مطابقة التعاليم الاسلامية لاحكام العقل ، وهو رأي يحاذي آراء المدرسة العبدوية ، وهو من جهة ثالثة يتناول موضوع السفور والحجاب الذي طال فيه النقاش ـ وما يزال ـ في عهد الدعوة الاصلاحية المشار اليه ، والف فيه كل من قاسم امين بمصر والطاهر الحداد بتونس ومصطفى بن الخوجة في الجزائر . واذا كانت رسائله قد ركزت على موضوعات اجتماعية فان كتابيه المطولين (عقد الاجياد) و (تحفة الزائر) لا يخرجان عن التاريخ والأدب . ويهمنا الآن تفصيل الحديث عن الاخير منهما .

٣ ـ تحفة الزائر وظروف تأليفه :

ان الظروف التي أقنعت الامير محمداً بتاليف (تحفة الزائر) تذكر المرء بالظروف التي أقنعت أحمد المقري بتأليف (نفح الطيب) رغم فارق ثلاثة قرون بين الرجلين . فكلا الرجلين أجبرته الظروف السياسية على الهجرة الى دمشق ، وكلاهما كان يكثر من الحنين الى وطنه الاول ويسترجع ذكرياته ، وكلاهما من غرب الجزائر ، فالمقري من تلمسان والامير محمد من نواحي معسكر ، وكلاهما له بطل يملأ عليه وجوده الأدبي والتاريخي ، وهذا البطل هو لسان الدين بن الخطيب والأندلس عند المقري ، وهو الأمير عبد القادر والجزائر عند الامير محمد ، وكلاهما كان يبكي مجداً غارباً وبلدا عربياً اسلاميا ضائعا (الاندلس والجزائر)، وأخيراً وليس آخرا ، فان اهل الشام هم الذين « أقنعوا » الرجلين بالكتابة وأغروهما بالتدوين بدل البكاء والحنين . ونحن بالطبع لا تهمنا هنا تجربة

المقري مع بطله ومع أهل الشام[١٥] لان موضوعنا هو ظروف تأليف (تحفة الزائر) .

كان الامير محمد كثير الشوق الى مراتع صباه ، وكانت مناظر الشام الطبيعية تذكره ربوع وادي الحمام وسهل غريس حيث فتح عينيه على الحياة لأول مرة . وكانت الوفود من أهل الشام ومن الجالية المغربية ترد على منزلهم في دمر[١٦] فيتفرع الحديث ويتشعب عن طبيعة الجزائر واهلها وكفاحها ضد الاستعمار الفرنسي وتطواف الأمير عبد القادر وأسرته من الجزائر الى دمشق عبر فرنسا واسطانبول وبروسة . وكان ذلك الحديث يهيج الذكريات ويسيل العبرات . وفي كتاب (تحفة الزائر) كثير من هذه العاطفة الجياشة التي أخرجت صاحب الكتاب احيانا عن مهمته كمؤرخ . ومنذ وفاة الامير عبد القادر[١٧] اصبح الحديث عن سيرته وجمعها في كتاب من آكد الأمور . وازداد الالحاح على الامير محمد في ذلك : اليس هو كبير الاسرة وملازم الوالد وموضع ثقته وأسراره ؟ الم يعرف اكثر من غيره عن كفاح والده وهو في سن الصبا وعن سجنه وهو في سن المراهقة وعن تحولاته من كفاح السيف الى كفاح النفس والتصوف والقلم ؟ الم يرافقه في كل أو جلّ أسفاره ويعرف من زاره أو كتب اليه من كبار العصر ؟ ثم اليس هو اكثر أخوته ثقافة وأميلهم الى الادب والتاريخ واكثرهم اطلاعا على الكتب ، بما في ذلك كتب والده ومذكراته التي آلت اليه ؟

اذن لقد كثر الالحاح وتوالت الرغبات ولكنها لم تنزل على اذن صماء او قلب من جماد ، بل نزلت على اذن مرهفة وقلب مفعم بالاستعداد .

ان الامير محمداً كان يحس أن عبئا ثقيلا قد ألقي على كاهله ، وان عليه ان يتحمله وحده كمسؤولية ثقيلة امام الوفاء لوالده ولوطنه ولاسرته التي اعطى لها اهتماما خاصا في الكتاب وابرز دورها التاريخي في الدفاع عن بيضة الاسلام والعربية في الجزائر ، حتى لقد يشعر من لايعرف الخلفيات ان المؤلف « بالغ » في ذكر كلمة « نحن » في كتابه التي لا تعني الا اسرته . ومهما كان الامر ، فانه استجابة لذلك الالحاح وتلك الرغبات قام بتأليف الكتاب : « فحرضوني على القيام بهذا المندوب ... وقالوا لا يخفى ان تحرير احوال الاكابر وتسطير مزاياهم في صفحات الدفاتر ، لمن سنة الكرام ... لاسيا هذا الامير الشهير ... حيث اشبه من السلف عمر بن عبد العزيز في زهده ورشاده ، ومن الخلف يوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته وجهاده ، وحكى الشيخ الاكبر فيما يؤثر عنه ويذكر ،... فقلت لعمري قد اصبتم فيما ذكرتم ، وحق ان تجابوا الى ما به اشرتم ... »[١٨] .

ولكن من اين يبدأ ؟ ان هذا النوع من التأليف يحتاج الى مصادر كثيرة ، عربية وأجنبية ، قديمة وحديثة ، وهو عمل غير سهل ايضا ، لأن عليه أن يعود بتاريخ الجزائر الى اقدم العصور وان يلم باحداث المغرب والمشرق وأن يعرض سياسة الدول الخارجية والداخلية ، وأن تكون له فكرة عن التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي لبلاده اثناء كفاح والده ، ثم عليه أن يكون على اطلاع بالعلاقات القبلية والطرق الصوفيه وصراع القيادات الشخصية اثناء ذلك الكفاح ، وهو موضوع معقد ذو نسيج متشابك لا يخوضه الا خبير معتدل في احكامه . ولكي يوازن الامير محمد ذلك ويتغلب على الصعوبات وفر له مكتبة غنية بالكتب

والمذكرات والصحف والوثائق والمراسلات ، بالاضافة الى عمله على ترجمة بعض الكتب الاجنبية للعربية . ويمكننا ان نصنف مراجعه الى هذه الاصناف :

١ ـ حديثه مع والده ومشاركته هو في الأحداث او مشاهدته لها ، وهو مايمكن ان نسميه بالتجربة الشخصية .

٢ ـ وثائق الأسرة كالرسوم والانساب ، مثل شجرة الاسرة وسندها المفصل .

٣ ـ الوثائق الرسمية مثل المعاهدات والاتفاقات والتعهدات (مثل معاهدة ديميشال والتافنة .. الخ) .

٤ ـ الكتب الأجنبية المترجمة الى العربية سواء كانت عن والده أو عن تاريخ الجزائر عموما .

٥ ـ الكتب العربية عن الأمير والجزائر والمغرب العربي والأندلس (مثل كتب ابن خلدون ، وابن حزم ، وابن الخطيب)[١٩] .

٦ ـ المراسلات وهي كثيرة سواء منها الرسمية أو الشخصية .

٧ ـ الصحف المعاصرة ، عربية واجنبية .

٨ ـ انتاج الامير نفسه من الشعر والنثر .

ويقول الامير محمد عن الطريقة التي اتبعها لاستخراج الحقائق من هذه المصادر ، انه جعل والده هو الحكم . ذلك أن بعض المصادر قد جانبت ، في نظره ، الصواب لاعتبارات قومية وسياسية وشخصية ، رغم اعترافه بان بعضها قد مارس ضبط النفس وسار في طريق الحق . ومن

الممكن ان يقال هذا عن الامير محمد نفسه ، فما دام قد جعل والده هو مرجعه في تصويب المصيبين وتخطئة المخطئين ، فمن ادراه ان والده ايضا كان على خطأ فيما رأى وقدر ؟ ونحن وان كنا سنقول كلمة عن القيمة التاريخية للكتاب (تحفة الزائر) فاننا نبادر الى القول هنا بانه كتاب ادب ومذكرات وليس كتاب تاريخ بالمعنى العلمي للكلمة .

ويهمنا أن نسوق عبارة الامير محمد نفسه في هذا المجال ، تلك العبارة التي تكشف عن طريقته ومنهجه في كتابه . فهو يقول : « جلبتُ تواريخه ووقائعه (اي والده) المدونة باللغة الافرنجية ، وتكلفت ترجمتها الى العربية[٢٠] ، وبعد مطالعتها وامعان النظر فيها وجدت بعض مؤلفيها قد أصاب ، والبعض اخطأ جادة الصواب ، وحافظ فريق على انتصارات قومه ، ونسي الآخر احوال امسه وذكر وقائع يومه ... فلذا وضعت الاخبار في ميزان واحد ، وجعلت الحكم العدل شهادة سيدي الوالد ، فانه رب تلك المشاهد ، ولايستوي الغائب والشاهد ، وقد استخرجت من آثار مولاي خبرا يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى »[٢١] . ولعل لفظة « آثار مولاي » ذات معنى هام في هذا المجال . ذلك انها تبرهن على أن الامير محمداً كانت له عند التأليف ثروة والده من المذكرات والاوراق الشخصية .

ويحتوي (تحفة الزائر) على معلومات غزيرة عن الجزائر في عهد كفاح الامير عبد القادر وعن الامير نفسه ، منذ نفيه سنة ١٨٤٧ الى وفاته ١٨٨٣ . ونحن نقول « في عهد كفاح الامير عبد القادر » لان الجزء الخاص بجغرافية المغرب العربي والجزائر خصوصا ، والدول الاسلامية

المتعاقبة على هذا الجزء من العالم العربي ، وان كان مفيدا ، الا انه غير اساسي ويظل مدخلا فقط للموضوع الرئيسي . كما اننا عنينا بكلمة « كفاح » ان المؤلف لم يؤرخ للجزائر في عهد حياة الامير الطويلة بل توقف معها بخروج الامير منها . فتاريخ الجزائر بين ١٨٤٧ و ١٨٨٣ غير مدروس في الكتاب . ذلك أن الامير محمداً يبقى متتبعا في كتابه تحركات والده وليس تطورات بلاده . كما ان القسم الاخير من الكتاب ضعيف من الناحية التاريخية لانه اقتصر فيه على ايراد الاشعار المديحية والرثائية ومقالات الصحف ونحو ذلك ، مما يقرب الى الجمع والحشو اكثر من التاريخ والدرس .

ولكن الكتاب يضم وثائق هامة تجعله مصدرا لا غنى عنه لدراسة تاريخ الجزائر خلال فترة الأمير . ولا شك أن ذلك راجع بالدرجة الاولى الى تمكن المؤلف من الاطلاع على اوراق الأسرة واستعمالها والى احساسه الفطري بالتاريخ وأهميته عند الامم والشعوب والأسر . ذلك ان حرصه على تدوين مآثر والده قد جعل الكتاب يخدم أيضا وطنه الجزائر وقومه واسرته ، بالاضافة الى تسجيل صفحة مجيدة في تاريخ الكفاح العربي والاسلامي ضد الغزو الاجنبي ، ومن ذلك يصدق تشبيه الامير بيوسف صلاح الدين الايوبي الى حد بعيد . وعلى هذا الاساس فان كتاب (تحفة الزائر) كان ، ولعله ، مايزال ، الكتاب الوحيد باللغة العربية الذي فصل الحديث عن المرحلة الاولى من الصراع الجزائري الفرنسي (١٨٣٠ - ١٨٤٧) .

ولكن الكتاب يبقى كتاب أدب أيضا . فمجاله هو عرض سيرة الامير عبد القادر البطل مع اعجاب واضح بمواقف البطولة ، وانتماء

شخصي وعرقي الى البطل نفسه . وفي كثير من الحالات حجبت العاطفة والولاء والاعجاب قضايا التاريخ المعقدة . ثم ان اشتمال الكتاب على اشعار مختلفة ابياتا وقطعا وقصائد ، واسلوب التأليف القائم اساسا على السجع ، والحنين (او النوستلجيا) التي يتميز بها - كلها جعلت الكتاب قطعة أدبية اكثر منه دراسة تاريخية . ولعل المرء لا يترك الحديث عن هذه النقطة حتى يشير ايضا الى الجانب الصوفي من الكتاب . ذلك ان الوفاء لسيرة الامير جعلت المؤلف يسوق نصوصا له في هذا المجال ايضا . وهذا حق له ، ولكن المجال الصوفي - الفلسفي في الكتاب أضعف ايضا جانبه التاريخي .. فهل يمكننا القول اذن ان (تحفة الزائر) هو كتاب في سيرة الامير عبد القادر وليس في تاريخ الجزائر ؟ ان في العنوان الفرعي للكتاب جوابا على هذا السؤال ، اذ هو في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ولاشك ان كلمة « مآثر » أقوى من كلمة « أخبار » وهذه بدورها أخف من كلمة « تاريخ » .

لقد قسم الامير محمد كتابه الى قسمين منذ البداية . فجعل القسم الاول في سيرة الامير عبد القادر السيفية او الحربية وهو القسم الذي يحويه الجزء الاول من الكتاب سواء منه المطبوع والمخطوط . وهذا ما يمكن ان نسميه فترة مقاومة الامير في الجزائر بين ١٨٣٠ و ١٨٤٧ . وفي القسم مدخل طويل عن جغرافية وتاريخ المنطقة من أقدم العصور الى الاحتلال الفرنسي . اما القسم الثاني فقد خصصه لسيرة الامير العلمية او القلمية[٢٢] ، ويغطي هذا القسم من الناحية الزمنية سيرة الأمير منذ خروجه من الجزائر في آخر كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٤٧ الى وفاته في شهر أيار (مايو) ١٨٨٣ م . وبمعنى آخر حياة الامير في فرنسا

والمشرق العربي والاسلامي . ولعله من الخطأ ان نسمي هذا القسم بقسم السيرة القلمية (او العلمية) لان الامير نظم الشعر وكتب الرسائل وألف ايضا قبل مغادرته الجزائر . حقيقة ان بعض انتاجه الصوفي قد كتب في مهجره ولكن الفترة التي يتناولها هذا القسم اطول بكثير من تاريخ تأليف انتاجه الصوفي .

ومهما كان الامر ، فان الامير محمداً لم يبوب عمله الى فصول وأبواب ولم يخضع كتابه الى منهج علمي دقيق ، وانما استخدم طريقة العناوين الصغيرة والانتقالات المتقاربة حسب موضوعات ذات مدلول ضيق ، مثل : ذكر كذا ، أو انتقال الامير الى ...، ونحو ذلك . وهي طريقة مملة ومشتة للذهن . وهذا ينطبق على النسخة المطبوعة والمخطوطة معاً . وهو أحيانا يستعمل عبارة « فصل في كذا » ولكن ذلك لا يدل حقا على التبويب المتبع حتى عند بعض القدماء وانما هو طريقة من طرق التفريع في البحث .

٤ ـ المقارنة بين النسخة المخطوطة والمطبوعة :

طبع كتاب تحفة الزائر ، كما أشرنا ، مرتين ، مرة في حياة المؤلف ، سنة ١٩٠٣ م والثانية سنة ١٩٦٤ م ، الطبعة الاولى في الاسكندرية والثانية في بيروت . وقد تميزت الطبعة الاولى بضيق السطور وصغر الحروف وانعدام الفقرات تقريبا وكثرة الاخطاء المطبعية وعدم وجود خرائط او صور او ثبت عام ، وليس فيها نبذة عن حياة المؤلف . اما الطبعة الثانية فتميزت بمقدمة للمحقق[٢٣] ، وبعض التعاليق والصور ، وسعة السطور وكبر الحروف ، كما لم تشتمل هذه الطبعة ايضا على ثبت

عام باسماء البلدان والاشخاص ولا على جدول بالخطأ والصواب . واذا كان يجوز لطبعة ١٩٠٣ أن تخرج بدون ثبت عام فانه لا يجوز ، في نظرنا ، لطبعة سنة ١٩٦٤ ، وهي طبعة تحمل سمة التحقيق ، ان تخرج بدون هذا الثبت .

والنسخة المخطوطة تقع أيضا كما قلنا ، في قسمين ، كل في مجلد منفصل . وهي مكتوبة بخط نسخي جيد وحروف بارزة وفنية ، في إطار جميل ومذهب . وتكاد تكون بدايات الجزأين ونهايتها واحدة ، مع اختلاف سنذكره في القسم الاخير من هذه الدراسة . ولا يوجد في النسخة المطبوعة تاريخ انتهاء المؤلف من تأليف كتابه ولكن هذا التاريخ في النسخة المخطوطة هو سنة ١٣٠٧ هـ (١٨٩٠) أي سبع سنوات بعد وفاة الامير عبد القادر . ولايمكن في نظرنا ان تكون النسخة المخطوطة التي اطلعنا عليها مكتوبة بخط المؤلف ، لانه لا يعقل أن يؤلف احد المؤلفين عمله على ذلك النحو من التخطيط والتجميل والتذهيب والتأطير والصفاء . فلو كانت هذه النسخة « الاصلية » حقا لكانت غير مجملة كل هذا التجميل ولكانت فيها تخريجات وحواش وحذف واضافات ونحو ذلك مما يوجد عادة في النسخة الاولى من التأليف[٢٤] .

اذن ، هل نحن نتكلم هنا عن « النسخة الاصلية » أو نسخة مخطوطة مأخوذة عنها ؟ واذا كنا نتعامل مع نسخة مأخوذة عن الاصل ، وهو ما نميل اليه ، فأين هي نسخة المؤلف المسروقة منه ؟ هل اعدمت بعد ان نسخت يد الخطاط الماهر منها هذه النسخة التي بين ايدينا ؟ نحن نستبعد ذلك . ونميل الى أن نسخة المؤلف ما تزال موجودة في احدى المكتبات الخاصة سواء مكتبة الشخص الذي سرقها ، أو الشخص الذي

آلت اليه بسبب من الاسباب[٢٥] . وعلى فرض ان هذا صحيح ، فمن هو خطاط نسختنا يا ترى ؟ انه لا يوجد على النسخة المصورة اسم الخطاط او الناسخ ، ويبدو من المؤكد ان الذي خططها على الشكل الذي وجدناها عليه اراد بها وجه السلطان عبد الحميد لأن عبارة الاهداء اليه في النص مكتوبة بخط جميل وغليظ ، وكأنها هي المقصودة من التخطيط كله . ولكن من كان وراء فكرة التخطيط اصلا ؟ هل هو المؤلف نفسه الذي ، نفترض ، انه سلم عمله لأحد الخطاطين فدبج له ما اراد ولكن السرقة وقعت لهذه النسخة المدبجة من عند الخطاط او من عند المؤلف ، قبل ان يقوم هذا بتقديمها الى السلطان ؟ او ان مسودة المؤلف هي التي سرقت منه واخذت الى احد الخطاطين فاستخرج عليها النسخة التي رايناها وقدمها السارق نفسه الى السلطان لغرض ما ؟ اننا نميل الى الاحتمال الثاني ، لأنه هو الذي يحرم المؤلف من نسخته الاصلية ويجعله يلجأ الى كتابة عمله من جديد . اما الاحتمال الاول فهو بعيد لان المؤلف عندئذ يكون قد حافظ على نسخته الاصلية وان ضاعت منه المدبجة ، ولم يكن في حاجة الى اعادة التأليف .

ولكن السؤال المحير حقا هو : من كان وراء السرقة وما الهدف منها ؟ ان اخوة المؤلف وأسرة الأمير عبد القادر على العموم لم تكن ، كما ذكرنا ، متفقة على الولاء للدولة العثمانية . وكان هناك انقسام في صفوف الأسرة اشار اليه المؤلف نفسه عند حديثه عن المبايعة له بعد وفاة الوالد . كما كان هناك تحاسد وتنافس على الفوز برضا هذا أو ذاك من كبار الدولة العثمانية او الفرنسية . وقد لمح المؤلف نفسه الى كون المسألة « عائلية » عندما دعا على سارق النسخة بقوله : « فسطت عليه يد من

لابارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا من حرز مثله ، جزاه الله على ما ابداه من حسده ، في نفسه وماله وولده ... » ونعتقد ان سارقها الذي قدمها بذلك الاهداء الفخم اراد التقرب بذلك الى السلطان لغرض دنيوي ، سياسي او مالي مثلا . اقرأ معي ما جاء في النسخة المخطوطة من اهداء (وهو مفقود تماما من النسخة المطبوعة) « وبعد ان انتهيت من ترتيبه ، وامعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، قدمته لسدة سلطنة ولي النعم ، ومالك ملوك العرب والعجم ، حامي حوزة الملك بالسيف الباتر والحزم الوافر والحلم السافر ، الجامع بحسن الابتداء بذكر اسمه الحميد ، وتشنفت المسامع بدر وصفه العزيز المجيد ، امير المؤمنين ، وظل الله على العالمين الخليفة الأعظم الخاقان الأفخم السلطان الغازي عبد الحميد خان ، أيده الله بسر الكتاب المبين ، وأمد جنوده بالملائكة المقربين :

آمين آمين لا يرضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا

راجيا ان يحظى بلثم رائحته الكريمة ، ويلحظ بعين عنايته الفخيمة ، فينجلي نجم سعده في سماء الاقبال ، ويتحلى بحلى القبول ويرفل في حلل الكمال ، وسميته ... تحفة الزائر ، الخ . » .

وهناك قضية اخرى ما زلنا لم نجد لها حلا ، وهي لماذا طبع الامير محمد كتابه في الاسكندرية بالذات ؟ واين كان هو عند طبع الكتاب ، في الآستانة او في دمشق او في مصر ؟ ولماذا المطبعة التجارية بالذات ايضا ؟ وهل لوجود الانجليز في مصر دخل في تغيير وجهة نظر المؤلف من الدولة العثمانية ، ومن السلطان عبد الحميد خصوصا ؟ وهل يفسر لنا ذلك حذف الاهداء السابق من النسخة المطبوعة تماما ؟ أسئلة كثيرة لا

يمكننا الجواب عليها الآن . وبالاضافة الى ذلك هناك احتمال دخول المؤلف في حزب اللامركزية الإسلامي الذي كان بعض أتباعه مغضوبا عليهم فهاجروا او هربوا في اوائل هذا القرن الى مصر ، ومنهم المؤلف ، فهل هذا ايضا وارد ؟ اننا لانملك الجواب عليه الآن .

واثناء عقدنا للمقارنة بين النسختين المخطوطة والمطبوعة وجدنا ان الاولى أشمل وأوفى ، وانها قد احتوت على تفاصيل ووثائق مفقودة في الثانية ، ولكن العكس احيانا صحيح ايضا . كما يلاحظ المرء تقديم او تأخير الحوادث بين النسختين . ويوجد في المخطوطة تاريخ الانتهاء من التأليف ، وهو ١٨٩٠ ، كما ذكرنا بينما المطبوعة خالية من هذا التاريخ . وقد قرأت نصيبا كبيرا من النسختين على وجه المقارنة مع كل من الاستاذين : الشيخ محمد الطاهر التليلي بقمار ، والدكتور ابو العيد دودو بمدينة الجزائر ، وقارنا الفهارس في النسختين وبعض الوثائق والاشعار ، فوجدناهما نسختين مختلفتين حقا ، ولا يمكن ان يقال ان المطبوعة نسخة عن المخطوطة وانما المؤلف في الواقع كتب تأليفه مرتين ، ففصل في المرة الاولى وأوجز في الثانية ، كما انه قد عكس احيانا ، وان الذي يجمع بين النسختين هو وحدة الموضوع ووحدة العاطفة ووحدة المؤلف وليس وحدة النص او المتن .

ولكي نشرك القارئ معنا في إدراك بعض الفروق بين النسختين عمدنا الى استخراج عبارات من مقدمة النسختين ، ونصوص من اوائل واواخر الجزئين وبعض النصوص الداخلية ، وجعلنا هذه النقول على هذا النحو :

١ ـ نص من مقدمة النسخة المطبوعة فيه ذكر سرقة النسخة وليس معه الاهداء الى السلطان عبد الحميد الثاني ، يقابله نص من مقدمة النسخة المخطوطة فيه الاهداء الى السلطان وليس فيه ذكر السرقة .

٢ ـ نص يتضمن نهاية الجزء الاول في النسختين ، وفيه يظهر التوسع في المطبوعة اكثر من المخطوطة .

٣ ـ نص يتضمن بداية الجزء الثاني في النسختين ، وفيه يظهر التقديم والتأخير ، والتوازن والتوسع .

٤ ـ نص يتضمن نهاية الجزء الثاني في النسختين ، وفيه يظهر الفرق واضحا ، اذ اقتضب المؤلف في المطبوعة وأسهب في المخطوطة ، مع ذكر تاريخ الانتهاء من التأليف .

٥ ـ نص عام من النسختين كنموذج للفرق بينهما ، وفيه يظهر كيف قصر في المطبوعة وطول في المخطوطة ويظهر من النص الطويل رأي المؤلف في عدة أمور تاريخية ومعاصرة (ومن هذا النوع كثير في الفرق بين النسختين) .

٦ ـ نماذج من اختلاف العبارات في متن النسختين ، وقد استخرجنا النماذج من المقدمتين فقط . ويمكن القياس عليها في بقية المتن .

وقد أردنا من ذلك ان نوضح للقارئ مدى الاختلاف بين النسختين سواء من حيث النصوص الكاملة او من حيث نسج العبارات والألفاظ .

وفي نهاية هذه المقالة نود أن نطرح سؤالا وهو هل يمكن نشر النسخة المخطوطة على انها الاصلية من (تحفة الزائر) ؟ يبدو أن ذلك

ممكن وواجب لأنها هي النسخة التي وضعها المؤلف اساسا لكتابه وهي التي تعبر عن وجهة نظره في الاحداث وفي والده وفي العلاقات العامة قبل ان تبرد عاطفته وتؤثر فيها بعض مجريات الامور المستجدة ، وقبل أن يفقد بعض مواد الكتاب التي نبه عليها . ولذلك فنحن عازمون على اخراجها الى الناس محققة ان شاء الله ، ولكن هذا لا يمنعنا ، ولا يمنع غيرنا ، من البحث عن النسخة التي كتبت بخط المؤلف اصلا .

الدكتور ابو القاسم سعد الله

آن آربر (امريكا) ، جامعة ميشيغان

٥ ـ نصوص من النسختين للمقارنة

من ديباجة النسخة المطبوعة

ولما فرغت من ترتيبه ، وأمعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، حصرته في قسمين الاول في سيرته السيفية ، والثاني في سيرته القلمية[٢٦] ، وسميته : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر . فسطت عليه يد من لابارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا من حرز مثله . جزاه الله على ما ابداه من حسده ، في نفسه وماله وولده ثم شمرتُ عن ساعد الاجتهاد ، لجمع ما تفرق من المواد ، بعد ان فقد منها الاكثر ، وبقي من المسودة ما لايذكر ، فجاء مطابقاً للاصل ، وخاب من الحاسد ، والمنة لله ، الأعلى ..

(المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب) الخ .

من ديباجة النسخة المخطوطة

وبعد ان انتهيت من ترتيبه وأمعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، قدمته لسدة سلطنة ولي النعم ، ومالك ملوك العرب والعجم ، حامي حوزة الملك بالسيف الباتر ، والحزم الوافر والحلم السافر ، والجامع بحسن الابتداء بذكر اسمه الحميد ، وتشنفت المسامع بدر وصفه العزيز المجيد ، امير المؤمنين وظل الله على العالمين ، الخليفة الاعظم ، الخاقان الافخم ، السلطان الغازي عبد الحميد خان ، ايده الله بسر الكتاب المبين ، وامد جنوده بالملائكة المقربين

آمين آمين لا يرضى بواحدة

حتى اضيف اليها الف آمينا

راجيا ان يحظى بلثم راحته الكريمة ، ويلحظ بعين عنايته الفخيمة ، فينجلي نجم سعده في سماء الاقبال ، ويتحلى بحلى القبول ويرفل في حلل الكمال ، وسميته : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ، راجيا ان يطابق اسمه مسماه ، ويقتنيه من جعل الادب غاية مرماه ، فيتخذه في خلوته سميرا وجليسا ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب) الخ .

نهاية ج ١ مطبوع

وفي غد تلك الليلة (ليلة اجتماع الامير بابن الملك ، الدوق دومال) توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنساوية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات وعند رجوعه تلقاه الامير على جواده الادهم . وبعد ان نزل عنه اهداه اليه مع طبانجته وساعته فقبلهم ، ثم اجتمعا اجتماعا مخصوصا جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقا ، واهدى للامير ايضا طبانجته وساعته . ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله واولاده وخليفته السيد مصطفى بن التهامي والسيد قدور بن علال وغيرهما من حشمه واتباعه في مائتي نفس . قال بعض مؤرخيهم ان مما يجب الحيرة ويستحق التعجب ان عسكر الامير عبد القادر كاد ان يصل عدده الى الفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة وقد قاوم به جيشا عظيما من جيوش اكبر دولة من دول اوروبا يبلغ عدده مائة الف وستة آلاف ما بين فارس وراجل مدة ست عشرة سنة الخ .

(وبعد ٢٢ سطرا قال المؤلف :)

وبتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية . وهي الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني في سيرته العلمية[٢٧] ، والله ولي التوفيق .

(ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦)

نهاية ج ١ مخطوط

وفي غد تلك الليلة توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنساوية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات ، وعند رجوعه تلقاه الأمير على جواده الأدهم . وبعد ان نزل عنه أهداه اليه مع طبانجتيه وساعته فقبلهم ثم اجتمعا اجتماعا مخصوصا جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقا ، واهدى للامير ايضا طبانجتيه وساعته . ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله وأولاده وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي والسيد قدور بن علال وغيرهما من حشمه وأتباعه في مائتين نفسا .

وهنا انتهت سيرته السيفيه ونشرع في سيرته الكفّية ، وهي أول الجزء الثاني .

(ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨)

بداية الجزء الثاني ـ مطبوع

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ركـوب الامير البحر ووصولـه الى طولون وما اتفق له مع دولة فرنسا

انه في ثالث يوم وصوله الى جامع الغزوات سار بأهله ومن بمعيته الى المرسى والنـاس على اليمين والشمال يبكـون وينتحبـون ، ولم يـزالـوا على ذلـك الى ان ركب البارجة الحربية المعدة لركوبه واسمها (احموده) وتوجه نحو فرانسا ، ولسـان الحال ينشد قول ابن ابي لبانة[1] شاعر ابن عباد :

تبكي السماء بمزن رائح غـادي
على البهاليل من ابناء عبادي (كذا)
(الخ ١٥ بيتا منها)

ثم ان المسلمين صـاروا آسفين تتصعد زفراتهم وتنسكب عبراتهم ، ولا سيا شيعته واهل محبته . كيف لا وقد طـار من بينهم من كانـوا يستمطرون خيره ويقيهم اعتـداء العـدو وشره ويحيطهم من كل مكروه ، وينيل كل واحد ما يؤمله ويرجوه ،

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفـا
أنيس ولم يسمر بمكـة سـامر
بلى نحن كنـا اهلهـا فـابـادنـا
صروف الليـالي والجـدود العـواثر

وقد تذكرت هنا ما قاله خاتمة ادباء الاندلس صالح ابن شريف :

بداية الجزء الثاني ـ مخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ما اتفق للامير مع دولة فرنسا بعد ركوبه البحر ووصوله الى طولون .

وفي الثالث من وصولنا الى الغزوات سـار الأمير بـأهلـه وبمن تعين بمعيتـه الى المرسى والنـاس على اليمين والشمال يبكـون وينحبون ولم يـزل الحـال على ذلـك الى ان ركبنـا البـارجـة الحربيـة المعـدة لركـوبنـا وسارت بنا نحو فرنسا :

سـارت سفـائنهم والنـوح يصحبهـا
كأنهـا ابـل يحـدو بهـا الحـادي

وبقي المسلمـون آسفين تتصعـد زفراتهم وتنسكب عبراتهم وتتـوقـد حسراتهم لا سيا شيعته وأهل محبتـه فـانهم غدا عليهم فراقـه بـالمكاره وراح ، وضـاق عليهم المتسع من اوطـانهم والبراح ، وعمهم الجـزع والهلـوع ، واغب اجفـانهم النوم والهجـوع ، وكيف لا وقـد طـار من بينهم من كانـوا يرتضعـون دره ، ويستطرون خيره ، ويقيهم اعتـداء العـدو وشره ، ويحيطهم من كل مكروه ، وينيل كل واحد منهم ما يأمله ويرجوه ، ثم أمسـوا فرادى لا أنيس لهم ولا جليس ، ولا مال لهم حتى اليعافر والعيس ، كدربهم يغـور وينجـد ، ولسـان حـالهم يقـول وينشد :

لكل شيء اذا مــــا تم نقصــــان
فــلا يغر بطيب العيش انســــان
(الخ ١٢٠ بيتا) (ص ٤ـ٥).

كأن لم يكن بين الحجـون الى الصفــــا
انيس ولم يسمر بمكـــة ســــامر
بلى نحن كنــا اهلهــا فــابــادنــا
صروف الليــالي والجــدود العــواثر

وقد تذكرت هنا ما قـالـه شـاعر بني عبـاد عند نكبته الشهيرة :

تبكي السماء بمــزن رائــح غــــادي
على البهـاليـل من ابنـا (كـذا) عبــادي
(كـــــــــــــذا)
(الخ . ثمانية أبيات .)

نهاية الجزء الثاني ـ مطبوع

وها هنـا جواد المقـال بنـا قـد وقف ، وأقر لســانُ اليراع بــالعجـز عن استقصــاء مناقبه واعترف ، وقصر الباع مع قلة المتـاع يـوجبـان لهـذا الفقير العـذر ، والم الفراق الـذي لا يطـاق برهـان التبلـد والحصر ، وغاية ما أقول : العـذر عنـد خيـار النـاس مقبول ، والحمد لله في البدء والختـام ، وعلى حبيبه الاعظم وآله واصحـابـه افضل الصلاة والسلام .

(ص ٢٠٧) .

نهاية الجزء الثاني ـ مخطوط

وهنـــا انتهى القلم في تنسيــق مــا قصدناه ، على الوجه الـذي أردنـاه ، فجـاء بحمده تعالى كتابـا كلل الصـدق تيجـانـه ، وسلـسـل التحقيـق غـدرانـه ، ولعبت يـد التهذيب بأغصـان سطوره ، وصقلت وجوه تحبيره فانطبع في طروسه خيال سيرة الامير كأنهـا روض آس ، أو كعــذارى ميــاس ، وابـان عن أخبـاره وأحوالـه ، ومثـل كيف كان في احــوال كبره وفي ايــام اقبــالــه . وبـذلـك يعرف المطـالع ان محـل الامير من الفضل المحل الاسنى ومقامه من الكمال المقام الاسمى ، وقــد رمت استقصــاء منــاقبـــه فوقفت وقوف من افحمه الحصر ، وقصدت استيعـاب فضـائلـه فـادرك بــاعي القصر ، فـاقتصرت على مـا يوضح الغرض ، ويؤدي في الجملـة مـا يجب علي من حقـه المفترض ، معترفا بقصر الباع ، وقلة الراويـة (كـذا)

وكلال الدراية ، هذا مع ما نحن عليه من شغل البال والتنقل في الحيرة من حال الى حال . وقد وفق الله سبحانه لاتمامه واستنشاق مسك ختامه في منتصف ربيع الأول الانور سنة ١٣٠٧ هجرية وسنة ١٨٩٠ ميلادية . والحمد لله في الابتدا والانتها ، والصلاة والسلام على ذي السنا والبها ، وعلى آله وأصحابه اولي النُّهَى ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين .

(ص ٥٠٣)

نص من ج ١ ـ المطبوع

ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبئ بان وجود والبين في الجزائر موجب للفساد مستلزم للنزاع فقبل ذلك وأمر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى ، وأن يكون التصديق على ذلك من السلطنة . وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سالف أمرها من سمو المنزلة وباهر السطوة ، الخ .

(ص ٧٢)

نص من ج ١ ـ المخطوط

الى أن تولى بابا علي رئيسا لمجلس الشورى سنة خمسة عشر ومائة والف . وكان شديد البأس قوي الجأش وله اعداء في نفس الحضرة فتمكن عامل الجزائر من اغرائهم عليه والسعي في تفريق الكلمة فاحس بابا علي بذلك ، واشخص عامل الجزائر الى الآستانة وقتل من وافقه ورفع شكاية الى سدة السلطان احمد خان الثالث معرضا بعدم قبول الجزائر عاملين لما يحدث عن ذلك من النزاع والخلاف فقبل السلطان شكايته وجعل امر التولية والعزل وتنفيذ الاحكام منوطا بالمجلس مع تصديق السلطان وابقاء الرايات والخطبة وضرب المسكوكات باسمه . واستمر الحال على ذلك الى تسلط الفرنسيس عليها . وقد وقع في يدي سكة من تلك المسكوكات مكتوبا على واحد منها سلطان البرين وخاقان

البحرين السلطان ابن السلطان ، السلطان عبد الحميد خان عز نصره ضرب في الجزائر سنة سبع وتسعين ومائة والف وعلى الآخر سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان ابن السلطان ، السلطان محمود خان عز نصره ، ضرب في الجزائر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف . ولذلك فان الدولة العلية الى الآن لا تقر ولا تعترف بتملك الفرنساوية على القطر الجزائري ولا لها وكيلا (كذا) به . واقول ، كما قيل ، الحق مع القوي ، ولكن الدوائر من شأنها ان تدور (ثم نقد لاذع لولاة الجزائر وسيرتهم في الرعية الى استيلاء الفرنسيين على الجزائر . وهو كلام غير موجود في النسخة المطبوعة .)

(ص ١١٥ ـ ١١٦)

تعابير مختلفة للفرق بين النسختين

المطبوعة (من المقدمة)

١ ـ بينما شمس سيادتنا في افق المغرب الاوسط طالعة ...

٢ ـ وجاءتنا جنود فرنسا من البحر كالذر فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حمية ، ونبذل النفوس في حماية سكانه من كل بلية .

٣ ـ فأحاطت بنا جيوش تعدو وتناوش من دولتي فرانسا ومراكش . ولله في خلقه علم الغيب ...

٤ ـ ولما أراد الله تعالى ان لا نثبت في

المخطوطة (من المقدمة)

١ ـ بينما شمس امارتنا في افق المغرب الاوسط طالعة .

٢ ـ وجاءتنا جنود فرنسا من البر والبحر . فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حمية ، ونبذل النفوس والنفيس في حماية الاهل والرعية .

٣ ـ فاحاطت بنا جيوش فرانسا وساموا بضائع راحتنا بخسا . وأبدلوا سعود تلك الايام نحسا ، ولله في خلقه علم الغيب ...

وجوههم ، ولا نقوم بدفع صدماتهم وهجومهم ، رأينا التسليم للاقدار اولى ... فالقينا السلاح للفرنساويين بشروط مقررة .. وبالقدر فارقنا البلاد .. الخ .

٥ ـ ثم خرجنا من فرانسا ممتطين غارب البحر الى ان وصلنا اسلامبول المحمية ، دار السعادة ومقر الخلافة الاسلامية . فمكثنا بها سبعة ايام ... الخ .

(١ : ٣ ـ ٤)

٤ ـ ولما تم للعدو تغلبه على الوطن ، ودخل في حوزته من كان ارتحل من اهله ومن قطن ، ولم يعد في وسعنا أن نثبت في وجهه ... رأينا التسليم للاقدار اولى ... فالقينا السلاح اليه بشروط مقررة ... ثم انتقلنا الى فرنسا وفارقنا البلاد ... الخ .

٥ ـ فلبثنا في فرانسا خمسة أعوام ، في اكرام لائق واحترام ، نستنجز من الحكومة سالف عهدها ونترقب وفاء وعدها ، ... فاخذنا نجوب أرضا بعد ارض ... الى ان وصلنا الى الاستانة السنية ، دار السعادة ومحل الخلافة الاسلامية ، فمكثنا بها أسبوعا ... الخ .

الهوامش

(١) ـ طبع مرتين : الأولى سنة ١٩٠٣ بالمطبعة التجارية بالاسكندرية (مصر) ، والثانية بمطبعة دار اليقظة ، بيروت ، سنة ١٩٦٤ ، وقد عدنا في هذه المقالة الى الطبعة الاولى .

(٢) ـ من مقدمة الطبعة الاولى من كتاب (تحفة الزائر) ١ : ٧ .

(٣) ـ صدرت الطبعة الثانية بتحقيق الدكتور ممدوح حقي ، سنة ١٩٦٤ . وكان يبدو على التحقيق ، رغم حسن النية ، الارتجال الواضح والعمل التجاري وخدمة بعض أفراد اسرة الأمير عبد القادر اكثر من الخدمة العلمية ، وقد اكتفى الدكتور حقي بقوله عن النسخة المسروقة : « ولو وقع في أيدينا الكتاب الاول لرأينا فيه خيرا كثيرا . » ص (ح) .

(٤) ـ تجمدت العناية بتحفة الزائر والتعريف بالنسخة المفقودة منه ، لاهتمامي بمشروع (تاريخ الجزائر الثقافي) ، الذي صدر منه حتى الآن جزآن (الجزائر ، ١٩٨١) ، ولكن تنظيم جامعة الجزائر لسلسلة من المحاضرات بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الامير عبد القادر جعلني اساهم فيها بمحاضرة بعنوان (عن النسخة الأصلية من كتاب تحفة الزائر) يوم ٤ ايار (مايو) ١٩٨٣ . ومن الخطوط العريضة لهذه المحاضرة كتبت هذه المقالة ، التي لم تنشر .

(٥) - يقول صاحب (الأعلام) ، ٧ / ٨٢ ، « ولعله ولد بدمشق » وهو خطأ واضح . ولاتوجد دراسة وافية عن حياة الامير محمد ، التي ما تزال يكتنفها الغموض رغم قربها منا ووجود بعض أحفاده واقاربه بيننا . ويمكن حصر مصادره في : الاعلام للزركلي ٧ / ٨٢ ، وبروكلمان (الذيل) ، ٢ / ٨٨٧ ، ومعجم المطبوعات لسركيس ص ، ٦٩٤ ، وتآليفه هو الخاصة ، اذ فيها سياقة لأحداث حياته في الطفولة والشباب . وقد ذكر صاحب (الاعلام) أن في مذكرات احمد عبيد أخباراً عنه ، ولكننا لم نطلع عليها . وهناك اخبار مطولة عن حياة أسرة الأمير عبد القادر في امبواز ، اثناء الاسر ، وفيها بالطبع اخبار عن الامير محمد ، وذلك في الارشيف الفرنسي الوطني بمدينة ايكس (فرنسا) . وكذلك يوجد عن حياته في كتاب الرحلة الحجازية لمحمد السنوسي التونسي ولا شك ان ارشيف القنصلية الفرنسية بدمشق خلال القرن الماضي يحتوي على أخبار هامة عنه ، لان هذه القنصلية كانت تتبع اخبار المهاجرين الجزائريين وتسجل نشاطهم وأفكارهم .

(٦) - ذكر في (تحفة الزائر) ج ٢ / ١٢ أنه سافر سنة ١٨٦٦ (١٢٨٣ هـ) الى فرنسا وقصد بوردو ، واستعاد ذكريات سجنه هناك وشرب في الفنجان الذي شرب فيه والده القهوة وأقام في الفندق الذي اقام فيه والده ايضا . ووجد ذلك مسجلا هناك . وقد ذكر الامير محمد ايضا ان والده كتب له من الحجاز بكل ما جرى له وشاهده من خروجه من بيروت الى الاسكندرية فالقاهرة فالسويس فجدة فمكة ، وهذا يدل على أنه لم يرافق والده في حجته الثانية .

(٧) - (تاريخ الاستاذ الامام) ، ج ٢ / ٦٣٤ .

(٨) - نفس المصدر ، ٢ / ٦١٣ .

(٩) - توفي باسطانبول سنة ١٣٣١ هـ (١٩١٣) . الاعلام ، ٧ / ٨٢ .

(١٠) - أبناء الامير عبد القادر هم : محمد ، محيي الدين ، علي ، أحمد ، عبد الله ، عمر ، عبد الرزاق ، الهاشمي ، عبد المالك ، ومحيي الدين هو الذي حاول المشاركة في ثورة ١٨٧١ بالجزائر . واصبح علي نائبا عن دمشق في مجلس المبعوثين باسطانبول ، وقتل عمر في دمشق عشية الحرب العالمية الاولى ، ومات الهاشمي الذي كان ضريرا (وهو والد الامير خالد) بالجزائر . وتولى عبد المالك وظيفة فرنسية في المغرب ثم ثار على فرنسا هناك وقتل سنة ١٩٢٤ . وعن المبايعة انظر (تحفة الزائر) ج ٢ / ٢٤٩ .

(١١) - جاءت للمشاركة في احتفالات الذكرى المئوية لوفاة جدها الأمير عبد القادر . وقد نفت لنا ان تكون تملك نسخة خطية من كتاب جدها ، الامير محمد ، (تحفة الزائر) ، كما اكد لنا ذلك الاستاذ محمد الطاهر بن عيشة يوم ٧ ايار (مايو) ١٩٨٣ م ، اذ قال انه

شاهد وصور للتلفزة نسخة من مخطوطة (تحفة الزائر) اثناء حديث أجراه مع السيدة امل عبد القادر الجزائري .

(١٢) ـ اما الطبعة الثانية بتحقيق ممدوح حقي صدرت بعنوان (تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر) ، دار اليقظة ، بيروت ، ١٩٦٤ . ولم ينبه على ذلك العنوان رغم انه ليس من وضع المؤلف .

(١٣) ـ اعادت طبع هذا الكتاب بـ (دمشق ، ١٩٦٣ ، ط٢) منشورات المكتب الاسلامي على نفقة الشيخ احمد بن الشيخ علي آل ثاني . جعل له الناشر مقدمة ، ورسالة في الخيل ايضا الفها عبد الله بن الحسين مؤسس الدولة الاردنية . وعدد صفحات (عقد الاجياد) في هذه الطبعة ٣٧٦ ص . وكان المؤلف قد فرغ من تأليفه سنة ١٢٩٠ هجرية .

(١٤) ـ عن مؤلفات الامير محمد باشا ، انظر معجم المطبوعات لسركيس ص ٦٩٤ ، والاعلام ٧ / ٨٢ .

(١٥) ـ تحدثنا عن ذلك في كتابنا (تاريخ الجزائر الثقافي) ج٢ .

(١٦) ـ كان منزل الأمير محمد بدمشق ، وقد أصبح ، بعد وفاة والده ومبايعة الاسرة له ، هو مركز النشاط ومقصد الزائرين .

(١٧) ـ توفي بقصره في دمر ، بضواحي دمشق ليلة السبت ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ هـ (٢٤ أيار (ماي) ١٨٨٣ م) ، وحمل الى دمشق في منزل ابنه الاكبر ، الامير محمد ، صاحب (تحفة الزائر) ، وبعد الصلاة عليه في الجامع الأموي حمل الى الصالحية حيث دفن عند قبر الشيخ ابن العربي .

(١٨) ـ من مقدمة النسخة المطبوعة من كتاب (تحفة الزائر) ١ : ٥ ـ ٦ .

(١٩) ـ اعتمد على الخصوص على شرح منظومة (رقم الحلل في نظم الدول) للسان الدين ابن الخطيب ، و (ديوان العبر) لابن خلدون فيما يتعلق بتاريخ المغرب الاوسط وجغرافيته ودوله الاسلامية .

(٢٠) ـ في هذا دلالة على ان الامير محمد لم يكن يقرأ الفرنسية او غيرها من اللغات « الافرنجية » ولعله تعلم اللغة التركية . ومن الكتب الاجنبية التي استعملها في كتابه بكثرة كتاب شارل هنري تشرشل (حياة الامير عبد القادر) الذي ترجمناه نحن الى العربية ، وطبع طبعتين حتى الآن ، الجزائر ، ١٩٨٢ ، ط٢ . وكتاب الاسكندر بيلمار (حياة عبد القادر) . انظر المدخل الذي كتبناه لترجمتنا المذكورة لكتاب تشرشل .

(٢١) ـ تحفة الزائر ١ : ٦ ـ ٧ .

(٢٢) ـ جاء في النسخة المخطوطة « سيرته الكفية » وليس العلمية ولا القلمية .

(٢٣) ـ هو الدكتور ممدوح حقي .

(٢٤) ـ اطلعنا زميلنا الدكتور صالح خرفي على نسخة خطية من (نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر) قد جلبها من دمشق من عائلة الامير محمد نفسه . وعند مقارنة خط (نزهة الخاطر) وخط (تحفة الزائر) وجدناهما متشابهين . وقد يدل هذا على أن خطاط النسختين واحد وان اصول النسختين كانت عند الامير محمد .

(٢٥) ـ يشير صاحب (الاعلام) ج١١ (الخطوط والصور) ، القسم الثاني رقم ١١١٩ ، و ١١٢٠ ، أن نسخة من (تحفة الزائر) بخط المؤلف توجد في المكتبة العربية في دمشق . وقد أورد نموذجا من خطه فيها فاذا هو :

١ ـ فيه شطب واضافة ويدل على قلم عادي وليس قلم خطاط (خلافاً لنسختنا المخطوطة ونسخة نزهة الخاطر التي عند الدكتور صالح خرفي) .

٢ ـ إن فاتحة نسخة المكتبة العربية لا تتطابق (حسب النموذج الذي أورده صاحب الاعلام) مع نسختنا المخطوطة ولا مع النسخة المطبوعة .

فهل بعد هذا يمكن القول بأن نسخة المكتبة العربية هي النسخة الأصل التي سرقت من المؤلف والتي منها خططت نسختنا ؟ الجواب على هذا يتوقف في نظرنا على الاطلاع على نسخة المكتبة العربية ، ونحن لم نفعل ذلك .

(٢٦) ـ كانت العلمية ومصححة القلمية .

(٢٧) ـ في صفحة عنوان الجزء الثاني : سيرته القلمية .

(1) [هو أبو بكر محمد بن اللبانة شاعر المعتمد بن عباد]

المعجمات الطبية

(القسم الثاني)

الدكتور نشأت الحمارنة

- ٦ -

المصطلحات الطبية في كتاب التنوير

1 ـ الرمد

التنوير : (وجع العين ، أي ورم حار في الملتحم)

وكان ابن ماسويه قد استعمل كلا التعبيرين في (دغل العين) : **الرمد والورم** . بينما لا نجد في (معرفة محنة الكحالين) الا « **الورم** » . .

وقد استعمل حنين تعبير« **الرمد** » . وكذلك فعل الطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد ورد ذكر هذا المرض عند الاغريق : إيتيوس ، بولص ، الاسكندر ، ابقراط ، جالينوس ، ديموستينس .

وقد فرّق الإغريق والعرب بين الرمد الذي يكون سببه (من داخل) فتصاب العين (بالاحمرار والانتفاخ والضربان ودرور العروق)

● نشر القسم الأول من المقالة في مجلة المجمع (مج ٦٠ ص ١٠٤) .

وسموه **الرمد** أو **الورم** أو **الوجع** ونسميه اليوم « التهاب الملتحمة » ، والرمد الذي يكون سببه (من خارج) وسمّوه **التكدّر** ، وهو مانسميه اليوم « تخرش الملتحمة أو احتقانها » .

وفي مرحلة متأخرة[٢] قسموا الرمد إلى أربعة أقسام من حيث أسبابه ، أو إلى ثلاثة أقسام من حيث شدّته .

وفي اللغة : الرمد : وجع العين وانتفاخها . (ابن سيده عن أبي حاتم) وقد رَمِد رَمَداً فهو أرْمَدُ وهي رَمداء . وعينٌ رَمداء ورَمِدَة . وقد أرمدها الله تعالى .

وقد ورد تعبير (أرْمَد) في الحديث الشريف (مسند الإمام أحمد بن حنبل[٣][4]) .

2 ـ الطَرْفَة

التنوير : (نقطة حمراء تحدث في العين) .

وقد ذكرها بهذا المعنى حنين والطبري والرازي ولم نجد لها ذكراً في

(٢) في نهاية القرن العاشر الميلادي ، وقد اعتمد عليّ بن عيسى التصنيف المبني على أساس شدّة المرض . بينما اعتمد عمّار بن علي التصنيف السببي .

(٣) الجزء الرابع ـ الصفحة ١٥ .

(4) [ورد لفظ (أرمد) في ج ٤ ص ١٥ من مسند الإمام أحمد بن حنبل الطبعة الأولى لكنه ليس من صلب مسند الإمام وإنما هو من كتاب كنز العمال المطبوع في حاشية المسند . أما المصطلح نفسه (الرمد) ومشتقاته فقد تكررت في كتب الحديث أكثر من ٣٥ مرة . وحديث علي كرم الله وجهه الذي أشار إليه المؤلف هو في مسند الإمام أحمد : ١ : ١٨٥ ، ٣٣١ ، ٤ : ٥٢ ، ٥ : ٣٥٤ ، ٣٥٨ انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥ / المجلة] .

مخطوطات كتابي ابن ماسويه التي رأيناها[٤] .

ومن الإغريق ذكر هذا المرض إيتيوس وبولص وجالينوس وارشيجينيس وكريتون وابولّونيوس وهيراس .

والطرفة على حدّ تعبير حنين : (هي دم ينصب في الملتحمة من تمزيق الأوردة التي فيها ... ويقال له : هيپوسفاغما) وهذا التعبير الاغريقي الذي أورده حنين مايزال مستعملاً في الطب إلى اليوم .

ولم يجد التراجمة[٥] في العصر الحديث لهذا التعبير كلمة مناسبة فقالوا : (النزف تحت الملتحمة) مدللين بذلك على عدم معرفتهم للاصطلاح الفني العربي الذي استعمل منذ القرن التاسع .

والقمري في « غنى ومنى » حينما يريد أن يفصّل يعطي تعريفاً وافياً : (دمٌ ينصب إلى الملتحم من انخراق أوردة ، من ضربة أو سقطة أو نحوها . ويكون في الندرة من مدّة ويقيح .

وفي اللغة لايوجد لهذا الاصطلاح أي معنى آخر[٦] (الثعالبي في فقه اللغة : الطَرْفة عندهم : أن يحدث في العين نقطة حمراء من ضربة أو غيرها . ويقصد : عند الأطباء) .

3 ـ الظَفَرَة

التنوير : (زيادة عصبية تنبت من المأق الذي يلي الأنف فتطول

(٤) ثمة مخطوطات من « دغل العين » و « معرفة محنة الكحالين » لم نرها بعد .

(٥) حتى في جامعة دمشق نستعمل (النزف تحت الملتحمة) .

(٦) يستعمل ابن ماسويه كلمة (طرف) ، بمعنى (حركة الجفن) ، وبمعنى (وخز) (... « عن الشعر المنقلب » ... ولاتطرف إلا طرفها) يقصد العين .

وتنبسط حتى تغطي سواد العين كلّه) .

وقد استعمل ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة هذا التعبير ، وقد أورده الثعالبي[٧] في « فقه اللغة » ومازال نستعمله في اللغة الطبية حتى اليوم .

وقد وصف بولص الظَفَرة . وفي رأي هيرشبيرج أن أحسن وصف للظفرة عند الإغريق هو وصف ايتيوس لها .

و (سواد العين) هو القرنية . ذلك أن شفافية القرنية تسمح بظهور لون القزحية الكائنة خلفها ، وهذا اللون ضارب إلى السواد عند الشعوب ذات الشعر الأسود والبشرة غنية الصباغ . بينما تكون القزحية زرقاء أو خضراء عند الشعوب قليلة صبغ البشرة والشعر . وقد استعمل معظم الأطباء العرب تعبير (سواد العين) ، مع علمهم بأن القرنية شفّافة .

أما الملتحمة التي تحيط بالقرنية فقد سمّاها بعض المؤلفين العرب (بياض العين) ، ذلك لأن شفافيتها تسمح برؤية لون **الصلبة** الأبيض من خلالها .

فالظَفَرة امتداد أو زيادة من بياض العين تطغى على سوادها .

وقد ورد تعبير (الظفرة) في الحديث الشريف (ابن حنبل)[5]

---

(٧) الثعالبي : الظَّفَر : ظهور الظَفَرة (وهي جُلَيْدة تُغَشّي العين من تِلقاء المـآقي ، وربما قطعت . وإن تُركت غَشِيَت العين حتى تكلّ ، والأطباء يقولون لها الظَفَرة . وكأنّها عربية باحتة) (فقه اللغة ١٠٠) .

وكذلك : الفراء وأبو عبيدة والجوهري (عن لسان العرب) ، بهذا المعنى .

(5) [مسند الإمام أحمد ٣ : ١١٥ ، ٣٠١ ، ٥ : ٣ ، ٢٢١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٥ المعجم المفهرس / المجلة] .

4 ـ السَبَل

التنــوير : (أن تنتســج في العين عروق كثيرة حمر ، حتى تصير شبــه غشـاوة تبلـغ إلى السـواد ، ويحــدث فيهــا الحكاك) والسبـل هـو أحــد اختلاطات الحَثَر (التراخوم) الذي سماه العرب (جرب العين) .

وقــد عرف الإغريـق (القرحــات القرنيــة) التي تنجم عن الرمــد الحبيبي (الحَثَر = التراخوم) ولكنهم لم يعرفوا السبـل فلم يرد لـه أي ذكر في كتبهم . وقـد عرفـوا أيضـاً اتســاع الأوعيــة في الملتحمــة العينيــة ، واعتبروها نوعاً من « الدوالي » .

وابن ماسو يه هو أول من وصف السبل ، وعنـه نقل حنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد حاول البعض أن يفسر عـدم معرفـة الأسـاتـذة الإغريق للسبل بـأن هـذا المرض لم يكن معروفـاً في بلادهم . بينمـا كان واسع الانتشـار في العراق والشـام ومصر . ومن الـواضـح أن هـذا التفسير لا أســاس لــه من الصحـة فهـذا المرض كان منتشراً في كلّ أرجـاء العــالم القـديم بمــا فيهــا اليونان ، وما يزال .

(والسواد) الذي يذكره القمري هو (القرنية) .

ابن مـاسويـه : (... الحُمرة التي تُرى في سواد العين في الحجـاب الذي يشبـه القرن ...) (... يرى في الحجـاب الـذي يشبـه القرن شبـه الغمام) (... يعتري الناظرَ غشاوة ...) .

(دغل العين ص ٣٤ من مخطوط تيمور) .

وقد تبنت كتب اللغة هذا الاصطلاح الفني .

الثعالبي : (السبل عند الأطباء أن يكون على بياض العين وسوادها شبه غشاء ينتسج بعروق حمر) (فقه اللغة ١٠٠) .

وقد ذكر هذا المصطلح أيضاً **ابن سيده** في **المخصص** نقلاً عن أبي حاتم ، دون أن يشرح معناه . (ريح السبل : داءٌ في العين) (المخصص لابن سيده ١ : ١١٠)

5 ـ الجَرَب

التنوير : (يكون في سطح باطن الجفن مع خشونة ووجع وحكاك) .

وقد ورد التعبير بهذا المعنى في كتابي ابن ماسويه وفي كتابي حنين . وكذلك عند الطبري وصاحب الذخيرة والرازي .

والجرب اصطلاحاً عند الأطباء العرب هو **التراخوم** عند الاغريق ، الذي نسميه اليوم **الرمد الحبيبي** والذي اختير له مؤخراً تعبير آخر **هو الحثر** .

وتعبير « **الحثر** » لانصادفه في التراث الطبي[٨] العربي . وقد استعمل العرب كلمة « **الجرب** » اصطلاحاً ، وهي في اللغة تشير إلى الآفة التي تصيب الجلد .

---

(٨) أطباء العين العرب لم يستعملوا تعبير « الحثر » وهو تعبير معروف في اللغة (الثعالبي ص ١٠٠)
وعن ابن سيده : (المخصص ١ : ١١٠)
ثابت : الحثر : خشونة في العين .
أبو عبيد : حَثِرَت عينه : خرج فيها حبّ أحمر .

وفي مرحلة متأخرة استُعمل تعبير **الجرب** عند الأطباء[٩] للدلالة على آفة جلدية محددة ناجمة عن كائن طفيلي .

ومن الأطباء الإغريق الذين ذكروا جرب الجفن : بولص وايتيوس وسفيروس .

وقد ربط الرازي بين **الجرب** كآفة مسببة **والسبل** كافة تالية . (الطب المنصوري ـ المقالة التاسعة ـ الباب التاسع عشر) .

وكان سفيروس قد لاحظ أن من جملة أسباب هذا المرض استعمالُ القطرات العينية . وهذا صحيح .

ومن المهم أن نلاحظ هنا أن الباحثين في تاريخ الطب العربي لم ينتبهوا إلى أن وصف بعض أشكال الجرب في كتب الطب العربية لاينطبق على (**التراخوم**) بل على (**الرمد الربيعي**) الذي يصيب الأطفال .

فالصورة السريرية[١٠] للرمد الربيعي نجدها في الفصول المتعلقة بالجرب في كتب الكحل .

---

(٩) وعن الأطباء ... أخذ اللغويون هذا التعبير باعتباره اسماً لمرض يصيب العين . ابن سيده ينقل هذا التعبير عن ثابت ، وصاحب العين ، وابن السكيت . (المخصص ١ : ١٠٩) .

(١٠) أحد هذه الأمثلة : أن العرب وصفوا أربعة أشكال للجرب ، في الشكلين الثالث والرابع المتميزين بشدة الأعراض الحادة كالدماع والحكة والخوف من الضياء ـ كما نقول اليوم ـ لاحظوا النمو المفرط للجريبات (الحليمات) وتوضعها المتراصّ وأشكالها المضلّعة ، وقد شبهوا ذلك بما يُرى في باطن التين . واستعمل بعضهم تعبير ـ الشكل التيني ـ وكذلك ماوصفه سفيروس : ناجم عن آفة جلدية حبيبية ، سببها تأذي الجفن بالمواد الغريبة الموجودة في الدواء .

وقد أورد ابن سيده تعبير « الجرب » في **المخصص** نقلاً عن **صاحب العين** .

وقال الثعالبي عن الحَثَر : (وأظنه الذي يقول له الأطباء الجَرَب) (فقه اللغة ص ١٠٠) . ولعل الثعالبي هو الذي أوحى لأصحاب (المعجم الطبي الموحد) بأن يغيروا التعبير المستعمل في جامعة دمشق ، وأن يستعملوا مصطلح (الحثر) .

6 ـ السُلاق

التنوير : (حُمرة وصلابة تحدثان في الأجفان ، وتنتثر معها الأشفار) .

ويسمى هذا المرض اليوم باللغات السائدة في عالم الطب Blepharitis ، وترجمته العربية المعاصرة : (التهاب الجفن) .

وقد فطن « حتي » « وحسن كمال » في معجميهما إلى استعمال كلمة (السلاق) بهذا المعنى فوضعاها مرادفة لكلمة « التهاب الجفن » .

ولما كان هذا المرض يمتاز بوجود الالتهاب في الحافة الحرة للجفن بشكل رئيسي فقد نجد أنه يُعَبَّر أحياناً باستعمال تعبير (التهاب حافة الجفن)[١١] أو (التهاب حواف الأجفان) . وقد شاع استعمال هذين التعبيرين في كتب التدريس في جامعة دمشق ... بينما ظل تعبير (السلاق) بعيداً مجهولاً أو منبوذاً .

---

(١١) خاطر ـ خياط ـ كواكبي ـ معجم المصطلحات الطبية ـ كليرفيل .

وسبب وجود الالتهاب على أشدّه في حافة الجفن الحرة هو أن مصدر الالتهاب يكون عادة من بصيلات الأهداب أو الغدد الملحقة بها التي تتوضع في سمك حافة الجفن حيث منبت **الأشفار** .

وقد استعمل العرب كلمة (الأشفار) لتدل مرة على (الأهداب) ومرة على (حافة الجفن الحرة) حيث تنبت الأهداب[(6)(١٢)] .

---

(١٢) في كتب الطب :

أ ـ الشُفْر بمعنى الهدب :

صاحب الذخيرة : (في انتثار الأشفار ، وهي الهدب) وكذلك : حنين ، الطبري ، الرازي ، القمري .

ابن ماسويه : (... وليست هذه أجزاء العين فقط بل الألحاظ والأشفار والحاجبان) يقصد : الأجفان والأهداب « دغل العين ـ الفصل التاسع ـ ص ٣٣ من مخطوط تيمور » .

ب ـ الشفر بمعنى حافة الجفن الحرة :

ابن ماسويه : يصف الحجاب الملتحم : (... وهو ملصق حول السواد كمثل اللحم الملصق بالأظافير من حولها ..... مربوط من خارج بالأشفار والموق) نفس المصدر ص ٣٣ .

وفي كتب اللغة :

أ ـ الشفر بمعنى الهدب :

ابن سيده عن صاحب العين ، (المخصص ١ : ١٠٨) [نص عبارته : « صاحب العين : الرَّمَش تفتل في الشفر وحمرة في الجفون .. » / المجلة] .

ابن سيده عن ابن السكيت ، (المخصص ١ : ١٠٨) [نص عبارته : « ابن السكيت : القَمَع بثر يخرج بين الأشفار » / المجلة]

وروى الثعالبي حديثاً بمعنى الشفر = الهدب (فقه اللغة ٩٥) [نص عبارته : « الوَطَف : طول أشفارها وتمامها ، وفي الحديث : إنه كان في أشفاره وطف » / المجلة] .

ب ـ الشفر بمعنى حافة الجفن :

ابن سيده عن ثابت : (الأشفار وهي حروف الأجفان ، وأصول منابت الشعر في =

لذلك فان العَرَض الذي يتميز به هذا المرض - وهو سقوط الأهداب - عُبِّر عنه أحياناً بكلمة « تناثر الأشفار » أو « انتثار الأشفار » فبينما يستعمل ابن ماسويه كلمة (السلاق) يستعمل كل من حنين والطبري كلمة (انتثار الأشفار) . اما الرازي فانه يستعمل المصطلحين كليهما .

والقمري نفسه في كتابه **غنى ومنى** يستعمل تعبير (انتثار الأشفار) وبعد أن يصف المرض يقول عنه : (ويسمى السلاق) .

القمري - غنى ومنى : (هذا يحدث إمّا لرطوبة في أصل الأشفار وعلامته أن يكون مع الانتثار غلظ في أصولها ، وربما كان مع الانتثار حمرة ، وصلابة في الأجفان . ويسمى السلاق) .

ويلخص صاحب الذخيرة هذه المسألة بقوله : (السلاق : غلظ في

= الجفن ، التي تلتقي عند التغميض ، وليست الأشفار من الشعر في شيء) (المخصص ١ : ٩٥)

وبنفس المعنى ابن سيده عن أبي زيد (المخصص ١ : ١٠٤)

وكذلك في لسان العرب عن اللحياني وأبي منصور والجوهري .

(6) [قال ابن قتيبة في « باب معرفة مايضعه الناس في غير موضعه : من ذلك أشفار العين يذهب الناس إلى أنها الشعر النابت على حروف العين . وذلك غلط . إنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر . والشعر هو الهدب ... فإن كان أحد من الفصحاء سمى الشعر شفراً فإنما سماه بمنبته . والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إن كان مجاوراً له أو بسبب منه » (أدب الكاتب . ط . مؤسسة الرسالة ص ٢١) وقال مفسراً العَطَف في حديث أم معبد : « وهو أن تطول الأشفار ثم تنعطف » (غريب الحديث ١ : ٢٧١ - ٢٧٢) وقال ابن الأثير تعليقاً على هذا الحديث : « وأرادت بالأشفار شعر الأشفار ، فحذفت المضاف » (منال الطالب في شرح طوال الغرائب ص ١٨٦) / المجلة]

الأجفــان وحمرة وانتثــار الأشفــار) . والطبري يستعمـل تعبير (غلــظ الجفون) .

وفي الحقيقة فقد تسقـط الأهـداب بسبب التهـابي (السلاق) ، وقـد تنتثر لأسبــاب أخرى (بعض الأمراض التي تقـع في اختصــاص الأمراض الجلـديـة) . وقـد ميّز علي بن عيسى (في آخر القرن العـاشر الميـلادي = الرابع الهجري) بين هـاتين الصـورتين المرضيتين ، فـأفرد للسـلاق البـاب السادس عشر من المقالة الثانية ، بينما خصص لانتثار الهدب الباب الثـاني عشر من نفس المقالة من كتابه **تذكرة الكحالين** .

وفي الطب الحديث نميّز بين مراحل عديدة في سير (التهـاب حواف الأجفان) . فالمرحلة الأولى تمتاز بالوذمة والاحمرار وغلظ حافـة الجفن . وقد يبدأ فيها تساقـط الأهـداب . والمرحلـة الثـانيـة تميز بظهور القشور بين الأهداب ملتصقة على حافة الجفن وتسقط فيهـا الأهـداب . والمرحلـة الثالثة تتميز بتقرح حـافـة الجفن ثم انـدمـال هـذه القروح ، ونـدرة وجود الأهداب على حافة الجفن .

وعلى ذلك فغلظ الأجفان هو العرض الرئيسـي في المرحلـة الأولى من هذا المرض . فإذا كان هذا العرض طاغيـاً على الأعراض الأخرى ـ وكثيراً ما نشاهد ذلك في الممارسة الطبيـة ـ وجـدنـا تفسيراً لعلي بن عيسى الـذي أفرد (لغلـظ الأجفـان) بـابـاً خـاصـاً (البـاب التـاسع عشر من المقـالـة الثانية) معتبراً إياه مرضـاً مستقلاً ، ومميزاً إيـاه عن تسمّـك الجفن المرافق للجرب وعن (جســأ الجفن) الـذي هو جزء من تظـاهرة مرضيـة تشمـل الجفن والملتحمة .

ويشهد هيرشبرغ بأن وصف علي بن عيسى للسلاق أحسن من وصف بولص للمرض نفسه .

وفي كتب اللغة يتضح لنا أن اللغويين نقلوا عن الأطباء هذا الاستعمال الفني للتعبير .

أبو زيد : الانسلاق ، هي حمرة تعتريها فتَقَشَّرُ منها . (المخصص ١ : ١٠٨) .

أبو حاتم : اللَّحَح : التزاق في العين وصُلاَق (المخصص ١ : ١١٠) .

7 ـ الشعر المنقلب

التنوير : (أن ينبت بعض أشفار العين مائلاً إلى داخلها فيؤذيها وينخسها) .

وفي نسخة أخرى : (أن تنقلب بعض أشفار العين ، أو تنبت زائدة في طرف الجفن الأعلى ، فتؤذي وتنخس) .

ونميل إلى اعتبار أن التعريف الأول هو الأصل .. ذلك أن ثمة فرقاً بين (الشعر الزائد) (والشعر المنقلب) .

فقد ذكر المرضين كليهما بولص ، وايتيوس نقلاً عن سفروس . وكذلك فعل علي بن عيسى . ومن قبله ابن ماسويه[١٣] وحنين .

والشعر المنقلب في التسمية اللاتينية هو Entropium بينما الشعر

(١٣) ابن ماسويه : نبات شعر في غير موضعه (معرفة محنة الكحالين) و (الانقلاب إلى داخل) (إذا انحنت الأجفان إلى داخل) في (دغل العين) ، (معرفة محنة الكحالين) .

الزائد هو Distichiasis ويفرق بولص بين نوعين من الشعر المنقلب : « الآلي » والتشنجي ، كما نفعل اليوم . والاصطلاح الفني (الشعر المنقلب) ينقله القمري عن حنين (المسائل) ذلك أن ابن ماسويه استعمل تعبير (تقلّب الاجفان) أو (الانقلاب إلى داخل) وذلك في « معرفة محنة الكحالين » ، وانحنت في « دغل العين » . وتعبير حنين استعمله الرازي[١٤] وكذلك صاحب الذخيرة .

ونسمي هذا المرض اليوم (الشتر الداخلي) .

8 ـ الماء

التنوير : (الماء النازل في العين : أن تبطل حاسّة البصر قليلاً قليلاً مع تخيّلات تحدث أمام العين) .

وهذا التعبير استعمله كل من ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد جاء وصف الماء عند ايتيوس وبولص وجالينوس وكذلك عند ديموستينس محفوظاً عند ايتيوس .

ويتضح للطبيب المختص أن حرص القمري على ألا يذكر في قاموسه (أسباب الأمراض) بل يكتفي بوصفها نجم عنه هنا ضعف في تعريف « الماء » اذ اقتصر الوصف على مايشعر به المريض . وهذا الأمر يسهل بيانه إذا قارنا عبارة القمري هذه بما أورده المؤلف نفسه في كتابه « غنى ومنى » :

---

(١٤) في المشجرة : الشعر المنقلب ، وفي المنصوري : الأشعار المنقلبة .

(الماء : رطوبة غليظة تنعقد في ثقب العين الذي منه يتأدى إليها حسّ البصر) .

فعبارة التنوير تلخص أعراض المرض التي يرويها المريض ، دون أن تصف طبيعة الآفة .

والماء هو مانسميه اليوم (السّاد) وهو تكثف البلورة = Catatact .

وقد ظن القدماء أن الماء (غشاوة طارئة) تأخذ لها مكاناً بين العنبية والجليدية أي أنها تتوضع خلف القزحية وأمام البلورة ـ على حد تعبيرنا اليوم ـ وهذا غير صحيح . ولم يُعرَف أن السادّ مرض يصيب البلورة نفسها إلا في القرن الثامن عشر[١٥] .

وإذا درسنا بدقة الأوصاف التي ذكرها المؤلفون العرب للماء ، وأنواعه العديدة ، وأعراضه ، وإنذاره وجَدْنا أنهم وصفوا أيضاً أمراضاً لا علاقة لها بالسادّ ولا بالبلورة ، ظنّاً أنها أنواع من الماء . وليس هذا مجال التفصيل في ذلك الموضوع[١٦] .

9 ـ القَرْح

التنوير : (القرح الحادث في العين : أن يحمّر موضع منها ، أو تحمّر كلّها ويكون في مكان واحد فضل حمرة) .

---

(١٥) أول من عرف أن الساذ مرض يصيب البلورة نفسها . وبرهن على ذلك هو الطبيب الفرنسي بريسو Brisseau عام ١٧٠٥ .

(١٦) ومن هذه الحالات :

الزرق Glaucoma وبعض أمراض الجسم الزجاجي .

ونجد هذا التعبير عند جميع المؤلفين (ابن ماسويه - حنين - الطبري - الرازي) مرة بصيغة المفرد ، ومرة بصيغة الجمع (قروح) .

وقد وصفها : جالينوس ، وبولص ، وايتيوس واريباسيوس .

وقد وصف العرب قروح القرنية كما وصفوا قروح الملتحمة . والواضح أن القمري هنا يصف قروح الملتحمة .

وتمتاز قروح الملتحمة بأنها تبدو حمراء ، بينما تكون قروح القرنية بيضاء . ونجد الوصف كاملاً عند القمري في غنى ومنى .

(وإذا قلبت الجفن وجدتَ في بياض العين مكاناً قد احمرّ ، أو وجدتَ في البياض وإن كان كلّه أحمر مكاناً له فضل حمرة ، أو في سوادها موضعاً قد ابيضّ) .

وقروح الملتحمة على ماوصفها المؤلفون العرب - يمكن أن تشير الى عدد كبير من الإصابات الملتحمية الالتهابية الموضعة على حدّ تعبير الطب الحديث .

10 - البياض

التنوير : (أثر القروح إذا اندمل في الأكثر) .

وقد استعمل هذا التعبير ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

ونجد تعبيراً آخر : (الأثر) يستعمله حنين والطبري كما يستعمله الرازي[١٧] .

---

(١٧) الرازي : المنصوري : البياض . المشجرة ، الحاوي : الأثَر .

وفي مرحلة متأخرة استعمل اصطلاح **الأثر** للدلالة على الندبات القرنية السطحية ، **والبياض** للدلالة على الندبات الأشد .

كما نجد تسميات أخرى منها (السحاب) (الغمام) (القتام) للدلالة على ندبات القرنية أو قروحها .

وقد وصف بولص هذا المرض .

ونحن اليوم[١٨] لانستعمل إلا تعبيراً واحداً : (ندوب القرنية) .

11 ـ الغَرَب

التنوير : (ناصور يحدث مأق العين) .

وقد استعمل المؤلفون العرب لفظ (الغَرَب) للدلالة على عدة حالات : انتباج كيس الدمع (القِيلَة) . والتهابه دون أن يتقيح ، وتقيحه ، وتنوسره إلى الجلد .

وقد وصفه بولص وايتيوس وسفروس وارشيجانس .

ولعل أحسن وصف لغَرَب وأكمله هو ما أورده السجزي في القرن الرابع عشر الميلادي في كتابه (حقائق أسرار الطب) .

(الغرب : ورم في الموق الإنسي من العين ، وقد يصير صلباً ، وقد يصير خراجاً[7] فيتفجر ، ويصير ناصوراً ، فما دام لم يتفجّر سمي خراجاً وإذا تفجّر سمي غَرَباً) .

---

(١٨) في كتب التدريس في كلية طب دمشق .

(7) [خُراج بالتخفيف كغراب ورم يخرج بالبدن من ذاته والجمع أخرجة وخرجان . تاج العروس : مادة خرج . وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ : ٤٠٩ ـ ٤١٠ / المجلة] .

والسجزي هنا يختصر ماقاله حنين .

وقد استعمل الرازي في المنصوري كلمة ناصور بينما جاء في الحاوي : ناصور ، وخراج ، وغرب .

وقد استعمل حنين كلمة ناصور إلى جانب كلمة غرب .

والغرب في الأصل لها في اللغة معنى مختلفٌ ، ولكن أئمة اللغة تبنوا الاستعمال الجديد الذي وضعه الأطباء .

الثعالبي : (الغرب عند أئمة اللغة ورم في المآقي . وهو عند الأطباء أن ترشح مآقي العين ، فيسيل منها إذا غمزت صديد ، وهو الناصور أيضاً) (فقه اللغة ١٠٠) .

12 ـ الرشح

التنوير : (سيلان الدموع من العين بغير إرادة ويسمى الدمعة أيضاً) .

ابن ماسويه في معرفة محنة الكحالين استعمل تعبيري (الدمعة) و (السيلان) . وكذلك الرازي .

أما حنين فقد استعمل هذين التعبيرين في العشر مقالات ، أما في المسائل فقد استعمل اصطلاح (السيلان) . وكذلك فعل الطبري .

أما تعبير الرشح فجاء في الحاوي مقتبساً عن جالينوس . والتعبير لحبيش بن الأعسم وقد أجازه حنين .

وقد وصف الإغريق هذا المرض ولم يعرفوا سببه الحقيقي الذي هو انسداد القنية الدمعية بين فوهتها على حافة الجفن (النقطة الدمعية)

وكيس الدمع : بولص ، سلزوس ، ايتينوس .

والطبيب الاغريقي الوحيد الذي عَرَف انسداد قنية الدمع هو ليكوس Lykos . وربط بين هذا الانسداد والسيلان . ولكن جالينوس لم يأخذ بذلك . وقد اتبع المتأخرون من المؤلفين الإغريق جالينوس .

وكان الأطباء الإغريق يظنّون أن اللحيمة الدمعية Caruncula lacrimalis تشكل سدّادة تمنع سيلان الدمع الفائض ، فإذا نقصت هذه (اللحيمة) سال الدمع .

جالينوس ، **حيلة البرء** ، المقالة الرابعة عشرة (الرشح هو سيلان الدموع دائماً إذا نقصت اللحمة التي في المأق الأعظم) .

جالينوس ، **منافع الأعضاء** ، المقالة العاشرة (الرشح والدمعة والسيلان هو أن تسيل الفضول دائماً من المأق الأكبر ، وذلك يكون لنقصان اللحمة الموضوعة فيه) .

ومن تعبير جالينوس هذا المحفوظ في « الحاوي » يتضح أن القمري استعمل تعبير (الرشح) نقلاً عن الحاوي .

وتوحي لنا عبارة جالينوس بأن التعابير الثلاثة : (الرشح ، الدمعة ، السيلان) قد تكون حالات ثلاثة متدرجة لشدة غزارة الدَمَاع ، أخفُّها الرشح فإذا زاد فهو الدمعة ، وإذا زاد كثيراً سُمّي السيلان .

ونجد في « الحاوي » تعبيراً آخر نقله الرازي عن « مجهول » يستعمل عبارة « رطوبة العين » مقرونة « بالدمعة » . ولعل المقصود بهذا التعبير

هو درجة خفيفة من الدماع أقلّ من « الدمعة » ، وهي هنا تناسب « الرشح » إذا صَحّ تفسيرنا لعبارة جالينوس .

ويستعمل ابن ماسويه في « معرفة محنة الكحالين » تعبير « البلّة » بمعنى الدمعة . وكذلك الطبري في « فردوس الحكمة »[١٩] .

(والدماع) هو التعبير العصري عن حالة غير طبيعية يسيل معها الدمع من العين على الخدّ . وينسجم هذا مع استعمال الكلمة في اللغة : (الدماع : ماء العين من عِلّة أو كِبَر) . (لسان العرب) .

13 ـ المورسرج

التنوير : (خروج الحدقة وزوالها عن مكانها) .

وهذا المرض يستدعي وجود « التصاقات أمامية » بين القزحية والقرنية أو « تفتق قزحي » كما نعبر اليوم ، تنحرف فيه الحدقة عن مكانها المركزي وتتشوه استدارتها . وقد تكون هذه الآفة خلقية وقد تكون طارئة ، ناجمة عن التهاب او انبثاق قرحة قرنية أو بسبب جرح في القرنية .

حنين ، **المسائل** (مسألة : على كم جهة يكون **زوال الحدقة ؟**

جواب : على جهتين : إما بالطبع ، وإما بالعرض .

والذي يكون بالعرض يكون إذا انخرق الحجاب القرني في غير موضع الحدقة والتحم الخرق ...) .

وقد استعمل حنين في « العشر مقالات » كلا التعبيرين زوال

(١٩) فردوس الحكمة لابن ربن الطبري المطبوع بتحقيق الصديقي ص١٧٧ .

الحدقة ، والمورسرج .

أما يوحنا بن ماسويه فقد قال في « معرفة محنة الكحالين » « اعوجاج الناظر » مشيراً إلى انحراف الحدقة عن موقعها المركزي وإلى تغيّر شكلها الدائري . بينما استعمل في « دَغَل العين » تعبير المورسرج أو المورسرق .

وبسبب اشتراك القزحية والقرنية في هذه الآفة نجد أن بعض المؤلفين أورد ذكر هذا المرض حينما ذكر أمراض القرنية (ابن ماسويه ، معرفة محنة الكحالين) بينما أورده بعضهم الآخر حينما عدد أمراض القزحية (حنين ، المسائل في العين) .

أما التعبير « مورسرج » الذي كتبه بعض الناسخين خطأ (موسرج ، موسرق) باهمال الراء وأثاروا بذلك حفيظة بعض المستشرقين الذين وصفوا هذا بأنه تشويه للأصل الفارسي للكلمة فهو مأخوذ عن الفارسية مور Mor سرك serek ومعناه : رأس النملة .

وبعض المؤلفين ذكر التعبير مترجماً : « رأس النملة » دون أن يذكر اللفظ الفارسي .

والأصل في هذا التعبير يوناني . فقد استعمل الأطباء الإغريق تعبير « رأس الذبابة » للإشارة إلى الحالة نفسها . وهم يريدون بذلك تشبيه تفتق القزحية الصغير جداً برأس الذبابة .

وتفتق القزحية هو تبارز جزء منها إلى الأمام حيث يلتصق بالقرنية عند موضع انبثاق القرحة أو ينحشر بين شفتي الجرح القرني

الصغير . فإذا خرجت القزحية ووصلت إلى الوجه الأمـامي للقرنيـة نقول عن ذلك « تفتق » وإذا ظلّت في مستوى الوجه الخلفي للقرنية نقول عنه « التصاق أمامي » .

وقـد استعمـل ابن مـاسـويـه التعبير الفـارسي كما ورد (مـورسرج مورسرق) بينما وضع إلى جانبه ترجمة للتعبير اليوناني (رأس الذبـابـة) . (ابن ماسويه ، دغل العين ، الباب ١٧) .

وقـد صنّف الإغريـق هـذا المرض حسب درجتـه فـذكروا عـدة حالات : البسيطة منها لايبدو فيهـا تغيير في القرنيـة ، والشـديـدة منهـا يتغير فيها شكل القرنية فتتبارز منطقة فيها إلى الأمـام وتبـدو كالعِنَبـة[8] (عِنَبة = Staphyloma) ، فإذا كبرت هذه العنبـة تظـاهرت في الفرجـة الجفنية حتى بعد إطباق الجفنين .

وقـد تـأثر المؤلفـون العرب بـالإغريـق فـاقتبس علي بن عيسى عن بـولص دون أن يتقيـد بتصنيفـه . بينمـا أخـذ ابن سينـا عن بـولص وايتيوس . وقد وصف هذا المرض أيضاً جالينوس والاسكندر .

(8) [يقول الرازي في أمراض ثقب العنبية « أما اعوجاج ثقب العنبية فإنه لايضر بالبصر البتة ويعوج من أجل قرحة حدثت بالقرنية فـإذا كانت صغيرة نتـأ شيء قليل من العنبي وهو المورسرج فيعوج بـذلـك ثقبتهـا ولايضر بـالبصر ، وإن نتـأ شيء كثير أبطـل البصر لأن ثقب العنبي يبطل البتة .. » الحاوي ٢ : ٢٠ .

وابن سينا كالرازي يستعمل لفظ (العنبية) للدلالة على طبقة من طبقات العين فـإذا حدث فتق أدى إلى خروجها سمي هذا الفتق « النملي والمورشارج والذبابي وذلـك بحسب العظم والصغر وإن كان أزيـد من ذلـك حتى تظهر حبـة العنبيـة سمي العنبي ، ومـا هو أعظم سمي النفاخي فإذا خرجت العنبيـة حتى حـالت بين الجفنين والانطبـاق سمي المسماري وإن ابيضت العنبية فلا برء له » القانون ٢ : ١٢٢ ط . بولاق / المجلة]

وأما الأصناف التي ذكرها العرب فهي : النمليّ ، الذبابيّ ، العِنَبيّ ، النُفاخيّ ، المسماريّ ، الفلكي[٢٠] .

وقد رتبنا هنا هذه الأصناف حسب فداحة الآفة . ويجب أن نعرف أن المؤلفين العرب لم يتفقوا في وصف وتصنيف الدرجات المختلفة من هذه الإصابة شأنهم في ذلك شأن الإغريق .

14 ـ الانتشار

التنوير : (اتساع الناظر من الجوانب كلها حتى يلحق ببياض العين) ونستعمل اليوم تعبير « توسع الحدقة » Mydriasis .

وكان ابن ماسويه قد استعمل تعبيريّ **الاتساع والانتشار .**

أما حنين فاستعمل تعبيرين آخرين : **اتساع الحدقة ، واتساع ثقب العينية .**

وقد استعمل الطبري اصطلاح **الانتشار .**

بينما استعمل الرازي في المنصوري كلا التعبيرين **الانتشار والاتساع .**

والثعالبي في فقه اللغة يستعمل هذا الاصطلاح كما أورده الأطباء . ويكاد ينقل ماقاله القمري : (والانتشار عند الأطباء أن يتسع ثقب الناظر حتى يلحق البياض من كل جانب) .

ونجد وصفاً لهذه الحالة عند بولص وايتيوس واوريباسيوس .

---

(٢٠) تشبيها لها بالنُفاخة ، ورأس المسمار ، وفلكة المِغزَل .

وقد ذكر المؤلفون القدامى عدداً من الأسباب لهذه العلة وعلى ذلك فقد صنّفها بعضهم مع جملة أمراض القزحية بينما صنّفها بعضهم الآخر مع أمراض العصب البصري أو الروح الباصر .

وفي وصفهم لهذه الحالة نكتشف جملة من الأمراض التي وصل تطورها إلى مرحلة العمى النهائي دون أن يتغير منظر العين اللهّم إلا اتساع الحدقة ، ومن بينها الزَرَق المطلق ، وليس هذا مجال التفصيل في هذه المسألة .

15 ـ الشَعيرة

التنوير : (ورم مستطيل في الجفن يشبه الشعيرة) .

وشكل هذا الورم مستطيل لأنه يأخذ شكل الغدة المصابة أو شكل قناتها . فهو التهاب في إحدى غدد الجفن الملحقة بالهدب .

وقد استعمل ابن ماسويه وحنين والرازي هذا التعبير .

ومن الإغريق وصف هذا المرض جالينوس وبولص وآيتيوس .

ونستعمل في مصطلحاتنا اليوم التعبيرَ نفسَه .

16 ـ الجَسَأ

التنوير : (يَبَس يحدث في الأجفان فيعسر فتحها وقت النوم) .

وهذا التعريف ينسجم مع ما أورده القمري في **غنى ومنى** : (إذا عَسُر على الإنسان فتح عينيه بعقب النوم ، وصارت كأنها ملئت رملاً أو

تراباً فذلك من اليَبَس الحادث فيها)[٢١] .

بينما يقول حنين : (واعلم أن الانتفاخ والجَسَأ والحكة ليست هي من أمراض الأجفان خاصّة ولكن من أمراض الأجفان والحجاب الملتحم) (حنين ، المسائل ، ص ٦١ ، المسألة ١٦٠) .

(مسألة : ما الجَسَأ وما علامته ؟

جواب : أمّا ماهيّته فانه صلابة تعرض في **العين كلّها** ، وربما شاركت الأجفان ، وأما علامته فأنه تعسُرُ له حركة العين ، ويعرض لها تمدّد ووجع وحمرة ويعسر فتحها وقت الانتباه من النوم ، ويحدث جفوف شديد ، ولاتنقلب الأجفان لصلابتها ، وربما اجتمع في المأق رمص يسير صلب جافّ) .

وفي المقالات العشر يورد حنين نصاً شبيهاً ويضيف : (... ويقال لهذه العلّة باليونانية سقليروفثالميا) .

ويبدو جليّاً هنا أن القمري ينقصه الوضوح الذي أتى به حنين .

والرازي في « المشجرة » يصنف الجسأ ـ أسوة بالحكة والانتفاخ ـ مع أمراض الملتحمة .

وقد استعمل تعبير « الجسأ » كل من الطبري وصاحب الذخيرة : (الجسأة) .

وقد حفظ ايتيوس نصّاً مأخوذاً من ديموستينس يصف هذا المرض

(٢١) الاستعمال الطبي الحديث لهذا التعبير يختلف تماماً عن استعماله التاريخي . ويعني اليوم « صولبة القرنية » أي تحوّل نسيجها بحيث يشبه نسيج الصلبة .

تأثر به ابن سينا .

وكذلك نجد وصفاً للجسأ عند بولص .

وفي اللغة : الجسأ : هو اليبس أو الصلابة أو الغِلَظ أو الخشونة .

« عن الوسيط » ينقله البكري أما الثعالبي فيقول : (الجُسَأة : أن يعسُر على الإنسان فتح عينيه إذا انتبه من النوم) (فقه اللغة ١٠٠)

17 ـ العشا

التنوير : (العشا : أن لايبصر بالليل) .

وقد استعمل ابن ماسويه إلى جانب هذا التعبير التعبير الفارسي معَرّباً « الشبكرة »[9] . كما استعمل تعبير « العشاوة » .

وقد ذكر حنين صفة العليل مستعملاً التعبير الفارسي معرّباً « شبكور » بمعنى « أعشى » .

حنين : (ويقال لصاحب هذه العلة شبكور وبالعربية أعشى) .

وقد استعمل الطبري وصاحب الذخيرة تعبير العشا . بينما أورد الرازي التعبيرين العربي والفارسي المعرّب .

وقد وصلتنا نصوص إغريقية في وصف هذا المرض لبولص وايتيوس واوريباسيوس وارسطاطاليس . كما ذكر عدد آخر من المؤلفين

(9) [« الشَبْكرة : تعطل البصر ليلاً مركب من شب أي ليل ومن كور أي أعمى ومنه شبكور بالكردية » الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير ص ٩٨ . ولم يرد هذا اللفظ في المعرب للجواليقي / المجلة] .

معالجات عديدة لهذا المرض : ديوسقوريدس ، جالينوس ، الاسكندر ، تيوفيلوس)[٢٢] .

وبالفارسية شَبْ S̆ab تعني الليل و كور kūr تعني أعمى ، والثعالبي يتبنى تعريف القمري للعشا بنصّه .

وابن سيده ينقل عن ثابت : العشا والعَشَاء .

18 ـ الجَهَر

التنوير : (الجهر : أن لايبصر بالنهار) .

وقد استعمل ابن ماسويه هذا التعبير في كتابيه .

أما حنين فقد استعمل في « المسائل » التعبير الفارسي « روز كور » .

(حنين ، المسائل ، المسألة ٢٠٣)

(... ويقال لمن يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار روز كور)[10] .

ولم يستعمل حنين تعبير « الجَهَر » وكذلك الرازي في « المشجرة » فقد اكتفى باستعمال « يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار » . بينما ورد في الحاوي هذا الاصطلاح « روز كور » . (الحاوي ٢ : ١٩٦) .

وقد وصف ايتيوس هذا المرض .

---

(٢٢) هيرشبرغ في تعليقه على عليّ بن عيسى الترجمة ص ٢٥٣ .

(10) [لم يرد هذا اللفظ في المعرب للجواليقي ولا في الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير / المجلة] .

وكلمة « روز » تعني بالفارسية « النهار » بينما كلمة « كور » تعني « أعمى » .

والثعالبي يستعمل كلمات القمري نفسها .

19 ـ الخفش

التنوير : (أن يبصر بصراً خفيفاً كما يبصر الخفاش) .

وفي **غنى ومنى** لم يرد هذا التعبير . وقد عالج القمري فصلاً بعنوان : (ضعف البصر) وصف فيه أربع حالات مختلفة الأسباب والعلامات من هذا المرض : تتظاهر جميعها بضعف البصر .

أحد هذه الأشكال منسوب إلى جالينوس : (قال جالينوس : رأيت كثيراً ممن استقصى النظر في الشمس في وقت الكسوف وغيره فصار لايبصر شيئاً ، وأشرف على العمى) .

ولم يستعمل أحد من المؤلفين في الطب قبل القمري هذا الاصطلاح[11] .

وكان الرازي قد أورد في الحاوي اصطلاحاً مشتقاً من (خَفَشَ) وبمعنى مختلف تماماً : (... ومن انخرقت عيناه ذهب بصره ، وذلك أن الرطوبة البيضية تسيل ، وتنخسف وتخفش عيناه) (الحاوي ٢ : ٤١٠) .

وفي الكتاب الفاخر المنسوب إلى الرازي ورد تعبير « الأخفش » .

---

(11) [قال الرازي « من كتاب العلامات لجالينوس قال : من الناس من لايبصر بالليل جيداً ولا يبصر بالنهار جيداً ويسمون باسم الخفاش » الحاوي ٢ : ١٧٠ / المجلة] .

وقد عالج الكثيرون موضوع « ضعف البصر » فمثلاً علي بن عيسى يفرد لضعف البصر الباب الثاني والعشرين من المقالة الثالثة .

وقد ورد اصطلاح « ضعف البصر » عند الطبري وصاحب الذخيرة .

وقد ورد وصف « ضعف البصر » عند جالينوس وايتيوس .

وفي اللغة يتفق ابن سيده والثعالبي على تعريف الخفش بأنه : (صِغَر العينين وضعف البصر) وينفرد الثعالبي بقوله : (ويقال إنه فساد في العينين يضيق له الجفن من غير وَجَع ولاقرح) (فقه اللغة ٩٦) .

ويضيف ابن سيده : (ومن ذلك اشتق اسم الخفّاش لأنه يَشُقّ عليه ضوء النهار) (المخصص ١ : ١٠٥) .

20 ـ الحَوَل

التنوير : (ميل العين إلى أحد الجانبين) .

وقد استعمل يوحنا بن ماسويه هذا الاصطلاح . بينما استعمل حنين إلى جانبه اصطلاحاً آخر (مَيَلان) .

ولم يستعمل الطبري أو صاحب الذخيرة اصطلاح الحول بينما ورد هذا الاصطلاح في الحاوي .

وقد وصف هذا المرض من المؤلفين الإغريق جالينوس وبولص .

والحَوَل في اللغة هو ميل العين إلى الأعلى أو إلى اللحاظ ، على رأي ثابت الذي ينقله ابن سيده بينما ميل العين إلى ناحية الأنف هو القَبَل

على رأي ثابت . أما أبو عبيدة فيورد الحول أيضاً بمعنى الميل إلى المِحْجَر كالقَبَل (المخصص ١ : ١٠١) (والمحجر هو العظم الذي يحيط بالعين من أسفل) .

ونرى من هنا أن تسمية الاتجاه الذي تميل العين إليه أمر لم يتفق عليه أئمة اللغة .

وإذا أردنا أن نورد آراءهم المختلفة فهي كثيرة . ولامجال لذكرها هنا .

21 ـ الجحوظ

التنوير : (زوال جميع العين من مكانها ويسمى نتوء العين أيضاً) .

وهذا التعبير استعمله ابن ماسويه الذي استعمل أيضاً اصطلاح (النتوء) .

وكذلك استعمل صاحب الذخيرة هذين الاصطلاحين اللذين لم يرد ذكرهما عند الطبري .

وقد أورد حنين في المقالات تعبير نتوء العين .

أما الرازي فقد استعمل في المنصوري والحاوي اصطلاح (الجحوظ) : وهو نتوء جملة العين .

ومن الأساتذة الإغريق ورد وصف الجحوظ عند بولص وايتيوس واوريباسيوس .

ويشهد هيرشبرج أن وصف ابن سينا لهذا المرض يفوق في وضوحه

مأأتى به الإغريق جميعاً[12] .

والمعجم الوسيط يورد كلمة الجحوظ مرادفة للنتوء والبروز .

ويقول ابن سيده : الجِحاظ : خروج المقلة وظهورها . جَحَظ - يَجْحَظُ - جُحوظاً (المخصص ١ : ١٠١) .

وإذا أردنا أن نجمل باختصار شديد بعض الملاحظات حول كتاب التنوير بمقدار ماتسمح هذه الدراسة المتواضعة المقتصرة على اصطلاحات أمراض العين ، فإننا نذكر مايلي :

١ - يتميز هذا الكتاب بالاختصار الشديد الذي يفوق كل المؤلفات الأخرى .

٢ - لم ينجم عن هذا الاختصار قصور في المعنى المراد إلا في حالات نادرة .

---

(12) [قال ابن سينا في وصفه للجحوظ : « قد يقع الجحوظ إما لشدة انتفاخ المقلة لثقل بها وامتلائها ، وإما لشدة انضغاطها إلى خارج ، وإما لشدة استرخاء علاقتها والعضلات الحافظة لعلاقتها المذكورة . والواقع لشدة انتفاخ المقلة لثقلها وامتلائها فإما أن تكون المادة في نفس العين ريحية أو خلطية رطبة وربما كان الامتلاء خاصاً بها وربما كان بمشاركة الدماغ أو البدن مثلما يعرض عند احتباس الطمث للنساء . والذي يكون لشدة انضغاطها إلى خارج فكما يكون عند الخنق وكما يكون عند الصداع الشديد وكما يكون بعد القيء والصياح وللنساء بعد الطلق الشديد ... وأما الكائن لاسترخاء العضلة فلأن العضلة المحيطة بالعصبة المجوفة إذا استرخت لم تقل المقلة ومالت إلى خارج . والجحوظ قد يكون من استرخاء العضلة فقط فلا يبطل البصر وقد يكون مع انهتاكها فيبطل البصر . وقد يجحظ العينان في مثل الخوانيق وأورام حجاب الدماغ وفي ذات الرئة . ويكون السبب في ذلك انضغاطاً . وقد يكون السبب في ذلك امتلاء أيضاً . وأكثر مايكون مع دسومة وتورم في القرنية » القانون ٢ : ١٢٩ - ١٣٠ ط . بولاق / المجلة] .

٣ ـ لقد نقل الثعالبي تعبير القمري بنصه في حالتين .

٤ ـ لم ينفرد القمري باصطلاح خاص غير وارد عند المؤلفين الذين عاشوا قبله إلا باصطلاح واحد هو (الخَفَش) حيث استعمله بمعنى مختلف عن المعنى الذي ورد في الحاوي .

٥ ـ إن عدد الأمراض التي ذكرها القمري أقل بكثير من تلك التي وردت في المؤلفات الخاصة بالكحل . ولكنها تتناسب مع العدد الذي نجده في كتب الطب العامة .

وعلى ذلك فهي أقل منها في كتابيّ ابن ماسويه أو كتابي حنين بينما يتناسب عددها مع ما ورد في فردوس الحكمة أو الذخيرة .

للبحث صلة

رسالة يعقوب الكندي

في اللُّثغة

تحقيق الأستاذ محمد حسان الطيان

مقـــدمة

اللثغة مرض من أمراض الكلام التي عنيت بها الدراسات اللغوية الحديثة (اللسانيات) وأصبح لها شأن كبير في مجال الصوتيات التجريبية ، حتى لقد أحدثت أقسام خاصة في الجامعات العالمية لدراسة ظواهرها والتخصص بها[1] . ولقد كانت لعلماء العربية مشاركة في هذا الباب إلا أنها على مايبدو اندثرت وضاعت مع ماضاع من كنوز تراثنا ، ولم يبق منها إلا آثار تدل عليها ، كالذي في البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد[2] . وقد أتيح لي مؤخراً أن أقف على رسالة مخطوطة متخصصة بهذا الفن ـ أعني اللثغة ـ وضعها فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي ، ولا أعلم أحداً خص هذا الفن برسالة سوى الكندي .

---

(١) وكانت جامعة الجزائر أول جامعة عربية قفت أثر الجامعات العالمية في هذا ففي معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لها تخصص يمنح بموجبه خريج الطب درجة الماجستير في علم أمراض الكلام بأحد فرعيه : السمعي الصوتي أو اللساني الكلينيكي . .

(٢) انظر كتاب العربية ليوهان فك ترجمة د . رمضان عبد التواب . فقد تتبع فيه المؤلف مواضع ذكر اللثغة في كتب المتقدمين . ص ١٢٢ ومابعدها . وانظر البيان والتبيين ١ / ص ١٤ وما بعدها ، وص ٣٤ ـ ٤٠ . وانظر الكامل للمبرد : ٣ / ١٩٢ ـ ١٩٥ .

وقد تكشف لنا قادمات الأيام عن مؤلفات أخرى تنحو هذا النحو ، إلا أن رسالة الكندي هذه تبقى على غاية الأهمية لقدمها من جهة إذ يعود تأليفها إلى القرن الثالث الهجري ، وتخصصها بهذا الجانب من العلوم دون سواه من جهة أخرى[٣] .

ودع ذا فإن مؤلفها نهج فيها نهجاً فريداً في وصف حروف العربية وتتبع هيئات النطق بها وما يعترض ذلك من حركات وسكنات ، هذا النهج يعيد إلى الأذهان عمل الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف[٤] ، ولعل ابن سينا صدر في رسالته تلك عن عمل الكندي في رسالته هذه ، إلا أن وصف ابن سينا لمخارج الحروف كان أقرب إلى وصف الطبيب المشرح ، في حين برز في وصف الكندي عمل الفيلسوف الفيزيائي ، وفي كلٍّ خير .

ويتضح لنا مدى الصلة بين كلا الرجلين إذا علمنا أن المجموع الذي وجدت فيه رسالة الكندي عليه تملك منسوب إلى ابن سينا هذا نصه : « هذا الكتاب كان لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، وصنف من رسائل كثيرة والله أعلم » . بل إن الأمر ليتعدى التملك إلى ماهو أهم منه

---

(٣) ولعل من المفيد أن أذكر أن لها نسخة وحيدة في العالم تسنى لي الاطلاع عليها في المكتبة السليمانية باستانبول ، فصورتها مع مجموعة من رسائل الكندي . وقد وهم بروكلمان أو المترجم في تسميتها فدعاها : « رسالة في اللغة » وهي « رسالة في اللثغة » انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) : ٤ / ١٣٦ .

(٤) وقد نهضت والزميل يحيى مير علم بتحقيقها ونشرت ضمن مطبوعات المجمع عام ١٩٨٣ م .

أعني الناسخ الذي نسخ المخطوط فقد كتب تحت العبارة السابقة بخط مغاير مانصه : « وذكر أن هذا الخط خط الشيخ الرئيس حجة الحق شرف الملك أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا رحمه الله .. » ثم كررت هذه العبارة أيضاً بشكل عرضي وبخط جميل إلا أنه ممسوح غير بيِّن .

أردت أن أخلص من كل ذلك إلى أن الرسالة التي بين أيدينا أثر من آثار التراث النفيسة ينبغي أن تأخذ محلها بين كنوز التراث المحققة ، وقد بذلتُ وسعي في تقويم ماانآد من عباراتها(٥) وشرح ماشمس من معانيها ، وآثرت أن أنشرها على مابقي فيها من علات - في النقص والتحريف - عسى أن يهتدي الباحثون إلى نسخة أخرى تتم نقص هذه وتقيم منآدها . والله الموفق .

وصف النسخة

تقع رسالة الكندي هذه في مجموع كبير يضم رسائل مختلفة لثابت بن قرة ويعقوب الكندي ، وهو محفوظ في المكتبة السليمانية في استانبول تحت رقم (٤٨٣٢) وتبلغ عدة أوراقه : (٢٣٢) ورقة من القطع المتوسط : (٢٢×١٢) . تشغل هذه الرسالة الأوراق (٢١٦ - ٢١٨) إلا أن نصف الصفحة الأولى منها ممسوح لم يظهر منه سوى عنوان الرسالة تحت البسملة : « رسالة يعقوب الكندي في اللثغة » .

---

(٥) لابد لي هنا من تسجيل شكري العميق لأستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ لما تفضل به من مقابلة النص وحل بعض المشكلات المستعصية فيه . فجزاه الله عن العربية وأهلها خير ماجزى عالماً عن قومه ولغته .

أما الخط الذي كتبت به الرسالة فهو قديم يعود إلى المئة الخامسة على وجه التقريب ، فحروفه يابسة والتنقيط قليل وطريقة كتابة الأعداد توحي بقدمه[٦] . وقد أثبتُّ فيمايلي نموذجاً يظهر فيه بداية الرسالة وخطها ورسم بعض الأرقام فيها .

(٦) هذا تقدير الأستاذ الفاضل عدنان جوهرجي وهو صاحب اختصاص لاينكر في هذا الباب .

ظهر الورقة [٢١٦ ب]

وجه الورقة [٢١٧ أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة يعقوب الكندي في اللُّثغة[١]

. . . .

[٢١٧ أ] معه الشاملة له ، فلما تكاملت هذه الثلاثة الأشراج[٢] وائتلفت كان النطق ، فلما ظهر النطق بحركات مختلفة مرة برفع ومرة تضع[٣] بجزم ومرة بتسريح العضو الذي هو آلة للنطق مثل مقاديم[٤] الأسنان وصدر الحنك والأرحية[٥] واللهوات وخارج الأسنان والشفتين ، فمتى تغيرت آلة النطق وزالت عن الأماكن الواجبة للنطق فسد لذلك المنطق ، وأتى بخلاف ما قصد له الناطق .

فلما كانت هذه اللغة لازمة للنطق في القليل من الناس احتاجت اللغة إلى رباط يحويها ويمسكها لنظر مافي حقيقتها يعرف مقصودها من

---

(١) كتب هذا العنوان في وسط الصفحة بعد تمام رسالة الكندي في استخراج المعمى ، وماتحته بياض في الأصل ، غابت فيه مقدمة الرسالة إلى قوله في الصفحة التالية : « معه الشاملة له .. » وهو مابدأنا بنسخه هنا .

(٢) لعلها جمع شرجة أو شريج وهي اللدة المماثلة . وإذا شق العود بنصفين فأحدهما شريج الآخر . انظر أساس البلاغة للزمخشري مادة (شرج) .

(٣) كذا في الأصل ولعل فيها تحريفاً .

(٤) في الأصل المقاديم الأسنان . ولايصح . والمقاديم جمع مُقْدِم ومُقدّم وهي مااستقبلت من الأسنان .

(٥) الأرحية جمع رحى وهي الأضراس وتجمع على أرحاء أيضاً وهو الأصح . انظر اللسان (رحى) والمخصص : ١ / ١٤٦ ـ ١٤٧ .

الصواب والخطأ ، فربطها الفاعل الأولي[٦] باثنين وعشرين حرفاً[٧] تحويها وتنبي عن حقائقها لإظهار مافي الحكمة ، وذلك أن الحاجة ماسة إليها ، ولعلة أخرى أيضاً إذ كانت المكاتبة تحتاج إليها حاجة شديدة ليُدوَّن بها علم الظاهر والباطن ، فأما العلم الظاهر البيّن فعلم سقراط وأفلاطون ، والعلم الباطن فعلم موسى وسليمان بن داود . ولعلة أخرى أيضاً ، وذلك إذا كان الإنسان بالقرب من صاحبه ، وناطقه صاحبه بشيء فهم عنه وأجابه عن كلامه ، وإذا كان في بعد لايسمع منه فالحاجة في ذلك ماسَّة إلى المراسلة .

فإذا كثر الخطب إلى المكاتبة ، فلهذه العلة ربط الفاعل الأول اللغات كلها ، كل لغة بقدر ماتحتاج تستعمل من الحروف ، وذلك أن منها مايحتاج إلى ثمانية وعشرين حرفاً وهي لغة العرب[٨] ، ومنها

---

(٦) كذا وردت في الأصل وقد تكررت بعد أسطر بصيغة الفاعل الأول .

(٧) نص بعض المتقدمين على أن أصل وضع العربية على اثنين وعشرين حرفاً وماتبقى فهو روادف وإلى ذلك أشار ابن النديم في كلامه على القلم العربي :
« اختلف الناس في أول من وضع الخط العربي فقال هشام الكلبي : أول من وضع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد . وأسماؤهم : أبو جاد ، هواز ، حطي ، كلمون صعفض ، قريسأت . هذا من خط ابن الكوفي ، بهذا الشكل والإعراب وضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم وهي : الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين . فسموها الروادف .. » الفهرست ص ٧ . طبعة طهران .
وفي المعجم الوسيط : أما ثخذ وضظغ فحروفها من أبجدية اللغة العربية وتسمى الروادف المعجم الوسيط : (أبجد) . وانظر مقال الدكتور عدنان الخطيب « المعجم العربي » في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤٠ ج ٢ ص : ١٩٢ ـ ١٩٩ .

(٨) جمهور اللغويين على أنها تسعة وعشرون حرفاً بما في ذلك الهمزة . انظر الكتاب : ٤ / ٤٣١ (ط . بولاق : ٢ / ٤٠٤) ومعجم تهذيب اللغة : ١ / ٤٨ وسر صناعة الإعراب : ١ / ٥٢ .

مايحتاج إلى ٢٤ حرفاً وهي لغة اليهود[٩] ، والنصارى مثل ذلك ، وزعموا أن لغة الفرس تحتاج إلى ٣٦ حرفاً[١٠] ، ولغة الهند ٢٥ حرفاً ، ولغة الزنج اثنا عشر حرفاً ، ولغة الفراعنة ٢٢ . فقد بيَّنا زيادات اللغات ونقصانها .

نقول في علل الحروف ، وفي أي الحروف منها تعرض اللثغة

نقول : إن تعسّر اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي يكون من عرَضين لازمين ؛ إما من تشنج ، وإما لاسترخاء .

فأما التشنج فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ غير تامة .

وأما الاسترخاء فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ زائدة خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام .

فأما التشنج فمثل القائل في موضع الراء اللام[١١] ، ومثال ذلك قول القائل في موضع السين الشين . ومن الكلام مالا يحصى كثرة . ونحن واصفون بعون الله جل ذكره ، وبادون بالأصل في الوصف[١٢] لدلائله بأكثر مانقدر عليه من بيان ماتحتاج إليه العربية ، لأن ليس لغة أفصح ولا أعرب ولا أخف من اللغة العربية .

---

(٩) حروف اللغة العبرية اثنان وعشرون حرفاً كما تشير إليه المصادر الحديثة . انظر دروس اللغة العبرية للدكتور ربحي كمال : ص ٦٤ - ٥٦ .

(١٠) حروف الفارسية اثنان وثلاثون حرفاً كما تبين المصادر الحديثة وهي حروف العربية نفسها يضاف عليها أربعة حروف هي (پ - چ - ژ - گ) انظر اللغة الفارسية للدكتور جواد مشكور ص ٧ .

(١١) رسمت في الأصل : الا ، والصواب ماأثبتّه .

(١٢) تحرفت في الأصل إلى : الواصف . [وبادون : مخففة من بادئون] .

نبـدأ بعون الله ومنّـه في نعت الآلف لأنهـا أول مجيء الفـاعل الأولي واللغة الأولى .

نقول : إن **الألف**[١٣] تحتاج إلى نغمـة[١٤] وفتحـة ورد طرف اللسـان إلى صدر الحنك ، وإخراج نَفَسٍ يسير بين الشفة السفلى والأسنان العليا .

الباء : نقول في الباء : إنها تحتاج إلى نغمة مع ضم الشفتين وفتحها بهمزة[١٥] .

الجيم : نقول في الجيم : إنها تحتاج إلى نغمة مع ضم جانبي اللسان إلى جانبي الأرحية والحنك وضم الشفتين وفتحها بكسرة .

الـدال : نقـول في نعت[١٦] الدال : إنهـا تحتـاج إلى نغمـة مـع همـزة بطرف اللسان على طرف الحنك ومقاديم اللسان وفتحة ثم عطفـة اللسـان إلى داخل طرف الحنك .

الهـاء : نقول في نعت الهـاء : إنهـا تحتـاج إلى نَفَسٍ يخرج من عمـق الرئة ففتحة وهمزة اللهوات بمبدأ نغمة ووقفة .

الواو : نقول في نعت الواو : تحتاج الواو إلى نغمة مع جمع الشفتين

---

(١٣) يعني بـالألف هنـا الهمزة لأن الألف المصوتـة تخرج من إطلاق الهـواء سلسـاً غير مزاحم . كما يقول ابن سينا انظر أسباب حدوث الحروف لابن سينا (تح حسان طيـان ويحي مير علم / دمشق ١٩٨٣) : ٨٤ ، ١٢٦ .

(١٤) النغمـة جرس الكلمـة ولعل المقصود بهـا هنـا مجرد التصويت أو الصوت السـاذج لأنها تتكرر في وصف كل الحروف . وقد جاء في كتب اللغة : سكت فما نغم بحرف .

(١٥) الهمز هنا بمعنى الضغـط ومنـه الهمز في الكلام لأنـه يضغـط . وقـد همزت الحرف فانهمز . انظر اللسان : ٥ / ٤٢٦ .

(١٦) استدركت عبارة (في نعت) في هامش النسخة .

وتضييقها[١٧] حتى يخرج نفس[١٨] خفي وفتحة وجمعةٍ أخرى كالأولى .

الزاي : نقول في نعت الزاي : تحتاج إلى نغمة مع إلزام طرف اللسان و[١٩]مقدم الأسنان ، وإخراج النفس خروجاً يسيراً من بين الأسنان بزمزمة[٢٠] .

[٢١٧ ب] **الحاء** : نقول في نعت الحاء : تحتاج إلى نفس يخرج مع الحنك بتنحنح مسرع مضغوط بأصل اللسان واللهوات مع رأس المري وفتحة .

الطاء : نقول في نعت الطاء : تحتاج إلى همزة شديدة بطرف اللسان على مقدم الأسنان بلا نفس وفتحة .

الياء : نقول في نعت الياء : تحتاج إلى نغمة مع إلزام جانبي اللسان جانبي الأرحية بكسرة[٢١] وإخراج نفس يسير وفتحة .

الكاف : والكاف تحتاج إلى إلزام جانبي اللسان على أول الأرحية وفتحة ، وإلزام الأسنان العليا الشفة السفلى مع إخراج نفس يسير من بين الأسنان[٢٢] العليا .

اللام : نقول في نعت اللام : تحتاج إلى نغمة مع إلزام طرف اللسان صدر الحنك وفتحة ، وإلزام الشفتين بعد ذلك .

الميم : نقول في نعت الميم : تحتاج إلى نغمة وإلزام الشفتين ورفعها وردها ثانية إلى لزوم بكسرة .

---

(١٧) الكلمة غير بينة في الأصل والأشبه بالصواب ماأثبتّه .

(١٨) وردت في الأصل : (النفس) .

(١٩) الواو مقحمة لامعنى لها . والعبارة ينبغي أن تكون : « مع إلزام طرف اللسان مقدم الأسنان .. » .

(٢٠) الزمزمة : صوت خفي لايكاد يفهم ولعلها هنا تتابع هذا الصوت .

(٢١) في الأصل : (لكسرة) .

(٢٢) في الأصل : (أسنان) والألف واللام زيادة يقتضيها النص .

النـون : نقـول في نعت النـون : تحتـاج إلى نغمـة مـع إلـزام رأس الحنك ومقاديم الأسنان[٢٣] وتطويل الشفتين وتضييقها وفتحها تـامـة ورد رأس اللسان إلى صدر الحنك .

السين : نقول في نعت السين : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الأسنـان العليـا ، وإخراج نَفَسٍ من بين الأسنـان خفي يسير ، فـإن زاد ذلـك النفس قليلاً[٢٤] من المقـدار الواجب لـه لم تجئ منـه سين ، ويكون ذلك مع كسرة ورد اللسان إلى الحنك بهمزة .

العين : نقول في نعت العين : تحتاج إلى نغمـة مع نفس يمتـد[٢٥] إلى اللهاة ويقف معها فهمزة اللسان إلى اللهوات وفتحة بالغلصمـة ، وكسرة ، ورد اللسان إلى صدر الحنك .

الفاء : نقول في نعت الفاء : تحتاج إلى نفس يخرج من بين الأسنان العليا مع تركيب الشفة السفلى على الأسنان العليا وفتحة ونغمة بعد .

الصـاد : نقول في نعت الصـاد : تحتـاج إلى قـدر[٢٦] يسير من نَفَسٍ يخرج من بين اللسـان والحنك فيا بين الأسنان العليا بهمزة فيا بين اللسان وصعد مقاديم الأسنان والحنك وفتحة .

القـاف : نقول في نعت القـاف : تحتـاج إلى إلزام الغلصمـة الخيـاشيم لزوماً شديداً ، وتفرق فيا بين ذلك بـدفع النفس بقوة وفتحـة ، وإسبـال

(٢٣) جاءت هذه الكلمة في نهايـة السطر وبعـدهـا رسمت (الـ) وكأن هنـاك كلامـاً محذوفاً والعبارة على كل حال ناقصة والوجـه أن تكون : (مع إلزام رأس اللسـان رأس الحنـك ومقاديم الأسنان) يدل على ذلك قوله فيا بعد : (ورد رأس اللسان إلى صدر الحنك) .

(٢٤) في الأصل : (قليل) ولاتصح .

(٢٥) في الأصل : (يبدوا) وهو تحريف .

(٢٦) تحرفت في الأصل إلى (قوى) ولا معنى لها .

الشفة العليا على الأسنان السفلى وإخراج النفس مما بين ذلك .

الراء : نقول في نعت الراء : إنها تحتاج إلى تحريك رأس اللسان على تفرُّج الحنك .

الشين : الشين تحتاج إلى إلزام [اللسان][٢٧] جانبي الحنك والأرحية وإخراج نفس شديد فيا بين ذلك وكسرة ، وهمزة طرف اللسان على مقاديم الأسنان وصدر الحنك .

التاء : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الحنك وبسط اللسان على الحنك كله (تلك اللسان بدفع النفَس لحميه)[٢٨]

فرغنا من حروف اللغة[٢٩] بعون الله .

نبدأ فيا بقي من حروف ا ب ت ، ث :

[**الثاء**][٣٠] : تحتاج ردّ رأس اللسان إلى الأسنان العليا وإخراج النفس فيا بين ذلك ونغمة وفتحة .

الخاء : تحتاج إلى إخراج نفس وإلزام وسط اللسان تفريج الحنك واللهوات ومما يلي الخياشيم ، وتقطيع النفس فيا بين ذلك بالحركة والتدافع له .

الذال : تحتاج إلى غمزة بطرف اللسان على الأسنان العليا ، وردّ رأس اللسان إلى صدر الحنك .

---

(٢٧) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٨) في العبارة خلل واضح ، وقد أبقيتها كما هي في الأصل .

(٢٩) وهي حروف : (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت) وعددها اثنان وعشرون حرفاً ، أما بقية حروف العربية الستة وهي الروادف فسيأتي الحديث عنها .

(٣٠) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .

الضاد : نقول في نعت الضاد : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الأسنان ، وإخراج النفس من وسط اللسان على الأرحية وجانبي الشدق وفتحة ، وردّ رأس اللسان إلى الحنك بهمزة .

الظاء : نقول في نعت الظاء : تحتاج إلى إخراج نفس مع إلزام طرف اللسان والأسنان العليا وفتحة ونغمة بعد ذلك .

الغين : نقول في نعت الغين : تحتاج إلى إخراج نفس مع النغانغ(٣١) ووسط اللسان ، وكسرة وردّ اللسان إلى الحنك .

تمّ قصصنا في نعت الحروف ومايجب لها من الحدود بعون الله .

ونحن بادون في عرضنا من تبيان علل اللثغة .

اعلم ياأخي ـ فدتك نفسي ـ أن اللثغة تظهر في لغة العرب في عشرة أحرف للمسنين ، والأصاغر في أكثر من ذلك في المنطق . [٢١٨ أ] ولقد عسر على الشيوخ أن يعلموا مااللثغة وما العلة في الطفل أنه إذا قلت بين يديه مرة ومرتين خبراً حكى قولك في ذلك وهو لايعلم أين ينبغي له أن يضع لسانه من الأماكن الواجبة النطق التي قدمنا ذكرها في صدر كتابنا هذا في نعت الحروف ومايجب لها . وقد لخصنا في ذلك قدر الطاقة ، والعلة التي حدتنا إلى ذلك ليعرف حقيقة ماقصدنا من ذلك ويعود علمه على السامع له .

فأما العشرة حروف فهو هذا الذي أنا ذاكرها منها :

---

(٣١) النغانغ : لحمات تكون في الحلق عند اللهاة ، واحدها نغنغ وهي اللغانين .

العين ، والسين ، والشين ، والكاف ، والصاد ، والجيم ، والحاء ، والراء ، والقاف ، والزاي[٣٢] .

واعلم ياأخي أن اللثغة إنما تعرض من سببين إما لنقصان آلة النطق وإما لزيادتها فلا تقدر [على][٣٣] تسريح الأماكن الواجبة للنطق مثل مقاديم الأسنان وجميع الأماكن الواجبة للنطق .

فأما الحروف التي تعرض فيها اللثغة من قِبَل زيادة العضو فهي[٣٤] : السين ، والصاد ، والجيم ، والزاي ، والشين ، تعرض في الزيادة والنقصان . وقد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي ، وليس هذا مما يجري في الأكثر وإنما يحدُّ الشيء بالحد الأكثر ، وذلك أن الفلاسفة حدّوا الإنسان أنه حي ناطق ميت ومنهم من زاد في الحد العقل ، فلما زادوا العقل في الحدّ أخرجوا من حدّ الإنسانية من كان جاهلا . وقد ترى إنساناً أخرس[٣٥] فليس بملغي الحد بالإنسانية لأنه ليس بناطق وهذا محال ، ولكن لايقع الحد إلا على الأكثر كما قلنا مراراً .

نريد الآن أن نسمّي[٣٦] هذه الأعراض اللازمة كل واحد مما يجب أن

---

(٣٢) اقتصر الجاحظ في كلامه عن اللثغة على أربعة أحرف هي : القاف والسين واللام والراء انظر البيان والتبيين : ١ / ٣٤ ط . هارون .

وجعلها ابن الأنباري في ستة أحرف . قال فيما نقله عنه الرافعي في تاريخ آداب العرب ١ / ١٦٠ : « اللثغة تكون في السين ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والراء ، وقد تكون في الشين . » .

(٣٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٤) في الأصل : (فهو) .

(٣٥) وردت في الأصل (أخرسا) ولا وجه لها .

(٣٦) في الأصل : (نسمى إلى) ولا وجه لها .

يسمى : التأتاء[٣٧] **المتمتم** ، واللاثغ بالجيم يقال له : **المدموم**[٣٨] ، واللاثغ بالراء يقال له : **ذا العقل**[٣٩] ، واللاثغ بالغين يقال له : **المناغي العَيُّ** ، واللاثغ بالقاف يقال له : **ذا الحبس**[٤٠] ، واللاثغ بالفاء يقال له : **الفأفاء**[٤١] .

وهاهنا علتان أخريان ، وهي **الأخن**[٤٢] **والألكن**[٤٣] ، وإنما تعرض هاتان العلتان من غلظ آلة النطق وهو اللسان وسعة الخياشيم ، والعلة في ذلك أن العضل المحركة لهذا العضو لاتطيق حمله وتحركه وتنقله عن الأماكن الواجبة للنطق فيعرض من ذلك اللكن[٤٣] . وأما الأخنُّ فإن النفَس يسبق إلى الخياشيم .

---

(٣٧) هذه الكلمة غير بيِّنة في الأصل ، وقد رجحت أنها التأتاء ، لأن المتمم أو التمتام هو اللاثغ بالتاء .قال الجاحظ : « وقال الأصمعي : إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام .. » البيان والتبيين : ١ / ٣٧ وجاء في اللسان : « والتمتمة : رد الكلام إلى التاء والميم .. ورجل تمتام » اللسان : ١٢ / ٧١ (تمم) وكذا في المخصص لابن سيده : ٢ / ١١٨ .

(٣٨) لم أعثر عليها في المعجمات بهذا المعنى .

(٣٩) قال الجاحظ : « ويقال في لسانه عقله ، إذا تعقل عليه الكلام » البيان والتبيين : ١ / ٣٩ .وجاء في متن اللغة ٤ : ١٦٧ « اعتُقل لسانه : امتسك ولم يقدر على الكلام » .

(٤٠) جاء في المخصص ٢ : ١٢٢ « ابن السكيت : في لسانه حبسة أي تحبُّس » .

(٤١) قال الجاحظ : « وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء » البيان والتبيين : ١ / ٣٧ وكذا في المخصص : ٢ / ١١٨ . واللسان (فأفأ) .

(٤٢) رجل أخنُّ أي أغنُّ مسدود الخياشيم .. والخنخنة : أن لايبين الكلام فيخنخن في خياشيه .

(٤٣) في الأصل : (والأكن) وهو تحريف صوابه ماأثبتّه ، يدل على ذلك قوله فيما بعد (اللكن) وقد جاء في المخصص ٢ : ١١٨ ـ ١١٩ « والألكن الذي لايقيم العربية من عجمة في لسانه والأنثى لكناء وقد لَكِنَ لَكَناً ولُكْنة ولُكُونة » .

تمّ تبيان الأسماء بعون الله .

نريد أن نبين من أي العلل يعرض ذلك

اعلم ياأخي أن هذه تعرض من ثلاثة وجوه :

أحدها : تكون لقوى النفس الناطقة فيزول عن الحال الجاري المجرى الطبيعي .

الثاني : لضعف النفس الناطقة ، فلا تقدر أن تحرك العضل تحريكاً شديداً فيفسد لذلك النطق .

والوجه الثالث : يكون إما لزيادة آلة النطق وإما لنقصانه . فأما علة زيادة العضو المنطقي فتكون من البرد والرطوبة ، أو من الحرارة والرطوبة مع سعة مجاري العضو فتدغم آلة الطبيعة أكثر مما يجب له من المقدار فيغلظ العضو ويكبر ، ويفسد النطق لذلك ، وذلك أنه يسترخي .

وأما نقصان العضو المنطقي فيكون من برد ويبس ، أو من حرٍّ ويبس مفرط ، وتعرض هذه العلة أيضاً من جهة أخرى وهو أن العضو المنطقي يغلظ أكثر من المقدار ، ويصغر ويزيد أكثر من المقدار ، فلا يقدر العضو المنطقي أن يستريح على الأماكن الواجبة للنطق فيفسد لذلك المنطق .

وهذه العلة [و][٤٤] التي قبلها واحدة في الزيادة والنقصان ، وذلك

---

(٤٤) زيادة يقتضيها السياق .

أن العلة الأولى تزيد وتنقص في الطول ، والعلة الثانية تزيد وتنقص في العرض .

وينبغي لقارئ هذه الرسالة أن يتدبرها بعقله ، فإنه يصح له منها علم كثير .

تمت رسالة الكندي في اللثغة

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله .

القمري وكتابه « غنى ومنى »

وفاء تقي الدين

مازلت مذ سنوات عاكفة على موسوعة ابن سينا الطبية « القانون » أحاول استخراج مافيها من مصطلحات علمية . وقد جعلني عملي هذا آلفُ الطب العربي ومصطلحاته ، وأطلعني على جانب مشرق من جوانب تراثنا العربي لم ينل من الدرس والعناية مانالته العلوم الأخرى كاللغة والتاريخ وغيرهما ، فرغبت في الاطلاع على مزيد من المؤلفات العربية في هذا العلم . وكان أن لفت الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نظري إلى كتاب طب عربي لم ينشر بعد ـ وهو أهل لهذا ـ ولم يحظ باهتمام دارسي تاريخ الطب العربي ، وهو كتاب « غنى ومنى » للقمري . فأحببت أن أزيل عنه بعض مانزل به وبمؤلفه من حيف ، وأن أعرف بها ولو في صفحات قلائل .

- ١ -

المؤلف

اسمه :

هو أبو منصور الحسن بن نوح القمري . وجاء اسمه في مخطوط الظاهرية لكتاب « غنى ومنى » ذي الرقم ٧٨٨٣ الحسين بن نوح القمري . وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ورد اسمه مرة الحسين ومرة الحسن[1] .

وذكر الدكتور سامي حمارنة في فهرست مخطوطات الظاهرية الاسمين

معاً فقال : « الحسين (ولعله الحسن) .. »[٢] والأرجح ماذكرته أولاً .

أما نسبته « القمري » فقد ضبطتها المراجع ضبط قلم بضم القاف وسكون الميم . وانفرد الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات بضبطها بفتحها[٣] . والقُمري بالضم نسبة إلى قُمْر وهي بلدة بمصر ، أو موضع وراء بلاد الزنج ، أو هي نسبة إلى مسجد قُمْرية غربي مدينة السلام . أما القَمَري بالتحريك فهي نسبة إلى القَمَر . ولم تذكر المعاجم ولا كتب الأنساب صاحبنا الطبيب في أي من النسبتين[٤] .

حياته ووفاته :

عاش هذا الطبيب في بخارى ، ولعله قد ولد فيها في أوائل القرن الرابع الهجري . ترجم له ابن أبي أصيبعة في الباب الحادي عشر من كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » وهذا الباب هو في طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم . قال فيه :

« أبو منصور الحسن بن نوح القمريّ : كان سيد وقته وأوحد زمانه ، مشهوراً بالجودة في صناعة الطب ، محمود الطريقة في أعمالها ، فاضلاً في أصولها وفروعها . وكان ـ رحمه الله ـ حسن المعالجة ، جيد المداواة ، متميزاً عند الملوك في زمانه[٥] ، كثيري الاحترام له . وحدثني الشيخ الإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي[٦] أن الشيخ الرئيس ابن سينا كان قد لحق هذا وهو شيخ كبير ، وكان يحضر مجلسه ، ويلازم دروسه ، وانتفع به في صناعة الطب .. »[٧] .

لم يذكر ابن أبي أصيبعة سنة ولادته ولاسنة وفاته ، ولكننا نستنتج من الطبقة التي وضعه فيها بعد أبي بكر الرازي[٨] وقبل ابن سينا أنه

عاش في القرن الرابع الهجري . كما نستطيع أن نحدد تاريخ وفاته بأواخر هذا القرن . لأن ابن سينا المولود سنة ٣٧٥ هـ يقول عن نفسه إنه انتهى من تحصيل العلوم كلها وهو ابن ثماني عشرة سنة[٩] . وقد اختلفت المراجع في تحديد السنة التي توفي فيها القمري ؛ فابن أبي أصيبعة لم يذكر عنها شيئاً كما أسلفنا ، وإسماعيل البغدادي صاحب هدية العارفين ذكر أنها سنة ٣٨٠ هـ[١٠] ، وهي أيضاً عند بروكلمان ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م[١١] ، وعند فؤاد سزكين ٣٩٠ هـ = ٩٩٩ م[١٢] ، وعند سامي حمارنة ٩٩٢ م[١٣] . والغريب أن البغدادي نفسه جعلها ـ في كتابه إيضاح المكنون ـ سنة ٨٥٧ هـ[١٤] وردت هكذا بالأرقام والكلمات ، ولا أشك في أن هذا إنما هو خطأ من المؤلف . والذي أميل إليه هو التاريخ الذي ذكره سزكين أي سنة ٣٩٠ هـ وذلك للسبب الذي ذكرته قبل وهو تتلمذ ابن سينا على القمري .

لقد سخر القمري عمره المديد لخدمة مهنة الطب وللتخفيف من آلام المرضى ، فكان طبيباً معالجاً متخصصاً ، لا حكيماً فيلسوفاً موسوعياً . قد حصر همه في علم الطب لايتعداه إلى غيره من سائر العلوم ، كما يظهر لنا من آثاره الباقية ، وبهذا خالف ماكان شائعاً عند أعلام تراثنا العربي في تلك العصور . ومن هنا يمكننا أن نتلمس أحد أسباب قلة احتفال المؤرخين بالترجمة له في كتبهم ، سواء في ذلك الكتب الموسوعية[١٥] وكتب التراجم[١٦] حتى مااختص منها بتراجم الأطباء[١٧] . ولولا ترجمة ابن أبي أصيبعة له لجهلنا عنه كل شيء ، على الرغم من انتشار كتبه انتشاراً واسعاً ، وبخاصة كتاب « غنى ومنى » كما سنرى فيما بعد .

ولئن بخلت علينا المراجع بالمعلومات عن هذا الرجل ، إننا نستطيع أن نستخلص من القليل الذي نقلته عنه ، ومن آثاره الباقية ، ومن طريقته في تأليفها ، أنه كان طبيباً حاذقاً مجداً مخلصاً في عمله ، أحب مهنته ، وسعى جهده إلى اتقانها وتيسيرها للطالبين ، فاستقرى من أجل هذا كل ماوصل إليه من الكتب والمؤلفات الطبية ، ماألف منها بالعربية وما ترجم إليها ، ولم يكتف بالاطلاع عليها ، بل فهمها ووعاها ونخلها وانتقى منها وأضاف إليها ، حتى استقام له منها كتابه الذي نتحدث عنه والذي شُهد له بالجودة والدقة .

مؤلفاته :

أغنى القمري تراثنا الطبي بجملة من المؤلفات . ذكرت له المصادر منها : (1) كتاب « الغنى والمنى » وهو الذي سنتحدث عنه بالتفصيل فيا بعد . (2) كتاب « التنوير في الاصطلاحات الطبية » وهو كتيب لطيف لايزيد عدد أوراقه على ٢٥ ورقة[١٨] ، له عدة نسخ بأسماء مختلفة إحداها في مكتبة أحمد الثالث ، وأخرى في مكتبة فاتح ، وثالثة في أياصوفية بعنوان « كتاب التنوير المعروف بسراج القمري » ورابعة في مكتبة تيمور، وخامسة في الموصل بعنوان « مصطلحات الطب »[١٩] وسادسة في حيدراباد ، وسابعة وثامنة في لندن ، وتاسعة في طهران بعنوان « رسالة في حدود الأمراض »[٢٠] ، وفي معهد التراث العلمي العربي بحلب صورة عن مخطوط في الجمعية الطبية الملكية بلندن عنوانه « أسامي العلل »[٢١] مؤلف من ١١ ورقة أظنه نسخة أخرى من هذا الكتاب أو قسماً منه . (3) كتاب « الشمسية المنصورية » منه نسختان في القاهرة ، وثالثة في الاسكوريال بعنوان « مقالات في الطب » ورابعة في مكتبة آصف بعنوان

« رسالة طب » وخامسة في الموصل بعنوان « طب القمري » وسادسة في أياصوفية بعنوان « المقالات »[٢٢] ولعل ماذكره البغدادي بعنوان « معالجات القمري » على أنه أحد مؤلفات القمري إنما هو نسخة من هذا الكتاب أيضاً[٢٣] .

وذكر البغدادي من مؤلفات القمري أيضاً (4) « رسالة في أمراض الصدر » و (5) « رسالة في الحميات » و (6) « مجموعة الأدوية المفردة » و (7) « مقالة في الاستسقاء » و (8) « مقالة في البحران »[٢٤] .

أما كتاب (9) « علل العلل » فقد ذكرته المراجع المختلفة نقلاً عن ابن أبي أصيبعة[٢٥] ، والظاهر أنه فقد ، إذ لم يشر أحد إلى أنه رأى نسخة منه . وأظن السبب في فقدان هذا الكتاب أن شهرة صاحبنا قامت على براعته في المعالجة والمداواة ، وعلى كتبه المختصرة الواضحة التي تهتم بالطب من حيث هو ممارسة وعلاج وعمل ، لامن حيث هو نظريات وأفكار وعلل .

- ٢ -

كتاب « غِنى ومَنى »

قال ابن أبي أصيبعة : « ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري من الكتب كتاب غنى ومنى وهو كناش[٢٦] حسن قد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أفضل مايكون ، ولخص فيه جملاً من أقوال المتعينين[٢٧] في صناعة الطب ، وخصوصاً ماذكره الرازي متفرقاً في كتبه[٢٨] ... » .

عنوانه :

لقد عرف هذا الكتاب واشتهر باسم « غنى ومنى » لكن هذا الاسم تعرض للتغيير والتصحيف أحياناً ، ولعل هذا يعود لغرابته وطرافته في عالم الطب ، ففي كشف الظنون سماه حاجي خليفة كتاب « الغنا في الطب »[٢٩] وفي موضع آخر من الكتاب نفسه قال : « المغني في الطب للشيخ الإمام أبي الحسن ... ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري جعله ثلاث مقالات ... سماه غنىومنى »[٣٠] !

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان « الحياة والموت »[٣١] .

لم تقع بين يدي مخطوطة للكتاب قد ضبط فيها العنوان بالشكل ، ولم أرَ هذا العنوان مشكولاً في مرجع عربي ، بينما أورده كل من بروكلمان وسزكين بالحروف اللاتينية هكذا : AL - Ginâ wa L - munâ أي بكسر الغين من غنى وضم الميم من منى . والذي اتضح لي استئناساً بعنوان الترجمة اللاتينية أن الصواب هو « الغِنى والمَنى » بكسر الغين وفتح الميم .

فالغنى تفيد معنى العيش والإقامة والبقاء ، وهي من « غَنيَ به أي عاش ، وغني القوم بالدار : أقاموا .. وغني القوم في ديارهم إذا طال مقامهم فيها . قال الله عز وجل « كأن لم يغنوا فيها[٣٢] » أي لم يقيموا فيها .. يقال للشيء إذا فني « كأن لم يغنَ بالأمس[٣٣] » أي كأن لم يكن ... »[٣٤] و « غني بالمكان كرضي : أقام به غِنىً .. وغني أي عاش وبقي ... »[٣٥] .

و « المنى بالياء[٣٦] : القَدَر . قال الشاعر :

دريت ولا أدري منى الحدثان

مناه الله يمنيه : قدّره . ويقال : منى الله لك مايسرُّك أي قدر الله لك

مـايسرك . والَمنى والمنيّـة : المـوت لأنـه قـدر علينـا ، وقـد منى الله لـه المـوت يمني . ومُنِيَ لـه أي قـدر عليـه ... »[٣٧] أمـا المُنى بضم الميم (ف) جمع المُنْية وهـو مـايتمنى الرجـل »[٣٨] ولا أظن أحـداً يتمنى على الطبيب الموت ! وإذا افترضنا أن المقصود بالمنى بـالضم جمع منيـة أي منى الإنسان بالشفاء والصحة ، فكيف نفسر الترجمة اللاتينيـة ؟ وقـد قـام بهـا من هو أقرب منا إلى الكتاب وصاحبه ، سواء أكان من الأوربيين الـذين كانـوا يطلبـون العلم عنـد العرب وينقلـون المعـارف من كتبهم ، أم من العرب الذين أتقنوا اللاتينية فنقلوا إلى أهلهـا غرر النتـاج العربي في شتى المعارف والعلوم .

إذا اقتنعت مثلي بأن اسم الكتاب « الغِنى والَمنى » واتضح لك معنـاه وجدت فيه من الإيجاز والدقة والجمال مايرهص بما ستجده في الكتاب من حسن ذوق القمري ، وميلـه إلى البلاغـة الحرة غير المقيـدة بقيـود الصنعـة اللفظية ، ومن تواضعه وحسن يقينه ؛ فالحياة مـاهي إلا دار إقـامـة قـد تحلو وتطـول ، والمـوت إنمـا هـو قـدر من الله تعـالى لامفر منـه ، وعمـل الطبيب محصور بين هذا وتلك .

مخطوطاته :

لقد أعجب الناس بهذا الكتاب فاستنسخوا منه نسخـاً كثيرة توزعت في أماكن مختلفة واسعة من آسية وافريقية واوروبـة . ذكر بروكلمـان في كتابه ست عشرة نسخة منها معظمها في جامعـات اوروبـة ، وزاد عليهـا سزكين في كتـابـه عشرين نسخـة أخرى كثير منهـا أيضـاً في جـامعـات اوروبة ومتاحفها وفي جـامعـات إيران ؛ فيكون مجموع مـاذكر في هـذين

المرجعين ـ وهما أكثر المراجع استقصاء ـ ستاً وثلاثين نسخة مخطوطة . لكنني أظن الرقم الحقيقي أكبر من هذا بكثير ، بدليل أنه لم يذكر في كلا المرجعين سوى نسخة واحدة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وبين يدي الآن صور لثلاث نسخ مخطوطة محفوظة في هذه الدار ، هي المخطوطات ذوات الأرقام : ٧٨٨٣ ، ٧٨٦٤ ، ٧٨٨٩ وهذه الأخيرة هي التي ذكرها سزكين فقط[٣٩] . وفيما يلي دراسة موجزة لكل من هذه النسخ :

المخطوط ذو الرقم ٧٨٨٣ نسخة واضحة الخط أنيقته ، تكرر فيها السقط والخطأ ، لكن ناسخها تلافى الأمر في الحواشي على الغالب ، ويبدو لي أنه ناسخ محترف ، قد اعتنى بنسخها وضبطها . الخط خط نسخ جميل ، والعناوين وأسماء الأطباء مكتوبة بالمداد الأحمر . عدد أوراقها ٣٩٦ ورقة في كل صفحة منها ١٧ سطراً . لم يذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ ، وقد اشتمل هذا المخطوط على الكتاب فقط دون زيادة أو نقصان .

المخطوط ذو الرقم ٧٨٦٤ قال عنه الدكتور سامي حمارنة[٤٠] إنه مبتور الأول والآخر ، والذي ظهر لي أن النقص ـ إذا جعلنا هنا كتاب غنى ومنى لا كل ماجاء في المخطوط ـ ينحصر في ورقتين من أول الكتاب فيهما المقدمة وجزء من الفهرست . لم تكتَب هذه النسخةَ من الكتاب يدٌ واحدة فالخط خط نسخ من أولها حتى نهاية الورقة ١٥٨ والعناوين في هذا القسم مكتوبة بخط كبير مميز ، وابتداء من الورقة ١٥٩ يصبح الخط فارسياً أوضح وأجمل من سابقه . والعناوين في هذا القسم مكتوبة بالمداد

الأحمر . هذه النسخة حسنة قليلة الأخطاء على الرغم من صعوبة قراءتها أحياناً .

عدد أوراقها ٢٣٩ ورقة يتم الكتاب في الورقة ٢٢٩ منها ويتراوح عدد الأسطر مابين ١٩ و ٢٢ سطراً في الصفحة وتاريخ نسخها سنة ١٠٤٢ هـ .

أما المخطوط ذو الرقم ٧٨٨٩ فقال عنه الدكتور حمارنة « القسم الأول منه مكتوب بخط نسخ-مشكل واضح على ورق شرقي ويختلف نوع الخط بعد الورقة ١٥٨ فيصبح نسخاً فارسياً أنيقاً وأجمل من السابق وأكثر دقة[٤١] » وهذا الكلام إنما يصح على المخطوط السابق ـ كما أشرت إليه في موضعه ـ لاعلى هذا المخطوط . العناوين في هذه النسخة مكتوبة بالمداد الأحمر ، وعدد الأوراق ١٩٢ ورقة ، يشغل كتاب « غنى ومنى » ١٨٨ ورقة منها ، أما الأوراق الأربعة الأخيرة فهي من كتاب « الابدال في الأدوية » للرازي[٤٢] .

هذه النسخة ـ في رأيي ـ هي أهم النسخ الثلاث وأجودها إذ تحتوي على البابين الأول والثاني من كتاب آخر للقمري هو كتاب « التنوير في الاصطلاحات الطبية »[٤٣] نقل مضمون هذين البابين على شكل حواش وشروح لأسماء الأمراض تواكِبُ ذكرَها في الكتاب الأصل ؛ فمثلاً عندما يمر ذكر (السرسام) نجد في الحاشية (السرسام : ورم في أحد حجابي الدماغ أو فيهما أو في الدماغ نفسه أو فيهما جميعاً) ، وتنتهي هذه التعريفات في الورقة ١٤٨ قبيل انتهاء المقالة الثانية من كتاب غنى ومنى . نسخَ هذه المخطوطة شمس الدين بن إبراهيم الجيلاني في بلدة المسلمين أَسْتَراباذ[٤٤] في ١٣ شوال سنة ٨٨٦ هـ . وهذا التاريخ المتقدم يعطيها مزية أخرى على أخواتها .

مقدمته :

يبدأ القمري كتابه بمقدمة وجيزة شغلت ورقة واحدة تقريباً جاء فيها قوله[٤٥] :

« إني لم أزل في صباي ومنذ عقلت أحب العلوم الطبيعية ، وتنازعني نفسي إليها ، وخصوصاً علم الطب ، لما كنت أرى فيه من إراحة الأنفس ، وتخليصها من الآلام ، وإعادتها إلى الصحة بعد السقام ، وإحراز الحظ من الدنيا والآخرة . وأحرص على تتبع الكتب المؤلفة فيه ودراسة الكناشات المصنفة على تقييد الشارد منه ، وتحملني همتي على خدمة من تمسك منه بأدنى علقة فضلاً عن المتبحرين والمبرزين فيه ، حتى أحطت بمكنون خزائنه ، واطلعت على أسراره ودفائنه ، وأدركت منه مارجوت معه الكفاية ، وقدرت به على بلوغ الكمال والغاية ، فأكببت على معالجة المرضى ومداواة أهل العلل ... » .

بهذه اللغة المشرقة الجميلة ، وبهذا الوضوح مع الإيجاز يحدثنا القمري عن حبه لعلم الطب لأنه يوافق في نفسه نزعة إلى إسعاد الناس بإراحتهم من آلامهم ، وعن دأبه في تحصيله بروح العالم المتواضع ، والمتعلم الدائب ، والممارس المجرب . ولم يدّع بعد ذلك أنه أتى بما لم يأت به غيره ، بل وضح بهدوء وتواضع هدفه من تأليف هذا الكتاب ، وبين كذلك منهجه فيه فقال :

« وكنت كثيراً ماأحتاج فيه (أي في علم الطب) إلى دراسة الكتب ، وتتبع مافيها من النكت والنتف ، فكان يعتاص علي ذلك ، لاحتياجي إلى النظر في كتب شتى ، وتصفح كُنّاشات متفرقة ، فأحببت

أن أستخرج من جميعها ـ لنفسي وليكون ذخراً للمسلمين بعدي ـ علاجات على سبيل اختصار ، يشتمل على معاني أكثر أقاويل الأطباء المتقدمين والمتأخرين في العلاج خاصة . فإني لاأسمي كل واحد منهم عند ذكر فصل من فصوله ، بل أسمي الواحد فالواحد منهم إذا عرضت نكتة أو حكاية فأضيفها إليه عند ذلك . وأضم إليه أيضاً ماقد جربته وصح عندي ، ليسهل لي نقل هذا الكتاب الصغير الحجم العظيم النفع حيث انتقلت » .

إنه الطبيب المتأني المدقق ، يعود إلى مراجعه بين وقت وآخر ، ليبحث عن كل نكتة أو نتفة يمكن أن يفيد منها مايعود على مرضاه بالخير والشفاء .. وهو في الوقت نفسه يحس بوجود ثقافة طبية عامة قد أصبحت ملكاً لكل طبيب ، وأساساً في كل علاج ، وقد وقرت صحتها وجدواها في نفوس الجميع ، فلا حاجة به إذاً إلى أن يذكر أسماء الأطباء عند كل فصل من فصولهم ، ويجزئه عن ذلك أن يعزو إلى كل منهم ماتفرد به ، أو بعبارة أخرى ماأضافه إلى معلومات الطب المتحصلة قبله . والقمري نفسه يؤدي دوره حلقةً في هذه السلسلة المتصلة ، فيضيف ماصح عنده من نتائج تجاربه ومعالجاته ، وسنرى أنه التزم فعلاً بهذه الخطة في كل أبواب الكتاب .

والقمري حريص على أن يكون كناشه مرجعاً سهلاً قريب المتناول فهاهو ذا يقول :

« ... وأن أجعله ثلاث مقالات وأقيد أبوابها بحروف الجُمّل[٤٦] ليتناول المرتاد بغيته عن كثب ، ولايحتاج فيه إلى تكلف طلب ، فيلحقه فترة الملال ، وترهقه وصمة الكلال » .

هكذا يظهر لنا أبو منصور معلماً منظماً حانياً رفيقاً بطلاب هذا العلم يشق لهم إليه طريقاً لاحباً ، ويركز على جانبيه من الصوى مايكفل لهم ألا يُقطعوا دون غايتهم .. فلا عجب أن يكون ابن سينا وهو العلم المشهور في الطب ملازماً لدروسه وأن ينتفع به في صناعة الطب[٤٧] .

وأخيراً يختم القمري مقدمته بقوله :

« وأنا أسأل من ظفر بكتابي هذا ألا يبخل علي بالدعاء الجميل لي في أوقات فراغه ، ويعلم أني لم أبخل عليه في هذا الباب ، ولا ادخرت عنه نصحاً . وبالله أستعين على مانويته وقدرته . إن العون والتوفيق من عنده ، والحول والقوة في يده » .

مقالات الكتاب وأبوابه :

بعد المقدمة يذكر أبو منصور القمري أغراض مقالات الكتاب أي الفهرست فنرى أنه قسم كتابه إلى ثلاث مقالات :

المقالة الأولى في الأمراض الحادثة من الفرق إلى القدم . وتقع في مئة وعشرين باباً يبدؤها بأمراض الرأس كالصداع والشقيقة وغيرهما ، فأمراض العين ، فأمراض الأذن ، فالأنف فالفم وهكذا ... وبعض هذه الأبواب يشغل أقل من صفحة مثل باب « النتن في الأنف » وبعضها الآخر مفصل يشغل أكثر من اثنتي عشرة صفحة مثل « النقرس » ، وهذه المقالة بأبوابها الكثيرة تشغل أكثر من ثلثي الكتاب[٤٨] .

المقالة الثانية في العلل الظاهرة وتقع في ثلاثة وأربعين باباً[٤٩] ، وهي تكاد تقابل مانسميه الآن بالأمراض الجلدية ، فمن أبوابها : الحزاز

والسعفة ، وداء الثعلب والحية ، والكلف ، والبرص ، والجذام ، والجرب ، والشرى ، والدماميل ، والقروح ...

والمقالة الثالثة في الحميات وتقع في سبعة وعشرين باباً[٥٠] يذكر فيها الحميات بأنواعها فالعلامات ثم البول والنجو والنبض . وأخيراً يخصص باباً لنكت من كلام محمد بن زكريا الرازي .

إن تقسيم الكتاب على هذا النحو ليدعو إلى الإعجاب ، لما نجد فيه من حسن التنظيم ، ومن الوعي لأنواع الأمراض وفئاتها : فنحن نلاحظ أنه فصل الأمراض الجلدية عن غيرها ولم يذكرها مع الأمراض السابقة موزعة على أعضاء الجسم خلافاً لمن سبقه من المؤلفين . فالرازي مثلاً - وهو الذي أكثر المؤلف من النقل عنه والاعتزاز بآرائه - قد ذكر في كناشه « الفاخر » داء الثعلب وداء الحية ، وكلاهما تمرط الشعر ، في أمراض الرأس . ولهذا استغربت حكم الدكتور سامي حداد حين يتحدث عن كناش القمري بقوله « وهو كما سبقه من الكتب مجموع من أقوال المتقدمين كأبقراط وجالينوس وماسرجويه ... والرازي .. وغيرهم . ولم نجد فيه مايميزه عما سبقه »[٥١] بلى ! إن هذا العرض الحسن ، والتبويب السديد ، والدقة في الشرح ، والأمانة في النقل ، إن كل هذا يميزه من غيره من الكناشات . ويمكننا أن نلمح وعيه لفئات الأمراض والأعراض في المقالة الثالثة أيضاً ، حيث نلاحظ أن كل أبوابها - إذا استثنينا باب الجدري والحصبة - إنما هي في الأعراض والدلائل التي يستعين بها الطبيب في تشخيص الأمراض ومعرفة تطورها كالحميات والنبض والبول و ... وقد ذكر الحميات مقرونة بالأعراض كما نلاحظ ، مع أنها كانت تعتبر

آنذاك أمراضاً قائمة بذاتها ، فلعل الأطباء العرب كانوا منذ ذلك الوقت مترددين في أمرها .

مادة الكتاب :

إذا تجاوزنا ترتيب الكتاب إلى مادته لاحظنا فيها الوضوح مع الاختصار والشمول مع التركيز ، ففي باب الرعشة يقول :

« الرعشة : يكون من ضعف القوة الحاملة للعضو . ويحدث ضعف هذه القوة إما من آلام النفس مثل الفزع أو الغضب ، وإما من آلام البدن مثل سوء المزاج البارد الحادث في المشايخ » .

ويفرق بين الأعراض المتقاربة والأمراض المتشابهة فيقول مثلاً :

« التشنج هو انجذاب العضو وتقلصه إلى أصله . أما الخدر فإنه من جنس الفالج وعلاجهما واحد » .

وأشير هنا إلى أنه لم يذكر في أبواب الكتاب من التعريفات إلا ما تمس الحاجة إليه . لأنه خصص كتابه التنوير للتعريفات والحدود ، وهو إذا أورد تعريفاً كان شديد الاختصار ينتقل سريعاً منه إلى سائر حديثه عن المرض كشرح أسبابه أو أعراضه ... مثال ذلك :

« القولنج : معنى القولنج احتباس الطبيعة وله أسباب كثيرة ... »

« القلاع : قروح حارة يحدث في سطح جلدة الفم ، وأكثر مايحدث ذلك في الصبيان إذا كان لبن الظئر رديئاً لزجاً ولم يتعهد غسل فمه وإذا لم ينهضم اللبن جيداً وهي سريعة البرء » .

ومن عادة القمري أن يذكر في كل داء أنواعه فأسبابه فعلاماته فعلاجاته بشكل منظم واضح ؛ يبدأ بذكر العام المعروف عند جل

الأطباء ، ثم يذكر الخاص ناقلاً عمن سبقه من الأطباء ماامتازوا به من نكت ونتف ونصائح وملاحظات . وقد تبينت أنه يبدأ بذكر أطباء اليونان وغيرهم من القدامى ثم يذكر أطباء العرب ؛ مَنْ سبقه فالمعاصرين له مراعياً الترتيب الزمني على الغالب . وقد نقل عن كثير من الأطباء عددت منهم أكثر من ثلاثين طبيباً بعضهم من ذوي الشهرة الواسعة كأبقراط وجالينوس واهرن وبولس وارسطاطاليس وروفس وشرك الهندي وثابت وحنين وبختيشوع واليهودي وابن ماسويه والرازي والكندي ... وبعضهم لم يكن من المعروفين المشهورين في ميدان الطب مثل محمد بن علي الريوندي[٥٢] ... وقد أكثر المؤلف من النقل عن الرازي وبدا معجباً به أيما إعجاب حتى إنه وقف آخر أبواب كتابه على نقل مقتطفات من كلام الرازي ، كما أشرت إلى ذلك سابقاً . وأبو منصور القمري بطريقته هذه في النقل يكشف عن أمانة علمية مع وعي ثقافي ؛ فهو يورد المعلومات العامة التي هي ثقافة العصر الطبية غفلاً ، ثم يعزو إلى كل طبيب ماااكتشفه أو أثبته أو جربه أو كان السباق إليه ، وبذلك تزداد أهمية الكناش لدراسة تاريخ الطب العربي خاصة وتاريخ الطب عامة إذ يعرفنا بكل من كان له دور في تطوير الطب وتحسين طرق العلاج . كما يقدم لنا بين باب وآخر فوائد قيمة استنبطها من معاناته الطويلة لهذه المهنة وتجاربه الكثيرة على المرضى ومن أمثلة ذلك :

« قال أبو منصور : رأيت فتى كان إذا جاع ، وخلا بطنه ، ركبته حمى لينة ، فإذا اغتذى زالت الحمى . فعلمت أن في معدته صفراء وأن جوفه إذا خلا تحركت تلك الصفراء فنفذ منها البخار إلى العروق .

فسقيته ماء الفواكه ، فأقامه عدة مجالس[٥٣] ، فزال عنه ذلك العارض ... » .

وفي باب آخر :

« قال أبو منصور : سقيت أنا امرأة حبلى بعدما دخلت في التاسع كل يوم على الريق وزن ثلاثة دراهم دهن اللوز وحميتها الأغذية الغليظة والحريفة والحامضة والقابضة ، وجعلت طعامها لينا دسماً ، فولدت من حينها ، من غير أن تجد من الطلق إلا مالايبالى به ، وذكرت القوابل أنه لاعهد لهن بمثله ، وأن الجنين كان من النظافة في الغاية . والله أعلم » .

ويؤكد القمري على ضرورة تدرج العلاج بحسب طبيعة المرض ثم اتباع العلاج بالدواء العلاجَ بالدلك والتمريخ[٥٤] أو مانسميه الآن المعالجة الفيزيائية ، فنقرأ في علاج الفالج مثلاً :

« قال أبو منصور : ولا ينبغي أن يستعمل الإسهال بالأدوية القوية إلى أربعة أيام فإن كانت العلة ضعيفة فإلى سبعة أيام لأن المسهل القوي يزيد في العلة ... ويسقى بعد الأسبوع الثالث إيارج جالينوس واللوغاذيا والتياذريطوس[٥٥] وإذا دبرت هذا التدبير أياماً فعالجه بتمريخ الأعضاء العليلة وفقار العنق والظهر بدهن القسط بعد التكميد[٥٦] بـ ... فإن كره التكميد دلكت الأعضاء العليلة والفقار بخرقة خشنة حتى يحمر ثم يمرخ بالدهن ... الخ » .

والقمري كأي طبيب متمرس يعرف أن التخلص الكامل من بعض الأمراض أمر مستحيل ولكن هذا لايثني عزيمته عن معالجتها ومحاولة

التخفيف عن مريضه بأية طريقة ممكنة يتقبلها المريض وفيما يلي مثالان على ذلك ؛ الأول في أمراض العين .

« الغرب : إنما يحدث الغرب وهو الناصور[٥٧] في العين بعد قرحة يكون فيها فتبرأ وتمام علاجه بالكي ، ولكن له علاج إذا عولج به أبطله أشهراً حتى يكون كالصحيح ثم يعاود ثم يعالج كذلك يداوى مدى العمر » .

والآخر في أمراض الرأس : البيضة والشقيقة :

« وقد يعتق الصداع في بعض الناس فيهيج بالنوبة ويسمى البيضة فإذا هاج لم يطق صاحبه الصبر ، ولم يقدر أن يبصر الضوء ، واستراح إلى الوحدة والظلمة ، ويظن كأن رأسه يطرق بالمطرقة وكأن الوجع يصل إلى قعر العينين ... وهذا الصداع لايكاد يبرأ ولكن يعالج على كل حال بأن ... » .

وبما أن هدف القمري من تأليف هذا الكتاب أن يُستغنى به عما سواه ، فقد التزم أن يذكر باختصار طريقة صنع الدواء المركب عند ذكر الحاجة إلى استعماله إلا ماكان مبذولاً في كل مكان وكان مع ذلك قليل الاستعمال .

وأخيراً يختم القمري كتابه بقوله :

« قد وفيت إلى هذا المكان من الكتاب بما كنت ضمنته في صدره ، وجعلت على نفسي فيما أظن . إلا أن الذي بقي أكثر من الذي أتيت به ، وفيما أتيت به بلاغ وكفاية في باب العلاج والمداواة ، لأني قد أتيت

بأصولها التي عليها المدار ، وإليها المرجع . ولم أذكر في هذا الكتاب دواء مركباً من معجون أوحب أو قرص أو غيرها مما يحتاج إليه في العلاج إلا وقد أتيت بنسخته فيه ، إلا الترياق الكبير[٥٨] والشليثا[٥٩] فقط إذ كان يوجد ذلك في كل مكان ، وكانت الحاجة مع ذلك إليهما تقل . وفيما أتيت به من تلك النسخ غنية عن الرجوع إلى القرافاذينات[٦٠] . ولله الذي ألهمني هذا العلم وهداني إليه ووفقني له الحمد والمنة » .

ماأقل الكتب التي يفي مؤلفها بما يعدنا به في بدايتها . أما أبو منصور فقد كان عند قوله مادة ومنهجاً . ومـاأحسن أن ينشر هذا الكتاب ليحتل مكانه في تراثنا العربي الخالد .

التعليقات والحواشي

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مج ٢ : ١٢١٠ ، ١٧٥٠ .

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الطب والصيدلة : ٢٤٢ ، ٢٤٦ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٢ : ٢٨٣ ط . فيسبادن ورأيته مضبوطاً هكذا أيضاً في نسخته المخطوطة نسخة أحمد الثالث . وأشير هنا إلى أن الصفدي لم يذكر سنة وفاته مع أن كتابه مؤلف لهذه الغاية .

(٤) انظر في ذلك تاج العروس للزبيدي (قمر) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٧ : ١٥٩ (قُمْر) ، والأنساب للسمعاني ١٠ : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، واللباب لابن الأثير ٣ : ٥٤ ، والإكمال لابن ماكولا ٦ : ٣٦٦ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر : ١١٧٦ .

(٥) خدم ملوك السامانيين . ويبدو أنه ألف كتابه الشمسية المنصورية لمنصور بن نوح الساماني الذي ولي أمر خراسان وما وراء النهر من سنة ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ وكانت بخارى عاصمة له . انظر بروكلمان ١ : ٢٣٩ والكامل لابن الأثير : ٨ : ٥٣٥ ، ٦٧٣ ومعجم الانساب والاسرات الحاكمة لزامباور ٢ : ٣٠٦ .

(٦) عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي من خسروشاه وهي قرية قرب تبريز ، حكيم طبيب أتقن العلوم الشرعية ، وهو من أجل تلامذة الإمام فخر الدين ابن خطيب الري .
اتصل بالسلطان الناصر صلاح الدين وأقام عنده بالكرك وكان عظيم المنزلة عنده ثم توجه إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفي سنة ٦٥٢ هـ ودفن بجبل قاسيون . لقيه ابن أبي أصيبعة وأعجب به . انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢ : ١٧٣ ـ ١٧٤ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ : ١٠٣ وغيرهما .

(٧) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٨) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور ، اختُلِف في تحديد سنة وفاته فهي سنة ٣١٠ في مرآة الجنان لليافعي ٢ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، وبعد سنة ٣١٠ في التنبيه والإشراف للمسعودي : ١٦٢ ، وسنة ٣١١ في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٠٣ وشذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٢٦٣ والبداية والنهاية لابن كثير ١١ : ١٤٩ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣ : ٢٠٩ ونكت الهميان للصفدي : ٢٥٠ وهدية العارفين لاسماعيل البغدادي ٢ : ٢٧ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ : ٦ . وقال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي عندما ترجم له (طبقات الامم : ٥٣) : « وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلاث مئة » ، وجاء في أخبار الحكماء للقفطي ص ٢٧٢ عند الحديث عنه : « .. وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلاثمئة هذا قول القاضي صاعد بن حسن (لعل الصواب :ابن أحمد) الأندلسي وذكر ابن شيران (لعل الصواب : ابن بشران) في تأريخه أنه توفي سنة أربع وستين وثلاثمئة ... » وفي عيون الأنباء ١ : ٣١٤ « .. وقال أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا وكان قريب العهد منه إن الرازي توفي في سنة نيف وتسعين ومئتين أو ثلاثمئة وكسر قال : والشك مني ، وتقلت من خط بلمظفر بن معرف أن الرازي توفي في سنة عشرين وثلاثمئة ، وقال عبيد الله بن جبريل كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي له المنزلة الجليلة بالري وسائر بلاد الجبل ، قال وعاش إلى أن لحقه ابن العميد أستاذ الصاحب بن عباد وهو كان سبب إظهار كتابه المعروف بالحاوي ... » .

وأدق من كل ماذكر مانقله بروكلمان في تاريخ الأدب العربي : الذيل ١ : ٤١٧ وفؤاد السيد في تعليقاته على طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل : ٧٧ من رسالة للبيروني في فهرست كتب الرازي من أن هذا الأخير قد توفي في ٥ شعبان سنة ٣١٣ هـ = ٢٥ اكتوبر سنة ٩٢٥ م . نشر رسالة البيروني المذكورة بول كراوس سنة ١٩٣٦ م .

(٩) انظر ترجمته التي رواها عنه تلميذه أبو عبيد الجوزجاني في تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٥٢ ـ ٥٧ ، وعيون الأنباء ٢ : ٢ ـ ٢٠ وغيرهما . وقد طبعت هذه الترجمة مستقلة بدمشق سنة ١٩٨٢ م . بتحقيق الأستاذين فريد جحا ومحمد الفاخوري .

(١٠) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(١١) بروكلمان ١ : ٢٣٩ والذيل ١ : ٤٢٤ (الترجمة العربية ٤ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠) .

(١٢) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(١٣) فهرس مخطوطات الظاهرية ٢٤٢ .

(١٤) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢ : ٥٦ ـ ٥٧ .

(١٥) من الموسوعات التي لم أجد فيها ترجمة للقمري :

الموسوعة الإسلامية — Encyclopédie de l' Islam
Brill 1913 - 1934

موسوعة لاروس الكبرى — La grande encyclopédie , Larousse

الموسوعة الشاملة — Encyclopædia universalis
Paris 1970 - 1975

الموسوعة العالمية — Encyclopedia international.
New york

الموسوعة البريطانية الحديثة — The new Encyclopædia Britanica in 30
volumes . Macropædia .

(١٦) من هذه الكتب التي لم أجد فيها ترجمة للقمري : الأعلام للزركلي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والإكمال لابن ماكولا ، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وكذلك معجم البلدان لياقوت الحموي في : (قُمْر) و (بخارى) .

(١٧) من هذه الكتب التي لم أجد فيها ترجمة للقمري : طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .

(١٨) تجد بحثاً عنه للدكتور نشأة حمارنة في مقالة له بعنوان المعجمات الطبية . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٠ ج١ : ١١٨ ـ ١٢٣ .

(١٩) بروكلمان ، الذيل ١ : ٤٢٥ .

(٢٠) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(٢١) فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي بحلب ص : ٢٤٩ .

(٢٢) انظر بروكلمان ، الذيل ١ : ٤٢٥ وسزكين ٣ : ٣١٩ .

(٢٣) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(٢٤) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(٢٥) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٢٦) الكُنَّاش مصطلح كثر استعماله في مجال الطب بمعنى الكتاب الموجز الذي يحوي معلومات وفوائد يحتاجها الطبيب في عمله . جاء في تاج العروس (كنش) : « والكناشات بالضم والشدّ : الأصول التي تتشعب منها الفروع نقله الصاغاني عن ابن عباد . قلت ومنه الكناشة لأوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً وأكنشه عن الأمر أعجله نقله الصاغاني عن ابن عباد » . ويقال إن أصل التعبير سرياني فقد « جرت العادة عند الأطباء السريان أن يقوم كل واحد منهم بوضع كتيب يكون بمثابة دفتر مذكرات خاص به يذكر فيه أسماء الأمراض التي تصيب جسم الإنسان من الرأس إلى القدم وإلى جانب كل مرض يذكر أسماء الأدوية المفردة والمركبة الناجعة فيه ... وهكذا أصبح الكناش كتاب الأطباء ... » أقرباذين القلانسي ، مقدمة الدكتور زهير البابا ص : ٥ وانظر طبقات الأمم ص ٦١ تعليق رقم ٦ ، ومقالة الدكتور نشأة حمارنة : مقدمة حول طب العيون العربي ، مجلة التراث العربي العدد ١٧ : ص ١٨١ التعليق رقم ٢١ ومحيط المحيط (كناش) .

(٢٧) الظاهر من السياق أنه يريد بالمتعينين في صناعة الطب المبرزين المتخصصين فيها جاء في اللسان (عين) : « تخصيص الشيء تعيينه » وفي مستدرك التاج (عين) : « تعيين الشيء تخصيصه من الجملة » .

(٢٨) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٢٩) كشف الظنون ٢ : ١٢١٠ حيث قال « الغنا في الطب مجلد للحكيم أبي منصور حسين بن نوح القمري رتب على ثلاث مقالات : الأولى في الأمراض الحادة ، الثانية في العلل الظاهرة ، الثالثة في الحميات » .

(٣٠) كشف الظنون ٢ : ١٧٥٠ .

(٣١) بروكلمان ١ : ٢٣٩ وكذلك الفهرس لحمارنة ص ٢٤٢ نقلاً عن ويستنفيلد الذي يقول إنه ترجم إلى اللاتينية تحت العنوان : Liber vitae et mortis وانظر لوكلير : تاريخ الطب عند العرب (بالفرنسية) ١ : ٣٨٥ .

(٣٢) سورة الأعراف : ٩٢ وتمام الآية « الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » وانظر كذلك سورة هود : ٦٨ و ٩٥ .

(٣٣) سورة يونس : ٢٤ .

(٣٤) لسان العرب (غني) .

(٣٥) تاج العروس (غني) .

(٣٦) المقصود بقولهم (بالياء) أنها ترسم بالألف المقصورة ـ حسب اصطلاحنا المعاصر ـ أي ياء غير منقوطة .

(٣٧) لسان العرب (مني) .

(٣٨) لسان العرب (مني) .

(٣٩) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(٤٠) فهرس مخطوطات الظاهرية : ٢٤٣ .

(٤١) فهرس مخطوطات الظاهرية : ٢٤٤ .

(٤٢) يقول الدكتور سامي حمارنة إن هذه الأوراق هي كل ماوجده من مؤلفات الرازي الطبية في دار الكتب الظاهرية . الفهرس : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٤٣) ينقسم كتاب التنوير إلى عشرة أبواب : الأول منها في أسامي العلل الحادثة من الفرق إلى القدم ، والثاني في أسامي العلل الحادثة في سطح البدن . المعجمات الطبية : ١١٩ .

(٤٤) نقلها د . سامي حمارنة في الفهرس : استرابال وأظن الصواب ماأثبته و « أَسْتَراباذ بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناة من فوق وراء وألف وباء موحدة وألف وذال معجمة بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقاً من أهل العلم في كل فن ، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان ... » معجم البلدان ١ : ٢٤٤ .

(٤٥) اعتمدت في كل مانقلته من الكتاب في هذه الدراسة على نص نسخة الظاهرية رقم : ٧٨٨٣ .

(٤٦) « الجُمَّل : ... حساب الحروف المجائية المجموعة في أبجد ومايليها يبتدئ من الهمزة إلى الطاء بالآحاد وهي من الواحد إلى التسعة ، ومن الياء إلى الصاد بالعشرات وهي من العشرة إلى التسعين ، ومن القاف إلى الغين المعجمة بالمئات وهي من المئة إلى الألف . ويقال له حساب الأبجدية وعليه تبنى التواريخ الشعرية التي يراد بها بيان وقوع الحادثة في أية سنة من تاريخ الهجرة أو غيرها ، فيؤتى بكلمات تنطبق الأعداد المفروضة لحروفها على أعداد سنوات هذا التاريخ .. » محيط المحيط لبطرس البستاني (جمل) وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ : ٢٥٣ والكليات للكفوي ٢ : ١٧٤ وتاج العروس واللسان (جمل) وفيها : « قال ابن دريد لا أحسبه عربياً » .

(٤٧) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٤٨) أي من الورقة ٣ إلى الورقة ٢٧٦ .

(٤٩) من الورقة ٢٧٦ إلى الورقة ٣٢٤ .

(٥٠) من الورقة ٣٢٩ إلى الورقة ٣٩٦ .

(٥١) مآثر العرب في العلوم الطبيعية . مقالة للدكتور سامي حداد . مجلة العروة عدد كانون الأول سنة ١٩٣٦ م . ص : ٥٢ .

(٥٢) وقع التصحيف في بعض الأسماء مثل : علي بن ربن الطبري فقد كتب اسمه غالباً في جميع نسخ الظاهرية : علي بن زين بالزاي والياء المثناة والصواب رَبَّن بالراء والباء الموحدة المشددة ، والرَبَّن هو المقدم في شريعة اليهود . انظر عيون الأنباء ١ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ وتاج العروس (ربن) .

(٥٣) أقامه عدة مجالس أي أسهله ، والمجلس « كناية عن القومة الواحدة للبراز » مفيد العلوم : ٨٢ .

(٥٤) « المَرْخ هو من اللغة الدهن يقال مرخته ومرَّخته بتخفيف الراء وتشديدها وتَمَرَّخ هو أي تَدهَّن وفي استعمال الأطباء لهذا اللفظ معنى زائد عليه وهو ضغط يسير لايبلغ أن يسمى دلكاً ، وإذا لم يريدوا هذا المعنى الزائد قالوا : دهنته » مفيد العلوم : ٧٨ وانظر اللسان والتاج (مرخ) .

(٥٥) الإيارج : اسم للدواء المركَّب المسهل إسهالاً خفيفاً مصلِحاً . والكلمة يونانية تفسيرها الدواء الإلهي ، وأنواع الإيارجات كثيرة وكلها أدوية تمزج مزجاً ولاترفع على النار ، وقد تسمى باسم الطبيب الذي صنعها مثل : جالينوس ولوغاذيا ، أو باسم من صُنِعَت له مثل ثياذريطوس الملك اليوناني . القانون ٣ : ٣٤٠ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٦١ ـ ٦٢ ، ٩٨ ، وأقرباذين القلانسي : ٥٢ .

(٥٦) « التكميد والإكاد والكماد : وضع الدواء اليابس المسخن أو الخرق المسخنة على العضو الألِم .. » مفيد العلوم : ٢٤ وانظر اللسان والتاج (كمد) .

(٥٧) « ناصور بالصاد ويقال بالسين عربيتان وهو القرحة الفاسدة الباطن التي لاتقبل البرء مادام فيها ذلك الفساد حيثما كانت من البدن » مفيد العلوم : ٨٦ .

وفي تعريف الثعالبي للغرب « ... هو عند الأطباء أن ترشح مآقي العين فيسيل منها إذا غمزت صديد وهو الناصور أيضاً » فقه اللغة : ١٠٠ .

وفي اللسان والتاج (نسر) « الناسور بالسين والصاد جميعاً علة تحدث في المآقي تسقي فلا تنقطع ... وهو معرّب .. » .

(٥٨) الترياق بالكسر ويقال بالدال أيضاً : هو كل دواء مركب يقاوم السموم . والكبير منه هو ترياق الأفاعي الذي يدخل في تركيبه لحم الأفاعي . مفيد العلوم : ٢٥ أقرباذين القلانسي : ٤٨ وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٨٨ ـ ٩١ .

واللفظة يونانية مشتقة من تريوق على رأي القلانسي ، أو هي فارسية معربة كما في اللسان والتاج (ترق) « وزعم الأزهري أن الترياق اسم تِفعال سمي بالريق لما فيه من ريق

الحيات » انظر اللسان والتاج (ريق) .

(٥٩) الشليثا : دواء مركب معجون . ذكر القلانسي أنه رأى في بعض الكتب الطبية أنه يسمى الإلهية لأن الشليثا بلسان اليونانيين هبة الله تعالى . أقرباذين القلانسي : ٥٠ .

(٦٠) ويقال الأقرباذينات والقراباذينات وهي « كلمة يونانية الأصل انتقلت إلى اللغة العربية عن طريق السريانية في صدر الدولة العباسية ويقصد بها الكتاب الذي نطلق عليه في الوقت الحاضر اسم دستور الأدوية Phrmacopée أو كتاب الصيغ الدوائية Formulaire ويضم كلا الكتابين الأدوية المركبة إلا أن الكتاب الأول يمتاز بوجود طرق تحضير العقاقير والأدوية المركبة مع طرق فحصها ومعايرتها وحفظها ومقاديرها الدوائية » أقرباذين القلانسي . مقدمة د . زهير البابا ص ٥ ، وانظر جامع العلوم للأحمد نكَري ٢ : ٦٦ ودائرة معارف القرن ١٤ ـ العشرين لمحمد فريد وجدي مج ١ : ٤٣٢ .

أهم المراجع والمصادر

١ ـ المخطوطة

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٨٣

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٨٩

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٦٤

ـ الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي نسخة أحمد الثالث . من مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق .

٢ ـ المطبوعة بالعربية

ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء تأليف أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ط . ليبسك سنة ١٣٢٠ .

ـ أقرباذين القلانسي تأليف بدر الدين محمد بن بهرام القلانسي السمرقندي . تحقيق د . محمد زهير البابا . معهد التراث العلمي العربي بحلب سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

ـ الإكال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب تأليف الأمير الحافظ ابن ماكولا ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي . بيروت .

ـ الأنساب تأليف عبد الكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ـ بيروت .

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، تأليف إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي . ط . وكالة المعارف ١٩٤٥ ـ ١٣٦٤ .
- البداية والنهاية ، تأليف اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي . ط ١ ، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .
- تاج العروس من جواهر القاموس تأليف محمد مرتضى الزبيدي ط ١ .
- تاريخ حكماء الإسلام ، تأليف ظهير الدين البيهقي ، تحقيق محمد كرد علي . ط . المجمع العلمي العربي .
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تأليف أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق محمد علي البجاوي . ط مصر .
- التنبيه والإشراف ، تأليف علي بن الحسين المسعودي . ط . ليدن ، بريل ١٨٩٣ م .
- جامع العلوم في اصطلاحات العلوم والفنون تأليف عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ط . حيدر آباد الدكن .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تأليف عبد الحي بن العماد الحنبلي . ط . القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- طبقات الأطباء والحكماء ، تأليف سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ، تحقيق فؤاد السيد . ط . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ م .
- طبقات الأمم ، تأليف القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ، تحقيق لويس شيخو ط . المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩١٢ م .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تأليف أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة . ط . ١٢٩٩ هـ .
- فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الطب والصيدلة ، وضعه د . سامي خلف حمارنة . ط . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .
- القانون في الطب ، تأليف الحسين بن عبد الله بن سينا طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة بولاق .
- الكامل في التاريخ ، تأليف عز الدين بن الأثير ط . دار صادر بيروت ١٩٦٦ م .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة . ط . وكالة المعارف ١٩٤١ م ـ ١٣٦٠ هـ .
- كشاف اصطلاحات الفنون ، تأليف محمد أعلى بن علي التهانوي ط . كلكتة ١٨٦٢ ع .
- الكليات ، تأليف أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق د . عدنان درويش ومحمد المصري من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٤ م .
- اللباب في تهذيب الأنساب ، تأليف عز الدين بن الأثير . ط . دار صادر بيروت .

ـ لسان العرب ، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الافريقي . ط . دار صادر . بيروت .
ـ مآثر العرب في العلوم الطبية ، تأليف د . سامي حداد . محاضرة نشرت في مجلة العروة ، عدد كانون الثاني سنة ١٩٣٦ م .
ـ محيط المحيط ، تأليف بطرس البستاني ، طبعة بالأوفست نقلاً عن طبعة ١٨٧٠ م .
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، تأليف عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي . ط . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت .
ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم ، تأليف أحمد بن محمد بن الحشّاء ، تحقيق جورج كولان وب . ج رنو من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية . رباط الفتح ١٩٤١ م .
ـ مقدمة حول طب العيون العربي ، تأليف د . نشأة حمارنة ، مقالة من مجلة التراث العربي ، العدد ١٧ ص ١٥٣ ـ ١٨٥ .
ـ المعجمات الطبية ، تأليف د . نشأة حمارنة ، مقالة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٠ ج ١ ص : ١٠٤ ـ ١٢٣ .
ـ معجم البلدان ، تأليف ياقوت بن عبد الله الحموي . مطبعة السعادة . مصر .
ـ معجم المؤلفين ، تأليف عمر رضا كحالة مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف يوسف بن تغري بردي . ط . دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .
ـ نكت الهميان في نكت العميان ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . ط . مصر ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م .
ـ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف اسماعيل باشا البغدادي ، ط . استانبول سنة ١٩٥١ م .
ـ الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . ط . فيسبادن ١٩٧٩ م .
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أحمد الشهير بابن خلكان ط . بولاق ١٢٩٩ هـ .

٣ ـ الأجنبية

- Geschichte der Arabischen litteratur .
Prof . Dr C . Brockelmann . Leiden E . j . Brill 1937
Erster supplementband 1937 .

- Geschichte des Arabischen schrifttums .
Fuat Sezgin . leiden E . j . Brill 1970

(التعريف والنقد)

نظرات في نظرات

٣

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

١١ - تصدّى الأستاذ في الفقرة (٤٧) لتقويم ما رآه منحرفاً في هـذين البيتين :

فيصبح باليه جديداً ونبته   أفيفاً وينمي ماله حين يسرح
أرى فزعاً غُرّاً يبشّرنَ بالحيا   ينتّج في أوطان ميّ ويلقح

فقال في البيت الأول : « أرى أن « أفيفاً » بالفاء تحريف « أثيثاً » بالثاء ، والنبت الأثيث الكثير الملتف » .

ولا شك أن الشاعر إنما أراد « أثيثاً » ولكن إذا صحّ أن الثابت في أصل كتاب الهجري « أفيفاً » بالفاء فإن له وجهاً . وذلك أن الثاء والفاء من حروف المعاقبة وقد ذكر أصحاب اللغة مما تعاقبا فيه حروفاً جمة ، من نحو « جدث » و « جدف » و « لثام » و « لِفام » و « حثالة » و « حفاله » . انظر القلب والإبدال ، لابن السكيت ، ص : ٣٤ ـ ٣٦ (ط . هفنر في الكنز اللغوي) وص : ١٢٥ ـ ١٢٧ (ط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة) والإبدال ، لأبي الطيب ١ : ١٨١ ـ ٢٠٠ . غير أني لم أصب نصاً على تعاقبهما في « أثيث » . ومع ذلك لا يبعد أن يكون الإبدال فيه لغة قائل هذا الشعر أو لغة من أنشده ، فقد تعاقبت الثاء

● نشر القسمان الأول والثاني من المقال في مجلة المجمع (مج ٥٩ ص ٥٨٧ ، مج ٦٠ ص ٣٠٢) .

والفاء ـ كما يقول الفراء ـ في كثير من الكلام ، انظر كتابه معاني القرآن ١ : ٤١ ، و ٣ : ٢٤١ . ويؤنس بذلك أنّ أهل البحرين اليوم كثيراً ما يبدلون الثاء فاء ، ومن ذلك أنهم يقولون « فلافة » بدل « ثلاثة » أخبرني بذلك الأخ الأستاذ علي التاجر وغيره من البحرانيين .

وأمّا البيت الثاني فقال الأستاذ فيه : « أرى « فزعاً » بالفاء تصحيف « قَزَعاً » بالقاف ، وهو السحاب المتفرّق ، وأن « غُرّاً » تصحيف « غَمْراً » بالميم بعد الغين ، وهو الماء الكثير الذي يغمر ويغطي ، أو البحر ، ووصف القزع وهو جمع بالغمر وهو مفرد معروف في لغة العرب ، كقوله تعالى : ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ ـ (التحريم / ٤) وكقول زهير :

وإن يشتجر قوم يقل سرواتهم هُم بيننا فهمْ رضىً وهُم عَدْلُ »

وما ذهب إليه الأستاذ من أن « فَزَعاً » تصحيف « قَزَعاً » صواب محض . وأما أن يكون « غُرّاً » تصحيف « غَمْراً » فما أعرف أن السّحب توصف بـ « الغمارة » وما ذكره من أن وصف الجمع بالمفرد معروف في لغة العرب لا يصحّ على إطلاقه . والشاهدان اللذان احتجّ بهما وقع فيهما الإخبار عن الجمع بالمفرد لا وصف الجمع بالمفرد ، ولكن لا ضير في ذلك ، فإن حكم الصفة والخبر في هذه البابة واحد ، ومع ذلك لا حجة له فيهما لما سيأتي بيانه . والصحيح في المسألة أن الصفة ـ ما لم تكن سببية رفعت اسماً ظاهراً ـ ينبغي أن تطابق موصوفها في الإفراد والتثنية والجمع ، وفي التذكير والتأنيث . انظر بسط ذلك في شرح المفصل ٣ : ٥٤ ـ ٥٦ وغيره من مطوّلات النحو . وكذلك حكم الخبر مع المخبَر عنه ما لم يكن سببياً رفع اسماً ظاهراً أيضاً . ويخرج عن ذلك الوصف والإخبار بالمصدر ، فإنه

يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، نحو قولهم : « رجلٌ كَرَمٌ » و « امرأة كَرَمٌ » وكذلك يقولون في مثنييها وجمعيها أيضاً . ولأصحاب العربية في تأويل ذلك مذهبان . أحدهما : أنه على تقدير مضاف محذوف مطابق للموصوف أو المخبَر عنه . وعلى هذا يكون قولهم : « رجل كَرَم » .... و « رجال كَرَمٌ » في تقدير « رجل ذو كرمٍ » .... و « رجال أولو كَرَمٍ » . والمذهب الآخر - وهو اختيار المحققين - أنهم جعلوا الموصوف والمخبر عنه الحدث نفسه (المصدر) على وجه الاتساع والمبالغة . انظر في ذلك كتاب سيبويه ١ : ١٦٩ ، والمقتضب ٣ : ٢٣٠ ، والخصائص ٢ : ٢٠٢ - ٢٠٤ و ٣ : ١٨٩ ، والمحتسب ٢ : ٤٣ ، ٤٥ - ٤٦ ، وأمالي ابن الشجري ١ : ٧٠ - ٧١ ، وشرح المفصل ١ : ١١٥ و ٣ : ٤٩ - ٥٢ ، وشرح الكافية ١ : ٣٠٦ ، والخزانة ١ : ٢٠٧ . وأما قوله تعالى : ﴿ والملائكةُ بعد ذلك ظهيرٌ ﴾ [سورة التحريم : ٤] فلا حجة له فيه من قبل أن ما كان من بناء « فَعول » أو « فعيل » فإنه يجري على المفرد والمثنى والجمع بلفظ الواحد ، أو كثيراً ما يكون كذلك . ومن الأوّل لفظ « عدوّ » في قوله تعالى : ﴿ فإنهم عدوّ لي إلا ربّ العالمين ﴾ [سورة الشعراء : ٧٧] وغيره من الآي ، ومن الآخر الآية التي احتجّ بها الأستاذ ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً ﴾ [سورة النساء : ٦٩] وقوله : ﴿ وخَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ [سورة يوسف : ٨٠] ومثل ذلك في القرآن والشعر كثير . انظر معاني القرآن ، للأخفش ١ : ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، وتفسير الطبري ٢٨ : ١٠٥ (ط . بولاق) و ٨ : ٥٣٢ - ٥٣٣ و ١٦ : ٢٠٤ - ٢٠٥ (بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر) والكشاف ١ : ٤١١ و ٢ : ٣٨٤ و ٣ : ٢٥١ ط . المكتبة التجارية) ومجمع البيان ٣ : ٢٥٤ و ٥ : ٣١٣ ، والبحر

المحيط ٣ : ٢٨٨ و ٥ : ٣٣٥ و ٨ : ٢٩١ . وانظر أيضاً « باب ما يكون واحداً يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد » في المخصص ١٧ : ٢٩ ـ ٣٥ .

وبعدُ فإن « غُرّاً » في البيت صحيح لا شبهة فيه ، وإنما أراد الشاعر « قزعاً بيضاً » فإن « غُرّاً » جمع « أغرّ » ـ وهو الأبيض ـ ومؤنثه : « غرّاء » . وما أدري ما الذي راب الأستاذ في هذا اللفظ حتى اتّهمه بالتصحيف مع أن وصف السحائب بذلك معروف وليس بنادر ، يحضرني من شواهده قول الحطيئة (ديوانه ٢٤٨ ، واللسان : غمم) :

إذا غبتَ عنا غابَ عنّا ربيعُنا ونُسْقَى الغمامَ الغُرَّ حين تؤوبْ

وقول توبة بن الحميّر (الأغاني ١١ : ٢٠٨) :

حمامةَ بَطْنِ الواديين تَرنّمي سقاكِ من الغُرّ الغوادي مطيرُها

وقول ابن ميادة (أساس البلاغة ـ نحر) :

أطاعَ لها نبتُ الخُزامى وجادَها بأوطانِها غُرُّ السَّحابِ المشهّر

وقول آخر (أساس البلاغة ، واللسان : نفى) :

كأنّك بالمباركِ بعدَ شَهْرٍ يناغي موجُه غُرَّ السّحابِ

وقول أبي الطيب :

سقاها الغمامُ الغُرُّ قبلَ نُزولِه فلمّا دنا منها سقتْها الجماجمُ

١٢ ـ قال الأستاذ في الفقرة (٤٩) : « وفي (ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨) روى المجريّ لعمرو بن المسلّم قوله :

أقمتُ زماناً بالمدينة راجناً أباصرُ ما والي أمية صانعُ

نهاري نهار الناس حتى إذا دجا لي الليل هزّتني إليك المضاجعُ
أعلّل نفسي بالحديث وبالمنى ويجمعني والهمّ بالليل جامع
ليرزقنك الله من بين خلقه أم أنت من الرزق الذي الله مانعُ

وقال الأستاذ المحقق في الأبيات إنه لم يجدها « في المصادر الأدبية المختلفة » . قلت : إن كان الهجري رواها لعمرو بن المسلّم ، فهي مروية ـ عدا البيت الأخير ـ لابن الدمينة كما في ديوانه (٨٨ ـ ٩٠) [الصواب : ٨٧ ـ ٨٨] وكما في الأغاني (١٧ / ٩٩ ـ ١٠٠) وكما في مراجع أخرى ذكرها محقق ديوانه .... » .

قلت : وقد زدت في تخريجي لقصيدة ابن الدمينة في ديوانه ، ص : ٢٣٥ على ماذكر الأستاذ أن البيتين ٣ ، ٤ ـ وهما الثالث فالثاني مما أنشده الهجري لعمرو بن المسلّم ـ قد نسِبا ايضاً إلى المجنون في مصادر سمّيتها ثمة ، ونسبا إلى قيس بن ذريح في روايات أخر منها رواية القالي لقصيدته الطويلة في أماليه ٢ : ٣١٤ ـ ٣١٧ ، وإحدى روايات الأغاني ٩ : ٢١٧ ، غير أن أبا الفرج صحّح القول بأنهما لابن الدمينة . وأزيد هنا أن أبا بكر بن الأنباري رواهما في الزاهر ١ : ٢٥١ لابن الدمينة أيضاً ومعهما ثالث بعدهما ، وهو :

أبى الله أن يلقى الرشاد متيَّمٌ ألا كلُّ أمر حمّ لا بدّ واقع

وهذا البيت ثابت لقيس بن ذريح في رواية القالي وأبي الفرج لقصيدته . وانظر كتاب « قيس ولبنى ـ شعر ودراسة » للدكتور حسين نصار ، ص : ١٠٠ وما بعدها .

وقد فات الأستاذَ أن ينبه على أن البيت الأخير مما رواه الهجري لا يصح ـ كما أثبته الناشر ـ وزناً ولا معنى ، وصوابه فيما أقدّر :

أَيَرْزُقُنِيكِ اللهُ من بَيْنِ خَلْقِهِ   أَمَ انتِ من الرّزق الذي الله مانعُ

وعجز البيت لا يتّزن بتحقيق الهمزة في « أنت » كما نقله الأستاذ ، بل لابدّ لاتّزانه من حذفها بعد نقل حركتها إلى الميم الساكنة قبلها كما أثبتّه .

وقال الأستاذ في هذه الفقرة أيضاً : « والبيت الأول فيه « راجناً » وهو تصحيف « راجياً » وروايته في ديوان ابن الدمينة :

أقمتُ على رَمّان يوماً وليلةً   لأنظر ما واشي أميةَ صانعُ

وفي الأغاني « زمّان » بالزاي بدل « رمان » بالراء وأظنها تصحيفاً . ورواية « واشي » في الديوان والأغاني جيدة ، ولكن « والي » التي رواها الهجري لا تقلّ عنها جودة ، والتصحيف بينهما ممكن » .

وكنتُ علّقت على هذا البيت في ديوان ابن الدمينة ، ص : ٨٧ أن رواية الهجري له ـ وقد كان مخطوط كتابه من مراجعي :

أقمتُ زماناً بالمدينة راجياً   أباصر ما واشي أمية صانع

وقد أكون سهوتُ في النقل فأثبتُّ في عجز البيت « ماواشي » بدل « ماوالي » وليس تحت يدي مصوّرة عن الكتاب فأتحقق الأمر ، ولعل الناشر لم يثبت إن شاء الله إلا صواباً .

وأما « راجياً » في صدر البيت فهكذا كنت قرأته ، فإن صحّ أن في أصل كتاب الهجري « راجناً » بالنون فإن له وجهاً لا يُقْطَع معه بأنه تصحيف . وذلك أن يكون « فاعلاً » من قولهم : « رجن بالمكان » أي أقام به ، فيكون على هذه القراءة قد وقع حالاً مؤكّدة لعاملها : « أقمتُ » وأما على قراءة « راجياً » فيكون حالاً مؤسّسة .

١٣ ـ وفي الفقرة (٥٥) تكلّم الأستاذ على بيتين رُدّدت نسبتها بين

توبة والمجنون ، وهما :

أمــا وأبي ليلى لقــد كنتُ مرّةً أحبّ غـدوّاً نحـو ليلى أزورهــا
ولكن ليلى قطعتْ كلّ مرّةٍ وكل قـوى حبّاً قـديمـاً نغيرهـا

قال في البيت الأول : « و « مرّة » من البيت الأوّل أجدها « مدّة » بالدال وبضم الميم . أي أنه ظلّ مدّة يخبّ فرسه أو بعيره لزيارة ليلى »

ولفظ « مَرّة » ليس بمحرّف كما قال الأستـاذ ، بل هو الصحيح الـذي لا ريب فيه ، إنما أراد الشاعر « مرّة من الـدهر » أي حينـاً منـه ؛ يـدلّ على ذلك أبين الدلالة قولُ حميد بن ثور (ديوانه ، ص : ٨٨) :

وقد كنتُ في بعض الصّبـاوة أتّقي أمـوراً وأخشى أن تـدور الـدوائرُ
وأعلمُ أنّي إن تغطّيتُ مَرّةً من الدّهرِ مكشوفٌ غطائي فناظر

ونحوه قول جميل (ديوانه ، ص : ٦٥) :

وهلْ ألقينْ سعدى من الـدّهر مرّةً ومارثّ من حَبْل الصّفاء جـديـدُ

وقولُه (ديوانه ، ص : ١٧٧) :

أجــدّيّ لا ألقى بثينـــةَ مرّةً من الدهر إلا خائفاً أو على رَحْل

ومما جاء فيه لفظ « مرّة » مجرّداً بمعنى « الحين » قول عمرو بن معديكرب (شعره ، ص : ١٢٦) :

كانتْ قريشٌ تحمــــلُ الخمرَ مرّةً تجـاراً فـأضحتْ تحمل السُّمَّ منقعـاً

وقولُ جميل (ديوانه ، ص : ١٠٠) :

وقــد كان ممّن يسكنُ الربعَ مرّةً جميـلُ المحيّـا قـاصرُ الطَّرْفِ فـاترُهْ

وقولُ يزيد بن الطثرية (شعره ، ص : ٣٧) :

وقـالـوا لقـد كنّـا نَعـدُّك مرّة جليـداً ومـا هـذا بفعـلِ فتىً جَلْـد

هذا ، وقول الأستاذ في شرح البيت : « أي أنه ظل مدّة يخب فرسه أو بعيره لـزيـارة ليلى » يـؤذن بـأنـه يرى « أحبّ » في البيت تصحيف « أُخِبّ » بالخاء ولكنه سها عن ذكر ذلـك . ومـا رآه أشبه بـالصواب . وأحَبُّ إليّ منـه أن يكـون « أَخُبّ ـ بفتـح الهمـزة ـ مضـارع « خبّ » المجرّد ، أي أُسْرِع ، فيستغني عن تقـدير مفعـول بـه . وأمـا المصـدر « غُدُوّاً » ـ وقد أغفله الأستـاذ في شرح البيت ـ فيكون على كلا الوجهين واقعـاً موقع الوقت ، أي وقت الغُـدُوّ ، كما في قولـه تعـالى : ﴿ يُسَبِّحُ لـهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رجال ﴾ [سورة النور : ٣٦ ـ ٣٧] .

وأمـا البيت الثـاني ـ والخلـل بيّن في عجـزه ـ فلم يـزد الأستـاذ في محاولته تقويمـه على أن قـال : « .... و « حُبّـاً » بـالنصب الصوابُ فيهـا « حُبٌّ » بالجر » ولم يلتفت إلى ما وراء ذلـك وفيـه مـا ينبو عنـه الطبع وتنكره البـديهـة . وذلـك أن قولـه : « قـديمـاً » لا يصح بحكم معنـاه أن يكون ظرفـاً لفعل مضـارع ـ وهو هنـا قولـه : « نغيرهـا » ـ إلا أن يقـع خبراً لـ « كان » . وهـذا يـوجب أن يكـون الصـواب في عجـز البيت : « وكلَّ قوىً كُنّـا قـديمـاً نغيرهـا » . وظني أن هـذا هـو الثـابت في أصـل الكتاب إلا أن الناشر حرّف « كُنّا » فصيرّها « حُبّاً » . ومن الغريب أن يـذهب هـذا عن الأستـاذ وقـد هـداه طبعـه في شرحـه للبيت إلى الوجـه الصحيـح في العبـارة عن هـذا المعنى فقـال : « والمعنى أن ليلى قطعت كل حبل للوصل ، وجميع قوى الحب التي كُنّا قديماً نشدّ فتلها » .

١٤ ـ قـال الأستـاذ في الفقرة (٥٨) : « وفي (ص ٢٥٥) قصيـدة لعبد الله بن أبي صبح المزنيّ[١] جاء فيها :

وحيٌّ بني لقمانَ فـالحيُّ حيرة   وتقرأ عليهمْ من تحيّتنـا مثـلا

وأظنّ أن الصواب « وحيٍّ » و « فالحيَّ » بالنصب منهما[٢] لا الرفع ، لأنّهما في موضع العطف على البيت قبله :

تبلّغ يعقوبَ بن يحيي رسالـة   وعمراً وشبـلا أودع الله لي شبـلا

و « تقرأ » حقه الرفع وبه يكسر الوزن ، ولجبره يجب أن تُسَهَّل الهمزة فيقال : « وتقرا » .

وما قاله الأستاذ في « وتقرأ » صحيح ، والوجه في « وحيّ بني لقمان » النصب كما ذكر أيضاً . وأما « فالحيُّ » فليست الفاء فيه عاطفة بمعنى التشريك كما ظن الأستاذ ، بل استأنف الشاعر بها كلاماً آخر على معنى التعليل لما قبله ، والمراد بـ « الحي » حي بني لقمان الذين تقدّم ذكرهم ، والوجه فيه وفيما بعده الرفع ، إذ هما مبتدأ وخبره .

وقد فات الأستاذ أن لا موقع لـ « حيرة » ـ بالحاء المهملة ـ ههنا ، ومن البيّن أنه تصحيف « جيرة » بالجيم ، أي جيران .

١٥ ـ قال الأستاذ في الفقرة (٥٩) : « وفي (ص ٢٥٨) روي البيت الأول والثاني من قصيدة لعبد الله بن أبي صبح المزني :

ألا حييا الذلفا ألا حييا جُملا   وقولا تغنّى حاتم بكما جهلا

لكيما تظنا اليوم أنه فارغ   وأقسم أني قد ملأته بي شغلا

والبيت الثاني غير صالح وزناً ولا معنى ، وأظن أن الصواب في رواية صدره : « .... أنّيَ فارغ » أما عجزه فيجوز إصلاحه بأن يقال : « وأقسم أني ممتلٍ منهما شغلا » بحذف الهمزة من آخر ممتلئ . وذلك كله يوافق سياق البيت الأول » .

وقوله في عجز البيت : « ويجوز إصلاحه .... » قد تقدّم القول في مثله والتنبيه على ما في إطلاق ذلك واللهج به من محذور . ومما يؤخذ على الأستاذ هنا أيضا قوله في « مُمتَلٍ » : « بحذف الهمزة من آخر ممتلئ » والوجه أن يقال : « بإبدال الهمزة من « ممتلئ » ياء وإجرائه مجرى المنقوص » . هذا إلى أن الأستاذ لم يصب مراد الشاعر من جهة ، وخفي عليه وجه اتّزان البيت من جهة أخرى، فقال فيه ما قال ، على حين أن البيت ـ كما أثبته الناشر ـ صحيح معنى ووزناً . وذلك أنه من البيّن أن الشاعر ينقض على حاتم الذي ذكره قصيدةً شبب فيها بالذلفاء وجمل ، ونال فيها منه[٢] ، فهو يقول في هذين البيتين : ألا حييا ـ يا صاحبيّ ـ الذلفاء وجملا ، وقولا لهما : إن حاتماً إنما تغنى بكما جهلا ليوهمكما أنه فارغ (يعني من الهموم) فلا همّ له إلا اللهو والتشبيب . ثم يقول : وأقسم أنه ليس بفارغ ، بل إني بتصدّيّ له قد ملأته شغلا بي ـ يريد أنه أورد عليه ما ملأه همّاً ، فهو منه في شغل شاغل . ومن الغريب أن يغيب عن الأستاذ هذا المعنى وهو ظاهر لايكاد يخفى . وليس في البيت بعدٌ من جهة الوزن إلا أن الشاعر اضطُرّ لإقامة وزنه إلى حذف واو الصلة من هاء الضمير المتحرك ما قبلها في « أنه » و « ملأته » . ويظهر أن الأستاذ قرأ البيت بإثبات هذه الواو فخُيِّل إليه أنه مختلّ الوزن . وحَذْف واو الصلة ويائها من هذه الهاء في ضرورة الشعر كثير ؛ أنشد سيبويه في « باب ما يحتمل الشعر » ١ : ١٠ شاهداً على ذلك قول مالك بن حريم (وهو من قصيدة له في الأصمعيات ، ص ٥٦ ـ ٦٢) :

فإن يك غثّاً أو سميناً فإنّني   سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

ثم أنشد ص : ١١ ـ ١٢ شواهد أخر ، منها قول الشماخ :

لَـهُ زَجَـلٌ كأنّـهُ صـوتُ حــادٍ إذا طلب الــوسيقـــــة أو زميرُ

وقول الأعشى :

ومـالـهُ من مَجْـدٍ تليـدٍ ومـا لـهُ منَ الريحِ حظٌ لا الجَنوبِ ولا الصَّبـا

ومثل ذلك كثير .

وقد حملت الضرورة بعضهم على أشدّ من هذا ، فـأسكنوا هـذه الهـاء في الوصل البتة ، نحو قول يعلى الأحول الأزدي :

فبتّ لـدى البيت العتيـق أخيلـه ومِطْـوايَ مشتـاقــانِ لَـهْ أرقــانِ

وقد زعم الأخفش أن إسكانها لغة لأزد السراة .

وأشدّ من ذلك كله أن الضرورة ألجأت بعضهم أيضاً إلى حـذف الواو من (هو) والياء من « هي » . ومنه قول الراجز :

دار لســـعدى إذْ هِ من هــواكــا

وقولُ العجير السلوليّ أو المخلّب الهلالي :

فبينـا هُ يشري رحلـه قـال قـائلٌ لمن جمـــلٌ رِخْـــوُ المـــلاطِ نجيبُ

انظر في بسط ذلـك كلـه ضرائر الشعر ، لابن عصفور ، ص : ١٢٢ ـ ١٢٧ والمصادر التي أحال عليها محققه .

١٦ ـ نقل الأستـاذ في الفقرة (٦١) هـذه الأبيـات لرملـة أخت مشيّع ترثيه :

ألا أيهـا النــاعي سحيراً مشيّعــاً لعمري لقـــــد صبّحتَنـــــا ببـــلا

تركنا لواء العز والمجد ثاوياً ببُغمةَ مبنياً عليه بنا
لعمرك ما كُنّا مللنا مشيّعاً ولكن دواعي ميتة وقصا

وقال فيها : « هكذا وردت أواخر الأبيات « ببلا » و « بنا » و « قصا » بالصاد المهملة . وعندي أن الأولى بالهمز مع السكون ، أي : ببلاءْ ، وبناءْ ، وقضاءْ ، بالضاد المعجمة » .

قلت : الأبيات من الطويل ، ولا يتمّ وزنها بقصر الكلم الواقعة في أواخرها كما أثبتها الناشر ، ولا بمدّهن مع إسكان الهمزة كما اختار الأستاذ ؛ إذ تكون أضربها على الأول بزنة « فَعَلْ » وعلى الآخر بزنة « فعولْ » وكلاهما ليس من أضرب الطويل . ولا تستوفي الأبيات وزنها إلا بمدّ هؤلاء الكلم وتحريك الهمزة وإطلاقها (ببلاءِ ، بناءُ ، قضاءُ) فتكون من ثالث الطويل ، أي الضرب المحذوف ، ووزنه « فعولن » . ويظهر أن الأستاذ ما اختار أن تكون الأبيات مقيّدة (ساكنة الروي) إلا اتقاء الإقواء ، وقد تقدّم أن الإقواء في شعر الأعراب كثير ، وأنهم كانوا لا يأبهون له . وقد قال أبو الحسن الأخفش في كتابه : القوافي ، ص : ٤٢ (ط . وزارة الثقافة بدمشق) ٤٧ (ط . دار الأمانة ببيروت) بعد أن ساق أمثلة من الإقواء : « وقد سمعت مثل هذا من العرب كثيراً ما لا يحصى ، قلّ قصيدة ينشدونها إلا وفيها الإقواء ثم لا يستنكرونه .... » .

١٧ ـ وفي الفقرة (٧١) تكلّم الأستاذ على بيتين للغاضري أخلّ بها التصحيف ، وأولهما :

وهاجرة يقبل الذئب فيها على الغنم الرباع وهُوْ يراها

هكذا جاء البيت ! ورأى الأستاذ أن الصواب : « .... يَقِيل الذئبُ

فيها × عن الغنم .... » والقول ما قال[٤] ، وبه يتزن البيت ويضح وجه المعنى . غير أنّ في البيت شيئا آخر لم يلتفت الأستاذ إليه ، وهو وصف الغنم بـ « الرّباع » فإنه لا يكاد يبين له وجه ، والظاهر أنه تصحيف « الرتاع » بالتاء ، من قولهم : « رتعت الماشية » أي أكلت ما شاءت ، وذهبت وجاءت في المرعى نهاراً ، ومنه يقال : « ماشية رُتَّع ، ورُتوع ، ورواتع ، ورِتاع » كما جاء في اللسان (رتع) .

والبيت الآخر :

قطعتُ مخوفها بعثمّات عشاف السرّ تنفخ في بُراها

وقد ذهب الأستاذ إلى أن « عشاف السرّ » تصحيف « عساف السَّيْر » ويظهر أنه كما قال ، غير أنه وصل ذلك بقوله : « و « تنفخ » بالخاء المعجمة تصحيف « تنفج » بالجيم . والمعنى : أنه قطع مخوف الصحاري بإبل طويلة غليظة تركب رأسها في السير لا يثنيها شيء ، وتثير ما تطأ من تراب » .

وقد أبعد الأستاذ في هذه المقالة ؛ فإنه ما يُعْرَف أنه يقال : « نفج الترابَ » أو « نفج في التراب » بمعنى أثاره . ثم إنه أقرّ ضم الباء في « بُراها » والتراب إنما يقال له : « البَرى » بفتح الباء . و « تنفخ في بُراها » - كما أثبته الناشر تبعاً لأصل الكتاب - هو محض الصواب ، و « البُرى » بضم الباء جمع « بُرَة » وهي حلقة من صفر أو نحاس تجعل في أنف البعير ويُعَلَّق بها الزّمام . وهذه العبارة ونحوها مما يتردّد في صفة المطايا ، ومن ذلك قول أبي سدرة سحيم بن الأعرف الهجيمي من أبيات مدح بها حسان بن سعد الأسدي عامل الحجاج على البحرين (الشعر

والشعراء ، ص : ٦٤٢ ، والمجتنى ، لابن دريد ، ص : ٦٣ ، والمؤتلف والمختلف ، ص : ٦٥ ، وفرحة الأديب ، ص : ٦٥ ، وهي عن الفرحة في الخزانة ١ : ٢٨٠) :

إلى حسّان من أكناف نجد رحلْنا العيس تنفخ في بُراها

وقولُ بعض الأعراب (أنشده ياقوت في معجم البلدان : المأزمان) :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً وأهلي معاً بالمأزمين حلولُ
وهل أُبْصِرَنّ العيس تنفخ في البُرى لها بمِنىً والمحرمين ذَميلُ

وقول عبد الرحمن بن الحكم ، وينسب أيضاً إلى زياد الأعجم (إصلاح المنطق ، ص : ٩ ، وتهذيبه للخطيب التبريزي ١ : ١٣ ـ ط . مصر ، وص : ٣٨ ـ ط . بيروت بتحقيق د . قباوة ، والمحكم ١ : ٩١ ، والمخصص ٧ : ١٤٣ ، والتكملة : قطع ، واللسان : صنع ، قطع) :

أتتْكَ العيسُ تنفخ في بُراها تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ

ونحو ذلك قولُ أبي الرُّبَيْس الثعلبي من مقطعة له في « الحماسة » :

يُباري بها القُودَ النوافخَ في البُرى قليلُ النزول أغيدُ الخَلْق عاطلهْ

وفي تأويل هذه العبارة قولان ذكرهما الخطيب التبريزي في شرحه لبيت عبد الرحمن بن الحكم في تهذيب الإصلاح ، قال : « العيس : الإبل البيض ، الذكر : أعيس ، والأنثى : عيساء . والبُرى : جمع بُرَة ، وهي الحلقة من صفر تكون في أنف البعير . والمناكب : فروع الكتفين . يعني أن مناكبها عظام ، فلا تسترها كلَّها القطوعُ . وقيل : لسرعتها ونشاطها . وإنما أراد أنها أعيتْ من السير ، واضطرب الرحل فوقها ،

فنفخت في بُراهـا من البُهْر والتعب الـذي لحقهـا ، وتكشفت القطوع عن مناكبها . يصف كلال راحلتـه وبُعْـدَ الشُّقّـة ليرعى حقّ قصـده إليـه من المكان البعيد .... » وهذا التفسير الأخير الذي ارتضاه الخطيب هنا أخـذه بلفظـه من كلام ابن السيرافي في شرح أبيـات الإصلاح (انظر نص كـلام هـذا في المشوف المعلم ٢ : ٦٤٨ ، التعليق : ٢) . وأمـا القول الـذي حكاه بصيغة التمريض ـ وهو يفيد أنها تنفخ في بُراها لنشاطها وسرعتهـا ـ فقـد أخد به هو نفسُـه في تفسيره لبيت أبي الربيس في شرح الحمـاسـة ٣ : ١٢٩ ولم يذكر غيره ، قال : « النوافخ : المتنفسّات نفخاً لنشاطها » وأصل هذه المقالـة من كلام المرزوقي في شرحـه للحماسـة ، ص : ١٢٥٨ أخـذهـا منـه الخطيب بلفظها ، وكان المرزوقي قد قال قبلها أيضاً أول ما أخـذ في شرح البيت : « يقـول : يعـارض بهـذه الراحلـة التي وصفتُهـا رواحـلَ طـوالَ الأعناق تنفخ في بُراها لنشـاطهـا رجلٌ قليلُ النزول عنهـا .... » . وهـذا التفسير أحرى بالصواب ، فإن بيت أبي الربيس لا يحتمل غيره ، ويصدّقـه ثاني البيتين اللذين أنشدهما ياقوت :

وهل أُبْصِرنّ العيسَ تنفـخ في البُرى　　　لهـــا بمنىً والمحرمين ذميــــلُ

فإن « الـذَّميل » ـ وهو سير ليّن سريع فوق العَنَق ـ لا يكون من راحلـة نهكها التعب ، وأدركها الكلال .

هذا ، وما قالـه التبريزي والمرزوقي في شرح البيتين يوهم أن قولهم : « في براهـــا » و « في البرى » ظرف لغـو يتعلـق في بيت أبي الربيس بالوصف : « النوافخ » وفيما قبله بالفعل : « تنفخ » . والوجه عندي فيـه أنـه ظرف مستقرّ وقع موقـع الحـال من الفـاعـل ، وهـو الضمير المستتر في

الفعل والوصف ، كأنهم قالوا : « تنفخ وهي في براهـا » و « النوافخ وهي في البرى » . يدلّ على ذلك أبين الدّلالـة أن مثل هـذا الظرف وقع موقع الخبر عن « المطايا » في قول القائل (أنشده ابن سيده في المحكم ١ : ١٤٨ ، وهو عنه في اللسان : بقع) :

وأبقـعَ قــد أرغْتُ بــه لصحبي   مَقيـلاً والمطــايــا في بُراهــا

وقد رأيت المرزوقي صرح في شرحـه للحماسة ، ص : ٦٧٧ بـأن مثل هـذا الظرف وقع موقـع الحـال في بيت من مقطعـة نسبت إلى الفرزدق ، وتنسب أيضـاً إلى البرج بن خنزير التميمي ، ونسب بعضهـا إلى مـالـك بن الريب[٥] ، وهو قوله :

مُخَيَّسـةٍ بُـزْلٍ تَخـايـلُ في البُرى   سَـوارٍ على طـول الفـلاة غـواد

قال المرزوقي : « وقولـه : « تخـايل في البرى » أي تختـال في سيرهـا وهي مُبْراة تطيـق وصـل السير بـالسرى على امتـداد الشقّة وطـول الـوجهـة . وقـولـه : « في البُرى » في مـوضـع النصب على الحـال » . وقـد تـابعـه التبريزي على ذلك في شرحه للحماسة ٢ : ١٠٩ .

وفي الشعر شواهـد أخر وقع هـذا الظرف في بعضهـا موقع الحـال من المطايا ، ووقع في بعضها موقع الصفـة لهـا . من ذلـك قول حميـد بن ثور (ديوانه ، ص : ٣٨) :

فمـا لَحِـقَ العِيران حتى تـلاحقتْ   جمـالٌ تَسـامى في البُرين ونـوقُ

وقولُ أبي وجزة السعدي (العباب ، واللسان : خنف) :

قـد قلْتُ والعيس النجـائب تغتلي   بـالقوم عـاصفـةً خوانِفَ في البُرى

وقول جرير (النقائض ، ص : ٢٧١)

طلبوا الحَمولَ على خواضعَ في البُرى ... يُلْحِقْنَ كلَّ معــــذَّلٍ بَسّـــامِ

وقولُ ذي الرّمة (ديوانه ٢ : ١٠٥٩) :

فلم تستطـع مَيٌّ مهـاواتَنـا السُّرى ... ولا ليـلَ عِيسٍ في البُرين سـوامِ

وكلّ هذه الأبيات ـ كما ترى ـ في صفـة رواحل نشيطـة تغـذّ السير ، وكأنهم لا يصفونها بأنها « في البرى » إلا وهي كذلك . وفي هذا مـا يؤيّـد أن الصحيح في تـأويل قولهم : « ننفـخ في براهـا » أنهـا تنفـخ لنشـاطهـا وسرعتها لا من الكلال والإعياء .

الحواشي والتعليقات

(١) كذا قال الأستاذ ، وهو مماسها فيه ، فـالقصيـدة ـ كما ذكر الهجري ـ لأبي مـدرك حاتم بن مدرك السلمي يرد بها على عبد الله بن أبي صبح المزني .

(٢) كذا في أصل مقالة الأستاذ بخطه ، ويظهر أنه سبق قلم ، والمراد : « فيهما » .

(٣) وحاتم هذا هو حاتم بن مدرك السلمي الذي ذكرت آنفاً أنه هو صـاحب القصيـدة التي سلف الكلام على بيتين منها في الفقرة السابقة ، وابن أبي صبح يرد عليه بقصيدته هـذه . ويظهر أنـه كان بينهما ممـاظـة وشرّ ثم اصطلحـا ؛ روى الـزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش وأخبارها ١ : ١٠٧ ـ ١٠٨ قال : « حدثني أبو غزيّة (محمد بن موسى الأنصـاري) قـال : جرى صلح بين عبد الله بن عمرو بن أبي صبح وبين حاتم بن مدرك السلمي ، فقال حاتم :

دعـــاني أبـــو عمرٍو إلى الله دعـــوةً ... أصـابَ بهـا مـا في فـؤادي ولا يَـدْري

إلى حَلَــقٍ مِنْ خَيْرِ مَن وَطِئَ الحصـــا ... وفي رَوْضــةٍ بَيْنَ الأســاطينِ والقبرِ

فَتُبْنـا وأشْهَـدْنـا الـزُّبَيْرَ وإن نَعُـدْ ... بِنَقْضٍ فَما مِن تَـوْبـةٍ آخرَ الـدَّهْرِ

قال أبو غزية : يريد الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير » .

وذكر محقق الكتاب شيخنا أبو فهر في تعليقه عليه أنه لم يجد لحاتم هذا ترجمة . وأمـا ابن ابن أبي صبح ـ وقـد روى لـه الـزبير في كتـابـه هـذا شعراً كثيراً ـ فقـال شيخنـا فيـه ، ص :

٦٧ ـ ٦٨ التعليق : ٢ : « ابن أبي صبح المزني ، هو عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزنيّ ، وسيأتي له شعر كثير ، ورأيت له ترجمة في الفهرست لابن النديم : ٧٣ ، ٧٤ [٤٩ ـ ط . فلوغل ، ٥٥ ـ ط . طهران] وقال : « أعرابي بدوي ، نزل بغداد وبها مات . كان شاعراً فصيحاً أخذ عنه العلماء ، وله مع الفقعسي أخبار طريفة » يعني محمد بن عبد الملك الأسدي الفقعسي راوية بني أسد » .

قلت : وترجمته هذه نقلها القفطي بتصرف في إنباه الرواة ٢ : ١٢٥ ، وقد صحفت نسبته فيه إلى « المرّيّ » .

(٤) وقد وجدت الناشر أثبت في عجز البيت : « عن الغنم .... » لا « على الغنم .... » كما نقله الأستاذ .

(٥) انظر تعليق الأستاذ عبد السلام هارون على المقطعة في شرح الحماسة ، وتخريج الدكتور نوري القيسي لأبياتها في شعر مالك بن الريب ، شعراء أمويون ١ : ٥٢ .

ملاحظات
على
ديوان بشار بن برد

الدكتور محمد حموية

يعد ديوان بشار بن برد الذي نشره العلامة محمد الطاهر بن عاشور ، رحمه الله ، في القاهرة ، في ثلاثة أجزاء (صدر الأول منها في سنة ١٩٥٠ والثاني في سنة ١٩٥٤ ، والثالث في سنة ١٩٥٧) أوْفى ماوصل الينا من شعر بشار الضائع على مافي المخطوطة التي كانت بحوزة ابن عاشور من نقص ، اذ كانت الى أثناء حرف الراء ، إلا أن ماوقع في الأجزاء الثلاثة المطبوعة من تحريف وتصحيف شاعا في كل قصيدة من قصائد الديوان قد وعّر السبيل إلى الإفادة التامة مما نشر .

وكان ابنُ عاشور قد أشار في مقدمته للديوان إلى أن المخطوطة التي كانت بحوزته كتبها ناسخ لم يكن ذا حظ كبير من العلم ، فحرّف وصحف وترك بياضا في المواضع التي عسرت عليه قراءة الاصل الذي نقل منه . وهذا ظاهر من الاشارات التي أكثر ابن عاشور منها في حواشيه على أبيات الديوان مما يدل حقا على ضعف الناسخ . وقد بين ابن عاشور خطته في العمل عندما أعد الديوان للنشر فأصلح مواضع الغلط ، أو رجح قراءة الكلمة على وجه يخالف مافي المخطوطة ، أو ترك الكلمة كما هي إن لم يهتد إلى وجه الصواب فيها . إلا أنه وقع أيضا في أوهام في

بعض مااختاره من قراءات ، أو في شروحه لأبيات الديوان ، وربما كان تبحره في العلوم العربية واطلاعه على الشعر العربي سببا في بعض هذه الهنات ، اذ كانت تتبادر الى ذهنه هذه المعاني الشعرية أو الوجوه اللغوية والنحوية فكان يخرج عليها أبيات بشار مما زاد الأمر صعوبة واشكالا .

وعندما تولى الأستاذان : محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين أمر مراجعة الديوان لطبعه ضمن مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، كانت بحوزتها المخطوطة الأصلية للديوان ، وكذلك النسخة التي أعدها ابن عاشور للطبع وعليها شروحه ، فأصلحا جهدها بعض المواضع ، كما وقعا في أوهام جديدة مما زاد الامر إشكالا على اشكال .

وكان من الضروري أن ينبري الباحثون لاصلاح مايمكن اصلاحه من هذه التحريفات والتصحيفات ، لما لبشار من المكانة في ميدان الشعر العربي ، وكان من حسن الحظ أن أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحام قد نشر بعض مالديه مما ارتأى اصلاحه في ديوان بشار في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مج ٥٣ و ٥٤) ثم جمعت هذه الاصلاحات ونشرت في كتاب بعنوان نظرات في ديوان بشار بن برد ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، في طبعتين الأولى صادرة في سنة / ١٩٧٨ / م والثانية في سنة / ١٩٨٣ / م ، وهي الطبعة التي بين يدي . وقد أصلح استاذنا تصحيفات كانت مستعصية على الحل فردها إلى الصواب ، فأصبحت الأبيات بعد ذلك مشرقة منيرة تنبئ عن نسيج أبي معاذ المحكم .

وكان أستاذنا قد أشار في مقدمة كتابه (ص ٥) إلى أن بعض الباحثين قد نشر ملاحظات على الديوان مما يتصل باصلاح الخطأ فيه ، الا أن الحظ لم يسعدني بالوقوف عليها .

وقد كنت قرأت هذه الاجزاء الثلاثة من ديوان بشار فجمعت ملاحظات كثيرة يتصل أغلبها بما وقع في الديوان من التصحيف والتحريف وخلل الضبط ، والشروح التي جونب فيها وجه الصواب ، فرأيت أن أكتفي ببعض هذه الملاحظات التي تتصل بالتصحيف وما اليه ، وأعرضتُ عن الكلام على الشروح الخاطئة ، وأحببت أن أضعها بين يدي المهتمين بشعر بشار عسى أن يجدوا فيها بعض النفع ، وماأزعم أني جئت بالحق الصراح الذي لايقبل النقاش ، وما هي الا ملاحظات غلب على ظني صوابها وكان رائدي فيها شعر بشار نفسه ، إذ أنه كثيراً ما كان يكرر المعنى الواحد بتعبيرات مختلفة ، فكنت أسترشد بالصواب منها على مواضع الخطأ الذي تفشى في الكلمات ذات الحروف المتشابهة ، وقد راعيت في كل ذلك الرسم الاملائي للكلمة في الأصل المطبوع فلم أغير في صورته جهدي ، على أنني اعترف بأن كثيرا من هذه المواضع استعصى عليّ حلها فلم أهتد الى وجه الصواب فيها ، فاحتفظت بذلك لنفسي .

ومن الواضح أن هذه الملاحظات لاتحتمل الاثقال بتخريج الأبيات المستشهد بها ، أو الحواشي الطويلة ، اذ أن غايتها التنبيه على مواضع الغلط ليس غير . وقد اقتفيت فيها أثر أستاذنا في نظراته فأشرت إلى ابن عاشور بالشارح والى محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين بالمراجعين ، رَوْماً للاختصار وعدم التكرار .

الجزء الأول من الديوان

١ ـ قال بشار في أبي أيوب المكي (١ : ١٠٢) :

تجهزطال في النصب الثواء ومنتظر الثقيل عليّ داءً

والبيت مطلع قصيدة في هجاء أبي أيوب المكي . وذكر الشارح في الحاشية :

« قال في أبي أيوب المكي ، واسمه مسلمة بن قيس كما سيأتي في القصيدة ، وهو يلومه على عدم حفاوته به » .

ويشير الشارح إلى قول بشار من القصيدة نفسها (١ : ١٠٦) :

أوانَ يقول مسلمةُ بن قيس وليس لسيّد النوكى دواء

والحق أن أبا أيوب المكي ومسلمة بن قيس رجلان لارجل واحد .

أما أبو أيوب فقد هجاه بشار لأنه لم يكرم ضيافته ، أو خيّل اليه ذلك ، فقال فيه من القصيدة نفسها (١ : ١٠٣) :

على عيني أبي أيوب مني غطاء سوف ينكشف الغطاء
جفاني اذ نزلت عليه ضيفا وللضيف الكرامة والحباء

وأبو أيوب هذا هو سليمان بن أيوب المكي ، والمعلومات عنه شحيحة ، فقد ذكره الطبري (٨ : ١٤٠) في أحداث سنة (١٦١ هـ) عندما عزله المهدي عن ديوان الخراج وولّى غيره ، كما أن الجهشياري ذكره في أيام المهدي في سنة (١٦٦ هـ) في كتابه « الوزراء والكتاب » ص (١٥٤) بمناسبة ابن له ، أقر بزندقته أمام المهدي وتاب عنها فقبل المهدي توبته . وقد ذكر الجهشياري في كتابه : اسمه واسم أبيه وكنيته ونسبته إلى مكة[1] . وعلى هذا فالرجل كان من كتاب الخراج في الدولة العباسية . ولعل بشارا نزل عنده ضيفا أثناء تردده على بغداد ، فناله من بشار ماناله .

وأما « مسلمة بن قيس » الذي ورد اسمه في هذه القصيدة فقد ذكره بشار في معرض نصحه له في ألا يندفع وراء فتاة اسمها « قصاف » اذ انتبه أهلها للعلاقة بينهما ، فقال بشار على لسانه (١ : ١٠٦) :

أوانَ يقول مسلمة بن قيس   وليس لسيد النوكى دواء
رويدك عن قصاف عليك عين   وللمتكلف الصلف العفاء

وذلك في القسم الغزلي من القصيدة . وهذا القسم ـ أعني قسم الغزل ـ جاء بعد هجائه أبا أيوب ، خلافا لعادة بشار والشعراء في ذلك ، اذ المعروف أن يأتي الهجاء بعد الغزل ، ولكن بشارا اتخذ من نهي المهدي اياه عن الغزل ذريعة لذكر تعلقه بالنساء وتعلقهن به ، على مألوف عادته في ذكر المهدي ونهيه له عن الغزل ، ليندفع في الغزل المحبب الى نفسه ، وتذكر أيامه الماضية ، فقال في هذه القصيدة (١ : ١٠٤) :

ولولا القائم المهدي فينا   حلبت لهن ماوسع الاناء

ثم يقول بعد ذلك (١ : ١٠٦) :

فهذا حين تبت من الجواري   ومن راح به مسك وماء
وإن أك قد صحوت فرب يوم   يهز الكاس رأسي والغناء

....

أوانَ يقول مسلمة بن قيس   وليس لسيد النوكى دواء
الخ .....

فمسلمة بن قيس صديق لبشار ، ناصح له ، مشفق عليه ، وبينه وبين أبي أيوب فرق زمني فهو متقدم على أبي أيوب في الزمن ، وليس في

الأبيات مايدل على أنه هو ، ولست أدري كيف تبادر الى ذهن الشارح ذلك ، والأبيات واضحة في أنهما رجلان لارجل واحد .

٢ ـ قال بشار متغزلا من قصيدة في مدح عقبة بن سلم (١ : ١٠٨) :

لاتلوما فانّها من نساء مشرفات يطرفن طرف الظباء

لم يعلق الشارح المحقق على هذا البيت شيئاً ، وذكر المراجعان في الحاشية « لعل مشرفات محرفة عن مترفات » .

ونرى أن صواب الكلمة (مشرقات) بالقاف ، يريد بذلك بهجة اللون ووضاءة الوجه كما قال في هذا المعنى (٢ : ٣٢٧) :

تُدْني القناعَ على محاسن مُشْرق كالبدر يحفل عصفرا وعقودا

وكما قال (٣ : ٢٠٥) :

مشرقات الوجوه يسحبن للهـ ـو عيوناً مكسورة بفتور

وفي البيت تصحيف سننبه عليه في كلامنا على الجزء الثالث .

وقال أيضا (٣ : ٢٣٣) :

ظعنا من بني عقيل بن كعب مشرقات الوجوه عينا وحورا

وقد وردت كلمة (مشرقات) مصحفة في هذا البيت الى (مشرفات) أيضا ، كما هو في البيت الذي نتكلم عليه ، وصوابه كما جاء في البيت الذي تقدم على هذا (٣ : ٢٠٥) .

وقد وصف بشار غلاما بهذا الوصف ، فقال (١ : ٣٧٠) :

يهذي بخشف مؤنق مشرق مقابل الجدين منسوب

ووصف امرأة فقال (٣ : ٣٠) :

تريك أسيل الخد أشرق لونه كشمس الضحى وافت مع الطلق أسعدا

٣ ـ وقال بشار (١ : ١٠٨) :

أنت باعدته فأمسى من الشو ق صريعاً كأنه في الفضاء

الصريع لايكون في الفضاء ، والصواب (القضاء) بالقاف ، ويريد بالقضاء الموت كما قال (١ : ١٢٩) :

تـزل القوافي عن لساني كأنها حمات الافاعي ريقهن قضاء

ولعل سبب اختيار الشارح لكلمة الفضاء ـ ان لم يكن في الأمر خطأ مطبعي ـ مابقي في ذاكرته من معنى الآية الكريمة : (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء) [سورة الأنعام ، آية ١٢٥] وليس هذا ماأراده بشار ، اذ أنه استعمل الفضاء بمعنى الفَرَج في مقابل الضيق في قوله : (١ : ١٢٦) :

اذا سفرت طاب النعيم بوجهها وشبه لي أنَّ المضيق فضاء

(في الديوان أسفرت ، والتصحيح من « نظرات » ص ٥٣) .

٤ ـ وقال بشار (١ : ١١٢) :

قد كساني خزا وأخدمني الحو ر وخلاّ بنيتي في الحلاء

لامعنى (لخلاّ) هاهنا ، وحقها أن تكتب (خلّى) ، والصواب فيها (حلّى) بالحاء المهملة أي حلاها بالحلي .

٥ ـ (١ : ١١٣) :

ويقول الوشاة أحببت سعدى صدقوا والجليل حبي عياء

قد يوصف الحب بأنه (داء عياء) ولكن الأرجح ماورد على لسان الشاعر في وصف حبه بأنه عناء ، في قوله (٣ : ١٦٢) :

كأنني من عناء الحب في سنة مطرح بين إقبال وإدبار

وفي قوله (١ : ١٠٨) :

وأعينا امرأ جفا وده الحي وأمسى من الهوى في عناء

٦ ـ قال بشار من قصيدة تغزل فيها بعبدة (١ : ١١٦) :

من بنات الملوك لا .... نماها الى العلاء العلاء

قال الشارح في هذا البيت (وفيه بياض بعد قوله لا) :

(«نماها الى العلاء العلاء » معناه نسبها الى الرفعة أبوها المسمى بالعلاء ، فاكتسبت من اسم ابيها علوا اذ هي ابنة العلاء ، وهذا يدل على أن عبدة ابنة رجل اسمه العلاء) .

وقد ذكر هذا أيضا في (ص ١١٥) عندما عرّف بعبدة ـ لأن القصيدة التي منها هذا البيت هي أول قصيدة ـ بحسب ترتيب الديوان ـ في التغزل بعبدة ـ ومن عادة الشارح أن يعرّف في القصيدة الأولى بالرجل الذي يمدحه الشاعر أو الفتاة التي يتغزل بها فاستظهر هناك (ص ١١٥) أن يكون اسم أبي عبدة العلاء . واستظهاره هذا ناشئ من التسرع ، لأن الأبيات التي ورد فيها ذكره هذه الفتاة (١ : ١١٦) ابتداء من قوله :

وجوارٍ اذا تحلَّيْنَ لم تـد ر أشاءٌ في حليها أم نساء

الى قوله :

ضـــامهن الـــذي تمنين شغلي بفتـاة منهـا التقى والحيـاء

في فتاة غير عبدة ، وذلك أن الجواري اللواتي ذكرهن ، قد تعرضن لـه ـ يوم سلوان ـ بفتـاة من بنـات الملوك ، وهي ابنـة العلاء ، جميلـة ، تنطوي له على حب ، ورحن يدعونه اليها ، فأعرض عنها لأنـه مشغول بعبدة عما سواها . فابنـة العلاء هي غير عبـدة ، وهـذا واضح لمن تـأمل الأبيات .

٧ ـ (١ : ١١٧) :

هي كالشمس في الجَلاء وكالبـد ر اذا قنعت عليهـــا الرداء

ضبطت الجيم من (الجلاء) بالفتح ، والصواب أن تضبط بـالكسر ، لأن معنى الجلاء بـالفتـح الخروج من بلـد الى بلـد ، وذلـك ليس مرادا ، وأمـا الجلاء بكسر الجيم فهـو صقـل المرآة والسيف وجلـوة العروس ، وهـو المراد هنا .

٨ ـ (١ : ١١٧) :

فخمـة فعمـة برود الثنـايـا صعلـة الجيـد غـادة غيـداء

ذكر الشارح أن المراد بصعلة الجيد أنها دقيقـة العنق . والصعل دقـة في العنق والرأس معا ، ويوصف به النعام ، ولا يأتي في وصف النـاس الا في مقام الـذم . ولا معنى لوصف المرأة الجميلـة بـدقـة العنق ، والصواب في ذلك « صلتة الجيد » وهو ماتوصف به المرأة الجميلـة . قـال الحـادرة وذكر عنق امرأة :

وتصدفت حتى استبتـك بواضحٍ صلت كمنتصب الغـزال الأتلـعِ

وربما كانت كلمة الجيـد مصحفـة عن الخـد ، اذ أن نـاسـخ هـذه

المخطوطة قد يرتكب مثل هذه التصحيفات . وقد جاء عن العرب وصفُ الخد أيضاً بذلك . قال المرار بن منقذ :

صلتة الخد طويل جيدها ناهد الثدي ولما ينكسر

كما أن بشاراً وصف غلاما فقال (١ : ١١٢) :

وحباني به أغر طويل البا ع صلت الخدين غض الفتاء

٩ ـ وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي (١ : ١٢٠) :

تشاغل آكل التمر انتجاعا وتكدي حين يَسْمعك الرعاءُ

والصواب ضبط (يَسْمعك) (يُسمِعك) من (أسمع) لا من (سمع) . يريد أن أبا هشام يخرج الى الكدية مبكرا حالما يسمع صوت الرعاة ، وهم ، عادة ، يخرجون مبكرين الى المراعي .

ومن وصية أبي زيد السروجي لابنه من المقامة الساسانية يحضه فيها على التبكير في الكدية « فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب » .

١٠ ـ وقال بشار يهجو يحي بن صالح (١ : ١٢٢) :

أحين طلتَ على من قال قافية وطال شعري بحي بعد أحياء

ذكر المراجعان أن الشارح ضبط التاء من قوله (طلت) بالفتح على أنها للمخاطب بينما كانت في المخطوطة بضم التاء للمتكلم ، ولم يعلقا على ذلك شيئا . والصواب ماجاء في المخطوطة اذ لم يكن ليحي بن صالح من شعر سائر بين الناس ، وهذا المعنى مما يصف به الشاعر نفسه عندما يتوعد خصمه فيقول : أتعاديني وقد اشتهرت وشاع ذكري وشعري بين الناس ، ولذلك قال في الشطر الثاني (طال شعري) وهو المناسب

لتاء المتكلم في الشطر الأول ، والبيت الذي يليه في القصيدة يوضح صواب مافي المخطوطة أيضا[2] .

١١ ـ قال بشار ، وذكر حماد عجرد ، في ضمن هجائه يحي بن صالح (١ : ١٢٤) :

قد سبّح الناس من وسمي أبا عمر فهل ربعت على تسبيح قرّاء

وحماد عجرد هو أبو عمر . وقد تعرض الشارح لتبيين معنى البيت بما لايتبين ولايتوضح فقال : « والمعنى هنا فهل رحمت لابتهاج الناس وتسبيحهم حتى هجوت انا أبا عمر فلذلك غضبت له » .

وأما المراجعان فقد وفقا في فهم معنى البيت ، وأن التسبيح هاهنا يدل على التعجب ، ولكنهما عدلا عن ضبط قراء بضم القاف كما ضبطها الشارح الى ضبطها بفتح القاف كما جاء في المخطوطة . ونرى أن الصواب أن تضبط بضم القاف كما ضبطها الشارح المحقق ، لان (القراء) بفتح القاف الحسن القراءة ، وأما (القراء) بضم القاف فهو الناسك المتعبد والجمع قراؤون وقوارئ[3] ، والمعنى على هذا ، (أي الناسك لا الحسن القراءة) .

وقال بشار في مثل معنى الشطر الثاني (١ : ٢٠٦) :

ولو شئت تمتعنا ولو سبح « يعقوب »

يريد لو رضيت بوصالنا لتمتعنا ، وان تعجب من ذلك « يعقوب » وأنكره .

١٢ ـ قال بشار في هجاء من يدعى بشرا (١ : ١٢٥) :

منيتي بشرا وبشر فتى لايشتري الحمد بإعطاء

ضبطت التاء من (منيتني) بالفتح على أنها للمخاطب المذكر ، ونرى أن الصواب كسرها خطاباً لانثى ، على عادة العرب في ذكر نسائهم عند الاستعطاء .

١٣ ـ وقال بشار هاجيا (١ : ١٣٠) :

وان تعللت الى زلـــــــة أكلت في سبعـــــة أمعـــــاء

قال الشارح رحمه الله في تفسير هذا البيت « التعلل التشاغل أو التلهي بأمر ، وعداه هنا بالى لأنه ضمنه معنى الميل ، وقوله : « أكلت في سبعة امعاء » كناية عن الكفر ، لما ورد في الحديث الصحيح : الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، أي اذا زللت عن غفلة كفرتني » . ا هـ .

ولم يعلق المراجعان على هذا الشرح والضبط الا بقولهما « ربما كانت التاء في تعللت وأكلت للمخاطب » ولاندري أكانا يريدان ـ بقولهما هذا ـ ان التاء كانت مفتوحة في المخطوطة أم أن السياق يقتضي ذلك ، كما هو واضح من الأبيات لانها في الهجاء . والصواب أن تضبط التاء من « تعللت وأكلت » بالفتح في كليهما ، لأن الشارح رحمه الله ، تأول الكلام تأولا بعيدا عن الصواب ، لأن الزلة هنا ليس المراد بها الزلل والخطأ وانما المراد بها (الوليمة) فهو يقول لمهجوّه : اذا كنت في وليمة أكلت في سبعة امعاء (كما هو حال الكافر) . وقد جاءت كلمة (الزلة) في شعر بشار مرادا بها (الوليمة) في مقام الهجاء أيضا . كما جاء في هجاء حماد عجرد (٣ : ١٢٣) :

وان جئت يـومـا الى زلـــة أكلت كما يـــأكل القرهـــد

وفسرت (الزلة) هناك بالعرس .

١٤ ـ قال بشار هاجيا (١ : ١٣١) :

كأنما عاينت بي عائفا أزرق من أهل حروراء

قال الشارح في معنى البيت « أراد بالعائف الكاره العادي ، على سبيل المجاز ، ووصفه بالأزرق مبالغة في عداوته للناس ، فان الازرق من الاوصاف الغالبة اتباعا للعدو . قال الحريري « حتى رثى لي العدو الأزرق » أو أراد به الواحد من الأزارقة .... وأهل حروراء هم الخوارج الذين خرجوا عن علي رضي الله عنه بحروراء ، ناحية من نواحي الكوفة » الخ ماقال .

ونرى أن الصواب في قوله (عائفا) (عائنا) أي يصيب الناس بالعين (اللسان : عين) . وأما قوله (أزرق) فانه يريد به زرقة العين ، وهي في اعتقادهم أشد ضررا ، وقد ذكر بشار هذا المعنى في قوله (٢ : ١١٤) :

تراخت في النعيم فلم تنلها حواسد أعين الزرق القباح

وزرقة العين نادرة في العرب ، مكروهة عندهم ، واذا ماأرادوا نفي انسان من العرب وصفوه بها . قال ذو الرمة يهجو حيّاً من تميم يدعى (امرأ القيس) :

ان امرأ القيس هم الأنْباط زرق اذا لاقيتهم سناط

وهذا معنى قول بشار : (من أهل حروراء) يريد عائنا أزرق العين غير عربي ، وهو هاهنا من أهل حروراء وهم نبط لاعرب ، ولايريد بهم الخوارج ، وان كانت نسبتهم « الحرورية » اليها ، لأنهم عرب اقحاح .

١٥ ـ قال بشار من أرجوزة يمدح بها « عقبة بن سلم » (١ : ١٤١) :

حـور العيـون نـزّه الاحبـاب

في وصف نسوة . ولم يشرح المحقق من البيت شيئا ، وانما شرح المراجعان قوله « نزه » ونرى أن الأحباب تصحيف (الأجياب) مفرد (الجيب) يريد أنهن جميلات عفيفات ، كما يقال : فلانٌ ناصحُ الجيب ، من ذكر اللباس وارادة اللابس (نظرات ص ٥٦) .

١٦ ـ ومن الأرجوزة نفسها قوله في عقبة (١ : ١٤٢) :

وأنت شغّاب على الشغّاب

للخطة الفقهاء آب آب

من ذي حروب ثاقب الشهاب

قال الشارح في قوله : من ذي حروب بيان للشغاب ... الخ ماقال . والصواب « مردى حروب » والأصل في المردى أنه حجر يرمى به ، ويوصف به الرجل الشجاع فيقال « مردى حروب » وبيت بشار تضمنه بيت الأعشى الباهلي في رثاء (المنتشر بن وهب الباهلي) من قصيدته الرائية المشهورة (خزانة البغدادي ١ : ٩٤) :

مردى حروب ونور يستضاء به كما اضاء سواد الظلمة القمر

وقال عوف بن عطية (المفضلية : ٩٥) :

ألم تر أننا مردى حروب نسيل كأننا دفاع بحر

وقال العجاج (ديوانه : ج ١ ص ١٢١) :

لما رأوا منا ايادا سامكا مردى حروب يفرج اللكائكا

١٧ ـ ومن الارجوزة نفسها قوله (١ : ١٤٤) :

اني من الحبس على اكتئاب

فـاحسم تبيـا أو تنيـل مـا بي
ولا يكن حظي انتظـار البـاب

في قوله (فـاحسم تبيـا أو تنيل مـا بي) أعوص تصحيف وأغمضـه في الديوان كله ، لأنه ليس في اللفظ ما يرشد الى معناه .

وقد قال فيه الشارح : « تبيا أصلها تتبيـا أي تتبين أو يقـال بيـاك الله أي قربك اليه وأنعمك » .

والصواب فيه : فاحسم بتيًا أو بتيك مابي .

و « تيـا وتيـك » اسما اشـارة ، ولابـد من شرح المعنى حتى يتضح المراد ، وتلخيص المعنى المراد هنـا ان بشـارا يستنجـز (عقبـة) وعـداً بالعطاء ، ولكنه أطال حبسه (مكثه) على بـابـه دون انجـاز ، فتضـايق بشار من هذا المطل فطلب من ممدوحه أن يحسم الامر امـا بنعم وامـا بلا « فتيا وتيك » اشـارتـان الى « نعم ولا » ، وقـد استعمل بشـار هـذا المعنى بهذين اللفظين في شعره فقال (٣ : ١١٩) :

صـدق البخيـل يسرني	ويسـوؤني كـذب الجـواد
اني لانجـز مـاوعـد	ت على الطريف وفي التـلاد
واذا سئلت أتيتهـا	ضرب الأمير طـلا الاعـادي
امـا بتيـا أو بتيـ - -	- - ـك وراحـة ترك الكداد

وقـد فسر الشـارح قولـه هنـا (تيـا وتيـك) ، بعـد ان بين انهما اسما اشارة ، بالصغيرة والكبيرة (من العطاء) وليس هـذا وجـه المعنى ، وانمـا هو في بيته وفي الرجز معناه (نعم أو لا) أي : اما أن أمنع منعـا ظـاهرا فأقول لا واما ان اقول نعم فأنجز فورا مـاوعـدت ، ولاأترك المجتـدي بين لا ونعم يغـدو ويروح فلا يـدري أيعطى أم يمنـع . وقـد بين بشـار هـذا

المعنى (أي المنع أو العطاء) وليس القليل والكثير ، كما ذهب الى ذلك الشارح ، في قوله من قصيدته الدالية المتقدمة :

يا صاحِ لاتلو العدا ت فانها دين الهوادي
ان السبيل على اثنتيـ ـ ـن اخترهما يابن الجياد
اما تسامح أو تجا مح ليس ثالثة لعاد
يكفيك (لا) طول العيا د و (لا) اجتهادا من مناد

فهو يقول : ليس لمن يقصد الا احدى اثنتين : اما (نعم) وهي معنى قوله « تسامح » واما (لا) وهي معنى قوله (تجامح) وليس من كلمة ثالثة للعادّ ، فان أردت المنع فقل (لا) رافعا بها صوتك حتى تكفى طول معاودة الطالب لك (في أصل الديوان العباد ، بباء موحدة ، واصلحناها الى العياد وهي المعاودة وهو المعنى الصحيح) وقد وضعنا كلمة (لا) بين قوسين حتى يظهر معناها للقارئ[4] .

ولذلك قال في البيت الثاني من هذه القصيدة (٣ : ١١٨) :

صرح بإحدى كلمتيـ ـ ـ ـن وخذ أمانك من جهادي[5]

وقد أفرد البحتري بابا لهذا المعنى في حماسته ، وهو الباب الخامس والثمانون ومنه قول هرم بن غنام السلولي :

اذا قلت في شيء نعم فأتمه فان نعم دين على الحر واجبُ
والا فقل لا واسترح وأرح بها لكيلا يقول الناس انك كاذب

١٨ ـ وقال بشار (١ : ١٤٦) :

شتان مجدود ومن جده كالكعب ان ترحل به يرتب

كتب الشارح في حاشية البيت : قوله كالكعب لعله تحريف صوابه

كالكلب ، ولم يشرح هذا المعنى الذي ذهب اليه ، وانتبه المراجعان الى أن الكلمة صحيحة لان رتب تقال للكعب لا الكلب . يقال : رتب الكعب رتوبا اذا انتصب ، والكعب يلعب به في المقامرة[6] . قال الأجدع الهمداني (السمط ج ١ ص ١٠٩) :

وكأنّ صرعاها كعاب مقامر ضربت على شزن فهن شواع

وقد أدرك المراجعان معنى البيت على مافيه ، ولكنهما وهما في معنى الشطر الثاني اذ قالا : « وحظوظ الدنيا مثل الكعاب فمن الناس محظوظ فائز ومنهم من يقف الكعب دون فوزه ولو أكثر اجالته ورميه » .

ونرى أن قول بشار (مجدود) من الجد وهو القطع وهو بمعنى (المحدود) بالحاء المهملة ، إن لم تكن محرفة عنها . أي من الناس من هو محروم ومنهم محظوظ لو رمى بكعب لوقف وثبت - ووقوف الكعب وثباته واقفا علامة الفوز لا الخسارة اذ قلما يقف الكعب - فان توالى ذلك أي وقوف الكعب دل على حظ صاحبه . وبناء على هذا فان قوله (ترحل به) لا معنى له صوابه (تزجل به) يقال (زجل به) اذا دفعه ، والكعب يزجل به أي يدفع .

١٩ - وقال بشار (١ : ١٤٧) :

مكية تبدو اذا مابدت بالميث من نعمان أو مغرب

ضبط المراجعان كلمة (نعمان) بفتح النون كما وردت في المخطوطة ، وكان الشارح قد ضبطها بالضم ، وهو واد بين مكة والطائف . وضبطُ (نعمان) بفتح النون هو الصواب[7] . وأما (مغرب) بضبط الكلمة على وزن الجهة فلا يصح هنا ، اذ ليست الجهة مرادة ، والصواب ضبطها بضم الميم ، لأن (مغرب) واد أيضا قرب مكة (معجم مااستعجم : « مغرب »

وانظر احالته الى مادة ياجج) .

٢٠ ـ وقال بشار يمدح يزيد بن عمر بن هبيرة (١ : ١٤٩) :

زين سرير الملك في المغتدى وغرة الموكب في الموكب

كأن مبعوثاً على بابه يدني ويقصي ناقدا يجتبي

لم يعلق الشارح والمراجعان على البيتين بشيء .

والصواب في قوله (المغتدى) (المنتدى) وهو مجلس القوم . يريد أن ممدوحه يزين سرير الملك في حَضَره ، كما أنه يزين الموكب في سفره (للحرب أو غير ذلك) . وقد كرر بشار المطابقة بين الإقامة والمسير في أبيات كثيرة فمنها قوله (١ : ٢٧٨) :

ضرّاب أعناق وفكّاكها في مجلس الملك وظل العقاب

ومنها قوله (٣ : ٨٢) :

إمامٌ يحيّا في الحجاب وتارة رئيسُ خميسٍ تحت ظل المطاردِ

وقوله (١ : ٢٣٣) :

أغر أبلج تكفينا مشاهده في القاعدين وفي الهيجا اذا ركبوا

وأما البيت الثاني فان (مبعوثا) ان لم يكن مصحفا فهو اسم الحاجب ، وهو اسم كأن في البيت وخبره (ناقد) في الشطر الثاني من البيت ، وحقه الرفع كما ترى . يريد بشار أن مبعوثا الحاجب في ادخاله بعض الناس الى الممدوح واقصائه بعضهم كالصيرفي الذي يقبل الدراهم الجياد ويرد الزائف منها ، فضرب الدراهم مثلا للرجال ، والناقد هو الصيرفي . قال جرير في الفرزدق :

فلا تقبلوا ضرب الفرزدق انه هو الزيف ينفي ضربه كل ناقد

٢١ ـ وقال بشار في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة (١ : ١٥٠) :

دأبتُ حتى جئتــــه زائرا ثـم تـعـنيـت ولـم أذأبِ

لم يتكلم الشـارح على البيت بشيء ، وفسر المراجعـان قـولـه (تعنيت) بـأنـه هنـا بمعنى (قصـدت) . وهـذا لا يستقيم مـع المعنى ، اذ المعنى أنه استغنى عن الدأب والطلب عند وصوله الى الممدوح ، فـالصواب في قـولـه (تعنيت) (تغنيت) بـالغين المعجمـة ، أي مكثت وأقمت وهوأحد معاني هذه الكلمة أو استغنيت وهو من معانيها أيضا .

٢٢ ـ وقال بشار يمدح ابن هبيرة من القصيدة المتقدمة (١ : ١٥٢) :

خرجن من ســـوداء في غرّة يردين أمثـال القنـا الشزب

لم يشر الشـارح والمراجعـان الى كلمتي (سـوداء) و (غرّة) و (سوداء) و (غرّة) مصحفتـان عن (سوراء) و (غزة) وهمـا موضعـان قرب (عين التمر) جرت فيها وقـائع لابن هبيرة مع الخوارج . قـال مسلم حـاجب يـزيـد بن عمر بن هبيرة يمدحـه ويـذكر قتلـه الخوارج هنـاك (الطبري ٧ / ٣٢٨ في أحداث سنة ١٢٧) :

أرت للمثنى يـوم غـزة حتفـه وأذرت عزيرا بين تلك الجنادل

وعمرا أزارتـه المنيـة بعـدمـا أطافت بمنصور كفات الحبـائل

(عزير : هكذا ورد في هذا الشعر براء مهملة وفي المتن بالزاي) .

٢٣ ـ وقال بشار من القصيدة نفسها في مدح ابن هبيرة (١ : ١٥٣) :

ولـو ترى الازدي في جمعـه كان كضليـــل بني تغلب

أيـام يهـززن اليـه الردى بكل مـاضي النصـل والثعلب

حتى اذا قرَّبــه حينُـه منهـا ولـولا الحين لم يقرب

خـاض ابن جمهـور ولـو رامهـا مطـاعن الأسـد على المشرب

الكلام على البيت الأخير منها ، ولايتضح الكلام الا بايراد الأبيات المتقدمة عليه .

ذكر الشارح أن المراد بالأزدي في هذه الأبيات هو المختار بن عوف الأزدي الخارجي وأراد بالضليل امرأ القيس الشاعر المعروف لأن بني تغلب اخواله ـ وهذا لايصح لأن امرأ القيس لم يعرف بهذا اللقب ـ وانما يشير الشاعر الى عدد من الخوارج ، ولعله أراد عبيدة بن سوار التغلبي الذي قاتله ابن هبيرة عام (١٢٧) هـ وهو أحد رؤساء الخوارج .

وقد أكثر الشارح في هذه الأبيات من حذف الجواب في هذه الأبيات وخلاصة ماقال : جواب اذا في البيت الثالث محذوف تقديره : قتل بأدنى وقعة ، وجواب لو في البيت الرابع محذوف والتقدير : لخاض اليه وظفر به .

ثم انه جعل فاعل (خاض) في البيت الرابع ضميرا يعود على جيش الممدوح أو على الممدوح نفسه ، وابن جمهور مفعول والتقدير : خاض قتال ابن جمهور . وأما مطاعن الأسد فقد ذكر عددا من الرجال الذين يمكن ان يطلق عليهم لقب (مطاعن الاسد) وكل هذا الذي أطال به هو من ثمار التصحيف اذ الصواب في البيت الرابع :

جاض ابنُ جمهور ولو رامها   لطاعن الأسد على المشرب

وجاض معناها عدل ونكل عن القتال[8] . وكانت هذه عادة منصور الذي كان يفر من وقعة الى وقعة ، يريد ان الحرب قضت على الأزدي كما قضت من قبله على ضليل بني تغلب وكان ذلك مقدرا على الأزدي ، ولو لم يكن قدرا لما قاتل الممدوح ، واما ابن جمهور ـ وهو منصور ـ فقد

انهزم ، ولو رام القتال لقاتل الأسود . وهذا واضح من أبيات مسلم حاجب يزيد المتقدمة في (٢٢) في اقتراب منصور من الموت وفراره منه ، وكان منصور بن جمهور فرارا ، انتهى به فراره الى السند ومات هناك .

٢٤ ـ وقال من القصيدة نفسها (١ : ١٥٤) :

هناك عاد الدين مستقبلا   وانتصب الدين على المنصب

كسر الشارح الباء من مستقبلا ، وفسر ذلك بأنه من قولهم :

أمر مقبل وأمر في اقبال ومستقبل (بكسر الباء) اذا حسنت حاله . ونرى أن الصواب فتح الباء بمعنى (مستأنفا) أي جديدا ، أي عاد الدين جديدا بعد القضاء على الخوارج .

وهذا معنى معروف ذكره الشعراء فمن ذلك قول يحي بن محمد الاسلمي (الطبري ٩ : ٦٦٣ في احداث سنة ٢٧٠ هـ) :

تفرد اذ لم ينصر الله ناصر   بتجديد دين كان أصبح باليا

وقول يحي بن خالد (الطبري ٩ : ٦٦٤ في أحداث ٢٧٠ هـ) :

ملك أعاد الدين بعد دروسه   واستنقذ الاسرى من الاغلال

٢٥ ـ ومن القصيدة نفسها (١ : ١٥٥) :

وعاقد التاج على رأسه   يبرق والبيضة كالكوكب

في أبيات ... الى قوله : أنهاك عن عاص عدا طوره ...

ضبط الشارح (عاقد) بالرفع وجعل الواو لعطف الجملة ، ظنا منه أن الأبيات في مدح ابن هبيرة ، وهي ليست في مدحه ، وانما هي في

وصف عدو متخيّل ، عظّم بشار من أمره ثم حذره من الممدوح ، وهي عادة معروفة لشعراء العرب ، فحق الواو أن تكون واو رب وعاقد مجرور بها ، أي ورب عاقد تاجه من شأنه كذا وكذا قلت له لا تقرب الممدوح وانهاك عن محاربته لأنه لا يقهر .

٢٦ ـ وقال من القصيدة المتقدمة في مدح ابن هبيرة (١ : ١٥٦) :

ان الالى كانوا على سخطه من بين مندوب ومستندب
لما دنا منزله أطرقوا اطراقة الطير لذي المخلب

لم يعلق الشارح على البيتين بشيء ، وتولى المراجعان ذلك فقالا : المراد بسخطه : كراهته والغضب عليه . والصواب (شحطه) أي بعده يريد أن أعداء ابن هبيرة كانوا يتنادبون للقتال ، وهو بعيد ، فلما دنا منهم أطرقوا وذلوا .

٢٧ ـ وقال بشار (١ : ١٥٧) :

وربما رابني النذير فعميـ ـ ـت رجاء الاصم عن ريبه

النذير مصحفة عن (الندي) ويريد به من يجالسه . ومعنى البيت : اذا رابني مجالسي تعاميت عنه حتى يرعوي . وقد قال من القصيدة نفسها (١ : ١٥٩) :

يخرجن من فيه للندي كما يخرج ضوء السراج من لهبه

(في البيت تحريف آخر لم أهتد الى وجهه) .

٢٨ ـ وقال بشار يفخر بنفسه (١ : ١٦١) :

حتى اذا درت الدرور له ورغثته الرواة في نسبه

قال الشارح في رغثته « أرضعته ، والنسب هنا مصدر نسب بفتح السين بالمرأة أي شبب بها في شعره : . والمعنى على هذا حتى اذا درت الدرور له (وهي الناقة الغزيرة اللبن) وأرضعته الرواة في تشبيبه بالنساء ، وهو كلام لايتحصل منه معنى ، والصواب : ورعّثته الرواة في نسبه . والرواة هنا المراد بهم أهل الأدب وترعيثه أنهم أشادوا به في لقبه (المرعث) وهو لقب بشار ونسبه يريد به نسبته ولقبه ـ كما قال عن نفسه (١ : ١٢٣) :

أنا المرعّث لاأخفى على أحد ذرّت بي الشمس للداني وللنائي

للبحث صلة

التعليقات

الدكتور شاكر الفحام

حفلت مخطوطة ديوان بشار التي حققها الأستاذ العالم محمد الطاهر بن عاشور بألوانٍ من التصحيف والتحريف . وقد بذل الشيخ الطاهر - رحمه الله وأثابه - جهداً مضنياً ليخرج الديوان أقرب مايكون الى الصحة والسلامة . ولكن أنّى يطيق ذلك وقد عبث الناسخ أيما عبث بالديوان فأفسده وأحاله ، حتى كاد يصير غلطاً صرفا . وكنتُ في ماضيات أيامي قرأت الديوان قراءة بصيرة متأنية ، وأعلمت في حواشي نسختي على مابدا لي من تصحيف وتحريف وخطأ ، واخترتُ منه جملة صالحة نشرتها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق لتكون شاهد ماوراءها ، وتَحْفِزَ علماء اللغة وفرسانها الأبيناء أن تتبارى أقلامهم في هذا الميدان ، وتشارك في إحياء هذا الجانب اللغوي الذي يشحذ الملكات اللغوية ، ويغني مباحث العربية بما يستدعيه من نقاش وحوار ومفاوضة ، ويفتح للناشئة أبواباً من الدراسة تتيح لهم التمكُّن من أصول اللغة وتعرّف أسرارها .

وكلمة الدكتور محمد حموية خطوة جادة في الطريق ، ورأيتُ من تمام الكلام أن أعلق على بعض مالاح لي في كلمته ، وأنا لاأدعي أن ماجاء في الكلمة والتعليق عليها هو الصواب ، ولكنه الاجتهاد الذي ترجح لنا ، والمجتهد يصيب ويخطئ ، والمأمول أن نتلقى مايقوّم العوج ، ويسدّد الخطا ، وأن يظفر هذا الميدان الخصب بعناية العلماء واللغويين ، ليجدّدوا صرح العربية ، ويحفظوا لها بيانها ورونقها وديباجتها المشرقة . والله من وراء القصد .

(1) وذكر الطبري وابن الاثير (في أحداث سنة ١٦٦ هـ) اسم ابن أبي أيوب المتهم بالزندقة ، وهو محمد (وانظر ديوان بشار ١ : ١٧) ، كذلك فان الطبري وهو يعرض لذكر الخبر عن بعض سير المنصور (سنة ١٥٨ هـ) أورد خبراً جاء في سند روايته « قال : حدثني عبد الله بن محمد بن أبي أيوب المكي عن أبيه قال : حدثني عمارة بن حمزة .... » .

(2) التبس الأمر على الأستاذ حموية ، فقد علق المراجعان بقولها : [في المخطوطة : طلت بفتح التاء ، وضبطها الشارح بالضم] . وهكذا يلتقي الأستاذ ابن عاشور والأستاذ حموية على الصواب ، وتصحيح ماوقع فيه الناسخ الماسخ . ولكن المراجعين آثرا ضبط المخطوطة ، فجاءت (طلت) في الديوان المطبوع بفتح التاء والصواب ضمها . وقد تسلل هذا الخطأ الى طبعة ديوان بشار الثانية (١ : ١٤٨) التي صدرت في الجزائر وتونس (١٩٧٦ م) .

(3) للنحاة واللغويين أقوال في هذا الجمع المكسّر لفُعّال (بضم الفاء وتشديد العين ، من أبنية المبالغة) . انظر كتاب سيبويه ٢ : ٢١٠ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢ : ١٧٨ ، والصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وهامشه وتاج العروس وهامشه (قرأ ، عور) ، والمحكم لابن سيده ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٦ : ٢٩٠ (قرأ ، عور) .

(4) لم يعلق الشارح على البيت الأخير في طبعة الديوان الأولى ، أما في الطبعة الثانية فقد علّق عليه بقوله (٣ : ١١٤) : « يكفيك لا : أي يكون كافياً لك حرف (لا) . وهذا بيان لقوله قبله : صرح باحدى كلمتين .... الخ . وقوله : ولا اجتهاداً : اي حرف (لا) أخت (لا) الأولى ، واجتهاداً ، مفعول فعل محذوف دلّ عليه العطف على يكفيك . وكتب في الديوان (ولا احتهاد) بحاء مهملة ، وضبط في الديوان بضمتين . ومن مناد : متعلق باجتهاد » .

(5) علّق الشارح على البيت بقوله : « هما نعم أو لا ، أي قل إحداهما ، ولاتخش قتالي ، أي هجائي » .

(6) أسقطت طبعة الديوان الثانية (١ : ١٧١) تعليق الشيخ ابن عاشور الذي جاء في الطبعة الأولى ، واكتفت بشرح موجز يتضمن مجمل ماأورده المعلقان دون أن تشير إليها / انظر كتابنا « نظرات في ديوان بشار بن برد » ص ١٧ هـ ٤ .

(7) اقتصرت طبعة الديوان الثانية (١ : ١٧١) على ضبط « نعمان » بفتح النون .

(8) كنتُ أُعلمتُ في حاشية الديوان أن « خاض » مصحفة عن « حاص » بحاء وصاد مهملتين . و « حاص » و « جاض » بمعنى واحد وهو عدل وحاد وهرب . (انظر غريب الحديث للخطابي ١ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ ، وشرح مايقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد لعسكري ١ : ٤٨١ ـ ٤٨٢ ، واللسان / جاض ، حاص) .

شرح أبيات سيبويه
تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني

محمد أحمد الدالي

الجزء الثاني

٣٠ ـ ٢ / ١٠ ح ١ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال الراجز وعندي أنه الحذلمي » قال : « لم تذكره المصادر لدي » .

قلت : « الحَذْلَمِيُّ » هذه النسبة إلى « حَذْلَم » وهو لقب منقذ بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . انظر تعليق الشيخ الجليل العلامة عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني رحمه الله تعالى على الأنساب ٤ / ٩٠ (ط . بيروت ١٩٨٠) ، وتعليق العلامة الشيخ محمود محمد شاكر في طبقات فحول الشعراء ٢ / ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ٢٥٥ .

والظاهر أن الشاعر « الحذلمي » هذا هو أبومحمد عبد الله بن ربعي .... بن حذلم ـ هو منقذ ـ بن فقعس .... بن أسد ، وأكثر مايرد اسمه منسوباً إلى فقعس . يشهد لهذا أن ثمة أبياتاً بأعيانها وردت في بعض المصادر سمي قائلها في بعضها أبا محمد الفقعسي وفي مصادر أخرى الحذلمي . انظر تهذيب الألفاظ ١١٦ ، ٤٦٣ ، ٥٨٤ ، وأدب الكاتب ٤٥ ح ٧ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ١٥٤ ، وسمط اللآلي ١٤٨

٣١ ـ ٢ / ٦٥ س ١٠ « يمدح بذلك بغيضاً وهم من بني سعد » اهـ .
الصواب : « وهو من بني سعد » .

● نشر القسم الأول من المقال في مجلة المجمع (مج ٦٠ ص ٣٤٠) .

٣٢ ـ ٢ / ٦٨ س ٥ « والباء ههنا بمنزلة (ما) يريد أن .. » اهـ .

وكيف تكون الباء بمنزلة (ما) ؟ والصواب : « والباء ههنا بمنزلتها في (ما) » . وانظر الكتاب ١ / ٣٦٢

٣٣ ـ ٢ / ١٣٦ س ٨ ـ ٩ أنشد ابن السيرافي قول أبي أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف :

ياكرز إنك قد فتكت بفارس   بطل إذا هاب الكماة مجرّبِ
ولقد طعنت أبا عيينة طعنة   جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

ثم قال : « وفي ظاهر الأمر أنه قد أقوى . ولو روي (بطلٌ) على الرفع لجاز ... » اهـ .

قلت : هكذا روى ابن السيرافي البيت الأول ، وروايته في اللسان والتاج (جرم) ، والاقتضاب ٣١٣ :

بطلٍ إذا هاب الكماة وجبّبوا

وجببوا : إذا فروا .

٣٤ ـ ٢ / ١٧٠ ح ٢ قال المحقق معلقاً على الأبيات الثلاثة التي ثالثها :

ياصاح بلغ ذوي الحاجات كلهم   أن ليس وصل إذا انحلت عرا الذنب

قال : رويت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى أبي الجراح العقيلي في معاني القرآن ٢ / ٧٥ ... » اهـ .

ولم يستشهد الفراء في هذا الموضع من معانيه إلا بالبيت الثالث وحده ، ولم ينسبه إلى أبي الجراح وإنما قال : « أنشدني أبو الجراح العقيلي : ياصاح ... » اهـ وليس يعني هذا أن البيت له ، وهذا ظاهر .

وقد حكى المحقق عن البغدادي الذي نقل عن سمط اللآلي ٦٥١ نسبتها لأبي الغريب .

٣٥ ـ ٢ / ١٧٢ ح ١ أحال المحقق في تخريجه لأبيات دجاجة بن العتر التائية على المخصص ١٥ / ٢٣١ ؟ ولم أجدها فيه .

ونُسِب البيتان :

مـن كـان أسـرع ....

إلا كنـاشرة ....

لدجاجة بن العتر في أصول مجاز القرآن ١ / ٦١ ، ٢٨٣

٣٦ ـ ٢ / ١٧٧ ح ٢ علق المحقق على الأبيات الثلاثة التي أنشدها ابن السيرافي والتي ثالثها :

في ليلـة لانرى بهـا أحـدأ يحكي علينـا إلا كـواكبهـا

قال : « الأبيات لعدي بن زيد في ديوانه ق ١٤٦ / ٢ ـ ٣ ـ ٤ .... ورويت الأبيات في خبر حبابة في الأغاني ١٥ / ١٢٢ .... وفي الخزانة ٢ / ٢٠ زعم البغدادي أن سيبويه لم ينسب البيت إلى أحد ، وهو منسوب في الكتاب إلى عدي بن زيد ، وادعى أن الأصفهاني نسب هذه الأبيات إلى أحيحة بن الجلاح الأنصاري ، وهي في الأغاني بلا نسبة ... » اهـ .

وفيما قال الأستاذ المحقق أشياء :

الأول : أنه أحال على ديوان عدي فأوهم أن الأبيات مما ثبتت نسبته إلى عدي ، وليس كذلك ، فإن محقق الديوان قد جعلها في قسم الأبيات المنسوبة إليه وليست له .

والثاني : أنه اتهم البغدادي ، وهو العالم الذي قضى عمره في التأليف في شواهد العربية فألّف خزانة الأدب وشرح أبيات مغني اللبيب وحاشية على شرح بانت سعاد ، وهو كغيره يعتريه الوهم والخطأ ، بيد أنّ توهيمه ونسبة الخطأ إليه لايكونان ولا سيما في باب الشواهد إلا بعد الفحص والنظر والتمحيص والتتبع لأنه عالم خبير بمصادر العربية قد صنع لشواهدها فهارس تيسر له الوصول إليها ، وكان لديه من الأصول المعتمدة ما كان يفخر ويعتز به ويذكره في كتبه .

فكان ينبغي للمحقق قبل أن يقول : « زعم البغدادي ... وادعى .. » أن يتثبت مما قال ، على ما في قوله من ادعاء واتهام . فإذا علمت أن المحقق هو الواهم فيما زعم كان أعجب وأغرب .

أما أنّ سيبويه لم ينسب البيت ـ وهو ما قاله البغدادي ـ فهو صحيح لم يزعمه . وقد أسلفت القول في نسبة شواهد الكتاب (الفقرة الثالثة) . وعبارة نسبة الشاهد في مطبوعة بولاق ١ / ٣٦١ جعلت بين حاصرتين إلماعاً إلى أنها وردت في بعض النسخ ـ ولعلها عن حواشيها ـ والعبارة هي : « قال الشاعر (وهو عدي بن زيد) » وهي تدفع أن تكون من كلام سيبويه . ولم يقع البيت منسوباً في نسخه البغدادي من الكتاب أو نسخه ، فقد قال البغدادي : « وهذا البيت نسبه الشارح [يعني الرضي] المحقق إلى عدي بن زيد موافقة لشراح شواهد سيبويه ، ولم ينسبه سيبويه في كتابه إلى أحد وإنما أورده غفلاً ... » وهذا قول عالم .

والثالث : أن المحقق نسب البغدادي إلى الادعاء بأن الأصفهاني نسب الأبيات إلى أحيحة وقطع المحقق بأنها في الأغاني بلا نسبة ، ولو رجع المحقق إلى ترجمة أحيحة في الأغاني ١٥ / ٣٦ لوجد الأبيات ثمة ، فما قاله البغدادي حق وصواب .

٣٧ ـ ٢ / ١٧٩ س ٨ « ... والضمير إذا وصله لم يحسن فصلُه ... » ا هـ .

كذا وقع ، وفي الكلام سقط ، وتمامه : والضمير إذا [أمكن] وصلُه لم يحسن فصلُه ..

٣٨ ـ ٢ / ١٨٠ ح ١ ترجم المحقق في هذه الحاشية لأبي قيس بن رفاعة الأنصاري الذي أنشد له ابن السيرافي أربعة أبيات لامية ، فقال : « اسمه صيفي بن الأسلت ... » .

وهـذا خلـط ، فهـذه ترجمـة أبي قيس بن الأسلت لا أبي قيس بن رفاعة .

وأبو قيس بن رفاعة اسمه دِثار ، ونقل السيوطي عن ثعلب أن اسمه نفير ، قال أبو عبيد البكري : « وهو من شعراء يهود من طبقة الربيع بن أبي الحقيق ونظرائه . وهو شاعر مقلّ أحسبه جاهلياً » . انظر طبقات فحول الشعراء ٢٨٨ ، وسمط اللآلي ٥٦ ـ ٥٧ ، والخزانة ٢ / ٤٩ ، وشرح شواهد مغني اللبيب للسيوطي ٢٤٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٥ / ٢٤٣ .

٣٩ ـ ٢ / ٢٢٨ س ١ « وقوله (فما أعني) » ا هـ

كذا وقع ، والصواب « فلا أعني » يريد بيتْ الكميت الذي رواه ص ٢٢٧ .

٤٠ ـ ٢ / ٢٤٢ س ١٠ « يريد أنه فعلت هذا ... » ا هـ

والصواب : يريد أنها ...

٤١ ـ ٢ / ٢٤٦ ح ١ قال المحقق معلقاً على قول زهير :

تعلمن هـا لعمر الله ذا قسماً فاقصد بذرك وانظر أين تنسلكُ

قال : « البيت ... وجاء في عجزه (فاقدر بذرعك) وكذا في شرح ديوان زهير ... » ا هـ

قلت : رواية الأصمعي « فاقدر » ، ورواية ثعلب ـ وهو ما جاء في شرح ديوان زهير ـ « فاقصد » . انظر شعر زهير صنعة الأعلم ص ٨٨ ، وشرح ديوان زهير ١٨٢ (ط . دار الكتب) و١٣٧ (ط . الدكتور فخر الدين قباوة) .

٤٢ ـ ٢ / ٢٦٤ ح ١ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال الأخزم بن

قارب الطائي » قال : « لم تذكره المصادر لدي سوى ورود اسمه في البيان والتبيين ١ / ٣٣١ ... » .

والذي في البيان والتبيين « أبو أخزم الطائي وهو جد أبي حاتم طيئ أو جد جده ، وكان له ابن يقال له أخزم .. » ا هـ . وما للأخزم بن قارب الطائي ولأبي الأخزم ؟ !

و « الأخزم » بمعجمتين هو الأخزم السِّنْبِسِيُّ الطائيُّ . والكلمة التي منها البيتان اللذان أنشدهما ابن السيرافي أنشد منها أبو تمام في الوحشيات ٤٠ خمسة أبيات وأنشدها الغندجاني في فرحة الأديب ١٤٢ ـ ١٤٣ عشرة أبيات . وأنشد له أبو تمام الحماسية ١٩٥ انظر المرزوقي ٦٠٠ والتبريزي ٢ / ٧٧ (وفيها : الأخرم ـ وكذا في أصول فرحة الأديب ـ وكان في أصول المرزوقي : الأحزم) . ويكثر في طيئ هذا الاسم ، انظر الاشتقاق ٢٩٥ ، ٣٩١ ، والإكمال ١ / ٣٥ ـ ٣٦ . وقد نص البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب على أنه « الأخزم » بمعجمتين .

و « السِّنْبِسِيُّ » هذه النسبة إلى سِنْبِس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ، انظر جمهرة أنساب العرب ٤٠٢ ، ٤٧٦ . ووقع في اللباب ٢ / ١٤٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢ / ٢٥٩ ، والمؤتلف والمختلف ٤٠ (في ترجمة الأعور السنبسي) ، ومعجم قبائل العرب ٢ / ٥٥٧ (انظر حاشيته) : « سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل » ؟ كذا ، ومعاوية بن ثعل هو أخو جرول بن ثعل ، وسنبس هو ابن معاوية .

٤٣ ـ ٢ / ٢٩٨ س ٦ « ويروى : على أرياعها » . كذا أثبته المحقق وعلق عليه قال : « أي على طريقها ، وناقة مرياع : تذهب في المرعى وترجع بنفسها ... » .

و « أرياعها » تصحيف صوابه « أرباعها » فأكد المحقق التصحيف بتفسيره إياه بما لايصح ، وأنى له أن يقول « على أرياعها : على طريقها » ؟ وما للمرياع وللأرياع ، وما للأرياع وللطريق ؟ !

والذي أراده ابن السيرافي أن البيت :

أما ترى الموت لدى أرباعها

يروى بـ « لدى » و « على » وقد شرح البيت .

٤٤ ـ ٢ / ٣٠١ ح ١ أحال المحقق في تخريج بيت الكميت على المخصص ١٧ / ٣٧ وزعم أنه فيه بلا نسبة ، وهو فيه منسوب إليه .

٤٥ ـ ٢ / ٣٠٧ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال طفيل بن يزيد المعقلي ... » قال : « البيتان .... لطفيل بن يزيد المعقلي في ... ولطفيل بن يزيد الحارثي في ... والراجح أن الشاعر واحد فاسم جده معقل بن الحارث . انظر معجم قبائل العرب ٣ / ١١٢٣ » اهـ

لم يضبط المحقق نسبة الشاعر « المعقلي » ، وتابع صاحب معجم قبائل العرب على أن المعقل هو ابن الحارث بن كعب ؛ وبين المعقل والحارث رجالٌ .

أما نسبة الشاعر فهي « المُعَقَّلِيُّ » بضم الميم وفتح العين المهملة وفتح القاف المشددة وكسر اللام ، وهذه النسبة إلى « المُعَقَّل » وهو ربيعة بن كعب الأرتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مذحج . انظر الإكمال ٧ / ٢٦٥ ، والأغاني ١٦ / ٣٢٨ في ترجمة عبد يغوث بن وقاص الحارثي (وفيه تحريف) ، وجمهرة أنساب العرب ٤١٦ ـ ٤١٧ . والظاهر أنه « المَعْقِلِي » بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف عند صاحب اللباب ٣ / ٢٣٥

٤٦ ـ ٢ / ٣١٨ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت الراعي :

أشاقتك آيات أبان قديمها كما بُيِّنَتْ كاف تلوح وميمها

قال : « ويروى (كما تَبَيَّنَتْ كاف) بفتح الباء والياء » ا هـ

كذا أثبته المحقق ، وهو تحريف مخلّ بالوزن ، والصواب « بَيَّنَتْ » ببناء الفعل للفاعل ، والرواية الأخرى ببنائه لما لم يسمّ فاعله .

وبيت الراعي في ديوانه (ط . راينهرت) ق ٦٦ / ١ ص ٢٥٨ .

٤٧ ـ ٢ / ٣١٨ ـ ٣١٩ بيتا الراعي اللذان أنشدهما ابن السيرافي هما في ديوانه (ط . راينهرت) ق ٤٥ / ٢٦ ، ٢٧ ص ١٧٧

٤٨ ـ ٢ / ٣١٩ ـ ٣٢٠ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت الحطيئة :

يادار هند عفت إلا أثافيها بين الطوي فصارات فواديها

قال : « الشاهد في إسكان الياء من أثافيها وهي منصوبة » ا هـ فعلق المحقق عليه قال : « سكنت الياء ضرورة في أثافيها ويجوز تشديدها » ا هـ

فيما قاله خطأ من وجهين :

أولهما : أنه قال « سكنت الياء » ثم قال « ويجوز تشديدها » والإسكان لا يقابل التشديد ، فكان عليه أن يقول « خفّفت » .

وثانيهما : أن الكلام ليس على التخفيف والتشديد ، ولا معنى لما قال ههنا . والكلام على الإسكان والنصب ، فكان ينبغي أن يقال : سكنت الياء ويجوز نصبها ، ولو نصب ـ على أن يكون البيت غير مصرع ـ لجاز . وانظر شرح شواهد الشافية ٤١٠ .

٤٩ ـ ٢ / ٣٢١ قال ابن السيرافي عقب إنشاده البيتين :

بالخير خيرات وإن شراً فا

ولا أريد الشرّ إلا أن تا

قال : « ... وهذا الشعر يروى لنعيم بن أوس من ربيعة بن مالك ... »

وعلق المحقق عليه قال : « ورد اسمه في اللسان (معى) ٢٠ / ١٥٧ (لقمان بن أوس بن ربيعة بن مالك) ولم تذكره المصادر لدي » ا هـ

قلت : أنشد أبو زيد في النوادر ١٢٧ الشعر وعزاه لِلُقَيْم بن أوس من بني أبي ربيعة بن مالك ، وانظر شرح شواهد شرح الشافية ٢٦٢ ـ ٢٧٤ . ولعل « نعيم » ـ كما وقع في شرح ابن السيرافي ـ مما حرّفه النساخ في نصه ، أو يكون ذلك منه .

٥٠ ـ ٢ / ٣٧٤ س ٢ :

ما إن تُبيتينا بصوت صلب فيبيت منه القوم في بلبال

كذا ، وصوابه : « ما إن تَبَيِّتُنا » يريد سلمى بنت حذيفة بن بدر . وانظر شرح شواهد شرح الشافية ١٨٧ ـ ١٨٨

٥١ ـ ٢ / ٣٧٦ يزاد في مصادر أبيات منظور بن مرثد الأسدي اللامية .

فسلّ همّ الوامق المغتلّ

الخزانة ٢ / ٥٥٠ ، والنوادر ٥٣ ، ومجالس ثعلب ٥٣٣ ـ ٥٣٦ ، وشرح شواهد شرح الشافية ٢٤٦ ، وتهذيب الألفاظ ٤١٢ ، وضرائر الشعر لابن عصفور ٥١ ، وسفر السعادة ٢ / ٧٣٣ ـ ٧٣٥ (ط . مجمع اللغة العربية ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤)

٥٢ ـ ٢ / ٣٧٨ ح ١ س ٨ قال المحقق في تخريجه الأبيات البائية :

لقد خشيت أن أرى جدبّا

قال نقلاً عن البغدادي في شرح شواهد شرح الشافية : « ونسبها ابن عصفور وابن يسعون نقلاً عن الجرمي والسخاوي إلى ربيعة بن صبيح » ا هـ

و « ربيعة بن صبيح » تحريف صوابه « ربيعة بن صُبْح » كما قال

السخاوي ، وقد استقصينا تخريج الأبيات فيما علقناه على كتابه سفر السعادة ١ / ٤٥ .

٥٣ ـ ٢ / ٣٩٦ س ٤ ـ ٥ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت حكيم بن معية :

فيهـا عيـاييل أسود ونُمُرْ

قال : « الذي في شعره : (فيه غياييل) » . وغياييل بالغين المعجمة تصحيف صوابه « عياييل » بالعين المهملة ، انظر ما قاله المؤلف (ابن السيرافي) بعد . والذي أراده ابن السيرافي أن الرواية في شعره « فيه » لا « فيها » . وقد استقصينا تخريج أبيات حكيم هذه في سفر السعادة ١ / ٣٩٥ .

٥٤ ـ ٢ / ٣٩٩ س ٩ ـ ١٠ بيتا الراعي هما في ديوانه (ط . راينهرت) ق ٥١ / ١ ـ ٢ ص ١٨٤ .

٥٥ ـ ٢ / ٤٠٧ س ٣ « فالاسم نحو أَلَنْجَج وأبنم .. »

وصوابه : « ألنجج » بجيمين ، وهو العود الهندي .

٥٦ ـ ٢ / ٤٠٨ ح ١ عزا المحقق إلى المخصص ١٠ / ١٦ ضبط بيت غيلان بن حريث :

عيدان شطي دجلة اليخضور

برفع اليخضور . لم تضبط راء اليخضور في المخصص والوجه ـ كما هو ظاهر قول أبي علي ـ الجر ، لأنه استشهد به على أنه يقال للماء اليخضور فيكون « اليخضور » بالجر نعتاً لـ « دجلة » والذي قاله ابن السيرافي في توجيه الجر والرفع غير جيد ، والصواب ما قلته إن شاء الله .

٥٧ ـ ٢ / ٤٣٣ س ٨ « وقوله معدواً عليّ ... »

والصواب : « معديًّا علي » يريد قول عبد يغوث :

أنــا الليث معــــديًــا علي وعـــاديـــا

٥٨ ـ ٤٤٢ س ١٠ « الذي تيمه الهوى ، استعبده »

والصواب : واستعبده .

وبعد ؛ فهذا مـا اتفق لي من التعليق على مواضع من الكتـاب ، ولم أستوف قراءته جميعاً . وأعود فأثني على الجهد الذي بـذلـه المحقق في تحرير نص الكتاب والتعليق عليه بما يوضحه ، وأسأل الله تعـالى أن يوفقنـا إلى الحق ، وفوق كل ذي علم عليم .

حاشية ابن بري

على كتاب المعرَّب
تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي

مأمون الصاغرجي

صدر عن مؤسسة الرسالة (بيروت ١٩٨٥ م) كتاب حاشية ابن بَرِّي على كتاب المعرَّب لابن الجواليقي ، بتحقيق الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي الذي عُني بإخراجه والتقديم له والتعليق عليه .

والحق أن حاشية ابن بري تفيض بالفوائد والفرائد ، وقد تكون مبعث حوارٍ خصب بين العلماء المختصين بمباحث التعريب وصلات اللغات بعضها ببعض ، ومعرفة ماأخذته وما أعطته كلٌّ منها إلى لداتها وجاراتها .

ولقد استمتعتُ بقراءة الكتاب وأفدتُ منه وشكرت للأستاذ المحقق مابذل من جهد ، وماقدَّم من نفع . وبدت لي في أثناء القراءة أشياء رأيتُ أن أعلِّق عليها ، وأفصح عما خالجني بشأنها ؛ وهي جميعاً من الأمور الهيِّنات إن شاء الله ، والغاية من سردها أن يزداد العمل كمالاً ، وأن تتضافر جهود العاملين في ميدان اللغة ليبلغ تحقيق الكتاب غايته .

١ ـ ترجم الأستاذ المحقق لابن بري مؤلف الحاشية (ص ١١) وذكر أنه توفي سنة تسع وتسعين وأربع مئة .

ـ والصحيح الذي أورده مترجمو ابن بري أن السنة المذكورة هي سنة ولادته ، وأنه توفي سنة ٥٨٢ هـ (إنباه الرواة ٢ / ١١٠ ـ ١١١ ، وقد أورد محقق الإنباه أبرز مصادر ترجمة ابن بري) .

٢ ـ أورد ابن بري في مفتتح كتابه (ص ١٩) سند أبي منصور موهوب بن الجواليقي الذي افتتح به كتاب المعرب وهو : « أخبرني غير واحد عن الحسن بن أحمد عن دعلج عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد ... » ، فعلَّق الأستاذ المحقق على دعلج بقوله : « لم أهتد إلى معرفته ، وقد أغفله أحمد محمد شاكر في نشرته » .

ـ قلتُ : دَعْلَج بن أحمد السِّجْزي (٢٦٠ ـ ٣٥١ هـ) من أشهر الرواة عن علي بن عبد العزيز المكي . وتجد ترجمته في تاريخ بغداد ٨ / ٣٨٧ ـ ٣٩٢ ووفيات الأعيان ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٨ / ١٩٥ ـ ١٩٨ وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠ ـ ٣٥ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٨١ ـ ٨٨٢ والعبر ٢ / ٢٩١ والبداية والنهاية ١١ / ٢٤١ ـ ٢٤٢ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٢٩١ ـ ٢٩٣ والرسالة المستطرفة ص ٧٣ وتهذيب ابن عساكر لبدران ٥ / ٢٤٢ .

٣ ـ قال ابن بري (ص ٢٠) : « قوله : أخبرني غير واحد ، يعني علي بن طراد الزينبي نقيب النقباء » ، وعلَّق الأستاذ المحقق على ذلك بأنه قد ورد في الأصل المخطوط : « طراد بن علي الزينبي » .

ـ إن ما جاء في الأصل المخطوط هو الصحيح . وإن جميع مترجمي ابن الجواليقي قد أطبقوا على أن أبا الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي (٣٩٨ ـ ٤٩١ هـ) كان من شيوخ ابن الجواليقي (انظر مقدمة كتاب المعرب : ٢٧ رقم ٣ ، وقد أورد من مصادره الأنساب والنجوم

الزاهرة والشذرات . وزد على مصادره العبر للذهبي ٣ / ٣٣١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٢٢٨ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٩ / ٣٧ ـ ٣٩ والتاج (طرد) . وسرد محققه مصادر أخرى كثيرة .

٤ ـ جاء في (ص ٢٢) : « باب معرفة العرب ... » .

ـ والصواب : « باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي » كما جاء في كتاب المعرب (ص ٦) ، وهذا وأمثاله ربما كان من أغلاط المطبعة .

٥ ـ أورد ابن بري (ص ٣٢) البيت الشاهد :

أراد الله أن يخزى عميراً   فسلَّطني عليه بأرَّجانِ

وضبط الأستاذ المحقق كلمة (يخزى) بالبناء للمفعول ، وأعاد ضبطها كذلك في الحاشية . وبمثل هذا الضبط جاءت في معجم البلدان (أرجان / ط وستنفلد) .

ـ والصواب في ضبطها (يُخْزِي) بالبناء للمعلوم ، كما جاءت في طبعة اللسان (أرج) ومعجم البلدان (أرجان / ط دار صادر) . أما رواية المعرب لابن الجواليقي (ص ٣٠) فجاءت :

أراد الله أن يَجْزِي عميراً   فسلَّطني عليه بأرَّجانِ

٦ ـ علق الأستاذ المحقق (ص ٣٢ ، هـ ٢٥) على البيت الشاهد الذي أوردتُه آنفاً فقال : « قال ياقوت : وحكى أبو عثمان ... وأنشدني محمد بن السريّ » .

ـ وتقتضي الدقة أن يقول : « قال أبو علي : وحكى أبو عثمان ... وأنشدني محمد بن السريّ ... » لأن هذا القول قول أبي علي الفارسي ،

ونقله ياقوت الحموي في معجمه ، ومحمد بن السريّ النحوي المعروف بابن السراج كان من شيوخ أبي علي الفارسي ، وقد نقل ابن الجواليقي هذا القول في المعرب (ص ٣٠) منسوباً إلى أبي علي الفارسي .

٧ ـ نقل ابن بري (ص ٤٣) قول الليث : « البِرْزيق : جماعة خيل دون الموكب . وقال زياد : ماهذه البرازيق التي تتردَّد »[1] . ثم علّق الأستاذ المحقق في الحاشية : « لم أتبين زياداً هذا » .

ـ قلت : هو زياد بن أبي سفيان والي البصرة لمعاوية بن أبي سفيان ، وقوله هذا جاء برواية أخرى من خطبة له في غريب الحديث لابن قتيبة (٢ / ٥٧٢) .

٨ ـ تحدث ابن بري (ص ٥١) عن لفظة « البَذْرَقة » وأن أبا منصور بن الجواليقي قد أخلَّ بها في كتابه فلم يذكرها .

ـ لعله كان من المستحسن أن يشير الأستاذ المحقق إلى أن لفظة « البذرقة » قد وردت في المعرب المطبوع (ص ٦٧) .

٩ ـ ذكر أبو منصور بن الجواليقي في المعرب (ص ١٤٩ ـ ١٥٠) أن « لادهل » كلمة نبطية ومعناها لاتخف . جاء ذلك في شعر بشار وهو قوله :

فقلتُ له لادَهْلَ مِنْ قَمْلَ بعدما رمى نَيْفَقَ التُّبَّانِ منه بعاذِرِ

وعقب ابن بري على كلام الجواليقي فصحح رواية البيت ثم قال

(١) كتاب العين ٥ / ٢٥٥ والتهذيب للأزهري ٩ / ٤٠١ واللسان (برزق) ، وانظر الجمهرة لابن دريد ٣ / ٣٠٥ .

(ص ٨٨) : « وذكر هذا البيت في حرف اللام ، وعزاه البارقي فيما حكاه ابن السكيت » .

ـ وقد علق الأستاذ المحقق فقال : « أراد أن الكلمة الأخيرة في البيت : بعاذِلِ » .

ـ قلت : ليس هذا ماعناه ابن بري بتعقيبه ، وإنما أراد أن ابن الجواليقي قد أعاد ذكر البيت الشاهد في باب اللام من كتاب المعرب (انظر المعرب المطبوع ص ٣٠١) ، وتبعاً لذلك أعاد ابن بري نفسه ذكر الشاهد في حاشيته (ص ١٤٣) وعلق عليه .

ـ ويبقى أن نذكر تمام الكلام الوارد في ص ٨٨ على وجهه الصحيح : « وعزاه [أبو منصور] إلى [سراقة] البارقي فيما حكاه عن ابن السكيت » . ولعل سقوط « إلى » من غلط المطبعة .

١٠ ـ أورد ابن بري (ص ٩٣) ثلاثة أبيات لرؤبة ، أولها :

لاتعذليني بالرُّذالات الحَمَكْ

وضبط الأستاذ المحقق « لاتعذليني » بالذال المعجمة طبق روايتها في ديوان رؤبة (ص ١١٧) . وكان الأستاذ أحمد محمد شاكر قد ضبطها في المعرب (ص ١٦٢) بالدال المهملة نقلاً عن مخطوطة (حـ) ، وعن لسان العرب ، وفسرها : « أي لاتوازنيني وتساويني » وهو الصواب .

ـ وجاء ضبط البيت الثالث هكذا :

يربض في الروث لَبِرْذَوْن الرَّمَك

والصواب فيه « كبِرْذَوْن » بالكاف في أوله كما جاء في المعرب واللسان (رمك ، فلك) ، ولعل هذا من أخطاء المطبعة أيضاً .

١١ ـ ضبط الأستاذ المحقق كلمة « الزرجونة » (ص ٩٦) بسكون الراء أنّى وقعت .

ـ والصواب ضبطها بفتح الراء ، كما نصت على ذلك كتب اللغة . وكذلك جاءت بفتح الراء في المعرب المطبوع (ص ١٦٥) . ولعلها من غلط المطبعة .

١٢ ـ تحدث أبو منصور بن الجواليقي في المعرب (ص ١٨٩) عن السذاب وأنها معربة ، وأن أهل اليمن يُسمونها « الخُتْف » (بوزن قُفْل) .

فعقب ابن بريّ في حاشيته على المعرب (ص ١٠٨) فقال : « هو الفَيْجَن باللغة اليمانية » .

وعلق الأستاذ المحقق على ذلك فقال : « في الأصل المخطوط : باللغة السامية ، وأنا أستبعد هذا لأن مصطلح السامية مصطلح غربي ، عرف في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي » .

ـ قلتُ : صحة الكلام هو : « باللغة الشامية » بالشين المعجمة ، لا باللغة اليمانية . وهو هو ما جاء في المعرب للجواليقي (ص ٢٤٢) قال : « قال أبو بكر [بن دريد] : والفَيْجَن : السذاب ، لغة شآمية ، ولا أحسبها عربية صحيحة »[٢] .

١٣ ـ ذكر ابن بري كتاب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى محمد بن القاسم وإلى قتيبة (ص ١١٨) : « أيكما أسبقُ إلى الصين فهو والٍ على صاحبه » .

ـ والصحيح : أيكما سبق إلى الصين فهو والٍ على صاحبه . كما جاء في تاريخ اليعقوبي (٢ / ٣٤٦) .

١٤ ـ ترجم الأستاذ المحقق لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج

---

(٢) جمهرة ابن دريد ٣ / ٣٥٧ .

(ص ١٢١ هـ ١٢) ، وذكر أنه توفي سنة ٤١٦ هـ .

ـ والصحيح أن السنة المذكورة هي سنة ولادته . أما وفاته فكانت سنة ٥٠٠ هـ ، كما ذكر الأستاذ أحمد محمد شاكر محقق المعرب (ص ٢٢٦ هـ ٢) وعدّد من مصادر ترجمته معجم الأدباء وبغية الوعاة .

١٥ ـ جاء في حاشية ابن بري (ص ١٢٢) : « وقال ابن بري : لم يذكر « الطربان » للطبق الذي يؤكل عليه . وفي الحديث : أنه أكل قديداً على طربان » .

وعلّق الأستاذ المحقق على ذلك بقوله : « لم أقف على « طربان » في معجمات العربية ، ولم أهتد إلى تخريج الحديث » .

ـ والصحيح في ضبط الكلمة أنها « الطريان » بياء مثناة تحتية ، لابباء موحدة . وقد وردت في اللسان والتاج (طري) ، والتكملة والذيل والصلة للصغاني ٦ / ٤٦١ (طرا) .

١٦ ـ تحدث ابن الجواليقي في المعرب (ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤) عن « عسقلان » ، وأورد شاهداً بيت سحيم عبد بني الحسحاس :

كأن الوحوش بها عسقلا نُ صادف في قَرْنِ حَجٍّ دِيافا[٣]

فتعقّبه ابن بري (ص ١٢٥) وقال : « صوابه على التذكير ، وهو عائد على موضع يقال له « ذو بقر » وهو مذكر ، وهو قوله :

وحكٌّ بذي بقرٍ بَرْكَهُ كأن على عضديه كتافا »

(٣) رواية البيت في المعرب المطبوع : « كأن الوحوش به ... » وهي في حاشية ابن بري (ص ١٢٥) : « كأن الوحوش بها ... » ، وقد أوردتُ رواية ابن بري لنسخة المعرب والتي علق عليها في حاشيته .

وعلّق الأستاذ المحقق على البيت الثاني بقوله : « لم أهتد إلى البيت الشاهد ولا إلى قائله » .

ـ والبيت الشاهد كما رأيت من قصيدة سحيم ، أورده ابن بري ليعزز ماذهب إليه من تذكير الضمير في البيت بدل التأنيث .

ـ والعجب أن الأستاذ المحقق عاد فذكر في الفهرس (ص ١٦٤) أن البيتين لسحيم !.

ـ وديوان سحيم مشهور ، نشره الأستاذ المحقق عبد العزيز الميمني (القاهرة ١٩٥٠ م) ، والبيتان من قصيدة في الديوان (ص ٤٢ ـ ٤٨) .

ـ وإن العودة إلى الديوان تطلعنا على أن كلمة « حك » بالكاف محرفة عن « حلّ » باللام . وقد ذكر الديوان أن في البيت روايتين : أولاهما : « وحطّ » بالطاء ، والثانية « وحلّ » باللام . والبيت في صفة السحاب الذي أنزل غيثه بهذا المكان .

١٧ ـ ذكر ابن بري (ص ١٢٩) « الفَيْهَج » وأنه ماتكال به الخمر ، وأورد بيتاً شاهداً :

ألا ياصبحينا فيهجاً جيدرية بماء سحابٍ يسبقُ الحقَّ باطلي

وعلّق الأستاذ المحقق على البيت بقوله : « لم أهتد إلى البيت ولا إلى قائله » .

ـ والبيت من شواهد اللسان (فهج) ، ونسبه ابن بري إلى معبد بن سعنة . وأورده الصغاني في التكملة والذيل والصلة ١ / ٤٨١ (فهج) مصححاً رواية الجوهري في الصحاح وقال : « البيت لمعبد بن سعنة الضبي . والحق : الموت ، والباطل : اللهو » . وأورده ابن فارس في المجمل ١ / ١٧٨ (جدر) و ٣ / ٧٠٦ (فهج) ، ومعجم مقاييس اللغة ١ / ٤٣١ (جدر) و ٤ / ٤٥٥ (فهج) ، وروايته في المعجمين « جَدَريَّة » ،

وأورده الزبيدي في التاج (فهج) .

١٨ ـ أورد ابن بري (ص ١٣٥) شاهداً على القَيْروان ما أنشده ثعلب :

فـإن تلقَّـاك بقيروانـه
أو خفت بعض الجور من سلطانه
فاسجد لقرد السوء في زمانه

فعلق الأستاذ المحقق على الأبيات بقوله : « لم أقف على الرجز ولا على قائله » .

ـ وأبيات الرجز في اللسان والتاج (قرو) .

١٩ ـ ورد في حاشية ابن بري (ص ١٣٦) بيت للطرماح :

من كل ذاقنةٍ تعوم رماحها عوم الخشاش على الصفا يترأَّدُ

وعلق الأستاذ المحقق : « في الديوان ص ١٣٦ : من كل ذاقنة يعوم زمامها » .

ـ كان يحسن أن يتابع الأستاذ المحقق فيقول : وهو الصواب . وأما ما جاء في مخطوط ابن بري فهو تحريف من الناسخ .

يقولون : الزمام يعوم : أي يضطرب . وبيت الطرماح من شواهد الزمخشري في أساس البلاغة (عوم) .

٢٠ ـ أورد ابن بري أربعة أبيات (ص ١٤٤) رثى بها سراقة بن مرداس البارقي الأصغر[٤] عبدَ الرحمن بن مخنف الغامدي الأزدي الذي

---

(٤) أخبار سراقة بن مرداس البارقي في الأغاني ٨ / ٦٨ ـ ٦٩ ، ٩ / ١٣ ـ ١٤ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٩ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران ٦/ ٦٩ ـ ٧١ ، و مقدمة ديوان سراقة البارقي المطبوع ، وتجد بقية مصادر أخباره في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (الترجمة العربية) ١/ ٢٤٨ وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (الترجمة العربية) مج ٢ ج ٣ / ٢٢ ـ ٢٣ .

قتله الخوارج في وقعة مشهورة سنة ٧٥ هـ . وقد علَّق الأستاذ المحقق : « لم أهتد إلى تخريج الأبيات » .

ـ إن أبيات المرثية في ديوان سراقة ، وهي خمسة أبيات (ديوان سراقة البارقي : ٤٣ ـ ٤٤ / القاهرة ١٩٤٧ م بتحقيق حسين نصار) ، وأورد الأبيات الخمسة الطبري وابن الأثير في تاريخيهما (الطبري ٧ / ٢١٧ ، الكامل ٤ / ١٩٠ / حوادث سنة ٧٥ هـ) ، وأورد ياقوت الحموي في معجم البلدان (كازر) أربعة أبيات ، ثلاثة منها مما أورده ابن بري في حاشيته .

٢١ ـ وإذا عدنا إلى النص الذي ورد مشفوعاً بأبيات سراقة (ص ١٤٣ ـ ١٤٤) وجدنا :

أ ـ رثى بها ابن مخنف الأسدي .

ـ وهنا يحسن أن نضبط « الأَسْدي » بفتح الهمزة وسكون السين ، لأن الأسْد بسكون السين لغة في الأزد . وعبد الرحمن بن مخنف غامديٌّ أزديّ (جمهرة ابن حزم : ٣٧٧ ـ ٣٧٨) ، ومثل هذا الضبط يمنع الاشتباه أن يُظن أنه منسوب إلى قبيلة أسَد (بفتح الهمزة والسين) وهي من القبائل العدنانية .

ب ـ وأما الأبيات التي رثى بها سراقةُ بن عبد الرحمن ..

ـ إن ورود كلمة « ابن » هنا زيادة لاداعي لها ، ولعله من غلط المطبعة .

ج ـ وذكر خذلان الأغلب له ..

ـ الصواب : « وذكر خذلان المهلب له » ، وهو المهلب بن أبي صفرة الأزدي القائد المشهور ، وكان في الوقعة التي قُتل فيها ابن مخنف ، ولم يستطع إمداده . جاء في ديوان سراقة (ص ٤٣) : « فقال سراقة بن

مرداس البارقي في ذلك يرثي عبد الرحمن بن مخنف ، ويذكر خذلان المهلب إياه » .

د ـ بكازر

ـ ضبطت كلمة « كازِر » بكسر الزاي ، والصواب فتحها .

هـ ـ وقابل حتى مات أكرم ميتةٍ

ـ الصواب : « وقاتلِ حتى مات ... » ولعلها من غلط المطبعة .

و ـ أمدَّ ولم يَمْدُدْ ..

ـ جاء « ولم يمدد » بالبناء للفاعل ، والصواب أن يُبنى لما لم يُسمَّ فاعله « ولم يُمْدَدْ » .

ز ـ قضى غيه يوم اللقاء ..

ـ والصواب « قضى نحبه .. » ، ولعلها من غلط المطبعة أيضاً .

٢٢ ـ جاء (ص ١٥٠ ـ ١٥١) : « ومن هذا الباب « الهنبيق » للوصف ، وجمعه هنابيق . قال لبيد :

والهنابيق قيام حولهم كل ملثوم إذا صبَّ هَمَلْ »

وعلّق الأستاذ المحقق على كلمة « الهنبيق » فقال : « ولم أجد في المعجمات إلا الهنبوقة بمعنى المزمار ، والجمع الهنابيق » .

وعلّق على بيت لبيد فقال : « لم أجد البيت في ديوان لبيد / ط الكويت » .

ـ وصحة الكلام :

أ ـ ومن هذا الباب « الهبنيق » بتقديم الباء الموحدة على النون ، وهو على وزن قِنْدِيل ، ويجوز فتح هائه . وقد ذكرته المعجمات ، وفي مطلعها كتاب العين (٤ / ١١٢) .

ولابدّ من تصحيح جمع هبنيق إلى هبانيق .

ب ـ للوصيف ، بإثبات الياء . أما ماجاء في نص المطبوعة (للوصف) فغلط محض . قال صاحب العين (٤ / ١١٢) : « والهبنيق : الوصيف ، وجمعه هبانيق » . وقال أحمد بن فارس (المجمل ٣ / ٩١١) : « والهبنيق : الوصيف » ، ومثل ذلك جاء في اللسان والقاموس المحيط وأشباههما من معجمات اللغة .

ج ـ وبيت لبيد موجود في ديوانه / ط الكويت ، ورد في ص ١٩٦ ، وخرّجه محقق الديوان الأستاذ الدكتور إحسان عباس (ص ٣٨٥) في الشعر والشعراء واللسان (هبنق ، خزم) والمعاني الكبير لابن قتيبة ، وجمهرة ابن دريد . ونضيف إلى ماذكره الدكتور عباس كتاب العين (٤ / ١١٢) ، والتاج (هبنق) .

وبعد ، فهذه لمع مما تراءى لي وأنا أقرأ كتاب « حاشية ابن بري على المعرب » ، ولعله يتاح لي أن أقصر على سائرها كلمة ثانية . والله الموفق .

(آراء وأنباء)

فقيد المجمع

الأستاذ عبد الكريم زهور عدي

توفاه الله يوم الثلاثاء ٢٦ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق ١٦ نيسان ١٩٨٥ م وشيع جثمانه في اليوم التالي ، ووري في مقبرة الفراديس (الدحداح) بدمشق .

رحم الله أبا حيّان ، وغفر له ، وأحلّه دار كرامته ؛ لقد فارقنا أحوج مانكون إلى مثله في نفاذ بصيرته ، ومضاء عزيمته وصدقه ، وصار بما قدّم من عمل إلى عالِم الغيب والشهادة ، وهو ـ سبحانه ـ جازيه بما قدّم ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلاَ بَنُونَ إلاّ مَنْ أَتى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

كان ـ رحمه الله ـ لا يتعلق من الحياة إلا بمعانيها السامية ، لاتزدهيه المناصب ، ولاتغرّه الألقاب ، ولاتستغرقه هموم نفسه ، وإنما كان همه الأكبر الذي ظلّ أبداً يعتلج في فكره وضميره ، ويصرّفه في كلّ ما زاول من عمل على حكمه همّ أمّته ومطامحها ومستقبلها ، يسدّده في مساعيه فكر نيّر لاتعمى عليه معه السبل ، وخلق قويم يرتفع به فوق ما ينحط فيه ضعاف النفوس من سفاسف ، وإلى ذلك عزم صادق لا يلين أمام الصعاب . ولم تزده ـ أكرم الله مثواه ـ تجاربه وما قاسى من محن إلا مضاء في عزمه ، وتسامياً في فكره ، واستبصاراً في طريقه ، كالذهب الإبريز لا يزداد على امتحانه بالنار إلا خلوصاً وتوهّجاً .

كان الصدق في القول والعمل طبيعة راسخة فيه ، يتوخى الحق

ويتبعه حيثما لاح له ، ثم يثبت عليه لايفتنه عنه هوى ، ولاتنحرف به عنه رهبة ، ولاتحمله على الترخّص فيه مصانعة . كان ذلك شأنه في التدريس عندما مارس التدريس ، وشأنه في السياسة عندما خاض غمرات السياسة ، حتى إذا خار الله له وآثر التفرغ للعمل العلمي كان آية في التزامه بأخلاقيته ، لاكأناس ماأكثرهم هذه الأيام همُّهم السطوُ على أعمال الآخرين وما يتلقفونه من أفواههم وانتحالُه . لاجرم كان بما اجتمع له من هذه الخصال ملء عيون إخوانه وصحبه وقلوبهم ، وكان الملجأ الذي يئلون إليه كلما حزبتهم الأمور واشتبهت عليهم ، فيجدون عنده الرأي السديد والتوجيه الناصح ، وما زال هذا دأبه ودأبهم حتى وافاه أجله المحتوم ، فترك في صدورهم حسرة لاتنقضي وفي نفوسهم فراغاً يعز ملْؤه ، يرحمه الله .

أحمد راتب النفاخ

الملتقى الأول للمقارنين العرب

الدكتور نسيب نشاوي

عُقد في رحاب جامعة عنّابة (الجزائر) الملتقى الأول للمقارنين العرب ، الذي تابع أعماله خلال خمسة أيام (٨ ـ ١٢) تموز ١٩٨٤م ، وحضره جلّةٌ من أساتذة الجامعات العربية المعنيين بالأدب المقارن عند العرب .

أشرف على تنظيم الملتقى معهدُ اللغات والآداب بجامعة عنابة ، الذي يضمُّ أقسام اللغات العربية والأجنبية والدراسات العليا . وجاء هذا الملتقى استكمالاً للملتقى الدولي الذي دعت إليه جامعة عنابة في عام ١٩٨٣ م .

افتتح محافظُ مدينة عنابة الملتقى ، وتلاه الأستاذ الدكتور ابركان مدير جامعة عنابة الذي رحّب بالعلماء الضيوف الذين قدموا من الأقطار العربية ، ثم عرض الأستاذ عبد المجيد حنون مدير معهد اللغات والآداب برنامج المحاضرات .

وسأكتفي بعرض موجز لمحاضرتين من محاضرات الملتقى ، لتكونا نموذجين لما وراءهما من محاضرات وبحوث ، ثم أتبعهما بسرد لعناوين المحاضرات الأخرى ، وذكر لأسماء أصحابها ، مشيراً إلى أن هذه المحاضرات ستصدرها جامعة عنابة تامة بين دفتي كتاب .

١

ألقى الأستاذ الدكتور عز الدين المناصرة (جامعة قسنطينة ـ الجزائر) محاضرة عنوانها : « بيان الأدب المقارن ـ اشكاليات الحدود » :

وقد صاغ الدكتور المناصرة بحثه على طريقة بيان يشتمل على وصايا ناقش فيها الاشكاليات السبع الحدودية ـ كما يقول ـ في الأدب المقارن ، وبهذا قدم بعض المقترحات للاسهام في تشكيل رؤية عربية ، أو رسم ملامح (نظرية عربية) في الأدب المقارن . وقال ان المصطلح (الأدب المقارن) غامض رغم مرور زمن طويل على استعماله أول مرة لدى فيلمان الفرنسي عام ١٨٢٨ م . الذي ذكره عرضاً في محاضراته « دروس في الأدب الفرنسي » وافترض (الأدب القومي) أي الفرنسي شرطاً للمقارنة مع أدب آخر وذلك حين نشر كتابه « كلمة الأدب المقارن » وبه تمت مركزة ثنائية المقارنة بين أدبين ، وأن بول فان تيغم حين حاول تطوير هذه الثنائية باتجاه المقارنة بين عدة آداب اضطر إلى طرح مصطلح (الأدب العام) .. ثم صارت الكلمة شائعة كعلم مستقل . ووقف عند قضية التأثير والتأثر بين الآداب المقارَنة ورأي المدرسة الفرنسية فيها ، وعرض خصومات المدرسة الأمريكية والسوفياتية ، وقال ان حالة العداء لاتهم الأدب المقارن عند بعضهم ولكنها داخلة فعلا فيه ، ثم حدد مظاهر اشكالية التأثر والتأثير « فالحضارات لاتتلاشى نهائياً ، بل تتغير هيئتها ، وتلاشيها أمرٌ ظاهري ، كل هذا يثبت أن المُرْسِل ليس دائماً ايجابياً ، والمتلقي ليس دائماً سلبياً كما هو شائع .. » . وانتقل المحاضر إلى الدراسات العربية الحديثة في ميدان الأدب المقارن فذكر جهود الأساتذة حسام الخطيب ومحمد عبد السلام كفافي وطه ندا وبديع جمعة والطاهر مكي وإبراهيم عبد

الرحمن ومحمود الربيعي وريمون طحان وأبي العيد دودو وجميل ناصيف ومحمود صبح وأحمد كمال زكي وحسين علي محفوظ ومحمد الصادق عفيفي وعبد المجيد حنون ومحمد عبد الحي .. وذلك مع بداية السبعينات من هذا القرن اذ قدموا دراسات تطبيقية في الأدب المقارن . وتعد الصفحتان الأخيرتان في بحثه محاولة لوضع أسس للنظرية العربية المنتظرة .

٢

وألقى الأستاذ الدكتور بديع محمد جمعة (جامعة عين شمس ـ مصر) محاضرة عنوانها : « قنوات الاتصال بين الأدبين العربي والفارسي ودورها في تعزيز الأدب المقارن » .

استهل الدكتور جمعة بحثه بلفت النظر إلى أن الدراسات الأدبية المقارنة إنما تمت بعقد مقارنات بين الأجناس الأدبية العربية ومثيلاتها الأوربية كعرض مدى التقارب بين شوقي ولافونتين ، أو شوقي وشكسبير في كليوباترة ، أو بين أبي العلاء ودانتي ، ثم أشار إلى صلات الأدب العربي بالآداب الشرقية الفارسية والتركية مثلاً والهندية أيضاً وأنها تمتد عدة قرون ، وتمثل روافد نهل منها أدباؤنا أو غذّوها ، وتوسع بعد ذلك في بسط قنوات الاتصال بين الأدبين العربي والفارسي وعرض قول (نظامي) صاحب كتاب « المقالات الأربع » (جهار مقالة) الذي يحثّ الكتاب الفرس على التضلع بالآداب العربية .. وأن من مظاهر تأثير العربية في اللغة الفارسية مجيء الأشعار الفارسية على الأوزان العربية وأن معجم « صحاح العجم » لهندوشا النخجواني (ت ٧٣٠ هـ) إنّما هو معارضة لمعجم الجوهري « الصحاح » . ثم توسع الأستاذ المحاضر في عرض أمثلة لغوية تبادل فيها العرب والفرس استعمال الكلمات ، ومن هذا الاتصال اللغوي . تم الاتصال الأدبي ووجد بعض الألفاظ الفارسية في

شعر امرئ القيس والأعشى وأبي نواس ومهيار .. ودعا الباحثين إلى رصد ذلك في دراساتهم . بعد ذلك انتقل إلى قناة الاتصال الثانية والمتمثلة في الالتقاء بين الثقافتين العربية والفارسية ، فمؤلفات ابن سينا مكتوبة باللغتين[1] ، والالتقاء المشترك على التصوف والفلسفة في كلتا اللغتين واضح في كتاب « اللمع » و « طبقات الصوفية » و « كشف المحجوب » للهجويري أو « تذكرة الأولياء » للعطار ، أو « نفحات الأنس » .. ثم انتقل إلى القناة الثالثة وهي عن التراث العربي في إيران وأن عقولا ايرانية أنتجت كتباً في علوم اللغة العربية كسيبويه والكسائي وابن قتيبة والجرجاني والزمخشري والسكاكي .. مما أثر في تقريب الأدبين أو السماح بالتقاط صور مقارنة بينهما (الأدب العربي والأدب الفارسي) . أما القناة الرابعة فيمثلها أصحاب اللسانين كالغزالي وابن سينا .. وأما الخامسة فهي قناة الترجمة بين الأدبين ، والسادسة أدب الرحلات .. وخلص من ذلك جميعاً إلى ضرورة الاهتمام بدراسة أواصر الصلات بين أدبنا العربي وجميع الآداب الشرقية الفارسية والتركية والأوردية ، وحتى منطقة شرقي آسية كالأدب الصيني والياباني ..

[(1) ألّف ابن سينا كتبه بالعربية المبينة ، ولم يذكر مترجموه أنه كتب بالفارسية إلا كتاباً واحداً هو كتاب « دانش نامه » العلائي ، صنفه لعلاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه ملك أصفهان (٣٩٨ ـ ٤٣٣ هـ) ، استجابة لرغبته . ولابن سينا أشعار بالفارسية (عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة ٢ : ١٩ ، مؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتي : ٢٨ ـ ٢٩ ، ١٢١ ـ ١٢٢ ، رقم ١٣ ، ٥٠) . هذا وإن عدة كتب لابن سينا قد ترجمها العلماء فيما بعد من العربية إلى الفارسية ومازالت تحتفظ بها خزائن المخطوطات / المجلة] .

٣

وهذه جملة سائر المحاضرات التي أُلقيت في الملتقى :

- نحو منهج عربي للأدب المقارن للأستاذ الدكتور جميل نصيف التكريتي
(جامعة بغداد - العراق)

- الترجمة عامل أساسي في الأدب المقارن للأستاذ الدكتور مختار نويرات
(جامعة عنابة - الجزائر)

- طرق وأنواع الاتصال الأدبي، وعلاقتها بالدراسة المقارنة للأستاذ الدكتور عصام الخطيب
(جامعة الموصل - العراق)

- مصطلح « الأدب المقارن » في المعجمات العربية القديمة والحديثة للأستاذ الدكتور نسيب نشاوي
(جامعة عنابة - الجزائر)

- حول مصطلح « الأدب المقارن » للأستاذة الدكتورة فاطمة الصافي
(جامعة عدن - اليمن)

- محاولة لتحديد مفهوم مصطلح « الأدب المقارن للأستاذ عبد المجيد حنون
(جامعة عنابة - الجزائر)

- المنهج والمصطلح في المحاولات العربية الأولى في الأدب المقارن للأستاذ الدكتورخالد الكركي
(الجامعة الأردنية - الأردن)

- الأثر الفارسي في مسرح شوقي للأستاذ الدكتور بديع محمد جمعة
(جامعة عين شمس - مصر)

- الدراسات اللغوية الحديثة وخلافاتها حول تفهم النص الأدبي المقارن للأستاذ الدكتور ميشال باربو
(جامعة السوربون - فرنسا)

- توسيع منهج الأدب المقارن ومفهومه في محاولة لتدريسه في المرحلة الجامعية الأولى للأستاذ الدكتور عبد الرحيم علي نصر الله
(جامعة اليرموك - الأردن)

- من أجل مفهوم عربي لمصطلح الأدب المقارن ومنهجه للأستاذة نسيمة عيلان
(جامعة عنابة - الجزائر)

- مركز النفس : ورد سورث وصورة المرأة عند الشعراء العرب (شكري ، أبو شادي ، الشابي) للأستاذ الدكتور محمد عبد الحي
(جامعة الخرطوم - السودان)

٤

وفي ختام المحاضرات والمناقشات اتفق المجتمعون على تأسيس « الرابطة العربية للأدب المقارن » وتمت مناقشة مشروع قانونها . وينص قانون الرابطة على أن الرابطة العربية هي تجمع علمي هدفها تنظيم جهود المقارنين العرب ورعاية مصالحهم العلمية وخدمة الأدب العربي والفكر أولا وأنها تعقد ملتقياتها كل عامين في بلد الجامعة المضيفة ، أما مقر الرابطة الدائم فهو جامعة عنابة .

والجدير بالذكر أن جامعة دمشق دعت إلى أن يكون الملتقى الثاني في رحاب أبهائها ، كما أن الجمعية التأسيسية انتخبت الأستاذ عبد المجيد

حنون أميناً عاما لمكتب الرابطة ، وربما يكون الأمل البعيد هو خدمة الأدب العربي وبيان تجلياته على الآداب العالمية ، ثم مدى تأثره بالآداب الأجنبية وأثر ذلك في تقديم المجتمعات العربية أو تخلفها .

جامعة عنابة (الجزائر) في ١٥ / ٧ / ١٩٨٤

ابن حيان مؤرخ الأندلس

الأستاذ مأمون الصاغرجي

كان أبو مروان بن حيان مؤرخ الأندلس وعالمها موضوع ندوة علمية عقدت في الرباط (٢١ ـ ٢٥ محرم ١٤٠٢ هـ / ١٩ ـ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨١ م) . وقد عُنيت مجلة المناهل بنشر بحوث هذه الندوة وأفردت لها عدديها التاسع والعشرين والحادي والثلاثين .

وكنت أشرت إلى بحوث القسم الأول التي ضمتها دفتا العدد التاسع والعشرين في مجلة المجمع (مج ٦٠ ، ج ٢) .

أما بحوث القسم الثاني التي ظهرت في العدد الحادي والثلاثين من مجلة المناهل (جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ / آذار ١٩٨٤ م) فقد أولت تاريخ الأندلس الإسلامي اهتماماً خاصاً ، إذ تناول البحث الأول الذي قدمه الأستاذ الدكتور عمر فروخ « الغرب المسلم في إطار التاريخ الإنساني » الجانبَ الحضاري الإنساني من تاريخ الغرب الإسلامي ، ووضعه في الإطار العام للتاريخ الإنساني والحضارة العالمية . كما تناول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في بحثه « الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل ؟ » العلاقات بين العدوتين والعناصر المغربية الداخلة إلى الأندلس منذ الفتح وعهد المنصور بن أبي عامر إلى زمن المرابطين والموحدين ، والمهاجرين الأندلسيين إلى المغرب من وقعة الربض إلى نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس .

ومن البحوث التي تسترعي النظر « النحو الأندلسي وابن هشام المصري » للأستاذ محمد بن تاويت ، والذي وصف بأنه أطول بحوث الندوة

(١٠٠ صفحة) ، تحدث فيه عن تاريخ النحو في الأندلس ، مقارناً بينه وبين النحو في مصر من خلال ابن هشام في كتبه الثلاثة : مغني اللبيب ، وأوضح المسالك ، وشذور الذهب .

أما بقية البحوث فهي :

- ثقافة الصقالبة ، للأستاذ محمد المنوني
- القضاء في قرطبة الإسلامية ، للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف
- أصداء كتب خليفة بن خياط في الأندلس ، للأستاذ خوسي ماريا فورنياس
- صورة الأندلس في مؤلفات بعض الشرقيين ، للدكتورة راشيل أريبه (ترجمة الأستاذ مصطفى الضو)
- من وحي الندوة ، للدكتور عبد الله غنيم
- محاكم التفتيش الإسبانية وسراديب الموت فيها ، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي

وختم العدد بخطاب السيد وزير الشؤون الثقافية الدكتور سعيد بن البشير .

الكتب المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٥ م

محمد مطيع الحافظ

- **منهج الإمام البخاري في علم الحديث** - د . يوسف الكتاني - الرباط ١٩٨٤ م
- **الحج على مختلف المذاهب** - (وهو منتخب من كتاب الفقه على المذاهب الخمسة للشيخ محمد جواد مغنية) - طهران ١٤٠٣ هـ
- **المرأة ، كيف عاملها الاسلام** - حسن بن عبد الله آل الشيخ - الرياض
- **في تراثنا العربي الإسلامي** - د . توفيق الطويل - الكويت ١٩٨٥
- **العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب** - عمر بن عبد الكريم الجيدي - الرباط ١٩٨٤
- **ندوة الامام مالك إمام دار الهجرة** (دورة القاضي عياض) (١ - ٣) - وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية - الرباط ١٩٨٣
- **ترجمة الإمام علي بن أبي طالب** - (من تاريخ الحافظ ابن عساكر) - ١ - ٢ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - بيروت ١٩٨٠
- **اليوميات الليبية** - حسن الفقيه حسن - الجزء الأول - تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر - طرابلس ١٩٨٤

- **أطراف بغداد** (تاريخ الاستيطان في سهول ديالي) ـ روبرت ماك آدمز ـ ترجمة د . صالح أحمد العلي ،د . علي محمد المياح ، د . عامر سليمان ـ بغداد ١٩٨٤

- **كشاف إحصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الاسلامية في بلاد الشام (الجزء الأول)** ـ إعداد د . محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود ، محمد أحمد اليعقوب ، سلامة صالح النعيمات ، محمود علي عطا الله ـ عمان ١٩٨٤ م

- **ابن الرومي** ـ أحمد خالد ـ تونس ١٩٧٧ م

- **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة** ـ لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري ـ تحقيق ودراسة د . محمد عيسى صالحية ، د . إحسان صدقي العمد ـ الكويت ١٩٨٤ .

- **العربية للناشئين** (منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية) (كتاب التلميذ) ١ ـ ٦ ـ وزارة المعارف السعودية ـ ١٩٨٣ م

- **العربية للناشئين** (منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية) (كتاب المعلم) ١ ـ ٦ ـ وزارة المعارف السعودية ـ ١٩٨٣ م

- **الشفافيات التعليمية** ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ١٩٨١ م

- **القواعد العربية الميسرة** (١ ـ ٣) ـ د . محمود إسماعيل صيني ، د . إبراهيم يوسف السيد ، محمد الرفاعي الشيخ ـ الرياض ١٩٨٤ م

- **وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها** ـ الجزء الأول ـ المادة اللغوية ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ١٩٨٣ م

- **المعينات البصرية في تعليم اللغة** ـ د . محمود إسماعيل صيني ـ عمر الصديق عبد الله ـ الرياض ١٩٨٤ م

- **العربية أصواتها وحروفها لغير الناطقين بها** - ناصف مصطفى عبد العزيز ، مصطفى أحمد سليمان - إشراف د . محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٢ م

- **العربية للحياة** (منهج متكامل في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (١ - ٣) - د . محمود إسماعيل صيني ، ناصف مصطفى عبد العزيز ، مصطفى أحمد سليمان - الرياض ١٩٨٤ م

- **التعبير الموجه للمبتدئين من غير الناطقين بالعربية** - طه محمد محمود ، إشراف د . محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٤ م

- **القراءة الميسرة** (سلسلة في القراءة العربية لغير الناطقين بها (١ - ٢) محمد عادل شعبان ، محمد الفاتح فضل الله ، إشراف د . محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٣ م

- **اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى** - د . علي محمد القاسمي - الرياض ١٩٧٩ م

- **السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها** (١ - ٣) جامعة الرياض - معهد اللغة العربية - الرياض ١٩٨٠ م

- **الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني** - عمان ١٩٨٤ م

- **مدخل إلى اللغة الفارسية** - أحمد لوساني - بيروت ١٩٨١ م

- **مبادىء اللسانيات العامة** - أندريه مارتينية - ترجمة د . أحمد الحمو - إشراف د . عبد الرحمن الحاج صالح ، د . فهد عكام . دمشق ١٩٨٥ م

- **التذكرة الفخرية** - للصاحب بهاء الدين المنشىء الإربلي - تحقيق د . نوري حمودي القيسي ، د . حاتم صالح الضامن - بغداد - ١٩٨٤ م

- **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام** (دراسة مقارنة) ـ د . عبد السلام الترمانيني ـ الكويت ١٩٨٤ م
- **فائت الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام** ـ د . حاتم صالح الضامن ـ بغداد ١٩٨٣ م
- **نحو التيسير** (دراسة ونقد منهجي) ـ د . أحمد عبد الستار الجواري ـ بغداد ١٩٨٤ م
- **الموسوعة الموجزة** ـ المجلد السادس ـ ق ٢١ ـ حسان بدر الدين الكاتب ـ دمشق ١٩٨٤ م
- **السجن السياسي في الرواية العربية** ـ سمر روحي الفيصل ـ دمشق ١٩٨٣ م
- **الفهارس العربية لكتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان** ـ الجزء الثاني ـ اعداد درية الخطيب ـ حلب ١٩٨٤ م
- **إضاءات في النقد الأدبي** ـ عادل الفريجات ـ دمشق ١٩٨٥ م
- **تساؤلات تبحث عن أجوبة** ـ علي سليمان ـ دمشق ١٩٨٤ م
- **مصطفى بن زكرى في أطوار حياته وملامح أدبه** ـ محمد مسعود جبران ـ طرابلس ١٩٨٤ م
- **د . إحسان عباس والنقد الأدبي** ـ (دراسة) ـ محي الدين صبحي ـ دمشق ١٩٨٣ م
- **صناع الأدب** ـ (دراسة) ـ د . عمر الدقاق ـ دمشق ١٩٨٤ م
- **عبد الباسط الصوفي** ، الشاعر الرومانسي ـ (دراسة) ـ ممدوح السكاف ـ دمشق ١٩٨٣ م
- **صانع الأجيال** ، أناشيد المعلم العربي ـ وزارة التربية ـ دمشق ١٩٨٤ م
- **مناديل الوداع** ـ (شعر) عبد الكريم دندي ـ دمشق ١٩٨٤ م

- **احتراق عباد الشمس** - (شعر) عبد الكريم دندي - دمشق ١٩٨٤ م
- **كم يلــزم من مــوت لنكــون معــاً** - (شعر) - محمــد القيسي - دمشق ١٩٨٤ م
- **الجمر** - (شعر) - وفيق خنسة - دمشق ١٩٨٤ م
- **بيني وبينك خطوتان** - (شعر) - مسعود جوني - دمشق ١٩٨٤ م
- **الأسرار في مــدار الهمــوم** - (شعر) - لــؤي فــؤاد الأسعــد - دمشق ١٩٨٣ م
- **وهذا أنا أيضاً** - (شعر) - ممدوح عدوان - دمشق ١٩٨٤ م
- **دقات القلب** - (شعر) - بيان الصفدي - دمشق ١٩٨٤ م
- **أغنيات لقمر الطفولة** - (شعر) ميخائيل عيد - دمشق ١٩٨٤ م
- **فضاء شاسع للحب** - (شعر) - فيصل خليل - دمشق ١٩٨٤ م
- **بطيئاً يمر الدخان** - (شعر) - صالح هواري - دمشق ١٩٨٤ م
- **الكرامي في المطر** - (قصص) - سعيد جبار فرحان - دمشق ١٩٨٣ م
- **سبــاق في مسبــح الدم** (قصص - مسرحيــات) - مراد السبــاعي - دمشق ١٩٨٤ م
- **حماة الديار** (قصص) - ناشد سعيد - دمشق ١٩٨٤ م

ذلك النداء الطويل الطويل - (قصص فراتية) - عبد الله أبو هيف - دمشق ١٩٨٤ م

- **حرائق ودخان** - (قصص) - المصطفى اجماهري - دمشق ١٩٨٤ م
- **اعترافات جديدة لصاحب البشرة السمراء** (قصة) - محمد الصالح حرز الله - دمشق ١٩٨٤ م
- **حصار الزمن الآخر** - (قصص) - زهير حبّور - دمشق - ١٩٨٤ م
- **الفواصل** - (قصص قصيرة) - أحمد عودة - دمشق ١٩٨٤ م

- **حادثة خط الاستواء** - (مسرحية تحديثية) - د . محمد حسن عبد الله - دمشق ١٩٨٣ م

- **المخيم** (رواية) - جمال جنيد - دمشق ١٩٨٤ م

- **المغفل** (ملهاة شعرية في أربعة فصول) - عدنان مردم بك - دمشق ١٩٨٥ م

- **جودر والكنز** (مسرحية شعرية) - خالد محي الدين البرادعي - دمشق ١٩٨٤ م

- **أبو حيان التوحيدي** (مسرحية) - خالد محي الدين البرادعي - دمشق ١٩٨٣ م

- **ملحمة الأيام الفلسطينية** - (مسرحية وثائقية) - محمد أبو معتوق - دمشق ١٩٨٤ م

- **العفريت ووطن الطائر** - (مسرحيتان للأطفال) - خلف أحمد خلف - دمشق ١٩٨٣

- **الوجه الأسود والزوبعة** - (مسرحية) - جهاد الكاتب - دمشق ١٩٨٣ م

- **ندوة مشكلة التنمية التكنولوجية في الوطن العربي والتبعية التكنولوجية** - نظمها اتحاد مجالس البحث العلمي العربية بالاشتراك مع مركز البحوث العلمية والتطبيقية - جامعة قطر ١٩٨٢ م

- **المكرو الكترونيات** (الكترونيات الدقة) (١ - ٢) - تأليف : ي . ميللمان - نقله إلى العربية المهندس وجيه السمان - دمشق ١٩٨٤ م

- **الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان** (أعمال ندوة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية) تحرير الدكتورة جليلة مصطفى خليل - بغداد ١٩٨٥ م

- **تاريخ أطباء العيون العرب** (الجزء الأول) - د . نشأت حمارنة - دمشق

- **من مؤلفات ابن سينا الطبية** ، كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية - الأرجوزة في الطب - كتاب الأدوية القلبية - دراسة وتحقيق د . محمد زهير البابا - حلب ١٩٨٤ م

- **محاضرات في البحث التربوي** - المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج الكويت - الرياض ١٩٨٣ م

- **محاضرات في التقويم التربوي** - المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج الكويت - الرياض ١٩٨٣ م

- **كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية** - (الجزء الخامس) - عمر بن مسعود بن مساعد المنذري - عُمان ١٩٨٤ م

- **الالتزامات الخُلقية والسياسية في غزو الفضاء** - ندوات أكاديمية المملكة المغربية - الدار البيضاء ١٩٨٤ م

- **دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية** - د . بدرية عبد الله العوضي - الكويت ١٩٨٥ م

- **دليل المنظمات والهيئات الخليجية المشتركة** - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨٢

- **جرائم إسرائيل** - إصدار المركز الثقافي للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق

- **فهرس المخطوطات الطبية في مكتبة الدكتور سامي إبراهيم حداد** - وضعه فريد سامي حداد بالاشتراك مع هانس هيزش بيتر فيلد - حلب ١٩٨٤ م

- **البلاغات الصادرة عن رئاسة مجلس الوزراء اعتباراً من** ١ / ١ / ١٩٨٤ وحتى ٣١ / ١٢ / ١٩٨٤ ـ دمشق ١٩٨٥ م
- **مجموعة قوانين وأنظمة السيارات والآليات والبلاغات والتعليمات الصادرة بشأنها** ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ دمشق ١٩٨٤ م
- **الصحافة القطرية والقضايا العربية** ـ د . عاصم الدسوقي ، د . عبد الخالق لاشين ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، د . عادل غنيم ـ الدوحة ١٩٨٤ م
- **المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة** ـ د . رمزي زكي ـ الكويت ١٩٨٤ م
- **إعلامات بيبليوغرافية** (عدد ٣ ، ٤ / ١٩٨٣) دار الكتب الوطنية تونس ١٩٨٤ م
- **النشرة العربية للمطبوعات (١٩٨٢)** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٤ م
- **الفهرس الموحد للوثائق التربوية في مراكز التوثيق التربوي بدول الخليج العربي** ـ المجلد الأول ـ الرياض ١٤٠٣ هـ

فهرس الجزء الثالث من المجلد الستين





محرم ١٤٠٦ هـ

تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٥ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

تعريب علوم الطب☆

الدكتور حسني سبح

لما رغب إليّ أن أتحدث في هذا المؤتمر الزاهر، عن تعريب علوم الطب، أو استعراب الطب كما يحلو لي أن يقال، ترددت حيناً بين القبول والاعتذار، فكان مما يدعوني إلى الاعتذار أن هذا الموضوع قد عولج مراراً في مثل هذا اللقاء، وفي غير مؤتمر وندوة مما عُقِد في كنف اتحاد الجامعات العربية، ومكتب تنسيق التعريب، واتحاد المجامع العلمية واللغوية، وكان يُتَناوَلُ بتمامه، أو تتناول شعب منه، تحت عناوين شتى كـ « تعريب التعليم العالي » « وتعريب المصطلحات العلمية » « وتوحيد المصطلح الطبي » ونحو ذلك. وكنت ممن شارك في بعضها، فخشيت إمّا عاودت الحديث فيه ألاّ يكون لديّ جديد أُطْرِفكم به، وأن أُضطرّ الى تكرار بعض ما سلف أن قلته أو قاله غيري، فيكون ذلك مدعاةً الى السآمة والملل، ثم حملني على القبول أمور: منها أنه ماقترح علي الحديث في هذا الموضوع إلا والحاجة الى ذلك قائمة، ومنها أنّي أصدر في الحديث عن هذه القضية عن معاناة لها وتجربة فيها طويلة، وذلك أني واحد من قلة باقية قدر لهم أن يشهدوا مولد الاستعراب الجديد في مهده: دمشق، وأن يقفوا على مراحل تطوره ونمائه حتى بلغ مابلغ، كما قدر لي أن أكون ممن أسهم في ذلك ولو اسهاماً متواضعاً

☆ نصّ الكلمة التي ألقيت في مؤتمر التعريب الخامس الذي عقد في ٢١ ـ ٢٥ أيلول ١٩٨٥ في مجمع اللغة العربية بعمان تلبية لطلب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

أيضاً . ولقد بدأنا أنا وثلّة من أترابي دراستنا للطب قبيل الحرب العالمية الأولى بالتركية . وامتد ذلك طوال السنوات الأربع الأول ، وختمناها في السنة الخامسة بدراسته بالعربية . ثم كان أن أُسْنِدَ الي تدريس الأمراض الباطنة وسريرياتها في المعهد الطبي العربي الذي أقيم في دمشق إبان قيام الحكومة العربية الأولى فيها ، وهو الذي آل فيما بعد الى كلية الطب بالجامعة السورية (جامعة دمشق اليوم) وغبرت أدرّس الأمراض الباطنة بجميع فروعها عدة عقود من السنين وليت خلالها عمادة الكلية ورئاسة الجامعة . وقد اضطرني ذلك الى أن وضعت بضعة عشر كتاباً في موضوعات الأمراض الباطنة لتكون مراجع لطلبة الطب على اختلاف شعبهم ومستوياتهم ، والى أن شاركت في وضع مادعت الحاجة الى وضعه من مصطلحات .

هذا ، وما أراني بحاجة الى أن أفيض في ذكر تجربة أسلافنا الأقدمين في هذا الباب ، وما كان للطب العربي الاسلامي من شأن في نمو هذا العلم وتطوره ، فقد أصبح من الحقائق التي لامراء فيها أن أطباءنا الأقدمين لم يقتصروا على الاطلاع على ماترجم لهم من مواريث الأمم الغابرة في هذا العلم بل أعادوا النظر فيما ترجم وعمدوا الى تنقيحه ، وتجاوزوا ذلك الى الابداع فيه ، فنفوا من طب الأوائل ماثبت عندهم خطؤه ، وتداركوا ماكان فيه من نقص ، وأضافوا اليه الكثير الكثير من الجديد الذي هدتهم اليه بحوثهم وتجاربهم ، حتى أصبح الطب عربياً خالصاً وسارت فيه المقولة المشهورة : كان الطب معدوماً فأوجده بقراط ، وميتاً فأحياه جالينوس ، ومتفرقاً فجمعه الرازي ، وناقصاً فأكمله ابن سينا ، وبذلك صارت العربية لغة هذا العلم بلا منازع ، حتى اضطر طلبة العلم من الغربيين الى أن يتعلموها ليدرسوا بها الطب وغيره

من العلـوم . ثم عكف فريـق منهم على مـاألفـه أعـلام الطب المسلمـون كالرازي وابن سينـا والمجوسي من أطبـاء المشرق وابن رشـد وابن زهر من أطباء الأندلس ، وأخذوا يترجمونه الى اللاتينية لغة الدين والعلم عنـدهم اذ ذاك ، وظل ماترجموه عماد دراسة الطب فيما أُنشئ في ايطاليا وفرنسـا من مدارس لتعليمـه ، وامتـد ذلـك قرونـاً . وكان من ذلـك أن سرى الى لغـة الطب في الغرب كثير من الألفاظ العربية .

وقـد كان الطب العربي الاسلامي قمينـاً بـأن يستمر في النمو والتطور لولا أن قدر لهذه الأمة أن تمر في أواخر القرن السـابع الهجري بفترة ركود حضاري كان نتيجة حتمية لما دهاها من الأحداث والكوائن العظمى ، في طليعة ذلك ان اصطلح عليها في آن زحفان لم يعرف التـاريخ أكبر منهما الـزحف الصليبي من الغرب يـؤازره الـزحف المغـولي من الشرق ، ممـا اضطرها الى أن تسخر على مدى قرنين معظم جهودها وطاقاتها لدرء هـذا الغزو الذي كان يستهدف أصل وجودها ، وما إن تم لهـا طرد الغزاة حتى فـاءت الى بلهنيـة امتـدت قرونـاً ، على حين كان الغرب يستيقـظ من رقدته الطويلة ويستأنف نشاطاً حضارياً جديداً انطلق فيه مما أخذه من الحضارة العربية الاسلامية . ومـا ان ذرّ قرن عصر النهضـة الصنـاعيـة في ربـوعـه في القرن الثـامن عشر للميـلاد ، حتى تمخضت تلـك النهضـة عن استحـداث كثير من الأدوات والآلات التي لم يكن للانسـانيـة بها عهـد ، وعن استنباط تقنيات جديدة ، مما هيـأ الأسبـاب للكشف عن عـالم ظل حتى ذلـك الحين محجـوبـاً عن الأبصـار ، وذلـك عـالم المجهريـات ـ عـالم مـالا يمكن رؤيتـه الا بـالمجـاهر ـ واستعلنت حقـائـق من حقـائـق الحيـاة والوجود كانت خافية ، فكان ذلك بداية طور جديـد خلقت فيـه العلوم خلقاً جديداً ، بدت معه كأنها لاصلـة لهـا بمـا تقـدّم في العصور الغـابرة ،

وكانت البداية التي انطلق منها تطور الطب حتى بلغ في أيامنا ما بلغ ، أن اكتشفت اذ ذاك حقيقة بدن الانسان وغيره من الأحياء ، وان نُسُجه مكونة من وحدات صغيرة هي التي تدعى بالخلايا ، وأن اكتشفت أيضاً الطفيليات الدنيا المتناهية في الصغر والجراثيم التي هي الأصل في كثير مما يصيب الانسان وغيره من الأحياء ، من أمراض . هذا الى أن أصحاب الكيمياء تمكنوا في ذلك الحين أيضاً من استحداث مركبات شتى سرعان ما أخذ كثير منها سبيله الى صناعة الصيدلة فركبت عقاقير طبية كثيرة ، كانت انجع في المداواة من أدوية الطب القديم . وهكذا تم استغراب الطب وسائر العلوم .

ولما قيض لامتنا أن تصحو من غفوتها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كان لابد لاستكمال أسباب النهضة أن تضيف الى ماورثته من حضارتها السالفة مااستحدثته الحضارة الغربية في باب العلوم والصناعة ، وكان قصب السبق في ذلك لأرض الكنانة مصر .

وما ان انتهى أمر الحكم في مصر الى محمد علي حتى أنشأ ـ فيا أنشأ من مرافق ـ مدرسة لتعليم الطب أقيمت أولاً في أبي زعبل ثم نقلت الى قصر العيني في القاهرة واستقدم لها أساتيذ من فرنسا ، جاعلاً التدريس فيها بالعربية . ونشطت الترجمة لأمهات كتب الطب ، و تتابع ارسال البعثات وكان لابد بعد ذلك من ايجاد ألفاظ ومصطلحات طبية عربية سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستعراب الطب اليوم : أحيوا من مصطلح الطب العربي الاسلامي مارأوه وافياً بالغرض ، واجتهدوا في وضع مقابل بالعربية لما جد من مصطلحات ، وأما ما لم يهتدوا فيه الى لفظ عربي مناسب فلجؤوا فيه إلى التعريب ، ولم يمض عقدان من السنين حتى استعرب الطب في جميع أنحاء مصر استعراباً كاملاً وبلغ عدة ماترجمه

وألفه أساتيذ هذه المدرسة ستة وسبعين كتاباً اشتملت على ألوف من المصطلحات وقد امتد هذا الاستعراب زهاء سبعين عاماً . ثم دهيت مصر سنة ١٨٨٢ بالاحتلال الانكليزي وسيطرة داهية القوم (دنلوب) على التعليم فيها ، ففرض تعليم العلوم بالانكليزية وبذلك حلت الانكليزية محل العربية في مدرسة قصر العيني وغير اسمها فصارت (كلية الطب) ثم الحقت بعد بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة اليوم) وظل التدريس فيها بالانكليزية كما أراد (دنلوب) حتى اليوم .

وقفا اثر هذه الجامعة في ذلك سائر ما أنشئ بعد في مصر من جامعات ، مع أن النظام الأساسي لكل منها ينص صراحة على أن لغة التدريس فيها هي العربية مع جواز التدريس بالانكليزية استثناء ، إلاّ أن واقع الأمر ان هذا الاستثناء أصبح هو الأصل . وأخذت معالم الاستعراب السابق الذي تم على أيدي رجال صدق من أعلام قصر العيني وغيرهم من معاصريهم تمحي شيئاً فشيئاً حتى كادت تندثر على رغم الجهود الكبيرة الصادقة التي بذلها رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة والأعمال العظيمة التي قاموا بها بمعونة خبراء من أساتيذ تلك الجامعات لتيسير أمر التعريب وتهيئة أسبابه .

وفي الحين الذي أخذ فيه استعراب الطب ينحسر في مصر بتأثير نظام دنلوب ، أُتيح للطب أن يستعرب مدة لم تطل في ديار الشام وفي بيروت منها خاصة ، وكان ذلك على أيدي طائفة من المبشرين الأمريكيين نزلوا اذ ذاك في بيروت وبعض ما يجاورها من قرى جبل لبنان لينشروا مذهبهم البروتستانتي ، وتعلم نفر منهم العربية ليقوموا على ترجمة كتابهم المقدس بعهديه ، ترجمة جديدة تحل محل الترجمة القديمة التي

لم ترق لهم ، حتى اذا أنجزوا تلك الترجمة أنشؤوا لنشرها مطبعة ماتزال تعرف بـ (المطبعة الاميركية) وتلا ذلك أن نشروا ماترجموا من الكتب المدرسية لمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ثم أنشؤوا في نطاق مادعوه اذ ذاك (الكلية السورية الانجيلية) (جامعة بيروت الامريكية اليوم) مدرسة لتعليم الطب وجعلوا التعليم فيها بالعربية ودام ذلك نحو اثنتي عشرة سنة ، ثم صار التعليم فيها بالانكليزية . وقد وضعوا خلال هذه الحقبة من الزمن بضعة عشر كتاباً جيداً في شتى علوم الطب ، وأفادوا في باب المصطلح من صنع رجال قصر العيني ، الا أن مصطلحاتهم لم تخل من خلاف لمصطلحات اولئك ، مردّه الى أن هؤلاء كانوا يستقون من مصادر انكليزية أمريكية ، وأما اولئك فكانوا يستقون من أصول فرنسية ، وللسبب نفسه ماوجد نحو هذا الاختلاف بين مصطلحات قصر العيني والمصطلحات التي وضعت في السنين الأخيرة في مصر ذاتها .

ومع ان هؤلاء الأميركيين انما كانوا يرمون الى أغراض تبشيرية تشوبها مطامع استعمارية ، فقد أفاد صنيعهم في رفع المستوى العلمي والطبي والصحي في ديار الشام عما كانت عليه الحال في سائر الولايات العثمانية .

والطريف في أمر هذه المدرسة الامريكية ، ان العربية فيها لم تقتصر على التدريس بها فحسب ، بل شملت شؤون الادارة والأمور القرطاسية الأخرى حتى إن الدولة العثمانية تساهلت معها في بادئ الأمر بقبولها العربية أيضاً في أداء امتحانات الخريجين في استانبول من أجل منح الترخيص في حق ممارسة المهنة في البلاد العثمانية ـ لأن شهادة المدرسة وحدها لاتكفي لذلك ـ وعدلت الدولة عن العربية بأخرة ولم تقبل أداء الامتحانات الا بالتركية أو الفرنسية .

أما وقد أتيت على ذكر استانبول فإني رأيت لزاماً علي- وأنا في صدد الالمام بتاريخ استعراب الطب ـ أن اعرج على دار الخلافة ، لآتي على ذكر تجربة سبق أن ألمعت اليها في بعض احاديثي السالفة ، وهي تجربة الدولة العثمانية في تتريك الطب ، وذلك لأمرين : أحدهما أنها تضرب مثلاً بطولياً في إنفاذ الإرادة القومية نحواً من المثل البطولي الذي يضربه صنيع رجال قصر العيني ، والآخر أن حركة الاستعراب الأخير أفادت من هذه التجربة من الوجه الذي سأذكره .

كانت البدايات التي مهدت لهذه التجربة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي عندما حاول السلطان محمود الثاني أن يدخل الاصلاح بالاعتماد على النسق الأوربي في أجهزة الدولة ومؤسساتها وأن ينهض بها بعدما بلغت من الضعف ان كانت تدعى في المحافل الدولية بـ (الرجل المريض) وكان من ذلك تأسيس مدرسة للطب على غرار المدارس الفرنسية فاستقدم من أجل هذا أساتيذ أجانب من أوربا . وكان في عاصمة الخلافة مدرسة للطب تسير على النمط الأجنبي يدرس الطب فيها بالايطالية ، وعهد الى أولئك بالتدريس باللغة الفرنسية معلناً في كلمته التاريخية في حفل التدشين سنة ١٨٣٩ ما معناه : ليس بوسعنا أن نجعل التدريس بالتركية الآن واني أعدكم بأن يتم هذا في القريب العاجل .

ولم يتح لهذه الارادة السنية ـ كما يقولون ـ أن تتم في حياته ، وتحققت في أيام خلفه السلطان عبد المجيد بعد احدى وثلاثين سنة وأربعة شهور وخمسة عشر يوماً (كما جاء في إحدى المجلات الطبية) والسبب في ذلك المعارضة الشديدة من قِبَل الأساتيذ الاجانب ، إذ كانوا

من دول مختلفة بينهم النمسوي والفرنسي والايطالي والانكليزي ومعهم أساتيذ من الروم والأرمن من رعايا الدولة العلية (كما كان يطلق عليها) ولم يكن فيهم من الأتراك إلا اثنان فقط .

اسخطت الحال الرأي العام، وكان في طليعة الساخطين طلبة الطب أنفسهم ولم يَدَعوا أن يبينوا عن هذا السخط في أية مناسبة ، وعن رغبتهم في أن يكون التدريس بالتركية مما دعا الصحافة التركية المناصرة لهم أن تنعتهم بـ (الطلاب المجاهدين) ولقيت دعوتهم قبولاً لدى فريق من رجال الحكم وعلى رأسهم المدعوّ أسعد باشا رئيس مايسمى بالشورى العسكرية ، فقد استدعى هذا ثلاثة من كبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم : أي الأمرين أجدى وأعود بالنفع على الأمة ، آلتدريس بلغة أجنبية أم التدريس بلغتنا القومية ؟ فلم يسعهم إلا أن يجيبوا بأن التدريس بالتركية أجدى عائدة . وكان إقرارهم هذا ، سنداً قوياً للقضية ، وانتصرت إرادة الأمة وشرع بالإعداد للأمر عدته ، وألفت جمعية طبية تضم كبار الأطباء عرفت بـ (الجمعية الطبية العثمانية) من أهم مهامها وضع مصطلحات طبية من أجل تدريس الطب بالتركية .

بدأ تتريك تعليم الطب من السنة الخامسة (وهي الأولى بترتيبنا اليوم) واستغرق ٥ سنوات ، وكان من اهتمام السلطان عبد المجيد بشأنه أنه كان يحضر بالذات امتحانات التخرج .

وكان تتريك الطب في الحقيقة شبه استعراب له وممهداً للاستعراب الكامل ، اذ كان نحو ٩٠ في المئة من مصطلحاته ألفاظاً عربية . ومما مهّد للاستعراب الأخير عمل آخر أقدمت عليه الدولة العثمانية أيضاً في أوائل هذا القرن ، وذلك أن إنشاء المبشرين البروتستانت الاميركيين سنة ١٨٦٦

مدرستهم التي سلف الحديث عنها في بيروت ، حفز منافسيهم المبشرين الكاثوليك على أن ينشئوا سنة ١٨٨٢ م مدرسة أخرى للطب فرنسية باسم (جامعة القديس يوسف) وبقيام هاتين المدرستين أصبحت بيروت المرجع الطبي المنظور إليه لافي بلاد الشام وحدها ، بل في أكثر بلاد الشرق الأدنى أيضاً ، فحمل ذلك الدولة العثمانية سنة ١٩٠٣ م على ان انشأت مدرسة للطب في دمشق ، لتنافس تلكما المدرستين من جهة ، ولسدّ حاجة البلاد الى اطباء وصيادلة من جهة أخرى . وما ان اندلعت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ م وخاضت الدولة العثمانية غمارها حتى جندت هيئة التدريس وأكثر طلابها ، وأغلقت أبوابها ثم أعيد افتتاحها سنة ١٩١٦ بعد الحاقها بقيادة الجيش الرابع ولكن في بيروت وفي مباني جامعة القديس يوسف اليسوعية ، وكانت الدولة قد صادرتها . واستمرت هذه المدرسة قائمة الى أن انتهى الحكم العثماني في أواخر ١٩١٨ م وقد تخرج منها خلال ١٥ سنة ٢٤٠ طبيباً و ٢٨٩ صيدلانياً جلهم من الشاميين ، وأما القلة الباقية فكانوا من الترك والأرمن .

في خريف عام ١٩١٨ تحررت دمشق مع غيرها من بلاد الشام ، من الحكم العثماني ، بحلول الجيش العربي (جيش الثورة العربية الكبرى) فيها بقيادة المغفور له الامير فيصل بن الحسين (الملك فيصل الأول فيما بعد) صحبه احتلال الجيش البريطاني لسورية بأكملها من الجنوب الى الشمال ومن الساحل الى الداخل ، وأطلق على هذه البلاد وقتئذ اسم (بلاد العدو المحتلة) وأخضعت للحكم العسكري وكان من نصيب دمشق أن تولى الحكم العسكري فيها الفريق على رضا باشا الركابي ، ابن دمشق البار ، بلقب (الحاكم العسكري العام) مع منحه سلطة تشبه مايعرف اليوم بالحكم الذاتي . وكان جهاز الحكم ممثّلاً فيه كل البلاد العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية .

وما ان رأى النـاس الرايـة العربيـة المربعـة الألوان ترفرف في السماء حتى تنفسوا الصعداء وعمت الفرحة ودبت الحماسة فيهم بما يصعب وصفه ، وسرعـان مـاهرع الكل إلى تـأييـد الحكم العربي القـائم وشـد أزره ، وشُرع بـالاستعراب ونبـذ كل مـاليس عربيـاً من ألفـاظ و تسميـات درجت على الألسن ، وبخـاصـة فيا يتعلق بـدوائر الحكـومـة والمصـالـح العـامـة ، وفي مقدمتها لغة التدريس في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وتهيئة مايحتـاج اليه التدريس من كتب عربية ، تم ذلك بسرعـة عجيبـة مع مـابـذل من اهتمام بلا كلال ولا ملل .

بين الصحف والمجـلات التي ظهرت في مطلـع عـام ١٩١٩ ، مجلـة أسبوعية أصدرتها مديرية الصحة العامة ، كانت لايتجاوز عدد صفحـاتهـا في بادئ الأمر الثمانية وأصبح بعـد قليل ست عشرة صفحـة ، وكانت تعنى في الأصل بـالشؤون الصحيـة ، نشر فيهـا المرحوم الـدكتور حكمـة المرادي سلسلة من المقالات بعنوان (اللغـة العربيـة والطب) صحح فيهـا الكثير من الأخطاء الشائعة بين جمهور الأطبـاء من ألفـاظ ومصطلحـات طبيـة أخذت عن التركية وذلك قبيل افتتاح (مدرسـة الطب) واستمر في النشر بعـده ، ممـا كان لـه الاثر الحسن وعـد أول خطـوة في الاستعراب . وكان الحـدث العظيم في مطلـع السنـة ذاتهـا ، إعـادة افتتـاح مـدرسـة الطب بدمشق ، لتخلف مدرسة الطب العثمانية السابقة . أقيم حفل الافتتاح يوم ٢٣ كانـون الثـاني سنـة ١٩١٩ في إحـدى بـاحـات المستشفى الحميـدى (مستشفى الغرباء كما يعرف به أيضاً) ، شهده جمع غفير من رجال الحكم والعلم والثقافة وناب في رعايته عن الحاكم العسكري العام مسـاعـده اللواء ياسين باشا الهاشمي العراقي الانتماء ، وألقيت الخطب الحماسية مشيدة بشأن هـذه الخطوة المبـاركـة ، ولم يمض على هـذا الحفل إلا أشهر معـدودة حتى

تلته مأثرة ثانية للحاكم العسكري العام بأن أقر تأسيس المجمع العلمي العربي ، ثم افتتاح مدرسة للحقوق بدمشق أيضاً لتخلف مدرسة الحقوق العثمانية التي كانت قائمة في بيروت قبل إعلان الحرب العالمية . وبعد شهرين تفضل الامير فيصل بزيارة المدرسة مبدياً سروره وإعجابه بما تم .

تولى التدريس في مدرسة الطب العربية (هكذا كان اسمها ثم سميت بالمعهد الطبي العربي من الجامعة السورية وأخيراً كلية الطب من جامعة دمشق) تولى التدريس فيها معلمون عرب من ذوي الاختصاص في شعب الطب والصيدلة ، بينهم أستاذ سابق في مدرسة الطب العثمانية في استانبول : الاستانة وجلهم من مساعدي الأساتيذ الأتراك في مدرسة الطب العثمانية بدمشق والى جانبهم بعض كبار الاطباء العسكريين المتخصصين في الجيش العثماني ثم الجيش العربي وكانوا ممن درس الطب بالتركية ، إلا أستاذاً واحداً كان من خريجي كلية الطب اليسوعية في بيروت التحق بالثورة العربية الكبرى وهو ضابط في الجيش العثماني كان ممن يجيدون العربية .

لم يكن هؤلاء الأساتيذ على مستوى واحد في معرفة اللغة العربية ، من بينهم المجلون ويعدون بحق رواد الاستعراب في الشام وهم الاطباء جميل الخاني وأحمد حمدي الخياط ومرشد خاطر والصيدلي عبد الوهاب القنواتي ولم يلبث غيرهم أن بادر الى تعلم الفصحى واتقانها حتى بذ التقيد بالتدريس بها في المعهد الطبي ، الكليات غير العلمية بشهادة أحد المستشرقين الذين زاروا دمشق .

وفي صيف ١٩٢٠ احتل الجيش الفرنسي البلاد فقضي على الحكومة

العربية القائمة بعد أن سبق إعلان استقلال سورية في ربيع العام نفسه مع البيعة للمغفور له فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً عليها بحدودها الطبيعية ، ونجم عن هذا الاحتلال بعض التغيير في كيان مدرسة الطب العربية ، بعد أن انسحب من هيئة التدريس فيها عدد من أعضائها منهم من كان على صلة وثيقة بالعهد السابق الذي أبى رجاله الإذعان لإنذار العدو ، ومنهم من عرف عنه الارتباط باللجنة الوطنية العليا التي قادت الأمة في جهاد العدو المغتصب ، وحل محلهم من يدانيهم في الكفاية من أطباء وصيادلة .

وبعد أن توطد الأمر للعدو المحتل ، كان لابد له من التدخل في شؤون المدرسة ، ففرض اتباع النظام الفرنسي في برامجها دون غيره ، وضم الى هيئة التدريس ثلاثة من الفرنسيين . وعلى رغم ذلك تابعت حركة الاستعراب مسيرها ولم يثنها عن المتابعة عائق ، وكل ما هنالك أن الأساتيذ الفرنسيين كانوا يلقون دروسهم السريرية (وهي الدروس العملية التي تلقى حول سرير المريض) بالفرنسية ويقوم بترجمتها الى العربية أحد المساعدين ، ثم استغني عن الترجمة عندما تقدمت معرفة الطلاب بالفرنسية وصاروا قادرين على فهم ما يلقى بها .

وفي سنة ١٩٢٣ أُحدثت إدارة الجامعة السورية (جامعة دمشق) لتضم معهدي الطب والحقوق والمجمع العلمي العربي ، إلا أن المجمع لم يلبث أن انفصل عن الجامعة متمتعاً باستقلاله الخاص مع مثابرته على رعاية الاستعراب في شتى المؤسسات .

وفي سنة ١٩٢٤ بدأ المعهد الطبي العربي باصدار مجلة شهرية تحمل اسمه (مجلة المعهد الطبي العربي) تَرأس تحريرها الأستاذ مرشد خاطر

وعاشت اثنين وعشرين عاما (١٩٢٤ ـ ١٩٤٦) وقد أسهمت هذه المجلة اسهاماً كبيراً في ازدهار المعهد وتقدمه من الناحيتين العلمية واللغوية : فمن الناحية العلمية أخذت تنشر البحوث العلمية الأصيلة التي كان يقوم بها أعضاء هيئة التدريس ويتناول معظمها دراسات عن الأمراض القرئية (المستوطنة) في القطر من أقصاه الى أقصاه ، الى جانب مقتبسات من الصحافة الطبية الأجنبية عن كل جديد في عالم الطب . ومن الناحية اللغوية فقد أفاد منها استعراب علوم الطب فائدة لاتثمن ، فعلى صفحاتها عرض على بساط البحث الالفاظ والمصطلحات المتداولة في التعليم لتكون موضع دراسة وتمحيص ونقاش لا من قبل الأطباء الأخصائيين واللغويين في القطر وحده ، بل شاطرهم في هذا نظراؤهم من الاقطار العربية الأخرى مما مكن من اختيار الاصلح منها .

على هذه الوتيرة سار تعريب علوم الطب والمعهدُ الطبي العربي ماضٍ على الدرب حتى في عهد الانتداب الفرنسي على رغم العراقيل التي كانت توضع في سبيله خفية .

تبدلت الحال بعد جلاء الأجنبي عن البلاد ، وما ان نعم القطر بالاستقلال التام حتى صار عدد أعضاء هيئة التدريس أضعاف ماكان عليه من قبل ، لكثرة ماأحدث من فروع وشعب جديدة ، وبتعدد البعثات الى الجامعات الأجنبية من شرقية وغربية . وكان ذلك مدعاة الى تعدد مايقترح في مقابل المصطلح الواحد ، مما حمل معهد دمشق على تأهيل لجنة باسم (لجنة المصطلحات الطبية) قوامها الأساتيذ مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي لترجمة معجم كليرفيل الفرنسي الكثير اللغات إلى العربية ، وقد صدرت الترجمة المذكورة عام

١٩٥٦ م مشتملة على بضعة عشر الف مصطلح ، وآعتمدت رسمياً لتكون مرجعاً وحيداً في هذا الشأن .

عُدَّ صدور هذا المعجم في حينه خطوة جديدة لتعزيز تعريب علوم الطب وفي سبيل توحيد المصطلحات في القطر ، والحد من تعدد المترادفات في الكثير منها ، وفسح ظهوره المجال أمام النقاش والنقد وابداء الرأي فيا اشتمل عليه .

نقدتُ هذا المعجم بنشر سلسلة من المقالات في مجلة المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية بدمشق) بعنوان (نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات) بلغت عدتها ستاً وسبعين مقالة نشرت على اثنين وعشرين عاماً . ومن المفيد أن أنقل اليكم ما قلت في خاتمتها : « لست ادعي اني جئت فيا عرضت له بالقول الفصل ، وأكبر ظني اني لو اتيح لي معاودة النظر في هذا الذي كتبت لزدت اشياء ، وغيرت أشياء واستدركت أشياء ، إلا اني أرجو أن أكون بما صنعت قد أسهمت ولو اسهاماً ضئيلاً في وضع مصطلحات الطب ، وأن أكون ذلّلت بعض المصاعب ، لأن الطريق طويل ، والحاجة الى متابعة العمل وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة مادام العلم في تطور ونمو » .

وثمة خطوة أخرى حاولت جامعة دمشق أن تخطوها ، ولكن لما يكتب لها تمام التنفيذ . وذلك أنه أقدم أستاذان من رواد استعراب الطب فيها ، وهما الدكتوران : أحمد حمدي الخياط ، ومرشد خاطر على وضع معجم فرنسي عربي موسع ، شرحا فيه المواد شرحاً وافياً ، وجاء في ثلاثة أسفار ، ثم لم يتيسر لهما نشره . ومضت سنوات توفي خلالها أحد واضعيه : الدكتور مرشد خاطر ثم قررت وزارة التعليم العالي تقديراً منها

لهذا العمل الثمين أن تطبعه على نفقتها بمناسبة احتفال كلية الطب بعيدها الذهبي (مرور خمسين عاماً على تأسيسها) فعهد الأستاذ أحمد حمدي الخياط الى نجله النجيب الدكتور محمد هيثم الخياط (وهو سرّ أبيه حقاً) أن يعيد النظر في هذا المعجم وأن يتسع في ذلك ويضيف اليه ماجد في بابه ، وأن يراعي ما نُقد به المعجم السابق (معجم كليرفيل الكثير اللغات) ولاسيا مقالاتي التي تقدم ذكرها ، وما تتفق عليه الكلمة في المعجم الطبي الموحد ـ وكان قيد الاعداد ـ وأن يذكر الى جانب الالفاظ الفرنسية ما يقابلها بالانكليزية أيضاً ، وأن يلحق به سفراً رابعاً يشتمل على مسردين للألفاظ أحدهما عربي والآخر انكليزي لاتمام الفائدة .

وصدر السفر الأول من هذا المعجم (معجم العلوم الطبية) سنة ١٩٧٤ وهو يتضمن المواد من حرف A الى E ويقع في ٦٠٤ ص في كل منها ثلاثة أعمدة . وقد ضبطت فيه الالفاظ العربية بالشكل . إلا ان الدكتور هيثم اضطر ـ بعد وفاة والده رحمه الله ـ الى التريث في متابعة العمل حتى يفرغ من الطبعة الثالثة من المعجم الطبي الموحد الذي سيأتي خبره ولعله منجز ما وعد به قريباً إن شاء الله .

وهناك معجم آخر نشر في دمشق أيضاً سنة ١٩٧٠ م وأنفقت نقابة أطباء الأسنان فيها على طباعته ، وقد وضعه الدكتور ميشيل الخوري الأستاذ السابق في كلية طب الأسنان وأحد أعضاء مجمعنا الراحلين ، واسمه « معجم مصطلحات تعويض الأسنان » « انكليزي ـ عربي ـ افرنسي » وقد ضبطت مواده بالشكل ، وشرحت بالعربية أيضاً . ولعل هذا المعجم هو المعجم الوحيد في بابه حتى يومنا هذا .

وعلى غرار ما جرت عليه كلية الطب بجامعة دمشق جرت مختلف كليات الطب التي أنشأت في سائر المدن السورية .

هذا ، وقد قادني الى الحديث عن هذه المعاجم التي ظهرت في دمشق اني في صدد الحديث عن الاستعراب الجديد الذي تم فيها . واما من حيث التاريخ فكما كانت مصر مهد التجربة الاولى في استعراب الطب كانت السابقة الى وضع المعجمات الطبية لتعزيز الترجمة الى العربية أيضاً . ولعل أول معجم هو المعجم الذي ترجمه عن الفرنسية الدكتور محمود رشدي البقلي من أطباء قصر العيني ، ونشره في باريس سنة ١٨٧٠ ثم كان المعجم الذي وضعه ونشره في أوائل القرن الدكتور محمد شرف باسم (معجم انكليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية) وهو يعد بحق أبا المعجمات الطبية العربية ، وسيظل علماً شامخاً في تاريخ استعراب الطب الحديث .

وبمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالعيد الخمسيني لتأسيسه ، فقد نشر في العام الماضي الجزء الأول من معجمه (معجم المصطلحات الطبية) من وضع لجنة المصطلحات الطبية فيه ، وباشراف مقررها الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم ، اقتصر هذا الجزء على مواد من حرف A الى C ، مع تعريف واف لها ، والمأمول أن يتوالى صدور الأجزاء الباقية بسرعة ، لأن المجمع سبق له ان أورد معظمها في نطاق ما يصدره سنوياً من (مجموعة المصطلحات العلمية والفنية) .

وأسهم المجمع العلمي العراقي في الاعداد لتعريب علوم الطب ، بنشره عدة مجموعات من مصطلحات علوم الطب على اختلاف أنواعها ، يرجى عند اتمامها أن تكوّن معجماً طبياً عربياً كاملاً ، كما لمجمع بغداد الفضل أيضاً في المساعدة الخيرة التي تكرم بها في اسهام نائب رئيسه الأستاذ الدكتور محمود الجليلي بترؤس تحرير الطبعتين الأولى والثانية من (المعجم الطبي الموحد) تلبية لاتحاد الأطباء العرب وسيأتي ذكر طبعته الثالثة .

وثمة أمل كبير في أن يضمّ مجمعنا هذا النشيط (مجمع اللغة العربية الأردني) الذي نلتقي اليوم في رحابه - إلى سلسلة المترجمات العلمية القيمة التي اضطلع بنشرها منذ سنتين - مترجمات طبية مماثلة ، ويوطئ بذلك لاستعراب الطب في هذا القطر العزيز .

وبين منشورات تذكار العيد المئوى لتأسيس الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٦٦ صدر قاموس حتي الطبي انكليزي عربي لمؤلفه الصديق الدكتور يوسف حتي الأستاذ الأسبق للأمراض الباطنة وعلم التشريح في الجامعة المذكورة ، لاتقل مواده عن ٥٠ ألفاً استقى مصطلحاته الطبية من شتى المراجع قديمها وحديثها ، ضمها ٧٥٨ صفحة على عمودين بالاضافة الى ماأورد في آخر المعجم بعنوان (فهرس القاموس للألفاظ العربية ومعانيها الانكليزية) جاء في ١٠٦ صفحات على ٣ أعمدة . وان في اعادة طباعته أربع مرات خلال السنين الماضية لدليلاً على مالقيه هذا المعجم من رواج وما يستحقه من تقدير .

وخاتمة المطاف ومسك الختام في مجموعة المعجمات الكاملة الصادرة حتى اليوم ، صدور الطبعة الثالثة من (المعجم الطبي الموحد) قبل سنتين برعاية مشتركة بين كل من مجلس وزراء الصحة العرب من منظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وبدعم مادي خير تشكر عليه) بعد أن عكف على تحضيره طوال عدة سنين لجنة قوامها احد عشر عضواً من الأساتيذ الأطباء المجمعيين والجامعيين من سبعة أقطار عربية ، بذت هذه الطبعة الأخيرة سابقتيها ، بأن أصبح المعجم فيها ثلاثي اللغة (انكليزي - عربي - فرنسي) مع تنقيح في بعض ماسبق من مواد وزيادة فيها ، (اذ أصبح عدد مواده زهاء ٤٠ ألفاً) وامتازت بأن اشتمل مجلدها الأنيق على ٧٦٠ صفحة من

المتن ، تلاها ١٦ صفحة للوحات ايضاحية و ١٠٠ صفحة لمسرد عربي انكليزي على ثلاثة أعمدة ، تمت الطباعة الجيدة في سويسرة وبعناية الزميل النشيط مقرر اللجنة الأستاذ الجامعي والجمعي الدكتور محمد هيثم الخياط وجهوده .

والنية معقودة على أن تعيد اللجنة النظر فيه ـ أمر لابد منه ـ لاضافة مافات اللجنة اضافته وما استجد منذ سنوات . وثم للبحث في تحضير نسخة من المعجم بترتيب فرنسي ـ عربي ـ انكليزي تلبية للرغبة واتماماً للفائدة .

هذا بايجاز ، ماتم التوصل اليه على حد علمي في قضية استعراب علوم الطب . ومما لاشك فيه انها إحدى قضايانا المصيرية الكبرى التي لاتحتمل أدنى تهاون . ولن يكون لنا وجود متميز تتجلى فيه أصالتنا الخاصة ويهيّئ لنوابغنا أسباب الإبداع ، إلاّ اذا كان للغتنا القومية الهيمنة في جميع مجالات حياتنا وفي طليعتها العلم والتعليم على مختلف مستوياته . وانما قصصت فيما سلف تجارب اسلافنا التي تقدم أمثلة بطولية في هذا الباب ، ثم تجربة الجامعة السورية (جامعة دمشق) التي ما تزال قائمة مستمرة ، لأبين أن صحة النية وصدق العزيمة في السعي الى تحقيق الأماني والمطامح القومية كفيلان بتذليل أقسى العقبات ، وألححت على قضية المصطلح لأن هذه القضية في طليعة مايتعلل به الزاهدون في التعريب والمشككون في الاقتدار على المضي فيه ، على حين ان قضية المصطلح ـ من حيث هو ألفاظ يعبر بها عن مسميات ومعان مفردة ـ ليست بصميم المشكلة ، بل قد تكون ـ على مالها من شأن ـ أهون جوانبها ، وانما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصورها ثم الإبانة عنها ، ولن يتم حلها وتذليل صعابها إلا بالتصميم على ذلك والشروع فيه وإن

اضطررنا ـ ولو الى حين ـ الى استعمال المصطلحات الاجنبية بلفظها الاجنبي . هذا مع ان الاعمال التي قامت بها في هذا الباب مجامعنا العلمية واللغوية ـ وفي طليعتها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتب تنسيق التعريب والجامعات التي تدرس بعض العلوم بالعربية ـ تقدم قاعدة صالحة لتعميم تعريب العلوم . ولئن كنا لما نصل الى توحيد ما وضع من مصطلحات توحيداً كاملاً ، إن هذا لابد من مثله في بدايات كل عمل ، بل قد يكون مما لابد من بقاء جانب منه ، ولا سيما في أمة كأمتنا تنساح في رقعة من الأرض غاية في الاتساع . وما أظن أمة من الأمم الكبرى تخلو من معاناة مثل هذه المشكلة أو ما يشبهها .

ومما لايسعني الا ان أذكره أن على الحكومات العربية أن تولي لغتها القومية مزيداً من العناية في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي حتى يحذق الطلبة أصولها وطرائق التعبير فيها ، وينمو زادهم من ألفاظها ، ويصبحوا قادرين على التعبير بها عن مختلف المعاني بيسر وسهولة ، وأن تعنى بتنمية الدراسات اللغوية على اصول صحيحة واذا ماتم لنا ذلك ـ ولا بدّ أن يتم إن شاء الله ـ فلن تكون قضية استعراب العلوم بالمشكلة المستعصية . وما أظن أحداً من أولي النظر ـ وان كان ممن لايرون التعريب إلا منطوياً في غيب نفسه على الاعتراف بصدق هذا الذي ذكرت ـ إن قضية التعريب أمانة في عنق كل منا وما علينا بعد الا ان نخلص النية ونصدق في العمل ليتم لنا مانطمح اليه . اللهم قد بلغت فاشهد . والسلام عليكم .



فقيد مجمع اللغة العربية

الدكتور شكري فيصل

١٣٣٦ - ١٤٠٥ هـ

مجمعي افتقدناه

الدكتور شكري فيصل

وصداقة خمسين عامًا

١٩١٨ - ١٩٨٥ م

بقلم د . عدنان الخطيب

- ١ -

نعي الفقيد

... وأخيراً ، وبعد رحلة طويلة استغرقت سبعة وستين عاما ، سكن القلب الذي كان يخفق دوماً **بحب العروبة والإسلام** ، وسقط القلم من اليد التي ماونيت يوما في حمله طوال نيف وخمسين سنة ، وهو يسيل **دفاعاً عن لغة الضاد** ويدعو إلى تعريب التعليم في أرجاء الوطن العربي ، ويؤرخ للآداب العربية ويحللها ويقارنها بالآداب الأعجمية .

نعم سقط أخيراً زميلنا **الدكتور شكري فيصل** في ساحة النضال شهيداً ، وسقط القلم من يده ، وكان سلاحه الوحيد الذي يدافع به عن العربية وينافح أعداءها ، سواء أكانوا من أبنائها المارقين أم من **الشعوبيين الحاقدين أم من الدققة** الضالّين .

وكانت « **الجامعة الإسلامية** » بالمدينة المنورة قد ربحت جهود

زميلنا الغالي شكري فيصل مشرفاً على قسم الدراسات الأدبية العليا **فيها** ومرشداً لطلابها الساعين لنيل درجة « **الدكتوراه** »في الآداب ، وكنا على موعد معه ليقضي إجازة عيد الفطر في دمشق بين محبيه وعارفي فضله من أهل وأصدقاء .

ومضت أيام العيد دون أن يستطيع فقيدنا الوفاء بوعده ، وأرسل يعتذر بأن سوء صحته تضطره إلى **مراجعة طبيب في « ألمانيا »** سبق أن راجعه يوم أُصيب بقصور في عضلته القلبية ، **وكانت إصابته نتيجة الاجهاد المستمر وركوب الطائرات المتواصل** ، ومجدداً وعده بزيارة دمشق في طريق أوبته إلى مقر عمله بالمدينة المنورة .

وطال انتظارنا الزميل شكري فيصل ، إلى أن بلغنا أنه **نُصح بإجراء عملية جراحية ، وأُرشد إلى طبيب مختص في « جنيف »** ، وبينما كنا نبتهل إلى الله جلّ وعلا أن يمنّ عليه بالشفاء ، منتظرين أوبته معافى مما يشكو منه ، جاءنا الناعي يقول : **دخل شكري المستشفى يوم السبت في السابع عشر من ذي القعدة سنة ١٤٠٥ (٣ من آب ١٩٨٥ م)** ، وتمت العملية المطلوبة ، ولكن قلبه الكليل لم يحتمل التخدير فتوقف عن الخفقان وعجز الطب عن اعادة الحركة إليه ، **فكان ذلك اليوم يوم الأجل الموعود** ، حمّ فيه القضاء وانتقل شكري فيصل إلى الرفيق الأعلى ، وخسرت العربية بوفاته مناضلا فذاً ومفكراً قلّ أن يجود الدهر بمثله .

وكانت أقصى أماني شكري فيصل أن يضم رفاته **ثرى دمشق** مسقط رأسه ، ولكن الله عزّ وجلّ أكرمه فجعل مثواه الأخير في « **البقيع** » مثوى الكرام من شهداء المسلمين وأبطالهم بعد أن نقل جثمانه بتاريخ

الرابع والعشرين من ذي القعدة ١٤٠٥ م (١٠ من آب ١٩٨٥) إلى المدينة المنورة وصلى عليه في المسجد النبوي العامر .

- ٢ -

الصديق الراحل

تربطني بشكري فيصل صداقة عمرها خمسون سنة أو يزيد ، وأنا إن أنس لاأنس يوما عرفت فيه اسمه ، لأول مرة في حياتي ، لقد اضطررت ، قبل أن أبدأ دراستي الجامعية ، إلى الدخول في خدمة الحكومة ، موظفاً صغيراً في ديوان المحاسب المركزي بدمشق[1] ، فعهد هذا إليّ بتسجيل مايُرفع إليه من عرائض والتماسات ، وذات يوم دخل الديوان فتى نحيل ربعة أميل للقصر ، أسمر اللون لم ينبت شعر عارضيه ، وأخذ يستعرض بنظره الموظفين بالتتابع حتى وقعت عيناه عليّ ، فإذا به يتقدم نحوي على استحياء ، فوقفت للقائه مرحباً به ، طالبا إليه الجلوس إلى جانبي ، فجلس .

لم أكن أعرف من أمر الفتى شيئاً ، بيد أني كنت قد التقيته أكثر من مرة في مجالس علم وأدب ، كانت تذخر بها دمشق وقتئذٍ ، وكنت قد ورثت عن والدي حبّ التردد عليها بين الفينة والفينة ، وكان الفتى يحضر بعضها ، فكنت أظنّه ابنا لأحد العلماء أو الأدباء أصحاب المجلس ، وحدث أن مررت به مرة فبادرني بتحية كلها تهذيب ترافقها ابتسامة تنم عن مودة عميقة ، مما حملني على الحفاوة به عندما رأيته في ديوان المحاسب المركزي .

---

(١) المحاسب المركزي في الادارة السورية القديمة أكبر موظف مسؤول في وزارة المالية بدمشق .

قال الفتى ، بعد أن شكر لي ترحيبي به ، إنه يود رفع عريضة إلى المحاسب المركزي وقدمها لي ، فإذا بها مفتتحة بجملة :

« **مقدمها شكري بن عمر فيصل من مواليد دمشق سنة ١٩١٨ ..** » .

سألت الفتى عن صاحب العريضة ، فأجابني ، بعد أن خفض رأسه وبصوت يكاد لايُسمع : « **أنا** » فسجلتها له وأعطيته ايصالا برقمها ، وهممت بالخروج معه من الديوان ، فإذا به يقسم عليّ أن لاأبرح مكاني ففعلت .

من ذلك اليوم ، **وكان من أيام سنة ١٩٣٥ ، بدأت بيني وبين شكري فيصل صداقة كانت تمتن يوما بعد يوم** ، وتزداد رسوخا كلما التقينا ، لم تعكر صفوها شائبة على **اختلاف الجُبْلة بيننا ، وعلى تنافر الرأي على كثير من مناهج الحياة** ، فقد كنتُ بطبعي أكره « السياسة » **وكان بطبعه يحب الموالج إليها** ، وكنت بطبعي على شيء من صلابة العود ، حازما فيا أملك ، **وكان بطبيعته رَسْلا على كثير من المرونة ، هينا يبدو لمحدّثه أنه لايقطع في أمر ..** على أن هذا الاختلاف بيننا لم يكن ليفسد المودّة التي يضمرها أحدنا للآخر **مقرونة بالاعجاب والتقدير .**

إن واجب الوفاء نحو الصديق الراحل ، يدعو إلى تدوين **قصة كفاحه الطويل مذ كان تلميذاً مجدّا** إلى أن أصبح معلما ناجحاً ، ومن ثمّ أضحى أستاذا مرموقاً ومحاضراً طبقت شهرته آفاق الوطن العربي ، **إلى أن غدا مجمعياً كبيراً ترنو إليه الأبصار وتهفو نحوه القلوب .**

وقصة كفاح شكري فيصل **ستبقى نبراساً يضيء للأجيال العربية القادمة ، بعض الدروب الوعرة** التي وضعهم عليها التخلف ومؤامرات ذوي المطامع وتخاذل بعض من آل إليهم حكم شعوب **غُلبت على أمرها ، بعد أن سُحقت كرامة مواطنيها واستلبت حرياتهم .**

- ٣ -

بداية الكفاح المستمر

عَرَفت دمشق خلال الحرب العالمية الأولى ومابعدها طبقة من « **الفتوات** » تغلغلت في أغلب أحيائها وتولى أفراد منها زعامة الحركات الشعبية في مقاومة الاحتلال الأجنبي .. واشتهر حيّ « **العُقَيبة** » وهو من أقدم أحياء دمشق خارج السور ، برجال من تلك الطبقة كان بينهم شاب أصله من مدينة حمص يدعى « **عمر فيصل** » . وقد خُطبت له إحدى بنات الحيّ فتزوجها وأنجبت له وحيدها الذي حمل اسم « **شكري** » ، وكان أخوها **من علماء دمشق وأفاضل مربيها** يدير مدرسة ابتدائية خاصة اتخذت من بيت « **الشيخ قطنا** » في حيّ المسكية ، لصيق الجامع الأموي من ناحية الغرب ، مقرّا لها .

تفتحت عينا شكري على الطريق الموصل **بين بيت « خاله » ومدرسته « التهذيب الإسلامي »** وكانت من أبرز المدارس الدمشقية الخاصة حتى السنوات التي سبقت قيام « التعليم الإلزامي » وقد سجّل شكري بنفسه هذه المرحلة من حياته قائلا : « **في بيت خالي الشيخ محمود ياسين[٢] كانت نشأتي ، وعلى يديه كانت تربيتي ، وفي**

(٢) محمود بن أحمد ياسين الحمامي : فقيه محدث متأدب ولد بدمشق سنة ١٨٨٧ م ، =

مجاله كان تفتحي ، وفي مكتبته كانت مطالعاتي » .

وانتسب شكري فيصل إلى « **أنموذج البحصة** » المدرسة الابتدائية الحكومية التي حملت بعدئذٍ اسم « مدرسة معاوية الابتدائية » لينال منها **شهادة انهاء التحصيل الابتدائي** فيوفر على نفسه مشقة فحص الدخول إلى المدرسة الثانوية الرسمية .

فلما كانت سنة ١٩٣١ ، كان شكري فيصل في عداد طلاب **مكتب « عنبر »** المدرسة التجهيزية التي حملت بعد سنوات اسم « مدرسة جودت الهاشمي الثانوية » وكان أساتذة المكتب **صفوة رجال العلم والفكر والأدب .**

تتلمذ شكري فيصل على أساتذة مكتب « عنبر » وفي العربية بخاصة على الأستاذين **زين العابدين التونسي وأبي الخير القواس** في السنتين الأوليين من دراسته الثانوية ، وعلى الأستاذين **محمد البزم وسليم الجندي** في السنوات التالية ، وأصغى إلى الأستاذ الموسوعي **عبد القادر المبارك** في دروس الدين .

كان شكري فيصل في مكتب « عنبر » **في عداد الطلبة المتفوقين** ، وكان يتابع ، فوق ذلك ، حلقات العلم الخاصة ولا يترك ساعة فراغ إلا أمضاها في حضور مجلس علم أو بمصاحبة كتاب ، حتى غدا **من المرموقين لدى أساتذته وزملائه .**

= تلقى العلم عن مشاهير علماء عصره ، درّس في بعض مساجد دمشق وثانوياتها وأسس مدرسة ابتدائية كان يديرها بنفسه وساهم في تأسيس عدد من الجمعيات الإسلامية . توفي بدمشق سنة ١٩٤٨ .

انظر ص ١٥١ ج ١١ معجم المؤلفين عمر رضا كحالة دمشق ١٩٦٠ .

وكان عليه ، بعيداً عن طلب العلم ، أن يعمل عملاً يخفف عنه عبء مايحتاجه من نفقات يومية ، فلم يجد خيراً من مهنة « **الوراقة** » يساعد أصحابها ، فهي لاتبعده عن الجوّ العلمي الذي ألفه من جهة كما تزيده دنواً من العلماء والأدباء من جهة ثانية ، وإن كانت لاتكسبه إلا القليل القليل .

لقد كانت السنوات التي أمضاها شكري فيصل في « مكتب عنبر » **من السنوات العصيبة في تاريخ سورية السياسي** ، فقد حدثت خلالها اضطرابات خطيرة وقامت حركات طلابية جسيمة تستهدف الضغط على فرنسة لإلغاء انتدابها المفروض على سورية وعقد معاهدة معها تعترف باستقلالها ، وعرفت تلك الحركات ، التي أدت إلى مشروع معاهدة لم تتم ، باسم « **اضراب الخمسين يوماً**[٣] » . وكان من آثار تلك الحركات ايجاد ميول لدى شكري فيصل **بمتابعة الحركات السياسية** على ماسنفنده في نبذة تالية .

تابع شكري فيصل دراسته الثانوية وماكاد يحصل على

---

(٣) ما انفكت بلاد الشام تنافح الانتداب الذي فُرض عليها في أعقاب معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ ، التي اطاحت باستقلالها وقد اعلنته إثر جلاء الأتراك عنها سنة ١٩١٨ ، ومازالت تندلع فيها الثورات وتخبو ، وتقوم فيها المظاهرات الحاشدة في كل مناسبة مطالبة بالاستقلال ، حتى كانت ليلة الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٦ إذ ألقت السلطة المنتدبة فيها القبض على رجال الحزب الوطني الذي كان يتزعم الحركة الاستقلالية ، فما كان الصباح إلا واعلنت دمشق الاضراب العام في جميع مرافقها واحيائها وقد استمر اضرابها بعد أن عم سائر البلاد ، خمسين يوماً متواصلة ، ولم تعدل عنه إلا برضوخ السلطة واعلانها عن قبول وفد سوري يفاوض على عقد معاهدة سورية ـ فرنسية . وقد سافر الوفد إلى باريس يوم ٢٥ من آذار سنة ١٩٣٦ .

« **البكالوريا** » بقسميها « **العلمي** » ثم « **الفلسفي** » حتى التحق **بكلية الآداب في جامعة القاهرة** ، وبسبب من الحرب العالمية الناشبة وقتئذٍ ، صَعُب التنقل بين مصر وسورية فكان شكري إذا ما طالت اقامته بدمشق يتولى **تدريس العربية** في المدرسة التجارية الثانوية .

فلما كانت سنة ١٩٤٢ حصل على **إجازة في الآداب بدرجة الامتياز** وكان الأول بين خريجي تلك السنة .

وعاد شكري فيصل إلى دمشق **ليدرِّس العربية في ثانوياتها** غير متوان عن متابعة المحاضرات في كلية الحقوق بدمشق حتى كانت سنة ١٩٤٦ فنال فيها **الإجازة بالحقوق** من الجامعة السورية .

وكانت سورية عقب نيلها الاستقلال عام ١٩٤٦ ، قد اختارت **الأستاذ ساطع الحصري** مشاوَراً فنياً لتعديل برامج التعليم فيها ، **وعينت شكري فيصل** عضوا في اللجنة الرئيسة التي عُهد إليها بمهمة التعديل ، فاعتمد عليه الأستاذ الحصري ليساعده في مهمته ، فكان أن أشرف على صياغة وطبع التقارير التي اشتهرت باسم « **تقارير ساطع الحصري** » .

لم ينقطع شكري فيصل عن التدريس في الثانويات الرسمية والخاصة في تلك المدة ، واستفاد من الاشتراك في لجنة تعديل برامج التعليم ، فقام **بتأليف الكتب وفق المناهج الجديدة** منفرداً أو بالاشتراك مع بعض زملائه ، وكان مما نشر له الكتب التالية :

١ ـ كتاب « **الفنون الأدبية** » المقرر لطلاب السنة الثالثة ، وقد طبع أكثر من مرة .

٢ ـ كتاب « **الزاد من الأدب العربي** » المقرر لطلاب شهادة الكفاءة بالاشتراك مع الأستاذين خلدون كناني وأنور العطار ، وقد طبع مرات عديدة .

٣ ـ كتاب « **النصوص الأدبية** » في جزأين مقررين لطلاب السنوات العليا من الدراسة الثانوية بالاشتراك مع الأستاذ خلدون الكناني وقد طبع عدة مرات .

واختارت جامعة دمشق سنة ١٩٤٦ الفقيد شكري فيصل ليكون في عداد هيئة التدريس بكلية الآداب ، بعد أن تقرر توسعة أقسامها ، وتم إيفاده إلى جامعة القاهرة لتحضير « **الدكتوراه في الآداب** » .

التحق فقيدنا بقسم الدراسات العليا ، وكان بالوقت نفسه يقوم بوظيفة **ملحق ثقافي لدى الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية** ، وكان على رأسها يومئذٍ الأستاذ أحمد أمين ، فكان شكري خير مساعد له في وضع الترتيبات التي آلت بالإدارة إلى ما دُعي فيما بعد بـ « **المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم** » إذ قامت بانشاء متحف التعليم والسجل الثقافي ، ومشروعات الترجمة ، والمؤتمرات الثقافية .

كما كان الفقيد يساعد الأستاذ ساطع الحصري في جمع المعلومات التي ضمتها مؤلفاته تحت اسم « **حوليات الثقافة العربية** » .

ونال الفقيد سنة ١٩٤٨ درجة « **الماجستير** » في الآداب بدرجة **جيد جداً** . وفي سنة ١٩٤٩ حصل على « دبلوم » **معهد اللهجات العربية** (قسم اللغات الشرقية) . فلما كانت سنة ١٩٥١ نال درجة « **الدكتوراه** » في الآداب بدرجة **جيد جداً** .

وأشرف الفقيد في القاهرة على نشر رسائله الجامعية التالية :

١ ـ « **مناهج الدراسة الأدبية ـ عرض ونقد واقتراح**[٤] »مطبعة دار الهنا ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٢ ـ « **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها ومقوماتها وتطورها اللغوي والأدبي**[٥] » مطابع دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٣ ـ « **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ـ دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية**[٦] » دار القلم العربي القاهرة ١٩٥٢ .

ولما عاد الفقيد إلى دمشق يحمل انتصاراته العلمية الباهرة ، كُلّف بصورة موقتة بعضوية « **لجنة التربية والتعليم** » الإدارة المركزية المكلفة بتخطيط برامج التعليم وبمراقبة الكتب الدراسية في سورية .

كان الفقيد يقوم بعمله الحكومي خير قيام ، وإلى جانب ذلك ، **كان لايترك لنفسه ساعة فراغ ، بعد انتهاء عمله**

(٤) الرسالة التي قدمها الفقيد إلى كلية الآداب للحصول على درجة الماجستير وقد ناقشتها بتاريخ ١ / ٧ / ١٩٤٨ لجنة مؤلفة من الأستاذ أمين الخولي مشرفاً والأستاذ مصطفى السقا والأستاذ محمد خلف الله أحمد عميد كلية الآداب في الاسكندرية عضوين . ومُنح عليها الماجستير بدرجة جيد جداً .

(٥) الرسالة الأصلية التي قدمها الفقيد لنيل درجة الدكتوراه ، وقد ناقشت الرسالة بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٥١ لجنة مؤلفة من : الدكتور زكي محمد حسن رئيساً ، والأستاذ أمين الخولي مشرفاً والدكتور أحمد أمين والدكتور حسن إبراهيم والدكتور فؤاد حسنين أعضاء .

(٦) الرسالة الاضافية التي قدمها الفقيد للحصول على درجة الدكتوراه ، وقد نوقشت من قبل اللجنة المذكورة آنفاً وبالتاريخ نفسه ، وانتهت المناقشة بمنحه درجة الدكتوراه بدرجة جيد جداً .

الرسمي ، إلا وأسهم بها في النشاط الثقافي للجمعيات والنوادي الدمشقية كجمعية الشبان المسلمين وجمعية الإخوان المسلمين والنادي العربي وغيره من النوادي الثقافية .

كما كان الفقيد **يشارك في جميع المهرجانات والاحتفالات الأدبية والفكرية** كمهرجان الكواكبي ومهرجان الشاعر القروي ، إلى جانب ما كان **يرفِد به المجلات الأدبية في كل من دمشق وبيروت والقاهرة** كمجلات « الرسالة » و « الثقافة » و « الكتاب » و « الآداب » و « الأديب » و « المعرفة » و « الفكر العربي » وغيرها في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وقبل نهاية سنة ١٩٥٢ عُيّن الفقيد **أستاذا مساعداً للأدب العربي القديم في كلية الآداب** ، وكان مما نشره في تلك السنة تحقيق « **مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام**[٧] » وهي « مقدمة نقدية بارعة قلّ أن نظفر في الخزانة العربية ، في باب النقد ، بمثل دقتها وتحديدها ، ولعلّها وحدها هي التي عالجت عمود الشعر ووضعت معاييره[٨] » .

فلما كانت سنة ١٩٥٦ أضحى الفقيد « **أستاذاً بلا كرسي** » في كلية الآداب . فأوفدته جامعة دمشق مبعوثا إلى ألمانيا للاطلاع خلال العام الدراسي ٥٦ ـ ٥٧ ، وهناك تابع **دراسة اللغة الألمانية** ، وكان بدأها في جامعة القاهرة ، وقد عُني خلال إقامته

---

(٧) نشرت أولاً في مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣٧ ص ٧٥ سنة ١٩٥٢ .

(٨) أيد ذلك وأثنى على التحقيق العلامة الطاهر بن عاشور .
انظر المجلة المشار إليها أنفاً مج ٢٩ ص ٣٨٧ سنة ١٩٥٤ .

في ألمانيا **بدراسة المخطوطات العربية** في كل من جامعة : توبنغن وماربورغ وبرلين ، **واختار طائفة صالحة منها لمكتبة المجمع العلمي العربي** .

وكان رئيس المجمع العلمي العربي قد عهد إلى الفقيد بتحقيق « **قسم شعراء الشام** » من كتاب « **خريدة القصر وجريدة العصر** » للعماد الأصبهاني ، وقد ظهرت أجزاء هذا القسم في مطبوعات المجمع بالترتيب التالي :

أ ـ ظهر الجزء الأول سنة ١٩٥٥

ب ـ ظهر الجزء الثاني سنة ١٩٥٩

جـ ـ ظهر الجزء الثالث سنة ١٩٦٤

د ـ ظهرت بداية قسم شعراء الشام سنة ١٩٦٨ وكانت مفقودة عند الشروع في التحقيق .

ومثّل الفقيد سورية ضمن وفدها إلى « **مؤتمر الأدباء العرب** » الذي عقد في « بلودان » سنة ١٩٥٧ ، كما مثّلها في السنة نفسها في **مهرجان القاهرة لأمير الشعراء** وقد ألقى بحثاً قيماً بعنوان « **نثر شوقي**[٩] » وفي سنة ١٩٥٨ مثل القطر السوري في « **مؤتمر الأدباء العرب** » الذي عقد في الكويت وقد ألقى فيه بحثاً عنوانه « **البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة** » .

وفي سنة ١٩٦٠ سُمّي الفقيد عضواً في المؤتمر العاشر لهيئة الدراسات

---

(٩) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العربي ص ٦٦ مج ٣٤ سنة ١٩٥٩ .

العربيـة في الجـامعـة الأميركيـة في بيروت ، وقـد ألقى فيـه بحثـا عنوانـه « **ماأسهم به المؤلفون العرب في المائـة السنـة الأخيرة في دراسـة الأدب العربي** » .

لقـد كان الفقيـد من الأسـاتـذة النـاجحين ـ **على مـايشهـد بـه تلامذته** ـ كان واسع الثقافة في تاريخ الأدب ، متمكنا في المواد التي عهد إليـه بتـدريسهـا ، حلو المحـاضرة ، محبوبـا من الطلاب يُرحّب بـاسئلتهم ولا يتـأخر عن استقبـالهم في أي وقت شـاؤوا ، بـدأ عـام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ يُلقي على طلاب شهادة « **تاريخ العرب والإسلام** » دراسـة عن تطور الغـزل العربي بين الجـاهليـة والإسـلام في القرن الأول ، ثم أغنـاهـا في السنوات التالية ببعض الفصول وطبعت كتابـا سنـة ١٩٥٩ في مطبوعـات جامعة دمشق يحمل عنوان « **تطور الغزل بين الجـاهليـة والإسلام ـ من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعـة** » وظهرت طبعتـه الثـانيـة عام ١٩٦٤ .

وكان من إنتاجه العلمي في جامعـة دمشق سنـة ١٩٦٥ إصـدار طبعـة محققة على مخطوطتين من كتاب « **أبو العتاهية ـ أشعاره وأخبـاره** » ضمّ فيه نصوصاً لم تنشر من قبل ، وقد ظهر في جملة مطبوعات الجامعة .

كما أنه عكف خلال تردده على بيروت محاضراً في الجـامعـة اللبنـانيـة على نشر « **ديوان النابغة الذبيـاني** » صنعـة ابن السكيت ، ظهر سنـة ١٩٦٨ محققا عن أصل فريد .

وكان المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت قد طلب من الفقيـد الاشتراك في تحقيق كتاب « **الوافي بالوفيات** » لصلاح الدين خليل بن أيبـك الصفـدي ، فحقـق منـه القسم الحـادي عشر من الجزء السـادس

(**ثامر ـ الحسن**) وقد انتهى طبع هذا الجزء سنة ١٩٨١ .

ولم يكن شكري فيصل ليتأخر عن الاشتراك **في أي مؤتمر يدعى إليه أو أية ندوة يستطيع أن يساهم فيها ببحث أو دراسة** ، وكان من أهم المؤتمرات والندوات التي اشترك فيها ، ولم نأت على ذكرها ، مايلي :

١ ـ ندوة التعريب ، التي اقيمت في ليبيا في شباط سنة ١٩٧٤ ، وكان بحثه بعنوان « **عوائق في طريق التعريب** » .

٢ ـ **مؤتمر** أدباء العرب ، الذي انعقد في ليبيا في أيلول سنة ١٩٧٧ ، وكان موضوعه فيه يحمل عنوان « **مشكلة اللغة العربية في الأدب المعاصر** » .

٣ ـ ندوة اتحاد الجامع العربية التي انعقدت في عمان في تشرين الأول سنة ١٩٧٨ ، وكان بحثه بعنوان « **اللغة العربية خلال ربع قرن في ميدان التعلم والتعليم** » .

٤ ـ ندوة التعريب ، التي انعقدت في الخرطوم في كانون الثاني سنة ١٩٧٩ ، وكان بحثه فيها تحت عنوان « **موقع الندوة من حركة التعريب** » .

٥ ـ ندوة اتحاد المجامع العربية ، التي انعقدت في الرباط في تشرين الثاني سنة ١٩٨٤ ، وكان بحثه فيها بعنوان « **تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير** » .

☆ ☆ ☆

وهنا أجد من واجبي ، وأنا أدون قصة كفاح شكري فيصل الذي استمر متواصلا مذ كان طالبا حتى آخر يوم من حياته ، **أن أسجل تفسيراً أراه وراء نزعة كامنة في نفسه . كانت مصدر حيرة لدى كثير من أصدقائه وعارفي فضله وكفاياته ، كما كانت مبعث نقد شديد وتعليل خاطئ من قبل خصومه ومنتقديه** ، إضافة إلى أنها كانت من عوامل هجوم ظالم تعرض له من قبل شانئيه وحسّاده .

كانت **فكرة الوحدة العربية قد استهوت فقيدنا** خلال دراسته الثانوية ، مما دفعه ـ وكان لا يزال طالبا في السنة الرابعة ـ إلى الانتساب إلى حزب أنشأه شباب مثقفون يؤمنون بتلك الفكرة ، وعندما فكر الحزب في اصدار صحيفة سياسية تدعو بالدعوة القومية ، **دُعي الفقيد إلى المساهمة في تحريرها وظل يحرر فيها مدة ليست بقصيرة إلى أن احتجبت** ـ على ماسنذكره في نبذة تالية ـ وعلى الرغم من عزوف الفقيد عن الصحافة السياسية مذ بدأ تحصيله الجامعي ، إلا أنها **غرست في أعماقه حبَّ عدم البعد عن أجوائها** . فلما كانت سنة ١٩٥٤ ، وكانت سورية في قلق وعدم استقرار سياسي عارم ، رأينا الفقيد يرشّح نفسه للانتخابات النيابية عن مدينة دمشق أسوة بكثير من أساتذة الجامعة ، غير أنه لم يربح إلا أصوات الواعين من المثقفين الذين أدلوا بأصواتهم ولم تكن كافية للفوز بالانتخاب ، **فلما كانت الوحدة بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨** ، رشّح الفقيد نفسه لانتخابات « **الاتحاد القومي** » فكان من الناجحين بالنيابة عن مدينة دمشق ، ولم يلبث حتى ظهر اسمه في عداد « **أعضاء مجلس الأمة** » عن القطر السوري .

وكان الفقيد في القاهرة من أعضاء مجلس الأمة النشيطين ، وقد زار صيف عام ١٩٦١ يوغوسلافيا عضواً في وفد مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة .

كما لابد لي - قبل أن أختم هذه النبذة - من تسجيل **قلق يساورني بين حين وآخر** ، فأنا أسائل نفسي دون أن أجزم بجواب قاطع ... هل أسأت للفقيد من حيث أردت الخير له كل الخير ... هل أخطأت من حيث أردت النصيحة مخلصاً **يوم جاء يستشيرني في قبول منصب وزاري معروض عليه** ؟ . لقد كانت سورية تعيش يومئذ في دوامة خطيرة من القلق والاضطراب السياسي ، **لقد نصحته برفض الوزارة ، وشجعته كثيراً على الحزم ورفض ماعُرض عليه** ... ولم تعش الوزارة التي لم يدخلها الفقيد إلا قليلا وقد تشرد كثير من أعضائها بعد سقوطها .

وأنا أتساءل : هل أضعت على الفقيد فرصة الدخول في « **نادي الوزراء السابقين** » ؟ ، قائلا لنفسي : لعلّه لو دخل **لتفادى بعض مالاقاه من جحود وعنت !!**



- ٤ -

من الصحافة السياسية إلى الصحافة الأدبية(☆)

كان مكتب « عنبر » **الثانوية الوحيدة في دمشق** ، وظلّ على هذه الصفة مدة نصف قرن أو يزيد ، بدءاً من أواخر القرن التاسع عشر حتى الثلاثينيات من هذا القرن الذي نعيش فيه .

وكان مكتب « عنبر » **الطريق الوحيد الذي يسلكه ابناء دمشق إذا مارغبوا في تحصيل العلم بمدارس الحكومة** ، وكان من حظّ طلابه أن تتابع على التعليم فيه نفرٌ من كبار أهل العلم والفضل دأبوا على تلقين الناشئة **حبَّ العربية ، وغرسوا في نفوسهم الاعتزاز بالعروبة** ، مما جعله موئل الحركات الوطنية والاستقلالية ، تَقِد شَرارتها بين جدرانه فلا تلبث أن **تضطرم منها دمشق بأسرها** فإذا هي كتلة من نار مستعرَّة ، ظلّ المستعمرون يكتوون بضرامها بين الفينة والفينة إلى أن اضطرتهم إلى الجلاء عن سورية .

وكان للحركات الطلابية في مكتب « عنبر » زعامةٌ تتابع عليها طلاب رزقوا موهبة الخطابة واشتهروا بالمقدرة على **إلهاب النفوس وتأجيج العواطف وتحريك الجماهير إذا ماالحتشدت** ، ومن ثمّ قيادةِ المظاهرات الصاخبة خارج أسوار المكتب . بينما عُرف عن طلاب آخرين كانوا **عصبَ تلك الحركات أنهم فلاسفتُها الصامتون .**

لقد كان شكري فيصل من رواد الحركات الطلابية في مكتب « عنبر » ولكنه **كان من فلاسفتِها الصامتين .**

(☆) تليت هذه النبذة والتي تليها في حفلة التأبين التي أقامها اتحاد الكتاب العرب في مساء ٣٠ من تشرين الأول ١٩٨٥ .

دخل شكري فيصل مكتب « عنبر » سنة ١٩٣١ ، وكان من المجلّين في دراسته ، **ثم بدأت علائم النبوغ فيه تستلفت أنظار أساتذته وزملائه** ، فقدّره الأولون والتفّ حوله الآخرون يَنشدون سماعَ آرائه وتحليلاتِه وأحياناً مساعدتَه في تحبير ما يودّون تدوينهُ ، فلما كانت سنة ١٩٣٣ قرأ الناس في الصحف وانتشر بين الطلاب خبرُ اجتماعٍ عقدتْه نخبة من الشباب **كانت الأماني القومية ، التي تعتلج في نفوس جميع السوريين وطلابِ مكتب « عنبر » منهم بخاصة ، متجسدة فيهم** ، وأنهم وقَّعوا على وثيقةٍ بأمانيِّهم ، وأعلنوا عن تأسيس حزب سياسي باسم « **عصبة العمل القومي**[١٠] » .

ثمّ فوجئ طلابُ مكتب « عنبر » بهمس يسري بينهم **مؤدّاه أن شكري فيصل قد انتسب إلى تلك « العصبة »** فكان أصدقاؤه بين مصدق ومكذب نظراً **لما عرفوه من حيائه وحبِّه للهدوء** وتواريه في الزحام ابتعاداً عن الأضواء وتجنبا للصخب والضجيج .

ثم كانت سنة ١٩٣٨ فإذا بالعصبة **تصدر جريدة سياسية تحمل اسم « العمل القومي »** وقال ثقات من الطلاب : إنهم شاهدوا شكري فيصل يدخل إدارة الجريدة أو يخرج منها مراراً وأنهم تحسسوا في صفحاتها آثار قلمه ، وأكد العارفون بأساليب الكتاب ملامح أسلوب شكري فيصل يتخلل سطور الجريدة ، عندئذ أيقن أصدقاؤه **بأنه من المنتسبين حقاً إلى « عصبة العمل القومي »** .

يحدثنا **المفكر العربي الكبير أكرم زعيتر** قائلا :

---

(١٠) اجتمع المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي في قرية قرنايل في لبنان وأصدر بيانه التأسيسي ونظامه بتاريخ ٢٤ من آب سنة ١٩٣٣ .

[.. كان إخواني وزملائي من أركان عصبة العمل القومي يُصدِرون في دمشق جريدة « العمل القومي » تتكلم بلسانهم وتدعو إلى مبادئهم ، وقد عهدوا في رآسة تحريرها إلى مجاهد يعربي ذي صلابة في وطنيته وإيثار في سجيته هو المرحوم عثمان قاسم ، وكنت أتردد على مكتبها المتواضع وأرفِدُها بمقالات قومية ، **وألمح في زاوية فتى نحيلا في العشرين من عمره مكباً على العمل ، يكتب ويصحح وينقح** . وسألت عنه فقيل : **إنه فتى نابغ ، ينتمي إلى العصبة** ويحمل البكالوريا ..] واسمه شكري فيصل .

ظلّ شكري فيصل يساعد رئيس تحرير جريدة « العمل القومي » ويملأ زواياها المختلفة ، وينشر تعليقاتٍ كثيرةً مستخدما الاسماء المستعارة في أكثر ما يكتب ، **ومرت أيام كان فيها يستقل بتحرير الجريدة ويصححها ويدفعها إلى المطبعة بمفرده** ، إلى أن توقفت في أوائل الحرب العالمية الثانية .

واشتهر شكري فيصل **بأنه صحافي قومي ومحرر سياسي** ، حتى أنّ من تصدى لترجمة أعلام دمشق في الأربعينيات حشر اسمه مع أعلام الصحافة السورية(١١) .

لقد أفاد شكري فيصل من عمله في الصحافة السياسة **معرفة نخبة ممتازة من رجال السياسة والمفكرين من ابناء سورية والوافدين عليها** . وانشأ مع الكثير منهم صداقات ومودات كان لها أثر كبير في قابل حياته وفي الشهرة التي نالها في جميع أرجاء العالم العربي .

---

(١١) انظر مثلا كتاب « من هو في سورية » اصدار جورج فارس دمشق ١٩٤٩ .

كما كان لاشادة من تعرف عليهم بمواهبه **وثنائهم على تفكيره القومي السليم** وأسلوبه الطليّ الممتع ، **أكبر مشجع دفعه إلى ترك دمشق** ، على الرغم من ظروف الحرب المستعرة ، قاصداً القاهرة للالتحاق بكلية الآداب فيها لمواصلة **تحصيله الجامعي** .

وأمضى شكري فيصل ، بعد أن ترك الصحافة السياسية ، بضع عشرة سنة **انتسب خلالها إلى كل من جامعتي القاهرة ودمشق** ، ومضت سنون لم يكن أحد يدري خلالها محلا لاقامته ، إن كان في القاهرة أو في دمشق أو في بيروت أو فيها جميعها ، **لقد كان يَدْرس ويُدرِّس في دمشق ، وكان يَدرُس ويؤلف وينشر في القاهرة ، كما كان يحاضر في بيروت وينشر فيها مااستطاع إلى النشر سبيلا .**

لقد انقطع شكري فيصل عن الصحافة السياسية يوم احتجبت جريدة (**العمل القومي**) بحكم الاضطرار ، وانقطع عن السياسة يوم عاد إلى دمشق ليصبح عضواً في هيئة التدريس في كلية الآداب بحكم القانون ، **غير أنه لم ينقطع عن الصحافة اليومية إذ كان يرفِد صفحاتِها الأدبيةَ كما كان يرفِد مختلف المجلات بالممتع والمفيد من البحوث والمقالات بعيداً عن الشؤون السياسية .**

وتوَّج شكري فيصل رحلته من الصحافة السياسية إلى الصحافة الأدبية بمحاضرات ألقاها في « **معهد الدراسات والبحوث العربية** » بالقاهرة يطرح فيها نظرية جديدة يراها هامة في سبيل **دراسة الأدب العربي** المعاصر ، وتأريخه[١٢] تأريخا أصدقَ تعبيراً وأصحَّ واقعية وأكثرَ

(١٢) طبعت هذه المحاضرات في كتاب يحمل اسم (الصحافة الأدبية ـ وجهة جديدة في دراسة الأدب العربي المعاصر وتأريخه ـ) القاهرة ١٩٦٠ .

إحاطةً ووقوفا عند كل جزيئاته معللا كل هذا بقوله : [.. **فإذا جاء من يظن أن المجلة الأدبية جمعٌ ووعاء .. فمعنى ذلك أنه يجرد هذه المجلات من كيانها ، من مهمتها ، من روحها التي كانت لها** .. فالمجلات في الحياة الاجتماعية كائن حيّ .. يغذو ويغتذي ، ويمدّ ويستمدّ ، يفعل وينفعل ، يشاطر ويخاصم ، يصادق ويعادي ، يرى الرأي ويحارب الرأي الآخر .. كائن نشط ، يقظ ، تتعاون عليه كثرة من العقول والقلوب ، فيكون من ذلك أثره وعمله .. **والذين ينظرون إلى هذا الكائن غيرّ هذه النظرة يهدرون هذا الكيان ، ويجرّدونه من هذه الروح اليقظة ، متجاوزين عنها ، وكأنهم يَغفُلون عن أثر التربة الأولى في النشأة والتكوين ، في التنمية والتلوين ...]** .

ثم عدد شكري فيصل مزايا المخطط الذي يدعو إليه في دراسة الأدب المعاصر وتأريخه وانتهى إلى القول :

[.. **وأخيراً فإن لهذه الدراسة وجهاً آخر محبباً** ... وجهاً من الطرافة يبدو حين نقع على نشأة هذا الأدب المعاصر وحين نلمح طفولتَه الفنية وسماتِه الأولى .. **ونرى هؤلاء الأدباء كيف كانوا وأين هم الآن** ... إننا نحسُّ حين نقلب صفحاته مثل الذي نحسّ حين نقلّب صوراً لأهلينا الأدنيين . **أو ليس من الطريف المثير .. أن نقرأ كيف كان كرد علي ينظر إلى المَدنيّة الأوربية في المقتبس .. وكيف كان يقع على الكتاب الأجنبي فيحاول أن يعتصره ليقدّمه لقومه ، وكيف كان ينظر إلى المجتمع في مصرّ والشام ؟** .. أليس من الطريف المثير كذلك أن نرى كيف كانت نظرة خليل مردم إلى الشعر من خلال نقده لديوان ما ، **وأن نتابع شفيق جبري في مقالاته**

ودراساته ؟ أليس من الجميل أن نقع على كل هذه الأشياء التي تؤلف جزءاً من كياننا المعاصر ، والتي نحيا في خطٍّ تطورها لأن حياتنا لاتزال مشدودةً إليها موصولةَ الأطراف بها ؟[١٣]] .

لقد كان كتاب شكري فيصل عن « **الصحافة الأدبية** » ، مخططاً حديثاً لعمل أدبي عظيم لو تمَّ ، وقد حوى وعداً منه لاتمام مابدأه عن صحافة القطر السوري الأدبية بأسرها ، **ولكن الصحافة الأدبية نفسَها كانت تستنفد من شكري فيصل كلَّ مايستطيع بذلَه من جهد يتبقى لديه بعد أن يقوم بواجباته العريضة الأخرى** ؛ لذا لم يكن لمخططه أن يتمّ ، كما لم يكن لتأريخ الصحافة الأدبية أن يظفر بجزء آخر مما وعد به الفقيد في كتابه المذكور ، **ومن هنا كانت خسارة الأدب العربي بوفاته جسيمة** قد لاتعوض .

☆ ☆ ☆

(١٣) انظر ص ١٧ من المصدر السابق ذكره .

- ٥ -

أسلوب الفقيد المميَّز

كان شكري فيصل **أديباً موهوباً وناقداً قويَّ العارضة بالغَ الحجة** ، وله قلم سيّال يدور بالمشكلة مع أوجهها المتباينة ، وقد لا يقطع بأمر إلا مضطراً ، **واضح التعبير سهل المفردات** ، على أنّ أفكاره قد يكتنفها شيءٌ من غموض أو اغماض على حدّ قول طه حسين وشكري فيصل نفسِه .

لقد استطاع شكري فيصل - وكان لا يزال في أُخريات تحصيله الثانوي - **أن يمارس الصحافة اليومية** ، وهي التي تعيش بين فكيْ الحوادث المتلاحقة وضَرَم المِطبعة ، **وكان ناجحا نجاحاً يبشر بمستقبل باهر في عالم الصحافة** . بيد أنه - وقد أتم تحصيله الثانوي بتفوق مرموق - **بَعُد عن الصحافة اليومية** ، على ولعه بها ومتابعته إياها ، بدافع من حرصه على الأسلوب الذي وجد نفسه أسيراً له ، **يجري على قلمه بلا تعب ولا نصب .**

كان شكري فيصل حريصا على نقاء أسلوبه يخاف عليه من السرعة أن تضيه ، وإن كان لا ينتهي عادة من أكثر محاضراته ومقالاته إلا **ليلة القائها أو عشيةَ إبرادها .**

كان يدعو جميع أصحاب الأفكار الطيّبة والأبحاث القيمة **إلى تجويد أساليبهم والعناية بها** سعيا لابراز أفكارهم ونشر أبحاثهم على أكمل صورة ، وقد سجّل رأيه هذا في رسالته الجامعية قائلاً :

[.. إني أعتقد **أن العناية بالأسلوب عنايةً لا تكلّف فيها ، يجب**

أن **تكون أيضاً موضع اهتمامنا** . فالأفكار الطيبة والنتائج القيمة والأبحاث التي استنفدت الجهدَ ؛ هذه كلها لا يجب أن تبرز للناس في ثوب مهلهل . وإذا كنا نعدو في حياتنا المادّية الخاصة وراء كمال الذوق ودقته ، فما أحرانا أن نكون في نطاق الحياة المعنوية الذهنية **أكثر اقترابا من الكمال وسعيا وراءه**(١٤)] .

والمتتبع لما كتبه شكري فيصل ، بعد رسائله الجامعية ، يدرك **الطابع المميَّز لأسلوبه السَلِس الممتع الذي ينساب عفوا كقَرَاح الماء من عين جارية ويشع كنور الضحى في الأيام الصائفة .** وليس أدل على سلاسة أسلوب ما من التزام صاحبه به في **حالتي الاطمئنان والقلق أو في حالتي الرضا** والغضب لرأي يراه أو عقيدة يؤمن بها ، أيّ إذا ماسرّك وأمتعك على أي حال كان صاحبه .

انظروا ماكتبه شكري فيصل في الرسالة التي تقدم بها للحصول على درجة « **الدكتوراه** » ، لقد كان المشرف عليها الأستاذ أمين الخولي ، **وأمين الخولي هذا من أكابر أصحاب الدعوة الأقليمية في الأدب ، وفقيدنا كان من ألد أعداء هذه الدعوة** ، ينافح عن وحدة الأدب العربي في مختلف أقطار العرب .

يصف شكري فيصل موقف الأستاذ المشرف منه وموقفه من الأستاذ المشرف على رسالته بقوله : « ... **ووجدتني بعد ذلك أرتضي منه شيئا وأخالفه في شيء ، وأحاوره في مسألة وأجادله في غيرها ، حتى انتهى بنا الأمر إلى شيء كبير من خلاف في الرأي وتباين في الطريق ..**

(١٤) انظر ص ص من كتاب (المجتمعات الإسلامية) المصدر المذكور آنفا .

وصبر الأستاذ الخولي على هذا الخلاف صبر المطمئن إلى رأيه من نحوٍ والمطمئن إلى صاحبه من نحو آخر ، واصطبرت كذلك اصطبار **الواثق بنفسه والواثق بأستاذه أنه لن يَخْذُلَه** أول الخطوط التي التقيا عندها واتفقا فيها ، لأنها أول الخيوط التي تقوم عليها الحياة والتي لاتقوم حياة إلا بها ... **وذلك هو إتاحة الحرية في الرأي أبعد الحرية ، وإتاحة المخالفة في النظرة أشد المخالفة** ، والاعتماد على أن الغاية من الاشراف ليست تكرار النماذج المتماثلة ، وإنما هي **إحياء العناصر الشخصية وتنمية الفردية الذاتية** ، والبلوغ بالقوى إلى أقصى غاياتها وأبعد مراميها ...

... ولم يكن من سبيل إلى أن ألتقي مع أستاذي ... فقد كان صاحب هذه **النظرية الأقليمية يكافح لها وينافح عنها ؛ وكانت هذه الإقليمية تملأ عليه دروبه ومسالكه ، يراها وحدها في الدراسة الأدبية لايرى معها غيرها ...** وكنت عن ذلك منصرفا ، أرى فيها وجهاً من أوجه الدراسة لاكل الدراسة وسبيلا من السبل لاكل السبل[١٥] » .

وحدثنا شكري فيصل بعدئذ عن رفع الرسالة للمناقشة ، وعن موقف أمين الخولي منها قائلا :

« .. قدمها الأستاذ المشرف **وهو مخالف لها مخالفة تقدير** ، وناقشها كذلك ، **لامدافعاً عنها ولا ملتمساً لصاحبها العذر** ، بل مخالفا ملحاً في هذه المخالفة .. **عنيفاً فيها شديد العنف** ، لايُغضي عن جزء في ذلك ولاكلّ » .

(١٥) انظر كلمة التصدير في كتاب « مناهج الدراسة الأدبية » القاهرة ١٩٥٣ .

وبعد أن أنهى شكري فيصل سرد قصة مناقشة رسالته ، وبعد أن عرَّف نظريّته وأرّخ لها وللنظرية السائدة يومئذ عند كبار الأدباء في مصر قال :

« .. هذه هي النظريّة المدرسية بين يدي المُحْدَثين ، **تعرَّضت لهذا التشكيك الهادئ عند الأستاذ جرجي زيدان ، ولهذه الهزة العنيفة عند الدكتور طه** .. ثم تعرّضت في العِقد الثالث من هذا القرن لرجّات تختلف قوة وعنفاً مع **الأستاذ أحمد أمين والخولي** . وواجهت في كل مرحلة عاصفة وعند كلّ مؤرخ نقداً لاذعاً .. فلنتقدم إذن في هذه الدراسة خطوة جديدة ولنتساءل أين نحن من دراسة الأدب ؟ ... وكيف يجب أن تكون ؟ . ماذا نستطيع أن نفعل حين ندعُ **هذه النظرية وإلى أي نظرية ندعها ؟**[١٦] » .

ولكن كيف تأتى لشكري فيصل ، **وهذه آراؤه في إقليمية كبار أساتذته واضحة صريحة** سجلها في رسالة مرفوعة إلى بعضهم يبتغي من وراء ذلك أن يمنحوه عليها درجة علمية .. **كيف تأتى له إن ينجو ، في أقل الدرجات ، من براثن المشرف عليها ؟**

إن من يعرف أميناً الخوليّ ، **ويعرف نزعته الإقليمية وشدتها** ، وقوة شخصيته وعنفوانه .. ويعرف اعتداده بآرائه وعناده في الدفاع عنها .. أو سمع رأيه بمجمع اللغة العربية أو قرأ ماكان يكتبه من غمز ولمز بأعضائه ، **قبل أن ينضمّ إلى صفوفهم** ، يكاد لا يصدق أنّ طالبا يتحداه في آرائه ويهدمها لبنة لبنة في رسالة هو المشرف عليها ، **قد نجا من مخالبه !**

(١٦) انظر ص ٦٥ من المصدر نفسه .

ولكنّ شكري فيصل لم يجتز هذه التجربة المرة بنجاح فحسب ، **بل اجتازها وهو يحمل تقديراً ودرجة « جيد جداً »** فكيف تأتى له ذلك ؟ لاشك أن في الأمر سراً وراء هذا الاجتياز الموفق ، فما هو هذا السرّ ياترى ؟

لابدّ من سرّ يكمن وراء مغامرة شكري فيصل ، **وراء حُسن تخلّصه من الوَرْطة التي أوقع نفسه فيها** ، والتي قلّ أن ينجو من مثلها طالب يسعى لنيل درجة علمية .. إنّ السرّ الذي نتساءل عنه ، مردّه كلّه إلى **باب من « السحر الحلال » ، السحر الذي يمارسه شكري فيصل** ، وهو المتمكن من آرائه فيندفع يدافع عنها ببيانه الآسر .. **بيانه الذي يأسر ولا يجرح .. والذي يهدم ولا يؤذي ..** وينشىء جديداً ولا يتبجح .. وصدق القائل : « **إن من البيان لسحراً** » .

ولكن يجدر بنا أن نتساءل : **ومن أين لشكري فيصل هذا البيان الساحر ؟** ونسرع بالاجابة قائلين : « إنه الأسلوب .. والأسلوب فقط » .

كان أسلوب شكري فيصل **يُشعّ من رسالته نوراً ، ويُفيض على دفاعه عنها طلاوة ، ويمنح سهام نقده حلاوة تطغى على ألم وخزاتها** . وعندي أن أسلوب المرء ليس بصاحبه كما قيل قديماً ، **بل هو مايعرفه الناس عن صاحبه .**

كان أسلوب شكري يمثل تماماً مايعرفه الناس عنه . **فالناس لم ترَ من شكري فيصل إلا الخلق الرّضي والتهذيب الجمّ** ، كان رحمه الله خفيض الصوت ، يمشي على استحياء ، يحسن التملص إذا ماتوقّع العنف .

ولنتساءل مرة أخرى ، ومن أين لشكري فيصل هـذا **الأسلوب الرائع المنجّي من المهالك ؟**

مما لاشك فيه أنّ شكري فيصل كان بطبعه الذي فُطر عليه ، على أتم استعداد للتسلح بأسلوبه **الذي كان سلاحه الوحيد** ، وأن التربية التي نشأ عليها والتجارب التي مرّ بها والثقافة التي تمكّن منها **قد صقلت سلاحه حتى استقام بيده** فاستخدمه أروع استخدام .

على أني أُحبّ أن لاأُغفل ذكر من إليه يعود بعض الفضل على شكري فيصل .. إن جيلنا قد انبهر وهو يفتّح عيونه في دنيا المعرفة **بعميد الأدب العربي طه حسين** يوم كان ينشر في « الرسالة » أو يخطبنا في دمشق .. كان أسلوبه يأخذ بألبابنا ويشدنا إلى متابعته شدّاً لم يكن من السهل الانفلات منه . **لقد ترسم شكري فيصل خطا طه حسين في أسلوبه الرائع وبيانه الساحر** حتى جرى مجرى الطبع فيه ، تقرأه في مؤلفاته أو مقالاته وحتى في رسائله الخاصة فلا تحسّ بشيء من التكلف أو العنت .

لقد ادّعى شكري فيصل مرة أنه سيستعير من طه حسين أسلوبه ، **وكان ماكتبه في الحقيقة أسلوبه الذاتي ، وكان فيه يضارع أسلوب طه حسين أو يماثله .**

لنقرأ شكري فيصل وهو يقدم كتاب « **تقليد وتجديد** » وهو كتاب صدر حديثا يضم مجموعة من أحاديث طه حسين لم يسبق نشرها في حياته . يقول شكري فيصل :

[.. في أسلوب الدكتور طه إذن ـ على كل الوضوح الذي يتسم به ـ

شيءٌ من غموض أو شيء من إغماض يقصد إليه قصداً .. ولعلَّ سحر الأداء عنده يصرف القارئ عن الفكرة بتفاصيلها إلى الأسلوب الذي تُعرض فيه هذه الفكرة .. فإذا هو مشدود إليها ، لامن حيث مقدماتها وتفاصيلها وبراهينها ، بل من حيث نتائجها التي انتهت إليها .. » .

وأقام الدكتور شكري الدليل على قوله هذا من كتاب الدكتور طه « **في الأدب الجاهلي** » ثم قال :

« .. هذا الوضوح الغامض أو هذا الغموض الواضح - **إن صحَّ أن استعير أسلوب الأستاذ العميد** - هو بعض ما يواجه المرء في هذه الأحاديث[17] .. » .



(١٧) انظر ص ٧ و ٨ من الكتاب - دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٨ .

- ٦ -

نماذج من أسلوب الفقيد في نثره

لعلّ خير مايعين باحثا على تصوير شخصية شكري فيصل ، **العالم الأديب والناقد الأريب ، والفنان الأصيل والمصور الدقيق** ، إيراد وشل مما دونه في موضوعات متباينة بأسلوبه المميّز الفريد .

وفيما يلي مقتطفات من بحث أُعدَّ ليلقى أمام نخبة من كبار العلماء والأدباء ، ومن مقدمتين أُعدَّتا لتتصدرا رسالتين معروضتين على لجنة من كبار الأساتذة المرموقين للمناقشة والنقد ، ومن رسالتين بعث بهما إلى صديق يشكره في الأولى على كتاب أهداه إليه وهو ينقده نقداً هيناً ليناً ، وفي الثانية يصف له فيها مالاقاه في دربه إلى خزانة القرويين ، كتبهما غير متأن ولا متهيب ، فجاءتا عفو الخاطر لاتكلف فيهما ولااعداد ، وسنجد في هذه النماذج روح الفقيد متجلية بأسلوبه الفريد المتميز .

أولاً : نثر شوقي

دعا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة إلى اقامة مهرجان في القاهرة من ١٥ ـ ٢٢ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٥٨ لتكريم **أمير الشعراء أحمد شوقي بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على وفاته** ، وكان شكري فيصل من المتكلمين في المهرجان ، تكلم عن (نثر شوقي[١٨]) وكان

---

(١٨) نشر هذا البحث في الصفحة ٦٦ من مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٤ سنة ١٩٥٩

من كلامه ما يأتي :

[... أكان شوقي هذا **الذي فعل الأعاجيب في الحياة الفنية الشعرية** ، ناثراً من الناثرين الذين يقف عندهم تاريخ الأدب مشيراً إلى أثرهم في سواهم ... ؟

أغلب الظن أننا لن نستطيع أن نكتشف شوقي الناثر في شيء من اليسر .. لا لأنه لم تكن له هذه القدرة على النثر المتمكن من الصنعة حتى لتكاد تكون فيه عفواً ... ولا لأن نثره لم تكن فيه هذه القدرة على الإمتاع .. لا لشيء من هذا أو ذاك ، وإنما يتجاوز الأمرُ شوقي نفسه إلى العصر الذي عاش فيه ، وإلى العصر الذي نعيش فيه ، وإلى المواضعات التي نطمئن إليها في العمل الفني ، والأسس التي نرتكز عليها في التقدير والتقويم ... **فنحن نحيا في عصر هو أقرب إلى الإطلاق منه إلى التحديد ، وإلى العفوية منه إلى التصنع ، وإلى الإرسال منه إلى القيد ، وإلى الانسجام مع المعنى بأكثر من الانسجام مع اللفظ** ... ونحن اليوم نحب النثر رهواً ، رخاءاً ، طلقاً ، كهذه الأشرعة الخفيفة التي تجري مع النيل ، لا تسمع لها صلصلة ولا جلجلة ، ولا تحس لها ضجيجاً ولا عجيجاً ، وإنما هي وسوسة ناعمة كأنما هي همس الموج إلى المجداف ، وتحية المجداف إلى الموج ، ثم لا يكون بعد ذلك إلا هذا التقدم المنطلق على صفحة الماء ...] .

وبعد تحليل وتدليل وتوضيح قال شكري فيصل :

[.. إن شوقي أراد من السجع كما قال حلاوة الفواصل وهديل الحمام بأكثر مما أراد إلى القيد والتكلف والالتزام] .

وبعد أن انتصر لبشارة الخوري في رثائه شوقي على شكيب أرسلان الذي قال : « ان نثر شوقي قتل شعره » انهى شكري فيصل بحثه الممتع قائلا : [**إن نثر شوقي في منزلة الشعر .. بل إنه شعر إذا نحن التزمنا تعبيره .. إنه شعره الثاني**] .

ثانياً ـ تصدير موضوع المجتمعات الإسلامية

كان الفقيد يملك قدرة عجيبة في عرض موضوع كبير أو تلخيص مؤلف ضخم في سطور قليلة تعطي فكرة واضحة عنه ، لقد صدّر رسالته عن « المجتمعات الإسلامية » بقوله التالي عن اختيار الموضوع :

[تبدأ صلتي الرسمية بهذا الموضوع منذ أن سجّلته في الجامعة لدرجة الدكتوراه ، **غير أن صلتي الشخصية به ترجع إلى بعيد ، وترتدّ إلى الوراء حتى تبلغ الفترات الأولى التي كانت تتفتح فيها أذهاننا** ، في سنوات الدراسة ، **لتيارات الثقافة العميقة ومشكلات الحياة الكبرى** . وكنت حريصاً أشد الحرص على أن ابوّئ الحركة الإسلامية مكانها من هذه الحركات التي تمخضت عنها الإنسانية ، وأن أدرك في شيء من العمق ، دورها الضخم في قيادة الناس وأسلوبها في جمعهم على صعيد واحد من الفكر والعقيدة واللغة ، وكان هذا الحرص يزداد نمواً مع الزمن كلما سايرت مطالعاتي روحَ النقد أو سارت فيها[١٩] ..] .

ثالثاً ـ عرض موضوع كتاب حركة الفتح الإسلامي

وتحدث شكري فيصل في صدر رسالته الثانية عن « حركة الفتح

(١٩) انظر ص ك من كتاب « المجتمعات الاسلامية »

الإسلامي » موضوع رسالته الإضافية فقال :

[.. كانت جزءاً أصيلا من العمل وتمهيداً بين يديه ، فالمجتمعات الإسلامية الناشئة ، في الأقطار المختلفة ، جاءت أثراً من آثار انسياح العرب وتدفقهم ، وهجرةُ اللغة جاءت نتيجة لهجرة أصحاب هذه اللغة ، وتطورُ الأدب كان أثراً من آثار هذه النقلة النفسية إلى هذه المهاجر والاختلاط فيها - وإدراكُ الشروط الحياتية التي عاشتها اللغة في هذه الأجواء الجديدة ، معناه أن ادرك قبل ذلك الشروط الحياتية الجديدة التي عاشها أفراد هذه اللغة : أصحابها أو المقبلون عليها ، الذين يتكلمونها أو الذين يتعلمونها .. وبصورة أخرى كان لابدّ **من دراسة حركة الفتح والصلات التي نجمت بين الفاتحين والسكان الأصليين ، وطبيعةِ هذه الصلات انكماشاً أو تفتّحاً ... وكيف كانت النُّظُم في هذه الصلات** ، وماالذي كان يضبطها ، ودراسة كل مايتصل بعقود الصلح ووصايا الخلفاء ، لأنها هي الصورة المعاصرة لما نسميه المعاهدات ، **ولأنها هي الصورة الرسمية للعلاقات بين الشعب الوافد المستوطن والشعوب المقيمة المتوطنة**[٢٠]] .

رابعا - تقريظ ونقد كتاب

كتب شكري فيصل إليّ رسالة طويلة[٢١] جاء فيها :

[الآن انجزت قراءة كتابك الأخير ، الذي تفضلت فأهديتنيه ، عن **الشيخ طاهر الجزائري وعن أعلام من مدرسته** .. ولعلّ الكلمة

(٢٠) انظر تصدير الرسالة المذكورة .

(٢١) صادرة عن دمشق بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٧١ .

الأولى التي أحب أن اقولها أن أشكر لك حميدك هذا الذي بذلته باحثا ومنقباً ومفكراً في سيرة هؤلاء الرجال الذين **كانوا عصباً من أعصاب النهضة وروحاً من روحها ، والذين انبتتهم التربة الطاهرة لهذه المدينة الطاهرة الخالدة .**

إن عملك أعاد إلى نفسي ، وسيعيد إلى نفوس الذين يقرؤونه في هذه الفترات الكالحة من اليأس الأسود شيئاً من الثقة والأمل ... إنه علمنا من جديد **أن الكلمة الطيبة لاتموت ، وأن الجهد لايضيع ،** وإن في المجتمع قوة من قوة الله الذي لايضيع عنده شيء في الأرض ولا في السماء .

ليس هذا وحده ماأردت أن اقوله وإن كان أول ماأردت أن أقوله ... أحببت أن أقول **إن الكتاب صورة عنك في حديثك الذي لاتريده دائما مواجها** ، تريد أن تعتمد فيه على ذكاء القارئ والسامع بأكثر مما تريد أن تعطيه منه .. وفي حديثك الذي تريده انيقا مصقولا ، **وفي لهجتك الهادئة ولكنها يسمع لها الصوت أحيانا والهدر البعيد أحيانا ...**] .

خامساً : في الطريق إلى القرويين

جاء في رسالة طويلة أخرى جدّ شخصية ، كان شكري فيصل بعث بها إليّ من فاس[٢٢] ، أقتطف منها هذه المقاطع في وصف طريقه إلى القرويين :

[.. اكتب إليك هذه الكلمات من القرويين أعني من الخزانة (المكتبة)

(٢٢) وهي مؤرخة في ١٧ / ١ / ١٣٨٥ ـ ١٩ / ٥ / ١٩٦٥ .

وقد سعيت إليها منذ الصباح **فأنفقت زهرة اليوم في التماس الطرق وفي تصعيد وتصويب وفي انحناء وانحدار وفي لفّ ودوران وفي مدافعة الناس والبغال والسيّاح الأجانب** ... وفي النظر إلى العاملين والذين لايعلمون .. الذين يجهدون والذين يسألون .. في مقابلة ألوان من الدكاكين الصغيرة التي لايوازيها عندنا إلا دكاكين القوافين[٢٣] ، وفي شمّ ألوان من العطور وروائح اللحوم ومناظر الخضر وأقفاص الكرز والمشمش الجديد الذي أظلّ الناس ... **وفي الاستمتاع بهذا التاريخ الذي يطلّ من كل نافذة ويتوهج في كل حجر** ويرتسم على كل حائط ويصيح ، أو كأنما يصيح ، في كل بناء .. ولم أخلص إلى الخزانة إلا بعد نصف ساعة أو أكثر من السير .. ماتركتُ شيئاً مانظرت فيه ، **وما كان هنالك شيء في الدنيا قديم أو حديث إلا وكان في طريقي** من آلات التصوير الفخمة التي يحملها السيّاح في طريقهم إلى هذا البناء القديم أو ذاك ـ إلى البابونج الذي يباع في القفف ، يبيعه هؤلاء الفلاحون ويبيعون معه الورد (هل تذكر ورد مسرابا[٢٤]) بالكيلو ليقطره الناس .. وكذلك تجد أني ـ وأنا أتحدث إليك ـ **غنيّ بالروائح ، غنيّ بالعطور ، غني بالتاريخ ، غنيّ بالحاضر ، أما المستقبل فعلمه عند ربيّ وربك علام الغيوب ..**

وقد وصلتني رسالتك منذ أيام .. وأنا في الأسابيع الأخيرة **لاأكاد**

(٢٣) سوق القوافين بدمشق أحد اسواقها القديمة وهو لصيق الجامع الأموي من ناحية الغرب كانت تباع فيه الأخفاف والأحذية الخفيفة .

(٢٤) مسرابا : إحدى قرى الغوطة شمال شرقي دمشق اشتهرت بوردها يصنع منه « ماء الورد » ولفظها سرياني بمعنى « مشرب » انظر غوطة دمشق لمحمد كرد علي ط ٣ دمشق ١٩٨٤ .

أعرف الاستقرار .. من بلد إلى بلد .. كالعصفور الثائر الحائر الـذي لايعرف ما يعمل .. ألا يعجبك تشبيه العصفور هـذا .. في الحق أن هـذا المخلوق الضئيل النحيل الذي يصوّت كلّ يومه وبعض ليله ويسقسق منـذ الصباح ويطير من هنا إلى هناك ، **مثل رائع للخفة والطيش وعدم الاستقرار** الـذي لا يكاد يجـاوز غصنـا إلى غصن ... ولعلّـه من أروع مـا وقـع عليـه العربي أن يقـول في هجـاء خصمـه : جسم البغـال وأحـلام العصافير ... مسكينة هذه العصافير .. لأنها كذلك خلقت ...

ولا أدري لماذا انحرف بك بالحـديث .. **كرهت العصـافير في المـدة الأخيرة من أجل هذا ومن أجل أشياء أخرى** .. ذلك أني أعيش في منطقة توشك أن تكون ريفيّة ...

سأعود بـك من حيث انقطعت ... **إني في القرويين انتظر سيّـد المكتبة أو مولاها ...** لا يزعجك التعبير فذلك مستعمل هنـا ... مولى البقرة ومولى الدراجة ومولى المكتبة ... أشياء تعني صاحبها ...] .

☆ ☆ ☆

- ٧ -

الفقيد المجمعي

اختير فقيدنا عضواً في مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦١ ، واستقبل في جلسة علنية بتاريخ الأول من شباط سنة ١٩٦٢ حضرتها نخبة من أهل العلم والأدب ، **ودعاه الأمير جعفر الحسني لاحتلال المقعد الذي خلا بوفاة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك** ، مستهلا خطابه الترحيبي بقوله :

[.. وكان زميلنا الجديد المحتفى به الدكتور شكري فيصل أحد من اصطفاهم الفقيد (الرئيس خليل مردم بك) وتوقع له مستقبلاً زاهراً في رحاب الأدب ، ورأى في باكورة مؤلفاته الأمل الذي ينشده ، **فعهد إليه بعمل جليل تهيبه النابغون ، وأحجم عنه الأدباء العريقون ، وهو تحقيق كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر »** للكاتب الكبير عماد الدين الأصفهاني ، صدر الكتاب بعد جهد ونصب ، ففاز بتقدير الأساتذة أعضاء المجمع ، ونال اعجاب كبار الأدباء ، وثناء النقاد المنصفين . فقد خُدم الكتاب بطريقة دلت **على سلامة بحث محققه ، وطول باعه وسعة علمه ، وكفاءته في معالجة هذا الكتاب وتذليل صعابه** . ورفع هذا الكتاب منزلة محققه إلى مصاف **ثقات المحققين** ، وعَبّد له الطريق **ليواكب كبار الأدباء والباحثين** . وقد أيدت مؤلفاته وأبحاثه الكثيرة **المكانة العلمية المرموقة التي توقعها له عارفوه**[٢٥] ..] .

(٢٥) انظر ص ٣٠٩ مج ٣٧ سنة ١٩٦٢ مجلة المجمع العلمي العربي .

وألقى الفقيد خطابه المجمعي فكان قطعة أدبية رائعة ، وآية في الوفاء للرئيس الراحل وتحليلا دقيقا لأدبه وتقويما منصفا لشعره ، كما حوى بعض الصور التي تمثل شيئا من خلقه وصفاته .

استهل الفقيد خطابه بقوله :

[منذ نحوٍ من ثماني عشرة سنة ، حين قادتني خطاي في كثير من الحياء والتهيب إلى هذه المنصة أواجه جمهوراً من الناس في واحدة من المحاضرات التي كان يدعو إليها مجمعكم الموقر - **لم يكن في الذي اطمح إليه أو أفكر فيه أن تلتقي أيديكم الخيّرة السمحة** ، في ثقة وطمأنينة ، على أن تأخذ بيدي إلى هذه المنصة ذاتها ، لا لأحاضر ، وإنما لأشكر لكم - **بالدمعة المترقرقة لاتستهلّ ، واللسان الحييّ لايُبين - أنكم فكرتم بي حين فكرتم في أقدس المهمات التي تضطلعون بها** ، مهمةِ الحفاظ على اللغة ، وأنكم اشركتموني في أكرم جهاد ، **هو الجهاد في سبيل العربية** ، وأنكم احللتموني منكم هذا المحلّ الكريم الذي أقصر عنه .. **ولكني آمل أن أكون كفاءً له**[٢٦]] .

لم يكن انتخاب شكري فيصل عضواً في المجمع تتويجاً لأعماله الفكرية التي أثرت المكتبة العربية ونهاية لها ، بل كان انتخابه - كما وعد في خطابه المجمعي يوم استقباله - **حافزا له إلى زيادة نشاطه وباعثا له على مضاعفة جهوده في خدمة لغة الضاد وتراثها المجيد .**

لقد عهد المجمع إلى الفقيد بعضوية كل من لجنتي المجلة والمطبوعات ،

(٢٦) انظر ص ٣١٤ من المصدر السابق .

والمخطوطات واحياء التراث ، فقام بعمله خير قيام وأشرف على اخراج مجلة المجمع اشرافا كاملا اقتضاه سهر الليالي **كي تحافظ المجلة على مستواها المرموق .**

وكان المجمع قد انتخبه سنة ١٩٧٢ **أمينا عاما له** ، فقام باعباء هذا المنصب الرفيع بما عُهد فيه من كفاية ودراية ، ولم يمنعه عن **متابعة التدريس الجامعي** في كل من جامعة دمشق والجامعة اللبنانية في بيروت أو الجامعة الأردنية في عمان .

وعهد المجمع إلى الفقيد برياسة فريق انتخبه ليقوم على تحقيق **« تاريخ مدينة دمشق للحافظ علي بن الحسن بن عساكر) . وقد تم بإشرافه وضع برنامج دقيق لاتمام تحقيق هذا الكتاب القيم** الذي جعله مجمع دمشق من أولويات مهامه في تحقيق التراث ، كما تم نشر الأجزاء التالية منه :

١ ـ جزء « **عاصم ـ عايذ** » بتحقيق الفقيد ـ سنة ١٩٧٧ .

٢ ـ جزء « **عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد** » بتحقيق الفقيد بالاشتراك مع سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي سنة ١٩٨١ .

٣ ـ جزء « **عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب** » بتحقيق الفقيد بالاشتراك مع روحية النحاس ورياض مراد سنة ١٩٨٢ .

وندب المجمع الفقيد لتمثيله في حلقة « **حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها** » التي عقدت في بغداد سنة ١٩٧٥ ، فكانت له يدّ طولى في صياغة البيان الذي انتهت إليه الحلقة ، كما كانت جهوده في نص التقرير الذي وضعته اللجنة التي دعت إليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لتعقد في سنة ١٩٨٠ **لوضع أسس تحقيق التراث**

العربي ومناهجه[٢٧] .

وقام الفقيد بتمثيل المجمع والقطر السوري في (**مؤتمرات التعريب**) التي تعقدها كل أربع سنوات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وكانت المؤتمرات **تنتخبه مقرراً عاما لها لما تعهده فيه من كفايات قلّ نظيرها .** وفي مؤتمر التعريب الثالث الذي عُقد في ليبيا سنة ١٩٧٧ ، سارع رئيس المؤتمر عقب انتهائه إلى رسالة بعث بها إلى المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يقول فيها :
[.. لايفوتني أن أعبر لكم عن امتناني الشخصي لسديد توجيهاتكم لأعمال المؤتمر **وحُسن ترشيحكم للأخ الدكتور شكري فيصل لوظيفة المقرر العام** ، وإن كان مؤتمر التعريب الثاني قد شهد للدكتور شكري **بالكفاية والجدية فإنه في هذا المؤتمر قد أجاد وأبدع** وعمل بدون كلل أو ملل بالرغم من توعك صحته في الأيام الأخيرة[٢٨]] .

وماكاد المؤتمر الرابع المنعقد سنة ١٩٨١ في طنجة بالمغرب يختتم أعماله حتى **بعث المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** رسالة إلى الدكتور شكري فيصل يقول له فيها : [..إن بلاءك وجهدك وعطاءك ، في خدمة الثقافة العربية ، في كل مجالاتها ، أمر مذكور مشكور ، يعرفه لك **أهل العلم والفضل** ، وهو تراث يضاف إلى تراث هذه الأمة ،يبقى مابقيت وبقي فكرها ولسانها ، وهما بإذن الله باقيان ومحفوظان .

---

(٢٧) طبع معهد المخطوطات العربية في الكويت هذا التقرير واعتمده ـ الكويت ١٩٨٥ .

(٢٨) من رسالة مؤرخة في ١٦ شباط ١٩٧٧ . ومما هو جدير بالتنويه أن الفقيد ألقى في المؤتمر بحثا موضوعه « التطور الاجتماعي والتطور اللغوي » .

لقد كنتُ أكثر الناس حرصاً على حضور مؤتمر التعريب الرابع .. فلم ييسر الله لي أن أشترك معكم مع كل مابذلت من جهد .. وكان عزائي أن هناك من يقوم لهذا الأمر فيحسن القيام عليه ، **وأنت فارس ميدانه منذ بدأ هذا النشاط .**

ولقد قرأت باعجاب الوثيقة النهائية التي صدرت عن أعمال المؤتمر والتي تنم عن **القدرة والخبرة والانتماء منهجاً وتصنيفاً وعرضاً ،** فجزاك الله الخير أنت أهله .

فشكراً لك على كل مافعلت ، ولئن فاتتني هذه الفرصة ، لسوف نلتقي إن شاء الله قريباً في ساحة العمل العربي المشترك الذي يجمعنا دائما ، وإني انتهز هذه الفرصة **لأحيي عونك الممدود إلى المنظمة ، فيما تقدمه لها من أعمال مجيدة** ، نرجو أن يتسع نطاق الاستفادة منها ...

أخوك : **محيي الدين صابر**[٢٩]] .

قام الفقيد بتمثيل مجمع دمشق والقاء كلمته في حفلات التأبين التي اقيمت أحياء لذكرى الاعلام :

١ ـ **محمد الفَراتي**

٢ ـ **خير الدين الزركلي**

٣ ـ **محمد جميل بيهم**

كما مثل المجمع في لجنة **الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري** .

وقد رشحه المجمع لنيل جائزة الملك فيصل لعام ١٤٠١ عن (الأدب

(٢٩) من رسالة مؤرخة في ١٩ حزيران ١٩٨١ .

العربي قبل الإسلام وحتى نهاية القرن الأول) وكانت مؤسسة هذه الجائزة **قد اختارته محكما في قسم الأدب العربي .**

هذا **وكان المجمع العلمي العراقي** انتخب فقيدنا سنة ١٩٧٠ عضواً مراسلا له . كما انتخبه سنة ١٩٧٥ **المجمع الهندي العربي عضواً فيه .**

وفي سنة ١٩٨٠ انتخبه مجمع اللغة العربية الأردني عضواً مؤازراً له . كما انتخبه **مجمع اللغة العربية بالقاهرة** سنة ١٩٨٤ عضواً مراسلاً ، ودعاه إلى الاشتراك باحتفالات عيده الخمسيني .

كما دعاه اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية إلى ندوته التي عقدها في مدينة الرباط في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٨٤ ، وقد ألقى فيها بحثا قيما عنوانه (**تعريب التعليم العالي والجامعي في سورية في ربع القرن الأخير**) .

وكان آخر مانشره المجمع للفقيد **تقديمه لديوان شاعر الشام شفيق جبري** الصادر سنة ١٩٨٤ وكان التقديم دراسة وافية لأدب الشاعر وتحليلا قيماً لشعره وتقويمه تقويماً منصفاً .

وفيما يلي قائمة بما حوته **مجلة مجمع اللغة العربية** من بحوث ودراسات بقلم الفقيد الدكتور شكري فيصل :

السنة	المجلد	الصفحات	الموضوع
١٩٥٢	٢٧	٧٥ - ١٠٣	مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام
١٩٥٩	٣٤	٦٦ - ٨٧	نثر شوقي
١٩٦٢	٣٧	٣٠٩ - ٣٤٠	حفل استقبال الدكتور شكري فيصل
١٩٦٣	٣٨	٥٠٨ - ٥١٣	نقد كتاب النبوغ المغربي لعبد الله كنون
١٩٧٢	٤٧	١٥٤ - ١٨٩	استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي
١٩٧٢	٤٧	٣٧٩ - ٣٨٨	المصطلح المعرّب وتدريس العلوم بالعربية

السنة	المجلد	الصفحات	الموضوع
١٩٧٢	٤٧	٦٤٩ ـ ٦٥٧	ثغور على الخريطة اللغوية العربية
١٩٧٢	٤٧	٧٤٣ ـ ٧٧١	الاصالة والتجديد في المقال الأدبي
١٩٧٣	٤٨	١٨٢ ـ ١٨٤	تعريف بكتاب وثائق هرمة من اخبار فلسطين عام ١٩٢٠
١٩٧٣	٤٨	٢٠٧ ـ ٢٢٣	تقرير عن أعمال المجمع في سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢
١٩٧٣	٤٨	٢٧٧ ـ ٣٠٨	نشوار المحاضرة ـ خلال نصف قرن ويزيد
١٩٧٣	٤٨	٣٨١ ـ ٣٩٢	خطط الشام في طبعة جديدة
١٩٧٣	٤٨	٧٠٠ ـ ٧٠٣	حول ابن جدار
١٩٧٣	٤٨	٩١٧ ـ ٩٢٢	نقد كتاب الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية
١٩٧٤	٤٩	١٨٤ ـ ١٩٤	مؤتمر التعريب الثاني ١٩٨٣
١٩٧٤	٤٩	٩٠٨ ـ ٩١٥	نقد كتاب دلائل النظام للمعلم عبد الحميد الفراهي
١٩٧٤	٤٩	٩١٦ ـ ٩١٩	نقد كتاب كلمات وأحاديث لمحمد بهجة البيطار
١٩٧٥	٥٠	٤٣٢ ـ ٤٣٩	نقد مسرحية (فاجعة مايرلنغ) لعدنان مردم
١٩٧٥	٥٠	٨٤٣ ـ ٨٤٨	نقد كتاب (نظام الحكم في الشريعة والتاريخ) لظافر القاسمي
١٩٧٦	٥١	٦١٦ ـ ٦٢١	نقد كتاب (ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون) لعبد الرزاق الهلالي
١٩٧٦	٥١	٦٥١ ـ ٦٦٩	استقبال محمد هيثم الخياط
١٩٧٧	٥٢	١١٤ ـ ١٤١	محمد كرد علي من خلال المقتبس
١٩٧٨	٥٣	٧٤٠ ـ ٧٦٤	اللغة العربية خلال ربع قرن في ميدان التعلم والتعليم
١٩٧٩	٥٤	٢٢٩ ـ ٢٣٢	ندوة اتحاد المجامع اللغوية في عمان سنة ١٩٧٨
١٩٨٠	٥٥	١٩١ ـ ٢٠٩	محمد جميل بيهم ومجمع اللغة العربية
١٩٨٠	٥٥	٤٠٦ ـ ٤١٠	فقيد المجمع شفيق جبري

- ٨ -

السمات الإنسانية في علاقات الفقيد الاجتماعية

كان فقيدنا شكري فيصل **إنسانا مؤمنا برّاً بوالديه يخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة ، حريصا على التماس دعائهما صباح مساء** ، لم يكن ليودعهما مرة ، إذا كان على أهبة سفر ، إلا وداع المستزيد من مرضاتهما خوف ألا يعود إلى لقائهما ، **كان برّا بأصدقائهما وبذوي قرباهما يبذل جهده في احترام كبيرهم ورعاية صغيرهم والعناية بضعيفهم .**

صدّر أول رسائله الجامعية ، التي نشرها في القاهرة ، بهذا الأهداء الرائع :

[**إلى أمي**
التي علمتني الصبر ، وحببت إليّ القناعة
وغالبت في غيبتي عنها الآلام والدموع
وكانت تعيش ترقب دائما أوبة الغائب
ويعرف جفناها لصورته كما تتمتم شفتاها باسمه
وتسأل عنه في خلواتها وصلواتها وأحلامها وسبحاتها
إلى أمي
التي كانت تكتم الحنو في طفولتي في دمشق
ثم كانت تفجر الحنين في فتوتي في القاهرة

إلى أمي
وقد نذرت نفسها لي
متأبية على كل شيء ، منصرفة عن كل شيء
أهدي هذه الرسالة
ولن تكون شيئاً في جانب ماكانت تلقى
وإنما هو الاكبار والوفاء والبرّ ا[٣٠]

إن اهداء الفقيد رسالته الجامعية الأولى إلى أحب إنسان لديه ، إلى أمه التي غمرته بحنانها صغيراً وسهرت على تربيته حتى رأته يبلغ مبلغ الرجال ، **يفيض إنسانية ورقة شعور** ، وقد سكب فيه ما في نفسه من حبّ وتقدير وعرفان بالجميل .

لقد كان الفقيد يفكر في تسجيل عرفانه **بجميل اثنين كانا أحب الناس لديه أمه وخاله الذي في بيته درج وعلى يديه نشأ ومن علمه وخلقه استقى حتى أصبح علما يشار إليه بالبنان .**

ولكن الأجل المحتوم وافى خاله فجأة قبل أن يتم تحصيله الجامعي ، فلما أتمّه ، **كانت ذكرى خاله مازالت ماثلة في مخيلته وحبّ تسجيل عرفانه بجميله مازال قائماً في نفسه** ، فاذا به يصدّر رسالته الجامعية الثانية باهداءٍ صور فيه شعور الألم الذي استولى عليه لوفاة خاله وقصّ فضله عليه وترجم له أحلى ترجمة بجمل موجزة رائعة البيان فقال[٣١] :

---

(٣٠) انظر « مناهج الدراسة الأدبية » القاهرة ١٩٥٢ .

(٣١) انظر « المجتمعات الإسلامية » القاهرة ١٩٥٢ .

إلى خالي ...

الذي أراد الله أن يصطفيه إلى جواره قبل أن يملأ عينيه من ثمرة الغرسة التي انتزعها من أرضها ليزدرعها في أرض خصبة من العلم ، وفي جوّ نضر من المعرفة ، وفي دنيا مشرقة بالفضائل والمكارم .

ثم مضى يبذل لها من ذات يده ومن ذات روحه العون والنصح

ويثير فيها دفقة الحسّ ورقة النفس

وينمّي عندها إرهاف العواطف وصفاء المشاعر

ويشقّق فيها مسارب الجمال والذوق

ويعلّمها كيف تتحرر من عبودية وشهوة

ويحلّق بها على جناحين من العلم والتقوى

حتى أنزلها من ذلك كله هذه المنزلة التي تعتز بها .

إلى روح خالي ...

محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين

الذي يدين له جيل من الناس في أطراف الشام بنصاعة الشعور الديني السامي ونعمة الحياة العلمية في ضروب الثقافة الإسلامية

وجمال التعاون على الحق والخير والمعروف

أهدي هذا الكتاب ...

فهو روح من روحه وعبق من عبقه

وفاءً ببعض حقه

وإيماناً بفضله

وعهدا أن أمضي في الطريق الذي بدأ حتى نلتقي في دنيا الخلود

وتعويضاً عن الحياة التي كنت أحب أن أعود إلى دمشق فأملأ منها نفسي

.. ثم عدت .. لأنثر على قبره الطاهر دموعي ..

.. وهذه الباقة من الأزهار البيضاء] .

كان شكري فيصل إنسانا رقيق الشعور مرهف الاحساس يحب الناس ويسعى إلى مصادقتهم ، ولا يدخر وسعاً في تمتين أواصر المودة والصداقة معهم ، **عظيم الوفاء لاصدقائه يشاطرهم أحزانهم ويسرع إلى تهنئتهم في أفراحهم** بنفسه ، إن كان قريباً ، وإن كان بعيداً عنهم فبالرسائل أو بالبرقيات .

كتب إليّ ، وكان على بعد آلاف الأميال ، يعزيني بفقد الوالدة قائلا :

[.. وبعدُ فقد عرفتُ من رسائل بعض الأصدقاء ما كان من أمر الله سبحانه وإرادته ، **إذ استأثر إلى جواره الكريم بالسيدة ، والدة السادة .... وزوج السيد الكبير المرحوم وبقية الصالحات القانتات العابدات من هذه الأسر الشامية الكريمة التي تتواصى بالصلاح وتتوارث المحافظة وتُشيع في جوّ دمشق أرج الخير ..** وتنسل فيمن تنسل اولئك الذين يختارهم الله من هذه البطون والأصلاب ليكونوا في مقدمة الركب دفاعا عن هذه الشريعة السمحة وحفاظاً على هذه العربية المقدسة واستمراراً نابضاً بالحياة والجهد لسنن السلف الطاهر .

ومامن شك في عمق الخسارة وقسوة الأسى .. **ومن ذا الذي يملك ألا يجزع للموت وألا يأسى للفقد ؟** .. من الذي يملك الصبر عليه وحبس الدموع دونه ... ولكنّ الله سبحانه إنما ضمن لكم خير العزاء حين ضمن لها الجنة بما أضفى عليها من اشراق الصلاح وسكب في قلبها من نور الإيمان ، وضمن لنا مثل هذا العزاء حين جعل منها هذه الذرية الصالحة التي نسأل الله سبحانه أن يجعل منها كلهاسيرة متجددة لهذه السيرة العطرة وتخليداً .

وسيظل الموت سؤال الإنسانية الخالد يلوب على شفاهها مرّ المذاق ويطيف بأعماقها شديد اللذع وينغّص عليها ماتظن أنها تصطفي من الطيبات ... **ولكن الإسلام حين اعتقد بالحياة الآخرة ودعا إليها ورأى في الحياة الدنيا معبراً وجعل منها زاداً أحال مرارة المذاق إلى حلاوة** ولذع السؤال إلى طمأنينة الجواب وطيبات هذه الحياة سبيلا إلى طيبات الحياة الأخرى .

ولقد حملت الفقيدة من هذا الزاد إلى حياتها الأخرى أوفر نصيب .. وإن ذلك بعض عزائنا في الذي أصبنا به من فقد .

أقسى مافي الحياة فقد أب وفقد أم .. وقد يكون من أقسى مافي الحياة **أن يحاول الإنسان التصبّر على ذلك أو التعزية فيه** .. وإني لاشاركم دموعكم ... واسأل الله أن يكون لكم بالصبر والسلوان[٣٢]] .

وكتب يعزيني ، عندما بلغته **وفاة محب الدين الخطيب في**

(٣٢) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٦٦ .

مصر ، وهو ابن عمٍ لوالدي ، وكان مما جاء في رسالته :

[.. وبعدُ فقد غالبت شديداً من الألم وعنيفا من الحسرة قبل أن استطيع الجلوس إليك لابعث بهذه الكلمات ..

لقد سمعت ماكان من وفاة **العالم العامل المجاهد الأستاذ محب الدين الخطيب** رحمه الله وأجزل له رحمته وضاعف حسناته .

كان نبأ ضخماً .. **ولكن العالم الإسلامي لا يذكر اولئك الذين حملوا قضاياه إلى كل بيت ونافحوا عنه في كل موضوع وكانوا لسانه يوم لم يكن له لسان** ومن الذي يذكر هذه الصورة الرائعة للمسلم العربي المؤمن الصابر المرابط الذي لم تزدهه الدنيا **وقد اقبلت على الكثيرين ممن هم دونه وظلّ يقنعه أن يلقاك بالرأي وأن يلقى الآخرين بالعون وأن يحترق في طريق الآخرين دفقة نور واشعاع إيمان**[٣٣] ..]

وكتب إلي ، وقد بلغه أني عدت من **أداء فريضة الحجّ** يقول :

[.. وبعدُ فأحبّ قبل كل شيء أن أقدم لك أخلص التهنئة بحجك الذي أدَّيت ، جعله الله حجّاً مبروراً ، وكتب لك المغفرة كاملة ماتقدم من ذنب وماتأخر ، وشكر لك سعيك وتقبل منك دعاءك : **ماكان منه لنفسك وماكان منه لإخوانك وماكان منه للمسلمين جميعاً ...** وقدّر لنا أن نلتقي معاً في هذا العام في حجّ مشترك .. فلم يعد أحبّ إلي من **أن استطيع هذه الفريضة كلّ عام**[٣٤]] .

وفي بطاقة من الجزائر كتب تحية يقول فيها :

(٣٣) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٣٩٠ .

(٣٤) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٣٨٩ .

[ابعث اليك بهذه الكلمات وأنا على أهبة ان انجز أعمالي هنا .. أو لنقل على أهبة أن أقطعها فإن عملا ما لا يمكن ان ينجز هنا في وقت قصير أمام (روتين) ثقيل حاد .

ولقد سافرتُ قبل أن أراك .. ولعلّ ذلك **يعود إلى تأخرك في الزبداني أو لغزارة المشاغل من حولي أو لهما معاً .**

أفيد من هذه المناسبة الكريمة بداية رمضان المبارك ١٣٩١ لأبعث لك وللأسرة وللإخوان من حولك خالص التهنئة راجيا من الله **أن يفيد منه المسلمون وحدة كلمة والتقاء هدف وتراصّ بنيان وشراكة روحية عميقة ...**

أترقب في لهفة وشوق أن اتجاوز هذه الأيام **وأن أصل دمشق بسلامة الله** ، ضارعا إليه أن يجعل من مقامي خيراً وبركة وتوفيقاً .. **فقد اشتد عليّ وعلى الأهل أمر السفر ، والله الموفق**[٣٥]] .

وكتب إليّ بمناسبة ذكرى المولد النبوي يقول :

[.. وأحب كذلك بعد أن أفيد من ذكرى عيد المولد النبوي الكريم لأقدم لك وللإخوان من حولك التهنئة طيبة بهذه الذكرى العطرة .. **إنها من اروع ذكرياتنا** .. ولكنّ الذي يحسّه المرء خلال هذه الأحايين أن الذكريات لاتترك آثارها فينا .. كانت تشبّ عندنا انفعالاتنا وعواطفنا في مثل هذه الاحتفالات .. كنّا أفرادا وجماعات **نجد في مثل هذه الأيام أروع صور التجديد الداخلي النفسي الفردي والاجتماعي** .. كانت مناسبات لنستصلح كلّ مافات ونثير كلّ الذي

(٣٥) من بطاقة صادرة عن الجزائر في رمضان ١٣٩١ .

ركد وتجدّد كل ماقد يكون عفا .. **ولكن الذكريات في هذه الأيام شيء آخر .. عطل باهتة .. أبرز مافيها أن ينص على أنها عطل مأجورة ومراسم تبعث في النفس إلا معانيّ الرتابة والتقليد .**

ألم يكن في الوسع أن تكون مثل هذه المواقف الرائعة من جذورنا التاريخية مثاراً لكثير من الفكر والرأي ومجالاً للالتقاء والتسامح ومناسبة يُسْقط فيها الإنسان الأوراق الذابلة الصفراء والأغصان اليابسة الخشنة من جذع الحياة التي يلبسها .

ومهما يكن من شيء فقد أحسستُ للاحتفال هنا بعضاً من معنى ماكنتُ أقدره .. **الجزائر وجه صلد لايُعبّر .. لا يضحك ونادراً ما يبتسم ..** لايتحدث ونادراً مايكون له هذا الصوت .. **ولكن الجزائر ـ المولد كانت شيئاً آخر .. وما أحسب أني أحسستُ البهجة في يوم عند الناس كما أحسستها هذا اليوم ..** يبدو أن ذلك يحمل شيئاً من آثار الماضي .. يوم كان عيد المولد النبوي في أذهان الجماعة المسلمة هنا مظهر عناية هي ردّ على أعياد **كانت نوعا من المقاومة وصورة من صور التشبّث والإعلان عن الوجود المتميّز ..** ومابدا لي من حفاوة هذا العام إنما هو أثر من تلك الآثار[٣٦] ..] .

وكان رحمه الله اذا ماتأخرت رسائله أسرع إلى الاعتذار ، تأخر مرة فإذا به يكتب رسالة يقول فيها :

(٣٦) من رسالة صادرة عن الجزائر في ١٨ / ٣ / ١٣٨٩ .

[.. وبعدُ فأنا أحسّ كذلك الحاجة إلى **أن أعتذر لك عن تأخري في الكتابة** .. والحق أني لم أجد فرص التفرغ في هذه الرحلة على نحو ماكنتُ أجد في الرحلات السابقة .. كان هنالك أمران أحدهما أن معي بعض الأولاد والأخرى **أني أجدني مدفوعاً إلى أن استمع إلى كثير وأن أتابع الكثير** : صحفا ومجلات ومحاضرات وندوات و .. مما كان لابد لي منه **كي استطيع أن اتعرف إلى هذا العالم الفسيح الغريب**[٣٧]] .

إن في هذا كله لأكبر دليل على ماحبا الله شكري فيصل من خلق عظيم ووفاء نادر في علاقاته الاجتماعية ، **وإذا كان من أخلاق العلماء الاقرار بفضل من سبقهم في العلم ، أو أفادوا منه سماعاً أو قراءة ، أو نقلوا عنه جملة أو حرفا** ، فإن شكري فيصل سجّل في مقدمات كتبه وفي هوامشها فضل كل من سبقه أو أخذ عنه أو نقل منه أو أعانه في عمله أو يسره عليه ، وزاد على كل هذا أن سجل شكره لعمال المطبعة الذين أخرجوا كتابه للناس فأحسنوا الاخراج ، **مما يدل أعظم دلالة على ما يتحلى به من خلق انساني رفيع .**

انظروا إليه وهو يقول :

[... وإذا كان وراء إخراج هذا العمل على هذا النحو في هذه الأشهر القليلة من ناسٍ **أفنوْا بياض نهارهم في سواد الحرف المشكول ودقته فاستحقوا الشكر فأولئك هم رجال المطبعة** : إدارتها وعمالها ... وإن لهم من الله على عملهم ثواب ماجهدوا وجزاء ماانتوَوْا[٣٨]] .

---

(٣٧) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ٢ / ٦ / ١٩٦٩ .

(٣٨) انظر ص ٢٠ من كتاب « ابو العتاهية » دمشق ١٩٦٥ .

- ٩ -

مشـــروع وثيـقة

حـقـوق الإنســـان في الإســلام

أسعدني الحظ أن اشتركت مع الفقيد الكبير **في لجنة عُهد إليها وضع مشروع وثيقة لحقوق الإنسان في الإسلام**(٣٩) ، فكان اسهامه كبيراً في أعمالها وخير عامل على أن يخرج مشروع اللجنة السورية كاملا ينال التقدير والثناء ممن اطلعوا عليه من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي ، والمشروع مهيئ للعرض على مؤتمر القمة الإسلامي .

كانت روح الفقيد متجلية في مقدمة المشروع وقد جاء فيها :

[... وانطلاقاً من عقيدة التوحيد الخالص التي قام عليها بناء الإسلام والتي دعت البشر كافة ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً ، ولا يتخذ بعضهم بعضاً « **أرباباً** » من دون الله ، مما أدى **إلى انتفاء عبودية الإنسان للإنسان وتعزيز حرية البشر وضمان كرامتهم .**

وتأكيداً للدور الحضاري للأمة الإسلامية وتجديداً لتاريخها وتعزيزاً لكونها أمة وسطاً تدعو إلى عالم متوازن يصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة والعلم بالإيمان ..] .

احتوى المشروع على **مائة وخمس وعشرين مادة** ، ونحن للتاريخ نسجل فيما يلي المواد الأربعة الأولى الواردة تحت عنوان :

(٣٩) كانت اللجنة مؤلفة من : د . عدنان الخطيب ود . شكري فيصل والأستاذ وهبي الزحيلي والسفير رفيق الجويجاتي والمقرر السيد إسماعيل ماجد الحزاوي .

« **الحقوق الأساسية**[٤٠] » :

المادة الأولى :

أ ـ البشر في كل أقطارهم أسرة واحدة ، مخلوقون من نفس واحدة ، **متساوون في الكرامة الإنسانية** وفي أصل التكليف والمسؤولية ، وأكرمهم عند الله أتقاهم وأنفعهم لعباده .

ب ـ **لاتمييز بين الناس** بسبب اختلاف العرق أو اللغة أو الديار أو الجنس أو العقيدة أو الانتماء السياسي أو الوضع الاجتماعي .

المادة الثانية :

أ ـ يولد الإنسان حرّاً . **ولاعبودية لغير الله تعالى** ، وليس لمخلوق أن يستعبده أو يذله أو يستغله .

ب ـ حرية الرأي والتعبير عنه بالوسائل المشروعة مصونة ، **ولكل إنسان ممارستها في حدود مبادئ الشريعة والأخلاق .**

المادة الثالثة :

أ ـ **حق الحياة مكفول بالشريعة لكل إنسان** ، وعلى الأفراد والمجتمعات والدولة حماية هذا الحق من كل اعتداء .

ب ـ **يحرم اللجوء إلى أية وسيلة تفضي لافناء النوع البشري كلياً أو جزئياً .**

جـ ـ استمرار الحياة البشرية أحد أصول الإسلام لايجوز تعطيله بمناهضة الزواج ولا الانتقاص منه بمنع الانجاب ، ولاإباحة الإجهاض لغير

---

(٤٠) نشرت نص المشروع كاملا مجلة الاحياء التي تصدرها رابطة علماء المغرب في عدد نيسان ١٩٨٣ .

ضرورة شرعية .

د ـ لكل إنسان الحق في **أن يعيش آمنا على نفسه وأهله وسمعته الاجتماعية وماله** متحرراً من كل أنواع الخوف .

المادة الرابعة :

أ ـ التدين حق لكل إنسان ، **ولا إكراه في الدين** ، فلا يجوز حرمانه منه ، ولا ممارسة أي ضغط عليه للتخلي عنه .

ب ـ يتعين على المسلم ـ وقد اهتدى إلى الإسلام بالإيمان بوجود الله والاعتراف بوحدانيته ـ **الثبات عليه**] .

ـ ١٠ ـ

الصبر على المكاره والجحود

كان شكري فيصل ، على مايعرفه الناس منه ، **رضيَّ الخلُق جمَّ التهذيب** ، بيد أنه ، على مايعرفه ألصق الناس به ، **يجمع من المتناقضات بعضها** ، كان هادئا كصفحة المحيط ، إذا سكن الريح فلا موج ولا ضجيج ، وكان ثائراً كجوف المحيط تتصارع في أعماقه مختلف التيارات إلى أن تفنى ، **كان قويَّ الحجة ليّنَ الشكيمة ، شديداً في الحقّ ضعيفا في اللّدد** . كان كثير الصبر على المكاره ، **قادراً على اخفاء ثورته بابتسامة هي أقرب ماتكون إلى التهكم والسخرية منها إلى أي شيء آخر** ، إن ثار يوما لحقٍّ له قد اغتيل دفن ثورته في أعماق نفسه ، لا يكشف لأحد عنها اللهم إلا لصديق كتوم .

لاقى من حسد بعض زملائه وجحود بعض تلامذته الأفانين ، لقد غمطوا من حقه الشيء الكثير ، وفضلوا عليه بعض من هم دونه فكرا ومكانة أدبية ، **حتى أدى الأمر به إلى الهجرة والبعد عن البلد الذي أحبّ** .

وكأني **بشاعر العربية الكبير بدوي الجبل** عندما رثى صديقاً له من عظماء رجال السياسة السوريين وحكى قصته مع حسّاده وشانئيه فقال :

شُغِلَ الناسُ بالعظيمِ وأَرضَوْا نزواتِ النُفوسِ هَدْماً ونقدا
حَسدُوهُ على المَزايا فكان الـ ـمَوْتُ بينَ الأهواءِ والحقِّ حَدّا

كأني به يرثي شكري فيصل وكلَّ عبقريّ وعظيم ، من بني البشر لأن آفة المعاصرة **الحسد** ، وقد جُبلَ الناسُ عليه مذ خلقوا إلا من رحم ربُّك واصطفاه مع الأخيار ... كتب إليّ رسالة تفيض بالألم والأسى ، **وتصور مايعتلج في صدره مما يلقاه من ضروب الحسد والجحود** ، كتبها مدونا فيها صدى اذاعة نبأ فوزه بجائزة دولية مرصودة لأفضل عمل أدبي ، وما صنعه أصدقاؤه وتلامذته ، حيث كان ، من مظاهر التكريم والتقدير ؛ وأردف يقول :

[... وأما عندك ـ **يعني في الشام** ـ فقد سمعتُ من قال لي عقب إذاعة النبأ : **هل هنالك اسم آخر بهذا الاسم في لبنان .. إي واللهِ ..]** والقسم قسمُه وأعقب القسم يقول : [**..ولكنها الجبلّة التي لاتنازع**[41] ..] .

---

(٤١) من رسالة صادرة عن فاس مؤرخة في ١٤ / ١٢ / ١٩٦٤ .

كما كان شكري فيصل **كثير التفكير قبل الاقدام على عمل ما** ، فإذا أقدم كان ثابت الخطا شجاعا يقابل المكاره التي تحيط به بالصبر عليها والتجلد لها ، كتب إليّ - وكان على سفر - بعد أن قرّ رأيه على نهج معين يسلكه ، يقول :

[.. ليكن .. **لقد أبحرنا كما يقول ديكارت .. ولاسبيل إلى التراجع ..** ويجب أن نخوض التجربة في أطول أبعادها ... وأرجو أن تكون مستمرة ...(٤٢)] .

وعندما كان شكري فيصل معاراً للتدريس في جامعة فاس ، استطاع بصداقاته المتينة السُّرى إلى الخزانة الملكية في الرِّباط ، منقباً في كنوزها من كتب التراث ، باحثا عما فيها من نوادر المخطوطات ، **وحمل إلى دمشق بعض المصورات عنها** ، وأهدى المجمع واحداً منها ، فتلقفه زميل مجمعيّ فإذا به يكتب **أنه كان قد تعب في البحث عن الكتاب من زمن قديم ومازال يبحث عنه إلى أن حمله إليه الدكتور شكري فيصل مؤخراً** ، وغضب شكري لهذا الذي كُتب ، وثار ولكن ثورته انطفأت في رسالة كتبها إليّ وجاء فيها :

[... وأزعجني ذلك كل الازعاج ... **لأن الرجل جعلني بمثابة حمّال للمصورات** ، وهو يعرف أن سبعة أجداد من أجداده وسبعة أحفاد من أحفاده لايستطيعون الظفر بالكتاب من الرباط .. وكنتُ أنا الذي فتحتُ هذا الباب .. وأنا الذي اخترت .. وأنا الذي **أنفقتُ في ذلك كل ماينفق من جهد ووقت و ...** مما لاحاجة أن أذكره(٤٣) ..] .

---

(٤٢) من رسالة صادرة عن الجزائر مؤرخة في ٢٦ / ١٢ / ١٩٦٨ .

(٤٣) من رسالة صادرة عن المغرب مؤرخة في ٢٥ / ٣ / ١٩٦٦ .

لقد كان الأذى الذي نال الفقيد من حسّاده والمكابرين على انكار فضله إلى جانب الجحود الذي لقيه من بعض زملائه وتلامذته كبيراً ، حتى أنه أحيل على التقاعد (المعاش) بمجرد بلوغه الستين من عمره ، **خلافا للتقاليد الجامعية التي يعامل بها الأساتذة وللقانون الذي كان وشيك الصدور وفيه مدّ لخدماتهم حتى الخامسة والستين ،** كل ذلك دفعه إلى الهجرة والبعد عن دمشق بقبول ماعرضته عليه الجامعة الإسلامية من الاشراف على طلبة الدراسات العليا فيها ، فانتقل إلى المدينة المنورة ، حيث كان مقدراً له أن يدفن في ثراها إلى جوار شهداء الإسلام وأبطاله ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

ومن عجب أن يتصدى أستاذ كبير من أفاضل أصدقاء الفقيد وزملائه وهو يرثيه في « **الأهرام** » إلى سبب هجرة الفقيد إلى حيث وافاه الأجل فيقول : [.. أم أبكي فيه **الصديق الوفي لمصر** ، لقد قضى سنوات دراسته الجامعية هنا إلى أن حصل على الدكتوراه ... ولم تنقطع زياراته لمصر ، إلى أن **كانت الوحدة بين مصر وسورية ، فصار أحد النواب في مجلس الأمة** ، فانتظمت الزيارات وطال البقاء في القاهرة ، **وقد أصيب ببعض الأذى بعد الانفصال ، ولكنه لم يتخل عن ميوله المصرية** فقد صارت طبيعة فيه ، وصار أقرب مايكون إلى طباع المصريين حتى كان ذلك مادة تندر وفكاهة بينه وبين أصدقائه في القطرين ...

.ولكن « **لعنة السياسة** » أصابت منه مقتلا ، فقد عزّ عليها أن يفلت ذلك العلم الشامخ من مخالبها . فإذا كان اشتغاله بالسياسة في أثناء الوحدة عارضاً ، فإن ماأصابه من أذى الانفصال .. **كان كبيراً وقد**

استمر حتى زهقت نفسه الكريمة فلم يتحمل قلبه ـ **الذي اتسع للعالم العربي كله** ـ ماوقع ، واضطر إلى الهجرة إلى المملكة السعودية ، حيث عمل بالجامعة الإسلامية في المدينة . وعندما اشتد به المرض بحث عن العلاج في ألمانيا ثم في سويسرا حيث حمّ القضاء(٤٤) ..] .

إن من يقرأ هذه الفقرات من رثاء الأستاذ المصري الكبير يستشف رأي مدبّجها ولعل كثيرين من أصدقائنا وإخوتنا في مصر يشاركونه رأيه معتقدين بأن اغتراب فقيدنا الدكتور شكري فيصل عن وطنه **كان بسبب ميوله المصرية وآرائه الوحدوية** ، وهذا رأي بعيد عن الصواب ، **فالعرب السوريون كلهم وحدويون وكلهم يحبّ مصر والمصريين ، ولم يكن حبّ مصر والمصريين سبّة في سورية العربية في يوم من الأيام** ، وما كانت ميول شكري فيصل الوحدوية إلا مدعاة للإشادة به ، **وعنصراً من عناصر احترامه لدى مختلف طبقات الشعب العربي في سورية .**



(٤٤) من مقال نشر في الأهرام بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٨٥ تحت عنوان « الفقيد الذي رحل في صمت » بقلم الدكتور حسين نصار العميد السابق لدار العلوم .

- ١١ -

شجون الاغتراب والحنين إلى دمشق

كانت حياة شكري فيصل **سَفَراً متواصلاً وراء العلم والمعرفة تلقياً أو عطاءً** ، فكان لايقيم في مكان واحد شهراً واحداً موصولاً ، كان في أول الأمر يحب السفر ويسعى إليه ، **ولما تقدمت به السن بدأ يتململ منه ولكن لم يحدث قط أن رفضه أو تأخر عنه** ، وهكذا مضت حياته في رحلات متواصلة ، وكثيرا ماحدث أن وافق مابين رحلة وموعد رحلة قادمة على رحلة جديدة .

كان شكري فيصل **لايُرى إلا في صعود أو هبوط في حزمٍ أو حَلّ ، في حِلّ أو ترحال** ، إن أقام في دمشق أسبوعاً فلا بدّ أن تراه يصعد سيارة متجهة نحو بيروت أو يهبط من سيارة كانت في عمان ، أو أقام في فاس فلا بدّ أن تراه يوماً متجهاً نحو مراكش أو قادماً من تطوان .. وإن أقام في الجزائر فلا بدّ أن تراه يوماً قاصداً عنّابة أو قادماً من المعسكر .. وإن أقام في القاهرة فلا بدّ أن تراه يوماً قادماً من الإسكندرية أو عائداً من أسيوط .

جاء في رسالة بعث بها إليّ من فاس ، وكان معاراً للتدريس في كلية آدابها ، قوله :

[.. تمضي حياتي هنا على النحو الذي تقدر .. عمل متصل في التدريس والاعداد .. **وتجاوز للساعات الأصلية إلى الساعات الإضافية** بنوع من الإكراه الأدبي ، ثم تجاوز مدينة فاس إلى مدينة مراكش وسفر ١٢٠٠ كم مرة كل خمسة عشر يوماً .

وقد ارتضيت ذلك بغية التعرف إلى خزانة مراكش .. فلعلّ في ذلك بعض مايُفيد[٤٥] ..] .

وكتب إليّ على ورق صغير الحجم من تونس ـ وكان في طريقه من الجزائر إلى المدينة المنورة ـ يقول :

[.. لاأحب كثيراً الكتابة على الورق الصغير ، **لأني أحسُّ أنه يحدّني** ولكن أجدني مضطراً إلى ذلك ، لأني لم أجد الآن غيره .

أكتب اليكم من تونس بعد عودتي من الجزائر ومشاركتي في الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي وموضوعه **السنة الشريفة .**

وكنت أتمنى أن أكتب لكم من قبل ، من تونس ، حيث أمضيت نحواً من عشرة أيام متعاونا مع الأليكسو .. **بعيداً عن الأهل والراحة .. ولم أكن أقدر أن السفر في رمضان له كل هذه المتاعب** ... ولكنها تجربة .. ولولا ذلك لما انجزت ـ تقريباً ـ ما كنت بسبيله .

أمضيت ليلة العيد وصباحه في الطريق إلى الجزائر وصمت ثلاثين يوماً لأني تابعت صيام الإخوة التونسيين هنا[٤٦]] .

وكتب إليّ من بلنسية في إسبانيا رسالة يصف فيها رحلته إليها مدعواً للمشاركة في ندوة حول **ابن عربي** جاء فيها[٤٧] :

[..هذه تحية متدفقة حلوة من بلنسية .. **إني أحيا في زياراتي**

(٤٥) من رسالة مؤرخة في ٢١ / ٣ / ١٩٦٦ .

(٤٦) من رسالة صادرة عن تونس بتاريخ ٣ / ٨ / ١٩٨٢ .

(٤٧) من بطاقة صادرة عن بلنسية بتاريخ ٢١ / ١٢ / ١٩٦٥ .

للأندلس في الماضي بأكثر مما أحيا في الحاضر وتغشاني من ذلك أزمات لاأقوى عليها .. ومع ذلك تجدني انتهز الفرص لذلك ماوسعتني الفرص .

لقد شاركت هنا في مؤتمر الندوات العربية ـ الإسبانية التي يقيمها المعهد المصري والسلطات الجامعية .. وموضوع الندوة حول **ابن عربي .. وحديثي عن واحد من أروع كتبه التي لم نعرفها حق المعرفة** وقد طبع مؤخراً في دمشق طبعه طائفة من إخوانك الذين تعرف(٤٨) .

ماأملك أن أحدثك عن **شوقي إلى دمشق** .. إني كأنما أعيش ـ في هذه الأيام هنا ـ بين رَحَوَيْن : **رحا ذكريات دمشق ورحى ذكريات ابناء دمشق في الأندلس .. وكلها طاحن عنيف**] .

وقد ألقى في الندوة بحثاً عن رسالة « **روح القدس في محاسبة النفس** » وكان بحثه من أمتع بحوث الندوة نشرته مجلة الدراسات الإسلامية في مدريد واستلت منها فصائل مستقلة .

وكتب رسالة من مهجره ـ من المدينة المنورة ـ وكان قد ضاق ذرعا بالتنقل والسفر ـ يقول فيها :

[.. والحق إن الفرق كبير جدا بين **أن تسافر مدعوا إلى مؤتمر أو مشاركا في لجنة ، وبين أن تسافر مهاجراً** إنك عند الهجرة مضطر أن تستدرك كل شيء بنفسك .. وماأكثر الأشياء .. ثم ماأضيق الوقت ..

(٤٨) الكتاب هو « رسالة روح القدس في محاسبة النفس » من تأليف محيي الدين بن عربي . طبعه عزة حصرية في مطبعة العلم بدمشق سنة ١٩٨٤ عن طبعة على الحجر القاهرية ١٢٨٠ .

ففي شرقنا العربي لاتكاد تجد للوقت قيمةً .. فإذا أضفت إلى ذلك ازدحام الناس وكثرتهم التي تملأ الشوارع والطرقات والمساجد .. وإذا اضفت الحرّ وهو لايكاد يعرف الاعتدال حتى يعود إلى شدته ، إذا اضفت هذا وذاك استبان لك مدى مايعاني الإنسان هنا ... **ودَعْ عنك التفكير في دمشق** ودَعْ عنك محاولة المواءمة مع هنا .. **ثم دَعْ عنك أنك تقتلع نفسك من جذور امتدت مايزيد على ستين عاما ثم هاأنت تحاول أن تزرعها من جديد في أرض جديدة .**

....

تمنيت لو كان لي مثل صلابتك ... إذن لبقيت في دمشق ، وما أحسب أن من الخير أن نتهافت هذا التهافت على السفر ... ولعلّها نزوات ثم تهدأ ... وظروف نسأل الله أن تنفرج عن خير شامل[٤٩] ..] .

والرسالة بعد هذا طويلة طويلة ، كلها في شجون الاغتراب وكأنها نفثة مصدور ختمها بالمقطعين التاليين :

[.. وكذلك يدرك الإنسان **قيمة الحياة في دمشق** .. غير أن أمراً ما لايصفو صفاء مطلقاً ولكل شيء ثمنه .. والحصول على الأشياء كلها يبدو وكأنه أصعب المعادلات وأعقدها ... **ومع ذلك فالإنسان يجري وراء المعادلة الصعبة وهو يعرف أنه لايملك من الأمر شيئاً ...**

صحتي تزداد وَهْناً .. وأسأل الله العافية .. وقد قرأت هذين اليومين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه من ذلك ...

(٤٩) رسالة من المدينة المنورة مؤرخة في ٤ / ١ / ١٤٠٢ .

فامنحنا اللهم العافية وتمام العافية ودوام العافية والشكر على العافية ..] .

وجاء في رسالة من رسائله المتأخرة ، وكان قد برم بالاغتراب وتاقت نفسه إلى دمشق قوله :

[.. **وقد دعيت لعمادة كلية الآداب في بلد خليجي .. ولكني آثرت جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم** ثم إني شعرت بارتباط أدبي بالنسبة للطلاب الذين أُشرف عليهم .. لأن تغيير المشرف كارثة في الأصل وقد يكون هنا في مصلحة الطلاب فمن يدري ؟

على كل حال تجاوزت بفضل من الله **كل الإغراءات التي رافقت هذه الدعوة والتي ترافق هذا العمل ..** ولاأحسبني قادراً على أن استمر طويلاً في العمل **فأنا أصبحت أُوثر البيت في دمشق على كل ما تعرف من مشاكل دمشق أو مشاغلها**(٥٠) ..] .



(٥٠) من رسالة صادرة عن المدينة المنورة في ١٤ / ١١ / ١٤٠٤ .

- ١٢ -

ضرورة

جمــع آثــار الـفـقـيــد ونـشــر المخـطــوط مـنـهــا

لقد أغنى الفقيد المكتبة العربية **بآثـار جدّ قيمـة ، منهـا المؤلف ومنها المحقّق** ، وقد سبق أن أشرنـا إليهـا اضـافـة إلى مـا كان ينشره من بحوث ومقالات في مختلف الصحف والمجلات ، الأدبية منهـا والمتخصصـة ، وهي أجلّ من أن تُحصى في مثل هـذه الترجمـة الموجزة . ولابـدّ لـلإفـادة منهـا من جهود جبـارة تبـذل لجمعهـا وتصنيفهـا وإعـادة نشرهـا في كتب تحفظها من الضياع ، وكل مانرجوه **أن تنهض لهذا العمل مجموعـة من تلامذة الفقيد أو من مقدري فضله فيؤدون خدمة جليلة للعلم والأدب .**

نحن لانستطيع أن نعـدّد الكتب التي يمكن جمعهـا من التراث العظيم الذي تركـه شكري فيصل مبثوثـا في مختلف المجلات الأدبيـة وفي ملفـات المؤتمرات أو الندوات التي كان يتحدث فيها ؛ على أننـا نستطيع التـأكيـد **بـأن مــاكتبــه الفقيــد في النقــد الأدبي ، والبحـوث التي كُلّف باعدادها أو ألقاها في المؤتمرات أو الندوات** ، وبخاصة مايتصل منها بتعريب التعليم والتحـدي اللغوي أو بموضوع البيـان النبـوي أو الصحـوة الإسلاميـة ، اضـافـة إلى المحـاضرات أو الـدروس التي سبـق أن ألقـاهـا في مختلف جامعات الوطن العربي ولم يسبق نشرها ، وهي كثيرة جـداً ، إلى جـانب مـا كتبــه أخيراً في الأدب السعـودي المعــاصر ، **كل هــذا يشكل مجلدات ضخمة إذا قدّر له أن يجمع وينشر** ، وسيكون ثروة عظيمـة للمكتبة العربية لايقدّر بثمن .

هـذا ولاشـك عنـدي في أن **الفقيـد قـد ترك بحـوثـا كتبهـا أو نصوصـاً حققهـا أو شرحهـا** ، وقـد وافـاه الأجل ، قبل أن تتـاح لـه فرصة نشرها ، أو قبل أن ينتهي من إعدادها للنشر ، مما يلقي على عاتق ابنائه **واجب اظهارهـا والسعي لنشرهـا** وفـاءً لـه **واحيـاء لـذكراه العطرة وتخليداً لمآثره القيمة .**

لقد سبق لنا اعداد قائمة بما نشره الفقيد في مجلـة مجمع اللغـة العربيـة بدمشق من بحوث اسهاماً منا في تسهيل جمع آثاره ، ونضيف إليها فيما يلي قائمة بما كان **قد نشره في مجلة « المعرفة »** التي تصدرها وزارة الثقـافـة والإرشاد القومي في سورية :

العدد	التاريخ	الصفحة	عنوان البحث
١٣٦	حزيران ١٩٧٣	٧١	نحو معرفة جديدة للنقد : نافذة على النقد الجاهلي العربي
١٣٧	تموز ١٩٧٣	٤٨	قراءة جديدة لمعلقة النابغة
١٣٩	أيلول ١٩٧٣	٢٤	الاستشراق المعاصر : من الأزمة إلى تجاوزها
١٤٢	كانون الأول ١٩٧٣	١٧	الواقع والرؤية في الواقع العربي
١٥٦	شباط ١٩٧٥	٥٧	نحو حضارة عربية جديدة
١٥٧	آذار ١٩٧٥	٣٨	عوائق في طريق التعريب
١٥٨	نيسان ١٩٧٥	٧	طه حسين
١٦٤	تشرين الأول ١٩٧٥	٣١	ثقافتنا العربية بين تشرين الذي كان وتشرين الذي يكون
١٦٦	كانون الأول ١٩٧٥	١١٢	دوحة الأدب : وجه من وجوه الحركة النسائية
١٦٨	شباط ١٩٧٦	٣٢	المصطلح العلمي في حاضر اللغة العربية
١٧١	أيار ١٩٧٦	١٩٢	لماذا .. لماذا .. لماذا .. ؟
١٨٠	شباط ١٩٧٧	١٨٣	أصوات وتأملات ورؤى
١٨٣	أيار ١٩٧٧	٤	التطور الاجتماعي والتطور اللغوي
١٨٥	تموز ١٩٧٧	١٧٧	العرب المعاصرون والتاريخ العربي

العدد	التاريخ	الصفحة	عنوان البحث
١٨٩	تشرين الثاني ١٩٧٧	٥٤	**مشكلة اللغة العربية في الأدب المعاصر**
١٩٥	أيار ١٩٧٨	١١٧	**خير الدين الزركلي بين الشعر والنثر**
٢١٦	شباط ١٩٨٠	٥	**أزمة الفكر القومي والنظرية القومية**
٢١٨	نيسان ١٩٨٠	٥	**شفيق جبري صفحة لم تطو**

ومن أهم الآثار التي تركها شكري فيصل في النقد الأدبي ، **تلك الدراسات التي كتبها لتتصدر بعض الكتب بقصد التعريف بها أو تقديمها للقراء ، ومن روائعها دراسته للنقد الأدبي عند طه حسين** وذلك من خلال « المقدمات » التي أملاها لتتصدر طائفة من الكتب الأدبية المعاصرة المؤلَّف منها أو المترجم ، وبعض كتب التراث المحققة .

لقد أوفى شكري فيصل أستاذه طه حسين حقه من الثناء والإشادة بالطابع العظيم الذي اضفاه على تاريخ الأدب العربي ، مقرراً : « **أن هذه المقدمات تؤلف جزءاً من تراث الأستاذ العميد ، وأنها تؤلف مصدراً من مصادر دراسته والتعرف إليه واستكناه خصائص أسلوبه .. »** .

كما أوفى شكري فيصل حق النقد عليه في تلك الدراسة ، فقد غاص وراء الدوافع الذاتية عند طه حسين في جميع ماكتبه من « مقدمات » **وحلل اتجاهاته الفكرية مبيناً السليم منها والمشبوه ، مشيراً إلى مارجع فيه إلى الحق وما ظل مكابراً عليه .**

كان ذلك كله في المقدمة الضافية التي تصدرت كتاب : « **كتب ومؤلفون** » الذي اخرجته دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٨٠ وجمعت فيه ما كتبه طه حسين من « مقدمات » .

وما أحرى بالذين يغارون على آثار شكري فيصل من الضياع ، أن يجمعوا **المقدمات** التي كان كتبها بين دفتي كتاب ، ولعل من أهمها وأجدرها بالحفظ المقدمات التالية :

١ ـ مقدمته لديوان شاعر الشام شفيق جبري

٢ ـ مقدمته لكتاب طه حسين تقليد وتجديد

٣ ـ مقدمته لتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر

وهناك ـ **على حد علمي** ـ مقدمات كان شكري فيصل كتبها لتتصدر كتباً معينة ولكن حالت دون نشرها ظروف طارئة .

ـ ١٣ ـ

عزاء المؤسسات الثقافية العربية

كان الفقيد عضوا في اتحاد الكتاب العرب ، وقد نعاه بمجرد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، فانهالت عليه وعلى مجمع اللغة العربية بدمشق البرقيات من مختلف أرجاء الوطن العربي التي **كان الفقيد يرتبط معها بأوثق الصلات الثقافية** ، وللتاريخ نسجل هنا نص ثلاث برقيات تلقاها المجمع من تونس لما فيها من تسجيل لجهود الفقيد الثقافية الدالة على المنزلة التي كان يحتلها في مختلف الأقطار العربية .

أ ـ برقية المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

تلقيت بأسى وحزن نبأ وفاة المرحوم الأستاذ الدكتور شكري فيصل **أحد رموز الثقافة العربية ودعائمها** وإني إذ اتقدم باسمي وباسم المنظمة العربية بالتعاون في هذا الفقد القومي إلى سيادتكم وإلى السادة أعضاء المجمع الموقر فإني اسأل الله للفقيد العزيز الرحمة **لقاء ماأدى**

لوطنه ولأمته وثقافتها من خدمات جليلة ولكل أجل كتاب وإنا لله وإنا إليه راجعون .

التوقيع : **د . محيي الدين صابر**

ب - برقية وزير الشؤون الثقافية التونسية

في الوقت الذي كنّا نهيّئ لقدوم العلامة الكبير الأستاذ شكري فيصل عضو مجمعكم الموقر ، **وعضو المجلس العلمي للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات « بيت الحكمة » بتونس** .. وذلك لمشاركتنا الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على انبعاث مجلة « **الفكر** » ... جاءنا نعيّ الصديق العزيز **ليجمّد في افئدتنا حرارة لقاء انتظرناه بفارغ صبر ...** وليعصف بشوق طالما اختلج في أنفسنا ....

وبهذه المناسبة الأليمة اتقدّم إليكم باسمي الخاص وباسم جميع أعضاء أسرة الفكر وأصدقاء الفقيد من المثقفين بتونس بأحرّ التعازي راجياً من الله أن يتغمدّه برحمته الواسعة ويرزقنا وإياكم جميل الصبر والسلوان .

وإنا لله وإنّا إليه راجعون .

التوقيع : **البشير بن سلامة**

جـ - برقية رئيس المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات في تونس « بيت الحكمة »

لقد علمنا ببالغ الأسى والحسرة أن أسرة الأدب في الوطن العربي فقدت أحد أعضائها البارزين الدكتور شكري فيصل **الذي عرفناه باحثا مجتهداً وعالماً نافعاً وصديقاً وفياً** ، وقد استفادت مؤسستنا

الكثير من علم الفقيد ومن كريم نصحه إذ كان عضواً ناشطاً في مجلسها العلمي .

فالباري تعالى نسأل أن يتغمد بواسع رحمته المغفور له الأستاذ الدكتور شكري فيصل وأن يرزق مجمع اللغة العربية وجميع العاملين من أجل ابراز ثقافة أمتنا جميل الصبر والسلوان .

التوقيع : **د . أحمد عبد السلام**

☆ ☆ ☆

هذا وقد دعا **اتحاد الكتاب العرب** إلى حفل تأبيني كبير وإلى ندوة اشترك فيها معه كل من مجمع اللغة العربية وكلية الآداب اقيما بتاريخ ٣٠ من تشرين الأول ١٩٨٥ تحدث خلالها بعض العلماء والأدباء عن أدب الفقيد وعن خدماته الجليلة للثقافة العربية في العصر الحديث ، **وستنشر كلماتهم في كتاب مستقل .**

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وعوض العربية خيراً .



- ١٤ -

مصادر ترجمت للفقيد

١ ـ « من هو » في سورية اصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية ـ جورج فارس دمشق ١٩٤٩

٢ ـ « من هم » في العالم العربي اصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية ـ جورج فارس دمشق ١٩٥٧

٣ ـ « عالمنا العربي » نعمة زيدان ـ بيروت ١٩٥٦

٤ ـ « من الأدب المقارن » نجيب العقيقي ط ٣ ج ٢ القاهرة ١٩٧٦

٥ ـ « الثقافة العربية » محمود موعد ليبيا أيار ١٩٧٥

٦ ـ « الموسوعة الموجزة » حسان الكاتب مج ٤ دمشق ١٩٧٩

٧ ـ « معجم المؤلفين السوريين » عبد القادر عياش ـ دار الفكر دمشق ١٩٨٥

٨ ـ « الملف المجمعي »

٩ ـ « ذكريات عدنان الخطيب ورسائل شكري فيصل إليه »

أنموذج من خط الفقيد وتوقيعه

الحمام الهُدَّى
في تاج العروس

الأستاذ صبحي البصّام

١ ـ رجعتُ الى الجـزء الأول من « تـاج العروس » من طبعة الكويت ، بتحقيق الأستاذ الفاضل عبد الستار أحمد فرّاج ، لأنظر في كلمة ، ثم قرأتُ مقدمة المؤلف ، فوجدته يذكر فيها (١ : ٦) محمد بن قاسم بن عزرة الأزدي ، ويقول فيه : « وكتاب الحمام والهدى له أيضاً »[١] . فأنكرتُ الواو في (والهدى) ، وأنكرتُ إهمال الأستاذ المحقق

---

(١) قال المحقق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج معلقاً : « بهامش المطبوع : قوله (له أيضاً) أي لابن قاسم . وفي كشف الظنون أن كتاب الهدى لأبي عبد الله محمد بن القيّم ، فلعل التحريف وقع في القيّم أو القاسم . وفيه أيضاً ان كتاب اللجام وكتاب الحمام لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ، فليحرّر »[1] .

[(1) لقد نقل الأستاذ عبد الستار أحمد فراج رحمه الله وأفاض عليه سحائب رضوانه الى طبعة التاج الجديدة الصادرة في الكويت التعليق الذي جاء في هامش طبعة التاج الأولى (١ : ٤ ، مصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ) ، دون أن يعقّب عليه بشيء .

والحقُّ أنه لاصلة بين كتاب الحمام الهُدّى لابن قاسم ، وكتاب الهَدْي (بفتح الهاء وسكون الدال) للامام العالم أبي عبد الله محمد بن القيّم . إن صاحب كشف الظنون (٢ : ١٤٧١) إنما ذكر كتاب الهَدْي للامام أبي عبد الله محمد بن قيّم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ) ، وهو يعني بذلك كتابه الشهير : « زاد المعاد في هَدْي خير العباد » ، وصاحب الكشف لم يدع مجالاً للظن أو الشك ، قال (٢ : ٩٤٧) : « زاد المعاد في هَدْي خير العباد ـ مجلدان ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي المتوفّى سنة ٧٥١ هـ ، ويسمى أيضاً بالهَدْي » / المجلة] .

تثقيل الدال . وعدتُ إلى طبعة قديمة لتاج العروس (١ : ٤) فإذا هي أيضاً (والهدى) . وأظن أنه تحريف من الناسخ ، والصواب « الحمام الهُدَّى » بحذف الواو وتثقيل الدال .

والهُدَّى جمع الهادي ، وهي صفة للحمام . ونظير هذا الجمع (الغُزَّى) جمع الغازي ، والعُفَّى جمع العافي .

فمن استعمال (الهُدَّى) ماجاء في كتاب القيان : « فكتبتُ كتاباً وصلته بجناح طائر مع الهُدَّى كان معها ، أرسلته تعلم أم جعفر ذلك » (رسائل الجاحظ ٢ / ١٥٧ ت . عبد السلام هارون) ، وأظن أن (مع) بعد (طائر) تحريف (من)[2] .

ومن استعمال (الغُزَّى) قوله تعالى ﴿ إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزًّى ﴾ [سورة آل عمران / ١٥٦] .

ومن استعمال (العُفَّى) قولُ أعشى همدان[3] (الجليس الصالح ١ : ٤٠٢ ـ ٤٠٤) :

وممـا أُنْعِشُ العفَّى إذا مـا   تراءى وجهُ دهرهم عبوسا

[(2) الذي جاء في رسائل الجاحظ (٢ : ١٥٧ ط القاهرة ١٩٦٥ م) : « وصلته بجناح طائرٍ من الهُدَّى كان معها .... » وعلّق الأستاذ عبد السلام هارون بقوله : « الهُدَّى : جمع هاد ، وهو الحمام المدرب الذي يسمَّى حمام الزاجل . انظر حواشي الحيوان ٢ : ٧٩ والحيوان ٣ : ٢١٣ ، ٢١٧ » / المجلة] .

[(3) القائل أحد فرسان الجاهلية من قبيلة مهرة ، ولم يذكر عوانة بن الحكم الكلبي راوي الحديث اسمه ، وإنما ساق خبره مع جد أعشى همدان ورجل آخر من همدان اسمه أشوع بن أبي مرثد .

والبيت المذكور من قصيدة قالها هذا الفارس الجاهلي يخاطب بها الهمدانيين المذكورين ، وكانا مغوارين فاتكين / المجلة] .

قال مؤلف الجليس الصالح معافى بن زكريا النهرواني في تفسير البيت : « جمع العافي : عُفًّى على وزن فُعَّل ، مثل غازٍ وغُزًّى ، وهادٍ وهُدًّى .... ومثله في الصحيح : راكع ورُكَّع » .

٢ ـ وأيضاً يقال في جمع الهادي : الهُدّاء بالمد . جاء في الحيوان (٢ : ٧٩) : « وزعم أن الحمام الهُدَّاء انما هو في الخصر والنمر » ، وأظن أن (الخصر) بالخاء المعجمة والصاد المهملة تصحيف (الخضر) بالمعجمتين ، أي السود[4] . وكان المحقق الأستاذ الفاضل عبد السلام هارون رآها في الأصول (الهدا) فأحسن إذ جعلها (الهُدّاء) بالهمز ، وقال في حاشية له : « ويظهر أن القصر والمدّ لغتان جائزتان فيها » .

قلت : ونظير الهُدّاء بالمد الغُزّاء جمع غاز . قال الطوسي في تفسير التبيان ، بعد أن ذكر أن غُزّى جمع غاز : « ويجوز غُزّاء بالمدّ ، كخارب وخُرّاب ، وكاتب وكُتّاب » (سورة آل عمران / ١٥٦) .

٣ ـ وأيضاً يقال في الجمع (الحمام الهوادي) ، وممن استعملها الجاحظ في الحيوان (٣ / ١٤٧) ، وذلك كالغوالي جمع الغالي ، والبواقي جمع الباقي .

٤ ـ وأظن أن الهادي صفة لهذا الطائر ، معناها المهديّ ، أي هي فاعل بمعنى مفعول ، لأنه هُدي لطريقه بالتدريب ، وهذا على القلب . قال الفراء في كتابه معاني القرآن (٢ / ٣٠٤) في قوله تعالى : ﴿ أن

[(4) لعل (الخصر) بمعجمة فمهملة غلط مطبعي . فقد جاءت (الخضر) بمعجمتين على الصواب في الحيوان ـ الطبعة الثالثة . وجاء في الحيوان (٣ : ٢٤٥ ط ٣) وهو يتحدث عن ألوان الحمام : « إلا أن الهداية للخضر والنمر ..... وكما أن عقول سودان الناس وحمرانهم دون عقول السمر ، كذلك بيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية » / المجلة] .

يهديني سواء السبيل ﴾ [سورة القصص - ٢٢] : « وقوله أن يهديني سواء السبيل : الطريق الى مدين ، ولم يكن هادياً لطريقها » ، أي مهدياً لطريقها[5] .

٥ - والحمام الهُدَّى ، وأيضاً يقال لها حمام الزاجل ، هي التي تدرَّب على حمل الرسائل من موضع إلى موضع . قال الجاحظ في الحيوان (٢ / ٧٩)[6] : « وهنَّ اللائي يدرّبن ويُرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة » .

قلت : قوله (مرحل) في الموضعين ، بالراء والحاء المهملتين ، أظنها تصحيف (مزجل) بالزاي والجيم ، وهو موضع إرسال الحمام الهُدَّى . قال الليث : « والزجل : ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد » (تهذيب اللغة للأزهري ١٠ / ٦١٦)[7] .

ومن هذه المواضع خشبات . قال فيها الصغاني في التكملة والذيل والصلة : « وهي موضع وراء عبَّادان على بحر فارس ، يُطلق منه الحمام غُدوة فتأتي بغداد العصر . وبينها وبين بغداد أكثر من مئة فرسخ[8] » (مادة - خشب) .

[(5) ذكر اللغويون أن هدى لازم متعد ، وأن هدى اللازم واهتدى بمعنى يقال : هديته فهدى أي اهتدى (انظر اللسان وتاج العروس) / المجلة] .

[(6) لعله سبق قلم من الكاتب . فصاحب النص المذكور هو ابن سيده في كتابه المخصص (٨ : ١٧٠) ، وقد أورد قسماً منه الأستاذ عبد السلام هارون في حاشيته على كتاب الحيوان (٢ : ٧٩) / المجلة] .

[(7) انظر النص الذي نقله الأزهري عن الليث في كتاب العين المطبوع ببغداد (٦ : ٦٧) / المجلة] .

[(8) يقول الجاحظ (الحيوان ٣ : ٢١٤ - ٢١٥) : « وللحمام من حسن الاهتداء ، وجودة الاستدلال ، وثبات الحفظ والذكر ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ماليس =

وأخبرني بعضهم أنه في نحو سنة ١٩٢٨ وقع طائرٌ من الحمام الهُدَّى في دارهم ببغداد وكان بلغ منه الإعياء مبلغه ، فأمسك به فرحاً ليلعب به ، وكان يومئذٍ طفلاً ، فوجد رسالة في رجله أو جناحه ـ والشكّ مني ـ فأخبر أباه[٢] ، فاذا هي من حاجٍّ إلى أهله بالموصل ، يخبرهم فيها أنه بلغ المدينة المنوّرة . فأبقاه أبوه يوماً عندهم ليستريح ، وأطعمه وسقاه ، وأرسله من الغد رجاة أن يصير إلى الموصل .

لندن ١٤ / ١١ / ١٩٨٤ م

= لشيء . وكفاك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير يجيء من برغمة لابل من العليق ، أو من خرشنة ، أو من الصفصاف ، لابل من البفراس ، ومن لؤلؤة » . ويقول (الحيوان ٣ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨) : « ومن كرم الحمام الإلفُ والأنس والنزاعُ والشوق ، وذلك يدل على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصان .... فنجده يُرْسَلُ من موضع فيجيء .... فيرسل إلى أبعد من ذلك فيجيء ، ثم يُصنع به المرار الكثيرة ، ويزاد في الفراسخ ، ثم يكون جزاؤه أن يُغَمَّر به من الرقة إلى لؤلؤة فيجيء » / المجلة] .

(٢) هو القائد العسكري حميد رأفة رحمه الله ، وكان درَّس الملك غازياً رحمه الله في الكلية العسكرية ببغداد .

المناهج الدراسيّة العربية

في جامعات كيرالآ

الدكتور : إ . ك . أحمد كوتي

جامعة كاليكوت

في مقالة لي نشرت في عدد سابق من هذه المجلة[1] كنت قد بحثت عن دراسة اللغة العربية وتطوّرها ورواجها في أرجاء ولاية كيرالا[2] (Kerala) من جنوب الهند بحثاً مفصلاً بعض التفصيل . وفي هذه المقالة أريد أن أتحدث عن مناهج دراسة اللغة العربية الشائعة في جامعات كيرالا ، وأدرسها دراسة تحليليّة . وغرضي من هذا البحث أن أطلِع أخواننا العرب على وضع دراسة اللغة العربية في بلد أعجمي ككيرالا من الهند وألفت أنظارهم إلى المشاكل والمشاق التي نواجهها نحن غير العرب في سبيل دراسة اللغة العربية وتدريسها في جوّ غير عربي ، وخاصة بالنسبة إلى المناهج والطرق والكتب الدراسية على المستوى الجامعي . ويضيق بنا المقام أن أتحدث عن مناهج دراسة اللغة العربية التي تتبع في جامعات كيرالآ في جميع مراحل تدريسها . فلذلك أقتصر على التحدث عن المناهج الدراسية العربية المعمول بها في جامعات كيرالآ على مستوى التبريز (الماجستير) ، أي في مقررات م . أ . (M.A.)و م . فل . (M.phil) . وأما الإجازة (البكالوريوس) وما دونها من المقررات فلا أريد التعرض

---

(١) مجلد ٥٧ ج ١ و ٢ .

(٢) كيرالا (Kerala) احدى ولايات الهند الاثنتين والعشرين ، وهي أصغرها مساحة ، تقع في أقصى جنوب الهند ، ويبلغ عدد سكانها ٢١ مليوناً ، والمسلمون منهم ١٩ ٪

لبحثها في هذه المقالة . كما أستثني من نطاقها أيضاً الدراسات والبحوث على مستوى ب . اتش . دي (Ph.D.) لأنه موضع يتطلب دراسة مستقلة .

مقرر م . آ . ومناهجه الدراسية :

فنتكلم اولاً عن مقرر م . أ . (M.A.) ومناهجه الدراسية . تُجرى مقررات م . أ . (M.A.) في اللغة العربية وآدابها في خمسة أماكن ـ أربع كليات وقسم جامعي . وهي : كلية الفاروق بفروق (Farook college, feroke) وكلية مامباد بامباد (Mampad College, Mampad) ، وكلية الجامعة بترفاندرم (university college, trivandrum) ، وكلية مهاراجا بأرناكولم . كوشن (Maharajás college, Ernakulam, Cochin) ، وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت (University of Calicut) . وان مقررات م . أ (M.A.) في كلية الفاروق وكلية مامباد ، وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت منتسبة الى جامعة كاليكوت (University of Calicut) في حين أن مقرر م . أ . في كلية الجامعة بترفاندرم ملتحق بجامعة كيرالا (University of Kerala) . وأما مقرر م . أ . في كلية مهاراجا بأرناكولم فيقع تحت نطاق سلطة جامعة غاندجي بكوتايم (Çandhiji University, kottayam) وهي جامعة افتتحت حديثاً[٣] فيلاحظ هنا أن المناهج والكتب الدّراسية لهذه المقررات كلها متماثلة تقريباً إلا أنها تدرس في جامعة كاليكوت باللغة العربية نفسها أي بالطريق المباشر . في حين أنها

---

(٣) هذه الجامعات الثلاث ـ أي جامعة كاليكوت ، وجامعة كيرالا ، وجامعة غاندجي ـ هي اللاتي توفر الفرصة لدراسة اللغة العربية وآدابها . وهناك في كيرالا جامعتان اخريان ولكن لاتدرّس فيهما اللغة العربية .

تدرس في الجامعتين الأخريين باللغة الانكليزية ، أي بالطريق غير المباشر وهذا فرق كبير ، لاشك .

ولأنه ليس هناك اختلاف كثير بين مناهج م . أ . (M.A.) في جامعات كيرالآ المختلفة أتناول بالدّرس المنهج الدراسي الأحدث في جامعة كاليكوت كنموذج ، فأحللها تحليلا يبرز محاسنها ومساوئها ، ويساعدنا على أن نقدّر مدى نجاحها وفعاليتها وتحقيقها لأهدافها المطلوبة .

تنقسم المناهج الدراسية لـ م . أ . (M.A.) لجامعة كاليكوت إلى تسعة اوراق . أي مواد ، تدرس الأربعة منها في السنة الأولى والخمسة الباقية في السنة الثانية . وفي نهاية كل سنة امتحان عام ، ومع كل امتحان اختبار شفهي .

الورق الأول : النثر القديم (classical prose)
يشتمل على سورة البقرة من القرآن الكريم ، وكتاب الادب من صحيح البخاري ، وعشرة خطب من نهج البلاغة ، وبعض الصفحات من الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين للجاحظ .

الورق الثاني : الشعر الحديث (modern poetry)
تدرس فيه مختارات من الشوقيّات ومن ديوان حافظ ابراهيم ، وبعض الأشعار لمعروف الرصافي ، والعقاد ، والمازني ، وأبو شادي ، وابراهيم ناجي ، وعمر أبو ريشة ، وايليا أبو ماضي مقتطفة من كتاب An Anthology of Modern Arabic Verse لـ م . م . بدوي (M.M.badawi) .

الورق الثالث : النحو والبلاغة وعلم العروض

يحتوي على النحو الواضح (الثانوي) ، والبلاغة الواضحة ، كلاهما لعلي الجارم ومصطفى أمين ، والعروض الواضح في أوزان الشعر لممدوح حقي .

الورق الرابع : تاريخ الاسلام وثقافته ـ
كتبه الدراسية : حياة محمد لمحمد حسين هيكل ، ومحاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية لمحمد الخضري .

الورق الخامس : النثر الحديث (Modern Prose)
تشتمل على « المعذبون في الأرض » لطه حسين ، و « مسرحيّة أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، والعبرات للمنفلوطي ، وبعض الفصول من « حياتي » لأحمد أمين .

الورق السادس : الشعر القديم (Classical Poetry)
تُعلم فيه معلقات امرئ القيس وزهير ولبيد ، وقافية النون من ديوان المتنبي ، وقصيدتان من ديوان أبي نواس ، وقصيدتان من اللزوميّات للمعرّي ، ومائتا بيت من باب الحماسة من كتاب الحماسة لأبي تمام .

الورق السابع : النقد الأدبي (Literary Criticism)
كتبه الدراسية : مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وكتاب النقد الأدبي لأحمد أمين .

الورق الثامن : تاريخ الأدب العربي ـ
يحتوي على تاريخ الادب لأحمد حسن الزيات ، وتاريخ الأدب العربي لحنا فاخوري .

الورق التاسع : وهو الأخير : المقالة (essay) .

يُطلب فيه من الطالب إنشاءَ مقالتين إحداهما عن موضوع تتعلق بالأدب العربي القديم والأخرى عن موضوع من الأدب العربي الحديث ، والترجمة من العربية الى الانكليزية وبالعكس .

وهناك في المنهج الى جانب هذه الكتب الدراسية الاجبارية كتب للمراجعة (for reference) ، فللطلاب أن يطالعوها للحصول على مزيد من المعلومات علاوة على التي تحصل من الكتب الدراسية المفروضة .

ومن هذه النظرة الخاطفة الى المناهج الدراسية لمقرر م . أ . (M.A.) بجامعة كاليكوت يتضح لنا حقيقة هي أن هذه المناهج - ولو تحسنت كثيراً في هذه الأيام بالنسبة الى ما قبل - لاتزال تقليديّة غير تقدّمية ، ليس فيها كثير من الابتكار أو التجديد . وهي ناقصة من جهة الأدب العربي الحديث . ولا أنسى أن فيها عناصر كثيرة من الأدب الحديث ، خصوصاً في مادتي الشعر الحديث ، والنثر الحديث . ولكنها لاتلقي ضوءً كافياً على الوضع الحديث للأدب العربي ولا تساعد الطلاب على التعرف على أحدث الاتجاهات والتطورات والنزعات في مجال الأدب العربي . وهي أيضاً لاتُمكنهم من إتقان اللغة العربية كلغة معاصرة حية وأن يتناولوها كتابة وخطاباً بسلاسة وطلاقة كما يُتوقع من طلاب الماجستير .

وإذن ، لابد من التحسين والتعديل في تلك المناهج الدراسية لكي تتحقق أهدافها المقصودة . ولبلوغ هذه الغاية يجب ، قبل كل شيء ، أن يلغى التقسيم التقليدي الحالي للمواد المدرّسة ، أي التقسيم إلى النثر القديم ، والنثر الحديث ، والشعر القديم ، والشعر الحديث ، وتاريخ الأدب .... الخ . فلا بد أن يكون التقسيم علميّا وعمليّا وباعتبار الخصائص الفنية للمواضيع المدرّسة ، مثلاً ، يكون من الخير أن تقسم المواد

الى الرواية ، والمسرحية ، والشعر ، وعلم اللغة ، ودراسة خاصة لكتاب أو كاتب .... الخ . لِمَ نحافظ في مناهج التبريز (الماجستير) الدراسية على تلك المواضيع التي قد درسها أو تعرف عليها الطلاب في فصول الإجازة (البكالوريوس) ، مثل تاريخ الأدب العربي ، وتاريخ الإسلام ؟ فمن الخير أن تترك تلك المواد في المناهج الدراسية لـ م . أ . (M.A.) وتوضع في مكانها مواد جديدة لم يتعلمها الطلاب في فصول البكالوريوس ويحتم دراستها على مستوى الماجستير ، مثلا ، علم اللغة (Linguistics) ، وهذا الموضوع مندرج في مناهج الماجستير الدراسية لسائر اللغات في جامعات كيرالا . ولكنه لا يوجد في المناهج الدراسية العربية فقط . وقد يظن البعض أن علوم النحو والبلاغة تحل محله فلا حاجة الى تدريس علم اللغة بذاته . وهذا الرأي ليس بصحيح . قد تكون علوم النحو والبلاغة جزء من علم اللغة ولكنها ليست كله ولا تسدُّ مسده . فلذلك يجب تدريس علم اللغة كموضوع خاص . وإذا لم يمكن إدخاله في المناهج الدّراسية كمادة مستقلة فمِن الممكن أن يجمع مع مادة أخرى ، مثلاً ، يمكن أن يجمع بين النحو والبلاغة ، وعلم اللغة في ورق (paper) واحد أو أن يجمع بين علم اللغة ، وتاريخ الأدب في مادة واحدة .

ومن المستحسن أيضاً أن تكون في المناهج مواضيع اختيارية (Optional Subjects) في ورق واحد على الأقل ، وذلك أن الطالب يؤذن له أن يختار موضوعاً يرضاه من عدة مواضيع في ورقه ، مثلاً في الورق التاسع يختار الطالب واحداً من الآتي : الإنشاء ، ودراسة خاصة لمؤلف أو كتاب ، واللغة الصحافية .

إن تعديل المناهج الدراسية وحده لايحسّن الوضع الحالي للدراسة

العربية على مستوى الماجستير . ولابد من التعديل والتنقيح ، لاشك . ولكن ، مع ذلك ، لابد من تحسين طرق التدريس (Teaching Methods) . فأول شيء يخطر ببالنا بهذا الصدد مشكلة واسطة التدريس (Medium of Instruction) . ومما لا يقبل الجدل أن اللغة أياً كانت تنبغي دراستها وتدريسها بواسطة تلك اللغة نفسها . ولكن لسوء الحظ قد أُهملت هذه القاعدة الأساسية بالنسبة لتدريس اللغة العربية في جامعات الهند حيث تدرّس اللغة العربية حتى في مقرر الماجستير في اللغات الأخرى ـ الانكليزية أو الأوردية (Urdu) أو اللغة المحلية ـ والاستثناء الوحيد لهذا ـ بقدر ما أعرف جامعة كاليكوت حيث تدرس اللغة العربيّة في مقرر الماجستير بالطريق المباشر ، أي باللغة العربية ذاتها . إذا نريد تحسين مستوى التعليم العربي وترقيته فلا بد من أن تدرس اللغة العربية بالطريق المباشر (Direct Method) لا بالطريق غير المباشر (Indirect Method) أو بطريق الترجمة (Translation Method) . وليس التحويل من الطريق المباشر الى الطريق غير المباشر أمراً عسيراً شريطة أن نكون مصممين على إنجازه . وأظن أن أكبر عائق في سبيل تحقيق هذه الغاية مُركّب نقص يشعر به أكثر مدرسي اللغة العربية في الكليات والجامعات في بلاد الهند ـ وهم يظنون انهم لا يقدرون على أن يعلّموا طلابهم اللغة العربية بالطريق المباشر ، أي بواسطة اللغة العربية نفسها لأنهم لا يحسنون العربية تحدثاً وكتابة . وفي الحقيقة أن هذا الاعتقاد ليس إلا وهماً لا أساس له وتُكذبه التجارب . وكذلك يخاف البعض أنه إذا حُولت واسطة التدريس من اللغات الأخرى الى اللغة العربية نفسها ينقص عدد الطلاب الذين يُقبلون على دراسة اللغة العربية لما يجدون من الصعوبة في تعلّمها . وهذا أيضاً اعتقاد خاطئ لاحقيقة له .

ولا أنسى أن الطلاب والأساتذة يجدون بعض المشقة في بداية الأمر عند تغير الواسطة الدراسية من الانكليزية أو الاوردية إلى العربية نفسها ، ولكنها ظاهرة مؤقتة تغيب بعد مدة . وهذه تجربتنا في جامعة كاليكوت حيث تدرس اللغة العربية بالطريق المباشر .

ومشكلة أخرى في هذا المجال أن الطلاب الذين يلتحقون بمقرر الماجستير بعد أن درسوا اللغة العربية بطريق غير مباشر في مرحلة الإجازة سيعانون مشقة حينما ينتقلون إلى الطريق المباشر في مقرر م . أ . (M.A.) . ويمكن أن تُحل هذه المشكلة بتطبيق الطريق المباشر للتعليم العربي في فصول الإجازة (البكالوريوس) أيضاً ، في بعض المواد الدراسية على الأقل ، إن لم يكن في كلها .

مقرر م . فل . (M.Phil.) ومناهجه الدراسية :

والآن نتحدث عن مقرر م . فل (M.Phil.) ومناهجه الدراسية . ويُجرى هذا المقرر في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت فقط في كيرالا . ان (م . فل .) مقرر متوسط بين الماجستير (M.A.) والدكتوراه فيعد الطالب ويؤهله ليلتحق ببرنامج الدكتوراه (Ph.D)

تشتمل المناهج الدراسية لـ م . فل . (M.Phil.) بجامعة كاليكوت على المواد التالية :

١) الورق الأول : منهج البحث (Methodology of Research)
كتبه الدراسية :

1) Thesis and Assignment Writing by Anderson

2) Form and Style by Campbell

٢) الورق الثاني : تطور الأدب العربي في العصر الحديث :

كتبه المدرّسة :

١) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي .

٢) الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف .

٣) تطور الشعر الحديث للدكتور ماهر حسن فهمي .

٣) الورق الثالث : الموضوع الخاص (Special Paper)

موضوع هذه المادة ينبغي أن يكون متعلقاً بموضوع الأطروحة (Dissertation) . وقد يكون مختلفاً من طالب إلى طالب .

٤) الأطروحة (Dissertation) يقدمها الطالب بعد الامتحان النهائي بقليل . يختار كل طالب موضوعه الخاص للاطروحة بالمشاورة مع الأستاذ المشرف عليها .

وهذا المقرر يستغرق سنة واحدة يُجرى في نهايتها امتحان مكتوب ، وآخر شفهي .

وهذا المنهج ، كما يظهر ليس برديء ، بل هو حسن وان لم يكن جيداً جداً . ولكن تجربتنا بهذا المقرر الدراسي في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت تجعلنا نشك في فعاليته وتحقيقه لأهدافه المطلوبة . وليس ذلك بسبب أي خلل في مناهجه الدراسية ، بل يرجع الى قلة اهتمام الطلاب بهذا المقرر وعدم جديّتهم . وأكثرهم يلتحقون به بعد اجتيازهم لـ م . أ (M.A.) لأنهم لم يحصلوا على أي وظيفة يرتزقون منها ، ولأنهم يحصلون على بعض المال عن طريق المنحة الدراسية فلا يأخذون دراساتهم بعين الجديّة والاهتمام ، بل يقضون اوقاتهم كسالى . ولا أقول ان طلاب (م . فل) كلهم على هذا الحال ومنهم من يهتمون بدراساتهم غاية الاهتمام .

ومشكلة أخرى هي ما يتعلق بالأطروحة (Dissertation) . وكما تقدم ، على الطالب أن يقدّم الأطروحة في نهاية مقرره الدراسي . وحسب قوانين جامعة كاليكوت الحالية يسمح للطالب أن يقدم اطروحته خلال ستة أشهر بعد الامتحان النهائي . ولكن أكثر الطلاب لا يقدمونها خلال المدة المعينة ويؤخرونها تأخيراً بلا نهاية . وهذا يسبّب مشاكل كثيرة لسلطات الجامعة والطلاب أيضاً ، من أكبرها تأخر اعلان نتائج الامتحان . والحل الوحيد لهذه المشكلة هو أن تُغير القوانين بحيث يُطلب من الطلاب أن يقدموا الاطروحة قبل الامتحان العام ، أي في أثناء المقرر الدراسي .

« مقرر ما بعد أفضل العلماء » ومناهجه الدراسية :

في كيرالا معاهد علمية عربية إسلامية تسمى بـ « الكليات العربية » (Arabic Colleges) وهي مختلفة عن الكليات الرسمية في أنها تعتني بالدراسات العربية والاسلامية على وجه خاص دون سواها من العلوم . وهذه الكليات مقرة من قبل الحكومة ومنتسبة الى الجامعة . وتُمنح للمتخرجين منها شهادةٌ جامعية تسمى بـ « أفضل العلماء » .

ولم يكن للذين حصلوا على هذه الشهادة فرصة للتعليم العالي في الأيام الماضية . ولكن الآن قد افتتح مقرر جديد في إحدى الكليات العربية تحت جامعة كاليكوت لتوفير فرصة التعليم العالي للذين نالوا شهادة « أفضل العلماء » ، يسمى « مقرر ما بعد أفضل العلماء » (Post-Afdalul Ulama Course) . وهذا المقرر يستغرق سنتين يمكن أن يلتحق به حاملو شهادة « أفضل العلماء » . وهو ينزل منزل الدبلوم بعد التخرج (Post Graduate Diploma) ، فلذلك يمكن أن يُعتبر عديلا لمقرر

م . أ (M.A.) ولو لم يصرح بمعادلته لـ (م . أ .) من قبل سلطات الجامعة بعد . فجدير بنا أن ننظر في مناهجه الدراسية نظراً مجملاً اعتباراً بأنها تعادل المناهج الدراسية للماجستير في اللغة العربية (M.A.)

يهدف مقرر « ما بعد أفضل العلماء » الى التخصص في أي مجال من المجالات المذكورة أدناه ، فللطالب أن يختار واحداً منها : ١) الأدب العربي القديم ٢) الأدب العربي الحديث ٣) تاريخ العرب وثقافتهم . وكل واحد من هذه التخصصات يشتمل على سبع مواد (أوراق) .

امـــا التخصص في الأدب العربي القـــديم (Classical Arabic Literature) فأوراقه ما يلي :

١) القرآن (الأول) ـ الآيات والعبر في القرآن .

٢) القرآن (الثاني) ـ الأحكام في القرآن .

٣) الحديث .

٤) الفقه وأصول الفقه .

٥) النثر العربي .

٦) الشعر العربي .

٧) علم اللغة والفيلولوجيا (Linguistics and PHilology) .

والتخصص في الأدب العربي الحديث يحتوي على مواد تالية :

١) النثر العربي .

٢) الشعر العربي .

٣) الأدب الجدلي (Polemical Literature) .

٤) النقد الأدبي .

٥) تاريخ الأدب العربي .

٦) اللغة الصحافية (Journal Language) .

٧) المقالة (Essay) .

والتخصص الثالث أي تاريخ العرب وثقافتهم (History and Culture of the Arabs) يحتوي على المواضيع الآتية :

١) تاريخ العرب وثقافتهم من الجاهلية إلى انتهاء الخلافة الراشدة .

٢) تاريخ العرب وثقافتهم في العهد الأموي .

٣) تاريخ العرب وثقافتهم في العهد العباسي .

٤) تاريخ الاسلام وثقافته في الأندلس .

٥) تاريخ الاسلام وثقافته في إفريقيا وصقلية .

٦) علاقات العرب بالهند .

٧) تاريخ الاسلام وثقافته في القرنين التاسع عشر والعشرين .

ولا أريد أن اذكر هنا الكتب المدرّسة وغيرها من تفاصيل المناهج الدراسية لـ « مقرر ما بعد أفضل العلماء اجتناباً لطول المقالة . فأكتفي بأن أقول انها أغزر مادة وأرقى مستوى من المناهج الدراسية لـ م . أ . (M.A.) ويُلاحظ أيضاً أن هذا المقرر يدرس بالطريق المباشر (Direct Method) أي باللغة العربية نفسها وأن الطلاب لايعانون مشقة في ذلك لأنهم قد تعلموا في « مقرر أفضل العلماء » باللغة العربية نفسها . على أننا لانستطيع الآن أن نحكم على هذا المقرر ومناهجه الدراسية بالنجاح أو الإخفاق لأنه مقرر جديد قد افتتح حديثاً لم تظهر ثمراته بعد . ولكن يمكننا أن نقول ان هذا المقرر إذا لم يُعَادَل بينه وبين مقرر الماجستير (M.A.) في اللغة العربية لا يوفّر فرص التوظيف للمتخرّجين منه .

خاتمة :

من هذه العجالة عن المناهج الدراسية الشائعة في جامعات كيرالا على مستوى الماجستير يتضح لنا أنها في حاجة ماسة الى التحسين والتحديث . فعلى سلطات الجامعات أن ينظروا في هذا الأمر بعين الجدية والاهتمام البالغ ويتخذوا الاجراءات اللازمة بهذا الصدد من فورهم . ولكن ، قبل كل شيء ، لابد أن تأتي المبادرة من مدرسي اللغة العربية في الجامعات والكليات انفسهم . فهل ينهضون بهذه المسؤولية ؟

القصيدة اليتيمة والدوقلة

عبد القادر زمامة

ألفنا في تاريخ الأدب العربي أن نجد بعض القصائد شهرت بأسماء عرفت بها عند الرواة والمؤلفين في مختلف العصور ، ويشمل ذلك قصائد بأعيانها لشعراء معروفين أو مجهولين ، كما يشمل مجموعات معينة تشترك في خاصة ما اعتبرها الرواة والمؤلفين في الأدب العربي سبباً للتسمية .

فإلى جانب القصائد التي سميت بالمعلقات ، وتحت هذا الاسم حُفظت ورُويت ودونت وشرحت ، نجد أبا زيد القرشي في الجمهرة يذكر مجموعات من القصائد يبلغ تعدادها سبع مجموعات ، وكل مجموعة تضم سبع قصائد . وقد سمّى كل مجموعة اسماً خاصاً بها . فهناك المعلقات ، والمجمهرات ، والمنتقيات ، والمذهبات ، والمراثي ، والمشوبات ، والملحمات .

● [حظيت القصيدة اليتيمة بدارسين كبار عُنوا بتحقيقها ونشرها وتخريج أبياتها . نذكر منهم :

- الدكتور صلاح الدين المنجد : القصيدة اليتيمة برواية القاضي التنوخي (ط٢ ، بيروت١٩٧٤ م)
- الأستاذ زكي ذاكر العاني : ديوان علي بن جبلة / العكوك (بغداد ١٩٧١ م)
- الدكتور حسين عطوان : شعر علي بن جبلة / العكوك (مصر ١٩٧٢ م)
- الأستاذ عبد الله الجبوري : ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره (بيروت ١٩٨٤ م) / المجلة]

والجاحظ في البيان والتبيين[1] يحدثنا عن الأشعار المنصفة التي كان المربديون والمسجديون في عصره يروونها ، ويعدون من لم يروها ليس من الرواة المعتد بروايتهم .

وفي معركة المفاخرات والمهاجاة الثلاثية بين جرير والفرزدق والأخطل ظهر اللون الشعري المسمى بشعر المناقضات . واختار الرواة من قصائد هذا اللون قصائد سموها بأسماء خاصة عرفت بها في كتب الأدب ... .

والطريف في هذا الباب أن نجد المفكر الأديب محمد بن داود الظاهري الاصفهاني المتوفى سنة ٢٩٧ هـ في كتابه الزهرة يقول : « الشعر الذي لا تشبيب له يلقب بالحصى . وتسمى القصيدة منه البتراء[2] » .

وتتبُّع هذه الظاهرة يقتضي منا تتبعا لعدة أنواع من التسمية وأسبابها في موضوع القصيدة وشكلها وبحرها وقافيتها وما إلى ذلك .

بيد أننا بصدد الحديث عن قصيدة معينة اشتهرت باسم : اليتيمة ، نسبت قديماً وحديثاً إلى عدة شعراء ، ومنهم هذا الذي يسميه بعض الرواة بهذا الاسم الغريب : الدوقلة .

وأريد قبل الحديث عن هذه اليتيمة وصاحبها ، أن أشير إلى أن المفضل الضبي اختار في كتابه : « المفضليات » قصيدة للشاعر المخضرم سويد بن أبي كاهل اليشكري عرفت باسم : اليتيمة مطلعها :

رب من أنضجت غيظا صدره قد تمنى لي موتا لم يطع

(١) البيان والتبيين ٤ : ٢٣ ، تح عبد السلام هارون .

(٢) الزهرة ١ : ٣٧٢ (بيروت ١٩٣٢ م) .

ويراني كالشجا في حلقه   عسرا مخرجه ما ينتزع[٣]

واقتطف منها ابن قتيبة بعض الأبيات في كتابه : الشعر والشعراء[٤] .

أما القصيدة اليتيمة المنسوبة إلى هذا الدوقلة فهي قصيدة أخرى تباين قصيدة ابن أبي كاهل اليشكري شكلا ومضمونا ووزنا وقافية ، مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردُّ   أم هل لها بتكلم عهدُ

درس الجديد جديد معهدها   فكأنما هي ريطة جرد

وهي كما تسمى بالقصيدة اليتيمة تسمى بالقصيدة الدعدية ، لأن صاحبها أطنب في الحديث عن دعد وخلقها وخلقها وهيامه بها .

ووجه تسمية هذه القصيدة بالقصيدة الدعدية ظاهر مما ذكرنا ، بخلاف تسميتها بالقصيدة اليتيمة فإنه يحتاج إلى ربطه بالمادة اللغوية اليتم ، ربطا حقيقياً أو مجازيا .

فالمادة اللغوية - بناء على ما في المعاجم - تعني في الأصل الانفراد ، واليتيم هو المنفرد . ومن هذا المعنى الأصلي ظهرت معان أخرى معروفة .

فهل روعي في وصفها باليتم أنها منفردة في بابها شكلا ومضمونا كما نقول في الجوهرة الكريمة النفيسة : إنها جوهرة يتيمة أو درة يتيمة . وكما نقول في البيت الشعري الجيد المعنى والمبنى : إنه بيت يتيم ، منفرد في بابه ، لا سابق له ولا لاحق ؟ .

---

(٣) المفضليات : ١٩٠ ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٤٠ م .

(٤) الشعر والشعراء ١ : ٣٨٤ ، تحقيق أحمد شاكر . القاهرة ١٣٦٤ هـ .

أم روعي في وصفها باليتم أنها غير معروفة النسبة المحققة إلى شاعر معين معروف تطمئن النفس إليه ، وتكون القصيدة من بنات قريحته وعبقريته الشعرية ؟ .

وسواء تحقق هذا الاحتمال أو ذاك فإن هذه القصيدة عرفت بالقصيدة الدعدية كما عرفت بالقصيدة اليتيمة .

ولعل من أقدم المصادر التي أشارت إلى بعض الأبيات من هذه اليتيمة وإلى الدوقلة المنسوبة إليه ، كتاب : التشبيهات الذي ألفه ابراهيم ابن أبي عون المقتول سنة ٣٢٢ هـ[٥] .

في حين أن مصادر نصوص الأدب العربي الشهيرة مثل كتب : الضبي ، والأصمعي ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد ، والأصبهاني ، وابن عبد ربه ، ـ فيما نعلم ـ لاتفيدنا بشيء عن هذه القصيدة ، ولا عن هذا الشاعر الملقب بهذا اللقب الغريب : الدوقلة .

فهل يعني هذا أن القصيدة إنما نظمت في عصر متأخر عن هؤلاء جميعا ؟ .

ولكن إشارة ابن أبي عون ـ وهو من أهل القرن الرابع[1] كالأصبهاني وابن عبد ربه ـ تجعلنا في موقف التشكك والحيرة .

---

(٥) التشبيهات : ٩٧ ، تصحيح محمد عبد المعين خان ط . كمبردج ١٩٥٠ م .

(1) [وممن أشار الى القصيدة في القرن الرابع الهجري الامام أبو الفتح بن جني (ت ٣٩٢ هـ)في كتابه الفسر الذي شرح فيه ديوان المتنبي ، فقد فسّر بيت أبي الطيب :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياءُ

ثم عقب على ذلك بقوله : « وهذا كقول المنبجي :

ضدان لما استجمعا حسنا والضدُّ يظهر حسنه الضدُّ =

وفي القرن السادس الهجري نجد القصيدة اليتيمة الدعدية من عيون الشعر العربي عند الرواة والمؤلفين . تحفظ ويعتنى بها . وتروى عن الشيوخ بالأسانيد في كتب الفهارس .

ويفيدنا بهذا مصدران : أحدهما أندلسي ، وثانيهما شامي . فالمصدر الأندلسي هو فهرسة ابن خير الأموي الأندلسي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ فهذا المؤلف يروي هذه القصيدة اليتيمة عن شيخه الإمام أبي بكر ابن العربي المعافري ، دفين فاس المتوفى بها سنة ٥٤٣ هـ بحكم روايته إياها عن شيوخه في المشرق . ويسمى ابن خير صاحب القصيدة اليتيمة باسم : الحسين بن محمد المنبجي ، الملقب بدوقلة ، كما أنه تلقى من شيخه ابن العربي أنها تنسب لسبعة عشر شاعرا[٦] .

والمصدر الشامي هو كتاب : المنازل والديار ، لمؤلفه الأمير أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

= وهذا بيت مدخول لبس ، لأنه ليس كل ضدين اذا استجمعا حسنا ، ألا ترى أن الحسن اذا قرن بالقبح بان حسنُ الحسن وقبحُ القبيح ، ولم يحسنا جميعا . وبيت المتنبي أسلم ، لأن الأشياء بأضدادها يضح أمرها .... » . انظر مصورة مخطوط الفسر في خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وكتاب الفسر (ط بغداد ١٩٦٩ م) ١ : ٩٠ .

- وقد عدّد محققو القصيدة اليتيمة طائفة من المصادر التي أوردت شطراً أو بيتاً أو أبياتاً منها ، فذكروا (الى جانب المصادر التي أوردها الأستاذ صاحب المقال) : الوساطة للجرجاني ، وبهجة المجالس لابن عبد البر ، وحماسة الظرفاء للعبدلكاني ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ، ومجموعة المعاني ، واللطائف والظرائف لأبي نصر المقدسي ، وتحرير التحبير لابن ابي الاصبع ، وكتاب الآداب لجعفر شمس الخلافة .

- وفي حاشية للأستاذ أحمد راتب النفاخ أنه قد ورد بيتان من القصيدة اليتيمة في البحر المحيط لأبي حيان (٢ : ٣٦ ، ٦ : ٣١) / المجلة] .

(٦) فهرسة ابن خير : ٤٠١ ، ط . سرقسطة ١٨٩٣ م .

فقد روى أسامة بن منقذ من هذه القصيدة سبعة أبيات من أولها ، وهي المتعلقة بالأطلال ، لأنه يهمه في كتابه : المنازل والديار ، أن يقدم أحسن ما قيل في هذا الموضوع .

ويفيدنا ابن منقذ أن صاحب القصيدة هو سعيد بن حميد المنبجي المذحجي المعروف بالدوقلة[٧] . وهو بطبيعة الحال غير سعيد بن حميد الكاتب المشهور المتوفى أواسط القرن الثالث الهجري .

فالمصدران الأندلسي والشامي وإن كانا يتفقان في لقب الشاعر : الدوقلة ، فإنهما يختلفان في اسمه اختلافا كبيرا ، ولا يذكران شيئاً عن ترجمته ولا عن عصره .

وفي القرن السابع الهجري نجد أبا البقاء العكبري البغدادي المتوفى سنة ٦١٦ هـ في شرحه لديوان المتنبي عند شرحه لبيت المتنبي في قصيدته الهمزية التي مدح بها الكاتب المتصوف أبا علي هارون بن عبد العزيز الاوراجي :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياءُ

يقول : قال أبو الفتح : هذا مأخوذ من قول المنبجي :

فالوجه مثل الصبح مبيض والشعر مثل الليل مسودٌّ
ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد[٨]

(٧) المنازل والديار ١ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ . بيروت ١٩٦٥ م ، وانظر ط . القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ١١٦ ، تحقيق مصطفى حجازي .

(٨) العكبري . شرح ديوان المتنبي : ١ : ٢٢ ، ط . بيروت ، ١٩٧٨ م ، تحقيق مصطفى السقا ومن معه .

فأبو البقاء العكبري ينقل عن أبي الفتح ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ما ذكره من أخذ المتنبي معنى الشطر الثاني من بيته :

« وبضدها تتبين الاشياءُ »

من شطر بيت المنبجي :

« والضد يظهر حسنه الضد »

والمنبجي في كلام العكبري وابن جني يكون بطبيعة الحال هو : الدوقلة ، لأن البيتين اللذين ذكرهما ابن جني هما ضمن القصيدة اليتيمة الدعدية التي بين أيدينا .

ونجد في العصر الحديث علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي في كتابه « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » يذكر من هذه القصيدة اليتيمة واحدا وعشرين بيتاً في الفصل الذي خصصه لما كان يستحسن من المرأة لدى العرب خلقا وخلقا ، مستشهداً بما ورد في هذه الأبيات مما يتعلق بهذا الموضوع ، ويقدم ذلك بقوله : « .... وفي الشعر الجاهلي كثير من أوصاف النساء المحمودة من ذلك قول بعضهم من قصيدة ... »

ويعقب على اختياره بقوله : « والقصيدة طويلة ، ولها قصة مشهورة »[٩] .

فالألوسي كان يعتقد أن القصيدة جاهلية ، لذلك استشهد ببعض أبياتها على ما كان العرب يستحسنونه من صفات المرأة خلقاً وخلقا .

أما إشارته إلى قصتها المشهورة ، فهو يعني بذلك تلك الأسطورة التي حيكت حول أميرة عربية يمنية أو نجدية كانت فصيحة اللسان قوية

---

(٩) بلوغ الأرب ٢ : ٢٠ ـ ٢١ ، القاهرة ط . الثالثة بدون تاريخ .

الجنان ، أبت الزواج إلا من شاعر تعترف بتفوقه عليها . فنظم شاعر فارس هذه القصيدة وقصدها إلا أنه نزل في طريقه على شاعر كانت له نفس الرغبة ، فلما علم بقصده قتله وانتحل القصيدة لنفسه وقصد الأميرة ولكنه أخفق أمام امتحانها فأغرت به من قتله .

ولا يعنينا هنا الوقوف أمام هذه الأسطورة التي هي من نسج الخيال ، فالقصيدة ليست من الشعر الجاهلي في شيء : لا في روحها ولا في لغتها ولا في أسلوبها . نعرف ذلك من دراسة نصها والتمعن في ذلك الرصف اللغوي الذي رصفت به الكلمات والأبيات والصفات الجسدية للمرأة ، كما نعرفه في تلك الحلة التي أضفاها الشاعر على نفسه في آخر القصيدة من العفة والمروءة والكرم ، مثل قوله :

ولقد علمت بأنني رجل ... في الصالحات أروح أو أغدو
سلْمٌ على الأدنى ومرحمةٌ ... وعلى الحوادث هادئ جلد
متجلببٌ ثوبَ العفاف وقد ... غفل الرقيب وأمكن الورد
ومجانبٌ فعل القبيح وقد ... وَصَل الحبيبُ وساعد السعد
منع المطامع أن تثلمني ... اني لمعولها صفاً صَلُدُ

وينبغي ألا تغالطنا تلك الإشارات التي جاءت في بعض الأبيات مثل البيت الثاني والأربعين الذي يقول فيه :

إن تتهمي فتهامة وطني ... أو تنجدي إن الهوى نجد

وقوله في البيت السابع والخمسين :

والجَدُّ كِنْدَةُ والبنون هم ... فزكا البنون وأنجب الجد

فإن ناظم القصيدة رصف اللغة رصفاً وسبك الأبيات سبكاً وكان يملك طاقة شعرية ودراية أدبية تمكن بها من حشد المعاني والإشارات

حشدا كما يفعل فحول الشعراء في العصر العباسي .

وينبغي هنا ونحن نتحدث عن القصيدة اليتيمة ألا نغفل المقالتين المفيدتين اللتين كتبهما العلامة الهندي المرحوم عبد العزيز الميمني الراجكوتي . حول هذه القصيدة في مجلة : الزهراء[١٠] .

وعملُ المرحوم الراجكوتي لفت الأنظار إلى هذه القصيدة بحثا عن نصها الكامل . وبحثاً عن صاحبها الحقيقي . وقد نشر نصها (باستثناء الأبيات المتعلقة بوصف بعض أعضاء دعد) المرحوم محب الدين الخطيب صاحب مجلة الزهراء . في كتابه : الحديقة .[١١] ونسبها الى دوقلة المنبجي .

وكذلك اختارها الأستاذ أنيس المقدسي في كتابه : المختارات السائرة نموذجا للشعر الذي ينبغي أن يدرس لأنه يمثل خصائص لفظية ومعنوية ...[١٢] ونسبها إلى دوقلة .

ثم تتابع ذكرها في الدراسات الأدبية المتعلقة بالعصر العباسي[١٣] .
وكذلك المجموعات الشعرية المتعلقة بالشاعرين :
- أبي الشيص الخزاعي المقتول سنة ١٩٦ هـ[١٤] .

---

(١٠) الزهراء ، س ٣ م ٤ ، ربيع الأول ١٣٤٥ هـ ، س ٤ م ٦ ، شعبان ١٣٤٦ هـ .

(١١) الحديقة ٦ : ١٩٦ - ٢٠٥ ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

(١٢) المختارات السائرة ، ط الرابعة بيروت ١٩٥٥ م ، ص ١٥٨ .

(١٣) الشعر والشعراء في العصر العباسي : د . مصطفى الشكعة ص ٤٢٩ ط . بيروت ١٩٧٣ م . وتاريخ الأدب العربي : د . عمر فروخ . ج٢ ص ١٩٧ ط . بيروت ١٩٦١ م .

(١٤) أشعار أبي الشيص . جمعها عبد الله الجبوري . النجف ١٩٦٧ م ص ٤٢ - ٥١ [ثم أصدر الأستاذ عبد الله الجبوري : ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، ط . بيروت ١٩٨٤ م ، وتقع القصيدة الدعدية وقصتها وتخريجها في الصفحات : ١١٧ - ١٤٥] .

- وعلي بن جبلة الملقب بالعكوك المتوفى سنة ٢١٣ هـ[١٥] .

على اعتبار أن القصيدة تنسب إليهما .

وقد جاء نص القصيدة محققاً في هاتين المجموعتين . وبلغت أبياتها ستة وستين بيتاً[2] .

وهكذا تبقى هذه « اليتيمة » معلقة النسبة لانستطيع الجزم بنسبتها إلى شاعر معين .

أما هذه الدوقلة إن صح أنه شخص مَذْحجي منبجي فإننا لانعرف عنه شيئاً يمكننا الجزم به ، إلا أن هذا لا يمنعنا من الاشارة إلى ما عثرنا عليه من إشارات تتعلق به .

فصاحب لسان العرب ابن منظور على كثرة ما عنده من أسماء الشعراء وألقابهم فإنه لم يعرج على هذا الدوقلة لا في مادة (دقل) ولا في غيرها .

بخلاف الفيروزابادي مؤلف القاموس المحيط . فإنه بعد أن شرح مادة (دقل) وبيّن مدلول كلمة : دوقلة بأسلوبه المعهود في الإيجاز . زاد قوله : « وشاعر » ولكنه لم يزدنا على ذلك شيئا .

---

(١٥) شعر علي بن جبلة العكوك . جمعه د . حسين عطوان . ص ١١٥ ـ ١١٩ ط . القاهرة ١٩٧٢ م .

(2) [يحسن أن نشير هنا ايضاً الى كتاب الدكتور صلاح الدين المنجد : القصيدة اليتيمة ـ ط٢ ، بيروت ١٩٧٤ م ، والى ديوان علي بن جبلة العكوك جمع زكي ذاكر العاني - بغداد ١٩٧١ م] .

ونفس الشيء فعله شارحه الشيخ مرتضى في تاج العروس[3] .

ومن الملاحظ أن كتابا بعنوان : معجم ألقاب الشعراء لمؤلفه د . سامي مكي العاني . نشره ببغداد سنة ١٩٧١ م المجمع العلمي العراقي . وهو معجم مفيد مرتب على حروف المعجم ذكر عددا كبيرا من ألقاب الشعراء ، لكنه لم يعرج على الدوقلة .

ولقب الدوقلة يذكرنا بلقب آخر شبيه به في اللفظ ، وهو : الدوخلة .... وهذا اللقب عُرف به علي بن منصور الحلبي[١٦] صاحب أبي العلاء المعري ، كما عرف بكنيته ابن القارح ، ورسائله مع أبي العلاء شهيرةٌ في الأدب العربي .

وهكذا يدخل الدوخلة عالم المعرفة بينما يظل الدوقلة في عالم النكرات ، رغم أن هذه القصيدة اليتيمة نُسبت اليه منذ قرون .

ولا نودع هذه القصيدة اليتيمة دون أن نشير الى قصيدة شبيهة بها للشاعر الأندلسي : محمد بن غالب الرصافي البلنسي المتوفى سنة ٥٧٢ هـ ، مدح بها الوزير الوقشي . ومطلعها :

ألأجرع تحتلـــــــه هنـــــــدُ   يندى النسيم ويأرج الرند[١٧]

---

(3) [ومن قبلها قال الصغاني في التكملة والذيل والصلة (د ق ل) : « ودَوْقَلَةُ : شاعر » / المجلة] .

(١٦) بغية الوعاة (ط . الاولى) ص ٣٥٥ ، ومعجم الادباء لياقوت ١٥ : ٨٣ (ط . دار المامون) .

(١٧) انظرها في ديوان الرصافي : ٥٣ (ط . بيروت ١٩٦٠ م) .

(التعريف والنقد)

رسالة عبد الحميد بن يحيي

إلى وليّ العهد عبد الله بن مروان الثاني

للمستشرقة الألمانية (هانيلوره شونيخ)

الدكتور محمد كامل عياد

تلقت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بعض الكتب باللغة الألمانية من مطبوعات لجنة الاستشراق التابعة لمجمع العلوم والآداب في مدينة (ماينتس) بألمانية الغربية ، لاطلاع القراء على ماينشره المستشرقون من دراسات وتعريفهم بما تتضمنه من آراء .

وقد نشرت هذه اللجنة حتى الآن (٣٨) كتاباً ، منها كتاب للمستشرق (ايفالد واغنر) عن أبي نواس (في ٥٣٢ صفحة) يشمل دراسة عن الأدب العربي عامة في العهد العباسي الأول ، ثم كتاب (ليوسف فان أس) يتضمن ترجمة القسم الأول من كتاب (المواقف) تأليف (عضد الدين الايجي) مع شرح نظريته في المعرفة (٥١٠ صفحات) ، ثم كتاب بقلم الباحثة (هلغا فنتسلاف) عنوانه : (تاجر العقاقير المراكشي وبضاعته) يهدف إلى التعريف بمصطلحات المواد الطبية العربية ، واستخدامها المتوارث لدى الشعب ، وقد ألحقت به خريطة وكثيراً من اللوحات والصور (٢٤٥ صفحة) ، وأخيراً المجلد رقم (٣٨) الذي صدر في (شتوتغارت) سنة ١٩٨٥ ، وعنوانه : (رسالة عبد الحميد بن يحيي إلى

ولي العهد عبد الله بن مروان الثاني) ، وهو الذي يسرنا هنا التعريف به والتحدث عن أهميته .

انه كتاب صغير لايتجاوز (١٥٤) صفحة من تأليف باحثة المانية حديثة اسمها (هانيلوره شونيغ) ، وهي تقول في المقدمة إن موضوع الرسالة التي تعتبر من أول الشواهد على نشأة النثر العربي في أواخر العهد الأموي لم يلق حتى الآن إلا القليل من العناية لدى علماء الاستشراق الغربيين . فليس في الطبعة الأولى من الموسوعة الإسلامية (سنة ١٩١٣) مقالة مناسبة عنه ، بل إن الأستاذ (ريختر) في « دراساته عن تاريخ أقدم المؤلفات العربية في الآداب السلطانية » لايذكره البتة . والمحاولة الأولى لإبراز شخصية عبد الحميد الكاتب ووضعها في المقام الذي تستحقه إلى جانب معاصره الأكثر شهرة (ابن المقفع) إنما كانت المقالة التي نشرها المستشرق الإيطالي (فرنسيسكو غابرييلي) في سنة ١٩٥٧ وأشاد فيها ببلاغة هذه الرسالة وبأهميتها الأدبية .

إن هدف الباحثة الألمانية هو أن تثير لدى الغربيين الاهتمام الذي يستحقه عبد الحميد الكاتب وإبراز مكانته في نطاق آداب النثر العربي المبكر . ولهذا قامت من جهة بترجمة رسالة عبد الحميد إلى ولي العهد وحاولت من جهة أخرى أن تبحث فيها وتحللها بالتفصيل وتبين خصائص أسلوبها التي أشار إليها (غابرييلي) باختصار .

بدأت الباحثة بترجمة سيرة المؤلف وذكر مجموع آثاره ، فاعترفت بأنه لم يصلنا إلا القليل من المعلومات عن حياته ، وأن الحوادث المنقولة عنه تقتصر على قصص ونوادر لاقيمة اخبارية لها عدا أنها متناقضة في

الغالب . إنه ليس هناك معلومات موثوقة ومتفق عليها عن تاريخ ولادته ومكانها وعن أصله ونشأته بل حتى عن وفاته .

تذكر المراجع كلها أنه مولى العلاء بن وهب العامري القرشي . وتلاحظ الباحثة (شونيغ) أن ذلك لايدل بالضرورة على أنه من أصل فارسي ، أو بالأحرى من أصل غير عربي كما يدعي الكثيرون . وهي تقول : إن الموالي ينحدرون من جماعات مختلفة في أصولها وفي أسباب ولائها ، ثم تستشهد بأقوال الأستاذ محمد كرد علي الذي تحدث في كتابه (أمراء البيان) بالتفصيل عن العوامل العديدة التي تدفع إلى رابطة الولاء ، والذي استنتج من ذلك أن ليس هناك مايمنع من أن يكون عبد الحميد عربياً .

بعد تعذر إصدار حكم جازم على أصل عبد الحميد الكاتب انتقلت الباحثة (شونيغ) إلى الحديث عن الإطار التاريخي وعن ظروف الحقبة التي عاش فيها والعوامل التي تركت آثارها في تكوين شخصيته وتطور ثقافته . وقد ذهب (غابرييلي) إلى أن عبد الحميد ولد حوالي سنة ٧٠٠ م (٨٠ ـ ٨١ هـ) لذلك تستبعد الباحثة ، خلافاً لرواية انفرد بها (ابن عبد ربه) في (العقد الفريد) ، أن يكون قد خدم في بلاط (عبد الملك بن مروان) ثم (يزيد بن عبد الملك) . ويذكر الرواة أنه كان أولاً معلم صبية يتنقل في البلدان ، ثم التحق بديوان الرسائل في دمشق لعهد هشام بن عبد الملك (٧٢٤ ـ ٧٤٣) حيث كان ختنه (أبو العلاء سالم بن عبد الله) مولى هشام رئيساً لهذا الديوان . وهو الذي علمه ودرّبه على صناعة الترسل . وفي هذا الوقت تعرف على (مروان بن

محمد) وتوثقت عرى الصداقة بينهما . فلما تولى (مروان الثاني) الخلافة سنة (٧٤٤) اتخذه كاتباً له فظل مخلصاً له حتى قتلا في وقت واحد بعد سقوط الأمويين سنة ٧٥٠ (١٣٢ هـ) .

كان (مروان بن محمد) قد برز في الحياة السياسية لأول مرة سنة ٧٣٢ م (١١٤ هـ) ، عندما نصبه هشام والياً على (أرمينية) و (أَذْرَبيجان) . وقد اكتسب في فترة ولايته كثيراً من الخبرة والمهارة في الأمور السياسية والعسكرية أفاد منها بعد توليه الخلافة ، حتى إن المؤرخين ينسبون إليه الاصلاحات التي أحدثت في نظام الجيش الأموي ، إذ استبدلت الصفوف بالكراديس المؤلف كل واحد منها بمائة رجل ، كما صار يُنْتقى لقيادة الفرق عسكريون مدربون عوضاً عن إخضاع المقاتلين لرؤساء القبائل .

وقد توالت الفتن والثورات في عهد مروان الثاني فاضطر أن ينقل مقره من دمشق إلى (حران) ، وأخذ يحارب العصاة في الشام ، ويحاصر مدينة (حمص) . ولما استفحل خطر الخوارج الذين جمعوا في الجزيرة جيشاً ضخماً بقيادة (الضحاك بن قيس) الشيباني أرسل ولي عهده (عبد الله بن مروان) لمجابهة هذا الجيش ، ولكن الفارق الكبير بين عدد الجنود اضطر ولي العهد إلى التحصن وراء أسوار (نصيبين) حتى انتهى (مروان الثاني) من فتح (حمص) فأسرع إلى نجدة ابنه وتخليصه من الحصار بعد المعركة التي قتل فيها (الضحاك) .

إن ثورة الخوارج هذه كانت بين مجموعة الأسباب التي دعت إلى تحبير رسالة عبد الحميد الكاتب . فقد أراد (مروان الثاني) ، بعد تعيين ولي

عهده (عبد الله) لمحاربة الخوارج ، تزويده بجملة من الخبرات التي اكتسبها في حروبه ، فطلب من كاتبه عبد الحميد المرافق له تسجيلها في رسالة جامعة . لذلك يمكن اعتبار هذه الرسالة مرآة تعكس الفترة التي عاش فيها (عبد الحميد الكاتب) وظروفها السياسية ، كما أنها تعد في حد ذاتها حادثة ووثيقة تاريخية .

تتألف الرسالة من قسمين مختلفين في الموضوع :

١ ـ نصائح وتحذيرات وارشادات أخلاقية عامة وبالأخص آداب السلوك والمراسم المتبعة في القصر وقواعد التعامل مع الحاشية والجلساء من القادة والموظفين ومختلف طبقات الشعب .

٢ ـ شبه كتاب في فن الحرب وتنظيم الجيش .

بعد استعراض الفصول العديدة تنتقل الباحثة الألمانية إلى ترجمة رسالة عبد الحميد الكاتب ، محاولة الاقتراب من النص العربي والتمسك حرفياً بعباراته في سبيل المحافظة على أسلوب المؤلف بقدر الامكان . ثم تعقد فصلاً لشرح الرسالة من حيث الموضوع أولاً ثم اللغة والأسلوب ثانياً .

تبدأ الباحثة بالسؤال عن الينابيع الحضارية وبالأخص الأدبية التي استقى منها عبد الحميد الكاتب مضمون رسالته وأسلوبها .

وقد قيل إن عبد الحميد الكاتب كان يحسن الفارسية وانه نقل عنها بعض الكتب التي لم يصل إلينا شيءٌ منها . وترى الباحثة انه على الأقل كان مطلعاً على نماذج من الأدب الفارسي الذي كثرت الترجمة عنه في ذلك العهد . وكان معاصره وصديقه ابن المقفع من أنشط وأبرز المترجمين

عن الفارسية ، وتدل مؤلفاته العديدة ، مثل (الأدب الكبير) و (رسالة في الصحابة) و (كليلة ودمنة) على ثقافته الواسعة في الفارسية والعربية اللتين برع في الجمع بينهما كما كان متأثراً بالفكر الهندي واليوناني .

وقد عقدت الباحثة الألمانية فصلاً للمقارنة بين عبد الحميد الكاتب وابن المقفع قائلة : إن الأخير الذي نال شهرة أوسع واهتماماً أكبر ، حتى لدى العلماء الغربيين ، كان مجوسياً أسلم في العهد العباسي ، وإن الرجلين يختلفان في موقفهما الديني ، إذ ان عبد الحميد في رسالته إلى الكتاب يتحدث باخلاص المسلم المؤمن الذي يخشى الله في حين أننا لانجد في كتاب (الأدب الكبير) لابن المقفع أي إشارة إلى ديانته ، الأمر الذي يؤيد رأي الكثيرين القائلين بأن إسلامه لم يكن صحيحاً وانه ظل متمسكاً بعقيدته (المانوية) أو (المزدكية) وحريصاً على نشر التراث الفارسي مما دفع المستشرق (غابرييلي) إلى اعتباره من السابقين إلى النزعة الشعوبية . ويعترف (غابرييلي) بأن (ابن المقفع) كان يحب اللغة العربية ويتقنها كل الاتقان ولكنه لايتردد في التضحية بالشكل في سبيل المضمون إذا اقتضى الأمر . انه مثل عبد الحميد يستخدم المحسنات اللفظية نفسها ولكن في نطاق محدود وبعبارات ضعيفة . وإذا كان أسلوبه واضحاً بوجه عام إلا أن إكثاره من الألفاظ المشتركة ، المتعددة المعاني يؤدي أحياناً إلى الغموض .

إن ابن المقفع كان يركز اهتمامه على المضمون وفحوى الكلام ولايوجه عناية خاصة إلى الشكل والأسلوب . إنه يتبع العقل والمنطق ويعبر عن أفكاره مباشرة عوضاً عن اللجوء إلى المجاز الشعري والاستعارات البديعية . وعلى العكس من ذلك يسعى عبد الحميد الكاتب إلى الجمع بين

الناحيتين . فالأسلوب والتنسيق والتنظيم في بناء الكلام تستحق في نظره من الاهتمام بقدر المضمون الذي لايكتسب قوة التعبير والتأكيد إلا عن طريق الشكل .

ذهب الدكتور طه حسين (في كتابه : من حديث الشعر والنثر) إلى أن عبد الحميد الكاتب كان شديد الاتصال بالثقافة اليونانية بدليل إسرافه في استعمال الحال التي يعتمد عليها اليونان في تحديد معانيهم ، ثم بدليل نصيحته في الرسالة إلى ولي العهد بتنظيم الجيش في وحدات ، كل واحدة من مائة رجل مثلما كان مألوفاً عند اليونان . وقد لاحظ (غابرييلي) أن الدكتور طه حسين يبالغ في إعجابه بالثقافة اليونانية ومدى تأثر عبد الحميد الكاتب بها . وحاول الأستاذ (شوقي ضيف) في كتابه (الفن ومذاهبه) أن يقف في منزلة وسطى بين الدكتور (طه حسين) وبين القدماء الذين أجمعوا على تأثره بالفرس فقال ان هذا التأثير كان مباشراً . اما تأثره باليونان فلعله جاءه عن طريق ختنه (أبي العلاء سالم) الذي يقول عنه صاحب (الفهرست) انه كان أحد الفصحاء ، البلغاء وانه نقل رسائل أرسطاليس إلى الاسكندر .

عدا ذلك لم يكن عبد الحميد الكاتب بحاجة إلى مطالعة كتب اليونان لمعرفة نظام الجيش لديهم ، إذ كان يرافق (مروان الثاني) وولي عهده في الحروب ، ويشاهد الاصلاحات العسكرية بنفسه . والغريب من جهة أخرى أن يزعم الدكتور (طه حسين) أن عبد الحميد نثر في رسالته كثيراً من الأوصاف التي أخذها من قصيدة (أوس بن حجر) المشهورة في وصف الرمح . فإن نظرة خاطفة تثبت لنا أن تلك القصيدة لاتتضمن إلا القليل جداً من مصطلحات رسالة عبد الحميد .

بعد استعراض الظروف التاريخية والأجواء الثقافية التي عاش فيها عبد الحميد الكاتب تنتقل الباحثة الألمانية إلى بيان مكانته وأثره في تطور الأدب العربي ونشأة النثر الفني ، فتستشهد بعبارة وردت عند (ابن خلكان) وشاع تكرارها والتي تقول : « فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد » ، وتلاحظ الباحثة أن اسم ابن العميد إنما جرته لازمة السجع ، وأن المقصود بالمدح هو عبد الحميد الكاتب وحده . ثم ترد على قول الأستاذ (شوقي ضيف) بأن الرسائل قد بدأت منذ فاتحة العصر الاسلامي مشيرة إلى أنه لم ينقل إلينا من الخطب وكتب الخلفاء والولاة إلا القليل ، وهي مختصرة ومن غير تفنن خاص ، تقتصر على الأمور الادارية والتعليمية . ثم تضيف قائلة : مهما كان الأمر فان رسالة عبد الحميد الكاتب إلى ولي العهد هي الأولى من نوعها التي وصلت إلينا . ويمتاز عبد الحميد بانه كان يتقن اللغة العربية ويصرفها كما يشاء بالاضافة إلى موهبته الخطابية النادرة التي تساعده على استخدام مختلف وسائل التعبير وتنظيم اسلوبه بالتنسيق بين الشكل والمضمون .

فرسالته أبلغ شاهد على عبقريته .

وقد خصصت الباحثة (شونيغ) فصلاً لدراسة لغة عبد الحميد وأسلوبه وأشارت إلى ماحظي به من مدح في كتب الأدب العربية وكتب المستشرقين . فكان يضرب به المثل في البلاغة والفصاحة حتى أصبح إماماً وقدوة للذين جاؤوا بعده من كتاب الرسائل . وتستشهد الباحثة بكلمة الأستاذ (شوقي ضيف) التي يعبر فيها عن إعجابه بهذا الكاتب وتقديره له إذ قال : « الكتابة عنده تروق العين والأذن كما تروق العقل والقلب » . كما لاحظ أحد المستشرقين ان نثره لايدل على صنع

كاتب يسجل الحروف بل إنما هو خطيب وكأنه يريد ترتيل كلمات رسالته بصوت عال . ثم تقول الباحثة الألمانية : ان أبرز خصائص أسلوب عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى ولي العهد هي العبارات الكثيرة ، المتوازية ذات التوقيع والتعادل الصوتي . وقد اشتهرت الرسالة بالتطويل والإسهاب . فعبد الحميد لايعبر عن الفكرة بكلمة واحدة ، وإنما في عبارتين أو عبارات عديدة تتلاحق بصورة تؤدي إلى تعادل موسيقي .

ويتبين من دراسة الرسالة كلها اهتمام كاتبها وعنايته الزائدة بالأسلوب . وقد قامت الباحثة باستعراض العناصر الأساسية التي استخدمها عبد الحميد في الإنشاء مع أمثلة عديدة واضحة .

تمتاز اللغة العربية بكنز غني من المفردات التي تكثر بينها أولاً : الكلمات المشتركة ، متعددة المعاني حتى نرى أحياناً الكلمة تفيد في الوقت نفسه ضدها ، وثانياً : هناك عدد كبير من المترادفات . ان عبد الحميد لم يكن يقصد الاستعانة في أسلوبه بالكلمات المشتركة . أما المترادفات فكان يستخدمها بكثرة ولكن لغاية خاصة هي توضيح وتأكيد المعنى ثم تحقيق التوازن الموسيقي عن طريق انتقاء وتنسيق الكلمات مزدوجة . ثم تسترسل الباحثة في تعداد المحسنات اللفظية التي برع عبد الحميد في استخدامها من تضادّ وطباق ومقابلة واستعارة وتشبيه ومجاز وتجنيس الاشتقاق . وخلافاً لما شاع عنه كان السجع نادراً في رسالته ، إنما كان يكثر من الترصيع الذي يرافق السجع أحياناً . ولعل أبرز خاصة له هي كثرة استعماله للحال والتميز . ويبدو أنه قد اقتبس ذلك عن أستاذه (سالم) وابنه (عبد الله) اللذين كانا أيضاً يكثران من استعمال الحال

تقليداً لليونان . وكذلك الأمر في استخدامه للصفة إذ كان يضعها من الجملة حيث يقتضي وضعها ، ثم في تقسيمه الكلام إلى فصول حيث يؤدي كل جزء فكرة ومعنى .

على أنه مهما كان عبد الحميد قد اقتبس من الأدب الفارسي أو اليوناني سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة فإن تأثير الخطباء من العهد الجاهلي وصدر الإسلام كان أبلغ وأكثر وضوحاً . وعندما سئل عبد الحميد نفسه كيف اكتسب هذه البلاغة أجاب : « بحفظ كلام الأصلع » وهو يقصد الخليفة علي بن أبي طالب . وعلى كل حال فان دراسة الرسالة إلى ولي العهد تبرهن على أن عبد الحميد الكاتب كان رجلاً مثقفاً يحفظ القرآن وكثيراً من الأشعار ويملك ناصية اللغة العربية ، ويمتاز بالفصاحة والبلاغة . وتعود الباحثة إلى تكرار عبارة وردت في (العقد الفريد) : « كان عبد الحميد أول من فتق أكام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر » . عنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا ، ثم تقول : « إن عبد الحميد الكاتب كان رائداً ، سبق أنموذج الأديب في القرن الثالث الهجري الذي كان يمثله الجاحظ أحسن تمثيل ، والذي امتزجت لديه المبادئ الانسانية بالمثل الأعلى الأموي في الشرف والنزاهة بالاضافة إلى تراث الجاهلية العربية » .

لقد أجادت الباحثة الألمانية (شونيغ) في رسم شخصية عبد الحميد الكاتب المتميزة ، المستقلة ، وفي بيان ثقافته الواسعة ومواهبه اللغوية والبديعية ، وإبراز مكانته في تطور الأدب العربي ونشأة النثر الفني ، وبذلك استطاعت أن تكشف عن ناحية لامعة ، خلابة من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية مازال أكثر الغربيين يجهلونها .

في نحو اللغة وتراكيبها

للدكتور خليل عمايرة

الدكتور سمير شريف ستيتية

اطّلعت على كتاب صدر حديثاً تحت عنوان : في نحو اللغة وتراكيبها - منهج وتطبيق . مؤلف الكتاب هو الزميل الدكتور خليل عمايرة ، الأستاذ المشارك بجامعة اليرموك .

قرأت الكتاب ، وأنا تتنازعني صرامة الحرص على العلم ، التي هي أشد وطأ ، وصرامةُ الحرص على أخوّة العمل ، التي هي أقوم قيلا . ان الذي يفجأ القارئ كثرة الادعاءات التي جاءت في هذا الكتاب ، والمجازفة باطلاق الاحكام ، ونسبة أقوال إلى العلماء أو تحريفها ، حتى

● تنشر مجلة المجمع هذا المقال النقدي ، ورائدها الأول أن يفتح الباب واسعاً لأقلام العلماء المختصين ليشاركوا في مناقشة الموضوع ، وفي تقديم بحوث معمقة تضع بين يدي القارئ العربي أبرز الآراء الجديدة في علم اللسانيات الذي خطا في الغرب خطوات واسعة ، والتي نأمل أن نخصب بها دراساتنا اللغوية العربية المعاصرة . وليس أدعى إلى تلقيح العقول وانضاج الدراسات من المناقشة العلمية والمذاكرة والنقد البنّاء .

● أرجأت المجلة نشر المقال مدة ، بغية أن تحصل على نسخة من كتاب الأستاذ الدكتور خليل عمايرة ، فلم يُتح لها ماأمّلت .

● تؤمن المجلة بالنقد العلمي الهادئ الهادف . وقد بدا في اسلوب الأستاذ الدكتور ستيتية في بعض المواضع شيء من الاندفاع العاطفي ، لعله أثر من آثار انغماسه في موضوعه . وانّنا نأمل أن نتمسك جميعاً ، كُتّاباً وناقدين ، بالاسلوب الهادئ الرصين الذي دعا إليه أجدادنا العرب حين سطروا في كتبهم آداب المناظرة والمناقشة والنقد والحوار ، مادمنا جميعاً نبغي الوصول إلى الحق ، ونقف نفوسنا لبلوغه .

كان ذلك طابع الكتاب ، وسمته الاساسية . وسآتي على ذلك كله في بيان فاصل ، تاركاً الحكم للقارئ الكريم . على أني حاولتُ جاهداً ، أن أترك أية مسألة فيها خلاف ، أو مناقشة أية فكرة ، يمكن أن يكون لها من موارد الاحتمال مورد .

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه ، أن فكرة هذا الكتاب تكونت لديه عندما كان يناقش مع أحد العلماء الالمان ، أثناء مشاركته في المؤتمر الثالث للبحث في تراكيب اللغة الذي عقد في بولندا سنة ١٩٨٠ م ، فكرة العناصر الرئيسة للتراكيب اللغوية بعامة ، والخصائص المشتركة لتراكيب عدد من اللغات . ثم أتيحت له فرصة مناقشة هذه الفكرة بالتفصيل جزءا جزءا ، كما يقول المؤلف ، مع أحد أشهر علماء اللغة المعاصرين ، **مؤسس علم النحو الوظيفي** الجديد Functional Grammar وهو البروفسور Kuno[1] ولقد ذهلت حين قرأت هذا الوصف لهذا العالم . فالبروفسور Kuno ليس هو مؤسس علم النحو الوظيفي . لقد وضع المؤلفُ هذا العالمَ في مكان لم يكن ليدعيه لنفسه يوما ، ولا وصفه به أحد من العلماء . ان النحو الوظيفي functional Grammar هو مذهب مدرسة براغ Prague School التي يقف على رأسها R . Jakobson و N . Trubetzkoy . ولو أن الدكتور خليلا قرأ كتاب العالم الامريكي G . Sampson أو اطلع عليه ، وعنوانه Schools of Linguistics لعرف هذه الحقيقة . ففي الكتاب المذكور ، فصل كامل عن علم اللغة الوظيفي . وقد سمى Sampson هذا الفصل كما يلي : Functional Linguistics : the prague School والجدير بالذكر أن Sampson لم يذكر اسم العالم Kuno ، ولامرة واحدة في هذا الفصل ، بل لم يرد له ذكر في ذلك الكتاب . وهذا وحده كاف للدلالة على خطأ مازعمه الزميل الكريم . وحتى يطمئن

القارئ ، والدكتور خليل كذلك ، إلى أن النحو الوظيفي هو مذهب مدرسة براغ التي يقف على رأسها R . Jakobson و Trubetzkoy ، فما عليه الا أن يقرأ ما قاله العالم John Lyons في الجزء الثاني من كتابه Semantics : « ان من أهم خصائص مدرسة براغ التي تميزها عن غيرها من المدارس اللغوية هو تركيزها على الوظيفية Functionalism[٢] . ولست أستكثر على البروفسور Kuno ولاغيره ، أن ينتمي إلى هذه المدرسة ، ولكني أنكر على الدكتور خليل ، أن يصفه بأنه مؤسس علم النحو الوظيفي .

ليس هذا هو الادعاء الوحيد الذي انزلق اليه الأخ الزميل ؛ فلقد ذكر في المقدمة أيضاً ، أن كتابه (يعرض وجهة نظر في دراسة الأساليب اللغوية في اللغة العربية ، في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ومعطياته ، مع الاهتمام الكبير بالمعنى ، الذي تتضمنه التراكيب اللغوية لابرازه على أسس مستقاة من اللغة العربية ، واتخاذه نواة ، لاعادة ترتيب أبواب النحو العربي ، لدراسة لغوية دلالية ، فقد عرضنا فيه **نظرة جديدة للنظرية التوليدية التحويلية ، استعملنا فيها المصطلحات بمعان محددة جديدة**)[٣] .

قبل أن أبين التناقض الصريح بين هذا النص ، والنص الذي قبله ، ونصوص أخرى في الكتاب أود أن أرد مافيه من ادعاءات ، فأقول : ان المؤلف لم يعرض في كتابه ، كما زعم ، نظرة جديدة للنظرية التوليدية التحويلية . بل ان تحليله للتراكيب العربية في كتابه كان ، في الغالب ، على وجه واحد من وجوه نظرية تشومسكي ، وهو (العناصر المترابطة) أو ما يسمى في الانكليزية بـ Immediate Constituent Analysis . وهو

أسلوب من التحليل لم يعد متبعا في نظرية تشومسكي الا في حالات معينة ، وذلك لعدم كفايته . ولنفرض أن الدكتور عمايرة طبّق نظرية تشومسكي بحذافيرها على التراكيب العربية ، وهو أمر غير واقع ، فهل يكون بذلك قد درس الأساليب العربية في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ومعطياته ؟ وهل نظرية تشومسكي هي علم اللغة المعاصر ؟ لقد فتشت في الكتاب كله ، لأجد مصطلحاً واحداً من مصطلحات نظرية تشومسكي استعمله المؤلف بمعنى جديد ، كما قال ، فلم أجد . وأحسب أن الدكتور لايستطيع أن يزودنا بمثال واحد يثبت صحة ادعائه . وبذلك يسقط ادعاؤه بأنه استعمل المصطلحات بمعان جديدة . وبحثتُ في الكتاب كله ، عن محاولته لاعادة ترتيب أبواب النحو العربي ، في ضوء المعنى فلم أجد ، فسقط الادعاء بذلك أيضا . أما أن هذا النص يناقض النص الذي قبله ، فليس بيانه بالعسير ؛ فهو في هذا النص ، يصرح بأن كتابه (يعرض وجهة نظر في دراسة الأساليب اللغوية في العربية ، في ضوء نتائج علم اللغة ، مع الاهتمام بالمعنى) ، في حين تجده يصرح في النص الأول الذي في المقدمة ، أن فكرة الكتاب هي فكرة العناصر الرئيسة للتراكيب بعامة ، والخصائص المشتركة لتراكيب عدد من اللغات ، وهي الفكرة التي ناقشها جزءا جزءا مع البروفسور Kuno حتى نمت وصقلت كما يقول .

وأما أن هذا النص يناقض نصوصاً أخرى في الكتاب ، فواضح من أنه ، بعد أن تبنى النظرية التوليدية التحويلية ، ليحلل التراكيب العربية على أساسها ، راح يشنّ هجوما على صاحب النظرية وأفكاره ، اذ قال : (هذه هي الأسس التي تقوم عليها نظرية تشومسكي ، ونرى أن في بعض هذه الأسس أو الجوانب غموض وتعميم (كذا) ، مرده إلى

طريقة صاحب النظرية في عرض أفكاره ، فهو يعتمد على مصطلحات عامة غامضة ، بعضها موجود في نظريات العلماء الذين سبقوه ، ولكنه يذهب بها إلى معان جديدة ، دون أن يشير الى التعريف الجديد ، الذي يحدد مايريده هو به . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، نجد أنه يعرض فكرة ثم يقلع عنها إلى غيرها ، وبسرعة غير متوقعة ، فأفكاره متقلبة متبدلة تارة ، متتابعة تارة أخرى . ولا نعني بذلك أنها نظرية غير ثابتة)[٤] . وانه لمن حق القارئ أن يتساءل : ماذا يكون مصير محاولة الدكتور خليل ، وهو يعتمد في تحليله على نظرية ، ماأسرع أن يقلع صاحبها عن أفكاره ؟ ثم لست أدري ماقيمة أن يقول الدكتور خليل عن نظرية تشومسكي (ولانعني بذلك أنها نظرية غير ثابتة) ، بعد أن وصفها عمليا بأنها غير ثابتة ؟ لقد كان عليه ، وهو يصف صاحب النظرية ، بأنه يقلع عن أفكاره بسرعة غير متوقعة ، أن ينظر إلى الأفكار التي يقلع عنها صاحبها ، فلا يعتبرها من أصول النظرية . لكنه لم يفعل ، فاعتبر (الجملة النواة) ، أو ماكان يسمى في نظرية تشومسكي بـKernel Sentence بأنه لابد منها لفهم الجملة ، وتحديد معناها الدلالي[٥] وبنى عليها التحليل في الكتاب كله ، مع أن تشومسكي غيّر رأيه بشأنها ، ووصفها مؤخرا ، بأنه ليس لها دور مميّز ، في توليد الجمل أو تفسيرها[٦] . ولعل هذا الموقف الجديد الذي انتهى إليه تشومسكي بشأن الجملة النواة Kernel Sentence هو الذي دفع العلامة John Lyons إلى القول إن الجملة النواة قد فقدت أهميتها الأصلية في نظرية تشومسكي[٧] .

ومن الادعاءات التي وردت في كتاب الزميل الدكتور عمايرة ، وليس لها أساس من الصحة ، أنه وصف ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية ، بأنه صاحب نظرية التوقيف في أصل اللغة[٨] .

ولست أدري كيف يصح في فهم الدكتور عمايرة ، أن يكون ابن فارس هو صاحب نظرية التوقيف في أصل اللغة ، مع أن الامام الأشعري الذي توفي سنة ٣٢٤ هجرية ، أي قبل ابن فارس بنحو سبعين سنة ، كان من القائلين بنظرية التوقيف ، كما صرح بذلك الامام السيوطي[٩] .

يتساءل الدكتور عمايرة قائلا : (فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة ؟ وماموضوعاته ؟)[١٠] . ثم أجاب عن هذا التساؤل قائلا : (هناك عدة عقبات تعترض طريق من يريد تعريف علم اللغة ، أو تحديد موضوعاته . وربما كان من أهم هذه العقبات ، أن هذا العلم يعد من العلوم الحديثة ، التي نشأت منذ زمن ليس بالبعيد ، ومن العقبات كذلك ، أن هذا العلم ينمو ويتطور بسرعة كبيرة ، بسرعة لاتسمح لمصطلحاته بأن تتضح تماما) . ان في هذه الفقرة ، والسؤال الذي سبقها ، من الأخطاء والادعاءات والتناقضات مالانستطيع أن نذكره كله في هذا المقام الذي لايحتاج إلى إطالة ، وأكتفي بذكر بعضها :

١ ـ ان علماء اللغة يعرّفون هذا العلم ، بأنه الدراسة العلمية للغة[١١] . ولاتوجد أية عقبة أمام من يريد تعريف هذا العلم . بل ان هذا التعريف يكاد يجابهك في الصفحات الأولى من كتب أوليات علم اللغة .

٢ ـ لست أدري ماالذي يقصده الدكتور عمايرة من قوله : (فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة ؟) اذ أن هذا التساؤل يوحي بأن علم اللغة شيء ، والدراسات اللغوية شيء آخر .

٣ ـ أما الادعاء بأن من العقبات التي تجابه من يريد تعريف هذا العلم ، هو كون هذا العلم حديثا ، فادعاء غير سليم . فهناك علوم حديثة ، بل هي أحدث من علم اللغة ، وهي تتطور وتنمو بسرعة مذهلة

جدا . ومع ذلك ، لايجد المتخصصون ، على الأقل ، صعوبة في تعريفها . فهندسة الفضاء ، وعلم الذرة ، وعلم الأجنة ، وعلم الأرصاد الجوية ، كلها علوم حديثة ، وهي تتطور بسرعة عجيبة . ومع ذلك ، فاننا لانجد صعوبة في تعريفها ، حتى ونحن لسنا متخصصين فيها .

٤ ـ لقد ناقض الدكتور عمايرة نفسه ، حين نقل تعريف علم اللغة ، عن علماء اللغة ، بعبارة توحي بوجود نوع من الاتفاق على التعريف . يقول الدكتور عمايرة في موطن آخر : (أما علم اللغة عند معظم العلماء المعاصرين ، منذ دي سوسير إلى يومنا هذا ، فهو العلم **الذي يقوم بدراسة لغة ما في ذاتها ولذاتها دراسة علمية دقيقة** ، تعطي وصفا دقيقا لأنظمة اللغة)[١٢] . فأين ذهبت (العقبات) التي تجابه من يريد تعريف هذا العلم ؟

انه لمن العجب العاجب ، أن ينسب الدكتور عمايرة إلى العلماء المحدثين ، أن آراءهم قد أخذت تتجه إلى حصر علم اللغة ، في الميادين التالية (وأنا هنا أنقل تلك الميادين كما ذكرها الدكتور عمايرة ، مع ذكر ماأورده من مقابل لأسمائها في الانكليزية دون تغيير)[١٣] :

علم الأصوات	PHonology
علم الصرف	Morphology
علم التراكيب	Syntax
علم المعاجم	Loxicology (كذا)
علم الدلالة	Semantix (كذا)

أما أن العلماء المحدثين قد اتجهوا إلى حصر ميادين علم اللغة في هذه المجالات ، فادعاء غير سليم البتة . فان فروع هذا العلم تكاد تبلغ

العشرين الآن . ولقد عجبت أشد العجب ، حين ذكر المؤلف أن علم الأصوات هو Phonology ، وهذا يدل على أحد احتمالين ، الأول : ان الزميل لم يسمع بعلم اسمه Phonetics والذي هو علم الأصوات . الثاني : انه لايعرف الفرق بين علم الأصوات phonetics وعلم الفونولوجيا phonology . وأغلب ظني أن الاحتمالين واردان معا . فان المؤلف عندما ذكر ماأسماه بمستويات التركيب اللغوي ، ذكر على رأسها المستوى الصوتي ، وترجمه مرة أخرى بـ phonology . ثم ذكر أنه يدرس في هذا المستوى الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمة طبقا لمعايير منها : الهواء المندفع من الرئتين عبر جهاز الأصوات ، واستخراج خصائصها ، باستخدام عدد من الأجهزة المعقدة كالاسبكتروغراف(١٤) .

ان علم الفونولوجيا phonology لا يدرس الأصوات طبقا لميكانيكية النطق ، التي عبر عنها الدكتور عمايرة بقوله : (يدرس في هذا المستوى الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمة طبقا لمعايير منها الهواء المندفع من الرئتين عبر جهاز الأصوات) . ان العلم الذي يدرس ميكانيكية النطق ، هو علم الأصوات النطقي Articulatory phonetics ، وليس علم الفونولوجيا phonology . ويدرس علم الأصوات النطقي ، إلى جانب ذلك ، صفات الأصوات في اللغات الطبيعية (البشرية) بصورة عامة ، من مجهورة أو مهموسة ، وقفية أو احتكاكية ، إلى آخر ذلك .

أما علم الفونولوجيا phonology فهو العلم الذي يدرس فونيات phonemes لغة بعينها ، وفروعها النطقية في المواقع المختلفة allophones . ويدرس كذلك ، العمليات الفونولوجية المختلفة من مماثلة assimilation ومخالفة dissimilation وزيادة insertion وحذف deletion وغيرها(١٥) .

ولقد عجبت أشد العجب ، حين وجدت الدكتور عمايرة يعبر عن ميكانيكية النطق بقوله (طبقا لمعايير منها الهواء المندفع من الرئتين عبر جهاز الأصوات) . فليس من الضروري خروج الهواء أو اندفاعه من الرئتين لانتاج الأصوات اللغوية . فهناك أصوات يتم نطقها مع دخول الهواء إلى الرئتين ، وتسمى الأصوات الداخلة[١٦] . وهذه المسألة أصبحت من بدائه علم الأصوات . بل ان هناك أصواتا فموية ، لاحاجة لتيار الهواء الداخل أو الخارج لانتاجها ، وتسمى أصوات الطقطقة click sounds . وهي مستعملة في عدد من اللغات من مثل Sandawe و hadzapi في تانزانيا ، و bushman و hosa في جنوب افريقية[١٧] .

يقول الدكتور عمايرة : فالنعت في العربية تابع يتبع منعوته ولا يتقدم عليه ... ولعل **الترتيب** بين النعت والمنعوت في العربية **وعدم مراعاته** ، هو الذي يؤدي إلى وجود بعض الجمل الملتبسة التي يعتورها الغموض ، فنقول : بقالة الجامعة الجديدة ، مدرسة اليرموك النوذجية ، فينصرف ذهن السامع إلى أن المقصود في الأولى هو البقالة ، وفي الثانية هو المدرسة . وقد يذهب إلى أن المقصود بالنعت هو الجامعة في الأولى ، وأنه جامعة اليرموك في الثانية[١٨] . هذا مايقوله الدكتور عمايرة . أما أن النعت تابع لمنعوته ، فأمر لا خلاف عليه . وأما القول انه لا يتقدم عليه ، فأمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب حقاً ، بخاصة إذا أخذنا بمعايير المدارس اللغوية المعاصرة ، بل إذا اعتبرنا المعنى الذي يريد الدكتور عمايرة أن يعيد ترتيب أبواب النحو على أساسه . ففي بعض الأساليب العربية نقول : (جاء الرجل الشجاع أبوه) ، ونقول : (هذا كتاب جديد محتواه ، كبير حجمه ، ممزّقٌ غلافه) . **فبحسب المعنى** ، تكون كلمة (الشجاع) نعتا لكلمة (أبوه) في الجملة الأولى ، ومع ذلك فقد

تقـدمت على منعوتهـا . **وبحسب المعنى كـذلـك** ، تكـون الكلمـات (جـديـد ، كبير ، وممزق) نعوتـا لكل من (محتـوى ، حجم ، وغـلاف) على التوالي ، ومع ذلك فقد تقدم النعت على المنعوت . هـذا كلـه بحسب المعنى الذي هو الأساس عنـد الـدكتور عمـايرة ، لابحسب الاعراب الـذي يعتبر تفتيتـا للكلمـات ، واماتـة لهـا في نظره[١٩] . وأمـا قـول الـدكتـور عمـايرة (ولعـل **الترتيب** بين النعت والمنعـوت في العربيـة **وعـدم مراعاتـه** هو الـذي يؤدي إلى وجود بعض الجمل الملتبسـة) فقول عجيب حقـا . فما الـذي يؤدي إلى وجود بعض الجمل الملتبسـة ؟ أهو الترتيب كما يقول ؟ أم هو عدم مراعـاتـه كما يقول أيضـاً ؟ وأغرب من هـذا ، المثلان اللـذان قـدمهما المـؤلف ، للتـدليـل على أن الترتيب بين النعت والمنعـوت (وعدم الترتيب طبقا لقوله) هو الـذي يؤدي إلى اللبس ، هـذان المثلان هما : بقالة الجامعة الجديدة ، ومدرسة اليرموك النوذجية .

هـل يقصـد الـدكتـور عمـايرة أن هـذين المثلين غير صحيحين من النـاحيـة اللغويـة لأنـه لايـوجـد فيهما ترتيب ؟ وهـل الترتيب الـوحيـد الصحيح هو أن نقول : البقالـة الجـديـدة للجـامعـة .. إلى آخره ؟ اذن ، فأين دور حركة النعت في الـدلالـة على المنعوت ؟ ألسنـا نقول ، وقولُنـا صحيـح : هـذه بقـالـةُ الجـامعـةِ الجـديـدةِ (بجر الجـديـدة) فنعرف أن (الجديدة) تصف (الجامعة) ؟ أو لسنا نقول كذلـك ، وقولنـا صحيح : هذه بقالةُ الجامعـةِ الجـديـدةُ (برفع الجـديـدة) فنعرف أن (الجـديـدة) تنعت (البقالة) ؟ أما اللبس ، فلا يوجـد الا في حـالـة واحـدة فقـط ، وهي حـالـة جر النعت والمنعوتَيْن ، كأن نقول : مررت ببقـالـةِ الجـامعـةِ الجديدةِ ، إذ يحتمل ساعتئذ أن تكون (الجديدة) نعتا للبقالة والجامعـة ، سواء بسواء . هـذا اللبس قـد يوجـد في حـالـة واحـدة ، هي حـالـة جر

النعت والمنعوتَيْن كما قلت . واذن ، فليس صحيحاً أن الترتيب (وعدمه كما يقول) هو المسؤول عن هذا اللبس . اذ لو كان الأمر كذلك ، لاقتضى الأمر أن يظل اللبس موجودا في حالتي الرفع والنصب ، وجوده في حالة جر النعت والمنعوتَيْن ، وذلك لأن الترتيب واحد في كل الحالات رفعا ونصبا وجرا . هذا هو المنطق الذي يجب أن تحاكم به التراكيب اللغوية .

يقول الدكتور عمايرة ، في معرض حديثه عن التنغيم : (نقول مثلا : حضر علي Ali came بنغمة صوتية مستوية ، فتكون الجملة خبرية . ولكن إذا ما غيّر المتكلم النغمة إلى صاعدة ، فإن المعنى **لامحالة ، متغير إلى معنى الاستفهام**)[٢٠] .ان في هذه العبارة من المغالطات والتناقضات مافيها ، وإني مشير إلى بعضها :

١ ـ ليس صحيحاً أن النغمة الصاعدة تعني فقط (أو لا محالة كما قال) الاستفهام . فقد تعني ، إلى جانب ذلك ، التعجب ، وقد تعني التهكم ، وقد تعني التحذير ، وقد تعني غير ذلك[٢١] .

٢ ـ يناقض الدكتور عمايرة نفسه مناقضة صريحة ، إذ يقول في موطن آخر : (في حين أننا عند النطق بالجملة التحويلية التحذيرية نطقها بنغمة صوتية صاعدة)[٢٢] فأين ذهبت (لا محالة) التي جاءت في قوله (إذا ماغيّر المتكلم النغمة إلى صاعدة ، فإن المعنى **لا محالة متغير إلى معنى الاستفهام**) ؟

٣ ـ إن ملاحظات المؤلف وتقريراته ، وأحكامه التي أصدرها حول النغمة الصاعدة والمستوية ، ليست مبنية على أسس علمية . فقد رأينا انه يحكم بأن الجملة الخبرية ذات نغمة مستوية . وليس الأمر كذلك حقا ، فقد ترتفع النغمة في الجملة الاخبارية ، عند أحد عناصرها التركيبية ،

وقد تنخفض . دعنا نطبق ذلك على المثل الذي جاء به الدكتور عمايرة نفسه ، وهو Ali came ولنر كيف تكون نغمته في ضوء ماتقرره الدراسات العلمية :

Ali came (علي وليس غيره هو الذي أتى)

Ali came (علي جاء ، بالتركيز على فعل المجيء دون غيره)

ففي المرة الأولى ، ارتفعت النغمة عند النطق بكلمة Ali ، فدل ذلك على أن عليا ، لاغيره ، قد أتى . وفي المرة الثانية ، ارتفعت النغمة عند النطق بالفعل ، فدل ذلك على أن عليا قام بفعل المجيء ، دون غيره . هذا كله في الجملة الاخبارية ، وفيها كما رأيت ، صعود ، وفيها كما رأيت هبوط . والجملة الاستفهامية ليست بالضرورة ذات نغمة صاعدة ، فقد ترتفع وقد تنخفض ، كما قرر ذلك العلماء[٢٣] .

٤ ـ ليس صحيحاً ماذهب إليه عمايرة ، حين قرر أن الجملة الطلبية تكون نغمتها الصوتية مستوية[٢٤] . فقد ترتفع النغمة ، وقد تنخفض ، وذلك كما نرى في المثل التالي الذي زعم الدكتور عمايرة أن نغمته مستوية :

احذر الأسد (احذر الأسد دون غيره أو أكثر من غيره)

احذر الأسد (التركيز هنا على الحذر أكثر من أي فعل آخر)

يقول الدكتور عمايرة ان أصحاب المنهج التاريخي في دراسة اللغة ، قاموا بتصنيف اللغات إلى مجموعتين لغويتين كبيرتين هما : (أ) أسرة اللغات الهندية الأوروبية (ب) أسرة اللغات السامية[٢٥] . هذا مايقوله الدكتور عمايرة . أما مايقوله العلماء ، فهو أنهم يقسمون اللغات إلى ثلاث مجموعات كبيرة هي : (أ) اللغات الهندوأوروبية (ب) اللغات السامية ـ الحامية (جـ) اللغات الطورانية[٢٦] .

يقول الدكتور عمايرة (أخذ النحو يعني عند الدارسين اعراب الكلمة في الجمل والتفنن في تخريج الحركة التي لاعامل لها في الجملة ، يعللون أو يتأولون ، وان لم يكن لتلك الجملة معنى . فلو طلبنا من طالب جامعي في الجامعات العربية ، أن يعرب الجملة التالية مثلا ، كما يقول الدكتور تمام حسان : شقأ الشاقئ الشقأة بشقأته ، فانه سيبدأ بالتفكير في الحركة الاعرابية ، ورصد المرفوع ، وربطه بأبواب الرفع في النحو ، وكذلك المنصوب والمجرور ، فيقول :

شقأ : فعل ماض مبني على الفتح

الشاقئ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة ...

إلى أن قال : فالاعراب طبقا لهذا الفهم ، وسيلة تفكيك الجملة إلى قوالب وأجزاء ميتة لاحياة فيها[٢٧] .

ان في هذا النص مغالطات كثيرة ، منها اتهام الدارسين بأنهم يفتنّون في تخريج الاعراب ، حتى ولو لم يكن للجملة معنى . ومن حقنا ، بل من حق القارئ أن يطالب الدكتور عمايرة ، بأن يذكر واحداً من الدارسين يفعل ذلك ، في دراسة علمية مهما كان مستواها . وسامح الله الدكتور تمام حسان الذي استنّ هذا الاتهام ، واصطنع له هذا التركيب الذي لامعنى له ، ليوهم أن الدارسين للنحو العربي يفعلون ذلك ، وليثبت في النهاية ، أن الاعراب فارغ من كل محتوى . ولماذا نصطنع الأمثلة والتراكيب التي لامعنى لها ، لاتهام العلماء والدارسين ؟ وإذا صح ان الطلاب في الجامعة سيعربون هذا التركيب على هذا النحو فهل في ذلك دليل على أن الاعراب لامعنى له ؟ وهل هذا دليل على أن العلماء والدارسين يفعلون ذلك اذا فعله طالب من طلاب اللغة العربية في الجامعات ؟ بل لماذا يذهب الدكتور عمايرة هذا المذهب ، وهذا الذي

نقلـه عن الـدكتور تمام حسـان ، يمكن أن يفعـل في غير لغـة من لغـات العالم بصورة أو بأخرى ؟ ألم ينقل الـدكتور عمـايرة عن تشومسكي الجملـة التالية التي لامعنى لها في الانكليزية[٢٨] :

colourless green ideas sleep furiously

أليس من الممكن أننا إذا أعطينا هذه الجملة لطلبـة اللغـة الانكليزيـة ، في جـامعـة أمريكيـة مثـلا ، وقلنـا لهم : حلّلـوا هـذا التركيب ، أليس من الممكن أن يقولوا :

subject	colourless
adjective	green
verb phrase	sleep
adverb	furiously

هل سيكون ذلك ساعتئذ ، دليلا على أن المصطلحات التالية : subject و adjective و verb phrase و adverb و predicate ميتـة لاحيـاة فيهـا ؟ ولنفرض أن الدارسين حقا ، ذهبوا هذا المذهب ، فأعربوا هذا التركيب ، كما توقـع الـدكتـور تمام حسـان ، فهـل هـذا دليـل على أن الاعراب هـو تفتيت للكلمات ؟

ان موقف الـزميـل عمـايرة من الاعراب ، والـوظيفـة الـدرسيـة التي يؤديهـا ، هو الـذي قـد دفعـه إلى أن يحمّـل كـلام الجرجـاني مـالا يحتمـل فيقول : (ربما كان هذا هو الذي دفع عبـد القـاهر الجرجـاني إلى **إعـادة النظر في النحو** الذي هو عنـده التعليق أو النظم ، والـذي يضم عنـده كذلك المعنى بالاضافة إلى سلامة المبنى[٢٩]) .

ثم ذهب الدكتور عمايرة إلى القول : (ولو حاولنا استخلاص طريقة لتحليل الجملة التالية في ضوء ما يراه الجرجاني لقلنا : ضرب موسى عيسى صباحا أمام المسجد تأديبا له :

عيسى : هو الشخص الذي وقع عليه الضرب

موسى : هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى

ضرب : هو الحدث الذي أوقعه موسى على عيسى[٣٠]

.... إلى آخره .

ثم انتهى الدكتور عمايرة إلى أن مراعاة الجملة ، في ضوء المصطلحات التقليدية ، ليس باليسير . وضرب لذلك مثلا الهندسة الاعرابية التالية ، التي حذف منها ماتشير إليه ، هكذا :

: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة

: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى

: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لانه جمع مذكر سالم .

وهو بذلك ، يريد أن يريك أنك لن تفهم شيئاً من هذه الهندسة الاعرابية . وأنت حقا لن تفهم شيئا ، ولكن السبب هو المغالطة في بناء الهندسة الاعرابية هذه ، على هذا النحو . وسأبين ذلك مفصلا ، بعد أن أرد على استنتاجاته (الجرجانية) :

١ ـ أما الزعم بأن الجرجاني أعاد النظر في النحو ومصطلحاته التي يسميها الدكتور عمايرة تقليدية فكلام تنقضه الأدلة التالية :

(آ) ان الجرجاني لم يطالب بالغاء النحو ولامصطلحاته . وكيف نفعل ، وهو الذي دافع عن النحو العربي دفاعا متميزا ، وذلك كما يتضح من بعض فصول كتابه القيم (دلائل الاعجاز) .

(ب) لقد سلك الجرجاني مسلك النحاة الذين قبله ، واستعمل مصطلحاتهم في كتابه القيم (المقتصد) الذي يقع في مجلدين كبيرين ، وقد طبع مؤخرا ، بعد أن كنت قد قطعت شوطا وأنا أعمل في تحقيقه . وما حاد الجرجاني عن مصطلحات النحو (التقليدية) قيد أنملة .

(جـ) لقد نقل الدكتور عمايرة في ص ١٠٩ من كتابه نصا عن الجرجاني في الدلائل ، وهو قول الجرجاني : (لانظم في الكلم ولاترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ... وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لامحصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله **فاعلا لفعل أو مفعولا** ، أو تعمد إلى اسمين ، فتجعل أحدهما **خبرا** عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني **صفة للأول** ، أو **تأكيدا له** ، أو **بدلا** منه ، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني **صفة أو حالا أو تمييزا**) .

هذا النص الذي نقله الدكتور عمايرة عن الجرجاني ينسف ادعاءه من القواعد بأن الجرجاني أعاد النظر في النحو . ولست أدري لماذا يفهم عمايرة وأناس آخرون نظرية النظم على أنها نسف للمفاهيم والمصطلحات النحوية التي يسمونها تقليدية ؟ أعود إلى النص الذي نقله عمايرة عن الجرجاني ، فأقول انه ينسف ادعاءه بأن الجرجاني أعاد النظر في النحو ، كما ينسف محاولته التحليلية الجديدة ، والتي ادعى أنها في ضوء مايراه الجرجاني . وقد رأينا ان الزميل عمايرة كان حريصا على أن يسقط المصطلحات النحوية (التقليدية) ، زاعما أن ذلك هو منهج الجرجاني :

عيسى : هو الشخص الذي وقع الضرب عليه

موسى : هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى

... إلى آخره .

النص الذي بين أيدينا ، والذي نقله الدكتور عمايرة ، يوضح أن

الجرجاني لايقبل محاولة أحد إسقاط المصطلحات النحوية ، ليستبدل بها غيرها . فكيف يقبل الجرجاني تلك المحاولة إذا نسب شرفها إليه ؟ النصُّ ، على قِصَره ، غاصٌّ بالمصطلحات النحوية (التقليدية) .

٢ ـ أسلفت القول ان الهندسة الاعرابية التالية التي قام الدكتور عمايرة بتصميها لاتعني شيئاً :

: فعل مضارع مرفوع ...

: فاعل مرفوع ...

وهو فعلها كذلك ، من أجل ألا تعني شيئاً ، فيظن القارئ أن الاعراب لا يعني في التحليل الأخير شيئاً البتة . ونحن يمكن أن نفعل الشيء ذاته ، مع (تحليله) الذي ظن أنه في ضوء مايراه الجرجاني ، لنخرج بالنتيجة التي خرج هو بها ، فأقول :

: هو الشخص الذي وقع الضرب عليه

: هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى

: هو الحدث الذي أوقعه موسى على عيسى

ماذا يعني ذلك ؟ لاأجد لهذا السؤال جوابا مقنعا .

ينسب الدكتور عمايرة ، للعالم الفرنسي دي سوسير ، أنه يفرق بين مناهج التحليل التي تعتمد على وصف اللغة في زمن محدد diachronic grammar والمنهج التاريخي synchronic grammar[٣١] . والذي ذكره الدكتور عمايرة عكس الصحيح تماما .

فان synchronic grammar هو الذي يبحث في اللغة في فترة زمنية محددة (المنهج الوصفي) . وأما diachronic grammar فهو المنهج التاريخي .

لست أدري كيف يجيز الدكتور عمايرة لنفسه الادعاء القائل بان K. Pike هو من أتباع مدرسة دي سوسير الذين حملوا أفكاره وطوروها كما

يقول[٣٢] . فأستاذنا العلامة البروفسور pike صاحب نظرية مستقلة هي نظرية Tagmemics التي عرضها في كتابيه Grammatical Analysis و Linguistic Concepts وهو على كل حال ، ليس من أتباع دي سوسير ، ولا عمل على تطوير نظرياته ، كما يدعي الدكتور عمايرة .

ومن المغالطات التي أوقع الزميل الدكتور عمايرة نفسه فيها ، أنه عند استعراضه الخلاف على اسمية نِعْم ، وبئس ، وحبذا ، أو فعليتها ، قال : (والفريقان ـ البصريون ـ والكوفيون ـ يدركان أنه لاتنطبق عليها شروط الاسمية ولا شروط الفعلية ، لا فيما وضعه سيبويه من أن الفعل ما يشير إلى حدث وزمن ، والاسم ما يشير إلى مسمّى ، ولا فيما وضعه ابن مالك بقوله :

بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل
بتا (فعلت) و (أتت) ويا افعلي ونون أقبلنّ فعل ينجلي[٣٣]

في هذه الفقرة جملة من المغالطات التي أكشفها فيما يلي :

١ ـ ان ابن مالك ليس واضعاً لعلامات الاسمية والفعلية . كل الذي فعله ، هو أنه نظم هذه العلامات نظما ، وهي معروفة وموضوعة قبله بزمن طويل . ويكفي أن تعلم أن سيبويه يقول : (كما أنه ليس في الأسماء جزم ، لان المجرور داخل في المضاف إليه ، معاقب للتنوين ، وليس ذلك في هذه الأفعال[٣٤]) ويقول : (ويبين لك أنها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك[٣٥]) . ويقول : (لان الجر للاسم لا يجاوزه[٣٦]) . وهكذا يتبين لك أن ابن مالك ليس واضعا ، وانما هو ناظم لا غير .

٢ ـ وأما أن ما (وضعه) ابن مالك لا ينطبق عليه فعلية ولا اسمية (نعم وبئس) فقول لايُقبل ، إذ على الأقل ، يمكن أن تلحق تاء التأنيث

بنعم وبئس ، فنقول : بها ونعمت ، وبئست الحياة الدنيا ، وذلك بالحاق تاء التأنيث بهما . ويكون ذلك منطبقا على قول ابن مالك :

بتـــــا فعلت ، وأتَتْ .... فعـــــــــل ينجلي

هذا على أقل التقديرات وأقربها إلى التصور .

٣ ـ وأما القول ان الفريقين يدركان أنـه لاشروط الاسميـة ولاشروط الفعليـة تنطبـق على نعم وبئس ، فـاتهـام للفريقين عظيم . ولايستهين بالأدلة التي أوردها الفريقان[٣٧] الا من يستهين بالدليل العلمي .

٤ ـ يتحـدث الـدكتور عمـايرة عن الخلاف بين البصريين والكوفيين على اسمية (نعم وبئس وحبذا) وفعليتهـا . وأحـالنـا إلى المسـألـة الرابعـة عشرة ، من مسائل الخلاف في كتاب ابن الانباري (الانصـاف) ، مع أن الانباري لم يذكر في هذه المسألة إلا الخلاف حول (نعم وبئس) فقط .

يصرح الدكتور عمايرة ، أن ترتيب عناصر الجملـة العربيـة على النحو التالي : OSV غير وارد في العربية الفصحى[٣٨] . وهذا يعني بـداهـة ، أن العربية الفصحى لاتقبل تركيبا يكون العنصر الأول فيه هو المفعول بـه ، والثـاني الفـاعل ، والثـالث الفعل . وعلى هـذا ، لايجوز أن نقول : محمـدا عليّ ضرب ، كما لايجوز أن نقول : محمدا علي ضارب (لأن اسم الفاعل هنا يؤدي وظيفة الفعل) . واسمع ماذا يقول ابن الانباري : (ألا ترى أنـك تقول : عمرا زيد ضارب ؟[٣٩]) .

ومن الادعـاءات الواردة في هـذا الكتـاب قول المـؤلف : (ولم ينص أحـد من النحـاة على أن الـواو ـ واو القسم ـ يمكن أن تـدرج في بـاب حروف الجر[٤٠]) وهـذا قـول خطير ، يفهم منـه أن النحـاة يرفضـون أن تكـون واو القسم حرف جر . يقـول السيـوطي : (ومن الحروف الجـارة

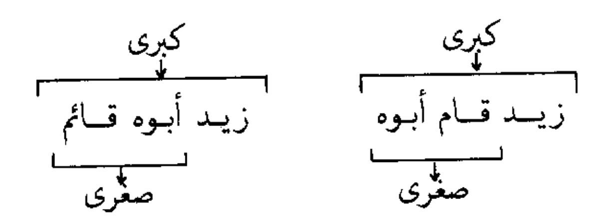
أحرف القسم ، فمنها البـاء ... والواو واللام ، وتختصـان بـاسم ظـاهر[٤١]) ويقـول المرادي في بـاب الـواو : (حرف يكـون عـاملا وغير عـامـل ، فالعامل قسمان جار وناصب ، فـالجـار واو القسم وواو رب[٤٢]) . ويقول المالقي : (ولا تخفض ـ واو القسم ـ في هـذا البـاب الا الظـاهر ، بخلاف الباء ، فانها تخفض الظـاهر والمضمر[٤٣]) . أبعـد هـذا يقـال ان أحـدا من النحاة لم يدرج واو القسم في حروف الجر ؟

ان التوثيـق جـزء من الأمـانـة العلميـة ، التي هي من أهم خصـائص البحث العلمي . ولقـد نسب الـدكتور عمـايرة أقوالا إلى علمـاء لم يقـولـوا بهـا . وسـأكتفي بـإيراد الأمثلـة التـاليـة ، على أن يكـون معلـومـا أنني استخدمت في بيان ذلك الطبعات نفسها التي استخدمها الدكتور عمايرة :

١ ـ نسب في ص ٨٠ إلى السيـوطي أنـه قـال في ص ٨٠ من الجـزء الأول من همع الهوامع : ان جملة (محمد أكرم خـالـدا) هي جملـة كبرى ، مكونة من جملتين صغريين : محمد مبتدأ ، خبره الجملة الفعلية التي تليه في محل رفع . أكرم : جملـة فعليـة ، فـاعلهـا ضمير مستتر تقـديره هو ، يعود على محمد (المبتدأ) . وردي على ذلك يتلخص في الآتي :

(أ) ان شيئا من هذا القول غير موجود في الصفحة التي أشار إليهـا الدكتور عمايرة من الكتاب المذكور للامام السيوطي .

(ب) يقسم السيـوطي الجملـة إلى كبرى وصغرى في مـوطن آخر[٤٤] وضرب لذلك مثلا الجملتين التاليتين :



وعليه ، تكون الجملة التي جاء بها الدكتور عمايرة (وزعم أن السيوطي يجعلها مكونة من جملة كبرى وجملتين صغريين) جملة كبرى وصغرى على هذا النحو :

كبرى

محمد أكرم خالدا

صغرى

٢ ـ نسب في ص ١٣٩ إلى الامام السيوطي ، أنه يقول في ص ١٦٠ من الجزء الأول من الهمع ، أن الفاعل في الآية الكريمة : ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ، محذوف مع أن الظاهر يشير إلى وجوده **متصيدا مما بعده** . هذا مانسبه الدكتور عمايرة إلى الامام السيوطي . والسيوطي لم يقل ذلك ، وانما قال : (ان الفاعل فيه ضمير **مقدر راجع** إلى مادل عليه الفعل) . لاحظ عبارة (راجع إلى مادل عليه الفعل) في عبارة السيوطي ، وعبارة (متصيدا مما بعده) في عبارة الدكتور خليل . .

٣ ـ زعم الدكتور خليل ان النحاة يجعلون الجملة (محمد أكرم خالدا) اسمية فعلية ، اسمية لانه يتصدرها اسم ، وفعلية لان القسم الثاني يتصدره فعل[٤٥] . انني اتحدى أن يذكر الدكتور خليل عالما واحدا من لدن سيبويه ، يعتبر هذه الجملة اسمية فعلية . ان النحاة يعتبرون هذه الجملة اسمية الصدر ، فعلية العجز[٤٦] . وليس سواء أن تكون الجملة اسمية فعلية . وأن تكون فعلية العجز . فهي ليست جملة فعلية بأي اعتبار كان ، وانما عجزها فقط جملة فعلية . اليس هذا تحريفا واضحا ؟

٤ ـ نسب في ص ٨١ ـ ٨٢ إلى الأنباري أنه قال في ص ٧٩ من أسرار العربية : فالجملة الفعلية ماكانت مكونة من فعل وفاعل ، أو مما أصله كذلك ، والاسمية ماكانت مكونة من مبتدأ وخبر ، أو مما كان الأصل فيهما كذلك . يؤسفني أن أقول انه لاوجود لشيء من هذا القول في الأسرار في الموطن الذي ذكر الدكتور عمايرة وجوده فيه .

وقد نسب الدكتور عمايرة هذا القول نفسه إلى المبرد في ص ١٢٨ من الجزء الرابع من المقتضب (انظر هامش ص ٨٢ من كتاب عمايرة) . ولا يوجد شيء من هذا الزعم في المقتضب في الموطن الذي ذكر أن المبرد يقوله فيه .

٥ ـ زعم في ص ١٠٣ أن السيوطي يقول في ص ٤٠ من الجزء الأول من الهمع : (في غيرها تكون لام توكيد تؤكد الخبر وحده ، وأنَّ تؤكد الاسم) . لاوجود لشيء من هذا في الموطن الذي ذكره من ذلك المرجع .

٦ ـ نسب في ص ١٠٦ إلى ابن جني انه قال في ص ٣٢ من الجزء الأول من الخصائص وإلى ابن يعيش انه قال في ص ١٨ ـ ٢٠ من الجزء الأول من شرح المفصل مايلي : (انك لو سلمت جدلا بأن والله جملة ، فانها لاتعطي معنى يحسن السكوت عليه) . ولاشيء من ذلك في هذين المرجعين .

٧ ـ نسب في ص ١٥٠ إلى الدكتور إبراهيم السامرائي انه يقول في ص ٥١ من كتابه فقه اللغة المقارن : ان الاكادية قد عرفت الحركات الثلاث التي تعبر عن حالات الرفع والنصب والجر في بداية أمرها ، ولكنها تخلت عن واحدة واحتفظت باثنتين ، ووظفت واحدة منهما لحالتي النصب والجر وهي الفتحة ... إلى آخر ذلك . وقد رجعت إلى

الصفحة التي ذكر انه نقل عنها من كتاب الدكتور السامرائي ، فلم أجد شيئاً من ذلك .

٨ ـ نسب في ص ١٥١ إلى الدكتور إبراهيم السامرائي انه فسَّر في ص ١٦ من كتابه المشار إليه سابقا ، الهاء الموجودة في الحبشية . ولا وجود لشيء من ذلك في الموضع الذي ذكره من المرجع المشار إليه .

٩ ـ نسب إلى بروكلمان أنه قال في ص ٣٧ من كتابه فقه اللغات السامية مايلي :
(في الحبشية بقيت حالة الرفع في الاعداد ... إلى آخر ذلك) . هذا النص غير موجود في الصفحة المشار إليها ، وإنما هو موجود في ص ١٠١ من الكتاب المذكور .

١٠ ـ نسب في ١٥٥ إلى ربحي كال ، وإلى السامرائي ، انهما يقولان بان الحركة الاعرابية من اختراع النحاة . أما السامرائي ، فقد صرح بنقيض ذلك تماما فقال : (ووجه الخطل في هذا الرأي أن العربية كانت معربة منذ أقدم العصور[٤٧]) .
وأما ربحي كال ، فقد قال شيئا آخر ، لاعلاقة له بموضوع الحركة الاعرابية ابدا . ومع ذلك فان الدكتور عمايرة نسب إليه في موطن آخر (ص ١٥١) انه يقول : ان الحركات في العبرية طارئة ، ومن اختراع النحاة في القرنين السابع والثامن ، وضعوها في ضوء نظام الحركات في كل من العربية والسريانية .
ولعمري ، ان الاستشهاد بهذا النص من الغرائب ، وسبب ذلك مايلي :

(آ) ان الدكتور ربحي كال لا يتحدث عن الحركات الاعرابية في العبرية . **فالعبرية ليست لغة معربة** . ولهذا ، فان استشهاد الدكتور

عمايرة بهذا النص ، في موطن الحديث عن موقف العلماء من الحركات الاعرابية ، واستعراض آراء القدامى والمحدثين بشأنه ، ليس في محله .

(ب) الدكتور ربحي كمال يتحدث عن الرموز الكتابية للحركات التي في داخل الكلمة العبرية . فمثلا رمز الفتحة القصيرة ـــــ ، ورمز الفتحة الطويلة ـــــ T ، ورمز الفتحة الطويلة الممالة ـــــ ،ورمز الضمة القصيرة ـــــ ، ورمز الفتحة القصيرة الممالة ـــــ ، إلى آخر ذلك ، كان من وضع النحاة اليهود في القرنين السابع والثامن ، وهذا صحيح .

١١ ـ رد في ص ١٥٥ على داود عبده الذي نسب إليه الدكتور عمايرة ، انه يقول : إن العرب كثيرا مايلجؤون إلى التحريك عند التقاء الساكنين . وهذا ليس هو رأي داود عبده إلا كما تكون (فويل للمصلين) مقطوعة من سياقها . فالدكتور داود عبده يقول : (وسأحاول فيما يلي أن أقدم عددا من الأدلة اللغوية التي تشير إلى أن حركات أواخر الكلمات ليست للوصل إلا في حالات معينة[٤٨]) . وقد رد داود عبده على إبراهيم أنيس فقال : (أما في الفصحى فلا ينطبق الرأي الذي نادى به إبراهيم أنيس إلا على حالة واحدة ، هي حالة التقاء كلمتين الأولى منهما منتهية بصوت صحيح ساكن ، والثانية مبتدئة بصوت صحيح ساكن[٤٩]) .

١٢ ـ في ص ١٥٧ نقل النص التالي عن ابن جني : (ولما كانت معاني المسمّين مختلفة ، كان الاعراب الدال عليها مختلفا أيضا) . وبعد أن أشار إلى مصدر هذه العبارة أحالنا إلى مرجعين آخرين ، هما سر الصناعة لابن جني ، ومدرسة الكوفة للمخزومي . وقد رجعت إلى ص ٢٥٦ من كتاب المخزومي ، وهي الصفحة التي أحالنا إليها الدكتور عمايرة ، فاذا هو يتحدث عن شيء آخر ، يتحدث المخزومي عن علامات الاعراب عند

الكوفيين ، فيقول : (وعلامات الاعراب عند الكوفيين حركات وحروف . أما الحركات فهي العلامات الغالبة ، وهي الدالة على المعاني الاعرابية في أكثر الأسماء المعربة . وأما الحروف فهي علامات خاصة ، لاتدل على المعاني الاعرابية إلا في مواطن معدودات ، وفي لهجات دون أخرى[٥٠]) . فأين هذا النص من مضمون عبارة ابن جني حتى يحيلنا الدكتور عمايرة إلى هذين المرجعين في وقت واحد ؟

١٣ ـ في ص ١٩٠ ينسب إلى الانباري مايلي : والتلازم نوعان ، نوع يكون فيه الفصل بين المتلازمين ممكن سائغ (كذا) ، بل ويؤدي غرضا بلاغيا ، أو يوصل إلى معنى تحويلي ، وهو القائم بين الفعل والفاعل . لايوجد شيء من ذلك فيما أشار إليه الدكتور من المصدر المذكور .

١٤ ـ ومن النقول التي حرفها المؤلف ، مانقله في ص ١٦ عن السيوطي ، فقال : (يقول السيوطي : اعلم ان اللغوي شأنه ان ينقل مانطقت به العرب ...) وقد رجعت إلى السيوطي فوجدته يقول : (قال عبد اللطيف البغدادي في شرح الخطب النباتية : اعلم ان اللغوي شأنه ...[٥١]) فالقول اذن ، قول عبد اللطيف البغدادي ، ولا يجوز أن ينسب إلى السيوطي لأنه نقله في كتابه .

لاأريد أن استرسل في الحديث عن المغالطات والادعاءات وتحريف الأقوال في هذا الكتاب ، فما ذكرته يكفي . وعلى كل حال ، فقد حمدت للدكتور عمايرة ثناءه في المقدمة على الذين ذكر أنهم قدموا له الملاحظات النافعة ، ومنهم الدكتور يوسف الهلّيس ، أستاذ الأصوات في الجامعة الأردنية ، والبروفسور S . EL - ANI أستاذ الأصوات في جامعة انديانا . والبروفسور EL - ANI ، عزيزي القارئ ، هو الأستاذ الدكتور سلمان

العـاني ، عربي وابن عربي . ولاداعي للعتب لـورود اسمـه بـالانكليزيـة ، دون سـائر الاسـاتـذة العرب الـذين ورد ذكرهم في المقـدمـة ، فهـو ليس معروفـا لكثير من قراء العربيـة ، وأمـا الآخرون فهم معروفـون للقـارئ العربي .

الحواشي والتعليقات

(١) خليل عمايرة في نحو اللغة وتراكيبها ، ص٧ .

(٢) John Lyons , **Semantics** 2 , 506 .

(٣) خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ٨ .

(٤) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٦) N . Chomsky , **Aspects of the theory of Syntax** , 1982 , P . 18

(٧) J . Lyons , **Semantics** , 2 , P . 467 .

(٨) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٩) السيوطي ، المزهر جـ ١ ، ص ٢٥ .

(١٠) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

(١١) انظر مثلا :

1 - John Lyons . **Language and Linguistics** , P . 37

2 - F . Dinneen . **An Introduction to General Linguistics** , P . 1

3 - R . Wardhaugh . **Introduction to Linguistics** , P . 1

4 - F . Southworth & Ch . Daswani . **Foundations of Linguistics** , P . 5

(١٢) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٢٩

(١٣) المرجع السابق ، ص ١٨

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٦

(١٥) انظر مثلا :

1 - P . Postal . **Aspects of phonological Theory**

2 - F . Dell . **Generative phonology**

(١٦) يسميهـا أستـاذي البروفسور Catford بـ Suction Sounds انظر كتـابـه الممتـاز : **Fundamental Problems in phonetics , p . 64** ويسميهـا أستـاذي البروفسـور Pike بـ Ingres-sive Sounds . انظر كتابه : **phonetics** , p . 88

(١٧) Catford . **Fundamental problems in phonetics** , pp 71 - 72

(١٨) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٢١

(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢١) انظر نظائر ذلك في : K . pike . **Tone Languages** , p . 16

(٢٢) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٢٣) W . Smalley **Manual of Articulatory Phonetics** , pp . 90 -94

(٢٤) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٢٦) علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص ١٩٦ .

(٢٧) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٣٠) المرجع السابق ، ص ٣٤ .

(٣١) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ١١٠ ـ ١١١ .

(٣٤) سيبويه ، **الكتاب جـ ١** ، ص ١٤ .

(٣٥) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣٧) الانباري ، **الانصاف جـ ١** ، المسألة الرابعة عشرة .

(٣٨) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٣٩) الانباري ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٤٠) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٤١) السيوطي ، **الفرائد الجديدة جـ ٢** ، ص ٥٧٠ .

(٤٢) المرادي ، **الجنى الداني** ، ص ١٥٣ .

(٤٣) المالقي ، **رصف المباني** ، ص ٤٢٠ .

(٤٤) السيوطي ، **همع الهوامع جـ ١** ، ص ١٣ .

(٤٥) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٤٦) السيوطي ، **همع الهوامع جـ ١** ، ص ١٣ .

(٤٧) إبراهيم السامرائي ، **فقه اللغة المقارن** ، ص ١٢١ .

(٤٨) داود عبده ، **أبحاث في اللغة العربية** ، ص ١٠١ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٥٠) مهدي المخزومي ، **مدرسة الكوفة** ، ص ٢٥٦ .

(٥١) السيوطي ، **المزهر جـ ١** ، ص ٥٩ .

المـــــراجع

أولا : المراجع العربية

١ ـ الأنباري ، أبو البركات . أسرار العربية ، تحقيق محمد بهجة البيطار ، دمشق ، مطبعة الترقي ، ١٩٥٧ .

٢ ـ الأنباري الانصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٩٦١ .

٣ ـ بروكلمان ، كارل . فقه اللغات السامية ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، ١٩٧٧ .

٤ ـ ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، بيروت ، دار الهدى ، بدون تاريخ .

٥ ـ السامرائي ، إبراهيم . فقه اللغة المقارن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨ .

٦ ـ سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان . الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

٧ ـ السيوطي ، عبد الرحمن . الفرائد الجديدة ، تحقيق عبد الكريم المدرس ، بدون تاريخ .

٨ ـ السيوطي المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقيه ، القاهرة : البابي الحلبي ، بدون تاريخ .

٩ ـ السيوطي همع الهوامع ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ .

١٠ ـ عبده ، داود . أبحاث في اللغة العربية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٣ .

١١ ـ عمايرة ، خليل . في نحو اللغة وتراكيبها . جدة ، عالم المعرفة ، ١٩٨٤ .

١٢ ـ كمال ، ربحي . دروس اللغة العبرية . دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٦ .

١٣ ـ المالقي ، أحمد . رصف المباني ، تحقيق أحمد الخراط ، دمشق ، ١٩٧٥ .

١٤ ـ المبرد ، أبو العباس محمد . المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة ، بيروت ، عالم الكتب .

١٥ ـ المخزومي ، مهدي . مدرسة الكوفة ، القاهرة ، البابي الحلبي ، ١٩٥٨ .

١٦ ـ المرادي ، الحسن . الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل . حلب ، المكتبة العربية ، ١٩٧٣ .

١٧ ـ وافي ، علي عبد الواحد . علم اللغة ، القاهرة ، نهضة مصر ، ط ٧ .

١٨ ـ ابن يعيش ، يعيش بن علي . شرح المفصل ، بيروت ، عالم الكتب .

ثانياً : المراجع الأجنبية

1 - Catford , j . , c . **Fundamental problems in phonetics** . Indiana University press , 1977 ..

2 - Chomsky , N . **Aspects of the Theory of Syntax** .M . I . T . press , 1982 .

3 - Dell , F . **Generative phonology** . Cambridge University press , 1980 .

4 - Dinneen , **F .An Introduction to General Linguistics** , N . Y . Holt , Rinehart & Winston Inc . , 1967 .

5 - Lyons , **J . Language and Linguistics** . Cambridge University Press , 1981 .

6 - - - - - - . **Semantics** . Cambridge University Press , 1979 .

7 - Pike , K . **Grammatical Analysis** . University of Texas , 1980 .

8 - - - - - - . **Linguistic Concepts** . University of Nebraska Press , 1982 .

9 - - - - - - .**Phonetics** . The University of Michigan Press , 1971 .

10 - - - - - . **Tone Languages** . The University of Michigan Press , 1972 .

11 - Postal , **P . Aspects of Phonological Theory** . N . Y . Harper & Row , 1968 .

12 - Sampson , G . **Schools of Linguistics** . stanford University Press , 1980 .

13 - Sloat , C . ; Sh . Taylor , J . Hoard . **Introduction to phonology** . N . J . Prentice -Hall , Inc . , 1978 .

14 - Smalley , w . **Manual of Articulatory phonetics** .
California , Carey Library , 1977 .

15 - Southworth , F . ; Ch . Daswani . **Foundatinos of Linguistics** . N . Y . The Free Press , 1974 .

16 - wardhaugh , R . **Introduction to Linguistics** . N . Y . McGraw-Hill , 1972 .

ملاحظات
على
ديوان بشار

الدكتور محمد حموية

٢٩ ـ وقال بشار في عبدة (١ : ١٧٦) :

خلقت مباعدة مقاربة حربا وتمّت صورة عجبا

لم يعلق الشارح والمراجعان على البيت بشيء .

و (حربا) لاتصح ، وان كان قوله (مباعدة مقاربة) يوحي بها .

والصواب فيها (ضربا) أي هي نسيج وحدها . وقد وصفها بشار بهذه الكلمة غير مرة ، فمن ذلك قوله (١ : ١٧٤) :

خلق النساء خلافها ضربا وليس لها ضريب

وقوله (١ : ١٦٥) :

كأنك لاترى حسنا سواها ولاتلقى لها في الناس ضربا

٣٠ ـ وقال بشار في سعدى (١ : ١٨٦) :

سقى الله سعدى من خليط مباعد على أنني فيما تحب وهوب

نرى أن الصواب في (وهوب) (ذهوب) أي أنا أجري فيما تحب .

٣١ ـ وقال أيضا في الغزل (١ : ١٩٤) :

للقلب راع اليها لايفارقه وفي الضمير من الحب الاعاجيب

(راع) صوابه (داع) بالدال ، (اذ يقال : دعا اليه ، ولا يقال : رعى اليه) ومنه قولهم (دواعي الحب) . ومنه قول ذي الرمة (الديوان ٢ : ٧٠٣) :

وعن سوف تدعوني على نأي دارها   دواعي الهوى من حبها فأجيبها

٣٢ ـ وقال بشار (١ : ١٩٦) :

يهزّني الناس من واش ومنتصح   والليث يفرس بين الكلب والذيب

(يهزّني) صوابها (يهرّني)[9] ، والهرير للكلب ، كما قال (٣ : ٢٢٣) :

رفعتُ قوماً وفي أحسابهم ضعةٌ   وقد كعمتُ رجالا بعد تهرير[10]

٣٣ ـ وقال بشار (١ : ٢٠٧) :

ياصاح قم فاسقني بالكأس اعرابا   ولاتطع عاقبا فينا وعقّابا

علق المراجعان على قوله (اعرابا) بقولهما : « من المعروف استعمال (الاعراب) بمعنى الابانة والافصاح ، فهل استعمل بشار (الاعراب) لذلك ، يريد : اسقني جهرة ؟ ولعل بشارا استعمل (الاعراب) في الشراب مأخوذا من الاعراب في سقي القوم والابل » الخ ماقالا .

وقال الشارح في كلامه على الشطر الثاني من البيت ـ اذ لم يتكلم على الشطر الأول منه ـ : « الظاهر أنه أراد بالعاقب : المغتاب والعقّاب مبالغة فيه » . ورأى المراجعان في كلامهما على الشطر الثاني : « ربما كان المراد بالعاقب السيد أو خلفه الذي ينهى عن الشراب ... هذا اذا لم يكونا اسمي رجلين » .

أما ماذهب اليه المراجعان في كلامهما على الشطر الأول من البيت فقد أوحى به اليهما قول أبي نواس :

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولاتسقني سرا اذا أمكن الجهر

وأما قولهما الثاني (الاعراب مأخوذ من سقي القوم ... الخ) فهو من التأول البعيد الذي يرتكبانه في الحين بعد الحين .

ونرى أن الصواب في قوله (اعرابا) (أغرابا ج غرب) وهي الخمرة في هذا البيت والغرب أيضا جام الفضة أو الذهب الذي يشرب به . قال بشار (١ : ٣٢٦) :

سأترك الغرّ للعيون ولا أترك شرب الصهباء والغربا

وأما (عاقب) و (عقّاب) فهما اسما رجلين . ومن عادة بشار أن يحشو شعره بأسماء يخترعها اختراعا ، فكان اذا سئل عن أصحابها يغضب . وقد جاء في شعره اسم عاقب في قوله (١ : ٢٢٦) :

بل ذكّرتني ريح ريحانة ومدهن جاء به عاقب

٣٤ ـ وقال بشار متغزلا (١ : ٢٠٨) :

تريك في القول جشابا وان ضحكت أرتك من ثغرها المفلوج جشابا

ذهب الشارح الى أن (جشابا) في الموضعين صفة للندى « وهو الندى المتساقط كأنه المطر صباحا ، شبه كلامها في الحسن والانتساب بقطر الندى ، وشبه ثغرها بقطر الندى » . وقد أحسن الشارح حينما أشار الى أن (جشابا) كانت في المخطوطة بالخاء المعجمة ، لان وجه الكلام عليها ، (فالخشاب) كلمة فارسية مركبة من كلمتين أولها

(خوش) بمعنى الطيب واللذيذ والجميل والثانية (آب) وهو الماء . ويقال فيها (خوشاب) و (خشاب) وهو الرونق أي مايرى من مثل الماء في الأحجار الكريمة ويعني أيضاً شراب منقوع الفواكه الحلوة ، ولبشار محبوبة اسمها (خشابة) واسمها من هذه الكلمة (الخشاب) مع تاء التأنيث العربية .

٣٥ ـ وقال بشار (١ : ٢١٠) :

دنا بيت من أهوى وشط ببيته حبيب فأصبحت الشقي المعذبا

ذهب الشارح الى أن كلمة البيت الثانية مجاز ، لأنه شرحه بقوله : ولكن بعده الحبيب بهجره . والصواب (ببينه) يريد : دنا بيت الحبيب مني ولكن بعد عني بعدم الوصال ، وبذلك يتخلص البيت من الركاكة على قراءة الشارح . وهذا كقوله (١ : ٣٤٩) :

بيّنا من قربه لي حاجة ثم لا يقرب والدار صقب

٣٦ ـ وقال بشار متغزلا (١ : ٢١٨) :

أُخفي له ـ الرحمن يعلمه ـ حبا يؤرقني غواربه
من كل شاعفة اذا طرقت طرق المحب لها طبائبه
نقضي سواد الليل مرتفقا ماتنقضي منها عجائبه

لم يكن البيت الأول في نسخة الشارح ، فنقله المراجعان من المخطوطة ، وقال المراجعان في شرح (غواربه) : « والغوارب ج غارب وهو الكاهل ، أراد شدته ويقال « بحر ذو غوارب وهي أعالي موجه » .

والصواب في (غواربه) عوازبه ، يريد بها الهموم التي تعاوده ليلا ،

كما قال ذو الرمة (ذيل الأمالي للقالي ص ١٢٤ وهو في ديوانه ط مكارتني ص ٣٨ في الحاشية) :

اذا سرحت من حب مي سوارح عن القلب آبته بليل عوازبه

وقال النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وهذا واضح من البيتين الثاني والثالث : اذ ذكر الطروق وهو لايكون الا ليلا ثم ذكر في البيت الثالث سهره . وقد ذكر بشار هذا المعنى فقال (٣ : ٩٩) :

لم يبق لي الشوق من جمل وجارتها الا هموما تؤوب الليل أجنادا

وقال (٣ : ٣٢) :

اذا انجاب هم آب آخر مثله ولم تكتحل عيني من الهم مرودا

وأما قوله (نقضي) في البيت الثالث فهو تصحيف (فقضى) وفاعل قضى يعود على (المحب) .

وقد فسر المراجعان قوله (مرتفقا) بمعنى الثابت أو الممتلئ وجعلاه حالا من الليل[11] . والصواب أنه حال من فاعل قضى ومعنى (مرتفقا) متكئا على مرفقيه ، وهي هيئة المفكر المهموم الساهر ، كما قال هو في هذا المعنى (٣ : ١٣٥) :

نبابك خلف الظاعنين وساد ومالك الا راحتيك عمادُ
لخدّك من كفيك في كل ليلة الى أن ترى وجه الصباح وساد

٣٧ ـ وقال بشار (١ : ٢٣٠) :

أقول إذ ودعوا نجدا وساكنه وحالفوا غربة بالدار فاغتربوا

ضبطت الغين من قوله (غربة) بالضم فيصبح قوله (فاغتربوا) حشوا ، والصواب ضبط الغين من (غربة) بالفتح ، ومعناها البعد . ومثله في ضبط (غربة) بالضم قوله (١ : ٢٤٨) :

ولما فارقتنا أم بكر وشطت غربة بعد اكتئاب

والصواب الفتح فيها أيضا . (قوله اكتئاب صوابها : اكتثاب أي بعدت بعد قرب ، وان لم ترد اكتثاب بهذه الصيغة في اللغة) .

٣٨ ـ وقال بشار في وصف الابل (١ : ٢٣٢) :

لم يبق منها على التأويب ضائعة ورحلة الليل الا الآل والعصب

(ضائعة) تصحيف (ضابعة) وهي حال من الابل ، والضابعة التي تهوي بيديها الى عضديها وهو وصف للخيل والابل كما قال جرير :

نحن الذين لحقنا يوم ذي نجب والخيل ضابعة مثل السراحين

٣٩ ـ وقال بشار في الهجاء (١ : ٢٦٠) :

هب لي انتقاصك عرضا غير منتقص فما متاعك في الدنيا برهوب

من قصيدة قال الشارح فيها : « أشكلت معاني معظم هذه القصيدة ، وغالب ظني ان فيها هجاء مقذعا » .

قلت : لعل معظم الاشكال ناشئ من التصحيفات التي لا يمكن الاهتداء الى وجه الصواب فيها .

فسر الشارح البيت بقوله : « هب لي بمعنى تفضل علي واسمح ، قال عمر بن الخطاب هبوني صمتا ، والمعنى اترك انتقاصك عرضي الموصوف بأنه لاينتقصه أحد . فقوله هب لي تهكم » .

قلت : فسر الشارح البيت بعكس معناه ، لأنه نظر في الشطر الأول من البيت وأغفل الثاني ، وفيه توضيح المراد من الأول . وفي قوله (مرهوب) في الشطر الثاني من البيت تصحيف صوابه (موهوب) والمعنى ان الشاعر يقول للمهجو : هب لي ذنب انتقاصي عرضك غير المنتقص ، لأن من عادتك أنك تتغاضى عن ذلك ، ولكنك لاتهب من متاعك شيئا لأحد .

وتحرير المعنى : لايجرؤ أحد على طلب شيء منك لأنك لاتجود بشيء مما تملك مادمت حيا ، ولكنك قد تغفر ذنب من يشتم عرضك ، فأنا أطلب منك أن تهب لي ذنب شتم عرضك .

فالكاف من قوله (انتقاصك) على تفسيرنا في موضع المفعول أي : انتقاصي اياك ، وعلى تفسير الشارح في موضع الفاعل ، وعلى تفسيره ينقلب المعنى فيصبح الشاتم (وهو الشاعر) مشتوما وينقطع الشطر الاول عن الثاني ، ويغيب المعنى الذي أراده الشاعر ، والسخرية التي قصدها في إمساك المال والبخل به ، وهبة شتم العرض وغفران ذنب الشاتم ، وبذلك يظهر التهكم الذي أراده الشاعر ، لاعلى مافسر الشارح به البيت . وفي قول الشاعر (عرضا غير منتقص) تهكم آخر ، على طريقة المدح الذي يراد به الذم .

٤٠ ـ وقال بشار متغزلا (١ : ٢٦٢) :

كأنما دهنت دهنا وقد عركت ليـــل التام بتعضيض وتقليب

ضبطت التاء من (التام) بالفتح ، والصواب أن تضبط بـالكسر و (ليل التمام) أطول ليلة في السنة .

٤١ ـ وقال (١ : ٢٦٤) :

كم قـــد نشبت بغيري ثم زغت بهـــا فاستحي من كذب لا خير في الكـذب

(نشبت صوابها نسبت ، نظرات : ص ٧٤) .

في البيت تصحيف في قوله (زغت) صوابه (رغت) بـالراء المهملـة من راغ يروغ[12] وقد أكثر بشار من ذكر الروغان في هـذا المعنى ، فقـال (١: ١٧٣) :

ومـــا الحب الا صبـوة ثم دنـوة اذا لم يكن كان الهوى روغ ثعلب

وقال (١: ١٧٣) :

ويلي على روغـــــانهـــــا ولســـانهـــا الملـق الخلـوب

٤٢ ـ وقال على لسان فتاة اسمها سلمى (١ : ٢٦٥) :

لانستطيع ولا نسطاع من سرف فـالصفح أمثل من وصل على رقب

قولـه (من سرف) نرى أن صوابـه (من شرف) أي لانستطيـع أن نزورك أو أن تزورنا لما لنا من المكانة في قومنـا . وقـد ورد السرف بمعنى الشرف فهل أراده بشار ؟

٤٣ ـ ومن القصيدة نفسها على لسان سلمى (١ : ٢٦٥) :

ولـو أطيعـك في نفسي معـالجـة   أنهبت عرضي ومـا عرضي بمنتهب

(معالجة) يظهر أنها محرفة ، وربما كانت محرفة عن (معـالنـة) أي لاأستطيع مواصلتك علنا ، والا نالتني ألسنة الناس .

٤٤ ـ وقال في صفة جمل (١ : ٢٨٢) :

عرد اذا خرس المطيّ كأنمـــا   يغـدو يجرجر دارس في نـابـه

فشرح الشارح قولـه (عرد) بـالصلب الشـديـد ، ونرى أن الصواب فيه (غرد) من التغريد ويريد به هنا صريف أنيابه أثنـاء المسير علامـة على نشاطه ، لأن السير الطويل يصيب الابل بالاعياء والكلال فتصمت ، ولـذلـك قـال (خرس المطي) أي : اذا كلّت الابل وأعيت فصمتت ظـل جملي يهدر ويصرف بأنيابه نشاطا . كما قال زهير :

كأنّ صريف نـابيـه اذا مـا   أمرّهمـا ترنّم أخطبـان

و (الاخطبان) اسم لطائر . وقال بشار في هذا المعنى في صفـة جمل (١ : ٣٤٢) :

معوج اذا أمسى طروب اذا غدا   مجدّا كما غنى على الايك أخطب

والأخطب هو الاخطبان .

٤٥ ـ وقال بشار يمدح داوود بن حاتم (١ : ٢٨٩) :

وأبـــلّ يلتهم الخصـــوم مرغّم   بصـواب منطقـه وغير صـوابـه
وجهت عن بيت السبيل سبيله   بمحـالـة وردعتـه بجـوابـه
واذا الخطوب تقنعت عن لاقح   تـدع الـذليـل لنسره وغرابـه

من قصيدة جرى فيها بشار على نهج القدماء ، وقد كثر فيها التصحيف .

قال الشارح : الأبلّ : الشديد الجدل ، وسكت عن بقية البيت وشرح المراجعان قوله (مرغم) بأنه الذي يقال له : (رغما رغما) وذهبا الى أن قوله (يلتهم) ربما كانت مصحفة عن (يتهم) وقولها هذا (أي أن يلتهم مصحفة عن يتهم) ينبئ عن أنهما لم يوفقا الى فهم معنى البيت . والصواب في قوله (مرغم) بالراء (مزعم) بالزاي والمزعم : هو الذي يخشاه الناس في الخطاب فلا يردون عليه ان صدق أو كذب . هذا مابقي في ذاكرتي مما قرأت ، ولم أجد هذه الكلمة بعد ذلك في المطولات ، واهمال هذا المعنى غريب[13] . وقول بشار يوضحه ، وكأنه شرح لمعنى مزعم ، ألا ترى انه يقول : لايردون عليه ان أصاب أو أخطأ . و (يلتهم) صحيحة معبرة تعبيرا جيدا عما يريده بشار من وصف رجل مجادل لسنٍ له هيبة لايستطيع السامعون أن يردوا عليه ان أصاب أو أخطأ فانبرى له الممدوح فردعه ووجه عن بيت السبيل سبيله بمحاله (الصواب في محالة أن تكون الهاء ضميرا عائدا على الأبلّ) .

وأما (تقنعت) في البيت الثالث فذهب المراجعان الى انها (ربما كان تقنعت عن ... محرفا عن تقنعت في ... أي دخلت مداخل الحرب) .

ونرى أن الصواب في (تقنعت) (تفتقت) أي اذا تكشفت وظهرت ، ولذلك عداها (بعن) ، اذ يقال : « تفتق الامر عن كذا » .

٤٦ ـ وقال من قصيدة مسرحية في وصف الصدى (١ : ٢٩٩) :

هو الخنف لاإنس ولا نجل جنّة   يعيش ولا يغـــذوه أمّ ولا أب

وقف الشارح على معنى البيت ، ولكنـه ذهب الى أن (الخنف) اسم ربما اشتقه بشار من (الخنف) ، وهو ميل الفرس أو البعير الى أحد الشقين اذا جرى من شدة النشاط . وتفسيره هذا لايلائم المعنى فما علاقة جري الفرس أو البعير بالصوت والصدى ، ولاسيا في قوله (هو الخنف) . فكأنما أراد الشارح أنه عدل عن كونه انسا أو جنا ، وهذا تأويل بعيد ، ولذلك عقب المراجعان على هذا بقولها « الذي نراه أن « الخنف » محرفة عن « الحيف » وهو الهام والصدى » .

والصواب (هو الحنّ) وذلك أن العرب كانت تعتقد أن المخلوقات انس وجنّ وحنّ ، والحنّ في رأيهم خلق ليس بأنس ولا جن . وهذا ماأراده بشار من أن الصدى ليس بانس ولا جن ، وله وجود ، ولكنه لايغذوه أم ولا أب .

٤٧ ـ وقال في وصف الاتن الوحشية من قصيدته البائية المشهورة التي فخر بها بقيس عيلان (١ : ٣١١) :

رعى ورعين الرطب تسعين ليلة   على أبق والروض تجري مذانبه

ذكر الشارح ان (الابق) « نبت كالكتان يتخذ من ليفه الحبال وله حبّ ترعاه حمر الوحش » . وقول الشارح : (وله حب ترعاه حمر الوحش) ، من زياداته التي استنبطها من هذا البيت ، وصواب (الابق) (الانق) ، و (الانق) حسن منظر المرعى وبهجته ومنه قولهم : (مرعى أنيق) .

وقد جاء الأبق والأنق بمعناهما هنا في رجز لرؤبة يصف حمر الوحش :

لوّح منه بعد بدن وسنق
من طول تعداء الربيع في الانق
تلويحك الضامر يطوى للسبق
قود ثمان مثل أمراس الابق

فلا معنى لرعي أمراس الكتان في بيت بشار .

٤٨ ـ وقال في صفة الحمار الوحشي والصائد الذي رماه (١ : ٣١٥) :

رمى فأمرّ السهم يمسح بطنه ولباته فانصاع والموت كاربه
(ووافق) أحجاراً ردعن نضيّه فأصبح منها عامراه وشاخبه

ذهب الشارح الى أن النضيّ (هو ما بين العاتق الى الأذن ، أي صادف العير أحجارا سقط عليها ميتا) . وهذا التفسير مخالف لغرض الشاعر ومنطوق كلامه . أما مخالفته لغرض الشاعر فان الشاعر أراد أن يصف سرعة جمله في السير الى الممدوح فشبهه بالحمار الوحشي الذي جمع أتنه وقصد نبعا من الماء كمن في حافته صائد ، فلما اقترب من الماء رماه الصائد ، فاندفع الحمار بأقصى ما يستطيع من سرعته لينجو من الموت . ومن عادة الشعراء أن يشبهوا مطاياهم في سرعتها بسرعة هذا الحمار عندما يرميه الصائد فينصاع هاربا بكل ماأوتي من قوة . فما ذهب اليه الشارح يناقض غرض الشعر في ذلك . وأما مخالفته لمنطوق كلامه ، فان الشاعر بيّن انه لم يصب الحمار في البيت قبله اذ قال : لامس السهم بطن الحمار

وصدره (وهذا أشد اثارة لذعر الحمار وشدة جريه) وقد قارب الموت ولكنه لم يمت . وأما (النضيّ) في البيت الثاني فليس المراد به ما بين العاتق والاذن بل المراد به (السهم) هنا ، وهو الذي ارتطم بالاحجار . وهذا معنى معروف للشعراء . قال أوس بن حجر في وصف الحمار والصائد الذي رماه فأخطأه :

فمرّ النضيّ للذراع ونحره وللحين أحيانا عن النفس صارف

وقال ذو الرمة :

رمى فأخطأ والأقدار غالبة فانصعن والويل هجيراه والحرب

وأما كلمة (وافق) فقد تآكلت في المخطوطة فبقيت منها بقايا ، واختياره لها سديد من حيث المعنى ، وان كان الشعراء يعبرون في هذا المقام (بصادف) كما قال متمم بن نويرة (المفضلية ٩ ب ١٦) :

فرمى فأخطأها وصادف سهمه حجرا ففلّل والنضيّ مجزع

وقال ذو الرمة :

تنحّى لأدناها فصادف سهمه بخاطئة من جانب الكيح ناطح

ولم يتضح لي وجه المعنى في الشطر الثاني من البيت الثاني .

٤٩ ـ وقال بشار في وصف جمله من القصيدة البائية السابقة (١ : ٣١٦) :

رفعت به رحلي على متخطرف يزف وقد أوفى على الجذل راكبه

ليس في البيت تصحيف ، وانما فسره الشارح على غير وجهه ، وقد

أحببت أن أبيّن مافيه لكثرة اختيار الناس لهذه القصيدة وتدريسها للطلاب . فسر الشارح (الجذل) بالجبل وقال « أي أن راكبه (الجمل) كالجبل في ارتفاعه . وهذا ليس وجه المعنى ، ومراد الشاعر وصف نشاطه جمله (في خطرفته وزفيفه) في شدة الهاجرة ـ والهاجرة وقت تكلّ فيه الجمال ـ وقد كنى عن شدة الهاجرة باختباء الحرباء بين اغصان الشجر من شدة الحر . ومن المعروف ان الحرباء يتبع الشمس فوجهه أبدا اليها ، فاذا مااختبأ الحرباء في فروع الشجر فما بالك ببقية الحيوانات ؟ ... فالذي أوفى (أي انتصب) على الجذل (وهو غصن الشجرة) هو الحرباء والجملة (وقد أوفى ...) حالية أي ركبت جملي الذي يتخطرف ويزف كالنعام ، اي يجري نشيطا ـ في هذا الوقت ، أي وقت الهاجرة وشدة الحر . وهذا معنى معروف اكثر الشعراء من ذكره . قال الأخطل في وصف الفلاة والحرباء :

أجزت اذا الحرباء أوفى كأنه مصل يمان أو أسير مكبل

وقال ذو الرمة :

يظل بها الحرباء للشمس ماثلا على الجذل الا أنه لا يكبر

وقال بشار (١ : ٢٣٢) :

جرداء حوّاء مخشي متالفها جشمتها العيس والحرباء منتصب

٥٠ ـ وقال من القصيدة البائية (١ : ٣١٧) :

وما زال منا ممسك بمدينة يراقب أو ثغر تخاف مرازبه

جعل الشارح قوله (يراقب) من صلة (الممسك) في المعنى ، على

ضبطه للكلمة بهذا الشكل ، والصواب انها من صفة المدينة فصحة ضبطها (تراقب) بالبناء للمجهول والمراد (بالمراقبة) هنا الخوف . أي كم من مدينة تخشى أو ثغر مخوف حفظناهما من العدو[14] .

٥١ ـ وقال في صفة جيش من القصيدة البائية المشهورة (٣٢٠) :

كأن جناباويه من خمس الوغا شمام وسلمى أو أجى وكواكبه

أطال الشارح في كلامه على (جناباويه) وأنه مثنى (جنابى) وكذلك الى أن (خمس) مخففة من (خميس) وهو الجيش لانه خمس فرق الخ ماقال . وذهب المراجعان الى أن تفسير الشارح (لجناباويه) فيه نظر وقالا : « لعل في الكلمة تحريفا » . وهذا مانراه أيضا . وقد وفقا في إدراك تحريف (خمس) من (حمس) بمعنى اشتداد الحرب[15] والصواب ماذهبا اليه . وقد جاء هذا التركيب في الشعر القديم . فمن ذلك قول الاخطل في صفة الخيل :

فتركن قد قضين من حمس الوغى وطرا وجلن هناك كل مجال

وقال ثابت قطنة (الاغاني ١٤ : ٢٧٨) :

انا لضرابون في حمس الوغى رأس المتوج ان أراد صدودا

وقال ثابت أيضا (الأغاني ١٤ : ٢٧٩) :

حتى اذا حمس الوغى وجعلتهم نصب الاسنة اسلموك وطاروا

وقال بشار في مثل هذا المعنى (٣ : ٢١٥) :

عندهم نجدة اذا حمس الرو ع وفيهم مهابة للفجور

٥٢ ـ وقال في مدح المهدي وذم خصومه (١ : ٣٣١) :

بعـدا وسحقـا لمن تـولى عن الـ ـحق وعـاصى المهـديّ مرتعبـا

(مرتعبـا) تصحيف (مرتغبـا) بـالغين المعجمـة ، يريـد أن أعـداء المهـدي تولـوا عن الحـق طمعـا ورغبـا . ولا يريـد أنهم تـولـوا عن الحـق خوفا .

٥٣ ـ وقال في صفة حصان (١ : ٣٣٦) :

شمّريّ أجشُّ كالشَّبَبِ الغـــا دي أقرّت جنـانــه الكــلاَّبُ

ذهب الشــارح الى أن (أقرت) هنـا بمعنى أبردت ، « والمراد أنهـا أرعدت قلبه خوفا ، لأن الخوف يجعل في القلب مثل رعدة البرد » .

وذهب المراجعـان الى أن (أقرت) ربمـا كانت محرفـة عن (أفرَّت) « بمعنى حملته على اللجاج في الفرار » .

قلت : قراءة الشـارح للكلمـة وتفسيره لهـا فيهما تكلف وبعـد . ومـا ذهب اليـه المراجعـان أقرب . ونرى أن الصواب في الكلمـة (أفـزّت) أي أفزعته كما قال أبو ذؤيب في هذا المعنى :

والـدهر لايبقى على حـدثـانـه شببٌ أفــزّتــه الكــلابُ مروّع

٥٤ ـ وقال في مدح روح بن حاتم (١ : ٣٣٨) :

ولـــه من نـــدى قبيصــة بحر حضرميّ لجـــانبيـــه عبـــاب

حمـدتـه القرى ، وسرّ بـه الجـا ر ، وعاشت في فضله الاحباب

لم يتكلم الشارح والمراجعان على البيتين بشيء .

قوله (حضرمي) كأنه نسبة الى حضرموت ، وما أظن بشارا أراد نسبة البحر الى (حضرموت) وانما هو تصحيف صوابه (خضرمي) وهو من صفة البحر ، اذ يقال (بحر خضرم) وقد زاد فيه الياء للمبالغة كزيادتها في (أحمري) و (دوّاري) .

وأما قوله (الاحباب) في البيت الثاني فواضح انه تصحيف (الاجناب) اذ لايمدح الانسان بفضله على أحبابه ، وقد أراد الشاعر التقسيم وشمول عطاء الممدوح فهو يعطي القريب والبعيد كما قال في هذا المعنى (١ : ٢٣٧) :

ينتابه الاقرب الساعي بذمته　　　اذا الزمان كبا والخابط الجنب

٥٥ ـ ومن القصيدة نفسها في مدح روح (١ : ٣٣٩) :

زعم الأقربُ المقابل في الحـ(م)ـيّ معيدا وتزعم النسّاب

ضبط الشارح كلمة (المقابل) بكسر الباء وفسرها « بالجار المقابل بيته ، فالقرب هنا قرب المكان » . وفسر « معيدا » « بمؤكدا زعمه » . وفسر (النساب) بأقارب الممدوح . أما ضبط (المقابل) بكسر الباء فهو من التسرع اذ أوحت كلمة (الحي) به ليصح بعد ذلك انه الجار المقابل بيته ، فكأن الشارح أراد بالجار المقابل بيت الممدوح أنه ممن يعرف الممدوح حق المعرفة ، وتفسيره (معيدا) بقوله « مؤكدا زعمه » يناقض ماذهب اليه الشارح فان الرجل الذي يحتاج جاره الى تأكيد زعمه وكذلك الى زعم أقاربه أنه كريم لرجلٌ كرمُه في موضع شك .

والصواب ضبط (المقابل) بفتح الباء . والمقابل هو الكريم نسبا من

قبل أبيه وأمه ، و (الحي) يراد به القبيلة هنا (لاحي السكان) و (المعيد) هنا المراد به : العالم بالامور الذي ليس بغمر (اللسان : عود) وهو حال من فاعل زعم : وزعم هنا معناها رأى واعتقد . واما قوله (النسّاب) فلي فيها توجيهان : أحدهما أنه أراد بالنسّاب ذوي النسب (وان لم يكن هذا الجمع قياسيا) ، كما قال بشار في غلام (مقابل منسوب)(١ : ٣٧٠) :

يهذي بخشف مونق مشرق مقابل الجدين منسوب

والثاني أنه أراد بالنساب علماء النسب لمعرفتهم أحوال الناس ، ويجوز على هذا ان تقرأ الكلمة بفتح النون على لفظ الواحد .

وفي البيت معنى دقيق لابأس من الاشارة اليه ، وهو أن الشاعر ذكر الاقرب الكريم الأبوين وأنه يقر للمدوح بمكانته ، لأن القريب النسيب قلما يقر لذي قرباه بالفضل والتقدم الا اذا كان انكار هذا الفضل مثل انكار الشمس في رابعة النهار .

٥٦ ـ وقال بشار (١ : ٣٥١) :

ليس بالصافي وان صفيته عيش من يصبح نهبا للرتب

علق المراجعان وحدهما على قوله (الرتب) فذهبا الى انها قد تكون مصحفة عن (الريب) ، وماذهبا اليه قد يناسب المعنى ، الا أن رسم الكلمة لايساعد عليه لموضع النقطتين من فوق . ونرى أن صواب الكلمة (الرقب) ج (رقبة) بمعنى الخوف كما قال (١ : ٢٦٥) :

لانستطيع ولا نسطاع من شرف فالصفح أمثل من وصل على رقب

يريد : التسلي عن المحبوب خير من مواصلته على خوف وفزع[16] .

٥٧ ـ وقال بشار متغزلا في فتاة اسمها الرباب (١ : ٣٥٤) :

كيف يسلو عن الرباب فؤادي وهواها ينوب عن كل ناب

قال الشارح في تفسير البيت : « ناب : اسم فاعل من نبا ينبو ، اذا بعد ، أي أن هواها في نفسي ينوب عنها وان نبت » .

وهذا الذي قاله الشارح تفسير للتصحيف ، ثم انه لايستقيم مع ماذهب اليه لأن هواها (ينوب عنها) ولا ينوب عن كل ناب . ونرى أن صحة الشطر الثاني : وهواها ينوب من كل باب[17] . أي : هواها يدخل عليه من كل باب فلا يستطيع السلو . وهذا كما قال (١ : ١٩٩) :

وشوقي في الصباح الى سليمى أتاني حبّها من كل باب

وكقوله (١ : ٢٤٩) :

لقد شط المزار فبتّ صبّا يطالعني الهوى من كل باب

وكقوله (١ : ٢٧٢) :

دخل الحب لهند قلبه من كل باب

وقال في مدح المهدي (١ : ٢٧٨) :

لايحسن الفحش وينكي العدى ويعتريه الجود من كل باب

٥٨ ـ وقال بشار متوعدا (١ : ٣٥٧) :

قد أنضج العير كيّا تحت فائله وربما ناله حلمي وقد شعبا

قال الشارح في تفسير البيت : « والمعنى انه يعاقب الرجل الشديد المشبه بالعير عقابا كالكي وربما عفى عنه » .

(شعبا) بالعين المهملة صوابها بالغين المعجمة ، وربما كانت (شعبا) بالعين المهملة من اخطاء الطباعة . وشغب وشغاب ومشغب كلمات كثيرة الدوران في شعر بشار .

٥٩ ـ وقال بشار متغزلا بفتاة اسمها بانة (١ : ٣٥٨) :

١ ـ هيهات ، أفرخ روع با	نة ، لايحول المغرب
٢ ـ مازلت عنك وقد أرى	أن القلوب تقلّب
٣ ـ أيام أطعم كل ما	ئلة الحمان وأشرب
٤ ـ ثم انقضى ذاك الزما	ن وغاب دهر أنكب

ضبطت كلمة (المغرب) في البيت الاول بضم الميم وكسر الراء ، ولم يتكلم عليه الشارح ولا المراجعان ، ولا يدرى ماالمقصود من هذا الضبط . ونرى ان الصواب فيه أن يكون بضم الميم وفتح الراء (المغرب) وهو الابيض . قال الشاعر (الصحاح : غرب) :

فهذا مكاني أو أرى القار مغربا وحتى أرى صمّ الجبال تكلّم

يريد بشار : محال أن يتحول الابيض عن لونه وكذلك أنا فاني لاأتحول عن حبها . وقال بشار في استحالة رجوع انسان عن غيّه ، وضرب لذلك مثلا بابيضاض القار من رجز له (٣ : ٢٤٢) :

دون تناهيك ابيضاض القار

وفي البيت الثالث قوله (مائلة الحمان) ، قال فيه الشارح : (لم أعرف

للحمان معنى في العربية فلعل فيه تحريفا) . وقال فيه المراجعان : (قلنا : لعل الحمان محرفة عن الجفان ، والجفان ج جفنة ، وهي وعاء الطعام وربما كانت الكلمة (مائلة) التي قبلها محرفة عن (مئكلة) ونحوها . ان لم تكن أريد بها معنى الميل) .

قلت : (مائلة) صحيحة سليمة والتحريف في قوله (الحمان) فهي محرفة عن (الخمار) وتركيب (مائلة الخمار) تركيب عربي معروف ، والبيت في الغزل فلا يصح أن تكون محرفة عن الجفان ، يريد ، أيام أذوق النساء المعتدات بجمالهن ، لأن (مائلة الخمار) كناية عن المرأة التي تبرز محاسنها ثقة منها بجمالها . قال : جران العود (د : ١٥) :

وفي الحيّ ميلاء الخمار كأنها مهاة بهجل من أديم تعطّف

وقال الراجز (وهو منظور بن مرثد الأسدي (السمط ٢ / ٦٨٤ وفيه أي في السمط في هذا الموضع شرح معنى اسقاط الخمار والكشف عن الوجه اعتدادا بالجمال)

جارية في سفوان دارها قد أعصرت أو قد دنا إعصارها
تمشي الهوينا مائلا خمارها

وفي البيت الرابع قوله (غاب) تصحيف يعكس المعنى ، لان الشاعر يذكر أيام تلذذه بمن يحب ، ثم يذكر انقضاء ذلك الزمان الجميل فصحة (غاب) (ناب) أي ثم جاء زمان أنكب غيّر من عيشي وكدّره .

٦٠ ـ وقال في هجاء أبي هشام الباهلي (١ : ٣٦٤) :

دعوني واني من ورائي معضد كفيتكم رايَ استه بذنوب

علق المراجعان وحدهما على البيت على قوله (راي) فقالا : (ربما كان راي محرفا عن ريّ بتشديد الياء دون ألف وهو مصدر للفعل روى) . قلت : الصواب فيها (داء) - يرميه بالأُبنة - كما قال في حماد (٣ : ٣٠٦) :

لقد شاع لحمّاد بداء في استه ذكر

٦١ - وقال يتغزل في حبّى تمهيداً لهجاء الباهلي (١ : ٣٦٧) :

لقد ودعت حبّى وهام رقيبي وأصبح وادي اللهو غير عشيب

(هام) هنا محرفة عن (نام) ، يريد : ودعت محبوبي فاستراح رقيبي وعبّر عن الاستراحة بالنوم كما قال (١ : ٣٦٤) :

فهذا أوان لاأعوج على الصبا سمعت لعذالي ونام رقيبي

٦٢ - وقال في هجاء الباهلي أبي هشام (١ : ٣٦٧) :

شتمتَ فريخَ الزنج عرضي خسارة فان كنت كعبيا وكنت حبيبي

قوله (خسارة) نرى ان صوابها (جسارة) أي شتمك لي جسارة منك علي وأما الشطر الثاني من البيت فقد اصلحه المراجعان الى مايلي :

لأن كنت كعبيا وكنت جنيبي

وقد استندا في اصلاح (حبيبي) الى جنيبي الى قول بشار (١ : ٣٦٤) :

وقد جاءني من باهلي يسبني فأعرضت ان الباهلي جنيبي

وقد فسرا الجنيب في هذا البيت بالمجنوب وقالا في البيت الذي

نتكلم عليه : « لأن بشارا يذكر أن أبا هشام الباهلي جنيبه حين يسبه ويشتمه » . وماذهبا اليه من اصلاح الشطر والكلمة صحيح ، ولكن لم نتبين المعنى الذي أراداه من تفسيرهما (الجنيب) بالمجنوب ، كما لم يتكلم الشارح على البيت ، وهو يحتاج الى تبيان : وخلاصة ذلك ان الجنيب هنا بمعنى التابع (أمالي القالي ج ٢ ص ٢٥٩) وهذا يقتضي أن يكون أبو هشام الباهلي تابعا لبني كعب الذين منهم بنو عقيل قبيلة بشار ، والحق أن بشارا ذكر أن هذا الباهلي كان عبدا لبني قشير حقبة من الزمان وقشير وعقيل أخوان من كعب ، ومن ثم جاز لبشار أن يجعله جنيبا وتابعا له فبين ذلك بقوله (٣ : ١٠٧) :

لقد كان عبدا للقشيري حقبة وبئس الفتى عولي اليدين رقاد
يقول له الكعبي في جنباته علاجك يابن الفاعلين جهاد

٦٣ ـ وقال يهجو حماد عجرد ويتهمه بحب الغلمان (١ : ٣٧٠) :

يختلس القلب بابرامه منه واطماع وتجنيب

نرى أن الهاء في قوله (ابرامه) صوابها أن تكون تاء (بابرامة) .

٦٤ ـ وقال في رثاء عمر بن حفص هزارمرد (١ : ٣٧٢) :

غلب العزاء على ابن حفص والاسى ان العزاء بمثله مغلوب

عدل المراجعان في ضبط الشارح لكلمة (غلب) بالبناء للمعلوم كما ضبطت كذلك في المخطوطة الى ضبطها بالبناء للمجهول وهو الصحيح . وبقي في البيت اصلاح آخر في ضبط (الاسى) فقد ضبطت الكلمة بفتح الالف ، والاسى بفتح الهمزة الحزن ، ولا يصح هنا ان يكون الاسى

مغلوبا وانما صحة الكلمة ان تضبط اما بضبط الهمزة من (الاسى) أو بكسرها وهي جمع (أسوة) بضم الهمزة أو كسرها والأسوة هنا مايتأسى به الحزين أي مايتعزى به ، ثم سمي الصبر (أسى) (التاج : أسا) وأما الأسى بفتح الهمزة فكلمة مفردة .

والمراد بالأسى هنا (بضم الهمزة أو كسرها) الصبر أي : غلب (بالبناء للمجهول) العزاء والصبر على ابن حفص ... الخ .. .

وقد قرن الشعراء الصبر والعزاء وانهما مغلوبان : فمن ذلك قول الحطيئة :

قالت أمامة لاتجزع فقلت لها ان العزاء وان الصبر قد غلبا

وقال حيان بن ظبيان السلمي الخارجي (الطبري ٥ : ١٧٤) :

خليلىّ مابي من عزاء ولا صبر ولا اربة بعد المصابين بالنهر

وقال في اللسان (أسا) : (الإسْوةُ والأُسْوةُ بالكسر والضم لغتان وهو مايأتسي به الحزين أي يتعزَّى به وجمعها إساً وأُساً ، وانشد ابن بري لحريث بن زيد الخيل :

ولولا الأسى ماعشت في الناس ساعة ولكن اذا ماشئت جاوبني مثلي

ثم سمي الصبر أساً) .

٦٥ ـ وقال بشار يهجو (١ : ٣٧٤) :

ان كنت جانبت مهديا فان لنا ...فما بالنا نخفى على الناب

ذكر الشارح ان في المصراع الثاني بياضا (وقد بينا ذلك بالنقط) وقال في الشطر الثاني (الناب ، كتبت هكذا ولعل صوابه النابي أي البعيد) . قلت صواب الشطر الثاني : فما بالنا نجفى على الباب .

وكثيرا ماصحفت كلمة الباب الى الناب وقد مر مثل ذلك في (٥٧) ومثله في (١ : ٣٧٦) :

أخي أنت النصيح فلا تلمني فما دوني من النصحاء باب

حرفت كلمة باب الى ناب ، وصححها الشارح .

٦٦ ـ وقال يفتخر بالعجم (١ : ٣٧٩) :

حتى استلمنا ملكها بملكنا المستلب

(استلم) هاهنا لاتصح ، لان الاستلام خاص بلمس الحجر اما بالقبلة أو باليد (الصحاح : سلم) ، وأما معنى الأخذ فيقال فيه (تسلّم) . ومثل هذا لايخفى على بشار فقد قال في فتاة (٢ : ١٢٠) :

لها نصفات حولها يستلمنها كما استلم الركنَ النواسكُ بالراح

فالصواب في (استلمنا) (استلبنا) وبذلك يتقابل المعنى في الشطر الأول بالشطر الثاني من البيت[18] .

الحواشي والتعليقات

(9) كان الشارح رحمه الله قد علق على هذا الموضع بقوله : « وكتب (يهزني) بالزاي ، ولعله (يهرّني) بالراء » . فالتقى الشارح والناقد معا . وهرّه الناسُ : اذا كرهوا ناحيته ، قال الأعشى :

أرى الناس هرُّوني وشهر مدخلي ففي كل ممشى أرصد الناس عقربا

(10) الذي جاء في مخطوطة الديوان « بعد تهدير » بدال بعد الهاء ، وقد غيّرها الشارح الى « تهرير » براءين ، ثم قال في طبعة الديوان الثانية (٣ : ٢٠٢) : « وكتب في الديوان (تهدير) بدال بعد الهاء ، وهو صحيح ، إلا أنه بالراء هو المناسب لـ (كممت) » . وأرى أن (التهدير) بالدال هي الصحيحة . فقد شبه بشار الشعراء الهجائين الذين أسكتهم بفحول الإبل ، فهو قد كممهم وسدّ أفواههم بعد تهدير ، والبعير يكعم وكذلك الكلب ، والتهدير للبعير ، وهو تردد صوته في حنجرته ، وفي المثل : كالمهدّر في العُنّة . قال الوليد بن عقبة يخاطب معاوية :

قطعت الدهرَ كالسدم المعنّى تهدّرُ في دمشق فما تريمُ

ولامعنى لقول الشارح أن التهرير (براءين) هو المناسب لكعمتُ . فالكعم للبعير ، وقد يجعل الكعام (بكسر الكاف) على فم الكلب لئلا ينبح . وهم يكعمون البعير بعد تهدير (بالدال بعد الهاء) . ثم اني لم أجد كلمة (التهرير) براءين في المعجمات التي بين يدي للدلالة على مبالغة (هرير الكلب) كما ذكر الشارح . (اللسان والتاج / هدر ، شرح نهج البلاغة مج ٢ : ٣٣٤).

(11) ذكر المراجعان تفسيراً آخر للبيت حين عرضا لقول بشار (٢ : ١٢٤) :

مستهام النهار مرتفق الليـ ـل إلى أن أعاين الإصباحا

فقد قالا : لعله يعني بقوله : « مرتفق الليل » انه يقضي ليل المحبين ساهراً لايضجع ضجعة النوم ، بل يرتفق ، اي يتكئ على مرفقه .... ولهذا المعنى الذي ذكرناه في الارتفاق أن يجري في قول بشار :

يقضي سواد الليل مرتفقاً ماتنقضي منها عجائبه

اذا كان أول هذا البيت ياء . وهناك وجه آخر ذكرناه في موضعه .

أما الشارح فقد عرض لتفسير (مرتفق) في طبعة الديوان الثانية (١ : ٢٤٤) فقال : « مرتفقا : حال من ضمير نقضي ، أراد نفسه (كذا) ، والمرتفق : المتكئ على مرفق يده . أي يقضي الليل غير مضطجع » . ثم أسقط (الديوان ٢ : ٩١ ، ط ٢) ماقاله المراجعان في الحاشية المطولة التي سطراها على بيت بشار (الديوان ٢ : ١٢٤ ، ط ١) .

(12) ذكر اللغويون : أن زاغ واوية يائية . والياء أفصح . وقالوا :

زاغ عن الطريق : عدل عنه .
زاغ الرجلُ : مال عن القصد وجار وعدل عن الحق .

أزغتُه وزغتُ به - يقال في كل ماجرى في المنطق .
ومن المجاز :
زاغت الشمسُ : مالت
زاغ البصرُ : كلَّ .
وأنشد ابن جني في (زاغ) الواوية :

صحـــا قلبي وأقصر واعظـــايـــه وعلّـق وصـل أزوغ من عظـــايـــه

جعل الزوغان للعظاية .

وقالوا : زال ومال وزاغ متقاربة ، لكن زاغ لايقال الا فيا كان عن حق الى باطل (لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس ، التكملة للصغاني ، اساس البلاغة / زاغ) .

وقال بشار (الديوان ٣ : ١٠) :

يـاابنـة الخير عـدينـا [مـوعـدا] واذا زغت فمنينـــا غـــــدا

وقال (الديوان ٣ : ٦٩) :

ألانت لنـا يـوم التقينـا حـديثهـا أمـانيَّ وعـدٍ ثم زاغت بمـا تعـدْ

(وهذا تعليق عرض ، حين انشاد الشاهد الذي أورده ابن جني ، وهو من الاستطراد الذي يدفع اليه التداعي . رووا أن المنصور أمير المؤمنين قال :

وهـــاجرةٍ نصبتُ لهـــا جبيني يقطّـع ظهرهـا ظهر العظـــايـــه

فأجازه بشار بقوله :

وقفتُ بهـا القلـوص ففـاض دمعي على خـدي واقصر واعظـــايـــه

انظر كتاب العقد لابن عبد ربه ٥ : ٣٨٢ والأغاني ٣ : ١٧٨ - ١٧٩) .

(13) جاء بيت بشار في المختار من شعر بشار (ص : ٦٤) :

وألـــدَّ بينهم الخصـــومُ اذا بـــدا بصـواب منطقـــه وغير صـوابـــه

ولم يشر محقق المختار الى التصحيف الذي وقع في البيت .

وجاء في المعجمات أن (الترغم) بالراء : الغضب بكلام وغيره .
وأن (التزغم) بالزاي والغين المعجمة : الغضب بكلام

وقد روي بيت لبيد بن ربيعة :

فــــأبلــغ بني بكر اذا مــــالقيتهـــــا   على خير مــــايلقى بـــه من ترغـــمـــا

روي (ترغما) بـالراء ، وروي (تزغمـا) بـالزاي (لسـان العرب ـ رغم ، زغم ، ديوان لبيـد : ٢٨٥) .

(14) جـاء بيت بشـار بروايـة (يراقب) في طبقـات ابن المعتز : ٢٨ ، وراقب الشيءَ مراقبة : حرسـه . والرقبـة : التحفـظ والفرق . ورقيب القوم : حـارسهم . والرقوبُ والترقب والارتقاب : الانتظار (اللسان ـ رقب) .

(15) حَمِس الشرُّ وحمس الوغى وحمس الأمر حمساً (من باب فرح فرحاً) : اشتدّ .
حَمِس الرجلُ : اشتد وصلب في الدين والقتال . فهو حَمِسٌ (كفرِحٍ) وأحمسُ ، بيّن الحَمَسِ ، من قومٍ حُمْس .

ورجلٌ حَمِسٌ وحميسٌ وأحمس : شجاع (اللسان والقاموس والأساس ـ حمس) .

ومن شعر بشار (الديوان ٢ : ٣٠٢) :

لله درُّهَمَ جنـــــــــداً إذا حمـــــــسوا   وشبت الحرب نـــــاراً بعـــــد إخمـــــاد

(16) جاء بيت بشار في مجالس ثعلب (١ : ٣٦) :

ليس بـــــالصـــــافي وان صـــــافيتــــــه   عيشٌ من يصبـــح نصبـــــــاً للريبْ

(17) كنتُ أعلمت في حاشيـة الـديوان (أيـام كنت أتقلب في غيسـات الشبـاب) أن التصحيف سطا على شطر البيت فأفسده ، وبدا لي آنذاك أن صحته : (وهواها يئوب من كل باب) ، أو (وهواها يثوب من كل باب) .

(18) في (استلبنا) خللٌ طباعي ، سلب البـاء الموحـدة نقطتهـا ، وجعلهـا أقرب الى الميم ، ولكنهـا ليست إيـاهـا . وقـد استعـادت صحتهـا وسلامتهـا في طبعـة الـديـوان الثـانيـة (١ : ٣٩١) .

(آراء وأنباء)

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته المنعقدة في (١٢ / ٨ / ١٤٠٥ هـ ١ / ٥ / ١٩٨٥ م) عضوين مراسلين هما :

١ ـ الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ (الصين)

٢ ـ الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد (الهند)

وقد صدر قرار تعيينهما (القرار رقم ١ تاريخ ١١ / ٦ / ١٩٨٥) .

كما انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في (٢٦ / ٨ / ١٤٠٥ هـ ـ ١٥ / ٥ / ١٩٨٥ م) الأعضاء المراسلين السادة :

١ ـ الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر (السودان)

٢ ـ الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب (السودان)

٣ ـ الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع (الجمهورية العربية اليمنية)

٤ ـ الأستاذ أكرم زعيتر (فلسطين) .

وقد صدر قرار تعيينهم (القرار رقم ٢ تاريخ ٢ / ٧ / ١٩٨٥ م)

استفتاء وجوابه

تلقى الأستاذ الرئيس من الدكتور محمد حسين روحاني رسالة هذا نصها :

سماحة الأستاذ العلامة السيد الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

مازلت مهتماً باللغة والثقافة العربية درساً وبحثاً وكتابةً وتدريساً منذ مايربو على ٣٠ عاماً . وأخيراً بدأت عملي في تحضير كتاب باسم « الإعلال التفصيلي في اللغة العربية » يكون في ثلاث مجلدات ، هكذا : ١ ـ الثلاثي المجرد (الواو والياء) . ٢ ـ المهموز والمضاعف . ٣ ـ الثلاثي المزيد . ذهب المجلد الأول إلى الطباعة وسوف أرسل لكم نسخةً منه فور صدوره من الطبع . وأخيراً واجهت مشكلة : جاءت في المنجد هذه الأفعال :

١ ـ أَوِبَ ـَـ : غضب
٢ ـ أَوِدَ ـَـ : اعوج وانحنى
٣ ـ أَيِكَ ـَـ : صار أيكة ـــ طبعة ٢١ ، ص ٢١ ـ ٢٢

السؤال : أليس من المفروض أنّ الواو والياء المتحركة والمفتوح ماقبلها تقلب ألفاً دائماً ؟ماحال هذا الاستثناء ؟ إذا كان هذا صحيحاً فكيف يكون الصرف في الماضي والمضارع فما بعد ؟

أرجو من سماحتكم الإجابة بالتفصيل . وشيء من السرعة لأننا أوقفنا

عملنا بانتظار جوابكم الكريم . أسأل الله لكم النجاح والصحة والعافية والتوفيق في سبيل خدمة الأمة العربية العظيمة .

دكتور محمد حسين روحاني

(أستاذ اللغة العربية)

تهران إيران ، خيابان انقلاب ، انتشارات نيل

وقد أحيل هذا الاستفتاء إلى عضو لجنة الأصول الأستاذ أحمد راتب النفاخ فأجاب بما هذا نصه :

لاريب أن مهيع العربية في الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ماقبلهما ولم تكونا فاءين أن تُعَلاّ فتُقلَبا ألفاً . إلا أن هذه العلة كما بيّن المحقق الرضيّ في شرح الشافية ٣ / ٩٥ « ليست في غاية المتانة .... ولوهْنها تقف عن التأثير لأدنى عارض » . وانظر تمام كلامه ثمة . وكان من ذلك أن شذت في هذا الباب أفعال وأسماء شتى جاءت فيها الواو والياء على الصحة مع تحركها وانفتاح ماقبلها . ومن ذلك الأفعال الثلاثة التي ذكرها دكتور روحاني في استفتائه : أوِب ، بمعنى غضِب ، وأوِد ، أي اعوجّ ، وأيك [الأراك] إذا التف وكثر وصار أيكة . والفعلان الأخيران نقلهما وأثبتهما غير واحد من أئمة اللغة . وأما الأوّل ـ أي « أوِب » بمعنى غضب ـ فلم يثبته من المتقدمين ـ فيما وقفت عليه ـ إلا الصغاني في الذيل والتكملة والصلة ، قال : « أوِبَ : غضب ، وأوأبه : أغضبه » ولم يذكر عمن نقل ذلك ، وتبعه المجد الفيروزابادي في القاموس ، قال : « أوِب ـ كفرح : غضب ، وأوأبته » وقال شارحه الزبيدي في التاج في « أوأبته » : « على مثال أفْعَلْتُه » وهو غريب ؛ فإن قِياس العربية يوجب أن يقال في « أفعلتُه » من هذا الحرف : « آوَبْتُه » والأصل : « أأْوبتُه » ولما اجتمعت همزتان : مفتوحة فساكنة سُهِّلت الساكنة فقُلبت ألفاً .

وإن صحّ نقل « أوأبتُه » بهذا المعنى من المقلوب قُدّمت فيه العين إلى موضع الفاء ، والوجه أن يقال في زنته : « أعْفلتُه » .

ونظير ماذكر الدكتور من الأفعال قولهم : « عَوِرَ ، وحَوِل ، وصَيِد » وقد ذهب أصحاب العربية في هؤلاء الأفعال إلى أن الواو والياء صحتا فيهنّ لأنهن في معنى مالابدّ من خروجه على الصحة لسكون ماقبل الواو والياء فيه . يريدون أنه كان من حقّهن من حيث دلالتهن على عيوب حسية ظاهرة أن يُبنَيْن على مثال « افْعَلّ » الموضوع للدلالة على هذا المعنى فيقال : « اعْوَرّ ، واحْولّ ، واصْيدّ » ولما عُدِل بهن إلى بناء « فَعِل » صحت الواو والياء فيهن كما تصح فيهن إذا بنين على مثال « افْعَلّ » . وقد سُمِع الإعلال فيهن ، أي حكي عن بعض العرب « عار ، وحال ، وصاد » وجاء في معجم العين (صيد) ٧ / ١٤٤ « أهل الحجاز يثبتون الياء والواو في نحو صَيِد وعَوِر ، وغيرهم يقول : صاد يصاد ، وعار يعار » وجاء فيه أيضاً (حول) ٣ / ٢٩٩ : « الحَوَل : إقبال الحدقة على الأنف ، حَوِلت تَحْوَل ..... ولغة تميم : حالت عينه تحول حَوَلاً » . وقد سُمِع أيضاً : « اعْوَرّ » و « احْوَلّ » وأما « صَيِد » فلم أصب نصّاً صريحاً على أنه سمع فيه أيضاً : « اصْيَدّ » .

وما علّلوا به صحة الواو والياء في « عَوِر ، وحَوِلَ ، وصَيِد » يصدق ـ فيما أرى ـ على أحد الأفعال التي ذكرها الدكتور ، وهو « أوِدَ » كما يصدق على قولهم : « عَوِج » أيضاً ؛ فإن كليهما يدلّ على عيب حسّيّ ظاهر ، وكان الأصل أن يُبنَيا على مثال « افْعَلّ » . وكأن أبا الفتح بن جني ألمع إلى ذلك بقوله في المنصف ١ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠ بعد كلامه في « عَوِر » وأخوَيْه : « وحكى أبو زيد « أوِدَ البعير يأوَدُ أَوَداً » وإنما صحّ

هذا عندي لأنه رسيل « عَوِج يَعْوَج عَوَجاً » فأجْرِيَ مُجْرى نظيره . ولم أسمعهم استعملوا من « أَوِدَ » : « افْعَلّ » ولو جاء لكان قياسه : اِيوَدَّ » .

وأما « أوِبَ » إن صح نقله ، و « أيك » فلم أجد مايشبه أن يكون علّة لتصحيح الواو والياء فيهما إلا أن يكونا أُجْريا مُجْرى « عَوِر » وأخواته لموافقتهما لها في الزنة وإن كانا خلْواً من العلة التي عُلِّل بها تصحيح تلك الأفعال .

والوجه في تصريف هذه الأفعال أن تصح الواو والياء في مضارعاتها والأمر منها وفي مصادرها تبعاً لصحتها في الماضي ، فيقال : « أوِبَ يَأْوَبُ أَوَباً ، وأَوِدَ يأوَدُ أَوَداً ، وأيِكَ يأيَكُ أيَكاً » . وإذا استعمل الأمر منها فالوجه أن يقال : « اِيوَبْ ، واِيوَدْ ، واِيْئَكْ » تقلب الهمزة التي هي فاءٌ ياءً لسكونها بعد همزة مكسورة ، فإذا وقع قبلها حرف متحرك وسقطت همزة الوصْل حُقِّقت الهمزة التي هي فاء لزوال موجب تسهيلها . ولايجوز في « اِيوَدْ ، وايوَبْ » أن تقلب الواو ياء وتدغم في الياء التي قبلها لاجتماعهما والسابقَ منهما ساكن ، لأن الياء فيهما همزة مسهَّلة تسهيلاً قياسياً ، وماهذه سبيله من الهمزات فحكمه حكم الهمزة المحقّقة .

تنبيه

الأستاذ وهيب دياب

تحت عنوان (مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة) قرأتُ في جزء نيسان ١٩٨٥ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أخبار جلسات المؤتمر، وقد جاء في الصفحة ٣٨٩ مايلي :

(لجنة الألفاظ والأساليب

أ ـ كلمات فصاح فاتت المعجمات :

١ ـ رهيب : لفظة رهيب مما لم يرد في المعاجم ، ولكنها جاءَت في شعر أبي ذؤيب الهذلي :

بِيضٌ رِهَـــــابٌ ريشهن مُقَـــزَّعُ

ـ ٤٢٧ المفضليات ـ

بيض رهاب : نصال رقاق مرهفة ، ورهاب جمع رهيب بمعنى مرهوب ، وجميع المعاجم لم تذكر هذا اللفظ المفرد . وتخريج ذلك صرفياً أنها محولة عن مفعول والتحويل كثير أو قياسي .)

وفي حاشية الصفحة ٤٢٧ من كتاب المفضليات للضبي ، نجد كلام الأستاذ المرحوم أحمد محمد شاكر والأستاذ الكريم عبد السلام محمد هارون ، وهما شارحا الكتاب ، وهذا نص شرحهما :

[رهاب : رقاق مرهفة ، يعني نصالاً ، واحدها « رهيب » ، وهذا المفرد ليس في المعاجم ، بل فيها انه « رهب »]

أقول : جاء في الصفحة ٣١ من الجزء الأول من شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري :

فدنا له رب الكلاب بكفه بيض رِهاب ريشهن مُقَزَّعُ

ويروى : « فبدا له » . و « الرهاب » ، الرقاق الشفرات المرهفة ، والواحد « رَهْبٌ » ، يريد نصالاً تتلألأ وتبرق .)

وجاء في الصفحة ٣٩٠ من مجلة المجمع بدمشق ، والكلام مما تقدمت به لجنة الألفاظ والأساليب في المؤتمر :

(٤ ـ قَذيف بمعنى دَعيّ النسب .

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر لسبيع بن الخطيم ، وهو جاهلي :

مِن غير ماجُرْم أكون جَنَيْتُهُ

فيهم ، ولا أنا إن نُسِبْتُ قَذيفُ

ـ ٣٧٤ المفضليات ـ

واللفظة مما لم يرد في المعاجم بهذا المعنى .)

وحين نرجع الى المفضليات نجد شرح الأستاذين الكريمين شاكر وهارون ، وهذا نصه :

(أي لستُ بدخيل في قومي فأقذف بذلك ، فقذيف هنا بمعنى دعي النسب ، ولم يُذكر في المعاجم .)

أقول : هذا التفسير قد أخطأ الصواب ، والشاعر إنما أراد ، ولا أنا إن نُسبتُ بعيد في النسب . يقول ابن دريد في الجمهرة ـ ٢ / ٣١٥ ـ : (منزل قذف وقذيف : بعيد) والظاهر أنه يوصف بقذيف غير المنزل ، لأن ابن دريد نفسه يقول في احدى قصائده :

إنَّ حُكْمَ الْمَقَلِ النُّجْلِ على الخَلْقِ يَحيفُ

هُـــنَّ قَــرَّبْــنَ إلــيَّ الــوَجْــدَ والــوجــدُ قــذيفُ

والقصيدة في كتاب أمالي الزجاجي ، في الصفحة ٧٠ ومابعدها ، وهو من تحقيق الأستاذ هارون ، وفي الصفحة ٧٣ يقول الزجاجي في شرح القصيدة : (القذيف : البعيد) .

وجاء في الصفحة ٣٩٢ من مجلة المجمع بدمشق ، والكلام مما تقدمت به لجنة الألفاظ والأساليب في المؤتمر :

(٩ ـ المعينُ بمعنى الأجير ، لأنه يعاون صاحب العمل في أمره وهذه اللفظة بهذا المعنى وردت في شعر المثقب العبدي وهو جاهلي ، يمدح عمرو بن هند ملك الحيرة :

كأنَّ نَفِيَّ مـــاتنفي يـــداهـــا قِــذافُ غريبـــةٍ بيـــدي مُعينِ

ـ ٢٩١ المفضليات ـ

شَبَّهَ ماتنفي يدا الناقة من الحصا في سيرها بحجارة تقذف بها ناقة غريبة أتت حوضاً غير حوضها لتشرب منه فَرُمِيَتْ .)

وفي حاشية الصفحة ٢٩١ من كتاب المفضليات يقول الأستاذان الكريمان شاكر وهارون : (شَبَّهَ ماتنفي يداها من الحصى بحجارة تقذف بها ناقة غريبة أتت حوضاً غير حوضها لتشرب منه فَرُميت) .

وهذا التفسير يحتاج إلى إعادة النظر فيه ، فقول الشاعر (قِذاف غريبة) يعني قِذاف كَبْداء ، ورحى اليد اسمها الغريبة واسمها الكبداء . يقول الزمخشري في مادة (غ ر ب) في أساس البلاغة : (ومن المجاز : استعيروا لنا الغريبة وهي رحى اليد لأنها لاتقر عند أربابها لكونها متعاورة) . ويقول الصغاني في مادة (ك ب د) في التكملة والذيل

والصلة : (الكبداء : الرحى التي تدار باليد ، سُمِّيَتْ : كبداء ، لما في ادارتها من المشقة) . ويقول الأزهري في مادة (غرب) في كتابه تهذيب اللغة : (ورحا اليد يقال لها غريبة ، لأن الجيران يتعاورونها ، وأنشد بعضهم :

كأن نفي ماتنفي يداها نفيٌّ غريبة بيدَي مُعينِ

والمعين أن يستعين المدير بيد رجل أو امرأة يضع يده على يده إذا أدارها) .

وفي التكملة والذيل والصلة مثل هذا الكلام ، وهو في لسان العرب لابن منظور وفي تاج العروس للزبيدي .

انني أرجو من لجنة المعجم الكبير في مجمع القاهرة أن تنعم النظر في الألفاظ التي وصى المؤتمر بإدخالها في المعجم الكبير لأن الغلط في المعجم يساوي ألف ألف غلط .

التقرير السنوي

عن أعمال المجمع في دورته المجمعية

(١ / ٩ / ١٩٨٤ - ٣١ / ٨ / ١٩٨٥)

أولاً - جلسات المجمع :

عقد مجلس المجمع احدى وعشرين جلسة نوجز فيما يلي أهم مابحث فيها :

١ - جدد انتخاب الأستاذ الدكتور حسني سبح لمدة أربع سنوات أخرى ، وذلك بعد اعتذاره واصراره على عدم تجديد ترشيحه ، فشكلت لجنة لمقابلته واقناعه بالعودة ، ثم انتخب باجماع السادة الأعضاء ، وصدر بذلك المرسوم ذو الرقم ٣١ ، تاريخ ٥ / ١ / ١٩٨٥ م .

٢ - جدد تعيين الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً في اللجنة الادارية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٣ / ١٠ / ١٩٨٤ م (القرار ذو الرقم ١٢٢ تاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٨٤) .

٣ - شكلت لجنة من السادة الأستاذ المهندس وجيه السمان ، الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان لعرض المعوقات التي تعترض أعمال المجمع ، وقد درست اللجنة هذه النواحي وأقر المجلس المشروع ، ورفعت رئاسة المجمع بياناً بذلك إلى وزارة التعليم العالي في الكتاب ذي الرقم ٨٣٤ / ص تاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٨٤ م .

٤ - شكلت لجنة من الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح والأستاذ الدكتور عدنان الخطيب والأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان ، تضم

إليها من تشاء من المختصين ، لتقوم بإعادة النظر في القانون والأنظمة المتعلقة بالمجمع وملاكه ، ولتضع له مشروع قانون جديد ومشاريع أنظمة داخلية جديدة . وتقوم اللجنة حالياً بتأدية هذه المهمة ، وقد رفع مشروع القانون المذكور بعد أن اقره مجلس المجمع إلى الجهات المختصة بالكتاب ذي الرقم ٥٥١ / ص تاريخ ٢٧ / ٧ / ١٩٨٥ م .

٥ ـ شكلت لجنة من السادة ماجد الذهبي ومطيع الحافظ وسماء المحاسني لانتقاء الكتب النادرة والمتكررة ، لنقلها إلى مكتبة الأسد تنفيذاً لكتاب رئاسة مجلس الوزراء ذي الرقم ٣٧٢٦ / ١ تاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٤ م ومازالت اللجنة تقوم بمهمتها .

٦ ـ مدد تكليف الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب الرئيس الاشراف على مجلة المجمع (القرار ذو الرقم ٣٤ تاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٨٤) .

٧ ـ كلف الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي تمثيل المجمع في الندوة التي أقامتها المستشارية الثقافية بمناسبة مرور ثمانمئة عام على ولادة الشاعر سعدي الشيرازي فألقى بحثاً بعنوان « شيراز وابنها سعدي » ونشر في مجلة التراث العربي .

٨ ـ تقرر ترشيح الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع لتمثيل المجمع بتونس في الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة المؤرخ العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب العضو المراسل في المجمع والمزمع إقامته في ٨ / ١١ / ١٩٨٥ م .

٩ ـ عُدّلت لجنة المجلة والمطبوعات فأصبح أعضاؤها على النحو التالي : الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، الأستاذ المهندس وجيه السمان ،

الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان .
وصدر بذلك القرار رقم ٥٨ / ن تاريخ ١١ / ٥ / ١٩٨٥ م وينص على تكليف الأستاذ الدكتور شاكر الفحام الاشراف على المجلة .

١٠ ـ عدلت لجنة المخطوطات وإحياء التراث ، فأصبح أعضاؤها على النحو التالي : الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، الأستاذ عبد الهادي هاشم ، الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي . وصدر بذلك القرار رقم ٥٧ / ن تاريخ ١١ / ٥ / ١٩٨٥ م .

١١ ـ كُلّف عدد من السادة أعضاء المجمع وبعض الخبراء دراسة مشروعات المعاجم المرسلة من مكتب تنسيق التعريب في الرباط وهي معاجم الفيزياء العامة والفيزياء النووية والكيمياء الخاصة بالمرحلة الجامعية والتي سيناقشها المؤتمر الخامس للتعريب في عمّان والمزمع عقده بين ٢١ ـ ٢٥ / ٩ / ١٩٨٥ م .

ثانياً ـ أعمال لجان المجمع

١ ـ درست لجنة المصطلحات عدداً من الرسائل الواردة إلى المجمع ، منها رسائل المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والمصطلحات ، ورسالة مركز التدريس وبحوث طب الفم من وزارة التربية وناقشت عدداً من المصطلحات الفيزيائية ، ومصطلحات طب الأسنان . وأخذت في دراسة مشروع ملحق المعجم العسكري الموحد بقسميه الأول الأول (انكليزي ـ عربي) والثاني (فرنسي ـ عربي) . وقد بلغت الجلسات المعقودة لدراسة مشروع ملحق المعجم العسكري احدى عشرة جلسة في هذه الدورة المجمعية .

٢ ـ تابعت لجنة المجلة والمطبوعات جهودها في إصدار أعداد المجلة وأقرت

طبع عدد من الكتب .

٣ ـ درست لجنة المخطوطات واحياء التراث الكتب المقدمة إليها ، وأقرت طبع الجزء الثاني من كتاب معرفة الرجال ، ومازال بين يديها عدد من الكتب للمناقشة والدراسة .

ثالثاً ـ مشاركات المجمع خارج القطر :

١ ـ شارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح ، والأستاذ الدكتور عدنان الخطيب أمين المجمع في المؤتمر السنوي لمجمع القاهرة ، والذي انعقد في الأسبوع الأخير من شباط عام ١٩٨٥ م .

٢ ـ شارك الأستاذ المهندس وجيه السمان ممثلاً عن المجمع في مؤتمر منظمة الاتحاد العالمي للاتصالات السلكية واللاسلكية لمناقشة المصطلحات المتعلقة باختصاصها وذلك في المرحلة الأولى في دمشق من ١٠ / ٨ ـ ١٠ / ٩ / ١٩٨٤ وفي الرباط من ١٦ / ٩ ـ ١٥ / ١٠ / ١٩٨٤ م ، وسيشارك في المرحلة الثانية التي ستعقد في دمشق من ١٠ / ٨ ـ ١٠ / ٩ / ١٩٨٥ م وفي الرباط من ١٥ / ٩ ـ ٦ / ١٠ / ١٩٨٥ م .

رابعاً ـ أعضاء مراسلون جدد في المجمع :

انتخب مجلس المجمع مراسلين من مختلف البلاد العربية والبلاد الصديقة ، وهم الأستاذان محي الدين صابر وعبد الله الطيب من السودان والقاضي اسماعيل بن علي الأكوع من اليمن والأستاذ أكرم زعيتر من فلسطين ، والأستاذ مختار الدين أحمد من الهند والأستاذ عبد الرحمن ناجونغ من الصين .

خامساً ـ مطبوعات المجمع :

أ ـ الكتب التي أنجز طبعها خلال هذه الدورة

١ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر :

أ ـ (جزء فيه تراجم الأحمدين) . بتحقيق الأستاذ عبد الغني الدقر .
ومراجعة الأستاذ مطاع الطرابيشي .

ب ـ (جزء فيه ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه) بتحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

ج ـ (جزء فيه قسم من السيرة النبوية) « القسم الأول » بتحقيق الأستاذة نشاط غزاوي .

٢ ـ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي
صنعة الأستاذ مطاع الطرابيشي (ط ٢) .

٣ ـ معرفة الرجال ليحي بن معين « الجزء الأول » بتحقيق الأستاذ محمد كامل القصار .

٢ ـ الكتب التي يجري طبعها

١ ـ الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي .

أ ـ « الجزء الأول » بتحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان .

ب ـ « الجزء الثاني » بتحقيق الأستاذ غازي طليمات .

٢ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

أ ـ (جزء فيه تراجم عبد الله بن سالم ـ عبد الله بن أبي عائشة) بتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي .

٣ ـ المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني بتحقيق الأستاذ سبيع الحاكمي .

٤ ـ الحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء بتحقيق الأستاذين مصباح غلاونجي وماجد الذهبي .

٥ ـ معرفة الرجال ليحي بن معين « الجزء الثاني » بتحقيق الأستاذين محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير .

٦ ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية .

٣ً ـ الكتب التي تقرر طبعها بعد دراستها

١ ـ اعراب الحديث النبوي للعكبري بتحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان (ط ٢) .

٢ ـ البغداديات لأبي علي الفارسي بتحقيق الأستاذة رفاه طرقجي .

٣ ـ ديوان أبي الفتح البستي بتحقيق الأستاذين لطفي الصقال ودرية الخطيب .

٤ ـ شعر خداش بن زهير بتحقيق الدكتور يحي الجبوري .

٥ ـ المسائل المنثورة لأبي علي الفارسي بتحقيق الأستاذ مصطفى الحدري .

٦ ـ المستدرك على فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (فهرس الشعر) وضع الأستاذ رياض مراد .

سادساً ـ مطبوعات المجمع في معارض الكتب :

مثلت مؤسسة دار الفكر للطباعة بدمشق مجمع اللغة العربية في عرض مطبوعاته خلال الدورة المجمعية بمعارض الكتب التالية :

١ ـ معرض الجزائر الدولي الثالث للكتاب وأقيم في الجزائر من ٢١ ـ ٢٨ / ٩ / ١٩٨٤ .

٢ ـ المعرض السادس للكتاب وأقيم في جامعة صنعاء من ٢٤ / ٩ ـ ٨ / ١٠ / ١٩٨٤ .

٣ ـ المعرض العاشر للكتاب العربي وأقيم في الكويت من ٤ ـ ١٤ / ١٢ / ١٩٨٤ .

ـ معرض تـونس للكتـاب (الـدورة الرابعـة) وأقيم في تـونس من ٣١ / ٥ ـ ١٠ / ٦ / ١٩٨٥ .

سابعاً ـ مكتبة المجمع الخاصّة :

كانت الزيـادة في مكتبـة المجمع خلال هـذه الـدورة المجمعيـة ثلاثين كتاباً شراء ومئتين وواحداً وسبعين كتاباً إهـداء ، وبلغ مـاورد إلى المجمع من مجلات خلال هذه الدورة أيضاً ثلاثمئة وثلاثة وثمانين عدداً .

ثامناً ـ موازنة المجمع :

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في الميزانية العامة للـدولـة عـام ١٩٨٥ م مبلغ (٠٠٠ , ٧٧٨ , ١ ليرة سوريـة ، كما بلغ المرصود للمجمع من الميزانيـة الاستثمـاريـة للعـام نفسـه مبلغ (٠٠٠ , ٢٥٠ , ٤) ليرة سوريـة خصصت من أجل استكمـال مشروع إعـداد مخزن للكتب وكسـوة قـاعـة المحاضرات ودفع أتعاب المهندسين والمشرفين .

وقـد صرف من الاعتمادات المرصـودة من الميزانيـة العـامـة حتى تـاريـخ ٣١ / ٨ / ١٩٨٥ م مبلـغ (٢٣٤ , ٣٥١ , ١) ليرة سـوريـة . وصرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية الاستثمـاريـة حتى التـاريخ المـذكور مبلغ (٠٠٠ , ٨٣٠) ليرة سورية .

تاسعاً ـ افتقاد مجمعيين :

١ ـ افتقد المجمع خلال هذه الـدورة عضوين بـارزين من كبـار أعضـائـه العاملين وهمـا : الأستـاذ عبـد الكريم زهور عـدي الـذي توفي رحمـه الله في دمشـق يـوم الثـلاثـاء ٢٦ رجب ١٤٠٥ هـ المـوافـق ١٦ نيسـان ١٩٨٥ م . والأستـاذ الـدكتور شكري فيصل الـذي توفي رحمـه الله في جنيف يـوم السبت ١٧ ذي القعـدة ١٤٠٥ هـ المـوافـق ٣ آب ١٩٨٥ م

إثر عملية جراحية ودفن بمقبرة البقيع في المدينة المنورة .

٢ - كما افتقد المجمع عضوين من أعضائه المراسلين وهما : الأستاذ محمد عبد الغني حسن من جمهورية مصر العربية والأستاذ أحمد حامد الصراف من الجمهورية العراقية رحمها الله .

عاشراً - دار الكتب الظاهرية :

١ - بلغ عدد الكتب المطبوعة الموجودة في دار الكتب الظاهرية مع نهاية هذه الدورة (٦٨٩٥٠) كتاب ، وذلك بعد أن ضُمّ إليها (٦٠٠) كتاب عربي وأجنبي .

٢ - بلغ عدد الكتب المعارة (٢٥٥٤١) كتاب .

٣ - بلغ عدد رواد المكتبة نحو (٢٥٠٨١) زائر .

٤ - تلقت الدار في هذه الدورة (١٧٩) دورية باللغة العربية و (١٨٠) دورية باللغات الأجنبية .

٥ - بلغ عدد مستعيري الدوريات (١٤٨) قارئ .

٦ - صورت مكتبة الاسد (٢٦١) مجلد من الصحف السورية .

٧ - نقلت المخطوطات كلها من دار الكتب الظاهرية إلى مكتبة الأسد بناء على كتاب رئاسة مجلس الوزراء ذي الرقم ١ / ٣٧٢٦ تاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٤ ونظم بذلك ضبط رسمي مؤرخ في ١ / ٧ / ١٩٨٥ م وأودع المجمع نسخة مصورة منه .

٨ - تسلمت مكتبة الأسد (٢٢٥٠) كتاب من الكتب المتعددة النسخ كما تسلمت (١٠٥) كتاب باللغة الروسية .

٩ - يجري جرد باقي محتويات الدار من الكتب لتسليم مكتبة الأسد الكتب النادرة والمطبوعة في سورية ونسخة من كل كتاب مكرر .

الكتب المهداة

لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٥ م

محمد مطيع الحافظ

- **الفتح والبشرى في مناقب الزهراء** - للسيد محمد الجفري ، تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨٥ م .

- **العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري** - تأليف عباس الجراري - الدار البيضاء ١٩٨٥ م .

- **عهد الوفاء (تأبين عبد الله بن العباس الجراري)** - الدار البيضاء ١٩٨٣ م .

- **الفكر والوحدة** - عباس الجراري - الرباط ١٩٨٤ م .

- **المدينة الإسلامية** - أشرف على النشر ر . ب . سرجنت - ترجمة أحمد محمد تعلب - اليونسكو ١٩٨٣ م .

- **ديوان الجواهري (الجزء الخامس)** - أشرف على طبعه ووضع فهارسه د . عدنان درويش . دمشق ١٩٨٤ م .

- **ديوان السيد هلال بن بدر البوسعيدي** - تحقيق محمد علي الصليبي . سلطنة عمان ١٩٨٥ م .

- **مختـــارات من الشعر الافريقي** - ك . اي سينـــاتــو ، وت . فانسانت - ترجمة جميل الضحّاك . دمشق ١٩٨٥ .

- **البسطي آخر شعراء الأنـدلس** - د . محمـــد بن شريفـــة - بيروت ١٩٨٥ م .

- **عبد المعين الملوحي يرثي نفسه** - دمشق ١٩٨٤ م .

- **ثمار الجليد** - (**شعر**) - فايز خضور - دمشق ١٩٨٤ م .

- **المرثية الدائمة** (**شعر**) مصطفى خضر - دمشق ١٩٨٤ م .

- **البينـا (دراما في ثلاثـة فصول)** - يـوردان يـوفكـوف - ترجـمة ميخائيل عيد - دمشق ١٩٨٥ م .

- **آلام وأحلام** (**شعر**) - إبراهيم سلمان - دمشق ١٩٨٤ م .

- **قصـائـد مشرفـة على السهـل** (**شعر**) - صقر عليشي - دمشـق ١٩٨٤ م .

- **قتلوا الحمام (ثلاث مسرحيات شعريـة لـلأطفال)** - صـالـح هواري - دمشق ١٩٨٤ م .

- **السمفونية الهادئة (مسرحية في فصل واحـد)** - وليـد فـاضل - دمشق ١٩٨٥ م .

- **كنتة الشرقيون** - بول مارتي - عربه محمد محمود ولد ودّادي - دمشق .

- **إصلاح ما غلط فيـه أبو عبـد الله النمري في أبيـات الحماسـة** - لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني - معهد المخطوطات العربيـة - الكويت ١٩٨٥ م .

- **رسائل المستشرق المجري الراحل الحاج عبد الكريم جرمانوس إلى عيسى الناعوري** - عليكرة الهند - ١٩٨٢ م .

- **منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان** - نصوص ودراسة - د . وديعة طه النجم - الكويت ١٩٨٥ م .

- **الماء وما ورد في شربه من الآداب** - محمود شكري الألوسي - تحقيق محمد بهجة الأثري - الرباط ١٩٨٥ م .

- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي** - لأبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي ، عرف بابن الزيات - تحقيق أحمد التوفيق - المغرب ١٩٨٤ م .

- **رد الشمس** - محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨١ م .

- **من كتاب بين الجدران فيما فسر ومادل على تفسير القرآن من نفس القرآن** - سيد مهدي محمد السويج - عجمان .

- **تذكرة وكلاء المجتهدين والمقلدين** - سيد مهدي السويج .

- **التبصرة في القراءات** - مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق د . محي الدين رمضان - الكويت ١٩٨٥ .

- **مقالة في التوحيد للشيخ يحي بن عدي** - تحقيق الأب سمير اليسوعي - جونية ١٩٨٠ .

- **مَيْمَر في وجود الخالق والدين القويم** - ثاوذورس أبو قرة - تحقيق الأب د . اغناطيوس ديك - جونية ١٩٨٢ .

- **مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية لبولس**

البوشي ـ تحقيق الأب سمير اليسوعي ـ جونية ١٩٨٣ .

ـ **حواشي ابن المحرومة على كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث** لابن كمونة ـ حققه المطران حبيب باشا ـ جونية ١٩٨٤ .

ـ **كتاب مصباح العقل ـ ساويرس بن المقفع** ـ تحقيق الأب سمير خليل اليسوعي القاهرة ١٩٧٨ .

ـ **تاريخ المسرح (٣)** ـ فيتو باندولفي ـ ترجمة الأب إلياس زحلاوي ـ دمشق ١٩٨٤ .

ـ **مختارات من الأدب الافريقي** ـ عدد من المؤلفين ـ ترجمة شوكت يوسف ـ دمشق ١٩٨٥ .

ـ **عرس حلبي وحكايات من سفر برلك** ـ عبد الفتاح رواس قلعه جي ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **أحياء حلب وأسواقها** ـ خير الدين الأسدي ـ حققه وزاد عليه وقدم له ووضع فهارسه عبد الفتاح رواس قلعه جي ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **التفاحة (مجموعة قصص)** ـ أنيس إبراهيم ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **سر الرمح المنقوش (رواية للفتيان)** ـ دياب عيد ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **الكنز (حكايات من العالم)** ـ اقتباس سعد صائب ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **المدينة الأخرى (رواية)** ـ خيري الذهبي ـ دمشق ١٩٨٥ م .

ـ **قصة فتاة في مقتبل العمر** ـ ج . ل . بريسلي ـ ترجمة موفق

شقير ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **بسبوس الأعرج (قصة للأطفال)** ـ محمود البكر ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **البنت الوفية (حكايات من العالم)** ـ اقتباس : سعد صائب ـ دمشق ١٩٨٤ .

ـ **أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ الكويت ١٩٨٥ م .

ـ **تاريخ الأفكار السياسية : الجزء الأول من الأصول إلى القرن الثامن عشر** ـ جان توشار ـ ترجمة ناجي الدراوشة ـ مراجعة علي الخش ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **تاريخ الأفكار السياسية : الجزء الثاني من القرن الثامن عشر إلى أيامنا** ـ جان توشار ـ ترجمة ناجي الدراوشة ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **السياسة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة** ـ لقدامة بن جعفر الكاتب ـ تحقيق وتقديم د . مصطفى الحياري ـ عمان ١٩٨١ م .

ـ **الخراج وصناعة الكتابة** ـ قدامة بن جعفر ـ شرح وتعليق د . محمد حسين الزبيدي ـ بغداد ١٩٨١ م .

ـ **الأطفال يكتشفون صحوناً طائرة** ـ جان كلود ديره ـ ترجمة أديب العاقل ـ مراجعة ميشيل كيلو ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **المادة كما ترى اليوم (أحاديث أجراها إميل نويل مع عدد من الباحثين)** ـ ترجمة وائل أتاسي ـ دمشق ١٩٨٥ م .

- **الواقع الاجتماعي** - هارفي فاربرمان ، أريك غود - ترجمة ندرة اليازجي - مراجعة عبد المجيد النشواتي - دمشق ١٩٨٥ م .

- **الأشباح الأربعة (الجزء الأول والثاني) (مشاكل اجتماعية معاصرة : التلوث - الفقر - المجاعة - العنف)** - استربنشيف - ترجمة فاروق بريك - دمشق ١٩٨٥ م .

- **الماوردي في نظرية الادارة الإسلامية العامة** - د . فاضل عباس الحسب - عمان ١٩٨٤ م .

- **ارتحال في أعماق الكون** - المهندس فايز فوق العادة - دمشق ١٩٨٤ م .

- **أوربة التقنية (القسم الأول والثاني)** - دافيد . س . لاند - ترجمة روزيت خوري - دمشق ١٩٨٤ - ١٩٨٥ م .

- **تعليم الكبار بالراديو والتلفزيون (دروس من الخبرة العالمية)** - اجناسي فانيفتش باريس (اليونسكو) - ١٩٧٣ م .

- **التربية البيئية على ضوء مؤتمر تبيليسي** - اليونسكو ١٩٨٣ م .

- **كلمات تربوية** - الأستاذ محمد نجيب السيد أحمد - دمشق .

- **تربية اليسْر وتخلف التنمية** - د . عبد العزيز عبد الله الجلال - الكويت ١٩٨٥ م .

- **نحو عالم الغد (تأملات في النظام الاقتصادي الدولي الجديد)** - اليونسكو - باريس ١٩٧٦ م .

- **التربية من أجل التعاون والسلام على الصعيد الدولي في مرحلة التعليم الابتدائي** - اليونسكو - باريس ١٩٨٣ م .

- **المرأة في الحياة المهنية من أجل تكافؤ الفرص بين الجنسين** - جرمين بورسيل - اليونسكو - باريس ١٩٨٤ .

- **الشخصية (الجزء الأول)** - الشاذلي الساكر - تونس ١٩٨٥ م .

- **التغير الاجتماعي (١ - ٢) (مصادره - نماذجه - نتائجه)** - اميتاي اتزيوني ، وأيفا اتزيوني - ترجمة محمد أحمد حنونه - مراجعة عبد الكريم ناصيف - دمشق ١٩٨٤ م .

- **الغرب والعالم (تاريخ الحضارة من خلال موضوعات) القسم الأول** - كافين رايلي - ترجمة د . عبد الوهاب المسيري ، د . هدى حجازي ، د . فؤاد زكريا .

- **تعليم الكبار والتنمية (١ - ٢) مختارات من مستقبل التربية)** - اليونسكو - باريس ١٩٨٢ م .

- **محو الأمية (التقدم الذي أحرزته جهود محو الأمية في مختلف القارات)** - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **تعليم البنات** - إيزابيل ديبلي - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **التربية المستديمة وإعداد العاملين في التربية** - جيمس لينش - اليونسكو - باريس ١٩٨٣ م .

- **كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية (الجزء السادس)** - عمر بن مسعود المنذري - عمان ١٩٨٤ م .

- **جوانب من سياسة الجزائر الثقافية** - سيد أحمد بغلي - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في السودان** - إعداد محمد عبد الحي - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **السياسة الثقافية في العراق** - عبد الجبار داود البصري - اليونسكو - باريس ١٩٧٩ م .

- **السياسة الثقافية في المغرب** - إعداد محمد بن بشير ، نجيب مولاي محمد - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في المملكة العربية السعودية** - د . محمد المنيع ، د . عبد الرحمن السبيت - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في تونس** - رفيق سعيد - اليونسكو - باريس - ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في الأردن** - د . هاني العمد - اليونسكو - باريس - .

- **السياسة الثقافية في الجمهورية العربية اليمنية** - عبد الرحمن الحداد - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **علم النسج والتشريح المقارن** - د . محمد أبو حرب - دمشق ١٩٨٤ م .

- **علم الخلية والتكاثر** - د . محمد أبو حرب ، د . نجاح بيرقدار - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الغـدد الصم والتنسيـق الحـاثي** ـ د . محمـد أبـو حرب ـ دمشـق ١٩٨٢ م .

- **التطبيقات العمليـة في علم الحياة الحيـوانيـة** ـ د . محمـد أبو حرب ، د . نجاح بيرقدار ، هيفاء الحمصي ـ دمشق ١٩٨٤ .

- **توحيد مسميات الهياكل التنظيمية في الدول العربية** ـ د . بشير الخضرا ـ عمان ١٩٨٥ م .

- **بروتين أحادي الخلية من المشتقات الهيدروكربونيـة لتغـذيـة الحيوانات** ـ د . ابراهيم يوسف حمدان ـ الكويت .

- **التمرس بتدريس الكيمياء** ـ اليونسكو ـ باريس .

- **مرشـد اليـونسكـو لمدرسي العلـوم** ـ ترجـمة د . إبراهيم حـافـظ ـ اليونسكو ـ باريس ١٩٨٤ م .

- **نتعلم ونعمـل (رصـد واقـع التربيـة ، مختـار من « مسـتقبليات »)** ـ اليونسكو ـ باريس ١٩٨٣ م .

- **التربية العلميـة والتكنولوجيـة في التنميـة الوطنيـة** ـ نقلـه إلى العربية أحمد شفيق الخطيب ـ بيروت .

- **منابع المستقبل** ـ أحمد مختار أمبو ـ اليونسكو ـ باريس ١٩٨٢ م .

- **دور العلم والتكنولوجيـا في التنميـة** ـ دانييل بيرمـان ـ بـاريس ـ اليونسكو ـ ١٩٨٠ م .

- **توافـق الآراء والسـلام** ـ عـدد من المـؤلفين ـ اليـونسكـو ـ بـاريس ١٩٨٤ م .

- **فلسفة لتنمية جديدة** - فرانسوا بيرو - بيروت ١٩٨٣ م .

- **التنمية الثقافية تجارب إقليمية** - عدد من خبراء اليونسكو - ترجمة سليم مكسور ، مراجعة عبده وازن - بيروت ١٩٨٣ م .

- **من التشاور إلى اتفاق الرأس (اليونسكو وتضامن الأمم)** - أحمد مختار أمبو - اليونسكو - باريس ١٩٧٩ م .

- **اليونسكو (١٩٨٤ - ١٩٨٥) مقدمة مشروع البرنامج والميزانية** - اليونسكو - باريس ١٩٨٣ م .

- **هل يقدم تعليم واحد للذكور والإناث** - بياتريس دوبون - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **بناء المستقبل (اليونسكو وتضامن الأمم)** - أحمد مختار أمبو - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **مجموعة اتفاقيات النقل الجوي الدولي (الجزء الأول)** - جمعها ورتبها المحامي رضا التكريتي - دمشق ١٩٨٥ م .

- **المخطوطات العربية في الهند** - عصام محمد الشنطي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية) - الكويت ١٩٨٥ م .

- **المخطوطات العربية في يوغسلافيا** - عصام محمد الشنطي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - (معهد المخطوطات العربية) - الكويت ١٩٨٥ م .

- **فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي (الرباط) (المجلد**

الرابع) ـ محمد العربي الخطابي ـ الرباط ١٩٨٥ م .

ـ **الفهرس الشامل للتراث المخطوط (القرآن وعلومه) : المصاحف ـ التجويد** ـ طبعة تجريبية ـ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **المؤسسات الإدارية في المغرب العربي** ـ (حكومات الجزائر والمغرب وتونس) ـ د . ميسوم صبيح ـ ترجمة أمين مسعود ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **إدارة مؤسسات التنمية الإدارية** ـ تحرير ميلان كوبر ـ ترجمة د . محمد قاسم القريوتي عبد الجبار ابراهيم ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **منهاج النظم (إطار متكامل لدراسة الظواهر الاجتماعية ، نموذج تطبيقي لظاهرة الإدارة في الدول العربية)** ـ اعداد د . طارق حمادة ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **بعض سياسات الافراد بالجهاز الحكومي في المملكة الاردنية الهاشمية** ـ د . نادر أبو شيخة ، د . عبد المعطي محمد عساف ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **تنظيم المحفوظات لدى المنظمة العربية للعلوم الإدارية (نموذج استشاري)** ـ اعداد د . حنا سليم قاقيش ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **تنظيم الادارة المحلية في المملكة الاردنية الهاشمية (دراسة تحليلية)** ـ د . عبد المعطي محمد عساف ، د . نادر أحمد أبو شيخة ـ عمان ١٩٨٥ م .

فهرس الجزء الرابع من المجلد الستين

(المقالات)

(التعريف والنقد)

(آراء وأنباء)

الفهارس العامة للمجلد الستين

أ ـ فهرس أسماء كُتّاب المقالات منسوقة على حروف المعجم

ب ـ فهرس المقالات منسوقة على حروف المعجم

ـ ا ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

- ح -

- د -

- ر -

- س -

- ش -

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

- م -

- ن -